



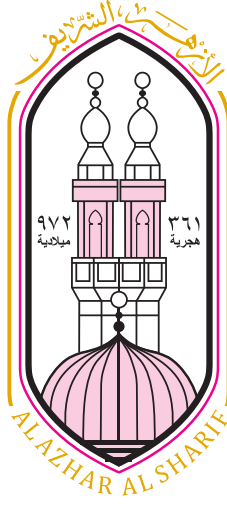
مَجْلَّةُ الْأَنْهَارِ

مَجْلَّةُ شَهْرَةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْهَارِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

٦٠

المجلد الثاني والخمسون - القسم الثاني
السنة ١٤٠٠ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org



العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢
ت (٩٠٥٥٠٦)

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محمد صابر البرديسي

الجزء الخامس - السنة الثمانية والخمسون - شعبان سنة ١٤٠٠ هـ - يوليو سنة ١٩٨٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحات من الإسراء والمعراج للأستاذ محمد صابر البرديسي

قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده
ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى ،
أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه
نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى «٠٠»
الآيات .

اعتاد المسلمون في الايام
الأخيرة من شهر رجب من كل عام
أن يحتفلوا بذكرى عطرة ،
تتعلق بالإسراء والمعراج ،
يحفزهم الى ذلك مشاعر طيبة
تتبع من الايمان بالله ، والحب

قال تعالى : « سبحان الذى
أسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الأقصى الذى
باركنا حوله . لنريه من آياتنا
انه هو السميع البصير » .

وقال تعالى : « والنجم اذا هوى
ما ضل صاحبكم وما غوى ،
وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا
وحى يوحى ، علمه شديد القوى ،
نومرة فاستوى ، وهو بالافق
الأعلى ثم دنا فتدلى ، فكان قاب

« صلى الله عليه وسلم » عندما يشتد به الضيق ، ويكثر أذى الكفار له ، وتتكرر قريش لما جاء به ، ويصبح في حيرة من أمر هؤلاء الناس •

وثانيهما : حماية عمه أبى طالب ، فقد أعانه ، ودافع عنه ، ومنع الكثير من أذى المشركين له ، لئلا من جاء ومكانة في قريش •

و شاء الله أن تموت زوجته السيدة خديجة في العام الذى يموت فيه عمه أبو طالب ، وبفقدتهما فقد الحمايةتين •

والله سبحانه لا يتخلى عن أنبيائه إذا فقدوا المعين ، فحين يفقدون الأسباب الظاهرية ، فإن الله يكون بجانبهم ، يحميهم وينصرهم ، ويكشف عنهم السوء « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ؟ » لقد جاء حدث الأسراء والمعراج تسلياً لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » حين فقد زوجته وعمه في عام واحد ، حتى لقد سمى هذا العام « عام الحزن » • أراد الله أن يشرفه ،

الصادق لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقد كان حدث « الأسراء والمعراج » تكريماً لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » وتقوية لإرادته ، وبرهاناً على أن الله « سبحانه وتعالى » معه وأنه سيتولاه بأحسنه وتوفيقه ، ويمده بنصره ولن يتخلى عنه •

لقد وقف المشركون من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » منذ جهر بدعوته موقف العداء ، وترصدوا له في كل مكان ، وألحقوا به وبأصحابه أشد ألوان الأذى والنكال ، ولكن رحمة الله برسوله « صلى الله عليه وسلم » جعلته يحتمل هذا العنت ، وذلك التحدى •

وقد شاءت إرادة الله أن تكون لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » في بدء رسالته « حمايتان » •

أحدهما : من جهة زوجته السيدة « خديجة » « رضى الله عنها » إذ كانت هى السكن فى بيته حين يلجأ إليه الرسول

وأن يميزه بخصائص تنسيه همومه وتعوضه ما فقد ، خصه بمعجزة الاسراء والمعراج ، وخرق له فيهما قوانين الكون فمعجزة وتعوضه ما فقد ، المعراج لم يصل اليها ، بشر ، ولم يقدر عليها ملك ، فقد توقف جبريل في المرحلة الأخيرة من مرحلة السماء ولم يقدر عليها ، وانفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فكان ذلك شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنسا من الله لرسوله بدنوه منه ، ورؤيته للحق جل جلاله ، وبالاستماع الى كلامه مباشرة وبلا واسطة •

اختبارا لطائفتين من الناس : طائفة آمنت بالله ، واعتصمت به ، لا تؤثر فيها الاحداث ولا تزغها الأعاصير ، وكان الحدث اهم هدى ورحمة ويقينا وتثبيتا • وطائفة أخرى أشركت بالله ، وعميت عن الحق ، فأجمعت أمرها على الإنكار ، وعزمت بكل قوتها على الوقوف ضد هذا الدين الجديد ، والتصدى لرسول الله ، والقضاء على الاسلام في مهده قبل أن يستفحل أمره ، وارتد بعض المسلمين الذين لم يصلوا الى مرتبة اليقين •

هؤلاء المشركون ، والمرتدون ، عجبوا أن جاءهم محمد بالمعجزات ولم يصدقوا بالآيات ، ولم يدركوا قدرة الله فباءوا جميعا بالخسران • أنكروا حادث الاسراء والمعراج ، وقالوا لرسول الله : أتدعى أنك أثبتتها في جزء ليلة ، ونحن نضرب اليها أكباد الابل شهرا ؟ »

مالوا عن الحق ، وحادوا عن الطريق السوى •

ولكن رسول الله « صلى الله

كما شرفه الله تعالى بالتقائه بالأنبياء الذين سبقوه ، والتحدث معهم ، وامامته لهم •

ان هذا الحدث العظيم مع ما أفاضه الله على رسوله من نور الهى وتجل ربانى كان له تعزية وسلوى لما أصابه من موت زوجه وعمه ، وتثبيتا لقلبه ، وتأكيذا لنصر الله له •

ان حدث الاسراء والمعراج جاء

الاسراء كان بالروح والجسد معاً ،
ولذا وقفوا منه موقف التكذيب له
فيما يظنون أنه ادعاه ، فقالوا له :

« ادعى أنك أنتيتها في جزء
ليلة ، ونحن نضرب اليها أكباد
الابل شهرا ؟ » ولو أنهم فهموا
أنه كان مناما أو بالروح فقط لما
واجهوه بهذا السؤال •

وقد وصف لهم الرسول « صلى
الله عليه وسلم » المسجد الأقصى
كما رأوه وكما يعرفونه ، وهم
يعلمون أنه لم ير المسجد الأقصى
ولم يذهب اليه ولو شكوا في أنه
رآه لما طلبوا منه أن يصفه •

ولم يكف رسول الله « صلى
الله عليه وسلم » بوصف المسجد
لهم كدليل على صدق قوله ، بل
أخبرهم بالقوافل القادمة ،
وبأشياء رآها على الأرض خلال
الاسراء به من مكة الى بيت المقدس
والعودة ، والقافلة بعد في طريقها
الى مكة لم تصل ، ثم ترصدوا
القافلة فوجدوا الامر كما قال
الرسول « صلى الله عليه وسلم » •
وكان يقصد بذلك كله أن يعطى

عليه وسلم « لم تمنعه سخرية
المرتدين ، وارتداد ضعاف الايمان
من المسلمين من المضى في اعلان
هذا الحدث العظيم لثقتة بالحق
الذى جاء به ، والحق الذى وقع
له •

ايمانه بمارأى جعله يصارح
قومه به غير مبال برأيهم فيما رآه •
بعد ألف عام ، من عمر الاسلام
يأتى قوم شغفوا بجدل الكلام ،
وانصرفوا عن جوهر الحدث
الأصيل ، الى الجدل الشكلى
فيقولون :

أكان الاسراء فى اليقظة ؟ أم
كان ذلك مناما ؟

أكان ذلك بالروح فقط ؟ أم كان
ذلك بالجسد والروح ؟
وهل كان ليلا ؟ أم كان ذلك
نهارا ؟

مثل هذا الجدل من الكلام ،
لا يحدث الا حين تضعف الثقة فى
الله ويخف وزن الايمان •
ان المشركين ، وهم فى قمة
عنادهم ، فهموا من رسول الله
« صلى الله عليه وسلم » أن

الناس آيات أرضية حسية ولا يعجزه شيء في السموات
مشهودة • والأرض ، فلا أسباب ولا زمان

ولا مكان مع قدرة الله •

وكانت جزء ليلة بحسب المرائى
التي تعرض لها الرسول « صلى الله
عليه وسلم » ورآها في طريقه
بنفسه وببشريته ، بمعنى أنه
« صلى الله عليه وسلم » اذا رأى
منظرا من المناظر ، فرؤيته لذلك
المنظر هي التي تحتاج الى الزمن ،
فالأشياء التي رآها هي التي
صاحبت الزمن •

تعرض القرآن لحديث الاسراء
صراحة في أول آية من سورة
الاسراء وتعرض لحديث المعراج
ضمنا والتزاما في الآيات الأولى
من سورة النجم فلم يقل سبحانه
وتعالى « لقد عرج محمد — وانما
ذكر آيات تستلزم أنه عرج — وهذا
من رحمة الله ، فالحدث الذي أقام
عليه الرسول « صلى الله عليه
وسلم » الدليل المادى —
« كالوصف والآيات الأرضية
الحسية التي شهداها خلال الاسراء
به » — أتى به صراحة •

ومتى تأكدوا من صحتها يصبح
ذلك دليلا على أن الله قد خرق له
القانون في الارض وصارت له
معجزة تكون بمنزلة (صدق عبدي
في كل ما يبلغ عنى) •

فاذا أخبرهم بعد ذلك بأمر
المعراج أو بأى شيء آخر فانهم
يصدقون ولا يشكون •

فالاسراء كان مقدمة للدلالة على
صدق ما حدث ومادام الله قد خرق
له قوانين الأرض فهو قادر على أن
يخرق له قانون السماء « وهو
حدث المعراج » •

ربما كان الاسراء نقلة عجيبة
بالقياس الى مألوف الناس ،
ومقدور البشر ، فهو حدث عجيب
غريب ، تقف فيه العقول ، ولكن اذا
علمنا أن الله هو الذى أسرى
بمحمد « صلى الله عليه وسلم » ،
ومحمد أسرى به ، ومادام الله هو
الفاعل فلا غرابة ولا عجب في أن
يسرى به في جزء ليلة بل في لحظة ،
فان الله يقول للشيء كن فيكون ،

يصحبه جبريل في رحلته « الأرضية والسموية » وبعد سدرة المنتهى توقف جبريل ، وانتهى حده ، وزج برسول الله « صلى الله عليه وسلم » في سبحات من النور ، وارتقى الى ما يناسب ذلك الملائكة الأعلى .

ثلاثة أشياء حدثت لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » في رحلته الأرضية والسموية :

١ - بشرية في الأرض : وكان جبريل فيها يرى محمدا « صلى الله عليه وسلم » الأشياء .

٢ - ملائكية في السماء : قبل سدرة المنتهى ، كان يسمع فيهم بلا واسطة جبريل ، فقد تحولت ذاتية محمد وأصبحت ملائكية ، طرحت بشريته في الأرض ، وأصبحت ملائكيته هي المسيطرة عليه .

٣ - ملائكية فوق الملائكية : ارتقى فيها ، ولم يكن جبريل معه ، وهي التي كانت بعد سدرة المنتهى ، تعرض فيها الرسول الى خطاب الله ورؤيته له سبحانه وتعالى .

أما الأمر الذي لا يمكن أن يقام فيه الدليل المادي « لأنه سماوى » أتى به التزاما ، وتركه لمدى يقين العبد بربه وتوثيق الخبر من الله أو من رسوله - ومن هنا قال العلماء (الذى يكذب بالاسراء يكون كافرا ، والذى يكذب بالمعراج لا يكون كافرا بل يكون فاسقا » . حدث الاسراء نقلة أرضية .

أما حدث المعراج فهو نقلة سماوية ، تخطف محمد « صلى الله عليه وسلم » الأرضين والسموات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل الى ما لم يصل اليه نبي مرسل ولا ملك مقرب .

وصل « صلى الله عليه وسلم » الى أقرب ما يكون من النور الالهي .

« فكان قاب قوسين أو أدنى » .
وحيثما صعد رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الى الملائكة الأعلى ، وتنقل في السموات السبع ، وجاوزها الى سدرة المنتهى ، بعد أن التقى بالأنبياء وبالملائكة ، يراهم ، ويتكلم معهم ، وكان

وكانت الصلاة هدية لأمة محمد « صلى الله عليه وسلم » لأنه كان في القرب من الله ، والصلاة تقرب المؤمنين من ربهم ، فهي « هدية القرب للقرب » قال تعالى « فاسجد واقترب » ويقول الرسول « صلى الله عليه وسلم » « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » •

فأله سبحانه وتعالى ، حيا محمدا « صلى الله عليه وسلم » وكرمه حين قربته منه في الملا الأعلى ، وأراد سبحانه وتعالى أن يكرم أمة محمد « صلى الله عليه وسلم » فحمله هدية « هي الصلاة » يحملها الى أمته في هذه المناسبة الجليلة حتى تقربهم من الله كما كان للرسول حظه العظيم في القرب منه يقول الامام القشيري :

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق « رضى الله عنه » يقول : ان نبينا عليه السلام أتى للأمة بالمعراج على التحقيق ، والصلاة لنا بمنزلة المعراج •

وقد كان المعراج له عليه السلام ثلاث منازل — من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، ثم من المسجد

لم يستطع جبريل عليه السلام ، وهو أقرب الملائكة الى الله أن يصل الى هذه المكانة ، بل ان جبريل عليه السلام ، قال لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » عندما وصل الى سدره المنتهى وطلب منه أن يتقدم ، قال جبريل : « اذا تقـدمت أنا احترقت ، واذا تقـدمت أنت احترقت » وذلك لأن نور الله سبحانه وتعالى في هذا المكان بالذات لا يستطيع أن يتحملة حتى أعظم الملائكة (جبريل) عليه السلام •

في هذا المكان الجليل الشأن ، العظيم القدر فرضت الصلاة ، فدل ذلك على قدرها وجلال شأنها وقيمتها العظمى كركن من أركان العبادة كانت الصلاة التي فرضها الله على أمة محمد هي الصلاة الجامعة لكل الصلوات السابقة وكانت خمسين صلاة ، فما زال الرسول « صلى الله عليه وسلم » يسأل ربه التخفيف حتى صارت خمسا ، وبقيت في الثواب خمسين • وتختلف عن بقية الفرائض في أنها فرضت مباشرة ، وغيرها كان بطريق الوحي •

كان أبى بن كعب يحدث أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : « ما معناه » « وأنا بمكة نزل جبريل ففتح صدرى ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطشت من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغها فى صدرى ، ثم أطبقه » لقد بدأت رحلة الاسراء والمعراج بتطهير القلب ، وانتهت الى الرقى الروحى ، والفيوضات الالهية ، انتهت الى الغاية الحقيقية الانس بكلام الله ورؤية الحق (فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى) - (ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى) •

وفى هذا منتهى السعادة ، وغاية الأنس •

نسأل الله أن يمتعنا بالنظر الى وجه الله الكريم فى الجنة « وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة » •

كما نسأله أن يسدد خطانا ، ويمنحنا التوفيق ، ويحفظنا من الأخطاء ، والله الهادى الى سواء السبيل •

محمد صابر البرديسي

الأقصى الى سدرة المنتهى ، ثم منها الى قاب قوسين أو أدنى •

فكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل • القيام ، ثم الركوع ، ثم السجود •

والسجود نهاية القرب ، قال تعالى « فاسجد واقترب » ويقول الامام القشيري :

ومن لطائف المعراج ، ومما خص به الرسول « عليه السلام » فى أول حاله فى تلك الليلة الطهارة -

« ان جبريل عليه السلام حمّله الى زمزم ، وشق صدره ، وغسل قلبه »

وقد شق قلب النبى « صلى الله عليه وسلم » مرتين ، مرة فى حال صباه ، حين كان فى حجر حليمة » •

والمرة الثانية : - ليلة المعراج - وانما خص القلب بالغسل لكيلا يكون لغير الحق نصيب فى قلبه ولأنه اذا صلح القلب صلح الجسد كله •

ولتنبية الأمة على طهارة القلب • روى أحمد بسنده عن أنس بن مالك - « رضى الله عنه » قال :

حول رأى العلامة ابن خلدون

في اجتماع الناس والولاية عليهم

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار
وكيلة الأزهر

يقول الحكماء « ان الانسان مدنى بطبعه » ومعنى ذلك : أنه لا يمكن أن يعيش مستقلاً بنفسه ، بل لابد من اجتماعه مع الناس ، واجتماع الناس معه ، وتعاونهم جميعاً ، للحصول على ما تتطلبه الحياة من طعام ، وشراب ، وخباء وكساء • بل والحصول على ما وراء ذلك من الكماليات التى تنقل الانسان الى مستوى كريم من الحياة ، وتوفر له من أسباب الراحة والطمأنينة ما تسعد له نفسه • وينهض به الى درجة لائقة ، تمكنه من استغلال ماسخره الله له على ظهر الأرض من حيوان ، ونبات ، وجبال ، وأنهار

وبحار • وفى بيان ذلك يقول ابن خلدون فى مقدمته : « ان الله — سبحانه وتعالى — خلق الانسان وركبه على صورة لاتصح حياتها الا بالغذاء ، وهدام الى التماسه بفطرته ، وبما ركب فيه ، من القدرة على تحصيله •• الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته ، من ذلك الغذاء •• ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه ، وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً ، فلا يحصل ذلك الا بعد الطحن ، والعجن ، والطبخ » (١) • وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين ،

(١) طبخ العجين تحويله الى خبز •

العدوان طبيعياً في الحيوان ، جعل لكل واحد منها عضواً يقتص بمدافعته ما يصل اليه من عدوان غيره ، وجعل للانسان عوضاً عن ذلك كله الفكر واليد ، فاليد مهياة للصنائع بخدمة الفكر ، والصنائع تحصل له الآلات ، التي تنوب عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات ، للدفاع . فالرمح مثلاً تنوب عن القرون الناطحة ، والسيوف تنوب عن المخالب الجارحة ، الى غير ذلك » .

•• وهذا البيان الواضح من ابن خلدون ، فيه تفصيل دقيق ، عن موقف الانسان على ظهر الأرض في علاقته باخوانه من البشر ، وفي علاقته بما يوجد في الدنيا من كائنات •• فالانسان الواحد — كما ترون — لا يصل اليه الطعام الا اذا تعاونت معه أفراد وجماعات ، تشترك كلها في تهيئة الطعام ، واعداده ، والا اذا عملت فيه آلات ، وصناعات مختلفة ، تحتاج الى الأيدي العاملة الكثيرة ، كل في مجاله الذي يختص فيه . حتى ان اللقمة الواحدة من الخبز ، يشترك في

وآلات لا تتم الابصـــــــــناعات متعددة ، من : حداد : ونجار وفاخوري . وهب أنه يأكله حبا ، من غير علاج ، فهو — أيضاً — يحتاج في تحصيله حبا الى أعمال أخرى ، من الزراعة ، والحصاد ، والدراس ، الذي يخرج الحبة من غلاف السنبل ، ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة ، وصنائع كثيرة أكثر من الاولى بكثير ، ويستحيل أن توفي بذلك كله ، أو بعضه قدرة الواحد . فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ، ليحصل القوت له ولهم •• وكذلك يحتاج كل واحد منهم — أيضاً — في الدفاع عن نفسه ، الى الاستعانة بأبناء جنسه ، لأن الله — سبحانه — لما ركب الطباع في الحيوان كلها ، وقسم القدر بينها ، جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظ الانسان ، فقدرة الفرس مثلاً ، أعظم بكثير من قدرة الانسان ، وكذلك قدرة الحمار والثور ، وقدرة الأسد والفيل ، أضعاف من قدرة الانسان . ولما كان

منفعته ، ويسخرها لمصلحته ، وإذا كان الله — عز وجل — قد زود هذه الحيوانات العجم بوسائل لتدافع عن نفسها أمام غيرها ، من سائر الحيوانات ، فجعل لها القرون ، أو الأظلاف ، أو الأنياب ، أو الأظفار فقد زود الله الانسان بالعقل ، ليستطيع بتفكيره أن يتعاون مع بنى جنسه فى اختراع الآلات ، التى تقاوم هذه القوى . ثم تسخرها لما يجلب له النفع والخير حتى يصبح الانسان وحده سيد هذه الكائنات ..

حاجة الناس الى الوازع :

ثم يتحدث ابن خلدون بعد ذلك عن :حاجة الناس الى وازع يردعهم عن المطامع ، ويراقبهم فيه تحقيق التعاون والتضامن ، حتى لا ينتكسوا الى الحيوانية الشرسة ، فيطغى القوى على الضعيف ، ويفترس الكبير الصغير ، وتسود فى الناس شرعة الغاب ، ومنطق الظفر والغاب ، . وهذا الوازع انما هو الحاكم ، الذى يتولى قيادة الناس ، وتوجيههم . ويفصل فى مظالمهم ، ويرسم لهم المنهج ، الذى يصلح

توصيلها الى الفرد عدد كبير ، ما بين زارع ، وحاصد ، وطاحن ، وعاجن ، وخابز ، وتشترك فى تهيئتها آلات كثيرة ، صنعها صناع كثيرون ، وبفضل تنسيق التعاون بين الأفراد تسير أمور الناس ، وتنظم أحوالهم ، ويصبحون جميعا كالجسد الواحد ، لا تشيع فيه الحياة ، ولا تكمل له القوة الا اذا قامت كل جارحة فيه ، بل كل ذرة منه بواجبها المرسوم لها فى خدمة الجسد كله . قال الله تعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى .. »

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « الناس بخير ما تعاونوا » وفى هذا المعنى يقول الشاعر العربى :

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم
والانسان محتاج — كذلك — الى التعاون مع أبناء جنسه ، للدفاع عن نفسه ، أمام ما خلق الله فى هذه الدنيا ، من حيوانات قوية ، ووحوش ضارية ، وقوى شريرة ، بل هو أشد حاجة الى التعاون ليحول هذه القوى الجبارة الى

الأساس في الولاية :

حياتهم ، وينظم أمورهم ..

موقف الفلاسفة :

.. ونحن لا نؤيد ابن خلدون في مثل هذا الرأي ، ونعتقد أن الأساس الأول في الولاية ، أى ولاية أمور الناس والحكم فيهم ، إنما يرجع الى النبوة . وإن آدم أبا البشر هو الحاكم الأول على ظهر هذه الأرض ، وهو نبى ، وقد جعله الله خليفته فيها . وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** * **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** * **قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** * **قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** « (١) »

ولكن ابن خلدون لا يرتضى رأى الفلاسفة الذين يقولون ، أن الوازع الذى يوجه الناس الى طريق الحق هو النبى الذى يصطفيه الله من خلقه ليبذل الناس رسالة الله التى يهدى بها من يشاء من عباده وإن هذا النبى لابد أن يكون مؤيدا من الله بالمعجزات الخارقة التى يعجز عنها البشر لتكون برهانا على صدق دعوته .

موقف ابن خلدون :

.. نقول : ان ابن خلدون لا يرتضى هذا رأى ، ويقول : لا يشترط فى الحاكم أن يكون نبيا لأن الحكومات القائمة فى هذا العالم لا يعتمد الكثير منها على الانبياء ، ومع ذلك فإن العالم يسير فى طريقه ، وتمشى أمور الناس ومصالحهم فى دقة وانتظام ، وقد يكون هؤلاء الحكام مجوسا أو مشركين ..

فهذه الآيات تشير الى أول حكومة قامت على وجه الأرض وأول خليفة لله فيها ، وهو آدم عليه السلام ، وقد أفاض الله عليه من علمه ما يمكنه من معرفة كل شيء في هذا الوجود ، وهى منزلة لم يجعلها الله للملائكة المقربين ، وانما علمه الله كل شيء ليستطيع أن يضرب في الأرض ، ويبتغي من فضل الله هو ومن يتناسل منه هو وحواء من أولاد ، وهم الأسرة الأولى من البشر ، وكان يتولى أمورهم ، أبوهم وحاكمهم ، ونبيهم آدم أبو البشر .

• • فلما تتابعت الأجيال ، وتكونت الأمم والشعوب كانوا يترسمون منهج أبيهم آدم في الحكم بما علمه الله • • أو منهج الأنبياء الذين جاءوا من بعده •

واذن فالأساس الذى تقوم عليه الولاية على الناس هو النبوة ، وقد جعلها الله في هذه الدنيا على فترات متباعدة ، أو متقاربة ، وفي أماكن مختلفة من أرضه الواسعة ، فاذا وجدت على ظهر الأرض ولايات لأناس من غير الأنبياء فهم فى سياستهم — لأمر الناس وتنظيمهم لأحوال المجتمع — انما يسيرون فى ضوء النبوات التى ظهرت من قبلهم ، ولن يطرد لهم النجاح والتوفيق الا بسيرهم على هذا المنهج القويم ، وهذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا •

دكتور / محمد الطيب النجار

السنة والحديث والخبر والأثر

للدكتور الحسيف هاشم
الزبيدي العام لجميع البحوث الإسلامية

ولما كان النبي « صلى الله عليه وسلم » هو القدوة الحسنة بأقواله وأفعاله قال تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ونكر الله كثيرا » - كانت السنة في

اصطلاح المحدثين هي كل ما أثر عن النبي « صلى الله عليه وسلم » من قول قتاله ، مثل ما روى عن علي بن أبي طالب « رضى الله عنه » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا اله الا الله ، وأنى محمد رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر) رواه الترمذى •

أو فعل فعله « صلى الله عليه

السنة والحديث والخبر ألفاظ لمعنى واحد ، يطلقها علماء الحديث على ما أضيف الى النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير ، أو الى الصحابى أو التابعى •

فالسنة لغة : هي السيرة والطريقة حسنة كانت أم سيئة وفى الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، فكل من بدأ عملاً ليقتدى به غيره فقد سنه له •

والحديث لغة: اسم من التحديث وهو الاخبار ، ويطلق أيضا على الجدة بمعنى الجديد في مقابل القديم ، قال شيخ الاسلام ابن حجر في شرح البخارى ، المراد بالحديث في عرف الشرع ما أضيف الى النبى (صلى الله عليه وسلم) وكانه أريد به مقابلة القرآن لأنه قديم •

والنبى (صلى الله عليه وسلم) سمي قوله حديثا ، روى البخارى في باب الحرص على الحديث من كتاب العلم عن أبى هريرة أنه قال : يارسول الله • من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا « الحديث » أحد أولى منك ، لما رأيت من حرصك على « الحديث » أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه •

كما أطلق ذلك على كل ما أثر عنه (صلى الله عليه وسلم) وعن الخلفاء الراشدين الذين اقتفوا أثره •

وسلم » ونقله الينا الصحابة ، مثل ما روى عن أبى هريرة : « أن رسول الله » صلى الله عليه وسلم » ، كان يعتكف كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين » — رواه البخارى وأبو داود •

وما نقله الينا معاوية في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم وصلاته ، وأدائه المناسك والحج « صلوا كما رأيتمونى أصلى ، خذوا عنى مناسككم » — أو تقريره لأمر وموافقته عليه (صلى الله عليه وسلم) • أو أمر فعل أمامه ولم ينكره مثل ما روى عن أبى داود عن أبى سعيد الخدرى ، أنه خرج رجلا في سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة ، فتيما صعيدا طيبا فصليا ، ثم وجدا الماء في الوقت فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر ، ثم أتيا الرسول (صلى الله عليه وسلم) فذكرا ذلك له فقال للذى لم يعد : أصبت السنة ، وقال للآخر : لك الأجر ، مرتين • رواه أبو داود والنسائى •

وسلم) وجعل الحديث عاما يشمل قول النبي « صلى الله عليه وسلم » وفعله ، وقال : ان الخبر ما أضيف الى غير النبي (صلى الله عليه وسلم) والأثر ماروى عن غيره من الصحابة والتابعين •

وقرائن الرواية عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين تعين وتحدد مفهوم هذه المصطلحات •

فالسنة ، والحديث • والخبر • والأثر ما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحدث به وأثر عنه وعن الصحابة والتابعين •

ألقاب المحدثين

لم يكن علماء الحديث في مرتبة واحدة ، أو يشملهم لقب علمى واحد بل تفاوتت الألقاب بحسب التمكن والفهم والمعرفة والنبوغ فهناك :

الطالب : وهو من يروى الحديث بإسناده ، وليس له علم بأسانيد المتون ، ومعرفة رجالها ، ولا بعالم المتون ولا معانيها ، انه مجرد حافظ يحفظ أسماء الرواة • ويحفظ الأحاديث بأسانيدها •

عن العرياض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب • فقال رجل :

يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع • فماذا تعهد إلينا ؟ قال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا ، فإنه من يبعث منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين : تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » •

رواه أبو داود •

ولذا أقرر رأى جمهور المحدثين بأن السنة والحديث والخبر والأثر ألفاظ مترادفة لمعنى واحد ، وهو ما أضيف الى النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير أو وصفة ، أو الى الصحابي ، أو التابعى خلافا لمن جعل السنة خاصة بأعمال النبي (صلى الله عليه وسلم)

والبخارى ثلثمائة ألف حديث ، وكذلك مسلم • وحفظ أبو داود خمسمائة ألف حديث ، ويحيى بن معين مائة وثلاثين ألفا حديث ، والحاكم خمسمائة ألف حديث من شتى أنواع الحديث ، ما بين صحيح وغير صحيح ، مما يتصل بالرسول « صلى الله عليه وسلم » أو الصحابة أو التابعين •

الحجة : هو الحافظ الذى بلغ فى الحفظ والاتقان مبلغا يصح أن يكون حجة عند العام والخاص •

الحاكم : من عرف أغلب الأحاديث متنا وسندا وجرحا وتعديلا وتاريخا ونحو ذلك مما يتعلق بها من ناحية هذا الفن •

وأعلى درجات المحدثين « أمير المؤمنين فى الحديث » أى أعلم عصره به وأجمعهم له وأكثرهم فهما لما يتصل به •

ومن لقب بأمير المؤمنين فى الحديث الامام مالك • والامام أحمد ، والبخارى ، والدارقطنى وغيرهم •

وممن لقب بالحاكم • أبو داود

المحدث : وهو من توسع فى الرواية والمعرفة فأشغل بالحديث رواية ودراية ، وجمع رواته واطلع على كثير من الرواة والمرويات فى عصره ، وتميز فى ذلك حتى عرف فيه خطه ، واشتهر ضبطه • قال التاج السبكي : هو من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال ، وحفظ جملة مستكثرة من المتن ، وسمع الكتب الستة ، ومسند أحمد وسنن البيهقى •

ومعجم الطبرانى ، وضم الى ذلك ألف جزء من الأجزاء الحديثية والمقصود أنه من حصل على معرفة بالرجال والكتب تجعله ذاقوق فى معرفة الحديث •

الحافظ : من الحفظ ، ويختلف باختلاف العصور ، وهو من عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله ، وقد ذكروا نماذج من حفظ الحفاظ ليستدلوا بها على هؤلاء الحفاظ ومكانتهم •

فالامام أحمد روى أنه كان يحفظ سبعمائة وخمسين ألف حديث

والترمذى ، والنسائى والحاكم
النيسابورى •

هذه فكرة اجمالية عن مدرسة
الحديث ، ودرجاتها العلمية
ونظامها الدقيق البالغ الغاية فى
الدقة والنظام ، وقد تحدث علماء
الحديث من دعاة العلم والمتطفلين
على مائدته فيما يتصل بهذا المجال
فقال التاج السبكى : ومن أهل
الحديث فرقة ادعت الحديث فكان
قصارى أمرها النظر فى مشارق
الأنوار الصاغنى ، فان ترفعت
غالى مصابيح البغوى ، ظنت أنها
بهذا القدر تصل الى درجة المحدثين
وما ذلك الا بجهلها بالحديث ، فلو
حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن
ظهر قلب ، وضم اليهما من المتون
مثليهما لم يكن محدثا ، فان رامت
بلوغ الغاية على زعمها اشتغلت
بجامع الاصول لابن الأثير ، فان
ضمت الى ذلك كتاب « علوم
الحديث » لابن الصلاح ، أو
مختصره المسمى « بالتقريب
والتيسير » للنووى ، ونحو ذلك
نودى بمن انتهى الى هذا المقام
محدث المحدثين وبخارى العصر ،

وما ناسب ذلك من الألفاظ الكاذبة
وانما المحدث من عرف الأسانيد
والعلل ، الخ •• ماسبق ذكره فى
تعريف المحدث ، وقال أيضا : ومن
أهل العلم طائفة طلبت الحديث ،
وجعلت دأبها السماع على المشايخ
ومعرفة العالى من المسموع والنازل
وهؤلاء هم المحدثون على الحقيقة ،
الا ان كثيرا منهم يجهد نفسه فى
تهجى الأسماء والمتون وكثرة
السماع من غير فهم لما يقرءونه ،
ولا تتعلق فكرته بأكثر من تعدد
المشايخ ، والتفاخر بهم ، وانما كان
السلف يستمعون فيقرءون فيرحلون
فيفسرون ، ويحفظون فيعملون • أه
بتصرف •

وقد عنف العلماء فى الحملة على
مدعى الحديث أو المنتسبون الى
مدرسته دون جدارة واستحقاق ،
فقال بعضهم :

ان الذى يروى ولكنه

يجهل ما يروى وما يكتب

كخزعة تنبع أمواها

تسقى الأراضى ولا تشرب

وقال فيهم بعض الظرفاء : ان

الواحد منهم قليل المعرفة والخبرة

يمشى ومعه أوراق ومحبرة ، ومعه أجزاء يدور بها على شيخ وعجوز ، لا يعرف مايجوز مما لايجوز ، فكم يرض العلماء التقعر فى الحديث والسيرفيه دون فهم دقيق وذوق رفيع ، وخبرة عالية ، حتى لقد سرى منهج علماء الحديث الدقيق الى غيرهم ، واشتهرت جديتهم عنهم ، وروى الحاكم النيسابورى بسنده عن محمد بن سهل بن عسكر قال :

وقف المأمون يوما للأذان ، ونحن وقوف بين يديه اذ تقدم اليه غريب بيده محبرة فقال : يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به فقال له المأمون : (ايش) تحفظ فى باب كذا ، ؟ فلم يذكر فيه شيئاً ،

فمازال المأمون يقول حدثنا هيشم ، وحدثنا حجاج ابن محمد ، وحدثنا فلان حتى ذكر الباب ، ثم سألته عن باب ثان ، فلم يذكر فيه شيئاً ، فذكره المأمون ، ثم نظر الى أصحابه ، فقال : أحدهم يطلب الحديث ثلاثة أيام ثم يقول : أنا من أصحاب الحديث أعطوه ثلاثة دارهم •

ولقد أفضنا فى هذا المجال لنذكر الى أى مدى حفظ المحدثون مراكزهم ، وحدثوا مناهجهم ، وكانت الشهادة لأحد منهم بالأمانة شهادة معبرة صادقة لها مدلولها الصحيح •

دكتور الحسينى هاشم

« اعتراف »

(انى أعتقد أن رجلاً كمحمد - صلى الله عليه وسلم - لو تسلم زمام الحكم المطلق فى العالم بأجمعه اليوم ، لثم له النجاح فى حكمه ، ولقاد العالم الى الخير ، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة) •

« برنارد شو »

دراسات قرآنية .

ليلة النصف من شعبان

ليست الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم

لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير

« حم (١) والكتاب المبين (٢) انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا
منذرين (٣) فيها يفرق كل أمر حكيم (٤) » من سورة الدخان

البيان

ليلة القدر ، لقوله تعالى انا
أنزلناه في ليلة القدر « وليلة القدر
في رمضان ، لقوله تعالى « شهر
رمضان الذي أنزل فيه القرآن ،
فتبين من ذلك أن كل أمر حكيم
لا يفرق في ليلة النصف من شعبان ،
بل في الليلة المباركة التي أنزل فيها
القرآن ، وهي ليلة القدر من شهر
رمضان الذي أنزل فيه القرآن ،
وهذا هو الذي ارتضاه جمهور
العلماء وعلى رأسهم ابن عباس ،
أخرج محمد بن نصر وابن
المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس
أنه قال في تفسير آية الدخان
(يكتب في ليلة القدر ما يكون في

ذهب بعض العلماء الى أن ليلة
النصف من شعبان هي الليلة التي
يفرق فيها كل أمر حكيم ، وهي
التي جاءت في سورة الدخان في قوله
تعالى « حم والكتاب المبين • انا
أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين
فيها يفرق كل أمر حكيم » ومن
ذهب الى ذلك عكرمة ، واحتج
بما جاء في بعض الأحاديث من أن
الآجال تنسخ في ليلة النصف من
شعبان ، حتى ان الرجل ليتزوج
وقد رفع اسمه فيمن يموت •
والصحيح أن الليلة المذكورة هي

للسنة من رزق أو موت أو حياة ،
أو مطر ، حتى يكتب الحاج : حج
فلان ويحج فلان » •

ومن ذهب الى ذلك الحسن ،
أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن
ربيع بن كلثوم قال : كنت عند
الحسن فقال له رجل يا أبا سعيد :
ليلة القدر في رمضان هي ؟ قال :

أى والله انها لفي كل رمضان ،
وانها الليلة التى يفرق فيها كل أمر
حكيم ، فيها يقضى الله تعالى كل
أجل وعمل ورزق الى مثلها ، وروى
هذا التعميم عن غير واحد من
السلف ، فهؤلاء جميعا قالوا ان كل
مقدورات العام تنقل من أم الكتاب
الى الملائكة ليلة القدر ، ليقوموا
بتنفيذها في موطنها ، كل في دائرة
اختصاصه •

الصيام في شعبان

شعبان شهر كريم ، وهو مقدمة
لشهر أكرم ، شهر رمضان الذى
أنزل فيه القرآن ، وفرض فيه
الصيام ، ولقد كان النبى صلى الله
عليه وسلم يخصه من بين الشهور
بكثرة صيامه فيه ، ففى الصحيحين

عن عائشة رضى الله تعالى عنها
« كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ،
ويفطر حتى نقول لا يصوم ،
وما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم استكمل صيام شهر
الا رمضان ، وما رأيت أكثر صياما
منه في شعبان » •

وفيهما عن عائشة أيضا قالت
« لم يكن النبى صلى الله عليه
وسلم يصوم شهرا أكثر من
شعبان ، فانه كان يصوم شعبان
كله ، وكان يقول : « خذوا من العمل
ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى
تملوا » •

احياء ليلة النصف من شعبان

جرت عادة كثير من المسلمين أن
يحيوا ليلة النصف من شعبان ، وأن
يدعوا الله تعالى ، لما روى عن
احيائها من أحاديث تدل على
فضلها ، وتبعث على احياؤها •

وهذه الأحاديث وان لم تصل
الى درجة الصحة فى أفرادها ، فان
بعضها يقوى بعضها ، كما هو شأن
الأحاديث الضعيفة السند اذا

اجتمعت ، ولهذا تجعل العمل بها مشروعا غير بدعى ، وقد نقل عن كبار التابعين احياء ليلة النصف عملا بتلك الأحاديث ، على ما سنوضحه ، وفيما يلى بعض هذه الأحاديث :

روى الطبرانى وابن حبان عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يطلع الله الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن** » وبهذا المعنى رواه أحمد فى مسنده .

وروى البيهقى فى كتاب السنن وغيره بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله عز وجل يطلع الى عباده فى كل ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمؤمنين ، ويملى للكافرين ، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه » .

وروى البيهقى عن العلاء أن عائشة رضى الله عنها قالت « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك ،

فرجعت فسمعته يقول فى سجوده « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال « يا عائشة — أو يا حميراء — أظننت أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قد خاس بك » ؟ — أى غدر بك — قلت لا يا رسول الله ، ولكنى ظننت أنك قد قبضت لطول سجودك ، فقال : « أتدرين أى ليلة هذه » ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : « هذه ليلة النصف من شعبان ، ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم » .

وروى محمد بن عيسى بن حبان المدائنى بسنده أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه دخل على عائشة رضى الله تعالى عنها ، فقالت عائشة : يا أبا سعيد ، حدثنى بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدثك بما رأيته يصنع

قاطع رحم ، ولا الى مسبل ، ولا الى علق لوالديه ، ولا الى مدمن خمر » ثم وضع ثوبيه وقال « يا عائشة ، أتأذنين لى فى قيام هذه الليلة ؟ قلت : نعم بأبى وأمى فقام فسجد طويلا حتى ظننت أنه قد قبض ، فقامت ألتمسه ، ووضعت يدى على باطن قدميه فتحرك ، ففرحت وسمعتة يقول فى سجوده « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، جل وجهك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، فلما أصبح ذكر تهنى له ، فقال : تعلمين وعلمين ، وأمرنى أن أرددهن فى السجود » •

وفى رواية للدارقطنى عن عائشة قالت (كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم عندى ، فلما كان فى جوف الليل فقدته ، وأخذنى ما يأخذ النساء من الغيرة ، فتلفت بمرطى أما والله ما كان مرطى خزا ولا اقرا ، ولا حريرا ولا ديباجا ، ولا قطنا ولا كتانا ، قيل ومم كان ؟ قالت : شعرا ولحمته من أوير الابل ،

نقال أبو سعيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى صلاة الصبح قال « اللهم املا سمعى نورا وبصرى نورا ، وبين يدى نورا ، ومن خلفى نورا ، وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا ، ومن فوقى نورا ، ومن تحتى نورا ، وأعظم لى النور برحمتك » قالت عائشة رضى الله عنها « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع عنه ثوبيه ، ثم لم يستتم أن قام فلبسهما ، فأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنه يأتى بعض صويحباتى ، فخرجت أتبعه ، فوجدته بالبقيع بقيع الغرقد ، يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، فقلت : بأبى وأمى ، أنت فى حاجة ربك عز وجل ، وأنا فى حاجة الدنيا ، ثم قصت عليه ما حدثت به نفسها ، فقال صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ، أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ - قال - أتانى جبريل فقال : هذه ليلة النصف من شعبان والله عز وجل فيها عتقاء من النار » ثم قال « لا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ، ولا الى

تعالى الى سماء الدنيا نزول ملك بأمره جل وعلا اليها ، فيبلغ عنه سبحانه أنه يدعو عباده أن يستغفروه فيها ليغفر لهم ، ويسترزقوه ليرزقهم ، فان النزول والطلوع من صفات الحوادث ، ومثل ذلك المجاز مستعمل لغة ، كقولهم هزم الأمير أعداءه — مع أنه في قصره — يريدون أن قائده هزمهم بأمره وتأييده .

احياء النابعين ليلة النصف

كان التابعون من أهل الشام ، كخالد بن معدان ومكحول ، يجتهدون في العبادة ليلة النصف من شعبان ، وعنهم أخذ الناس تعظيمها ، وقد أنكر ذلك أكثر علماء الحجاز ، ومنهم عطاء بن أبي مليكة ، ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء المدينة ، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم ، وقالوا ان ذلك بدعة وقد علمت أن أهل الشام يستندون الى مجموع تلك الأحاديث التي يقوى بعضها بعضا ، وبذلك تخرج عن البدعة الى السنة .

فطلبته في احدى حجرات نسائه فلم أجده ، فانصرفت الى حجرتي ، فاذا به كالثوب الساقط على وجه الارض ساءدا ، وهو يقول في سجوده : « يا عظيم يرجى لكل عظيم ، اغفر الذنب العظيم ، سجد وجهي للذي خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، ثم رفع رأسه فعاد ساجدا ثم قال : أعوذ برضاك من سخطك ، وبغفوك من عقابك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » ثم قالت « ثم رفع رأسه فقال « اللهم ارزقني قلبا نقيًا ، لا كافرا ولا ثقيا » الى آخر ما قاله . صلى الله عليه وسلم .

وجاء في مشروعية صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته ، مارواه عبد الرازق وابن ماجه من قوله صلى الله عليه وسلم « اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فان الله عزوجل ، ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول : ألا مستغفر فأغفر له ، ألا مسترزق فأرزقه حتى يطلع الفجر » والمراد من نزوله

رأى الدين في دعاء نصف شعبان

جرت عادة بعض المسلمين ليلة النصف من شعبان ، أن يؤدوا صلاة المغرب في جماعة ، وبعد الفراغ منها يقرءون دعاء معيناً في شكل جماعي ، ويقولون أنه دعاء نصف شعبان ، ومنهم من يقرأ بعد صلاة المغرب سورة يس ثلاث مرات ، يصلى بعد كل مرة ركعتين يليهما هذا الدعاء ، وتكون الصلاة الأولى بنية طول العمر ، والثانية بنية رفع البلاء ، والثالثة بنية الاستغناء عن الناس ويظنون كل ذلك مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والواقع مغاير لذلك ، والدعاء الذي يقرءونه فيه أخطاء شرعية ، كطلب الداعي من الله أن يمحو من أم الكتاب شقاوته وحرمانه وطرده وتقدير رزقه ، إذ أنه لا يمحي شيء مكتوب في أم الكتاب ، فأمر الكتاب هي علم الله تعالى أو اللوح المحفوظ ، وكلاهما لا محو فيما ثبت فيه ، لأنه أزل لا يغير ، وأحوال العقائد الطاعات والمعاصي والتوبة مكتوبة فيه بتفصيلها وزمنها ، فكل ما يحصل

واختلف علماء الشام في صفة احيائها على رأيين (أحدهما) أنه يستحب جماعة في المسجد ، وكان خالد بن معدان ، ونعمان بن عامر يلبسان أحسن ثيابهما ويتبخران ، ويقومان في المسجد ليلتهما تاركين ، ووافقهما على ذلك اسحق بن راهويه (وثانيهما) أن احياءها بالصلاة وإن لم يكن بدعة ، لكنه يكره الاجتماع لذلك في المساجد ، لعدم وروده في تلك الأحاديث ، بل يصلى الرجل لخاصة نفسه ، وهذا قول الأوزاعي امام أهل الشام وفقهيهما •

وتحیی ليلة النصف بالصلاة بغير تعيين عدد ، وبقراءة القرآن وذكر الله تعالى والدعاء والتسبیح ، والثناء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقراءة أحاديثه وسماعها ، وتفسير كتاب الله وسماعه ، وشرح الأحاديث وسماعه ويحصل احيائها بمعظم الليل ، وقيل بساعة ، وقيل بصلاة العشاء في جماعة ، والعزم على صلاة الصبح في جماعة كما قال بعض العلماء في احياء ليلتي العيدين وليلة القدر •

(الدعاء عند النوم) •

روى البخارى عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل اللهم أسلمت نفسى اليك ، وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك ، رهبة ورغبة اليك ، لاملجأ ولا منجى منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسلت - فان مت مت على الفطرة ، واجعلهن آخر ماتقول » •

(الدعاء عند الانتباه من النوم) •

أخرج البخارى بسنده عن ابن عباس قال : (كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتجهج قال : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والارض ومن فيهن - ولك الحمد - أنت قيم السموات والارض ومن فيهن - ولك الحمد - أنت الحق ووعدك حق • وقولك حق ، ولقاؤك حق ، والجنة والنار حق والساعة حق ، والنبىون حق ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت ،

من تغير فى أحوال العبد الى صلاح أو الى فساد فهو ثابت ، لأنه تعالى لا يبتدىء العلم حسب تغير المعلوم ، فكل المعلومات بتغيراتها واختلافاتها ومواقيتها وأسبابها وغاياتها ، فهى ثابتة تفصيلا فى علم الله وفى اللوح المحفوظ ، ولا حاجة فيها الى محو ولا الى أثبات •

فليدع الانسان ربه بما يشاء مما ليس فيه اثم ، ولا يقيد دعاءه برفع ضده من أم الكتاب ، فان صادف دعاؤه ما جاء فى علم الله من شفاؤه بعد مرض ، أو يسر بعد عسر ، أو ذرية بعد عقم ، أو غنى بعد فقر ، أو فرج بعد ضيق ، أو غير ذلك ، كان دعاؤه من قدر الله صادف قدر الله ، وان لم يكن فى علمه تعالى تحقيق دعائه فلا بد أن يثاب عليه فى الآخرة ، أو يبدل فى الدنيا من دعائه خيرا غيره ، أو دفع شر عنه ، كما ورد فى السنة المطهرة • ومن شاء دعاء مأثورا ففى السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير ، ونورد بعضه فيما يلى - وهو غير مقيّد بليلة النصف من شعبان •

والجبن ، وضلع الدين وغلبة الرجال » •

(استعاذة من البخل والجبن والفتن) •

أخرج البخارى بسنده عن مصعب قال « كان سعد يأمر بخمس ويذكرهن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بهن » اللهم انى أعوذبك من البخل ، وأعوذبك من الجبن ، وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر ، وأعوذبك من فتنة الدنيا — يعنى فتنة الدجال — وأعوذبك من عذاب القبر » •

دعاء شامل :

أخرج البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم انى أعوذ بك من الكسل والهزم ، والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر وعذاب القبر ، ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر ، وأعوذبك من فتنة المسيح الدجال ، اللهم اغسل عنى خطاياى بماء الثلج والبرد ، ونق قلبى من الخطايا ، كما نقيت الثوب

وعليك توكلت ، وبك آمنت ، واليك أنبت وبك خاصمت ، واليك حاكمت فاغفرلى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا اله الا أنت » •

• (دعاء الصباح والمساء) •

أخرج البخارى بسنده عن شداد بن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أبوء لك بنعمتك ، وأبوء لك بذنوبى ، فاغفرلى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ، أعوذ بك من شر ما صنعت — اذا قال حين يمسى فمات دخل الجنة — أو كان من أهل الجنة — واذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله » أى دخل الجنة •

• (استعاذة من الهم والدين) •

أخرج البخارى بسنده عن أنس ابن مالك من حديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول « اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل

الابيض من الدنس ، وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب » •

صلاة التسابيح ليلة النصف

ينبغى للمسلم أن يصلى فى ليلة النصف من شعبان صلاة التسابيح التى علمها النبى صلى الله عليه وسلم لعمه العباس وغيره من أقاربه مبالغة فى طاعة الله واللجوء اليه •

وصفتها كما رواها أبو داود بسنده عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للعباس عمه : « يا عماه ، ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل لك عشر خصال اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره وقديمه وحديثه ، خطاه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلنه عشر خصال — أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة ، فاذا فرغت من القراءة فى كل ركعة وأنت قائم ، فقل سبحان الله والحمد لله

ولا اله الا الله والله أكبر خمس

عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ، وتهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ، تفعل ذلك فى أربع ركعات ، ان استطعت أن تصلها فى كل يوم مرة فافعل ، فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة ، فان لم تفعل ففى كل شهر مرة ، فان لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فان لم تفعل ففى عمرك مرة » قال الحافظ صلاح الدين : حديث صلاة التسابيح صحيح أو حسن ولا بد ، وقال الامام البلقينى : حديث صلاة التسابيح صحيح ، وله طرق يعضد بعضها بعضا ، فهى سنة ينبغى العمل بها ، وبعد فعليك أيها المسلم باحياء هذه الليلة بتلك الصلاة أو بما شئت من طاعة سواها ، والله تعالى ولى التوفيق والقبول •

مصطفى محمد الحديدى الطيرى

المسألة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف دكتور روف شاہی

ثالثا : قواعد الانفاق :

لم يترك الاسلام قوى النفس البشرية رهوا تستهلك ماتنتجيه أو تسرف في النفقة الواجبة شرعا •

بل جعل الله موازين للانفاق •

(أ) موازين للانفاق في صورته
الحلال •

(ب) موازين للصدقة على
الفقراء •

أولا : موازين الانفاق •

ان تناول الحياة في نظر المسلم تناول للطاعة ومجالات العبادة في الاسلام هي مجالات رقابة مباشرة بين العبد وربّه فالعبد يعرض قلبه

وخاطره على ربه خمس مرات في اليوم واللييلة ، انه يشهد الله على نقاء سريرته ، وسلامة عرضه وصدق سلوكه وامتناله •

فتناول الحياة يأخذ هذا الحيز النقي من تفكير المسلم يقول النبي « صلى الله عليه وسلم » : المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء (١) •

فالشراة ، والنهم والتنافس على الحياة بصورة مفجوعة طائسة ليست اخلاقا اسلامية بل الأخلاق الاسلامية أن يقنع بما يكفيه والا يبذر الفائض في وجه غير شرعى • ولقد حرص الاسلام منذ فجره

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه من طريق ابن عمر •

جعلته سورة الفرقان خلقا ووصفا للمؤمنين يقول الله تعالى : « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما، والذين يقولون ربنا أنصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، أنها ساءت مستقرا ومقاما** » •

« **والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** » •
٦٣ — ٦٧ الفرقان
وهذا ميزان يجعله النبي صلى الله عليه وسلم شرطا لتصرف الزوجة في مال زوجها ••

ففى الحديث :

إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجر بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا « مسلم » ويوم أن يتحقق ميزان الانفاق من الغنى والفقر على السواء :

لاتبذير بالانفاق فى الكماليات والمهرجانات ولا اسراف فى النفقة على البيت والأهل والأقارب •

الصادق بمكة المكرمة أن يدرب المسلمين على قانون الانفاق الذى يحقق التوازن بين قوة الانتاج وقوة الشراء بحيث لاتضطرب الجماعة الاسلامية الى الخروج على مبدأ الاكتفاء الذاتى ، وبحيث لا يحدث فى المجتمع غلاء أو ندرة تؤدى الى رفع الاسعار أو احتكار السلع •

ولهذا يقول الله تعالى :

(أ) **وآتذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، ان المبشرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا**

٢٧ — الاسراء

ولاتجعل يدك مغولة الى عنقك • ولاتبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسورا، ان ربك ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا •

٢٩ — ٣٠ الاسراء

بل ان هذا القانون الذى تقرره سورة الاسراء كمبدأ لسلوك الجماعة الاسلامية اقتصاديا قد

كان مزاجها كافورا، عينا يشرب بها
عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون
بالنذر ويخافون يوما كان شره
مستظيرا ، ويطعمون الطعام على
حبه مسكينا وييتما وأسيرا ، انما
نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا » •

٥ - ٩ الانسان

وعلى العكس تكون صفة البخل
والاحتكار للمجاهدين المكذبين ،
يقول الله تعالى : « كل نفس بما
كسبت رهينة ، الا أصحاب اليمين
في جنات يتساءلون عن المجرمين
ما سلككم في سقر قالوا : لم نك من
المصلين ، ولم نك نطمع
المسكين » •

٣٤ - ٤٤ المدثر

وسورة صغيرة في القرآن الكريم
تهز أفكار الاقتصاديين في شتى
المذاهب حيث يجعل الاسلام المال
لخير الجماعة والفرد على السواء
في الدنيا وفي الآخرة يقول الله
تعالى .

« رأيت الذي يكذب بالدين
فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض
على طعام المسكين ، فويل للمصلين ،

انه في هذا اليوم تعرف الأمة
طريق الرخاء اذ لا يجد المتلصصون
لهم بابا يلجون منه وذلك لا يكون
الا بالقدوة من صاحب الشأن وولى
الأمر •

ثانيا : موازين الصدقة :

قلنا ان وظيفة المال في الاسلام
وظيفة اجتماعية وليس القصد منه
بالدرجة الأولى السعى وراء الريح
الكثير، وليس في التصور الاسلامي
أن يكون تكديس الأموال وادخارها
هو الغاية التي يسعى اليها العمل
في نظر الفكر الاسلامي بل العكس
هو الصحيح ، فالمال خدمة للجماعة
فقد وضع الله في أموال الأغنياء
حقوقا للفقراء يقول الله تعالى :

« وفي أموالهم حق للسائل

والمحروم » •

١٩ - الذاريات

« والذين في أموالهم حق معلوم

للسائل والمحروم » •

٢٤ - ٢٥ المعارج

وجعل الاسلام البذل والعطاء

من صفات المؤمنين الأبرار

الصادقين •

« ان الأبرار يشربون من كأس

أخلده ، كلا لينبذن في الحطمة ،
وما أدراك ما الحطمة ، نار الله
الموقدة التي تطلع على الأفئدة ،
أنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة »

فالانفاق في سبيل البر والخير
والصالح العام على الافراد أو
المؤسسات الاجتماعية أمر يدعو
اليه الاسلام كمبدأ في النظام
الاقتصادي الاسلامي *

ولذلك جعل له موازين وهي :
(أ) عدم الاسراف وهو قدر
عام في كل نظريات الانفاق عند
الاسلام *

(ب) ألا يكون من الأردأ جودة
يقول الله تعالى :
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
ولستم بأخذيهِ ألا أن تغمضوا
فيه وأعلموا أن الله غني حميد *

٢٦٧ — البقرة

ويقول جل جلاله :

لن تتألوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون وما تنفقوا من شيء فإن
الله به عليم *

٩٢ — آل عمران

(ج) اخفاء الصدقة اذا كانت

الذين هم عن صلاتهم ساهون ،
الذين هم يراءون ، ويمنعون
الماعون » *

وقد توعده الله الذين يجمعون
المال ويكنزون ولا ينفقونه في
سبيل الخير والرخاء يقول الله تعالى
في شأن القساوسة والأخبار الذين
كانوا يكنزون المال ولا ينفقونه في
وجوه البر :

« يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من
الأخبار والرهبان ليأكلون أموال
الناس بالباطل ويصدون عن سبيل
الله، والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في
نار جهنم فنفكروا بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم
لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »
٣٤ — ٣٥ — التوبة

ولقد جعل الاسلام جمع المال
وعده وكنزه دون انفاقه في وجوه
الطاعة والبر من صفات الكافرين
يقول الله تعالى :

«ويل لكل همزة لمزة ، الذي
جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله

لشخص معين أو اخفاؤها مطلقاً
خشية التهمة بالرياء •
يقول الله تعالى :

« ان تبدوا الصدقات فنعماً هي ،
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو
خير لكم ويكفر عنكم عن سيئاتكم
والله بما تعملون خبير » •

٢٧١ — البقرة

والنبي صلى الله عليه وسلم
يقول في شأن السبعة الذين يظلمهم
الله يوم لا ظل الا ظله ورجل تصدق
بصدقة فأخفاها فلم تعلم شماله
ما أنفقت يمينه •

(د) أن يكون مؤمناً بالله
الواحد الأحد وأن يكون مصدقاً
لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •
يقول الله تعالى :

« قل أنفقوا طوعاً أو كرها لن يتقبل
منكم انكم كنتم قوما فاسقين •
وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم
الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا
يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا
ينفقون الا وهم كارهون » •

٥٣ — ٥٤ — التوبة

واذا كان القرآن الكريم يرفض

العمل الصالح من الفاسقين الكفرة
لأنهم لم يؤمنوا بالله ولا برسوله •
فانه في سورة الفرقان يصور
حالتهم يوم القيامة بصورة بشعة
في الخسران واحباط الأعمال ،
يقول تعالى :

« يوم يرون الملائكة لا بشرى
بوسعئذ للمجرمين ويقولون حجراً
محجوراً ، وقدما الى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثوراً » •

٢٢/٢٣ — الفرقان

ويفصل القرآن هذه الصدقة في
سورة آل عمران يقول الله تعالى :

« ان الذين كفروا لن تغني عنهم
أموالهم ولا أولادهم من الله
شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون •

مثل ما ينفقون في هذه الحياة
الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت
حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته
وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون » •

١١٦ — ١١٧ آل عمران

ويقول الله تعالى :

«والذين كفروا أعمالهم كسراب

بقية يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب» •

٣٩ البقرة

ولقد نجح الاسلام في اقتصاده التطبيقي حيث كان الاخاء بين المهاجرين والأنصار اخاء منبثقا من هذه القوانين التي تكفل العيش الرضى للانسان فلم تحدث في المجتمع الاسلامي الأول حاجة ندرة رغم أنه مجتمع أرض صحراوية موسمية الأمطار النادرة الوقوع ومع هذا فلم يؤثر الوضع في نشر الدعوة والتغلب على كل المعاندين حتى حولت الجزيرة العربية كلها الى دولة اسلامية في أقل من ربع قرن •

ان صحة النظريات الاقتصادية تقاس بنجاحها في تحقيق الأغراض للدولة وقد أدت للدولة الاسلامية في فجرها الأول كل أغراضها التي بعثت من أجلها :

(أ) فظهرت الجزيرة العربية من الشرك واستعدت لحمل مشعل الرسالة الى افريقيا ثم الى أوروبا في أقل من قرن •

(ب) وأوجدت مجتمعا متحابا ليس فيه صراعات ولا تنافس مع وجود الثراء والفقير لكن للفقراء حقهم في مال الأغنياء •

(ج) وأقامت العدالة الاجتماعية دون ثورة أو شعار أو بروبا جاندا • وتلك علامة من علامات الاعجاز الاسلامي أن تصح نظريته في عمر قصير مع التكامل في بقية الأهداف العليا للدولة ، ولما تستطيع الرأسمالية ان تقدم النجاح لمجتمعها الذي تجتاحه نفسية التلصص وشبح البطالة ، وعردة التنافس المادي الذي يقلق الأمن ويرفع الأمان عن النفوس •

ولن تستطيع الاشتراكية حصول شيء من هذا المستوى الرفيع للعدالة الاجتماعية لفسادها كمذهب ولفساد عناصرها وعدم تلائمها مع مطالب الحياة ، وطبائع البشر •

ذلك لأن نظام الرقابة على الانفاق يحتاج الى شعور بالاحترام الرقيب وذلك لا يتأتى في الأنظمة البوليسية ومأموريات الضرائب وانما يتأتى بنظام العقيدة التي تسوى بين الحاكم والمحكوم في الوقوف أمام الرقيب الأعلى وهو

ولا عند قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

البخارى

وانما الاخاء الاسلامى حركة اجتماعية قامت فى اللحظة الأولى لبناء المجتمع الاسلامى بعد الهجرة تصنع من المهاجرين والأنصار أمة تلتزم بالتكاليف الشرعية التى تحقق مبدأ كرامة الانسان ، وربانية المجتمع كله .

ولقد سجل القرآن الكريم عملية الاخاء هذه فى قوله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

٩ - الحشر

العلاقة الثانية : تحمل المجتمع مسئولية الولاية بين أفرادها ، فبين أفراد المجتمع الاسلامى مسئولية الولاية فى تنفيذ أهداف المجتمع الاسلامى ، وحماية خصائصه يقول الله تعالى :

الله صاحب الملكوت والسلطان والتدبير وسبيل ذلك التربية فى معاهد التعليم ، والقدوة الحسنة فى ادارات المصالح والحكومة وطبقات العمل التجارى العام .

رابعا العدالة الاجتماعية :

من سمات النظرية الاقتصادية الاسلامية أن العدالة الاجتماعية ركن من أركان الاقتصاد وعنصر هام ورئيسى من عناصره .

وليست العدالة الاجتماعية فكرة متروكة للاجتهاد بل هى مبدأ دينى منطلق من التكافل الاجتماعى الذى جعله الله تبارك وتعالى مسئولية المجتمع الاسلامى نحو افراده ، فبين أبناء المجتمع الاسلامى علاقتان أساسيتان عليهما تقوم دعامة العدالة الاجتماعية .

العلاقة الأولى : الاخاء وهو

ليس لفظا مجردا بقدر ما هو حقيقة تاريخية فى التطبيق للنظام الاجتماعى الاسلامى فليس فقط مدلول الاخاء يقف عند قوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » .

١٠ - الحجرات

✽ جانب اقتصادى هو رعاية
المحاييج .
✽ وجانب أخلاقى هو احترام
القيم وحماية كرامة الانسان .
✽ والجانب الاقتصاى فى
رعاية المحاييج يصور توظيف
المال لخدمة الانسان فشرع عدة
قوانين مالية للمحافظة على الضعاف
والمحاييج فى المجتمع .

فالزكاة والصدقة ، والنذور ،
والكفارات والهبة ، والوقف ،
والرقبى ، والعمرى ، والفقى
والأنفال والركاز ، والميراث ،
والعدل بين الأولاد ، وتحريم
المرقيق واحياء الموات ، والأضحية
والهدى .

وهذا الجانب لا يقوم على المن
والأذى ، بل ولا يشعر أصحاب
هذه الحقوق أنهم مدينون للأغنياء
ذلك لأن الله تبارك وتعالى جعل
لهم حقوقا .

« والذين فى أموالهم حق معلوم
للسائل والمحروم » .

٢٤ - ٢٥ المعارج

وهذا الحق المعلوم قائم على

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
أولياء بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة
ويؤتون الزكاة ويطيعون الله
ورسوله أولئك سيرجهم الله أن الله
عزيز حكيم » .

٧١ التوبة

وقد صور النبى صلى الله عليه
وسلم مسئولية التضامن الاجتماعى
فى المجتمع الاسلامى بقوله صلى
الله عليه وسلم :

« ترى المؤمنين فى توادهم
وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد
الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الجسد بالسهر والحمى » .
البخارى

فالحياة فى التصور الاسلامى
قائمة على التراحم والتواد ،
والتعاون ففى الحديث الشريف
« الراحمون يرحمهم الرحمن » .
وهى خاصية عامة للدين
الاسلامى : (وما أرسلناك الا رحمة
للعالمين » .

الانبياء

غير أن مفهوم العدالة الاجتماعية
له جانبان :

الاجتماعية في الاسلام رديف أو شبيهة بما يماثلها في التسمية في الأنظمة الأخرى •

لأنها في الاسلام منطلقة من العقيدة والايان وقائمة على ركيزة الاخاء والولاية داخل المجتمع الاسلامى •

ومن جانب آخر فمصادر تحقيق العدالة الاجتماعية وفيرة وفرة تكفى شمولها لكل أفراد المحاييج •

ومن جانب ثالث : فانها تحفظ على الفرد مروءته ، وكرامته وقيمتة الانسانية •

✽ وأما الجانب الأخلاقى في العدالة الاجتماعية فيبرز صحة قواعد العدالة حيث تكون قيمة الانسان وكرامته متساوية بين سائر أبناء المجتمع الاسلامى مهما اختلفت أشكال الوظائف •

✽ وقصة عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين يعنى تحته هـ هذه الاقطار الاسلامية في أفريقيـا وآسيا تقول له امرأة وهو على المنبر يوم الجمعة والناس كلهم شهود : أخطأت يا عمر أيعطينا الله وتمنعنا أنت ؟ لقد قال الله تعالى :

ثبوت حق الفقراء في مال الأغنياء يقول الله تعالى :

« وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » •

١٩ الذاريات

ولهذا فقد حذر الله أن يصاحب تسليم هذا الحق من أو أذى من الأغنياء يقول الله تعالى :

«الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » •

٢٦٢ — البقرة

وجعل الاسلام القول المعروف والعفو أفضل من صدقة تصاحب لفظا نابيا أو تأنيبا • الخ • يقول الله تعالى :

قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حلیم، يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والأذى كالذى ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر الآية » •

٢٦٣ — ٢٦٤ البقرة

ولذلك يكون من الخطأ علميا أن يتصور أن مفهوم العدالة

في الحصول على القوت ولقد روى
عمر بن الخطاب في الأسواق ومعه
الدرة يضرب بها من أخذ أكثر من
حظه في اللحوم •

* وعبادة بن الصامت تهدي
اليه هدية ومعه في الدار اثنا عشر
نفرا من أهله ولكنه يرى أن آل فلان
أحق بها مع أنه معيل وله أسرة
كبيرة • قال الوليد بن عبادة بن
الصامت فأخذتها فكنت كلما جئت
أهل بيت يقولون اذهب بها الى
آل فلان فهم أحوج منا اليها وظل
هكذا • حتى رجعت الهدية الى
عبادة قبل الصبح • وكان امثالاً
للمبدأ الاسلامي :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة » •

* ومن العدالة الاجتماعية
التساوى في الوقفة أمام القضاء
فيحتفظ التاريخ الاسلامي بهذه
الخاصية للدين الحنيف فقد وقف
على بن أبى طالب كرم الله وجهه ،
ورضى الله عنه كثفا الى جوار كتف
يهودى خاصمه في شىء ، ولم يكن
مع أمير المؤمنين على بينة ففضى

« وآتيتهم احداهن قنطارا فلا
تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونهما
واثما مينا » •

وكان عمر يعظ الناس ألا يتغالوا
في المهور فقال لها : أصابت امرأة
وأخطأ عمر • ان للمحافظة على
القيمة الانسانية حظا وافرا في
النظرية الاسلامية وهى تقيم
العدالة الاجتماعية حتى ولو كان
ذلك المخاطب هو رئيس الدولة، ولم
يجد المجتمع الاسلامي من يخذل
المرأة لأنها عارضت رئيس الدولة ،
لأنهم جميعا يتحملون مسؤولية
الولاية يأمرهم بالمعروف كائنا من
كان وبينهون عن المنكر كائنا من كان •

* ومن العدالة الاجتماعية أن
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في عام
المجاعة كان شاحب الوجه وفي ثوبه
ثلاث رقاع فأشفق عليه المسلمون
وطالبوه أن يأكل السمن ليقوى
ويلبس ثوبا يليق بالامارة — وكان
يستطيع أن يفعل — فقال : لا أشبع
حتى يشبع الناس •

* ومن العدالة الاجتماعية
مراقبة التوازن بين أفراد المجتمع

الرعاية الاجتماعية في جانبها
القيمي والأخلاقي قصة جبلة بن
الايهم ، فقد وطىء فزارى أزاره
وهو يطوف بالكعبة فلطمه جبلة
لطمه هشمت أنفه فاشتكى الفزارى
الى عمر بن الخطاب ، فقال
عمر لجبلة اما أن تدفع الديه ، واما
ان تأذن له بلطمك لطمه مثلها ، فقال
جبلة متعجبا : كيف ذلك ، وأنا ملك
وهو سوقة ؟ فقال عمر : ان الاسلام
قد سوى بينكما •

✽ وتذهب العدالة الاجتماعية

كمبدأ في المجتمع الاسلامي انى
ماذهب من رعاية بنى آدم — فتذهب
الى رعاية الحيوانات فقد دخلت
امراة النار فى هرة حبستها حتى
ماتت لا هى أطعمتها ، ولا هى
تركبتها تأكل من خشاش الارض •

وقد غفر الله لرجل لأنه سقى
كلبا كان ظامئا ، لقد سقاه فى خفه
لأنه لم يجد وسيلة أخرى لرفع
الماء الى فم الكلب من البئر غير
خفه •

بل ان عقيدة الاسلام فى شمولها
لمجالات الرحمة تجعل ممارسة

القاضى بها لليهودى ضد رئيس
الدولة فلم يضق صدره لأنه يعلم
أن القاضى ينفذ تعاليم الاسلام وأن
الحاكم لا يعلو فوق الحق ولا فوق
القضاء مع أنه يعلم أنه صاحب
الحق ، ولكن عجز اثبات ملكيته أمام
موارية اليهودى الذى استطاع —
ظلمًا — أن يقيم الدليل على ملكيته
للشئ المتنازع عليه وأدرك اليهود
عظمة الاسلام فرد الى أمير
المؤمنين حقه وخرج اليهودى من
ربقة اعتقاده وصار واحدا من
جماعة المسلمين •

✽ والعدالة الاجتماعية بين
الأفراد كانت خلقا محمودا فقد
روى عن أبى ذر الغفارى قال : انى
ساببت رجلا فشكأنى الى النبى
عليه الصلاة والسلام فقال النبى
عليه الصلاة والسلام : أعيرته بأمه
وفى رواية : انك امرؤ فيك جاهلية
فذهب ابو ذر الى الرجل الذى سبه
ووضع خده على الارض وقال :
طأ رأسى لعل الله يغفر لى ويصفح
عنى •

✽ ولعله من أوضح البراهين
على صدق الاسلام فى تحقيق

والاسلامية الا أنها تأخذ بأحد
الايدولوجيتين الفاسدتين وتترك
اسلامها الحنيف !!

خامسا : التداول

(أ) التداول بالمقايضة •

(ب) التداول بالنقد •

خامسا : التداول : —

معروف أن الانتاج ثم التوزيع
يقترنان بالوجود الاجتماعي
للانسان : فمتى وجد انسان فتم
الضرورة أن يمارس نمطا ما من
أنماط الانتاج ليواصل حياته
ويحافظ على معيشته وعندما ينتج
المجتمع لابد وأن يوزع ما ينتجه
على جميع أفراد •

ولما كانت الحاجة ضرورة
اجتماعية وكانت متنوعة وكان
الانسان غير قادر على اشباع نفسه
بجميع متطلباته فقد مارس نوعا من
التبادل لسد حاجاته المتعددة •

ولقد كانت الأسرة القديمة تتغلب
على صعوبة المبادلة والتداول عن
طريق توزيع الاعمال التي تغطي
كل حاجاتها على جميع أفراد الأسرة

الحلال في هذا الاطار يقول النبي
صلى الله عليه وسلم :

« اذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ،
وليحد أحدكم شـفـرته وليرح
ذبيحته » •

ولقد كانت العقيدة الاسلامية
وهي تربط الانسان بهذا الكون في
تصور الربانية المهيمنة على الكون
أسمى في تشريعها للعدالة
الاجتماعية — الاقتصادية — من
كل تشريع بشري جعل منها بابا
للذل وسوطا للتعذيب ، وبريقا
للسيطرة على الحكم •

ولقد فشل الاقتصاد البشري بكل
نظرياته في تحقيق شيء من العدالة
الاجتماعية لبنى البشر •

فها هي الرأسمالية تطفئ على
قيمة الانسان فتحيله الى طاقة
تخدم اغراضها المالية لجمع المال
وكنزه وتجعل العرض والطلب
قانونا للابتزاز والنهب والسلب •

وها هي الاشتراكية توزع الفقر
على الشعب وتجمع الثروة كلها في
يد الحزب ورجال المخابرات
« وشلل » المنافقين •

وماعيب أمتنا العربية

البر بالبر ربا الا هاء وهاء ،
والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء ،
والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء •
« رواه البخارى »

وروى البخارى : أن النبى
صلى الله عليه وسلم نهى عن
المزابنة وهى أن يبيع التمر
بالتمر كيلا ، ويبيع الزبيب بالكرم
كيلا وروى البخارى كذلك : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :
لا تبيعوا الذهب بالذهب الا سواء
بسواء ، والفضة بالفضة
الا سواء بسواء وبيعوا الذهب
بالفضة والفضة بالذهب كيف شئتم
(ب) وأما فيما يتعلق بالنقد فقد
كان فى فقه الاقتصاد الغربى معمل
تفريخ لمشكلتين هما السعى وراء
الاكثار من النقد مما أدى الى نههم
فى جمع المال بغية اكتنازه
وثانى المشكلتين : تنمية المال عن
طريق الفائدة فى البنوك مما أدى
الى تزايد فى سعر الفائدة ترغيبا فى
ادخال الأموال فى البنوك وذلك مولد
لشعور خبيث عند التجار والصناع
والمستثمرين وهو أنهم لا يقدمون
على مشروع تنمية استثمارية الا

ثم تطور الامر حسب تطور حجم
المجتمع وانتقل من التداول عن طريق
المقايضة العينية الى التداول بالنقد،
وصار فى الميزان الاقتصادى
للتداول نوعان من التداول :

الاول : التداول على أساس
المقايضة •

الثانى : التداول على أساس
النقد •

وللإسلام الحنيف رأى واضح فى
هذين الأسلوبين من التداول :

(أ) فيما يتعلق بالمقايضة فان
عصرها يتسم بالهدوء والرخاء
وتحديد الغاية الاقتصادية بالخدمة
الاجتماعية وقد حافظ الاسلام على
أسلوب المقايضة من الغش والربا
أو الزيادة غير المشروعة فجعل
المقايضة مشروطة بشرطين : —

الشرط الاول : أن يكون مثلا
بمثل عندما يتحد النوع مثل البر
بالبر والشعير بالشعير ، والزبيب
بالزبيب ، والحنطة بالحنطة •

الشرط الاول : أن يتحد زمن
المقايضة فيكون يدا بيد يقول النبى
صلى الله عليه وسلم •

بعد تردد ودراسة للطمأنينة على مصادر الربح... والربح الكثير .
أما الاسلام فقد حافظ على أن يكون التداول النقدي في وضعه الطبيعي وليس سبيلا الى جمع المال واكتنازه وليس أسلوب تنمية الربا أو الغش أو الاحتيال فشرع مجموعة مبادئ مالية للحفاظ على سلامة النقد كأسلوب للتداول الصحيح .

فحرم الاسلام الربا بثنتي أنواع : النسيئة والفضل وحرم الاسلام الغش بصوره المتعددة .

ولذلك حرم أن يبيع حاضر لباد ، وحرم تلقى الركبان ونهى عن التصريه وهى حبس اللبن في الضرع اذا أرادوا بيع الماشية... وحرم الاسلام التحايل وأكل أموال الناس بالباطل .

* ونهى عن المنابذة : وهى بيع الثوب دون معرفة مافيه من عيوب .

* ونهى عن الملامسة : وهى جعل لس السلعة شرطا في انتقاء

خيار العيب .
* ونهى عن البخس : وهو التحايل على زيادة الثمن عن طريق مزايد لا رغبة له في الشراء .

* وأعطى لرئيس الدولة المسلم عن طريق الرقابة الشعبية والمحتسب المسلم حق مراقبة تداول النقد في الأسواق بين المسلمين وذلك ليحافظوا على التوازن الاجتماعى لى لا يكون المال دولة بين الأغنياء فقط .

* كما حث على تيسير التداول في الأمور الضرورية للمعيشة والأمور الأساسية للحرية فحضر القرآن الكريم على :

— تحرير الرقبة .

— وألا يمنع المحتاجون الماعون ..
وهكذا يتميز الاسلام بنظريته الاقتصادية عن النظام الرأسمالى والاشتراكى بهذه الأسس الانسانية الراقية .

ويخطئ كل من يصف الاسلام بأنه اشتراكى ، كما يخطئ كل من

يصف الاسلام بأنه رأسمائى
فشتان ما بين وحى يوحى وفكر
يتخبط •
انه دين الله الشامل الوافى
الكافى لسعادة الانسان فى دنياه
وفى آخرته فمن شاء أن يتخذ الى
ربه سبيلا فذلك هو الاسلام

الحنيف ••
(ان هذا القرآن يهدى للتى
هى أقوم ويبيشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أن لهم
اجرا كبيرا) •
« الاسراء »
دكتور رعوف شلبى

« توجيهات صوفية »

« من اعتل قلبه اعتلت جوارحه ، ومن اعتلت جوارحه
كان فى ضلال مبين ، ومن سلم قلبه سلمت جوارحه ،
ومن سلمت جوارحه هدى الى صراط مستقيم قال صلوات
الله وسلامه عليه — « ان فى الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله » ألا وهى
القلب » •

« اطلب العلم من التقوى ، والعزة من الايمان والرفعة
من التواضع »

« من سكن الى شىء اطمأن به ، ومن اطمأن بغير الله
فقد ضل سواء السبيل » •

محمد عيد الشافعى

في مواجهة الإلحاد المعاصر :

الإلحاد المادي .. والآخرة

للدكتور محمد هاشم

- تتشرك اتجاهات الإلحاد العلمي على اختلافها في الاعتقاد بالحياة المؤجلة (الآخرة) التي يستكمل فيها ما نقص من هذه الحياة الحاضرة .
- وهي السمة الرابعة من سمات الدين التي أشرنا إليها في المقدمة .
- ليست نظرة الإلحاد العلمي إلى المستقبل مجرد نوع من التوقع لما يأتي في الغد ، وإنما عقيدة لازمة من أجل تبرير ما يستمسك به من نظرة إلى الماضي ، أو إلى الحاضر ويدون هذه النظرة المستقبلية الاعتقادية ، ينهار البناء الكلي للاتجاه الإلحادي .
- يقول وليم جيمس :
- (أن ثورة العلم ضد الكرامات
- وتشارك اتجاهات الإلحاد العلمي على اختلافها في الاعتقاد بالحياة المؤجلة (الآخرة) التي يستكمل فيها ما نقص من هذه الحياة الحاضرة .
- وهو كراهية الاعتراف بوجود عنصر يمكن أن يشككنا فيما عرفناه عن المستقبل (١) .
- فهؤلاء يستقيمون إلى غيبوبة لذيدة إلى عقيدة غيبية عن المستقبل تزعجهم عنها الكرامات ... أو تزعجهم عنها حرية الإرادة ...
- ١ - ففي مجال العلم البحت - مثلاً - لابد من هذه النظرة عند سمسرة الإلحاد لتصح دعواه في كفاية العلم التجريبي لتفسير

الوجود ، وتفسير المستقبل ،
وازاحة الميتافيزيقا والدين عن هذا
الطريق •

يرى كارل بيرسن أنه (من الخطأ
الاعتقاد بأن جهل العلم حالياً يعنى
أنه سيظل الى الأبد جاهلاً في
المستقبل • فليس لنا أن نقطع بأن
هناك ميادين ستظل مستعصية على
العلم الى الأبد ، وبأن هناك أنواعا
أخرى من المعارف غير العلمية هي
التي تهدينا في هذه الميادين ذلك
لأن قدرات العلم لا حدود

لها •• (١) •

ومع ذلك فان بيرسن يقر بعجز
العلم عن ادراك العالم الخارجى
وهذا هو التناقض بعينه •

ان العالم الخارجى في نظره فكرة
مزعومة لأن أقصى ما تقترب به من
ذلك العالم المسمى بالخارجى هو
أطراف أعصابنا الحسية وموقف
العالم في هذا يشبه موقف عامل
التليفون الذى لا يتصل بالمتحدثين
الا من خلال الطرف المجاور له من
أسلاك التليفون •

بل اننا في موقف أسوأ من موقف
صاحبنا هذا اذ أننا لم نخرج من
مركز التليفون ولم نشاهد أبدا
واحدا من أولئك المتحدثين الذين
تصلنا أصواتهم من خلال الأسلاك
فالعالم الخارجى بالنسبة الينا كما
هو بالنسبة الى هذا العامل هو
مجموع الرسائل أو المكالمات التي
تنقلها الأسلاك أو الأعصاب •••
الينا حيث نكون ، اننا لا نعرف
شيئا على الاطلاق عن طبيعة
« الأشياء في ذاتها » •

ان ما يسميه الميتافيزيقيون
بالأشياء في ذاتها •• لا نعرف نحن
عنه الا صفة واحدة هي « القدرة
على تكوين انطباعات حسية وبعث
رسائل تمر بأعصاب الحس حتى
المخ ، فهذا هو القول العلمى الذى
يمكن الادلاء به بشأن ما يوجد
وراء الانطباعات الحسية •

وهنا يبدو كارل بيرسن في قمة
اليأس من معرفة العالم الخارجى
ومن معرفة الشيء في ذاته بالرغم
من اعترافه بوجوده •

التجريبى الذى ربما استطاع فى
أى لحظة أن يكتشف القوانين التى
تنظم سلوك الذرات الفردية (١) •

ويقول رسل (اننا لا نجد مبررا
كى نظن أن سلوك الذرات غير
خاضع لقانون ان الطرق
التجريبية لم تستطع الا فى أزمنة
جد قريية أن تلقى أى ضوء على
سلوك الذرات الفردية ، فلا عجب
فى أن قوانين هذا السلوك لم
تكتشف كلها ، ومن المستحيل الآن
نظريا وعمليا عدم خضوع مجموعة
من الظواهر لقوانين ، وانما
نستطيع أن نقول ان هذه القوانين
موجودة ولكنها لم تكتشف بعد ،
وقد يعترض أحدهم قائلا :

وأين مهارة علماء الذرة حتى
ليعجزوا عن اكتشاف مثل هذه
القوانين وبالتالي يستنتج عدم
وجودها ؟

بيد أنى لا أحبذ مثل هذه
الاستنتاجات السريعة ، بخاصة

يقول (وعالم الانطباعات
الحسية هذا مغلق علينا تماما ولا
أمل لنا فى أن نبعد عنه خطوة
واحدة) •

فأين هذا من إيمانه بقدرات
العلم الذى لا حدود له ؟
وفيم كان اذن طرد جميع
وسائل المعرفة الأخرى وانكارها ؟؟
٢ - ويقول برتراند رسل بناء
على مبدأ عدم التحديد •

(ان اكتشافات العلم الحديث
تبين لنا أن الذرة غير خاضعة
لقوانين الطبيعة القديمة ، فهل
يعنى هذا أن الذرة غير خاضعة
للقوانين على الاطلاق) (١) •

وبدلا من أن يفترض رسل أن
الذرة تدخل تحت قوانين غير قوانين
الطبيعة التى عجز العلم عن كشفها
فيفتح الباب للميتافيزيقا والدين ،
يفترض عن طريق الايمان الغيبى
(أيضا) •

(ان نظرية الذرة الفردية الحرة
تقع تحت رحمة علم الطبيعة

(١) تراث الانسانية ص ٩٢١ العدد ١٢ المجلد ٣ .

(٢) مجموعة عالمنا المجنون لنظمى لوقا ص ٥٦ .

إذا كان الأمر يتعلق بالكـون ونظرياته) •

ويقول فى مجال الإرادة الانسانية:

(ان كشف القوانين العلمية – فى مجال أعمال الانسان – أمر يمكن تماما كما هو ممكن فى أى ميدان آخر ، حقا يعترف العلماء بعدم قدرتهم على التنبؤ بأعمال الانسان تنبؤا كاملا أو يقرب من الكمال ، ولكننا نرجع ذلك الى تعقد الكيان الانسانى وتضافر عوامل متعددة لاحداث السلوك •

الأمر اذن لا يعنى أن نفترض عدم وجود قوانين على الاطلاق ، لأن مثل هذا الافتراض لن يثبت أبدا أمام الفحص الدقيق •• (١) • ونحن نقول له :

وهل ثبت أمام الفحص الدقيق. أن العلم سيكشف حتما عن القوانين التى تحكم أعمال الانسان واراادته؟ ان جزم رسل بأن العلم سوف

العلم •

يقول هانز ريشنباخ – وهو ملحد أيضا (ليس هناك سبب يدعونا الى افتراض أن الجزيئات تخضع لقوانين صارمة •) (٢) •

ان رسل ليس لديه سبب للاعتقاد بأن العلم سوف يتمكن فى المستقبل من الوصول الى معرفة ما يجهله اليوم سوى قوله :

(ان النظريات العلمية قد فسرت قدرا منها يكفى لترجيح الاعتقاد بأن هذه النظريات ستفسرها كلها مع الزمن ••) (٣) •

ان رسل باعقاده هنا أن العلم سيكشف فى المستقبل عن قوانين الذرة التى اكتشفنا جهلنا بها اليوم ، يناقض نفسه اذ يقول فى موضع آخر :

(الآن وجب علينا أن نعترف بالجهل التام المطلق الذى لا

(١) مجموعة نظمى لوقا عالمنا المجنون لبرتراند رسل ص ٥٧ ، ٥٨ •

(٢) نشأة الفلسفة العلمية ص ١٤٧ •

(٣) مجموعة عالمنا المجنون ص ٧٧ •

استئصال له أبد الدهر تفعله (في تلك الأيام التي كانت فيها
الذرة في لحظاتها الساكنة (١) • المجاهر بدائية الى حد كبير كان
وهنا نضرب مثالا على ماينطوى خيال العلماء يعوض ما لا تستطيع
عليه مثل هذا الاعتقاد من مجازفة العدسة القيام به •
وفساد •

وهكذا كان ينظر الى الحيوان ذلك أنه ذاع في القرن الثامن
عشر مذهب في الانقلاب الجنيني عشر مذهب في الانقلاب الجنيني
يسمى « مذهب التكوين » وينحصر هذا المذهب في القول بأن كل
جرثومة حية تحوز حتما كل الأعضاء والصفات التي تمتاز بها الصورة
في حال بلوغها ، وغاية ما في الأمر ان المجهر المستعمل آنذاك ليس في
مستطاعه أن يكشف عن تلك الأعضاء الكائنة في البيضة الأولى
لصغر حجمها وضعف قوة الكشف في المجهر •

واذن فالأمر مجرد قصور في واذن فالأمر مجرد قصور في
أجهزة الكشف والقياس ، سوف يزول حتما بتقدم العلم والتوصل
الى أجهزة أدق • يقول الاستاذ استلى مونتاجيو

بأيهما (٢) •

ونحن نقصد بهذا أن تغطية

(١) العقل والمادة مجموعة مقالات وأبحاث لبرتراند رسل ، جمعها وترجمها أحمد إبراهيم الشريف ص ٢٠١ •
(٢) الوراثة البشرية ص ٩٤ - ٩٦ •

الذى أشرنا اليه يقول : (ان الاستدلال به ليس يقينا • فقد لا يسرى القانون الثانى للديناميكا الحرارية على كل زمان ومكان ، أو قد نكون مخطئين بأن الكون متناه فى المكان ••) هكذا •• يبدو لنا شيئا فشيئا أن الحاد هؤلاء محض « ارادة » •

٤ - يقول الدكتور ليكونت دى نوى :

(لسنا من أولئك الماديين العريقين الذين يتمسكون بأرائهم واعتقاداتهم رغم كونها سلبية بدون أى برهان :

فيعتقدون أن بداية الحياة ، والتطور ، والعقل البشرى ، وولادة الأفكار الخلقية سوف تصبح تحت سيطرة العلم فى يوم ما وينسون أن ذلك يتطلب تغييرا فى علومنا الحديثة ، وبالتالى :

فانه اعتقاد يرتكز على تعديلات عاطفية (١) •
ان هذه الموضوعات التى أشار

الحاضر المعيب بالثقة فى مستقبل تتوافر فيه الأدلة والبراهين • كثيرا ما انتهى الى خيبة ظن وانفضاح فساد •

ولا يستعمل الملاحدون العلميون سلاح الترقب للمستقبل هذا فى جبر عثرات العلم عندما يبدو ضعيفا فى مواجهة الدين فحسب • وانما هم يستعملونه فى الحالة العكسية أيضا •

أى يستعملونه فى اتهام « العلم الحاضر » عندما يبدو وكأنه قد توصل الى نتيجة مؤيدة للدين • كما هو الحال فى القانون الثانى للديناميكا الحرارية الذى يدل على حدوث العالم ودلالة ذلك كله على الصانع •

فهنا نجدهم يشكون فى هذا القانون العلمى على أساس الاعتقاد الغيبى فى أن « مستقبل » العلم سوف يتراجع عن تأييده للدين • انظر ما يقوله رسل عن هذا القانون الثانى للديناميكا الحرارية

(١) مصير البشرية ص ١١٠ •

فالأموات يؤثرون في الأحياء بما يبعثونه فيهم من غيرة نبيلة تدفعهم الى أن يكونوا جديرين بالانضواء تحت لواء أجدادهم العظماء (١) .

أما الخلود الموضوعي الذي تقول به الأديان الأخرى فتفرضه ديانة الوضعية اذ ما قيمة الاستمرار المادي في المكان الى جانب الحياة المتصلة في الزمان وفي الضمائر هذه الحياة التي تحقق وحدها أعز رغبة لقلب الانسان ألا وهي اتحاد النفوس في الأزل (٢) . هكذا !!

٣ - وفي الديانة الماركسية نجد الحلم الذي تنصبه للانسانية في قيام مستقبل تتحقق فيه الشيوعية ، وتختفى الصراعات الطبقيّة ، وتزول الدولة ، وتتوافر الاحتياجات كلها ، لكل الأفراد .

والشيوعية اذ تمنى الشعوب الراحة تحت سلطانها بمستقبل « آخرة » غير منظور فانها تفعل ذلك لتبرير ما تقوم به من سحق

اليها ليكونت دى نوى هي الموضوعات التي اختص بها الدين - أو الميتافيزيقا - وسماسة الاتحاد عندما يزيحون الدين عن هذه الموضوعات يضطرون - في مواجهة الحاح العقل البشرى - الى ادخالها في نطاق المستقبل المجهول « آخرة العلم » لا لشيء الا لتستكمل الدائرة ، دائرة الحصار حول الدين .

٢ - وفي ديانة المذهب الوضعي « ديانة الانسانية » : يستطيع الناس أن ينعموا في الانسانية . . بالخلود الذي يتطلعون اليه .

ذلك أن الانسانية تضم اليها كل ما يطابق جوهرها وتحفظ به وتتحد معه وكل ما يجعلها أعظم وأجمل وأقوى . وتتألف الانسانية من الأموات . . أكثر مما تتألف من الأحياء . هؤلاء الأموات يعيشون . . في ذكرى الأجيال الحاضرة . . وهي ذكرى متحركة فعالة مؤثرة :

(١) هذه ليست حياة للأموات ولكنها في الحقيقة ارتكاس الى عبادة الأسلاف في الديانات الوثنية .

(٢) العلم والدين لامييل بوترو ص ٥١ .

الأجيال الحاضرة ، وتخديرها عن عذاباتها الراهنة « الدنيوية » وهذا هو ما تسجله الوقائع التاريخية في البلاد التى نكبت بهذا النظام • ومن هنا فانه لينبغى القول بحق ان هذه الآخرة الشيوعية هى « أفيون الشعوب » •

ان للاحاد نظامه المثلوب للمستقبل ، وتوقعاته العرجاء التى يرسمها له ، وهو يدعو اليه بمنطق الايمان ، لا بمنطق النقد العلمى الذى استعمله فى هدم الأنظمة الأخرى ، ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان ثورته ضد الخوارق والمعجزات ليست — الا كراهية للاعتراف بوجود عنصر يمكن أن يشككنا فى المستقبل الذى يروج له فى سوق العلم • كما أشـار الى ذلك وليم جيمس •

واذا كان من الصحيح ما يقوله وليم جيمس من أنه (لابد لكل مذهب فلسفى أو عقيدة دينية من تحديد اجمالى للمستقبل ••) ••

واذا كان من الصحيح ما يقوله أيضا من أنه لابد لكى ينجح هذا التصور المستقبلى من أن :

(يتناسب مع قوانا وميولنا الذاتية) (١) •

فاننا نقول انه لابد لهذا التصور من أن يتصف قبل ذلك وبعد ذلك ••

أولا : بالصدق

ثانيا : بالقداسة

ثالثا : باليقين

رابعا : بالخلود

ولا شك أن هذه الأنظمة الاحادية لا تتصف واحدة منها بشىء من هذه القيم •

بل هى على العكس من ذلك •

تعن انكارها لها

أو تجاهلها اياها

أو استخفافها بها

وهذا سر من أسرار فشل المذاهب المادية ، وعجز أوثانها عن أن تحوز قبول الانسان وان لم يمنعها هذا الفشل من انشباب أظافرها فى كيانه •

وهذا النص القرآنى الكريم ينكر على الانسان تمسكه بحياته الدنيا اذا طلب اليه بذلها فى سبيل الله ، ويوضح بشكل قاطع أن هذه الحياة لا قيمة لها فى ذاتها ومن ثم لا يصح الرضا بها اذا قطعت عن الآخرة ، والتضحية بها فى سبيل الله ، تضحية فى الشكل ، لكنها من حيث الجوهر « كسب » حقيقى للانسان .

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ويتأكد هذا المعنى بآيات كثيرة أخرى . منها قوله تعالى :
« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وان الدار الآخرة لهي الحيوان » .

(سورة العنكبوت — ٦٤)
كما يتأكد بقوله صلى الله عليه وسلم :

« والله ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع » .
حديث صحيح (انظر مصابيح السنة للبغوى)

واذا أردنا فى هذا المقام أن نوضح نظرة الاسلام ، الى الآخرة .

فلا بد أولاً من أن نأخذ فى الاعتبار أن بحث هذا الموضوع يتوقف على نظرة مقارنة بين موقف الاسلام عن الدنيا ، وموقفه من الآخرة .

وأذن فان الأسئلة هنا تطرح نفسها على النحو التالى :

١ — هل يعطى الاسلام للحياة الدنيا قيمة مطلقة بصرف النظر عن الآخرة ؟

٢ — أم يعطيها قيمة بحسب وضعها من الآخرة ؟

٣ — وما هى هذه القيمة وكيف تتحقق ؟

وفى مقام الجواب على السؤال الأول يأتى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اناقلتم الى الأرض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل »

(سورة التوبة — ٣٨)

**فجعلناها حصيدا كأن لم تغن
بالأمس • كذلك نفصل الآيات
لقوم يتفكرون » •**

(سورة يونس — ٢٤)

فهذه الآيات تلفتتنا الى حقائق
تبين أن الحياة الدنيا سريعة الزوال
مهما ازينت في الطبيعة ، ومهما قدر
عليها الانسان في التاريخ •

ومن هنا يصبح هذا العارض
السريع الزوال بغير قيمة حقيقية ،
ما لم يوصل بشيء له قيمة •

وينقرر من ثم أن الدنيا — اذا
قطعت عن الآخرة — تبدو شيئاً
لا قيمة له •

ولا يقف الأمر هنا عند حد
فقدان القيمة ، ولكنها — أى الدنيا
تصبح كارثة ووبالا على المسكين
بها •

يقول تعالى :

**« زين للذين كفروا الحياة الدنيا
ويسخرون من الذين آمنوا والذين
اتقوا فوقهم يوم القيامة ، والله
يرزق من يشاء بغير حساب »**

(البقرة — ٢١٢)

هكذا يصبح امسك الكافر

روى عن رسول الله « صلى
الله عليه وسلم » أنه قال :
« لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح
بعوضة ما سقى الكافر منها شربة
ماء » (١) •

وروى عن رسول الله « صلى
الله عليه وسلم » أنه قال :
« الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه
والجنة مأواه • والدنيا جنة الكافر
والقبر سجنه والنار مأواه » •

وعندما يتأكد هذا المعنى يسوق
لنا القرآن الكريم صفة أساسية من
صفات الدنيا تبين تفاهتها في ذاتها
— أى عندما ينظر اليها مقطوعة عن
الآخرة — ذلك أنها تتصف بسرعة
الزوال » •

يقول تعالى :

**« انما مثل الحياة الدنيا كماء
أنزلناه من السماء فاختلف به نبات
الأرض مما يأكل الناس والأنعام
حتى اذا أخذت الأرض زخرفها ،
وازينت وظن أهلها أنهم قادرون
عليها أتاهم أمرنا ليلا أو نهرا**

(١) بستان العارفين ص ٧٩ •

وكما يقول أحد مؤرخي النهضة الأوربية عن الروح الجديدة التي سيطرت عليها •

(تقوم هذه الروح الجديدة في أعماقها على اهتمام متزايد بالحياة الانسانية كما يمكن أن نعيشها على هذه الأرض ، ضمن حدود الزمان والمكان ، ودون ارتباط بالعالم الثانى ، أو الأخرى) (١) •

وانسان هذه الحضارة هو النموذج العالمى الذى يغزو اليوم جميع أرجاء العالم ويسيطر على ذهن البشرى فى الأقطار المتقدمة والمتخلفة على السواء •

وانسان هذه الحضارة اذا فشل فيما يريد من دنياه رسخ في وجدانه أن كل شئ قد ضاع من يده ، ولجأ الى سخط دائم ، وراودته فكرة الانتحار •

وهو من ثم فى حالة فشل دائم • انه كما يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فى عبارة موجزة دقيقة باللغة الروعة « فقره بين

بالدنيا — وهى زائلة سبباً فى خسرانه للأخرة وهى باقية •

ولا شك أن ذلك خسران بأى مقياس يحسب به حساب الكسب والخسارة ، بل هو الخسران التام الذى لا يقتصر على الضياع الأخرى •

بل ينسحب الى الضياع الدنيوى كذلك ••

انظر الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك :

« من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا الا ما قدر له »

(رواه الترمذى)

ولنطبق ذلك على الانسان المعاصر الذى ربطته الحضارة بمثل وأهداف قاصرة على الدنيا •

ان الدنيا هى هدف انسان الحضارة المعاصرة ، وهى همه الذى لا هم له سواه ، يسعى لكى يحصل منها على أكثر ما يستطيع من متعة ورفاهية ••

(١) تكوين العقل الحديث لجون هرمان راندال ترجمة جورج طعمه

عينيه » • انه لا يحس بالغنى ،
أو الرضا ، انه واقع في الفقر ،
الفقر مائل بين عينيه في كل حال ،
لا يترك خياله لحظة ، يجده
فيما جمع لأنه لم يرض به ، ويجده
فيما لم يجمع لأنه لم يحصل عليه •
انه في حالة فقر مستمر ، ينغص
عليه حياته ، ويدفعه الى مزيد من
جمع مظاهر هذه الحياة • • دون
جدوى •
فهو لم يحقق ما طلبه من هذه الحياة
الدنيا التي جعلها همه وشغله
الشغل •

فقد فشل اذن في الحصول
عليها •
بل فشل - أيضا - في
« الحصول على نفسه » •
وذلك ما يعبر عنه قوله صلى الله
عليه وسلم « • • وفرق عليه
شملة • • » ان طالب الدنيا
- مقطوعة عن الآخرة - يفقد
كيانه الذاتى من الناحيتين
الاجتماعية والفردية • •
الأولى : انه يقع في صراع مع
الآخرين : مع أهله وقومه ، واخوانه

ومن الناحية الفردية يقع
الانسان الطالب للدنيا المقطوعة عن
الآخرة - في صراع مع نفسه •
ذلك لأنه يحاول أن يرضى في
نفسه شهوة الدنيا ، على حساب
ما أودعه الله في هذه النفس من
قوى أخرى تريد الآخرة ، فهو
لا يرضى هذه النزعة ، ولا يرضى
تلك ، • • ويقع من ثم في صراع
مع نفسه ، أو تقع قوى نفسه في
صراع بعضها مع بعض ، وهنا
يتفرق عليه شمله : شمل نفسه ،

هل تصبح للدنيا قيمة اذا وصلت
بالآخرة ؟

والجواب :

ان القول بأن الدنيا لا قيمة لها
على الاطلاق ، يعنى أنها وجدت
عبثاً وهـذا ما لا تجيزه النظرة
الاسلامية • اذ يقول تعالى :

« وما خلقنا السماء والأرض
وما بينهما لاعين »

(الانبياء - ١٦)

ولا شك أن المهمة التي أوجد الله
الانسان من أجلها في هذه الحياة
الدنيا تبين لنا بوضوح أهمية هذه
الحياة •

وهذه المهمة هي الخلافة في
الأرض •

يقول تعالى : « واذ قال ربك
للملائكة انى جاعل فى الأرض
خليفة »

(البقرة - ٣٠)

ويقول « وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الأرض » •

(النور - ٥٥)

ويقع فريسة للقلق والتمزق ،
والانفصام ، ورفض الحياة • •

فى بحث عن الانتحار تقول
الكاتبة مارجوريت كلارك :

(تزداد نسبة الانتحار فى أوقات
الرخاء عن ايام الكساد

وتحدث نحو ٣٠ - ٤٠ فى المائة
من مجموع حوادث الانتحار عندما
يكون الرجل ناجحاً اقتصادياً •

ويقول الدكتور توماس مالون
رئيس عيادة الأمراض العقلية
بأطلنطا بولاية جورجيا مفسراً ذلك
« عندما يصل الرجل الى ذروة
النجاح فكثيراً ما لا يجد شيئاً باقياً
ليجمعه » • • (١)

وهكذا • •

يتبين لنا أن الدنيا فى نظر
الاسلام لا قيمة لها اذا أخذت
مقطوعة الصلة بالآخرة •

وهى بهذا ليست غير ذات قيمة
فحسب ، بل هى كارثة ووبال على
الانسان •

والسؤال الآن هو :

(١) كتاب الطب الحديث لمارجوريت كلارك ترجمة الدكتور محمد نظيف
نشر فرانكلين ودار الفكر العربى عام ١٩٦٣ صفحة ١٦٠ •

خالصة يوم القيامة «

(الاعراف — ٣٢)

ويقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون »

(المائدة — ٨٧ — ٨٨)

وهى لا تتفتح أمامهم فحسب ، بل ان تعميرها يصبح مسئولية أساسية من مسئوليات المسلم . وتتبع هذه المسئولية من واقع ربطها بالآخرة ، اذ يكون جزاؤه فى الآخرة على حسب ما قدم من عمل صالح فى هذه الدنيا .

يقول تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة (أى فى هذا الدنيا) — ولنجزينهم أجرهم — (أى فى الآخرة) بأحسن ما كانوا يعملون »

(النحل — ٩٧)

ويقول تعالى « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

وتتأكد قيمة هذه الحياة الدنيا فى الاسلام عندما نتبين وظيفتها بالنسبة للحياة الأخرى .

لأنها الطريق الى الآخرة ولا طريق سواه ، واذا كان الطريق يستمد قيمته مما يؤدى اليه ، وكانت الآخرة هى الهدف الأسمى ، والقيمة العظمى « وان الدار الآخرة لهى الحيوان » سورة العنكبوت ٦٤ ، فان الدنيا تصبح ذات قيمة كبرى فى الاسلام بهذا الاعتبار .

يقول تعالى :

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » (الأنعام — ١٦٥)

ويقول أيضا « انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا »

(الكهف — ٧)

ومن هنا تتفتح أبواب الدنيا أمام المؤمنين :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا

ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف
الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمنا»

(النور - ٥٥)

ومن هنا لا تكون الزهادة في
الدنيا باسقاطها من الاعتبار وانما
في اعطائها قيمة عليا باعتبارها طريقا
الى الآخرة •

يقول صلى الله عليه وسلم
« الزهادة في الدنيا ليست بتحريم
الحلال ولا اضرار المال ولكن
الزهادة في الدنيا ألا تكون بما في
يديك أوثق بما في يدي الله ، وأن
تكون في ثواب المصيبة اذا أنت
أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت
لك » •

(انظر مصابيح السنة للبعوى)
ويحكى عن الشيخ الشاذلى
قوله لأصحابه :

- كلوا من أطيب الطعام
- واشربوا من ألذ الشراب
- وناموا على أوطأ الفراش

• والبسوا ألين الثياب •
فإن أحدكم اذا فعل ذلك وقال
الحمد لله يستجيب كل عضو فيه
للشكر بخلاف ما اذا أكل الخبز
الشعير بالملح ••

• ولبس العباءة •
• ونام على الأرض ••
• وشرب المالح الساخن •
وقال الحمد لله : فانه يقول
ذلك وعنده اشـمـئـزاز وبعض
السخـط على مقدور الله عز
وجل (١) •

ويقول الشيخ الشعرانى عن
أخلاق صوفية الاسلام :
(من أخلاقهم كثرة زهدهم في
المطاعم والملابس والمناكح
والمراكب والمساكن ونحو ذلك مع
ملاستهم لها فيأكلون ويلبسون
وينكحون ويركبون الخيل المسومة
- ويسكنون القاعات المزحمة ،
وهم مع ذلك زاهدون فيما خولهم
الله فيه من النعم فليس الزهد
بخلو اليد كما يفهمه بعضهم وانما
الزهد بالقلب فافهم • اذ لو كان

العوامل للحصول على الدنيا •
وهذا مايعبر الحديث النبوى
عنه أروع تعبير فى قوله صلى الله
عليه وسلم « من كانت الآخرة
همه جعل الله غناه فى قلبه ، وجمع
له شمله وأتته الدنيا وهى راعمة »
رواه الترمذى •

ومن هنا يتقرر :

أن الاسلام اذ يوجه الانسان
الى العمل من أجل الآخرة ،
لا يصرف نظره عن الدنيا ، ولكنه
فى نفس الوقت يحفزه للحصول
عليها ، الحصول عليها تابعة
لامتبوعة ، تخضع للانسان ، ولا
يخضع لها الانسان •

بذلك يتحقق للانسان المسلم
الفوز الذى يريده : انه يفوز
بالدنيا والآخرة معا •

وهو بذلك يختلف عن انسان
الحضارة المعاصرة ويحصل على
ماله يحصل عليه هذا فى الحياتين
عنى السواء • انه يتحقق له من
الغنى مالم يتحقق لانسان هذه
الحضارة • ويتحقق له من صحة

المراد بالزهد خلو اليد من الدنيا
لنهى الشارع عن التجارة وعمل
الحرف ولم يكن يأمر أحدا بها
ولا قائل بذلك (١) •

ومن هنا نجد اهتمام الاسلام
بتنظيم الحياة الاقتصادية
للمسلمين • فهو يضع أسس
احترام الملكية ، ويهتم بأن تقوم
الحياة الاقتصادية على أسس
أخلاقية ، ويدعو الى اتقان العمل
ويشجع على ممارسة الحرف ،
والتجارة ، وينهى عن الغش
ويحرم الربا ، ويوجب التكافل ،
وينهى عن الاسراف ، • الى غير
ذلك من الخطوط الاقتصادية
العامة التى لامجال لتفصيلها فى
هذا المقام • وانما ألمحنا اليها هنا
لنبين أن العقيدة الاسلامية تربط
فى اطارها بين الحياتين الدنيـا
والآخرة ، وتجعل منهما كيانا
عضويا واحدا بل اننا نجد أن قيمة
الحياة الدنيا فى الاسلام تصل الى
أعلى درجاتها وذلك عندما نجد
القيم الأخروية ذاتها من أهم

(١) أنظر الاخلاق المتبوية ح ١ ص ٣٥٧ •

الآخرة خلود في الجنة أو في النار •

ذلك أن الانسان — ولناخذ مثلاً من يتمتع بالثواب في الجنة • • يظل يتذكر ما حدث له في الدنيا من حرمان •

وفي ضوء هذا التذكر يحس بمتعة الجنة •

ان الانسان له طبيعته الخاصة في ادراك الأشياء • •

ان ادراكه يدور في فلك النقائص ، أى أنه يدرك الشيء بادراك نقيضه وكما يقولون « وبضدها تتميز الأشياء » فمالم يدرك الانسان الحرمان لا يدرك النوال •

ولعل هذا هو السر في أمر الله لآدم بالأكل من الشجرة لقد كان ذلك في مصلحة آدم • كان هذا هو طريق آدم لادراك متع الجنة •

لكن آدم لم يصبر على هذا الأمر •

لم يصبر على هذا الحرمان الضئيل •

النفس ، والتئام الشخصية ، مالم يتحقق لطالب الدنيا المبتوثة عن الآخرة •

انه كما يقول الرسول الكريم « جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة » • يقول بعض الصوفية « الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعاً له » •

واذا كان ماتقدم يجيب على سؤال عن :

قيمة الدنيا اذا وصلت بالآخرة؟ فانه في نفس الوقت يجيب على سؤال عن :

كيف نحصل على هذه القيمة ؟ انه يكون بوضع الآخرة هدفاً أعلى • •

هنا تأتى الدنيا الى الانسان (• • وهي راغمة) ، وتأتى اليه رائقة من خلال مصفاة القيم العليا التي يفرضها الارتباط بالآخرة •

ولا يقف الأمر عند ذلك في تقييم دور الحياة الدنيا بالنسبة للانسان • • في الاسلام بل أنها تقوم بدورها أثناء حياة الانسان في

الى ما وراء المطلق كأن هناك
موضوعات أخرى للتدبر
والتأمل (١) •

يقول الامام ابن حزم :
(وان الله عز وجل لما خلق
الدنيا دار محنة وبلوى خلقها
أضدادا وأزواجا لتقع المحنة
وتتم الدلالة ، فتمام الدلالة بذلك
• لأنه لا يعرف الشيء بحقيقته
الا من قبل ضده • فبالظلمة تعرف
النور ، وبالمكروه يعرف المحبوب ،
وبالشر يعرف الخير وبالبرد يعرف
الحر ، وبالتحت يعرف الفوق ،
وبالظاهر يعرف الباطن • كل
واحد منها يعرف بصاحبه ،
ويتهدى اليه بزوجه وضده •

ويتهدى بالأضداد كلها الى
وحدانية الخالق لها •

وأما وقوع المحنة من جهة
الأزواج فان الله تعالى جعل
الدنيا امتزاجا وانفصالا روحين
أيضا ضدين ليعرف هذا بهذا (٢)
وروى عن أنس بن مالك رضى

فكان نزوله الى الدنيا تطبيقا
لنفس المبدأ •

أى ليواجه صنوفا من الحرمان
يعجز عن تجاوزها والتغلب عليها •
ذلك لكى يتأهل للجنة •

أى ليدرك نعيمها بعد ادراك
حرمان الدنيا •
عن طريق المقابلة والتضاد •
ومن هنا نقول :

سيظل للدنيا دور فى الآخرة •
هذا الدور هو أن يتذكر
الانسان فيها ماحدث له فى الدنيا
من مشقات وآلام وجهاد
وحرمان •

بذلك يدرك النعيم ويلتذ به •
ولا سبيل له الى هذا النعيم
الا عن هذا الطريق •

يقول وليم جيمس :
(ان عقولنا قد تعودت على
أن ترى (غيرا) بجانب كل
جزئية من جزئيات تجاربها واذا
فكرت فى المطلق نفسه تراها
تستمر فى عملياتها العادية وتتطلع

(١) العقل والدين ص ٤٢ •

(٢) رسالة الرد على الكندى الفيلسوف ضمن كتاب الرد على

ابن النفريلة ص ٢٢٥ •

لبعضهم فيها وعناية الله بكل
منهم وانقاذه من تأمر الكفار من
التردى في هاوية الكفر ، وما عاناه
كل في سبيل ذلك •

وفي الحديث فيما رواه ابن القيم
عن ابن أبي الدنيا بسنده عن
رسول الله ص قال (اذا دخل
أهل الجنة الجنة فيشتاق الأخوان
بعضهم لبعض حتى يجتمعا فيقول
أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر
الله لنا ؟ فيقول صاحبه يوم كنا
في موضع كذا و كذا ••) (٢) •

ومن باب التذكر ما أعده الله
للمؤمنين من نعيم في الآخرة له شبه
بنعيم الدنيا •• لكنه في حقيقته
مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر •

وهذا يفسر لنا لماذا كان في
الجنة النخيل والعنب والزيتون
والرمان ••

ويرد على تخرصات الملحدين
أو تأويلات الفلاسفة •

الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال :

(ان في الجنة أسواقا لا شراء
فيها ولا بيع يجتمعون فيها حلقا
حلقا يتذكرون •

كيف كانت الدنيا •

وكيف كانت عبادة الرب •

وكيف كان فيها فقراء أهل الدنيا
وأغنيأؤها •

وكيف كان الموت •

وكيف صرنا بعد طول البلى الى
الجنة (١) •

وتؤيد النصوص القرآنية
والنبوية حقيقة التذكر هذه
كقوله تعالى عن أهل الجنة :

(انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن
الله علينا ووقانا عذاب السعير) •

وقوله تعالى عن أهل الجنة

كذلك (فأقبل بعضهم على بعض

يتسألون ، قال قائل منهم : انى

كان لى قرين •••) أنظر سورة

الصفات ، وما جاء فيها من

الحديث عن أحوال الدنيا وماحدث

(١) انظر بستان العارفين للسمرقندى ص ٢٥

(٢) انظر حادى الأرواح لابن القيم •

قيمة حقيقية (١) وتصف للانسان طريق الحصول عليها وهو ربطها بالآخرة .

وهذا هو الطريق ، ولا طريق سواه :

« وأن هذا صراطى مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله ذلك وصاكم به
لعلم تتقون » .

الانعام ١٥٣

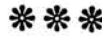
وصدق الله العظيم ..

د . يحيى هاشم حسن

وأخيرا ، فإذا كانت هذه هي قيمة الدنيا فى الاسلام ، فان السؤال يصبح هو ما قيمة الدنيا فى غير الاسلام ؟

والجواب على هذا السؤال الأخير نجده فيما قدمنا ، من قوله صلى الله عليه وسلم « من كانت الدنيا همه جعل الله فقرة بين عينيه ، وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا الا ما قدر » .
والنتيجة الأخيرة التى نصل اليها من ذلك :

ان الاسلام — فيما نعلم — هو العقيدة الوحيدة التى تعطى للدنيا



(١) وقد كانت المسيحية جديرة بذلك لو أنها استمسكت بعمق ما جاء منسوباً الى السيد المسيح .
(اطلبوا أولاً ملكوت الله ...)
وكل ما سواه سيعطى لكم بالتبعية) .

تراث مفقود
مع كتابين مفقودين للفراء
 دكتور أحمد علم الدين الجبزي

ألف الفراء (ت ٢٠٧ هـ) كتباً كثيرة ، وأغلبها مفقود (١) ، ومن هذه الكتب المفقودة :

أولاً : كتاب (لغات القرآن) الفهرست لابن النديم ٥٩٠ هـ وقد أثار إليه أبو حيان في تفسيره (البحر المحيط ٣/١٩٣) وورد ذكره في حاشية الشيخ عبادة على شذور الذهب ١/١٤٨٠

وثانياً : (كتاب اللغات) وهو مفقود كسابقه ، وقد عزاه ابن النديم (الفهرست ١٠٦) والسـيوطي في بغيته (٤١١) ومزهره (٩٦/١)٠

وقد ألف كثير من العلماء في الفن الأول ، منهم هشام بن محمد بن السائب الكلبي ٢٠٤ هـ ، وأبو زيد الأنصاري ٢١٥ هـ وابن دريد ٣٣١ هـ والقطيعي ٥٥٤ هـ والبيهقي ٥٤٤ هـ وغيرهم ٠ كما ألف في الفن الثاني يونس بن حبيب البصري ١٨٢ هـ وأبو عمرو الشيباني ٢٠٦ هـ وأبو عبيدة

(١) انظر قائمة مؤلفات الفراء ، الموجود منها والمفقود في كتاب (أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ص ١٦٩ — وما بعدها ، للدكتور أحمد مكي الأنصاري ، والمعجم العربي ، نشأته وتطوره : الجزء الأول . الدكتور حسين نصار) ٠

٢١٠ هـ وأبو زيد الانصارى ٢١٥ هـ والاصمعى ٢١٦ هـ وابن دريد وغيرهم. وجميعها مفقودة اذا استثنينا كتاب اللغات لابن عمرو الشيبانى ٢٠٦ هـ ، والمعروف بكتاب (الجيم) .

ولقد جمعت هذه الكتب المفقودة فى هذين الفنين حيث تعقبت كتب العربية على اختلاف نحلها جرذا وبحثا حتى وضعت يدى على المادة التى أرجح أن هذه الكتب الضائعة قد اشتملت عليها لهؤلاء الأعلام . فرصدت الروايات والسماعات والنقول الخارجية المبنوثة فى كتب علوم القرآن والشعر والنحو والعربية والطبقات والأمثال ، والتى كان مصدرها هؤلاء العلماء الذين ألفوا هذه الكتب . وأعرض الآن هيكلًا لكتابتى الفراء فى (اللغات) و (لغات القرآن) .

وهما مفقودان . وقد وضعت على الجانب الأيسر رمز (غ) إشارة الى أن النص — على ما أرجح — من (كتاب اللغات) ، ورمز (ق) إشارة الى أن النص من كتاب (لغات القرآن) .

١ — المستوى الصوتى ويشمل (علم الأصوات العام وعلم الأصوات التنظيمى أو علم التشكيل الصوتى)

أولاً : حركية الكلمة :

١ — فاء الكلمة :

الفراء :

١ — يقال فيه غلظة وغلظة (١) ، ويقال رفقة ورفقة ، لغة قيس وتميم .
اصلاح المنطق ١١٥/١ غ .

(١) وحكى أبو عبيدة وابن الأعرابى : غلظة : اصلاح المنطق ١١٧/١ وعزيت فى الاتحاف ٢٤٥ بالفتح لغة لأهل الحجاز . وفى البحر المحيط بالكسر لغة أسد وبالضم لغة تميم : البحر المحيط ١١٥/٥ .

- ٢ — وسمعت من بعض كلب : وجنة ووجنة ، لبعض العرب بكسر الجيم وفتح الواو اصلاح المنطق ١١٧/١ غ •
وحكى الفراء عن الكسائي وجنة وأجنة ووجنة عن أهل اليمامة •
اصلاح المنطق ١١٦/١ •
- ٣ — هو يأكل الحينة ، والحينة لأهل الحجاز (١) غ •
- ٤ — قال الفراء في قوله تعالى : « ونمارق مصفوفة » هي الوسائد واحدها نمرقة •
- قال : وسمعت بعض كلب يقولون : نمرقة بالكسر • لسان العرب ٢٣٩/١٢ ق •
- ٥ — الجهد — بضم الجيم لغة أهل الحجاز ، والوجد ، ولغة غيرهم ، الجهد والوجد بالفتح • معانى القرآن للفراء ٤٤٧/١ (٢) •

٢ — عين الكلمة :

- ١ — ويقال : مخ ير ورار • وزعم الفراء قال : لغة القناني رير بفتح الراء • وأنشد : (والساق منى بارادات الرير) اصلاح المنطق ٨٩/١ (٣) غ •
- ٢ — قال صاحب العباب ، قال الفراء في نوادره (٤) : الحلقة بكسر اللام لغة للحرث بن كعب في الحلقة بالسكون • وأورد شاهدا • غ •
- ٣ — حكى الفراء عن بنى أسد : هل رأيت عينا في معنى (أحد) يروى بسكون الياء وفتحها • كنز الحفاظ ٢٧٣ غ •
- ٤ — قال الفراء : البخل (٥) مثقلة لأسد ، والبخل خفيفة لتميم ، والبخل لأهل الحجاز ، ويخففون أيضا فتصير لغتهم ولغة تميم واحدة •

(١) أى وجبة في اليوم • اصلاح المنطق ١١٧/١ والمخصص ٢٤/٥ .
(٢) بمناسبة قول الله (الا جهدهم) سورة براءة آية : ٧٩ .
(٣) الحركة البسيطة تحولت الى حركة مركبة في لغة القناني •
(٤) يظهر أن كتب اللغات والنوادر كانت تسير في فلك واحد •
(٥) في القرآن : « ويأمرن الناس بالبخل » : سورة النساء آية : ٣٧ .

وبعض بكر بن وائل يقولون : البخل • البحر ٢٤٧/٣ • ومختص
الشواذ لابن خالويه : ٢٦ ق •

٥ — أهل الحجاز يقولون : أعطها صدقتها بضم الدال ، وتميم تقول :
أعطها صدقتها بسكون الدال : في لغة تميم • معانى القرآن للفراء
٥٩/٢ ق •

٣ — المائلة في الحركات :

- ١ — حكم هاء التنبيه الفتح عند أكثر العرب ، ويجوز ضمها وهى لغة
عربية حكاها الكسائي والفراء • قال الفراء : هى لغة بنى أسد
أبراز المعانى ٢٠٠ • وقرأ بها ابن عامر فى (آية المؤمنون (١) —
يا أيه الساحر — بضم الهاء • ارشاد المرید على أبراز المعانى ٢٠٠ ق •
- ٢ — سيبويه (٢) والفراء : ناس من بكر بن وائل يكسرون الكاف من
نحو : منكم • وأحلامكم • وهى لغة رديئة جدا ، حكاها سيبويه
والفراء ، الهمع ١/ ٥٩ غ •
- ٣ — ذكر الفراء فى (كتاب لغات القرآن) أنه : أن الصلب وهو الظهر
على وزن قفل — هو لغة أهل الحجاز • ويقول فيه تميم وأسد :
الصلب : بفتح الصاد واللام قال : وأنشدنى بعضهم :
(وصلب (٣) مثل العنان المؤدم)

(١) وفى البحر المحيط ٦/ ٤٥٠ ، ٩٣/١ عزاها لغة لبنى مالك رهط
شقيق ابن سلمة • وبنو مالك من بنى أسد •
(٢) اشترك الفراء مع سيبويه فى حكاية اللهجة عن العرب •
(٣) والبيت فى اللسان (صلب) للعجاج يصف امرأة وهو :
ربا العظام فخمة المؤدم .. فى صلب مثل العنان المؤدم ويقال للظهر :
صلب ، وصلب ، وصالب • اللسان مادة : (صلب) •
ولعل نص الفراء الذى ذكر أنه فى كتابه (لغات القرآن) كان
بمناسبة قوله تعالى « من أصلابكم » سورة النساء آية ٢٣ ، أو قوله « من
بين الصلب » سورة الطارق آية ٧ •

قال : وانشدنى بعض بنى أسد :

(اذا أقوم اشتكى صلبى) البحر المحيط ٣/ ١٩٣ .

٤ — فى قوله تعالى « الحمد لله » أما أهل البدو فمنهم من يقول : الحمد

لله ، ومنهم من يقول : الحمد لله ، ومنهم من يقول : الحمد لله

فيرفع الدال واللام (١) معانى القرآن للفراء ١/ ٣ ق .

٥ — فى قوله تعالى « ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى »

سورة ابراهيم آية ٢٢ . حكى الفراء كسر الياء ، لغة بنى يربوع (٢)

النشر ٢/ ٢٩٨ ، اتحاف ٢٧٢ ق .

وفى التصريح ٢/ ٦٠ أن هذه اللغة حكاها الفراء وقطرب . وفى معانى

القرآن للفراء ٢/ ٧٥ « قال الفراء ولعلها من وهم الفراء طبقة يحيى

فانه قل من سلم منهم من الوهم . انظر البحر المحيط ٥/ ٤١٩ ،

والنهر الماد ٥/ ٤١٨ .

ثانيا : ظاهرة التقريب

١ — الامالة والفتح :

أهل الحجاز يفتحون ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد وما كان من

(١) علل الفراء صوتيا لكل قراءة ، الا أنه أهمل العزو ، فالحمد لله ،

بكسر الدال واللام لغة تميم وبعض غطفان ، الاتحاف ١٢٢ هامش ، نزهة

الألبا ٣٦٤ . والحمد لله — بفتح اللام اتباعا لنصب الدال وهى لغة بعض

قيس . النشر ١/ ٤٨ .

(٢) وعقب أبو عمرو بن العلاء على هذه القراءة بأنها « جائزة

وحسنة » ولا التفات الى انكار النحاة لها . الدر اللقيط ٥/ ٤١٩ ووصفها

الزجاج بأنها « عند جميع النحويين رديئة مرذولة . الخوانة ٢/ ٢٥٩ ، ابراز

المعاني ٣٦٩ ، كما أنكسرها أبو حاتم (البحر المحيط ٥/ ٤٢٠) ورمائها

الزمخشري بالضعف (الخزانة ٢/ ٢٥٩) وزاد فى اضعافها وتوهينها بأن

الشاهد الشعرى عليها لرجل مجهول . والحق أن الشاهد للاغلب العجلى ،

ورآه أبو شامة فى أول ديوانه (حاشية زين الدين على التصريح ٢/ ٦٠) وقال

القاسم بن معن عن هذه القراءة (انها صواب) النشر ٢/ ٢٩٩ ، وكان القاسم

ابن معن ثقة بصيرا . ابراز المعاني ص ٣٦٩ .

ذوات الياء والواو • قال : وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يرون الى الكسر من ذوات الياء في هذه الأشياء ، ويفتحون في ذوات الواو مثل : قال وجمال • شرح المفضل ٩/٥٤ والأشمونى ٤/٢٢١ غ •

٢ — الادغام والاظهار :

- ١ — وسمعت بعض بنى أسد يقولون : قد اتغر (١) • وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة ، وغيرهم قد اتغر • معانى القرآن للفراء ١/٢١٥ غ •
- ٢ — وسمعت بعض بنى عقيل يقول : عليك بأبوال الظباء فاصعطها فانها شفاء للطحل (٢) • معانى القرآن : ١/٢١٦ غ •
- ٣ — فى (مذكر) ومذكر فى الأصل مذتكر — فصيرت الذال وتاء الافتعال دالا مشددة • قال : وبعض بنى أسد يقول : (مذكر) لسان العرب ٥/٣٧٦ •

ثالثا : الهمز والتسهيل

- ١ — روى الأزهري بإسناده عن الفراء قال : سمعت أعرابيا من بنى سليم ينشد :
(فانها جبل الشيطان يحتئل)
قال : وغيره من بنى سليم يقول (يحتال) بلا همز • اللسان : ١٩٨ — ١٩٩ غ •

(١) وصيغة (اتغر) أسهل ، لان اللسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك والالتقاء به التقاء محكما ينجبى معه النفس ، وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة — من أن تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك ، ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء ، كما يحدث فى الأصوات الرخوة .
(٢) مرض ، (اصعطها) افتعل من الصعوط وهو لغة فى السعوط وهو : ما يستنشق فى الأنف .

- ٢ — سمعت امرأة من طيء تقول (١) • رثأت زوجي بأبيات • معاني القرآن للفراء ٤٥٩/١ ونقل اللسان عن الفراء أنه قال : سمعت امرأة من طيء تقول : رثأت زوجي بأبيات • اللسان ١٠/١ غ •
- ٣ — ونسأ الله في أجلك : أى زاد الله فيه ، ولم يهزمها أهل الحجاز ولا الحسن • معاني القرآن للفراء ٣٥٦/٢ غ • ومثلها : وقد ترك همز (التناوش : سورة سبأ آية ٥٢) أهل الحجاز وغيرهم جعلوها من نشته نوشا وهو التناول •••• وقد يجوز همزها • معاني القرآن للفراء ٣٦٥/٢ ق •

رابعاً : مدارج اللهجات في ابدال الحروف

- ١ — والتفتقر لبنى أسد • (وهى لغة في الدفتر) ابدال أبى الطيب ١٠٩/١ غ •
- ٢ — بنو أسد يقولون : المغثور وغيرهم بالفاء • ابدال أبى الطيب ١٨٦/١ ، معاني القرآن للفراء ٤١/١ غ •
- ٣ — كل ياء مشددة للنسبة وغيرها فان بعض العرب يبدلها جيما • وزعم الفراء أنها لغة طيء • ابدال أبى الطيب ٢٥٨/١ غ • وقال الفراء أيضا : وهم يقلبون الياء الخفيفة أيضا الى الجيم ، وذلك فى بنى دبير من بنى أسد خاصة • الابدال لأبى الطيب ٢٦٠/١ غ •
- ٤ — يقال سكرات ملتخ وملتك • حكاها الفراء عن امرأة من بنى أسد • الابدال لأبى الطيب ٣٤٣/١ غ •
- ٥ — أهل الحجاز أكثر شئى قولاً : الفيعل من ذوات الثلاثة فيقولون

(١) وبعضهم يغلط العرب في مثل هذا ، ويرى الفراء أنه من همز التوهم وهو همزهم ما لا همز فيه اذا ضارع المهموز • المزهر : ٢٥٢/٢ ، ٤٩٦ •

- للصواغ : الصياغ (١) • معانى القرآن للفراء ١/١٩٠ ق •
- ٦ - ومرضوا (٢) لغة أهل الحجاز • معانى القرآن للفراء : ٢/١٧٠ ق •
- ٧ - وقيس تقول : طين لاتب • معانى القرآن للفراء ٢/٣٨٤ ق •
- في قوله تعالى « طين لازب » الصافات آية ١١ ق •

خامسا : الوقف

- ١ - حكى عن بعض العرب أنهم يسكتون حركة الهاء اذا كانت بعد متحرك (٣) • البحر المحيط ٢/٤٩٩ ق •
- ٢ - جمع التصحيح والمحمول عليه كالهندات والبنات والأخوات •
الأفصح الوقف عليه بالتاء ، ويجوز الوقف عليها بالهاء غ •
وحكاة الفراء لغة لقوم من طيء • يقولون في مسلمات = مسلماء •
عبث الوليد ص ٦٧ ، وفي الهمع ٢/٢٠٩ حيث أضاف قطربا الى الفراء
في حكاية اللهجة عن العرب •
- ٣ - والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء الا طيئا فانهم يقفون عليها
بالتاء مثل : هذه أمت (٤) وجاريت • لسان العرب ٢٠/٣٧٠ ، شرح
السيرافي ١/٦١ غ •

- (١) في الحديث عن قول الله (القيوم : آل عمران آية : ٢) وقراها
عمر بن الخطاب وابن مسعود (القيام) •
- (٢) بمناسبة قوله تعالى « مرضيا » سورة مريم الآية : ٥٥ •
- (٣) ولقد سمعها الكسائي من أعراب عقيل وكلاب : يقولون : « لربه
لكنود » بالجزم وغير أعراب عقيل وكلاب لا يوجد في كلامهم اختلاس
ولا سكون • البحر المحيط : ٢/٤٩٩ • وقال أبو اسحق عن الاسكان انه غلط
بين • وقال أبو حاتم انه غلط : الالتحاف : وانظر البحر المحيط ٣/٧١ ،
واللسان ٢/٣٦٧ • كما رآه بعضهم ضرورة • الخزانة ٢/٤٠١ كما نقل ابن
جنى في المحتسب والخصائص ، وابن السراج في الأصول أن الظاهرة لغة
الأزد السراة • الخزانة ٢/٤٠١ والمحتسب ١/٤٠٢ وانظر شاهدا من الشعر
على هذه اللغة في الجمهرة ٣/١١٨ •
- (٤) وفي المصباح ٢/٩٩٧ عزاها لحمر •

٢ - المستوى الصرفي

أولاً : التصحيح والاعلال •

المشهور في لسان العرب تسكين العين اذا كانت غير صحيحة في مثل : بيضات ، عورات • وقال الفراء : العرب على تخفيف ذلك الا هذيلًا فتنقل ما كان من ذوات الواو والياء • (١) البحر المحيط ٤٤٩/٦ ، اللسان ٣٠٣/٦ ، شرح المفصل ٣١/٥ ق •

ثانياً : الممدود والمقصور •

عندما ذكر ابن هشام أن (هؤلاء بالمد لغة الحجازيين) شذور الذهب : ١٤٧/١ • وبها جاء القرآن • وبالقصر لغة تميم — علق صاحب الحاشية بقوله : في لغة تميم وقيل وأسد وربيعة ، ذكر ذلك الفراء في كتابه (لغات القرآن) ولم يخصه بتميم • (حاشية عبادة على الشذور ١٤٨/١) كما ساق صاحب التصريح ١٢٨/١ هذا النص السابق وعزاه الى الفراء في كتابه (لغات القرآن) ق •

ثالثاً : الأفعال •

١ — (المهموز) أبو زيد والفراء ، روي : اسل زيدا ، لغة عبد القيس حكاها أبو زيد والفراء يريدون : اسأل • فنقلوا حركة الهمزة الى السين وأسقطوا الهمزة • (٢) ليس في كلام العرب ص ١٢ ق •

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط ٥١٥/٧ : ولم يقرأ أحد ممن علمناه بلغتهم والصحيح أن الاعمش قرأ « ثلث عورات لكم » سورة النور آية : ٥٨ وقد عزاه ابن خالويه الى تميم • مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٠٣ •
(٢) وبلهجة عبد القيس قرأت فرقة من القراء • البحر المحيط ١٢٦/٢ •

- ٢ — (تداخل) لغة الحجاز : دام يدوم • وتميم : دمت يدوم (بكسر الدال) في الماضي • فيجتمعون في المضارع ق •
وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى ويحيى بن وثاب والأعمش : دمت
— بكسر الدال وهى لغة تميم في (مادمت عليه قائماً) (١) س ٣ آية
٧٥ • مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢١ •
- ٣ — (باب نصر وضرب من الصحيح) في قوله تعالى : « واذا تبيل أنشزوا فأنشزوا » سورة المجادلة آية : ١١ • قال الفراء : قرأها الناس بكسر الشين ، وأهل الحجاز يرفعونها • قال : وهما لغتان •
لسان العرب ٧/٢٨٥ ق •
- ٤ — (الأجوف) ضمت العامة الصاد في قول الله (فصرهن اليك س ٢ آية : ٢٦) وكان أصحاب عبد الله يكسرونها (٢) ، وهما لغتان •
فأما الضم فكثير ، وأما الكسر ففي هذيل وسليم قال : وأنشد الكسائي :
- (وفرع يصير الجيد وحف كأنه) اللسان ٦/١٤٨ ومعاني القرآن للفراء ١/١٧٤ ق •
- ٥ — (لغتان في الصحيح من غير باب نصر وضرب) : عجزت عن الشيء بفتح الجيم (ما تلحن فيه العامة للكسائي ص ٢٤) والكسر لغة حكاها الفراء قال ابن القطاع (انه لغة لبعض قيس) :
ما تلحن فيه العامة ٢٤ هامش غ •
- ٦ — (المبنى للمجهول) في نحو قيل وبيع ثلاث لغات :
١ — اخلاص الكسر وهو لغة قریش ومن جاورهم من بنى كنانة •
البحر المحيط ١/٦٠ •

(١) وقال أبو اسحق : دمت تدام مثل : نمت تنام وهى لغة • البحر المحيط ٢/٥٠٠ •
(٢) والمعنى : قطعهم : من صريت أصرى أى قطعت فقدمت يأؤها •
الأضداد لابن الأثير ص ٢٩ •

٢ - وإخلاص الضم وهو لغة هذيل ، وبني دبير (١) ، بني فقعس (١) .

(أسرار اللغة : تيمور ص ١١١ والـروض الانف ٢/٦٦ ، الاثموني : ٢/٦٢ •) وقد حكى الفراء اخلاص الضم الى بني أسد ، وأورد شاهدا (وقول لا أهل له ولا مال) (٢) اللسان ٩٣/١٤ ق •

رابعاً : المشتقات :

١ - اذا جاءك فعل مما لم يسمع مصدره فاجعله فعلاً للحجاز وفعولاً لنجد (٣) • شرح الشافعية ١/١٥٢ غ •

٢ - في قوله تعالى : « من ماء دافق » مدفوق • قال : وأهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم أن يفعلوا المفعول فاعلاً اذا كان في مذهب نعت كقول العرب : هذا سر كاتم ، وهم ناصب • ثم قال : وأعان على ذلك أنها وافقت رءوس الآيات التي هي معهن • اللسان ٣٨٧/١١ ق •

٣ - يقولون : هو مسكن ، قال عنها الفراء : هي لغة يمانية فصيحة (٤) البحر المحيط ٧/٢٦٩ ق •

٤ - أهل الحجاز يقولون : مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء فيما ارتفعت

(١) من فصحاء بني أسد .

(٢) ولغة قيس وعقيل ومن جاورهم . الاثماني في ذلك . اتحاف ١٢٩ كما حكى اخلاص الضم عن ضبة . التصريح ١/٢٩٤ - ٢٩٥ ، وقد قرئ بهذه اللغات في « قيل ، سئ ، غيض ، حيل » البحر المحيط ٧/١٥١ .

(٣) قياس أهل نجد أن يقولوا في مصدر ما لم يسمع مصدره من فعل المفتوح العين : فعول ، متعدياً كان أو لازماً . وقياس الحجازيين فيه : فعل ، متعدياً كان أو لا .

(٤) وأهل أبو زيد عزوها . المخصص ١٤/٢٠٤ ، اللسان ١٧/٧٤ .

- به ويكسرون مرفق الانسان (البحر ١٠٧/٦) • (١) ق •
 ٥ — ذكر لى أن بعض العرب يسمون مأوى الابل مأوى بكسر الواو
 — قال : وهو نادر لم يجيء فى ذوات الواو والياء مفعل بكسر
 العين الا حرفين : مأتى العين ومأوى الابل وهما نادران ، واللغة
 العالية فيها مأوى • اللسان ١٨/٥٤ ، شرح الشافية ١/١٨٢ غ •

٣ — الظواهر العامة فى لهجات القبائل

أولا : فعل وأفعل •

- ١ — العرب تقول •• أعصفت الريح ، وعصفت ، وبالألف لغة لبنى
 أسد ، وأنشدنى بعض دبير (٢) (حتى اذا أعصفت ريح
 مزعزة) معانى الفراء : ١/٤٦٠ •
 ٢ — أهل الحجاز يقولون : « ما أنتم عليه بفانتين » (٣) وأهل نجد :
 « بمفتتين » اللسان ١٧/١٥٦ ، معانى الفراء ٢/٣٩٤ ق •
 ٣ — ينع الثمر وأينع : أحمر • وفى البحر ٤/١٨٤ بفتح الياء فى لغة
 الحجاز ، وبضمها لغة لبعض نجد ، وقرىء بها فى الأتعام آية
 ٩٩ « وينعه » مختصر شواذ القرآن ابن خالويه ٣٩ ق •

ثانيا : التذكير والتأنيث •

- ١ — الهدى مذكر ، الا أن بنى أسد يؤنثونه (٤) (المذكر والمؤنث
 للفراء ص ٢١) •

(١) لعل هذا فى قوله تعالى (ويهئ لكم من أمركم مرفقا) الكهف
 آية ١٦ •
 (٢) ودبیر : بطن من بطون بنى أسد بن خزيمه من العدنانية معجم كحالة
 ٣٧٤/١ •
 (٣) الصافات آية ١٦٢ •
 (٤) فى التذكير والتأنيث للسجستانى ص ١٠ خط تيمور رقم ٢٦٤
 والمخصص ١٧/١٧ (بعض أسد) •

- ٢ - الأصابع اناث كلهن الا الابهام فان بنى أسد أو بعضهم يقولون :
هذا ابهام • المذكر والمؤنث للفراء : ١٥ - ١٦ والبحر
٨٤/١ (١) ق •
- ٣ - الذراع أنثى • وقد ذكر الذراع بعض عكل • المذكر والمؤنث
للفراء : ١٥ ، عبث الوليد ١٣٤ غ •
- ٤ - والققد أنثى ويذكرها بعض قيس • المذكر والمؤنث للفراء ١٨ غ •
- ٥ - الرياح كلها اناث • وشاهد من بنى أسد على التذكير • ويقول
الفراء : أنشدني عدة من بنى أسد • المذكر والمؤنث
للفراء ٢٧ غ •
- ٦ - رأيت بعض بنى تميم وسقط ابن له في البير - والله ما أخطأ
الركى - فوحده بطرح الهاء ، فاذا فعلوا ذلك ذهبوا به الى
التذكير كأنه اسم للجمع (٢) ، وهو موحد • المذكر والمؤنث
للفراء : ٣٠ ، والمخصص : ١٧/١٠ غ •
- ٧ - ذكرت كتب اللغة أنه يقال للرجل (زوج) ولامرأته أيضا
(زوج) وذلك في لغة الحجاز ، ولغة تميم وكثير من قيس وأهل
نجد يقولون (هي زوجته) البحر ١/١٠٩ • المخصص ١٧/٢٤ •
وأبى الأصمعي لهجة تميم وقال (زوج لاغير) لسان ٣/١١٧
ويقول ابن منظور وكانت من الاصمعي في هذا شدة وعسر لسان
١٠٧/٣ •
- أما الفراء فقد وصف لهجة نجد في الظاهرة السابقة (زوجة)
بأنها (أكثر) ، ولهجة الحجاز بأنها (أفصح) المذكر والمؤنث
للفراء : ٢٦ • وفي كل ذلك يستشهد الفراء ويحتج بالقرآن
والشعر •

(١) يتصل بـ (يجعلون أصابعهم) البقرة •
(٢) والفراء يشير الى أن من أسبأ باجتماع التذكير والتأنيث في
الكلمة : الجمع والامراد : مثل ركية وركى •

ثالثاً : القلب :

١ — تميم تقول : صاقعة في صاعقة وأنشد لابن أحرر :
ألم تر أن المجرمين أصابهم •• صواقع لابل هن فوق
الصواقع (١) ق •

٢ — لغة أهل الحجاز عميق ، وبنو تميم يقولون : معيق (٢) اللسان
١٢/١٤٣ البحر ٦/٣٤٧ ق •

٣ — من العرب من يتم (حاش) وفي لغة الحجاز (حاش لك) وبعض
العرب حشى زيد — كأنه أراد : حشى لزيد ، وهى فى أهل
الحجاز • البحر ٥/٣٠ ق •

٤ — سمعت بعض قضاة يقول : اجتحنى ماله ، واللغة الفاشية اجتاح
ماله • وشاهد لها • معانى الفراء ٢/١٢٤ غ •

رابعاً : التشديد والتخفيف •

روى الفراء وأبو عبيد : يقال : اجلس ههنا أى قريباً •• قال:
وههنا أيضاً تقوله : قيس وتميم • اللسان ٢٠/٣٧٤ غ •

خامساً : مطل الحركات والحروف وانتقاصها فى لهجات القبائل •

١ — أجاز الكوفيون حذف الياء المفتوح ما قبلها مثل اخشين يا هند
فتقول على لهجتهم : اخشن يا هند بحذف الياء • وحكى الفراء أنها
لغة لطية • الاثموني ٣/٢٢٣ ، الهمع ٢/٧٩ ، الخزانة ٤/٥٨٠ غ •

٢ — وقد تسقط العرب الواو وهى واو جماع ، اكتفى بالضممة قبلها فقالوا

(١) وفى القرآن : من الصواعق : البقرة ، وقرا الحسن : الصواعق •
وهى لغة تميم وبعض ربيعة • الاتحاف ١٣٠ هامش •
(٢) فى قوله تعالى « من كل فج عميق » الحج • ويقال : معيق •

فى : ضربوا قد ضرب •• وهى فى هوازن وعليها قيس (١) معانى
الفراء ٩١/١ غ •

٣ - ويقال للمنخر : منخور (٢) وهم طبيىء • معانى القرآن للفراء
١٥٢/٢ غ •

٤ - المستوى النحوى

أولاً : الاعراب والبناء •

١ - وحكى الفراء عن كثير من أهل نجد أنهم يجرون الخبر بعد (ما)
بالباء وإذا أسقطوا الباء رفعوا • الخزانة ١٣٣/٢ ق •

وفى ابن عقيل ٢٦٦/١ أن سيبويه والفراء رحمهما الله تعالى نقلتا
زيادة الباء بعد (ما) عن بنى تميم - فلا التفات الى من منع ذلك •

٢ - عزا الفراء فتح لام كى الى تميم (٣) ، معانى القرآن للفراء
٢٨٥/١ غ •

٣ - حكى الفراء أن فتح لام الأمر لغة معزوة الى قبيلة سليم • وقد نقل
ذلك ابن مالك • البحر المحيط ٤١/٢ ، والنهر الماد ٤١/٢ غ •

٤ - يعرض العرب يجرى (كلا وكلتا) مع الظاهر مجراهما مع المضمر فى
الاعراب بالحرفين وحكى (رأيت كلى أخويك) وعزاها الفراء الى
كنانة • ارتشاف الضرب ٦٤/١ مصور بالدار رقم ٦١٥٦ ، الهمع
٤١/١ غ •

(١) وأورد شواهد ثلاثة على هذه اللهجة •

(٢) ولعل السبب فى وجود صيغة (منخور) اختلاف موقع •

(٣) وزعم يونس أن ناساً من العرب يفتحون اللام التى فى مكان (كى)
وزعم خلف الأحمر أنها لغة لبنى العنبر • خزانة ٣٧٦/٤ • وفى حاشية الأمر
١٨٥ : ان عكلا وبلغنبر يفتحون لام الجر بشرط ان تدخل على فعل منصوب
بأن مضمره •

٥ - عزاء الفراء فتح نون المثني مع الياء لغة لبنى أسد (١) • ارتشاف
الضرب ٦٤/١ غ •

٦ - بعض العرب يجرى (بنين وباب سنين) وان لم يكن علما مجرى
غسلين في لزوم الياء والحركات على النون منونة غالبا على لغة
بنى عامر ، وغير منونة على لغة بنى تميم حكاها عنهم الفراء (٢)
التصريح ٧٧/١ ، الهمع ٤٧/١ غ •

٧ - الجرب (لعل) لغة عقيلية حكاها أبو زيد والأخفش والفراء (٣) •
الهمع ٣٣/٢ لسان ٥٠٢/١٣ غ •

٨ - كما روى عن الفراء على المستوى النحوى ما يتصل بالاستثناء عند
القبائل • معانى القرآن للفراء ٤٨٠/١ •

٩ - بعض بنى أسد وقضاعة (٤) ينصبون (غيرا) اذا كانت في معنى
(الا) تم الكلام قبلها أم لم يتم يقولون : ما جاعنى غيرك ، وما
أتانى أحد غيرك غ •

التصريح ٣٦١/١ • اللسان ٣٤٤/٦ • معانى القرآن للفراء
٣٨٢/١ •

١٠ - فى نقل عن الفراء نصب الجزئين بـ (ليت) وهى لغة تميم •
الخرانة : ٢٩١/٤ غ •

١١ - وكنانة يقولون : (اللدون) (٥) معانى القرآن للفراء ٧٨/٢ غ •

(١) وقال الكسائى هى لغة لبنى زياد بن فقعس • التصريح ٧٨/١ •

(٢) وأعراب هذا النوع : أعراب الجمع لغة الحجاز وعلياء قيس •

الهمع ٤٧/١ •

(٣) وسمع أبو زيد من عقيل (لعل زيد قائم) •

(٤) وقد أضاف الجوهري الى هاتين القبيلتين بنى شهل • المصباح

٧٠٤/٣ •

(٥) عزيت هذه الصيغة لبنى عقيل • النوادر لابى زيد ٨٩ • وعزاها

الشمونى ١٤٩/١ لهذيل أو عقيل • ثم يقول : وأو : للشك (التصريح

١٣٣/٢) وابن عقيل : ١٢٥/١ يعزوها لهذيل فقط ، وابن الشجرى فى

الأمالى ٣٠٨/٢ يعزوها كذلك لهذيل ، وذكر ابن مالك انها لغة طيء :

الارتشاف ١٣٦/١ •

- ١٢ — وقال الفراء في (لغات القرآن) وربما قالوا : هذان ذوا تعرف • وهؤلاء ذوو تعرف (التصريح ١٣٨/١) ق •
- ١٣ — وقال الفراء في (لغات القرآن) سمعنا أعرابيا من طيء يسأل في المسجد الجامع ويقول (بالفضل ذو فضلكم الله به ، والكرامة ذات أكرمكم الله به) التصريح ١٣٨/١ • فبنى ذات — على الضم ونقل حركة الهاء الأخيرة الى ما قبلها وحذف الألف فسكنت الهاء (١) ق •

٥ — التراكيب الأثرية في لهجات القبائل

قال الفراء : وسمعت بعض بنى سليم يقول في كلامه : كما أنتنى

(١) أثرت امثلة لهذه الظاهرة في كتب علوم القرآن (البحر ٣٣٨/٢) وكتب الادب والامثال (الامثال للميداني ٦٨/١) وكتب اللغة (نوادر أبي زيد ٦١ ، الكامل ١٣٨/٢ ، آمالي الشجرى ٣٠٦/٢ ، المزهري ٥٣٦/١ ، ٤٣٨/٢) ومؤلفات الشعر (شرح الحماسة ٥٩١/٢) والمعجم العربية (المخصص ١٠٢/١٤ . اللسان : ٣٤٨/٢٠) ومصادر النحو العربي (شرح السيرافي على سيبويه ٤٣/٤ . الانصاف ٢٣٥/١ . ابن يعيش : ١٤٨/٣ . الشذور ٦٥/١ التصريح ١٣٨/١) كما اثير لها امثلة في كتب التاريخ القديمة (الاكليل ٢٣٨/٨ للميداني) ونلخص الاتجاهات التي في هذه المصادر : ذو = استعملت بمعنى الذى عند طيء ، وعند غيرهم تكون بمعنى صاحب ، ويظهر أن ذو — الطائفة كانت مضطربة عند قبائل طيء فبعض طيء وهم أكثرهم تكون عندهم بلفظ واحد للمذكر والمؤنث مفردا ومثنى وجمعا ، كما أنها تكون للعاقل وغيره .

والفريق الآخر من طيء كان يعربها بالواو رفعا وبالألف نصبا وبالياء جرا — ومعنى هذا أنها كانت مثل (ذى) بمعنى صاحب — كما أن بعض طيء قد اتجه ناحية مخالفة لما مضى فهو يثنيتها ويجمعها . كما وجدنا بعض طيء يجعل مكان الذى — ذو ومكان التى — ذات ويرفعون التاء على كل حال .

وإذا كان المعروف في طيء أنها لا تنثنى ولا تجمع كلمة (ذات) وأنها تبقى مبنية على الضم ، فقد حكى عن بعضهم تثنيتها وجمعها .

وقال أبو حيان (حكى لى شيخنا الامام بهاء الدين الحلبي أن بعضهم حكى اعرابا أعراب ذوات — بمعنى صواحب ثم عقب على ذلك بقوله : وهو نقل غريب (الارتشاف ١٣٧/١ مصور) وقد ورد صدى لبعض هذه الظواهر في كل اللغات العربية الجنوبية ، وكذلك في اللهجات العربية القديمة كالتيمورية والصفوية واللحيانية .

ومكانتكنى - يريد : انتظرني في مكانك (١) • معانى القرآن للفراء
٣٢٣/١ غ •

٦ - المستوى الدلالي

١ - سمعت أعرابيا يقول : بع لى تمرا بدرهم - يريد اشترلى تمرا •
وقيل لجريير من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :
ويأتيك بالأخبار (٢) من لم تبع له •• بتاتا ولم تضرب له وقت موعد
أراد من لم تشتتر له • والبنات : الزاد (الأضداد لابن الانبارى ٦١)
وفي معانى الفراء ٥٦/١ أن هذه اللغة في تميم وربيعه • وكان الفراء
يفسر قوله تعالى « بئسما اشترتوا به أنفسهم » البقرة
آية ٩٠ (٣) ق •

٢ - يعزو الى بنى أسد كقوله : الحائب في لغة بنى أسد (٤) القاتل
(الأضداد لابن الانبارى ١٤٦ • ولعله كان يتحدث في تفسير قول
الله « انه كان حوبا كبيرا » النساء آية ٢ • وفي مكان آخر يقول
ورأيت بنى أسد يقولون ••••• معانى القرآن للفراء ٢٣٥/١ ق •
٣ - قال الفراء والكسائى في (هيت) (٥) هى لغة وقعت لاهل الحجاز

(١) والمعروف في العربية أن العرب تأمر بالظروف وحروف الجر ،
مثل عليك ، ودونك ، واليك ، يقولون : اليك اليك ، يريدون : تأخر •
(٢) في معانى القرآن للفراء ٥٦/١ أنشده بعض ربعة •
(٣) وقال قطرب : شريت بمعنى بعث لغة لغاضرة • الأضداد لابن
الانبارى ٦١ •
(٤) وفي اللسان ٣٢٩/١ : الحوب لاهل الحجاز ، والحوب لتميم
ومعناها : الاثم •

(٥) وقال أبو زيد الانصارى هى بالعبرانية وأصله (هيتالج) أى
تعال • الاتقان ١٤١/١ لسان (هيت) • وعن ابن عباس : بالقطبية • وقال
الحسن : بالسريانية وقال عكرمة هى بالهورانية • الاتقان ١٤١/١ وفى
المؤكل للسيوطى ص ١١ بالنبطية ، ومعناها = هلم لك • وقرئ
(هئت لك) ومعناها : تهيأت لك وانظر تعليق أبا عمرو على هذه القراءة :
مجاز القرآن لأبى عبيد ٣٠٥/١ • وقرأ على رضى الله عنه : ها انا لك •
شواذ القرآن لابن خالويه ص ٦٣ وقرئ هئت لك - فعل صريح مبنى
للمفعول : البحر ٢٩٤/٥ •

• فتكلموا بها • النشر ٢/٢٩٥ ق •

قال الفراء ، ويقال : انها لغة أهل حوران * ، سقطت الى أهل مكة فتكلموا بها • لسان (هيت) •

٤ — الهون في لغة قريش : الهوان ، وبعض بنى تميم يجعل الهون مصدرا للشئ الهين • معانى الفراء (١) ٢/١٠٦ ق •

المنهج الذى سار عليه الفراء من خلال الروايات والنقول والنصوص الخارجية التي نقلت عنه

١ — يلاحظ أن الفراء كان يعزو كثيرا الى قبائل أسد وبطونها فقد قمت باحصائية عن اللهجات في معانى القرآن له • وكان ميدان هذه الاحصائية من سورة الفاتحة الى آخر سورة الزمر وهى كما يلى :

أسد تميم ربعة هوازن بعض قيس قريش هذيل سليم الحجاز

١١	١١	٢	١	٦	٢	٢	٥	١٦
----	----	---	---	---	---	---	---	----

عكل عقيل العالية قضاة عمان طيء فزارة كلاب عامر حوران نجد

٣	١	٢	٣	١	٣	١	٢	١	٤
---	---	---	---	---	---	---	---	---	---

الخع بنو انسان الانصار الحارث بن كعب كنانة حضرموت اليمن

١	٢	١	١	١	٢	١	٢
---	---	---	---	---	---	---	---

تهامة نمير علياقيس •

وتشير الاحصائية الى أن قبيلة أسد لم يتقدم عليها في الكثرة الا لهجة الحجاز وحدها ، مما يحسم الخلاف بين المؤرخين حين

(١) بمناسبة قوله تعالى « أبمسكه على هون » النحل آية ٥٩ .
★ يراد بالهورانية أو النبطية — اللغة الآرامية عند اللغويين المسلمين كما اثار الى ذلك نولدكه في ZDMG ١٢٢/٢٥ .

اختلفوا في نسب الفراء هل هو مولى لبنى أسد أم مولى بنى منقر ؟ ، فهو اذن أسدي وقد رجح هذا الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه (أبو زكريا الفراء) ص ٤٢ ، ولا غرو اذا فتن بقبيلته ولغتها (وانما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى) •

٢ — والحديث عن معانى القرآن للفراء ، يدعونا الى الحديث عن كتاب آخر صنوه وهو كتاب (المجاز) لأبى عبيدة ، وحسبنا أن نذكر احصائية للهجات القبائل في كتاب (المجاز) حتى نقف على مدى اهتمام الفراء بتسجيل لهجات القبائل وروايتها عن العرب • وكان ميدان هذه الاحصائية كما سبق في معانى القرآن للفراء وهى :

تميم أكلونى البراغيث نجد الحجاز العالية كنانة بعض المكين •

١ ١ ١ ١ ١ ١
وهذا الخلاف بين الرجلين في رواية اللهجات يوضح الى حد كبير الخلاف بين المدرستين البصرية وهى التى ينتمى اليها أبو عبيدة ، والكوفية وهى التى ينتمى اليها الفراء • كما أننى أرجح أن كتابى الفراء كانا أعظم قدرا ، وأوفى نصيبا من كتابى الأصمعى فى (اللغات) و (لغات القرآن) ولعل السبب فى ذلك يرجع الى الاختلاف بين المدرستين التى ينتمى اليها كل منهما • فالأصمعى البصرى كما يروى أبو حاتم لم يقل (ديار ولا ديور ، لأن ديارا فى القرآن : الجمهرة ٣/٤٨٣) ويقول ابن دريد (ورغا اللبن وأرغى وسرى وأسرى ، ولم يتكلم فيه الأصمعى ، لأنه من القرآن) الجمهرة ٣/٤٣٤ • وسحته وأسحته • • • ولم يتكلم فيه الأصمعى الجمهرة ٣/٤٣٦) ، لأن فى القرآن (فيسحتكم) ولعله كان يخاف أن يزل فى القرآن • كما كان الأصمعى ينكر لهجات عربية مثل : تميم (المصباح ٢/١٠٣٨) ونجد (اللسان ١٧/١٩٤) كما أنه لم

يتكلم في « عصفت الريح » و « أعصفت » ، لأن في القرآن (ريح عاصف) ، الجمهرة ٣/٣٥٠ . لكن الفراء المتحرر عزاها الى بنى دبير ، وهم بطن من أسد ، وأورد شاهدا لها . معانى القرآن للفراء : ١/٤٦٠ . كما كان الفراء يحتج اللهجات العربية بالقراءات القرآنية توجيهها وتنظيرها (انظر نصوص الكتابين) .

٣ — ان كتابى الفراء كانا معينين استقيا منهما اللغويون والمفسرون (البحر ٣/٢٤٧ ، ٣/١٩٣) ، (اللسان ٧/٢٨٥) ، (التصريح ١/٧٧) ، (الهمع ١/٤٧) .

٤ — بعض الظواهر الصوتية كان سيويها يراها ضرورة ويراهها القراء لغة عن العرب (عبث الوليد ٢٢٥) وكثيرا ما كانت اللهجة تشتجر مع الغلط أيضا ، ولكن الفراء يحكيها لهجة عربية المزهر — ٢/٢٥٢ ، ٤٩٦ البحر ٢/٤٩٩ . وهذا يوضح اعتداده للهجات القبائل وتقديره لكل ما سمع من العرب .

٥ — أنه كان يؤكد لهجات القبائل بالسماع والسند وتسلسله ليحيطها بسياج من التوثيق ، حماية لها من الوضع والتدليس — وهذا يؤكد تأثره بمنهج المحدثين وبالنزعة السلفية (انظر معانى القرآن للفراء ١/٤١ ، ٥٦ ، ٩١ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٥٣ ، ٣٢٣ ، ٤٥٩) ٢/٣٣ ، ١٥٠ ، ٦٤ ، ٢٤٩ كما كان يوثق اللهجة بالرؤية وهي ملاحظة مباشرة . معانى القرآن للفراء ١/٢٥٣ .

٦ — كما كان دقيقا في عزوه اللهجات فيستعمل الكثرة كقوله (وهى كثيرة فى أسد وتميم وعامر . معانى القرآن للفراء ٢/٩٢) (وكثير من أهل نجد والخزاعة ٢/١٣٣) ويستعمل كلمة (بعض) : كقوله (سمعت بعض بنى عقيل) معانى القرآن للفراء ١/٢١٦) أو كلمة (خاصة) كقوله (وذلك فى بنى دبير من بنى أسد خاصة) الابدان لأبى الطيب ١/٢٦٠ .

٧ - ويسم لهجة الأنصار بأنها من المرفوض (معانى القرآن للفراء ١٥٣/٢) أو يصف اللهجة بـ (العالية) اللسان ٥٤/١٨ • أو أنها (أفصح) أو (أكثر) المذكر والمؤنث للفراء : ٢٦ ، ويصف لهجة تميمية بأنها لا تصلح في الكتاب أى في القراءة (معانى القرآن للفراء : ١٦٤/٢) •

٨ - كثرة الاستعمال وأثرها في حذف جزء من الكلمة في لهجة بنى فزارة : معانى القرآن للفراء ٩/٢ •

٩ - كثرة الشواهد التى يحتج بها لتوثيق اللهجة • اللسان ١٤٨/٦ معانى القرآن للفراء ١/٤٦٠ ، ٩١ ، المذكر والمؤنث للفراء ص ٢٦٠ •

١٠ - ومن أوليائه أنه سمع نصا لهجيا من قبيلة بنى انسان (١) معانى القرآن للفراء : ١٠٧/٢ •

١١ - كما كان الفراء أمينا ثقة لا يتورع أن يقول (لا أعرف) فقد عقب على قراءة (صلنا) بالصاد فى (ضلنا) السجدة آية ١٠ بقوله : ولست أعرفها الا أن تكون لغة لم نسمعها • معانى القرآن للفراء ٢/٣٣١ •

١٢ - ويظهر أن لغات القرآن - للفراء لم تكن مقصورة على لهجات القبائل العربية وحدها بل شملت لغات أخرى غير العربية يؤكد هذا قوله فى سورة المؤمنين آية ١١ (الفردوس) قال الكلبى : هو البستان بلغة الروم وقال الفراء وهو عربى أيضا العرب تسمى البستان : الفردوس (٢) (معانى القرآن ٢/٢٣١) وتعليق

(١) وهى اسم قبيلة عربية • نهاية الأرب للقلقشندي : ٨٨ •
 (٢) وفى المتوكلى : فيما ورد فى القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية (دمشق ٣٤٨ هـ) • للسيوطى وردت : الفردوس مرتين الأولى ذهب الى أنها رومية ص ٨ ، والثانية الى أنها : الكرم بالنبطية ص ١١ ، وأصلها (فرداسا) •

الفراء يوضح لنا مذهبه في المعرب *

١٣ — وكان الفراء في حالات نادرة يشترك في حكاية اللهجة مع غيره
كتطرب (الهمع ٢/٢٠٩) وأبى زيد (ليس في كلام العرب ١٢)
وأبى عبيد (اللسان : ٢٠/٣٧٤) والأخفش (الهمع ٢/٣٣)
والكسائي (النشر : ٢/٢٩٥) *

وبعد فان بحث كتب (لغات القبائل) و (لغات القرآن) المفقودة :
أولا : تسد شجرة في تاريخ الجانب اللغوي والقرآني ، لأنها
تعتبر أما في توثيقها للهجات القبائل *

وثانيا : تحمل في بطونها بذورا للعربية في تاريخها الطويل ، فهي
حقل غنى ومعلمة زاهرة في الدراسات الصوتية والنحوية والدلالية *
وأخيرا : فان استخلاص ما سبق من غصون حقل العربية الثنتيت
على قدر استطاعتي *

— بعد ان بوبته ونسقته وعلقت عليه — يعتبر عملا خطيرا ، لأنه
بعث الى الحياة مرة أخرى — تراثا قد اختفى ، ونورا كاد يخبو ، والحمد
لله على ما هدى اليه وأعان عليه ، وسبحانك اللهم وبحمدك * اشهد
ألا اله الا أنت * أستغفرك وأتوب اليك *

للبحث بقية

دكتور أحمد علم الدين الجندي

مقطعات من عالم النفس البشرية

للكثر محمد محمد خليفة

طبيعة وطباع ودخائل ونزعات
وألوان وظلال واشراقات أو ظلمات
تفردت بها عن غيرها من الصور
فقد اختلفت صور النفوس بين
الأمراض النفسية في شتى أنواعها ،
وبين الصحة في تباين قواها ، وبين
الخيرية في تساميتها ومعاليها ، وبين
البشرية في تحدرها ومهاويها ،
كما اختلفت من حيث الضمائر صحة
ومرضا وحياة وموتا ويقظة ونوما
وحبا وحقدا ، وحلاوة ومرارة
وسيطرة على الأهواء واستسلاما
لها ، ومن حيث العقيدة ايمانا وكفرا
أو نفاقا ، ومن حيث العقل ذكاء
أو غباء أو وعيا ، ومن حيث المشاعر
قوة أو ضعفا ، وتلهبا أو خفوتا •

ولم تجتمع نفس وأخرى منذ
بدء الخليقة في كل ما أفردتها الله به

يزدحم عالم النفس البشرية منذ
بدء الخليقة الى يوم القيامة بأشتات
من النفوس تباينت طباعها وأخلاقها
وسلوكلها وغرائزها وميولها وطاقاتها
وذكاؤها ووعيتها وأحاسيسها
ومداركلها وطواياها وان كانت من
طينة واحدة ، أو ربطها دين واحد
أو عادات أو لغة أو اقليم ،
أو اجتمعت في رحم أو تلاققت في
وراثه ، ولو شاء الله لصنع النفوس
موحدة الطباع والسلوك والميول ،
ولكن حكمته في ذلك التباين تقف
«دونها أفهام البشر ، ولا تدرك كنهها
عبقريات العقول •

وان الغوص في عوالم النفس
البشرية لاستكشاف دخائلها
ليسلمنا الى صور مختلفة عدد
ما خلق الله من البشر ، ولكل صورة

الحيوانية وجبروتها حيث فرضت عليها سلطانها فاستسلمت لها أو أن الحيوانية التي تعيش في الانسان هي الحيوانية التي غلبت انسانيتهما، وان كان في بعض النفوس الانسانية بعض الفضائل والخير أودعها فيها خالقها ، أو ساقها اليها طول التأمل ، أو الايمان بالحق الذي أودعه الله في الخلق ، وربما كانت تلك الفضائل أثر الدين جاء به نبي ، أو لاصلاح دعا اليه مصلح ، وما أكثر ما كانت النفس البشرية منجما يزدهم بمعادن الخير ، وما أكثر ما كانت مصنعا لنوازع الشر ، وما أكثر ما كانت مرآة تنعكس عليها طباع الحيوانية الكامنة فيها ، أو فضائل الخير التي تترفع بانسانيتها عن وحشية الحيوانية وطباعها •

وما زالت نوازع الخير ونوازع الشر تعيش في حيوانية الحيوان وحيوانية الانسان فلا يقتلع جذور الشر من حيوانية الانسان غير دين يهدي الى الخير ويقود الى الحق : فأناية السبع التي يثيرها حب التملك والسلطان حتى يستتبع

من صفات خلقية أو خلقية ، وربما تشابهت بعض النفوس في الخلق أثرا للوراثة أو البيئة ، ولكنهما تختلفان فيما أودع الله في كل منهما من الصفات الخلقية والطباع •

وقد خص الله كل نوع من الحيوانات والزواحف والحشرات والطيور وعوالم البحار بطباع وغرائز تجلت فيها وامتاز كل نوع منها عن غيره بطباع خاصة :

فللسبع بطشه وأثرته ، وللذئب غدره ، وللثعلب مكره ولليربوع خداعه ، وللنمر شراسته وللحيات خبثها وللكلب وفاءه وللجمل صبره وللبعض الطيور ايثارها ، وقد شاركت بعض النفوس الحيوانية في تلك الطباع : فكثيرا بعض النفوس الانسانية طبعت على حب البطش والأثرة ، وكثيرا ما ينطوى البعض على الغدر أو المكر وكثيرا ما يتبدى في البعض الخداع أو الشراسة أو الخبث ، وكثيرا ما يظهر في البعض الوفاء أو الصبر أو الايثار ، وكأن النفس الانسانية حين تتأثر بتلك الطباع الحيوانية الغازية قد ضعفت فيها انسانيتهما أمام طغيان

ذلك عن تحقيق أحلامها ، وما يتخذها
اليربوع في صنع جحره من وسائل
التضليل والخداع هو ذلك الذى
ينسججه المنافق من خداع ليحقق
مطامعه ، ويرضى خسائس نفسه
الأمارة بالسوء وطالما جعل طول
النفاق فى المنافقين القدرة على صنع
الأقنعة التى يوارون بها حقائق
وجوههم ، وما تحمل من ألوان
الغش والخداع ، ولكن تلك الأقنعة
المضللة لن تحجب ما وراءها عن
بصائر المؤمنين التى جعل الله فيها
قدرة على النفاذ الى دخائل النفوس
واستشفاف ما يتفاعل فيها من
الشر •

وشراسة النمر تثير فيه القسوة
حتى بالضعاف من الحيوانات التى
لا تملك شيئاً من قوة تقاوم به عنف
ثورته وبشاعة شراسته هى هى
شراسة النفوس البشرية التى تفنن
فى تعذيب مناوئيهـا حفاظاً على
سلطان من أصحاب تلك النفوس ،
أو هى نفوس أولئك الذين باعوا
رحمتهم بثمن بخس لدينا غيرهم
ممن حكموا فجاروا ، أو استرعاهم
الله أمانة محكوميهـم فخانوا أمانة

لنفسه الفتك بمن يتصدى له حين
اقتناص فرائسه هى هى نفس
الأنانية التى تستبد بنفوس
اللصوص ، وتنسيهم انسانيتهـم
حينما يفتكون بمن يحولون بينهم
وبين ما يسلبون من مال أو متاع ،
وانهم ليستبيحون سفك الدماء فى
سبيل ارضاء لصوصيتهـم التى
تثيرها شهوة التملك ، وغدر الذئب
حين تمزق أنيابه وأظفاره من قد
يحسن اليه فيطعمه رحمة به وانقاذاً
له من غوائل الجوع هو هو غدر
النفس البشرية التى تعض أيدي من
ترد عطاياهم عنها غوائل المسغبة ،
بل قد يثيرها الغدر والحقد الى
الفتك بالمحسنين لا لشيء الا أن الله
جعل أيديهم هى العليا •

ومكر الثعلب ومراوغاته واحتياله
على فريسته حتى اذا تمكن منها
استبد بها هو هو مكر النفوس
المريضة التى تراوغ وتحتال حتى
تظفر بمآربها ، وانها لتدوس فى
سبيل أمانيهـا كل القيم والمثل ،
ولا يضيرها التخلّى عن الأخلاقيات
والتجرد من كرامة الانسانية
وقدسية الفضائل اذا كان يعوقها

في الحياة فان في بعض الحيوانية
التي تعيش في الوجود بعض
الفضائل الخيرة :

فوفاء القلب الذي ضرب به المثل
في ذلك حيث يتجلى في دورانه
وتوابعه وتمسحه بصاحبه حين يراه
بعد غياب وان كان لحظات هو هو
وفاء بعض الأصفياء حين يتعانقون،
وتتلاقى أرواحهم مع عناقهم فيفرغ
كل منهما في قلب صفيه اشراقات من
نور الحب الصادق ، وما أكثر أولئك
الذين تحابوا في الله في فجر
الاسلام ، وتآلفت أرواحهم في ظل
الايمان ، والتقوا في رحابه مع
أسمى جمال الخير والبر والرحمة •

وصبر الجمل الذي ضرب به
المثل في قوة احتمال عذاب الأسفار
في لفح الهواجر لم تنهه من قوته
وعزيماته حرارة الصحراء ولا حرارة
العطش هو صبر المؤمن على
مشقات التكليف السماوية
وما يقاسيه في أدائها من الجهد ، بل
انه ليستعذب في سبيل رضوان الله
ما يكابده من عناء •

وما أكثر ما يبذل المؤمن الصادق

الله ، بل حلت لهم شهوة الظلم حتى
استباحوا في سبيل ارضاء شهواتهم
أنكى وسائل التعذيب ، وطالما احتفظ
التاريخ بصور المعذبين التي تحكى
على الزمن ما عانوا من شراسة
النفوس البشرية في سبيل دينهم
أو مبادئهم •

وخبت الحيات الذي قد يفتك
بمن يحسن اليها فيحميها من غوائل
البرد ، ويحفظ لها حياتها هو هو
خبت النفوس التي لا يعيش فيها
غير الحقد كل الحقد الذي يستبد
بحياتها ولا يدع بينها مأوى لذرة
من ذرات الخير تستطيع أن تطفئ
يوما جذوة الحقد التي يسعها حب
الانتقام وحب التغلب وحب السلطة
وحب التزعم •

وما أكثر أصحاب هذه النفوس
بين عالمنا الذي ألهب صراعه الخبث
الدفين فاستباح اراقة الدماء
وتجويع البطون واذلال الأباة
وتمزيق الأواصر في سبيل ارضاء
ضراوة الخبث •

ومع كل هذه الخسائس التي
تفعل أفاعيلها في تدمير صروح الخير

وقد حدثنا تاريخ عائشة رضوان الله عليها أن معاوية بعث اليها في خلافته ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق وجعلت تقسمه بين الناس ، فلما أمسست قالت : يا جارية هلمى فطورى (وكانت صائمة) فجاءتها بخبز وزيت ثم قالت لها الجارية : ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه ، فقالت : لو ذكرتيني لفعلت ، وقد نسيت عائشة نفسها التي بين جنبيها وهي تقسم الأموال ، فلم تثر شهوتها للحم وبين يديها أكوام الدراهم فتذكر نفسها وحاجة معدتها ، ولكنها ذكرت البيوت التي سكنها الحرمان فأثرتها على نفسها حتى أنفدت عطية معاوية فلم تبق منها درهما واحدا لنفسها ولجارياتها •

ولعل تلك النفحة من نفحات بيت النبوة تأخذ طريقها الى النفوس فتتنفّض فيها نوافح الخير والرحمة وتربط حياتها بعمل يقربها الى ساحات المؤثرين الذين زهدوا في متاع الحياة (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) وليت النفوس

من صبره وطاقاته في كل ما يقربه من ساحة الرضوان •

والايثار الذي نراه في الكثير من الطيور التي تغدو وتروح لتلتقط قوت فراخها وتؤثرهم به •

هو هو الايثار الذي عرفه المسلمون في نفوس آل بيت النبوة ، فظالما كان يراهم المسلمون وبيوتهم تضيق بما أفاء الله عليهم وعلى المسلمين من غنائم حتى اذا أمسوا خويت البيوت من كل شيء الا من شكر الله وحمده ، وخرج كل ما فيها فأخذ طريقه الى بيوت المعوزين وأفواه اليتامى وبطون المحرومين ، وهذا ما تحدث به الصديقة بنت الصديق عائشة رضوان الله عليها فتقول :

ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا ، وقد ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم آل بيته على الايثار وطبع نفوسهم عليه فعاشوا بعد الرسول يأتسون به ويعملون عمله •

انطوت فيها حيناً من الدهر لترجع
الى حياة مؤمنة تخاف في ظلها سوط
الضمير ، وتتطلق في سبيل الخير
الذى يدعوها اليه نداء الضمير
المؤمن •

وليت النفوس البشرية تسمو
الى انسانياتها راجعة الى ربها
راضية مرضية ؟ !

دكتور : محمد محمد خليفة

تنتزع من جوانحها أشواك الشر
وضراوة الحيوانية لتعلو بانسانيتها
عنى أحوال الدنيا ، بل تستأصل
جذور الشر من طريق الانسانية ،
ثم تبذر بذور الخير لتطيب في
ظلالها حياة البشر •

وليت النفوس البشرية تصحو
ضمائرهما أو تمزق أكفانها التى



الذميون في بلاد الإسلام

مستشار محمد عزت الطرطاوي

لا يمنع المسلمين من مخالطة غير المسلمين ، ولا يمنع هؤلاء من الإقامة مع المسلمين في دار الاسلام .

والمجتمع المسلم ، وان كان يقوم أساساً على عقيدة الاسلام ، منها تنبثق نظمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه ، لكنه لا يحكم بالفناء على جميع العناصر التي تعيش في داخله وهي تدين بدين آخر غير الاسلام ، بل يقيم العلاقة بين أبنائه المسلمين وبين مواطنيهم من غير المسلمين على أسس وطيدة من العدالة والتسامح والبر والرحمة — وهي أسس لم تعرفها البشرية قبل أن تشرق عليها شمس الاسلام بل كانت تقاسى قبل ظهوره الويل من فقدانها — ولا تزال الى اليوم

الذمة لغة معناها العهد والضمان والأمان — والذميون هم أصحاب المصلحة في هذا العهد — وسموا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الاسلام — وفي كتف المجتمع الاسلامي آمنين مطمئنين فهم في أمان المسلمين وضمانهم بناء على (عقد الذمة) فهذه الذمة تعطى أهلها من غير المسلمين ما يشبه في عصرنا الحالي (الجنسية السياسية) التي تعطىها الدولة لرعاياها فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين ويلتزمون بواجباتهم .

والأصل أن المسلمين هم أهل دار الاسلام — لكن قد يسكن معهم طوائف الذميين لأن الاسلام

في هذا الفريق من هو ذمى عن طريق القرائن الدالة على رضاه أو بالتبعية لغيره أو بالغلبة والفتح •

الجنسية الأصلية - والجنسية اللاحقة :

إذا اكتسب الذمى جنسية دار الاسلام في لحظة ولادته فهي جنسية أصلية وإذا اكتسبها بعد ولادته فهي جنسية لاحقة •

وتتصور الجنسية الأصلية للذمى في حالة ما إذا ولد للذمى ولد فان هذا المولود يتبع أباه في الذمة من لحظة ولادته فيكتسب جنسية دار الاسلام ، أما إذا كان للذمى ولد صغير عند ارتباطه بعقد الذمة فان ولده الصغير هذا يتبعه في الذمة أيضا فيكتسب جنسية دار الاسلام وتكون هذه الجنسية في حقه جنسية لاحقة - وكذلك الزوجة تدخل في الذمة تبعا لزوجها أو إذا تزوجت ذميا فتكتسب جنسية دار الاسلام ، وتكون هذه الجنسية بالنسبة لها جنسية لاحقة •

تتطلع الى تحقيقها في المجتمعات الحديثة نظرا لما غلب عليها من هوى وعصبية وأنانية وضيق في الأفق جرتها الى صراع دام مع المخالفين في الدين أو المذهب أو الجنس أو اللون •

عقد الذمة :

عقد الذمة عقد مؤبد - وقد يكون هذا العقد صريحا ويتضمن اقرار غير المسلمين في بلاد الاسلام على دينهم وتمتعهم بحماية الجماعة الاسلامية ورعايتها ، بشرط تقديم الجزية - والتزامهم أحكام القانون الاسلامى ، في غير الشؤون الدينية - وبهذا يصيرون من أهل دار الاسلام ، وبناء على هذا العقد تنشأ حقوق متبادلة لكل من طرفيه المسلمين وأهل ذمتهم فضلا عما يرتبه من واجبات •

وقد يكون عقد الذمة عن طريق ارادة الدولة الاسلامية نفسها ، فهي التي تمنح الذمة أى الجنسية لغير المسلم بمحض ارادتها ، وتقديرها وفقا لقواعد الشريعة ، وما تقتضيه مصلحة الدولة فيدخل

فقد الجنسية بالنسبة للذمي :

يفقد الذمي جنسيته اذا قام بما تنتقض به الذمة ، كما لو لحق بدار الحرب الا أنه مادام لم يظهر منه ما تنتقض به الذمة ، فان الدولة الاسلامية لا تملك نزع الجنسية عنه .

القاعدة العامة في حقوق وواجبات الذميين :

ذكر الامام الكاساني في بدائعه حديثا للنبي صلى الله عليه وسلم عن الذميين فيقول (قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا قبلوا عقد الذمة ، فأعلمهم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) .

ويقول الامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه (انما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودمائهم كدمائنا) .

وفي شرح السير الكبير للامام السرخسي يقول (ولأنهم قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم وحقوقهم كأموال المسلمين وحقوقهم) .
وطبقا لهذه القاعدة، فان الذميين

حكمهم كالمسلمين في الحقوق والواجبات ، الا أن هذه القاعدة يرد عليها استثناء هو أن الدولة الاسلامية تشترط للتمتع ببعض الحقوق توافر العقيدة الاسلامية في الشخص ، ولا تكتفى بتبعيته لها — ولا غرابة في هذا الاستثناء لأن الدول حرة في تنظيم تمتع مواطنيها بالحياة القانونية الداخلية فقد تساوى بينهم وقد تفرق ومادامت الدولة الاسلامية تعتبر الوصف الديني هو الأساس المقبول للتمييز بين الوطنيين في بعض الحقوق لأنها محكومة بالاسلام ، فلا تملك الخروج على أحكامه — والاسلام يشترط للتمتع بهذه الحقوق المعينة توافر العقيدة الاسلامية في هذا الشخص .

كما أن هذا الوصف الديني تعتبره الدولة الاسلامية في تفرقتها بين مواطنيها في بعض الواجبات التي تتطلبها أحكام الاسلام .

فالزكاة مثلا : يلتزم بها المسلم دون الذمي — والجزية يلتزم بها الذمي دون المسلم والجهاد بما فيه

(كما سبق بيانه) أن تشترط بعض الشروط الخاصة التي تراها ضرورية فيمن تكلفه بمثل هذه الوظائف التي لا يكلف بها الذمي ، لأنها تقوم على أساس العقيدة الاسلامية أو تتصل بها ، ويظهر فيها عنصر التدين بارزا فكان قصرها على المسلم سائغا مقبولا لأن الذمي لا يشارك المسلم في أمور الديانات ولا فيما يتصل بالعقيدة الاسلامية أو يقوم عليها .

بالنسبة لحق الانتخاب وحق الترشيح لخليفة المسلمين :

يشترط فقهاء الاسلام في الشخص الذي يقوم بانتخاب أمام المسلمين (وهو الخليفة) ما يشترط في الامام نفسه أى أن يكون مسلما — وعلى هذا يكون حق انتخاب الامام مقصورا على المسلمين وحدهم ممنوعا عن غيرهم .
ومما يؤيد هذا الاتجاه أنه لم ير أحد قط أن واحدا من أهل الذمة اشترك في انتخاب الخليفة في عصر الخلفاء الراشدين — كما لم ينقل أن أهل الذمة أو واحدا منهم طالب

الدفاع عن دار الاسلام يجب على المسلم دون غيره وان كان للذمي أن يساهم فيه .

بالنسبة للوظائف العامة :

هناك من الوظائف العامة ما لا يكلف بها الذمي لأن طبيعتها تقتضى ألا يتولاها الا المسلم — فكان من شرط تقليدها للشخص أن يكون مسلما كالخلافة أى (الامامة) لأن الامامة في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا فكان من البديهي أن يكون رئيس الدولة الاسلامية مسلما — وعلى هذا جرى المسلمون في جميع عصورهم .
وكذلك الحال في امارة الجهاد لأن الجهاد يلتزم به المسلم دون الذمي وان كان للذمين أن يشتركوا مع المسلمين في الدفاع عن دار الاسلام فكان من السائغ القول أن يكون قائد الجيش مسلما .

وحجب هذه الوظائف القليلة عن الذميين ، ينبغى ألا يثير استغرابا ولا دهشة ، لأن الوظيفة في نظر الاسلام تكليف لاحق — وللدولة

لاتعرف لهم عداوة للدولة الاسلامية
يجوز للمسلمين اتخاذهم بطانة
يستعينون برأيهم فى شئون الدولة
وتطبيقا لهذا المعنى يجوز اسناد
بعض الوظائف العامة اليهم التى
هى دون البطانة فى المركز والأهمية
لكن بالقيود التى أشرنا إليها آنفا .
أما ما ورد فى السنة المطهرة —
أشارت كتب السيرة النبوية
بصدد معركة بدر الكبرى التى
وقعت بين المسلمين بقيادة النبى
صلى الله عليه وسلم وبين مشركى
مكة سنة ٢ هـ فقد انتصر فيها
المسلمون وأسروا من المشركين فى
تلك المعركة سبعين أسيرا وكان من
هؤلاء من لا مال له فجعل النبى
صلى الله عليه وسلم فداءهم أن
يعلموا أولاد الأنصار الكتابة بأن
يعلم الواحد منهم عشرة من أولاد
الأنصار ثم يخلى سبيله فهذا
الأثر يفيد أن النبى عليه الصلاة
والسلام استخدم غير المسلمين فى
شأن من شئون الدولة الاسلامية
وهو تعليم بعض أبناء المسلمين
الكتابة وفى السيرة النبوية أيضا
أن النبى صلى الله عليه وسلم لما

بهذا الحق — مما يدل على أن
المفهوم لدى الجميع أن هذا الحق
مقصور على المسلمين دون غيرهم •

جواز تكليف الذميين بالوظائف العامة :

وفيما عدا الوظائف القليلة التى
يشترط فيمن يتولاها أن يكون
مسلمًا يجوز اشتراك الذميين فى
تحمل أعباء الدولة واسناد باقى
الوظائف العامة اليهم وقد أشار الى
ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية
المطهرة •

ففى القرآن الكريم يقول الله
تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا
بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا
ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء
من أفواههم وما تخفى صدورهم
أكبر) سورة آل عمران ١١٨ —
فهذه الآية الكريمة لم تنه المسلمين
عن اتخاذ بطانة من الذميين بصورة
مطلقة — وانما قيدت النهى بالقيود
الواردة فيها أى أن النهى منصب
على من ظهرت عداوتهم للمسلمين
فهؤلاء لايجوز اتخاذهم بطانة
ومعنى هذا أن الذميين الذين

توجه الى مكة سنة ست للهجرة ووصل الى مكان يدعى ذى الحليفة بعث عينا منه من خزاعة يخبره عن قريش وكان هذا العين كافرا ومع هذا أسند اليه هذه المهمة الخطيرة ولاشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مطمئنا الى أمانته فوثق به وقبل ذلك عندما هاجر من مكة الى المدينة استخدم أحد المشركين الموثوق في كفاءته وعدم خيانتة (وهو عبد الله بن أريقط) ليدله هو ورفيقه الصديق على الطريق — مما يدل على جواز اسناد وظائف الدولة العامة الى الذميين ما داموا أهلا لها من حيث الكفاءة والثقة والأمانة •

وهذا في الحقيقة أعلى درجات التسامح والتساهل مع المخالفين في الدين لا يجد المرء نظيرا له في أى شريعة لا في القديم ولا في الحديث •

ومن هذا المنطلق الاسلامى الكريم فى التسامح أجاز فقهاء الشريعة الاسلامية تقليد الذميين وزارة التنفيذ وهى المنوط بها ابلاغ أوامر ولى الأمر والقيام بتنفيذها وامضاء ما يصدر عنه

من أحكام — وتشبه وزارة التنفيذ فى القديم مركز الوزارة فى الدولة الحديثة حيث يقوم الوزير بتنفيذ قرارات مجلس الوزراء •

كما أجاز الفقهاء اسناد وظائف أخرى الى الذميين كجباية الجزية والخراج وقد بلغ تسامح المسلمين فى هذا الأمر أحيانا الى حد المبالغة والجور على حقوق المسلمين مما جعل المسلمين فى بعض العصور يشكون من تسلط اليهود والنصارى عليهم بغير حق ويقول المؤرخ الغربى آدم ميتز فى كتابه — الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى — (من الأمور التى نعجب لها كثرة عدد العمال خصوصا الولاة وكبار الموظفين والمتصرفين غير المسلمين فى الدولة الاسلامية فكان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين فى بلاد الاسلام فالشكوى من تحكيم أهل الذمة فى أبشار المسلمين شكوى قديمة •

حقوق وواجبات أهل الذمة

أولا : حقوق أهل الذمة :

لأهل الذمة حق التمتع بحماية

أما حماية أهل الذمة من الظلم
الداخلي فهو أمر يوجبهُ الاسلام
ويحذر المسلمون أن يمدوا أيديهم
أو ألسنتهم إلى أهل الذمة بأذى
أو عدوان وقد أورد القرآن الكريم
ما يشير إلى مراعاة العدل معهم
وعدم ظلمهم قال تعالى
(ولا يجرمكم شنآن قوم على
الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب
للتقوى) سورة المائدة ٨
ويقول الرسول صلى الله
عليه وسلم (من ظلم معاهداً أو
انتقصه حقاً أو كلفه فوق طاقته
أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس
فأنا حججه يوم القيامة) رواه
أبو داود والبيهقي - وقال عليه
الصلاة والسلام (من آذى ذمياً
فأنا خصمه - ومن كنت خصمه
خصمته يوم القيامة) رواه
الخطيب باسناد حسن ويقول
صلى الله عليه وسلم « من آذى
ذمياً فقد آذاني ومن آذاني فقد
آذى الله » رواه الطبراني في
الأوسط باسناد حسن •

ويقول الامام علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه عن الذميين (انما

الدولة الاسلامية وحرية العمل
والكسب وحرية التدين •
وعن الحماية من الاعتداء فانه
ينصب على الاعتداء الخارجي
وحمايتهم من الظلم الداخلي •

فحماية أهل الذمة من الاعتداء
الخارجي فان على ولي الأمر أن
يوفر لهم ما للمسلمين من حماية
وأن يدفع من قصدهم بأذى
ماداموا بدار الاسلام ومن المواقف
التطبيقية لهذا المبدأ الاسلامي
موقف شيخ الاسلام ابن تيمية
رحمه الله حينما تغلب التتار على
بلاد الشام فقد توجه الامام ابن
تيمية إلى القائد التتري (قطلو شاه)
لاطلاق سراح الأسرى وبعد
الكلام معه وافق القائد التتري
على اطلاق أسرى المسلمين فقط -
ورفض أن يطلق سراح الأسرى
من أهل الذمة فما كان من شيخ
الاسلام ابن تيمية الا أن طالبه
بضرورة افتكاك جميع الأسارى
من اليهود والنصارى لأنهم أهل
ذمة المسلمين فلما رأى القائد
التتري تصميم الامام ابن تيمية
أطلقهم له •

الضرب والتعذيب فلا يجوز الحاق الأذى بأجسامهم حتى ولو تأخروا أو امتنعوا عن أداء الواجبات المالية المقررة عليهم كالجزية والخراج - هذا في الوقت الذي يتشدد فيه الاسلام كل التشدد مع المسلمين اذا منعوا اخراج الزكاة •

ولم يجز الفقهاء في أمر الذميين المانعين للواجبات المقررة عليهم أكثر من أن تأديباً لهم لكن يدون أن يصحب الحبس أى تعذيب أو أشغال تتسم بالمشقة • أورد الامام أبو يوسف في كتاب الخراج أن الصحابى الجليل حكيم ابن هشام رأى رجلاً وهو على مدينة حمص يشمس ناساً من النبط في أداء الجزية فقال ما هذا؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) رواه الامام مسلم في صحيحه •

حماية أموال أهل الذمة :

وهذا ما اتفق عليه المسلمون في

بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماًؤهم كدمائنا) •

وفقهاء المسلمين من كافة المذاهب الاجتهادية قرروا بأن على المسلمين دفع الظلم عن أهل الذمة والمحافظة عليهم لأن المسلمين حين أعطوهم عقد الذمة قد التزموا دفع الظلم عنهم وهم صاروا به من أهل دار الاسلام •

وحق الحماية المقرر لأهل الذمة يتضمن حمايتهم في دماءهم وأنفسهم وأبدانهم كما يتضمن حماية أموالهم وأعراضهم وكل ذلك على التفصيل الذى أورده فقهاء الاسلام في كتب الفقه المختلفة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً) رواه الامام أحمد والامام البخارى في الجزية كما رواه الامام النسائى والامام ابن ماجه في الديات •

وكما حمى الاسلام أنفس الذميين من القتل حمى أبدانهم من

علينا لأنهم فى جوارنا وفى خفارتنا
وذمتنا وذمة الله تعالى وذمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم •

كفالة المعيشة للذمي ولأن يعولهم :

لقد ضمن الاسلام لغير المسلمين
فى ظل مجتمعه الاسلامى كفالة
المعيشة الملائمة لهم ولأن يعولونهم
لأنهم رعية لدولة الاسلام يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم
(كلكم راع وكل راع مسئول عن
رعيته) متفق عليه من حديث ابن
عمر - ورأى عمر بن الخطاب
شيخا يهوديا يسأل الناس فسأله
عن ذلك فأخبره بأن الشيخوخة
والحاجة ألجأتاه الى ذلك فأخذ
بيده وذهب به الى خازن بيت مال
المسلمين وأمره أن يقرض له
ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم
ويصلح شأنهم •

وعند مقدمة (الجابية) من
أرض دمشق مر فى طريقه بقوم
مجذومين من النصارى فأمر أن
يعطوا من الصدقات وأن يجرى
عليهم القوت - أى أن تتولى الدولة
القيام بطعامهم ومؤونتهم بصفة

جميع المذاهب وفى جميع الأقطار
ومختلف العصور • روى الامام
أبو يوسف فى الخراج ما جاء فى
عهد النبى صلى الله عليه وسلم
لأهل نجران (ولنجران وحاشيتها
جوار الله وذمة محمد النبى رسول
الله صلى الله عليه وسلم على
أموالهم وملتهم وبيعهم وكل
ماتحت أيديهم من قليل أو كثير) •

وفى عهد عمر بن الخطاب الموجه
الى أبى عبيدة بن الجراح أن
(امنع المسلمين من ظلمهم والاضرار
بهم وأكل أموالهم الا بخلها)
كما ورد مثل ذلك فيما عهد به
عمر بن الخطاب الى أهل ايلياء عند
فتحها مما سيأتى ذكره •

حماية أعراض أهل الذمة :

ذكر الفقهاء أن الاسلام يحمى
عرض الذمي وكرامته كما يحمى
عرض المسلم وكرامته فلا يجوز
لأحد أن يسبه أو يتهمه بالباطل -
أو يشنع عليه بالكذب ويذكره
بما يكره فى نفسه أو نسبه أو خلقه
أو خلفته أو غير ذلك مما يتعلق به
لأن عقد الذمة يوجب لهم حقوقا

على الذميين كالمسلمين فقد روى أن
النبي صلى الله عليه وسلم كتب
الى مجوس هجر (اما أن تذروا
الربا أو تأذنوا بحرب من الله
ورسوله) •

ثانيا : منعهم من بيع الخمر
والخنازير في أمصار المسلمين وفتح
الحانات فيها لشرب الخمر أو
ادخالها الى بلاد الاسلام ولو كان
ذلك لاستمتاعهم الخاص سدا
لذريعة الفساد واغلاقا لباب
الفتنة •

وفيما عدا هذه الأمور المحدودة
يتمتع الذميون بتمام حريتهم في
مباشرة التجارات والصناعات
والحرف المختلفة — وهذا ما جرى
عليه العمل ونطبق به تاريخ
المسلمين في شتى العصور وكادت
بعض المهن تكون مقصورة عليهم
كالصيرفة والصيدلة وغيرها —
واستمر ذلك الى وقت قريب في
كثير من بلاد الاسلام — وقد جمعوا
من وراء ذلك ثروات كبيرة كانت
معفاة من الزكاة ومن كل ضريبة
الا الجزية •

منتظمة — كما يلحق بأمثال هؤلاء
العجزة من أهل الذمة •

وبهذه المعاملة الكريمة تقرر
الضمان الاجتماعي في الاسلام
ليشمل أبناء المجتمع جميعا مسلمين
وغير مسلمين — اذ لا يجوز أن
يبقى في المجتمع الاسلامي انسان
محروم من الطعام أو الكسوة أو
المأوى أو العلاج فان دفع الضرر
عن الشخص الآدمي واجب ديني
سواء كان هذا الشخص مسلما
أو ذميا — وهذا ما درج عليه فقهاء
الاسلام في فقههم من أمثال الامام
النووي وغيره من الفقهاء •

حرية العمل والكسب :

لغير المسلمين في المجتمع
الاسلامي حرية العمل والكسب
بالتعاقد مع غيرهم أو
بالعمل لحساب أنفسهم
— ومزاولة ما يختارون من المهن
الحرّة — ومباشرة ما يريدون من
ألوان النشاط الاقتصادي شأنهم في
ذلك شأن المسلمين ولم يستثن
الفقهاء الا الآتي : —

أولا : عقد الربا •• فانه محرم

حتى يكونوا مؤمنين» سورة يونس

• ٩٩

ولم يعرف التاريخ شعبا مسلما حاول اجبار أهل الذمة على الاسلام ويشهد بذلك المؤرخون خصوصا الغربيون منهم •

بل ان المسلمين صانوا الغير المسلمين معابدهم وكنائسهم ويشير الى ذلك عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل نجد السابق الاشارة اليه وتأيد ذلك بما أورده الطبري في تاريخه عما عهد به عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أهل ايلياء (مدينة القدس حاليا) فلقد نص فيه على حريتهم الدينية وحرمة معابدهم وشعائهم (هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان— أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبيها ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم — ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود) •

يقول آدم ميتز (لم يكن في التشريع الاسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أى باب من أبواب الأعمال — وكانت قدمهم راسخة في الصنائع التي تدر الأرباح الوافرة فكانوا صيارفة وتجارا وأصحاب ضياع وأطباء — بل ان أهل الذمة نظموا انفسهم بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة في بلاد الشام من اليهود — على حين كان اكثر الاطباء والكتبة من النصرى) •

وكان رئيس النصرى ببغداد هو طبيب الخليفة وكان رؤساء طوائف اليهود والنصرى مقربين عنده •

حرية الدين :

كفل الاسلام لرعيته من الذميين حرية الاعتقاد والتعبد لكل دى دين دينه ومذهبه لا يجبر على تركه الى غيره ولا يضغط عليه أى ضغط ليتحول منه الى الاسلام وأساس هذا الحق قوله تعالى :

(١) « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » سورة البقرة • ٢٥٦

(٢) « افانت تكره الناس

شريعة الله وقانون السماء الذى لا تبديل لكلماته ولا يتم الايمان الا بطاعته لا يسع أى مسلم يتمسك بدينه الا أن يقوم بتنفيذ أحكام هذه الشريعة ووصاياها من نفسه ليرضى ربه وينال أجره ومنها احترام الحقوق التى كفلتها للذمين يقول تعالى :

(١) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)

سورة الاحزاب ٣٦

(٢) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعولوا اعدلوا — هو أقرب للتقوى — واتقوا الله ان الله خير بما تعملون) سورة المائدة ٨ •

وحتى اذا شعر أو أحس الذمى بأى ظلم فله أن يشكو من ظلمه ليجد من يسمع لشكواه وينصفه من ظالمه مهما يكن مركزه ومكانه بين المسلمين بل حتى ولو كان الخليفة نفسه وهناك فى التاريخ الاسلامى

يقول المفكر الفرنسى غوستاف لوبون (رأينا من آى القرآن أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية — وأنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التى ظهرت قبله كاليهود والنصرانية على وجه الخصوص — وسار خلفاؤه على سنته وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المرتابون أو المؤمنون القليلون الذين أمعنوا النظر فى تاريخ العرب والعبارات الآتية التى اقتطفها من كتب الكثيرين منهم تثبت أن رأينا فى هذه المسألة ليس خاصا بنا يقول يوبر تسون فى كتابه (تاريخ شارلكن) ان المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى وأنهم مع امتشاقهم الحسام نشرا لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارا فى التمسك بتعاليمهم الدينية) •

ضمانات وفاء المسلمين بهذه الحقوق الى الذمين :

لما كانت الشريعة الاسلامية هى

وقائع صريحة تشهد على ذلك نذكر
منها الآتى على سبيل المثال
لا الحصر •

٢ — فى خلافة عمر بن الخطاب

توجه اليه بالمدينة أحد أبناء الأقباط
فى مصر وشكا اليه ابن عمرو بن
العاص بأنه اعتدى عليه بالسوط
اثر سباق بينهما فاز فيه ابن
القبطى على ابن عمرو بن العاص
وقال له كيف تسبق ابن الأكرمين
فاستدعى الخليفة عمرو بن العاص
وابنه وأعطى السوط لابن القبطى
وأمره بضرب ابن الأكرمين (ابن
عمرو بن العاص) فلما انتهى من
ضربه التفت الخليفة الى عمرو بن
العاص وقال كلمته الخالدة يا عمرو
متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم
أمهاتهم أحرارا ؟ •

٣ — فى خلافة الوليد بن

عبد الملك أخذ هذا الخليفة كنيسة
(يوحنا) من النصارى وأدخلها فى
مساحة المسجد الأموى بدمشق —
فلما استخلف عمر بن عبد العزيز
شكا اليه النصارى ما فعل الوليد بن
عبد الملك فى كنيساتهم فكتب الى
عامله برد ما زاده فى المسجد عليهم

١ — فقدت درع الامام على بن
أبى طالب وقت خلافته فوجدها عند
رجل نصرانى ادعى أنه صاحبها
فاختصما الى القاضى شريح — قال
الخليفة الدرع درعى ولم أبع ولم
أهب فسأل القاضى ذلك النصرانى
فيما يقوله الخليفة فرد عليه بقوله
(ان الدرع درعى وما أمير المؤمنين
عندى بكاذب) فالتفت شريح الى
الخليفة يسأله يا أمير المؤمنين هل
لك من بيعة ، فضحك الخليفة وقال
أصاب شريح ما لى بينه وتقضى
شريح للنصرانى بالدرع لأنه
صاحب اليد عليها ولم تقم بيعة على
خلاف ذلك فأخذها هذا الرجل
النصرانى ومضى •• لكنه لم يمش
خطوات حتى عاد يقول (أما أنى
أشهد أن هذه أحكام أنبياء — أمير
المؤمنين يديننى الى قاضيه فيقضى
لى عليه أشهد أن لا اله الا الله وأن
محمدا رسول الله الدرع درعك
يا أمير المؤمنين أخذتها وأنت منطلق

المسلمين هو المساواة بين جميع المصريين في تولى الوظائف العامة فتسند الدولة اليهم تلك الوظائف حسب توافر الشروط القانونية فيهم والمساواة أيضا بينهم في الحقوق والواجبات طبقا لأحكام الدستور دون أى تمييز أو تفرقة بينهم بسبب الجنس أو الدين مع تقرير حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية لجميع المواطنين ولقد ورد في دستورها الدائم على أن المواطنين لدى القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة .

ولقد جاء في تقرير اللجنة التشريعية بمجلس الشعب حول تعديل المادة الثانية والنص فيها على أن تكون مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع أنه من المسلمات أيضا أن مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة تقرر الآتى :

ان غير المسلمين من أهل الكتاب يخضعون في أمور أحوالهم

لولا أنهم تراضوا مع الوالى على أساس أن يعوضوا بما يرضيهم .

٤ - شكأ أحد رهبان النصارى فى مصر الى الوالى أحمد بن طولون أحد قواده لأنه ظلمه وأخذ منه مبلغا من المال بغير حق فأحضره الوالى وأنبه وعزره وأخذ منه المال وردده الى راهب النصارى - وأعلن على الملأ أن بابه مفتوح لكل متظلم من أهل الذمة ولو كان المشكو من كبار القواد أو موظفى الدولة .

٥ - لما أجلى الوالى العباسى صالح بن على بن عبد الله بن عباس قوما من أهل الذمة من جبل لبنان لخروج فريق منهم على عامل الخراج تصدى له الامام الأوزاعى وعارضه فى اجلاتهم وحرر له رسالة .. يذكره فيها بأن أحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال (من ظلم ذميا أو كلفه فوق طاقتة فأنا حجيجه) .

ما عليه العمل فى بلادنا المصرية :

ان ما يجرى فى جمهورية مصر العربية وغالبية سكانها العظمى من

الشخصية لشرائع ملتهم وقد استقر على ذلك رأى فقهاء الشريعة الاسلامية منذ أقدم العصور نزولا على ما ورد فى الكتاب والسنة •

وأنة لا توجد ثمة شبهة فى أن حق

تولى الوظائف والمناصب العامة وحرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية تعد من الحقوق العامة للمصريين الذين يتمتعون بها فى ظل الدستور وطبقا لأحكام القانون دون أى تمييز أو تفرقة بينهم بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة •

وأن أى انحراف بتفسير أى نص فى الدستور بما يخل بمبدأ المساواة أو حرية العقيدة وممارسة

الشعائر الدينية لأهل الكتاب من المصريين يمثل مخالفة دستورية صريحة وبصفة خاصة لأحكام المادة الثانية من الدستور على النحو الذى سبق أن أقره المجلس •

وإذا كانت هناك حقوق قررها الاسلام لأهل الذمة فلا بد وأن تقابلها واجبات عليهم مقابل التمتع بتلك الحقوق لأنه من المبادئ المقررة أن كل حق يقابله واجب ••

والى مقال آخر لتفصيل تلك الواجبات ان شاء الله •

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

« الصبر »

إذا بليت بعسرة فالصبر لها

صبر الكريم فان ذلك أحزم

الرب

قبل الإسلام وبعده

للمؤلف د. زكريا إبراهيم الكارم

مقدمة :

العصور ! ؟

— اختلف الناس من قديم .. في (مفهوم : الربا) وما يدخل فيه فيكون محرما من المعاملات ، وما يخرج منه .. فيصير حلالا ، في كل معاملة .

— حدث هذا قبل الاسلام ، وحدث أيضا بعد الاسلام ؟؟
— ولقد خاض العلماء والفقهاء

— بعد عهد الصحابة .. ميدان البحث الفقهي .. وخرجوا مختلفين .. اختلفا بينا ، الى مذاهب كثيرة ، اشتهرت من بينها : المذاهب الأربعة ، واحتفظت بطون الكتب الفقهية — القديمة — بتدوين أكثر من عشرة مذاهب .. في مفهوم الربا ، قال بكل منها : امام مجتهد ، أو جماعة من أئمة تلك

— ومع مرور الزمن .. رسخت المذاهب الأربعة .. على ما بينها من اختلاف ، ونسيت تلك المذاهب الأخرى ! ؟

— وفي عصرنا الحديث .. أصبح الاقتصاد : مشكلة عالمية ، تخوضها الآراء الفلسفية والنظريات التحليلية الوضعية ! ؟

— والدراسة التي أعرضها اليوم .. محاولة — أراها واجبة — لاعادة النظر .. بحثا عن (مفهوم : الربا) قبل الاسلام ، وبعده ! ؟
من خلال النصوص القرآنية والنبوية .. أولا ؟؟

— ثم أعرض .. باختصار — شديد — الى (الفكر الفقهي) .. وأرجو أن يكون هذا البحث تحت

(في الاسلام) غطر الغيورين ، والمخلصين . من

٣ - « والسماء رفعها ووضع
الميزان ، ألا تطفوا في الميزان ،
وأقيموا الوزن بالقسط ، ولا
تخسروا الميزان » .
الرحمن ٥٥ : ٧ - ٩ -
وهي سورة مدنية

٤ - « ان الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتكم
بين الناس أن تحكموا بالعدل » .
النساء ٤ : ٥٨ -

وهي سورة مدنية
في نور هذه الآيات :

يخبر الله - عز وجل - في
الآيتين الأوليين أنه أنزل الكتاب
والميزان ، وأرسل الرسل ، من
أجل إقامة العدل ، ونصرة
الحق ، والناس جميعا مكلفون
أن يقوموا بالعدل في كل
شئونهم . ويدلهم على العدل :

- مقياس معنوى يبين القيم غير
المحسوسة ، ويهدى اليه
« الكتاب » .

- ومقياس حسى يبين القيم
المحسوسة ، ويهدى اليه :
« الميزان » وما أشبهه من المقاييس

العلماء ، والفقهاء ، والاقتصاديين
والاسلاميين - ونحن نخوض
معركة الأصالة الاسلامية ، في عصر
سيطرت فيه الصراعات البشرية ،
تتافسا على خيرات الأرض ، بعيدا
عن هدايات السماء ! ؟

النصوص

(أ) القرآنية

من نصوص :

(أ) العدل الالهى ومنه « العدل
الاقتصادى » .

(قبل الاسلام) :

١ - « لقد أرسلنا رسـلـنا
بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب
والميزان ، ليقوم الناس بالقسط »
سورة الحديد ٥٧ : آية ٢٥ -
وهي سورة مدنية

القسط : العدل .

٢ - « الله الذى أنزل الكتاب
بالحق والميزان »

سورة الشورى ٤٢ : ١٧ -
وهي سورة مكية

انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله
وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر
ان أجرى الا على رب العالمين :

— أوفوا الكيل •

— ولا تكونوا من المخرين •

— وزنوا بالقسطاس المستقيم •

— ولا تبخسوا الناس

أشياءهم •

— ولا تعثوا فى الارض مفسدين

— واتقوا الذى خلقكم ، والجبله

الاولين « •

الشعراء ٢٦ : ١٧٦ — ١٨٣ —

وهى سورة مكية ؟

— فى نور هذه الآيات :

— هنا (الاقتصاد الالهى) فيه

متسع عام ، والى جانب ذلك فيه

الضوابط الضرورية (للعدل

الاقتصادى) ، وبدونها لا بد أن

يقع الظلم •

— والضوابط واضحة فى رسالة

« شعيب » عليه السلام :

١ — مقياس المحسوسات :

المكيال والميزان ، وما ماثلهما •

٢ — مقياس القيم المعنوية :

لا يجوز بخسها ، ولا يجوز انقاصها

التي يكتشفها كل جيل بقدر تجاربه ،

وتفكيره فى سنن الله الكونية فى

علم : « المقاييس والمواصفات » •

والآية الثالثة : تبين جلال أمر

الميزان عند الله وتأمّر بايفاء

« الميزان » بالعدل ، وتنتهى عن

الظلم فى « الميزان » •

— أيجوز أن يقيم الانسان

« العدل » فى « الميزان » المحسوس ،

وأن يظلم ويخسر فى (الميزان

المعنوى) للقيم ؟

— أبهذا يقوم (العدل الالهى) ؟

— أين التفكير السليم ، والضمير

الصاحى ؟؟ •

— هنا تجىء الآية الرابعة تأمر

فى وضوح بأداء « الأمانات »

والحكم بالعدل بين الناس •

(ب) رسالة « العدل » ، فى

(الاقتصاد الالهى) •

فى قصة رسول الله شعيب —

عليه السلام — مع قومه « أهل

مدين » وأصحاب الأيكة •

(قبل الاسلام)

(أ) « كذب أصحاب الأيكة

المرسلين ، اذ قال لهم شعيب

ألا تتقون !

— وبعهد الله أوفوا ، ذلكم
وصاكم به ، لعلكم تذكرون » •

الأنعام ٦ : ١٥١ — ١٥٢ —
وهى سورة مكية

— وفى نور هذه الآيات من
الرسالة الخاتمة ، نرى التأكيد على
ضوابط (العدل الاقتصادى)
بايرادها فى سياق أهم أركان
الاسلام ، ايجابا وسلبا •

— مقياس المحسوسات ، من
مكيال أو ميزان •• يجب ايفاؤه
بالعدل بكل ما لدى الناس من وسع
— مقياس القيم المعنوية ، يجب
أن يكون القول فيه بالعدل — ولو
ألحق أذى ظاهريا بقريب أو يتيم
فقير ، فالله أولى بهما ، ورحمته
تسع الجميع فى أبواب أخرى من
خلال لا ظلم فيه •

ميزان

« القيمة العادلة »

المبيع القيمة

القسطاس المستقيم

عن حقها العادل بأى وسيلة من
وسائل الافساد فى الأرض •

— هذا هو (الاقتصاد الالهى)
قبل الاسلام ، وتلك ضوابطه
العلمية ، بماذا جاء الاسلام ؟

(فى الاسلام)

٣ — « قل : تعالوا ، أتلى ما حرم
ربكم عليكم :

— ألا تشركوا به شيئا •
— وبوالدين احسانا •
— ولا تقتلوا أولادكم من املق
نحن نرزقكم واياهم •
— ولا تقربوا الفواحش ما ظهر
منها وما بطن •

— ولا تقتلوا النفس التى حرم
الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به
لعلكم تعقلون •

— ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتي هى أحسن حتى يبلغ
أشده •

— وأوفوا الكيل والميزان
بالقسط ، لا تكلف نفسا الا وسعها •

— واذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان
ذا قربى •

المبيع : سلعة ، أو خدمة = الثمن : — من أجل التقدير العادل للقيمة
ذهبا ، أو غيره

— ما العدل الالهي في هذا
النظام -

— ما الضوابط العلمية في (العدل
الاقتصادي) ؟

• « الخبرة العلمية النزيهة »

— كما يجب احترام مقتضيات :

• « علم المقاييس والمواصفات »

(ج) آيات الربا

— هل تؤكد (اقامة العدل
الالهي) ، وتقوى ضوابط « العدل
الاقتصادي » ؟

— أو تفتح أبواب الاخسار ،
والبخس ، وقد تقرر اغلاقها قبل
الاسلام ، وبعد الاسلام ؟

١ — « يا أيها الذين آمنوا :

لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ،

واتقوا الله ، لعلكم تفلحون » •

آل عمران ٣ : ١٣٠

وهي آية مدنية نزلت في السنة
الثالثة الهجرية (١)

٢ — « الذين يأكلون الربا ،

لا يقومون الا كما يقوم الذي

يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك

بأنهم قالوا :

— ما أظن أن منصفاً يقرأ ما سبق
من آيات الله البيّنات يستطيع أن
يزعم أن هناك خفاء أو تعقيدا أو
غموضا ، بعد أن ظهر أن الهدف هو
« اقامة العدل » •

— والوسائل الى ذلك ، ووسائل
علمية ، مما يقع في طاقة الناس في
كل جيل « لا نكلف نفسا الا وسعها
٦ : ١٥٢ » •

— وانظر قول الله — عز وجل :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا

الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم
متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ،
يحكم به نوا عدل منكم ، هديا بالغ
الكعبة » •

المائدة : ٥ : ٩٥ —

وهي سورة مدنية

— وآيات الربا هذه نزلت في السنة الأخيرة من الحياة النبوية الشريفة (١) .

— في نور هذه الآيات :

— نقف عند آية (آل عمران) التي نزلت في السنة الثالثة من الهجرة ، ونلاحظ أنها تنهى عن الربا اذا بلغ « أضعافا مضاعفة » وتسكت عن سواه !؟

ومفهوم ذلك :

— أن النهي القاطع لم يتناول ما لم يبلغ « الاضعاف المضاعفة » ، من أنواع الربا في تلك المرحلة .

— ومعنى ذلك : أن بعض أنواع من الربا ظلت حية قائمة ، معمولاً بها في المبادلات ، والمعاقبات .. عند بعض الناس ، بعد نزول هذه الآية .

— ومن الأدلة على ذلك :

١ — أن في آيات البقرة — وهي آخر ما نزل في أمر الربا قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بقليل —

— انما البيع مثل الربا .

— وأحل الله البيع ، وحرم الربا

— فمن جاءه موعظة من ربه

فانتهى ، فله ما سلف وأمره

الى الله .

— ومن عاد ، فأولئك أصحاب

النار هم فيها خالدون .

— يمحى الله الربا ، ويربى

الصدقات ، والله لا يحب كل

كفار أثيم .

— ان الذين آمنوا وعطوا

الصالحات ، وأقاموا الصلاة ،

وآتوا الزكاة ، لهم أجرهم عند

ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم

يحزنون .

— يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله .

ونروا ما بقى من الربا

— ان كنتم مؤمنين .

— فان لم تفتوا فاذنوا بحرب

من الله ورسوله ، وان تبتم فلکم

رعوس أموالکم لا تظلمون ،

ولا تظلمون » .

البقرة ٢ : ٢٧٥ — ٢٧٩

(١) نزلت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة ، انظر تفسير الآيات عند ابن كثير وغيره ؟

ما يدل على ذلك ويثبته ، حيث ورد
فيها : من أخطر القضايا في التشريع
الاسلامى الاقتصادى ؟

✱

— بعد فحص الأدلة يتبين أنها
« حقيقة » .
— والقضية : هى أن هذه
« الحقيقة » لم تأخذ حقها من
البحث .

— وترتب على ذلك ، اقرار
افتراضات فقهية غير صحيحة ؟
واستتبطت أحكام على أساس هذه
الافتراضات فى غيبة « الحقيقة »
ودراستها .

— والنتيجة : أن ما بنى على غير
الحقيقة يكون غير صحيح ، وغير
حقيقى ؟!

✱

— علمنا أن (الاقتصاد الالهى)
قبل الاسلام ، يحتتم الالتجاء الى
المقاييس العادلة ، حسيا ومعنويا ،
ليصل الى (منع البخس) ؟؟
— وأن رسالة الاسلام جاءت

« يا أيها الذين آمنوا : اتقوا
الله وذروا ما بقى من الربا » .

— فحتى السنة العاشرة كانت
لا تزال هنالك معاملات ربوية باقية؟

٢ — فى السنة السابعة من
الهجرة بعد فتح خيبر ، وصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم
معاملة بأنها « عين الربا » ، فى حديث
بلال : (البيع الآخر) .

٣ — فى حجة الوداع قال صلى
الله عليه وسلم فى خطبة الوداع
« ألا ان كل ربا فى الجاهلية
موضوع ، وأول ربا أضعه ربانا :
ربا عمى العباس بن عبد
المطلب » (١) .

✱

— قضية « ما بقى من الربا »
الى قبيل وفاة النبى صلى الله عليه
وسلم ، ليست قضية تافهة ، بل هى

(١) رواه أبو داود : الحديث ١٨٢٥ ، وأخرجه مسلم ، وابن ماجه
بنحوه ، مطولا ، وأخرجه النسائى مختصرا ، وانظر « بناء الاقتصاد فى
الاسلام » ص ١٧٢ ، ١٧٦ ؟ المطبوع بالقاهرة .

مؤيدة لما سبقها من رسالات الرسل وبخاصة رسول (الاقتصاد الالهى) شعيب عليه السلام؟؟
— فهل فى آيات الربا الخاتمة ما يناقض (العدل الاقتصادى) الذى قرره (الاقتصاد الالهى) السابق؟! •

« من آخر ما نزل آية الربا ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها لنا ؟ فدعوا الربا والريية » (٢) •

٢ — جادل عدد كبير من الصحابة عبد الله بن عباس فى « الربا » وقد احتج عليهم بحديث « أسامة » (٣) •

— ومع ابن عباس عدد من الصحابة ، منهم — :
أسامة بن زيد •
وعبد الله بن مسعود •
وعروة بن الزبير •
وزيد بن أرقم •
وأعيان الفقهاء المكيين ،
كما نص على ذلك — :

— هل فيها ما يرفض (القسطاس المستقيم) أو يقبل (البخس)؟! •

الصحابة بعد الوحي :

— هل أجمع الصحابة على شىء فى معنى « الربا » بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ؟
١ — قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه :

« انا والله ، ما ندرى ؟ لعلنا نأمركم بأمر لا تصلح لكم ، ولعلنا ننهاكم عن أمور تصلح لكم ، وانه كان من آخر القرآن نزولا : آيات

(١) المحلى لابن حزم ج ٩ : ٥١٩ ، مطبعة دار الاتحاد العربى — بالقاهرة
(٢) عمدة التفسير للشيخ أحمد شاكر ٢ : ١٩١ ، مطبعة دار المعارف بالقاهرة .
(٣) مسلم ج ٥ : ٥٠ « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » لابن حجر العسقلانى .. الحديث ١٣٠٢ طبعة الكويت .

الامام الشافعى ، وابن تيمية ، « لا تظلمون ولا تظلمون — »
وابن حزم ، وغيرهم (١) • ٢ : ٢٧٩ »

— أهذا يدل على اجماع الصحابة ، أم على اختلافهم ؟؟
حقيقة **ان :**

١ — « آيات البقرة ٢ : ٢٧٥ — ٢٨١ » الخاتمة لأحكام الربا في السنة انعاشرة تدل في قوة وحسم ووضوح على مطابقة الشريعة الاسلامية (للعدل الاقتصادي الالهى) الذى ورد فيما قبل الاسلام من شرائع ، وتحرم جميع أنواع الربا ، من حيث القيمة ، لا من حيث الشكل « فان تبتم فلکم رؤوس أموالکم ٢ : ٧٩ » ولا تكتفى بالنهى عن « الأضعاف المضاعفة — كما سبق في آية آل عمران ٣ : ١٣٠ » فهي آيات خاتمة وناسخة !؟

رسم يوضح الآية الخاتمة

« فان تبتم ، فلکم رؤوس أموالکم ٢ : ٢٧٩ »

فلکم رؤوس أموالکم

البائع رأس مال •• (رأس مال)
المشتري •

(رأس ماله) : سلعة ، أو خدمة = — فمثلها كمثل آية المائدة في
ذهبا ، أو غيره : (رأس ماله) • « الخمر ٥ : ٩٠ » حرمت الكثير

(١) اختلاف الحديث للشافعى — طبع القاهرة ص ٢٤١ •
— رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، لابن تيمية — طبع القاهرة ص ٣٤ •
— المحلى ، لابن حزم ج ٩ : ٥٣٧ مطبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة
— المغنى لابن قدامة — طبعة القاهرة ١٣٦٧ ج ٤ ، ص ١
— وكتابنا « مذهب ابن عباس في الربا » ٣٢ — ٦٣ طبعة دار التراث بالقاهرة •

والقليل في جميع الأوقات .. ونسخت آية « النساء ٤ : ٤٣ »

التي وجهت التحريم الى فترات معينة هي أوقات الصلوات !؟

ج - موقف الذين بلغهم البيان المطابق للآيات الخاتمة ، وللعدل

الالهى كما ورد في شرائع الرسل والأنبياء قبل الاسلام ، وفي مقدمتهم - :

• أسامة بن زيد

وعبد الله بن عباس •

وعبد الله بن مسعود - رضى الله عنهم •

٢ - الصحابة - رضوان الله عليهم جميعا - لم يجتمعوا على كلمة واحدة في تطبيق ماورد في آيات الربا من سورة البقرة ٢٧٥ : ٢٨١ ؟؟

- والبحث يبين أنهم انقسموا الى مواقف ثلاثة - :

- وهؤلاء : عمدتهم النصوص القرآنية والنبوية ، يقوى بعضها بعضا بلا تعارض ، ولا تناقض ، ولا حاجة الى قياسات باطلة ، وآراء بشرية خاطئة !!؟

- هل يجوز أن ندعى (اجماعا) للصحابة في مواجهة النصوص القرآنية والنبوية الواضحة ؟!

- هل يجوز أن يقبل اجماع ليس فيه عمر بن الخطاب وعبد الله ابن عمر ؟!

أ - موقف المتمسكين بحديث (الأصناف الستة) وهو يمثل مرحلة « ما قبل خير » وعلى رأسهم أبو سعيد الخدرى - رضى الله عنه •

ب - موقف الطالبين للبيان النصى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ، حيث قال - :

« ثلاث وددت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عهد إلينا فيهن عهدا ننتهى إليه : الجَد ،

(١) قال في عمدة التفسير : ٢ : ١٩٠ (اخرجه البخارى) ١٠ : ٤٣ (فتح ومسلم ٢ : ٤٠١ ، ٤٠٢) . طبع دار المعارف بالقاهرة .

الجماع يناقضه : أسامة بن زيد ،
وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن
مسعود ، وغيرهم ؟!

١ — عن عبادة بن الصامت —
رضي الله عنه قال — :
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم :

« الذهب بالذهب ، والفضة
بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير
بالشعير ، والتمر بالتمر ، والبلح
بالبلح : مثلاً بمثل ، سواء بسواء ،
يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف
فبيعوا كيف شئتم ، إذا كان يدا
بيد . (١) »

وفي رواية أبي داود زيادة قوله :
« فمن زاد أو ازداد ، فقد
أربى » (٢) .

ثانياً :

ألا توجد أحاديث أخرى ؟
— بلى ، هناك الكثير ، نذكر
منه — مما جاء بعد (حديث
الأصناف الستة) تعديلاً لأحكامه ،
وتدرجاً إلى « التقدير العادل » :

— هل يجوز أن نعطل نصاً
قرآنياً ، أو حديثاً نبوياً صحيحاً
ناسخاً : بحجة أنه لم يعلمه عدد
كثير أو قليل من الصحابة رضوان
الله عليهم ؟!
أو بعبارة أخرى :

— هل يجوز أن نحتج بقول من
لم يحفظ ، ونجعله حجة على من
حفظ ؟!

(ب) النصوص

النبوية :

أولاً :

ما عمدة تحريم الربا عند جميع
فقهاء المذاهب في قياساتهم
وتفريعاتهم ؟!

— حديث واحد : (حديث
الأصناف الستة) وهو يمثل — :

(١) بلوغ المرام : الحديث ٦٩٦ ، وقال : رواه مسلم .
(٢) أبو داود ، الحديث ٣٢١٠ ، وقال : أخرجه : مسلم ، والترمذي
وابن ماجه بنحوه ، وفي الفاظه زيادة ونقص .
وانظر : (بناء الاقتصاد في الاسلام) ص ١٥٢ طبع القاهرة .

- (حديث البيع الآخر) وهو يمثل : — جاء بلال الى النبي صلى الله عليه وسلم — بتمر برنى (وهو صنف جيد) •
- ٢ — عن أبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة — رضى الله عنهما — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — استعمل رجلا على خيبر ، فجاءه بتمر جنيب (وهو صنف جيد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكل تمر خيبر هكذا ؟ » •
- فقال له النبي — صلى الله عليه وسلم : « من أين هذا ؟ » •
- قال بلال : كان عندنا تمر ردىء ، فبعت منه صاعين بصاع ، ليطعم النبي — صلى الله عليه وسلم •
- فقال النبي — صلى الله عليه وسلم : —
- « أوه !! عين الربا ، لا تفعل ، ولكن اذا أردت أن تشتري ••• فبع التمر ببيع آخر ، ثم اشتريه » (٢) •
- ثالثا :**
- ثم يأتى بعد ذلك حديث (البيع المباشر) بالتقدير ، بعد حديث خيبر ، وهو يمثل — :
- الرحلة الأخيرة : قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم —**
- ٣ — وعن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال :
- (١) متفق عليه — وانظر كتاب (فتاوى رسول الله صلى الله عليه وسلم) صفحة ٧٠ (الحديث ٨ — بيع الردىء بالجيد) طبع مكتبة دار الاعتصام بالقاهرة .
- (٢) عمدة الأحكام لابن قدامة ، الحديث ٢٧٠ • طبع القاهرة •

٤ - عن أسامة بن زيد - رضى الله عنهما :
 الأول : (حديث الأصناف الستة) قبل خير :

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال - :
 وهو يلزم المسلمين اذا تباعوا في صنف واحد من هذه الأصناف -

« انما الربا في النسيئة » (١)
 ٥ - وعن أسامة - رضى الله عنه :
 الذهب ، والفضة ، والقمح ، والشعير ، والتمر ، والملح - أن يتساوى البدلان صاع من التمر الممتاز لا يقابله الا صاع واحد من التمر الرديء .. وهكذا ..

فلا عبرة بالجودة ولا قيمة لها ولا امتياز ؟؟
 « انما الربا في النسيئة ، وما كان يدا بيد فلا بأس » (٢) •

هذه المراحل الثلاثة :

عندما نتجه الى البحث في النصوص النبوية ينبغي أن يكون أمام أعيننا ما انتهت اليه الآيات القرآنية من نتائج وأحكام •
 وبالإضافة الى ذلك لابد من التقابض في هذه الحالة • وللانسان أن يسأل :

هل من (العدل) أن أعطى صاعا من التمر الممتاز ولا آخذ في مقابله الا صاعا واحدا من التمر الرديء ؟
 - والترتيب الزمني له قيمته في رفع التناقض ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ والأحاديث السابقة هذا ترتيبها :
 - الجواب واضح بالنفى •

(١) رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وأحمد ، والشافعى - انظر (مذهب ابن عباس) ص ٣٥ طبع دار الاتحاد العربى بالقاهرة .
 (٢) رواه الامام أبو حنيفة موقوفا في مسنده ص ٥٨ . (طبعة حلب) .
 ورواه الامام الشافعى موصولا « انما الربا في النسيئة » فقط .
 الرسالة للامام الشافعى صفحة ٢٧٨ ، ومسلم ١ : ٤٦٩ ، والبخارى ٣ : ٧٤ ، ٧٥ وأخرجه أيضا أحمد ، والنسائى ، وابن ماجه .
 انظر (علم العدل الاقتصادى) ص ٩٢ طبعة دار التراث بالقاهرة .

— المؤمن المعاصر لذلك الحديث
النبوى يقول :
بنظيره من الردىء دون بخس
لأحدهما ؟!

« سمعنا وأطعنا ٢٤ : ٥١ » •
— وينتهى سؤال المؤمن المعاصر
للوحى •

« نهى رسول الله — صلى الله
عليه وسلم — عن أمر كان لنا نافعاً ،
وطواعية الله ورسوله أنفع لنا
وأنفع » (١) ، لأن القيادة النبوية
قائمة ، والوحى ينزل ، والحكمة
الربانية تسعى ، لتشفى المجتمع من
أمراضه الاقتصادية فى اختلال
موازين القيم ؟!

— ويبقى السؤال بغير جواب
الى حين تأتى :

— المرحلة الثانية (مرحلة
خبير) •
٣ — وأخيراً ، يكون سؤاله
ثالث :

— اذا كان المقام النبوى قد
أمر بالبيع الآخر ، رعاية للتقدير
العادل ، •

— فلماذا لا يسمح بالبيع
المباشر مع ملاحظة (التقدير
العادل) أيضا ؟؟
— وهو سؤال منطقى ومعقول
كل صنف تقديره العادل اذا قوبل

(١) أبو داود فى حديث رافع بن خديج ٣٢٢٥ ، وأخرجه مسلم ،
والنسائى ، وابن ماجه ، انظر (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ص ١٤٣ طبعة
بالقاهرة •

وأصبحت النصوص القرآنية والنبوية مترابطة يعضد بعضها بعضا في تدرج ، يرفع صرح (العدل الاقتصادي) •

— ويحمى (القيمة العادلة) •
— ويحارب : البخس ، والظلم والغبن ؟!

رابعاً :

أليست هناك أحاديث أخرى في موضوع : « الربا » ؟!
— بلى ، كثيرة !

— ولكن اهتمامنا كان كبيراً بتوضيح المراحل الثلاثة المتقدمة ، لأن عدم اكتشافها كان سبباً فيما رآه الفقهاء من تناقض بين الأحاديث ، بعضها وبعض من جهة وبينها وبين النصوص القرآنية من جهة ثانية ؟؟

٥ — والآن : نذكر بعض

الأحاديث الأخرى :

٦ — عن عبد الله بن مسعود .
— رضى الله عنه — عن النبى —
صلى الله عليه وسلم — قال :

« الربا : ثلاثة وسبعون باباً ،
أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه .

— وهو ما يحققه حديث :

— المرحلة الأخيرة (حديث البيع المباشر) •
« لاربا الا فى النسيئة » •

— أما التفاضل بين أفراد الصنف الواحد ، تبعا للجودة والرداءة بالعدل ، فهو الأمر المشروع العادل ، وذلك مع التقابض في حالة البيع •

— ما الفرق بين (المرحلة الثانية) و (المرحلة الأخيرة) ؟؟
— أنه في شيء واحد : تقدير التفاوت بطريق (البيع المباشر) دون لجوء الى توسط (البيع الآخر) ؟؟

— هل تناقض أحاديث المراحل الثلاثة ما انتهت اليه النصوص القرآنية ، من وجوب التساوى المالى بين البديلين بالطريق العادل دون بخس ؟؟

ان التناقض يأتى عند الاخلال بحق الترتيب التاريخى للأحاديث النبوية ؟؟ •

— أما بعد العثور على أدلة الترتيب التاريخى بين هذه الأحاديث : فقد زال التناقض ،

وان أربى الربا عرض الرجل المسلم « (١) » .
 العادلة (وتسمح بالبخس ، وهو ربا .

تذكر أمثلة منها :

٩ - عن حكيم بن حزام ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « البيعان بالخيار ما لم يفترقا ، فان صدقا وبينا ، بورك لهما في بيعهما ، وان كتما وكذبا : محقت البركة من بيعهما » (٤) .

- وتأمل العقوبة : انها - « المحق » وهو عقوبة « الربا » .
 ١٠ - عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة » .

٧ - عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليأتين على الناس زمان لا يبقى أحد الا أكل الربا ، فان لم يأكله أصابه من بخاره » (٢) .

- وفي رواية : « من غباره »

٨ - وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يأتى الناس زمان يستحلون الربا بالبيع » (٣)

- وهناك أحاديث كثيرة تمنع صورا من البيوع ، ومساالك في التجارة ، لأنها تخل (بالقيمة

(١) بلوغ المرام : ٦٩٤ وقال : رواه ابن ماجه مختصرا ، والحاكم بتمامه وصححه ، وقال في عمدة التفسير ٢ : ١٩١ : « صحيح على شرط الشيخين » ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى « وانظر (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ١٥٦ . طبعة القاهرة .

(٢) رواه أبو داود : الحديث ٣١٩٠ ، ٣١٩١ ، وأخرجه النسائى وابن ماجه وانظر (مذهب ابن عباس فى الربا) ٨٤ ، ٨٥ طبعة دار التراث بالقاهرة . (٣) تهذيب سنن أبى داود ، أورده ابن القيم ٥ : ١٠٧ - انظر (مذهب ابن عباس فى الربا) ص ٨٥ .

(٤) أخرجه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ٠٠ الحديث ٣٣١٤ ع والترمذى ، والنسائى - (بناء الاقتصاد فى الاسلام) ص ١٦٢ طبع القاهرة .

- رجل منع ابن السبيل فضل
ما عنده •
- ورجل حلف على سلعة بعد
العصر — يعنى كاذبا •
- ورجل بايع اماما ، فان أعطاه
وفى له ، وان لم يعطه لم يف •
- وفى رواية : « ولا يزكيهم ،
ولهم عذاب أليم » •
- وقال فى السلعة : « بالله
لقد أعطى بها كذا وكذا ، فصدقه
الآخر فأخذها » (١) •
- ١١ — عن قيس بن أبى غرزة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال :
- « ان التجار هم الفجار ، الا من
بر وصدق » (٢) •
- لماذا حرمت هذه البيوع ؟؟

- هل نجد فى النصوص النبوية
ما يتناقض بعضه مع بعض ، بعد
اكتشاف الترتيب التاريخى ،
وظهور الناسخ المحكم ؟
- فكل تاجر فاجر الا اذا
صدق فى اعطاء البيانات الصحيحة
عن سلعته ولم يضطر المشتريين
بأى وسيلة كى يدفعوا له ثمنها

(١) أخرجه البخارى ، ومسلم ، ورواه أبو داود ، الحديث ٣٣٢٨ ،
٣٣٢٩ ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، (بناء الاقتصاد فى الاسلام)
ص ١٦٢ طبع القاهرة .

(٢) وقد نصت على ذلك آيات المطففين : « كلا ان كتاب الفجار لفى
سجين ٨٢ : ٧ ، وانظر كتابنا « الاقتصاد الاسلامى » ص ٣٢ طبع الخانجى
بالقاهرة •

الفكر الفقهي

- سبق أن عرفنا أن الصحابة — رضوان الله عليهم — كانت لهم مواقف ثلاثة من (الربا) * .
- ١ — موقف المتمسكين بحديث المرحلة الأولى .
- ٢ — موقف طالبي البيان .
- ٣ — موقف الذين علموا البيان النبوي في حديث : (البيع المباشر) مع رعاية (القيمة العادلة) .
- فماذا فعل أئمة الفقه ؟
- انحازوا الى الموقف الأول .
- وأهملوا الموقف الثاني .
- واعترض عليه الامام ابن حزم وانتقد الخليفة عمر ابن الخطاب ، قال :
- حاش لله ! من أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين الربا الذي توعده الله فيه أشد الوعيد والذي أذن الله تعالى فيه بالحرب * *

- هل نجد في النص—وص النبوية ما يتناقض بعضه مع بعض بعد اكتشاف الترتيب التاريخي ، وظهور الناسخ المحكم ؟
- هل نجد أحكاما في السنة النبوية — بعد هذا — تخالف نصا قرآنيا ؟؟
- هل نجد في الشريعة الاسلامية ما يخالف الأساس الذي قامت عليه الرسالات الالهية قبل الاسلام ؟؟
- أليس (العدل الاقتصادي) و (القيمة العادلة) في مقام التقدير والاحترام في جميع النصوص المحكمة ؟؟
- هل يجوز الاجتهاد عن طريق (القياس وعمله) مع وجود هذه النصوص ؟؟
- حكم الربا :**
- هل تخالف حقيقته في الشريعة الاسلامية .
- حقيقته في الشريعة الالهية ؟؟ بالحرب * *

(*) انظر صفحة ١٧ — ٢٥ الماضية .

(**) يعني بذلك قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا : اتقوا الله .. وذروا ما بقى من الربا .. ان كنتم مؤمنين .. فان لم تفعلوا .. فاذنوا بحرب من الله ورسوله .. وان تبتم .. فلکم رعوس أموالکم .. لا تظلمون ولا تظلمون ٢ : ٢٧٨ ، ٢٧٩ » .

انتقل الى الموقف الثالث ، فرماه بالتناقض من ناحية ، ثم ادعى أن الصحابة أجمعوا على حديث « الاصناف الستة » من ناحية أخرى وأن ابن عباس خرج عن

الاجماع .

— أما التناقض : فقد تم دفعه بالتاريخ ، واثبات أن الاول منسوخ بالآخر ؟؟

— وإذا وجد النص ، فهل يجوز الاجماع على خلافة ؟؟

✱

وأيन الاجماع ! ؟

— قال الامام ابن حزم :

« وأعجب شيء مجاهرة من لا دين له بدعوى الاجماع على وقوع الربا فيما عدا الاصناف الستة المنصوص عليها ، فكيف في غيرها ؟؟

أو ليس ابن مسعود ، وابن عباس يقولان : لاربا فيما كان يدا بيد ؟؟ وعليه كان عطاء ، وأصحاب ابن عباس ، وفقهاء أهل مكة (٣) .

« ولئن كان لم يبينه لعمر ، فقد بينه لغيره (يعنى حديث الاثنياء الستة) وليس عليه أكثر من ذلك ، ولا عليه أن يبين كل شيء لكل أحد ؟؟

ولكن اذا بينه لمن يبلغه ، فقد بلغ ما لزمه تبليغه » (١) .

— كلامه كله صواب ، عدا حسابه أن عمر لم يكن يعلم بحديث (الاثنياء الستة ٠٠)

المشهور ، مع أن عمر — رضى الله عنه — من رواة هذا الحديث

وحفاظه ، وقد نص على علمه بذلك ابن حزم نفسه في موضع آخر (٢)

— والحقيقة أنه — صلى الله عليه وسلم — بينه لما شاء الله من

الصحابة ومنهم « أسامة » الذي بلغه لابن عباس وحديث أسامة هو

البيان الذي ينسخ المرحلة الاولى ويمثل المرحلة الأخيرة ؟؟

ماذا فعل الفكر الفقهي بعد ذلك ؟

لم يكتف بما فعل تجاه الموقف الثانى من مواقف الصحابة ، وانما

(١) المحلى لابن حزم ٩ : ٥١٩ طبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة .

(٢) المحلى لابن حزم ٩ : ٥٣٩ أول المسألة ١٤٨٢ .

(٣) المحلى لابن حزم ٩ : ٥٣٧ طبعة دار الاتحاد العربى بالقاهرة .

- ولكن الفكر الفقهي تغاضى
عند التدوين ، فلم يعط لمذهب ابن
عباس حقه ، بل تصدى لمهاجمته
وتشويهه بغير برهان ولا دليل •
- أصبح حديث المرحلة
الاولى هو الركيزة الاساسية في
تحریم الربا ، عند الفكر الفقهي :
- فهل يحرم التفاضل في هذه
الاشياء الستة وحدها ؟؟
- أم يجعلها أصلاً ، يلتبس علته
عن طريق الاجتهاد القياسي ؟
- التزم الظاهرية بالاتجاه
الأول •
- وعمل آخرون بالاتجاه
الثاني •
- ولكن : ما العلة التي يقاس
عليها ؟؟
- اختلفوا في ذلك الى نحو
عشرة مذاهب (١) •
- *
- هل أجمع فقهاء المذاهب على
سلامة هذا الطريق ؟
- كلا ! بل ظهر المنتقدون ،
ومنهم :
- امام الحرمين الجويني
الشافعي ، حكى قول الغزالي ،
قال :
- «والمختار : أن العلق قد تزدحم
على حكم واحد :
- ويعلم أن الصحابة — رضى الله
عنهم — في اشتوارهم ، كانت
تتشعب آراؤهم الى مصالح
متظاهرة ، ولا يشتغلون بالترجيح ؟
- ومسألة الربا ، ليست معلة
عندنا ، ولا هي مجمع عليها ، ولكن
كل اعتقد أن علة خصمه باطلة ،
لا تستعمل ، ولذلك لم يجمعوا ،
ومسالك الترجيح فيها باطلة » (٢)
- ومنهم : ابن عقيل
الحنبلى (٣) والامام الصنعاني (٤)

(١) فصلها ابن حزم في المحلى ٩ : ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ولخصناها في كتابنا
(علم العدل الاقتصادي) ١٠١ — ١٠٩ طبعة دار التراث بالقاهرة .

(٢) المنحول للغزالي ٣٩٣ •

(٣) اعلام الموقعين لابن القيم (٢ : ١٥٥ ، ١٥٦) طبعة امبابي
بالقاهرة .

(٤) سبل السلام للأمير الصنعاني ٣ : ٥٤ طبعة مصطفى محمد ١٩٥٣
باب الربا •

- فهم يرون أن علل الفقهاء : باطلة
أو ضعيفة ، أو غير منصوصة (١) •
— ومع ذلك ، فإن ممن
استخدموا (الاجتهاد القياسى)
من وصل الى علة تماثل فى نتائجها
— عند التطبيق — ما يؤدى اليه
النص الذى تمسك به ابن عباس :
— ابن الماجشون : يرى أن
العلة هى (المالية) فكل مالين —
عند التبادل — لابد من التساوى
بينهما فى (المالية) سواء كانا نوعا
واحدا ، أو أنواعا ، دفعا للغبين عن
البائع والمشتري (٢) •
— ولكن ، أين من انتفع
بمذهبه ؟؟
— ولماذا لا يكون رأى ابن
الماجشون هو الصواب فى القياس
لو لم يكتشف الناسخ فى النصوص
النبوية ؟؟
ويصبح الأصل الذى تدور
عليه (المعاملات) هو :
— اقامة العدل •
— حماية القيمة العادلة •
- تحريم البخس •
— اعطاء كل ذى حق حقه •
بالميزان العادل ، والتقدير
العادل •
— تحريم الربا •
— وبالجمله : اقامة :
العدل الاقتصادى !! ؟
نسائل أنفسنا ! ؟
ونستفتى :
— هل يجوز أن نظل نحكم فى
أمور (معاملتنا) اجتهادات
بشرية ، تختلف فيها الآراء ويجتهد
كل فقيه برأيه هو ، وتنقسم
المذاهب الى عشرات ، يضع فيها
الحق ، ولا تطمئن ضمائر المسلمين
على تمييز الحلال من الحرام ،
والحق من الباطل ، وليس رأى
بأولى من رأى ، ولا اجتهاد بأولى
من اجتهاد ؟؟
— هل يجوز أن يستمر ذلك ،
ونترك الآيات القرآنية الواضحة
الاحكام ، •

(١) (علم العدل الاقتصادى) ١٠٤ — ١٠٦ طبعة دار التراث
بالقاهرة .

(٢) بداية المجتهد لابن رشد الأندلسى . ج ٢ ص ١٠٨ طبع الخانجى
بالقاهرة •

— ونترك الاحاديث النبوية
الناسخة المحكمة ، لنخرج الى
آرائنا وآراء البشر ؟؟

— ولا حجة لنا الا أن نقول :
ان فقهاءنا المجتهدين — رحمهم
الله — : قد كفونا ، ويذلوا الجهد؟

— ألا يجوز أن يكونوا — وهم
جميعا بشر غير معصومين — قد
خفى عليهم الأمر بسبب من
أسباب الخفاء التى نص عليها
شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالته
الجليلة « رفع الملام عن الأئمة
الاعلام » وقال فيها :

« .. فلا يجوز أن نعدل عن
قول ظهرت حجته بحديث صحيح
وافقه طائفة من أهل العلم — الى
قول آخر قاله عالم يجوز أن يكون
معه مايدفع به الحجة ، وان كان
أعلم ، اذ تطرق الخطأ الى آراء
العلماء أكثر من تطرقه الى الادلة
الشرعية . »

— فان الأدلة الشرعية حجة
الله على جميع عباده بخلاف رأى

العالم » •

وقال أيضا :

« وليس لأحد أن يعارض
الحديث الصحيح عن النبى صلى
الله عليه وسلم ، بقول أحد من
الناس ، كما قال ابن عباس — رضى
الله عنهما — لرجل سأل عن مسألة
فأجابها عنها بحديث •

فقال له : قال أبو بكر وعمر !

فقال ابن عباس : يوشك أن
تنزل عليكم حجارة من السماء !!
أقول : قال رسول الله — صلى
الله عليه وسلم — •

وتقولون : قال أبو بكر
وعمر !؟ (١) •

— السابقون لهم عذرهم ، ولهم
أجر اجتهدهم !! ولكن : ما عذر
من تبين لهم النص القـرآنى
الواضح فى أن يتركوا العمل به ؟
وما عذر من تبين لهم الحديث
النبوى الناسخ المحكم فى أن يتركوا
العمل به ؟؟

*

(١) انظر « الرسالة » المذكورة (رفع الملام .. عن الأئمة الاعلام)
صفحات ٢١ — ٢٣ •

القرآنية والنبوية كما اتضح من
(مذهب ابن عباس) فانه لايجوز
لذى رأى من أهل الفقه والعلم أن
يضمن بنصره ، ويجهر بتأييده حسبة
لوجه الله ، وخوفا من عقابه ؟؟

*

أيها السادة العلماء : —

— فليذكر بعضنا بعضا بقول الله
عز وجل : —

« ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من
البيّنات والهدى من بعد ما بيناه
للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم
الله ، ويلعنهم اللاعنون ؟؟؟

الا الذين تابوا وأصلحوا ،
وبينوا ، فأولئك أتوب عليهم ، وأنا
التواب الرحيم ٢ : ١٥٩ ، ١٦٠ » •
وأمثالها من الآيات الكريمة •

* * *

— ويقول حبيبنا محمد صلى الله
عليه وسلم : —

« من سئل عن علم فكتمه الجمه
الله بلجام من نار يوم القيامة » •
وبأمثاله من الأحاديث النبوية
الشريفة •

* * *

— هذا هو محل (الاستفتاء)
يتوجه الى ضمير كل فقيه أمين
على علمه ودينه :

(قضية الربا) :

— هل نجد حلها فى النصوص
القرآنية •

والأحاديث النبوية ؟

— أو نستمر ندعى : أنه لا حل
لها الا فى الآراء البشرية التى
تقدمها الاجتهادات المنسوبة الى
الفقه المذهبى ؟!

* * *

— أيها السادة العلماء والفقهاء:

— ستظل كلمة الله هى العليا •
— سيظل القرآن ونصوصه
الواضحة تتحدى •
— ستظل الأحاديث النبوية
الناسخة تتحدى •

*

— من وجد طريقا مستقيما ، فمن
الأمانة أن يعلنه ، حتى لا تتحمل
الكافة حرج الحيرة ، وضعف
الحياة ، ويتحمل هو اثم الكتمان ،
، ووزر العصيان ؟!

— أما ان كان الحق فى النصوص

السليمة لحلها ، حفاظا على الثروة الاقتصادية في جميع بلادنا .

ما هذه القضايا ؟

— سوف يصحو الضمير المؤمن ، المراقب لله عند كثير ممن حازوا أموالا محرمة من الربا ، ومن فائض القيمة بصورهما المتعددة ، ويريدون التخلص منها !! ؟

— ماذا يفعلون ؟؟

— أين البرامج الاقتصادية : في الزراعة ، والصناعة ، والبناء ، والخدمات المختلفة : لا عادة ثمرات هذه الأموال الى جميع أبناء الأمة ، كل بقدر حقه ، كل بقدر عمله الحلال !؟

— هنا : تكون المسؤولية مشتركة بين الجميع ، ولكن هناك من عليه نصيب أكبر ؟ وهم : —

*حكام المسلمين في كل مكان .
* والاقتصاديون المؤمنون المخلصون للمعدل !

* أما أكثر أولئك فضلا ، وأقربهم الى الله ، وأعظمهم ثوابا فهم : —

« أن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، أن الله نعماء يعظكم به ، أن الله كان سميعا بصيرا ٤ : ٥٨ » .

« يا أيها الذين آمنوا : لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، واتقوا الله ، أن الله سميع عليم » .

« يا أيها الذين آمنوا : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم ، وأنتم لا تشعرون ٤٩ : ١ ، ٢ » .

« وسع ربنا كل شيء علما ، على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين ٨٩ : ٧ » .

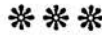
قضايا خطيرة

وبعد الاستقرار على اتباع (هداية القرآن والسنة) في (تحريم الربا) : —

— فان امام السادة العلماء ، والفقهاء ، والاقتصاديين ، وحكام المسلمين — قضايا خطيرة يجب التنبه لها واعداد الاجراءات

— الأغنياء الذين يستيقظ
 إيمانهم ، فيحاسبون أنفسهم ،
 ويعرفون أن المال الحرام الذي
 كسبوه : هو نار جهنمية تحيط
 بهم (١) وبأولادهم فينتقدون
 لتسليمها ، متطهرين من آثامها في
 شجاعة المؤمن التقى !!

« ٠٠ الا من تاب وآمن وعمل
 عملا صالحا ، فأولئك يبدل الله
 سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا
 رحيمًا »
 ومن تاب وعمل صالحا ، فإنه
 يتوب الى الله متابا ٢٥ : ٧٠ ، ٧١ »
 زيدان أبو المكارم حسن زيدان



(١) ورد في تقرير وزير التخطيط المصرى : ان بضعة آلاف من الناس
 جمعوا من المال الحرام ، ومن فروق الأسعار ، في ثلاث سنوات (١٩٧٣ —
 ١٩٧٦ م) نحو ١٠٠ ألف مليون جنيه (الأهرام ١٩٧٧/٩/٩ م) ، فهل
 حسبت ذلك البلاد الأخرى ! ؟

الإسلام والحضارة

مؤلف: د. محمد عبد الرحيم السامح

يلور مفهوم الحضارة عند العرب على أنها : ذلك النمط من الحياة المستقرة والذي يناقض البداوة ، فينشئ القرى والامصار ويضفى على حياة أصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شؤون الحياة والحكم وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية •

إذا كان ابن خلدون يلور هذا المعنى التاريخي واعتبر الحضارة غاية العمران ، فإن مفهوم الحضارة في عصرنا قد امتد الى ألوان من المعنى هي ابعد وأوسع مما رآه ابن خلدون في عصره ، وفي بيئته العربية في انتقالها الاجتماعي والسياسي والثقافي والمدني من البادية الى الحضر •

مفهوم كلمة الحضارة مفهوم تطور مع الزمن لاسيما في تاريخ الحياة العربية • والمفهوم الاصيل لكلمة الحضارة في اللغة العربية أنها : تعنى حياة الحضر والاقامة الثابتة في المدن والقرى ، عكسها (البداوة) وهي حياة التنقل في البادية ، ولقد عرف الفارق بين حياة البادية وحياة الحضر ، منذ كانت بادية ومنذ كان حضر •

ولكن أول من تصدى لهذا التمييز على أساس من الدراسة الواعية والتسجيل والتحليل العلمي •• هو عبيد الرحمن بن خلدون ، بل ان هذا العالم هو أول من عالج شؤون الحضارة العربية بطريقة علمية تحليلية •

على أنه إذا كان ابن خلدون قد

الحياة في أنماطها المادية والمعنوية ، ولهذا كانت الحضارة هي : الخطة العريضة - كما وكيف - التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم ، ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة . . ومنها الاطوار الحضارية الكبرى ، التي تصور انتقال الانسان أو الجماعات ، من مرحلة الى مرحلة .

والحضارة باختصار شديد هي جملة المظاهر المعنوية التي يخلفها التاريخ والتي تبقى في المجتمع على مر الايام دليلا على القدرات الذهنية المميزة ، وتعبيرا عن روح هذا المجتمع والشعب الذي يمثله . ولا شك أن المظاهر المعنوية تأخذ قوالب مادية مختلفة تتجسم فيها تلك المعنويات ، وتشكل المظاهر المعنوية في صور مختلفة كالفنون والأدب والعلوم والمعارف ، ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد في الآثار والعمائر وأسلوب الحياة وآداب المعاش اليومي وتقاليد المجتمع في النقارب والتفاهم والتعايش . والمدنية هي الوسائل والأدوات

ولئن كان بعض العرب القدامى قد استعملوا لفظ (مدنى) بمعنى (اجتماعى) فان مفهوما آخر ظهر واتصل بها وأصبح الآن يعرف بالمدنية بل ان ابن خلدون ذاته كان سابقا أيضا في هذا المجال اللفظي فاستعمل صيغة التمدن وكان يعنى بها (التحضر) .

على أن تلك المفاهيم اللغوية انما نشأت في بيئة عربية كانت حياة الحضر فيها تقابل حياة البادية . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية الا في جهات قليلة جدا خارج عالمنا العربى ولذلك فان لفظ الحضارة في مفهومه العالمى ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد أصبح أكثر اتساعا مما كان يدل عليه في مفهومه اللغوى التقليدى . . واذا كان أصل الحضارة الاقامة في الحضر . فان المعاجم اللغوية الحديثة ، ترى أن الحضارة هي الرقى العلمى ، والفنى والأدبى ، والاجتماعى في الحضر . . وبعبارة أخرى أكثر شمولاً ، هي : الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة والفكر ، ومجموع

مساره وتربطه بأهداف انسانية عالية .

ولئن كان الاسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الانسانية ، فان الواقع يبين للباحث والمفكر ، والدارس ، أن الحضارة الاسلامية استمدت كل مقوماتها وعناصر وجودها ، وأسباب نمائها وازدهارها .. من الاسلام ذاته .. والاسلام كان ولا يزال دين الحضارة والانسانية ، بمعنى أنه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملـة وانه انشأ لونا من الحضارة ، عرف باسمه ، وهو الحضارة الاسلامية .

وقد قامت الحضارة الاسلامية ، على دعائم أساسية ، جعلت منها حضارة عالمية متميزة ، وفريدة في تاريخ البشرية .. ومن ذلك .

أولا : أن الاسلام قد انطوى على طاقة روحية جعلت منه قوة فاعلة والشئ المهم في هذه القوة الفاعلة . أنها كانت اصلا جذريا ثانيا : ان الاسلام كان دين دعوة .. وفكرة الدعوة في الاسلام .. قد واثمتها ظروف الانتشار في

المادية التي يستعين بها الانسان على تحقيق حضارته وهي العديد من الانبياء والأدوات المادية التي تعين الانسان على التقدم في مضمار الحضارة واذا كانت الحضارة هي الابداع في مجالات الفنون والمعارف والعلوم فالمادية هي السبيل الى تذليل الصعاب الحضارية والأدوات المادية التي تبلغ بها الحضارة مستوى الابداع والتقدم . وكلما سيطرت الحضارة على وسائلها أمكنها أن تحقق ألوانا من الفن والابداع الذي تسجله الحضارة في جملة مظاهرها المعنوية .. وقد تؤدي الماديات المختلفة الى رفع مستوى التقدم الحضارى . وقد تؤدي الى تخلفه وانحداره . والذكاء الانساني في مجال استخدام الماديات هو الحكم في توجيه هذه الماديات فاما أن يسير بها سيرا حثيثا نحو الابداع والتألق والتقدم . أو أن يهبط بها الى مجال العبث والفساد والتدهور .. واما أن تسيطر القيم الروحية العالية على هذا الذكاء فتحدد

رابعاً : كان الإسلام ديناً رحباً يدعو إلى سبيل العقل ، في حدود أصول العقيدة كما يدعو إلى سبيل الضمير ، والحق .. ومن هنا كانت الدعوة إلى النظر ، وإلى المعرفة ، أساساً من أسس الدعوة الإسلامية وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة للحضارة .

والإسلام في رحابته الحضارية ، استطاع أن يمتص ألوان الحضارات في البلاد التي أوقد فيها قناديل الضياء وأن يسبغ عليها طابعا إسلاميا شاملا ..

خامساً : البيئة بعواملها المحلية وموقعها الجغرافي ، قد ساعدت على إعطاء الحضارة الإسلامية ، ما كان لها من طابع ، ومن مكانة ..

سادساً : القرآن الكريم ذاته . وذلك أن القرآن كان أعظم ما عرفته الإنسانية في تاريخها الممتد الطويل .. وقد تضمن القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الإنساني السليم . تنشده الإنسانية فتجد فيه مبتغاها من التشريعات الفردية والعلائق الأسرية ، والمعاملات الاقتصادية والحربية ، والقوانين

النطاق العالمي ، وفي ظلال الدعوة المستمرة تمكن الإسلام من نشر طابعه الحضاري ، كعقيدة للحياة ، وأن يصبح في أقل من ربع قرن ، مقوماً أساسياً من مقومات الحضارة الإنسانية .

ثالثاً : كان الإسلام ديناً سهلاً غير معقد ، ولا مركب في عقيدته ، وكان في الوقت ذاته ديناً مباشراً ، يتصل فيه الإنسان بخالقه دون وساطة :

« وقال ربكم ادعوني أستجب لكم »

« وإذا سألك عبادي عني فاني قريب »

ولا نجد عقيدة تطلب من الإنسان شهادة أبسط من شهادة الإسلام على عمقها وعظمتها :

« لا إله إلا الله محمد رسول الله »

.. عبارة سهلة رائعة .. تقف بالعقل على عتبة الدخول في الإسلام ، موقفاً سهلاً والمقوم الاصيل في هذه البساطة ، أن القرآن الكريم هو الوعاء الأساسي للعقيدة كلها .

المعاني ، ولا فكر من الافكار ،
ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية
علمية من النظريات ، تعجز اللغة
العربية عن تصويره بالاحرف
والكلمات ، وتجسيده داخل
الكلمات .

ثامنا : وبجانب هذا وذاك ،
كانت هناك مقومات تاريخية
وبشرية ، تتصل بالعصر الذى ظهر
فيه الاسلام ، ثم بالعنصر البشرى
.. والتكوين السكانى ، فاما عن
العصر ، فقد كان الاسلام ختام
الأديان السماوية ، وكان الاسلام
بذلك رباطا لها من الناحية
التاريخية ، كما كان فى الوقت ذاته
تصحيحا لها ، لما أصابها من تخريف
الفلاسفة والوثنيين .

ولقد كان هذا كله ، قوة دفع
للفكر الاسلامى ، وما اتصل به من
حضارة ومن هنا انطوى التفاعل
الاسلامى على قوة غلبت كل
التحديات الجاهلية فانشر طابع
الحضارة الاسلامية على فعالية لم
يعرف لها مثيل فى تاريخ الانسانية .
تاسعا : ومما يذكر ان ترسيخ
معالم الحضارة الاسلامية ، قد

المدنية ، والانظمة الدولية وبعبارة
أوجز ... تجد فيه الامة كل ما
تحتاج اليه فى حياتها العامة
والخاصة والدين والدنيا .

سابعاً : اللغة العربية نفسها
كانت دعامة من دعائم الحضارة
الاسلامية وذلك لانها أعرق اللغات
منبتا وأعزها جانبا ، وأقواها جلادة
وأعزرها مادة وأدقها تصويرا . لما
يقع تحت الحس وتعبيرا عما يجول
فى النفس .

وعندها من المرونة على
الاشتقاق والقبول للتهذيب ، وسعة
صدرها للتعريب . ما يمكنها من
الاستمرار فى عطائها ، نزل القرآن
بلسانها فجعلها أكثر رسوخا وأشد
بنيانا ، وأقوى استقرارا ، وبفضل
القرآن صارت العربية أبعد اللغات
مدى ، وأوسعها أفقا ، وأقدرها
على النهوض بتبعاتها الحضارية
عبر التطور الدائم الذى تعيشه
الانسانية واستطاعت العربية فى
ظل عالمية الاسلام ، أن تتسع
لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر ،
وترتقى حتى تصل أرقى اختلاجات
النفس ، وليس هناك معنى من

وإذا كان ظهور الاسلام قد سبقه في جزيرة العرب وما جاورها حضارات أقدم منه كما سبقته أيضا في البلاد التي انتشر فيها الوان من الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية والآشورية والبابلية والاعريقية •

فان الاسلام استطاع أن يضيف على البلاد التي شملها لونا عظيما من الفكر الدينى والحياة والمعاملات والعلاقات الانسانية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية حتى أصبح هناك قدر حضارى مشترك بين المسلمين في مختلف الاقطار وبلاد الدنيا ••

وهذه الحضارة الاسلامية تمتاز بأن كل مقوماتها الجوهرية تتبع من وحى رسالة السماء التي تمدها بالروح والقوة والتماسك وتوجهها الى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن واليعد عن الزهد المعطل للعمل وعن المادية الجامعة المفسدة ••

فهى فى نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله وافراده بالعبادة

تضاعف بفعل مقوم انساني آخر ، وهى تنوع السلالات التى دخلت فى الاسلام ، ثم هناك ظاهرة أخرى ترتبت على كل هذه الجوانب والعوامل ، وهى ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمنى فى الحضارة الاسلامية •

•• ومن وراء كل ذلك هناك الايمان بالله فهو القوة الدافعة الموجهة التى تسند الضعيف من ان يسقط ، وتمسك القوى من أن يجمع وتعصم الغالب من أن يطغى وتمنع المغلوب من أن ييأس •

ولئن كان الاسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الانسانية من حيث تقديس حرية الفكر واعزاز حرية الانسان وكرامته وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس فى ظلال اخاء شامل وعدل تام وروحانية صافية واعتزاز بالمثل العليا والقيم الأخلاقية السامية •

فان واقع الأمر يبين لنا أن الحضارة الاسلامية استمدت مقوماتها وعناصر وجودها من الاسلام ذاته •

الاسلامى تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكرى •

وفى نظامها الثقافى تعتمد على طلب المعرفة من كل طلب ممكن ومن أى مكان واستخدام العقل فى كسب المعارف وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة واعتبار الثقافة أيا كان مصدرها ومهددا تراثا عاما للانسانية ونستطيع أن نصل الى ان الحضارة الاسلامية • — وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الأقدمين وما أضافت اليه من صنع عبقريتها المبدعة •

— انقذت العالم القديم مما كان يعيش فيه من فوضى وانحيار واضطراب فى الحضارة واستعباد وظلم اجتماعى •

— أعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد فى اسمى صورها وأصفاها ومجتمعا جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمى بين الجميع •

والتنظيم والتمسك بما شرع من آداب السلوك والمعاملة •

وهى فى نظامها السياسى تقوم على الشورى والنزول على رأى الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان والتزود بكل أسباب القوة والمنعة •

وفى نظامها الأخلاقى تقوم على خلوص النية ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير والحق والتزام الاداب الفردية والاجتماعية التى تسير بالبشرية الى الكمال والسلام •

وفى نظامها الاجتماعى تقوم على الاسرة المتماسكة القائمة على أساس من المودة والرحمة والاخلاص وتعاون المواطنين على الخير والبر وقيام كل راع بمسئوليته •

وفى نظامها الاقتصادى تقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية •

وفى نظامها التشريعى تقوم على أصول رئيسية واسعة وقد تمثلت هذه الناحية فى ثروة من الفقه

للانسانية من أسباب النمو ،
وعوامل الازدهار .. ويلم بما جاء
به الفكر الاسلامى ، من مفاهيم
تتناولت أهم معضلات الحياة •

ان من يتعمق فى ذلك .. يدهشه
مدى عمق التفكير الواعى ، الذى
بلغ ذروته علماء الاسلام ..
ويتضاعف اعجاب الباحث ، بهذا
الفيض الزاخر من الجهود العلمية
العظيمة التى ملأت الدنيا ..

وتزداد دهشة المفكر ، ويتعاضم
تمجيده ، لحركة التحول الخطيرة
التي أصابت المجتمع العربى ، فى
تلك الفترة القصيرة ..

ترى .. أى سر هذا الذى
استطاع أن يحول عرب الصحراء
الى أساطين فى العلم ، ومشاعل فى
الحضارة ، وأفذاذ فى المعرفة ،
ومنارات فى الثقافة ؟ وأى قوة
رفعت العرب من حال البداوة التى
كانوا عليها ، الى أبطال وقادة ،
غير هيايين ولا وجلين ؟ •

وترى .. كيف نفسر سرعة
تطور العرب من الجاهلية الجاهلاء ،
الى الحضارة العليا ، فى أقل مدة
عرفتها الانسانية ؟ •

— أعطت الانسانية ذخيرة
ضخمة من المعارف أفاد منها الغرب
فى عصر الاحياء والنهضة واعتمد
عليها العالم العربى فى يقطته
الحديثة فى بناء نهضته المعاصرة •

— وضعت بعض أصول المنهج
العلمى الحديث — كطريقة الشك
عند (الغزالى) كما فتحت آفاقا
جديدة فى البحوث الانسانية —
كفلسفة التاريخ عند (ابن خلدون)
وعلم البصريات على يد (ابن الهيثم)
وابتدأت مرحلة جديدة فى تطور
علوم الرياضة على يد (الخوارزمى)
وعمر الخيام •

— ساعدت بآدابها على نهضة
الآداب فى أوربا وفتح آفاق جديدة
أمام شعراء الغرب وكتابه •

— ساعد خلفاؤها وقادتها —
بسلوكهم الأخلاقى وبنماذج
المروءة والشرف التى تحلوا بها
على اشاعة المثل الاخلاقية الرفيعة
مما كان قدوة لمن احتك بهم فى
المسلم أو فى الحرب •

ان من يمعن النظر .. فى أعماق
الحضارة الاسلامية ، وما حققتة

ان المنبع الأول والأصيل في كل ذلك .. هو : القرآن الكريم ... وذلك أن القرآن ، لم يكن كتاب دين يحث على العبادة فحسب .. وانما كان الى جانب تأكيد وحدانية الله ، وما يتبعها من عقائد ، وعبادات ، وأوامر ، ونواهي كان أعظم الدساتير التي عرفتها الانسانية ، في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن .. وذلك بما تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانساني الصالح . ولقد كان أول أثر من آثار القرآن في الفكر الانساني .. اهتمامه الواسع بالعلم .. وذلك أن العلم أساس التقدم والتعاون ، وتبادل الخبرات والمنفعة ، وقد كانت العناية القرآن بالعلم .. تفوق حد الوصف .

تأمل القرآن وتدبر آياته ، تجده يدعو الى تحكيم العقل والمنطق ، في مظاهر الكون ، وأحداث الماضي . ولقد اشتمل القرآن على ستة آلاف ومائتين وست وثلاثين آية ، منها سبعمائة وخمسون آية كونية وعلمية .. احتوت أصولا وحقائق

تقول الكاتبة الالمانية الدكتوراة (سيجريد هونكه) : « ان هذه الطفرة العلمية الجبارة ، التي نهض بها أبناء الصحراء ، من الغد ، من أعجب النهضة العلمية الحقيقية ، في تاريخ العقل البشري » .

وليس من المعقول في نظر المفكر .. والباحث ، والدارس .. أن يطرّف الفكر العربي الذي قيّدته ظروف الحياة القبلية الآسنة لليبوس ، الى مثل هذه المرتبة العالية ، دون أن تكون هناك الأسباب القوية التي دفعت به الى الحياة المتحركة دفعا .

ومن المسلم به ، أنه لم تظهر قبل الاسلام .. أية دلائل على التطور الفكري من العرب المنتشرين في الجزيرة العربية .. وكان الشعر ، والخطابة والتنجيم أحب شيء الى عرب الجاهلية ، اذن .. ما هي تلك الاسباب التي استقى منها الفكر العربي ، مادة هيويتة ، وتطوره ؟ وما هي الموارد التي نهل منها أسبلب تكامله وحياته .. ؟

له .. أيا كان مبلغهم من العلم ،
وبما يفى بحاجاتهم في كل عصر ،
ويتجاوب مع أهل البداوة في يسر ،
ويبهر في عمقه أهل الحضارة الذين
صعدوا في سلم الرقى ويرعوا في
فنون العلم والمعرفة .

لقد كرم الاسلام العلم ، وحث
المسلمين على المزيد فيه ،
والاستفادة منه ، لأنه ينير العقول
المظلمة ، ويحيي القلوب الميتة ،
ويهدى النفوس الحائرة ، ويرقى
بالمجتمعات الانسانية ، ويسمو
بالقواعد الحضارية . وقد كانت
عناية الاسلام بالعلم تفوق حد
الوصف . حتى ان كلمة العلم
بجميع تصريفاتها واشتقاقاتها ترد
في أكثر من خمسمائة آية من آيات
القرآن الكريم . وهذا ينبىء عن
مكانة العلم في الاسلام ..

والقرآن الكريم نفسه مشتق
من القراءة ، والقراءة مفتاح هائل
من مفاتيح العلم للانسان ، وطريق
دائم للمعرفة . والانسان مهما كان
ضعيف العلم والثقافة فانه الى
نمو في الثقافة والعلم مادام يقرأ ..
وأول ما نزل على محمد رسول الله

تتصل بعلوم الفلك والطبيعة ، وما
وراء الطبيعة ، والأحياء ، والنبات
.. والحيوان ، وطبقات الارض ،
والأجنة ، والمورثة والصحة ،
والصحة الوقائية ، والتعديدين
والصناعة ، والتجارة ، والمال ،
والاقتصاد .. الى غير ذلك من
أمور الحياة .. واحتوت باقى
الآيات على الأصول والأحكام في
المعاملات ، وعلاقات الأمم
والشعوب ، في السلم والحرب ،
وفي سياسة الحكم واقامة العدل ،
والعدالة الاجتماعية .. وكل ما
يتصل ببناء المجتمع ..

وهذا كله بخلاف العبادات،
والعقائد ، والتكاليف ، والقصص ،
والمواعظ والأمثال ، وغير ذلك من
شئى أمور الدين والدنيا .. مما كان
محلا للدراسة والاستنتاج ،
والتخريج ، والتأصيل ، والبحث ،
والتنقيب .. وكان أساسا لعلوم
الفقه ، والتفسير ، والحديث
والأصول والأخلاق ، والبلاغة ،
والنحو ، والأدب .. ذلك أن القرآن
من العمق ، والاتساع ، والعموم ،
والشمول .. بما يقبل تفهم البشر

وتخبطت الاحكام ، ولم يعرف
الخلف مذهب السلف .. وكان معظم
الخلل الداخلى على الناس فى دينهم
ودنياهم ، وانما يعتريهم من
النسيان الذى يمحو صور العلم من
قلوبهم فجعل لهم الكتاب وعاء
حافظا من الضياع . كالاولوية التى
تحفظ الأمتعة من الذهاب
والبطلان . فنعمة الله عز وجل
بتعليم القلم بعد القرآن من أجل
النعم . والتعليم به كذلك » (١) .
وقال تعالى فى سورة القلم :
« ن والقلم وما يسطرون » فإله
يقسم بالقلم والكتب ، فتحا لباب
التعليم بهما ، ولا يقسم الله
الا بالأمر العظام . فاذا اقسم
بالشمس والقمر ، والليل والفجر ،
فانما ذلك لعظمة الخلق ، وجمال
الصنع ، واذا اقسم بالقلم
والكتب ، فانما ذاك ليعم العلم
والعرفان وبه تتهذب النفوس ،
وترقى شئوننا الاجتماعية
والعمرانية (٢) .
وما أروع لفظ (وما يسطرون)

حلى الله عليه وسلم ، من وحى
السماء ، عندما كان يتحنث فى غار
حراء ، خمس آيات من القرآن
الكريم ، هى قوله تعالى فى سورة
العلق : « اقرأ باسم ربك الذى
خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ
وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ،
علم الانسان ما لم يعلم » ..

ففى هذه الآيات الخمس ، بدأ
الوحي الالهى بالقراءة فى أول آية ،
وكان ذلك بصيغة فعل الأمر . وقد
تكرر الامر بالقراءة فى الآية
الثالثة . وأوضحها مؤكدا ما رمى
اليه من معنى . وهو التعليم ، وزاد
التأكيد بذكر القلم ..

« والتعليم بالقلم من أعظم نعم
الله على عباده . اذ به تخلص
العلوم ، وتثبت الحقوق ، وتعلم
الوصايا ، وتحفظ الشهادات ،
ويضبط حساب المعاملات الواقعة
بين الناس . وبذا تقيد أخبار
الماضين للباقيين اللاحقين . ولولا
الكتابة لانقطعت أخبار بعض
الأزمنة عن بعض ، ودرست السنن

(١) أنظر : تفسير القاسمى ج ١٧ ص ٦٢٠٩ ..
(٢) راجع تفسير الشيخ المراعى ج ٢٩ ص ٢٧ .

وكل ما يعود عليهم وعلى
الامة الاسلامية ، والمجتمعات
الانسانية بالخير والرقى . قال
تعالى في سورة التوبة : « وما كان
المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من
كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في
الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون » .

فهذه الآية الكريمة تشير الى أن
تعلم العلم أمر واجب على الأمة
جميعاً وجوباً لا يقل عن وجوب
الجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن
الاسلامى . فان الوطن يحتاج الى
من يناضل عنه بالسيف ، والى من
يناضل عنه بالحجة والبرهان .

وفي الآية — كما جاء في تفسير
المراعى — اشارة الى وجوب التفقه
في الدين والاستعداد لتعليمه في
موطن الإقامة ، وتفقيه الناس فيه
بالمقدار الذى تصلح به حالهم .
فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة
التي يجب على كل مؤمن أن يتعرفها ،
والناصبون أنفسهم لهذا التفقه .
على هذا القصد ، لهم عند الله من

حيث يشمل كل فنون الكتابة
والتعبير عما في الضمير بالرسم
والتصوير ، ويشمل كل آلة أو نظام
استحدث للتوصل الى ذلك من آلات
ومعدات حدثت أو ستحدث (١) .
فانسانية الانسان لا تكمل الا في
ظل المعرفة الصادقة ، والعلم البناء
المثمر الذى يوضح المعالم ، ويهدى
الى الرشاد . قال على رضى الله
عنه :

ما الفخر الا لأهل العلم انهم
على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم اعداء
ففز بعلم تعش حيا به ابدا
الناس موتى وأهل العلم احياء
والاسلام يحض المسلمين على
طلب العلم ، والتفقه في الدين ،
والبحث الدقيق في كل مجالاته
وفنونه وفروعه . وأن يتحملوا
المثاق في سبيل تعلمه وتحصيله
وأن يبذلوا كل طاقاتهم في طلب
المزيد منه . وأن يتعلموا كل ما ينفعهم
في دينهم ودنياهم ،

(١) كتاب التفسير الواضح للشيخ حجازى ج ٢٩ ص ١٣ .

آية من كتاب الله خير لك من أن
تصلى مائة ركعة لأن تغدو فتعلم
بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به
خير لك من أن تصلى ألف ركعة) •
وروى الترمذى عن أنس قال :
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (من خرج في طلب العلم
فهو في سبيل الله حتى يرجع) •
وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه
قال : (تعلموا العلم • فان تعلمه لله
خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته
تسبيح ، والبحث عنه جهاد وتعليمه
لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لاهله
قربة • لانه معالم الحلال
والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة ،
وهو الانيس في الوحشة ،
والصاحب في الغربة ، والمحدث في
الخلوة والدليل على السراء
والضراء ، والسلاح على الاعداء ،
والزينة عند الاخلاء) ••
وانطلاقا من تعاليم الاسلام ،
ودعوته الى العلم • ادرك المسلمون
مبلغ الحاجة اليه في بناء المجتمع
ودعم مراكز الأمة • لهذا وجهوا

أسمى المراتب ما لا يقل في الدرجة
عن المجاهد بالمال والنفوس ، في
سبيل اعلاء كلمة الله ، والذود عن
الدين والملة • بل هم أفضل منهم
في غير الحال التي يكون فيها الدفاع
واجبا عينيا على كل شخص (١) •
روى البخارى ومسلم وابن
ماجة ، عن معاوية رضى الله عنه ،
قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين » •

وروى أحمد والطبرانى عن
صفوان بن عسال المرادى • قال :
أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ،
وهو في المسجد متكئ على برد له
أحمر • فقلت له يا رسول الله انى
جئت اطلب العلم • فقال : (مرحبا
بطالب العلم • ان طالب العلم تحفه
الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم
بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من
حبهم لما يطلب) • وروى ابن ماجه
عن أبى ذر رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم

الأول الذى بدأوا فيه بمزاولتها) •
وتقول الكاتبة الالمانية الدكتور
سجريد هونكه فى كتابها المسمى
(شمس الله تشرق على الغرب) :
ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التى
نهض بها أبناء الصحراء من العدم
من أعجب النهضة العلمية الحقيقية
فى تاريخ العقل البشرى • فسيادة
أبناء الصحراء التى فرضوها على
الشعوب ذات الثقافات القديمة ،
وحيدة فى نوعها • وان الانسان
ليقف حائرا أمام هذه الهجرة
العقلية الجبارة التى يحار الانسان
فى تعليلها وتكييفها » •

وقد قام العلماء والمفكرون
المسلمون بهذه النهضة العلمية التى
تخطت مراحل النهوض فى الامم •
قاموا بها على رغم الاحداث
العاتية التى حملوا اعباءها ،
والحروب الطاحنة التى خاضوا
غمارها • لأن الاحداث والحروب
وان بلغت من العنف ما بلغت
لا تستطيع ان تقف فى طريق
العقيدة الصحيحة التى انطوت
عليها القلوب ، وتفاعلت بها النفوس
• • ولا ان تمنع العزائم القوية من

العزائم الى طلب العلوم على
اختلاف انواعها • ولم يشغلهم عن
طلبها ترف الحضارة • ولم تثن
عزائمهم عنها بأساء الحياة
وضراوتها ، وبحثوا عنها فى آيات
الله التشريعية ، وآيات الله
الكونية ، وأقاموا لها فى كل مدينة
منارا عاليا ، وحملوا المشاعل المضيئة
الى مشارق الأرض ومغاربها • •
ولم يقف المسلمون بجهودهم عند
نتاج عقولهم وأفهامهم •

بل اتجهوا ايضا الى علوم
السابقين ، يدرسون ويبحثون ،
فأستخرجوا العلوم من زوايا
الاهمال والنسيان • وكانوا يطلبون
العلوم طلب الناقد البصير • واكتمل
لهم من ملكة العلوم والفنون فى
جيل واحد مالم يكتمل الأمة
من الأمم الناهضة فى عدة
أجيال وفى ذلك يقول بعض العلماء
المؤرخين : (ان ملكة الفنون لم يتم
تكوينها فى أمة من الأمم الناهضة
الا فى ثلاثة أجيال : جيل التقليد ،
وجيل الخزيمة ، وجيل الاستقلال
والاجتهاد • الا العرب وحدهم فقد
استكملت لهم ملكة الفنون فى الجيل

الوصول الى تحقيق أغراضها في عماء الجهل وظلمته ويدونونها وأهدافها •

وإستطاع المسلمون في سرعة قلم يعهد لها مثيل في تاريخ الحضارة ، أن ينتقلوا من أمة الامية الى أمة العلم ، والقيادة الفكرية ، وأن يصبحوا قادة للفكر ، وروادا — للمعرفة والعلوم والفنون •

يدرسونها للأجيال المعاصرة كأحسن ما يكون التدريس والتعليم ، وينشرونها في شعوب كانت تائهة

التدوين والتأليف •
وان الأمة التي اكرمها الله بالقرآن ، تتطلع الى غد مشرق بالعلم والحضارة ، وخير للأمة أن تعمل في حزم وعزم ، لتحقيق الأمجاد وتسعد الأفراد والجماعات •

أحمد عبد الرحيم السايح



الطب الإسلامي

للكثر عالى محمد طابع

— عليكم بالشفاءين : العسل
والقرآن •

— داووا مرضاكم بالصدقة •

— ماء زمزم لما شرب له •

— وأخيرا وليس آخرا : شفاء
أمتى فى ثلاث : شربة عسل ••

شرطة محجم

والكى

وما أحب أن أكتوى

ولو أنعمنا النظر فى الحديث
الأخير لوجدنا فيه برنامجا شاملا
لعلاج جميع الأمراض • فشرية
العسل وحدها أو بإضافة بعض
العقاقير الأخرى شفاء لكثير من
الأمراض • والحجامة والتشريط
علاج لمجموعة أخرى والكى بنوعيه:
الكى الطبى والكى الجراحى هو

أرسل الله رسوله محمدا صلى
الله عليه وسلم الى الناس كافة
ونزل عليه الكتاب الذى لا يأتیه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه •
وجعل هذا الكتاب شاملا لأمر الدين
والدنیا « ما فرطنا فى الكتاب من
شئ » وقال سبحانه وتعالى فى هذا
الكتاب عن النحل « يخرج من بطونها
شراب مختلف ألوانه فيه شفاء
للناس » وقال : وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا تبارا » •

وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذى أنزل عليه الكتاب
تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة •
والذى لا ينطق عن الهوى :

— تداووا عباد الله فان الذى
أنزل الداء أنزل الدواء •

الدين الحنيف الذى تكفل الله جل جلاله باظهاره على الدين كله ولو كره المشركون : « هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

لقد بدأ الناس ينتبهون الى حقيقة كانت تخفى على الكثير وهى أن الأدوية المصنعة التى يتعاطونها لها آثار سيئة فهى تعالج شيئاً وتحدث أضراراً فى أجزاء أخرى من الجسم ولذلك يعطى المريض دواء للمرض ويعطى أدوية أخرى فى نفس الوقت لمئات الآلاف الجانبية لهذا الدواء .

ان هذه الحالة غير معروفة فى العلاج بالعسل أو بالأعشاب الطبيعية أو بالحجامة أو بالكي فليس لها آثار جانبية سيئة كما للدوية المصنعة .

وهناك ميزة أخرى فى وسائل العلاج النبوى وهى سرعة الاستجابة ورخص العلاج . فمن المعروف عند من يمارسون العلاج بالكي أن الالتهاب الرئوى يعالج بالكي على الظهر بين الأضلاع وأن

آخر العلاج لقوله صلى الله عليه وسلم « آخر العلاج الكى » . والجراحة نوع من الكى ونحن لانلجأ اليه الا عند ما يفشل العلاج الطبى بالوسائل الأخرى .

وفى كتاب الله العزيز قوله تعالى « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ، وقوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

ومن هذا المنطلق . وهو دراسة نفس الانسان وجسده وأمراضه وعلاجه سيريناً المولى عز وجل من آياته ما يبين للناس طريق الحق أى أن الطب سبيل من سبل الدعوة الى الله . وأن الطب النبوى وهو الطب الاسلامى القائم على أحاديث وتعاليم النبى صلى الله عليه وسلم سيكون وسيلة من وسائل الدعوة الى الله تعالى .

ولو انتبه المسلمون الى هذه الحقيقة . وبدأوا فى دراسة هذه الاسس العلاجية التى أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم لموجدوا فيها من الآيات ما يجذب الكثير من غير المسلمين الى هذا

يحتاج الى دراسة وأبحاث وتجارب
أرى أن أولى الناس بالقيام بها
هم القائمون بأمر طب الأزهر وأن
جامعة الأزهر يجب أن تهىء لهم
كل أسباب العمل في هذا السبيل
وعلى القادرين من اخواننا المسلمين
في بلاد البترول أن يرصدوا من
الأموال ما يكفى العاملين في هذا
الحقل من أداء هذا الواجب المقدس
ابتغاء مرضاة الله وطمعا فيما عند
الله • والله عنده حسن الثواب •

١ • د • على محمد مطاوع

القيء والاسهال والمغص يعالج
بالكى على الكعبين والعجيب أن
نتيجة العلاج تظهر في بضع دقائق
وبدون أعراض جانبية بصورة
لا نعرفها في أى علاج من الأدوية
المصنعة •

ان الأبحاث أثبتت أن العسل
مادة تصنعها النحل ل تمنع حبوب
اللقاح من النمو في العسل • وهذه
المادة توقف نشاط الخلايا السرطانية
كما أن النحالة الذين يمارسون
هذه المهنة فوق خمس سنوات
لا يصابون بالسرطان ان الأمر

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه سنة أضر على نفسه

لقد أرسل الله تعالى إلينا أشرف الوري ، سيدنا ومولانا محمدا ، صلوات الله وسلامه عليه ، بالهدى ودين الحق ، بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ، فقام في مكة وحيدا فريدا يدعو إلى العلى القدير ، وآمن به رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، واعترض طريقه آخرون قعدوا له ولأصحابه كل مرصد ، وطهر الله عز وجل أفئدة المؤمنين الأولين ، وملأها تقوى ونورا فأدوا فرائض ربهم وأطاعوه في سرهم وعلنهم ، وسارعوا إلى الخيرات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

وكان من المألوف أن يعيشوا كآبائهم وأجدادهم ، دون أن تسجل

أسمائهم في عداد المصلحين ، ولكن الاسلام الحكيم ، والقرآن العظيم والأسوة الحسنة بامام الهدى عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم ، جعلت منهم الحكم العادلين ، والقواد المنصورين ، الذين أدركوا أنهم لم يخلقوا عبثا ، ولم يتركوا في هذه الحياة سدى ، ولكنهم مسئولون أمام مولاهم عن كل ما قدموا في دنياهم . فعملوا بالحق ليوم عظيم لا يقضى فيه الا بالحق ، وأرهفت حواسهم فلم يكن شئ أحب إليهم من الاصلاح ، ولا أبغض لديهم من الافساد .

ولحق الرسول الكريم بالرفيق الاعلى ، وقام بأمر المسلمين من بعده أبو بكر الصديق ، فكان متبعا ولم يكن مبتدعا ، لأنه صاحب

بمأمن عن الناس والرقباء ؟ فقالت
البنت : اذا كان أمير المؤمنين
لا يرانا يا أماه فرب أمير المؤمنين
يرانا ، ولا يخفى عليه شئ في
الأرض ولا في السماء •

وانشرح صدر أمير المؤمنين لهذه
الاجابة الصادرة من البنت ، التي
تقوم على الايمان واليقين
ومراقبة الله عز وجل في السر
والعلن ، وتمنى في قرارة نفسه
أن تكون هذه الفتاة التقية النقية
زوجة لابنه عاصم ، وتحقق ما دار
بنفسه ، ووضعت ليلى ونمت مع
الأيام ، وودع أمير المؤمنين الحياة
وباع الناس عثمان بالخلافة ،
فاستعان بمروان بن الحكم ، حتى
أمسى ساعده الأيمن ، وكان له
ولدان عبد الملك وعبد العزيز ،
ونشأ كل منهما بمدينة الرسول ،
يؤم المسجد النبوى ويستمع الى
كبار الصحابة ، وانتهت خلافة
عثمان وتلتها خلافة على بن أبى
طالب ، ونازعه معاوية بالشام ،
وتم له الامر أخيرا ، وانتقلت
رؤيا أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب مع الأجيال ، وتمنى

المصطفى في الغار ، ورفيقه في
الأسفار ، وأمينه على الاسرار ،
وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب
رضوان الله عليه ، وعدل فأمن ،
وراقب الله في الامة ، ورأى ذات
يوم رؤيا أضاعت لها جوانب نفسه ،
بأنه سيأتى من ولده رجل أشج ،
يلى أمر الناس فيملا الأرض عدلا ،
وقص رؤياه على المقربين اليه ،
فذاغت هنا وهناك •

ولقد قدر أمير المؤمنين عظم
مسئوليته عن رعيته أمام الله
الواحد القهار ، فكان يتعسس
ويطوف ليلا بشوارع المدينة
المنورة ليتفقد أحوال الناس ،
واستمر في ذلك ليلة مع قائد جنده
حتى كاد يتبين الخيط الابيض من
الخيط الاسود من الفجر ، وبيتما
هو يتأهب للذهاب الى المسجد
النبوى الشريف ليصلى بالناس
سمع حوارا بين أم وبنتها ، قالت
الام لابنتها : قومى يابنية واخرجى
اللبن واخليه بالماء ، فأجابتها
البنت : وكيف أفعل ذلك وقد نهى
عنه أمير المؤمنين ؟ فقالت الام :
وما يدري أمير المؤمنين بنا ونحن

ولقد كان بقصر عبد العزيز بالشام اصطيال يضم الكثير من الخيول العربية وكان عمر ابنه مولعا بها ، يركبها ويمسح عليها ، وعلى حين غفلة من المشرفين على هذه الخيول ، رمح عمر فرس فشجبه ، وطار الخبر الى أبيه فأسرع نحوه ، ومن خلفه رجال القصر ، وأبصر الدم يسيل من وجه ابنه فمسحه عنه ، وتذكر رؤيا جد زوجته ، وضم عمر الى صدره في حنان وقال له : ان كنت أشج بني مروان انك اذن لسعيد . وبريء عمر من شجته وأدرك مقتبل العمر وريعيان الشباب ، وعكف على تلاوة التنزيل الحكيم ، وأحاديث الهادي البشير النذير ، والالمام بتاريخ جد والدته عمر ، والعوامل التي رفعتة الى هذه المنزلة ، التي لا يرقى اليها حاكم . ومات جده مروان وقام بأمر المسلمين من بعده ابنه عبد الملك وعادت مصر الى الامويين بعد حروب طاحنة ، ورغب عبد الملك الى أخيه عبد العزيز أن يتولى امارتها فشرع في التأهب للسفر اليها ، وتقدم عمر بن عبد العزيز من أبيه

عبد العزيز بن مروان أن تتحقق له ، فيقترن نجمه بليلى حفيدة عمر وبنت عاصم ابنه ، وبلغ سن الزواج وفاتح أباه مروان بن الحكم في ذلك فاستولى الخوف على نفسه وعلى نفوس من علموا بهذا النبأ من الامويين ، وتذكروا شدة عمر وعدله ، وأدركوا أن العرق دساس ، وربما تأتي ليلي برجل يرث صفات جد أمه ، ويحول بينهم وبين ما ألفوه من ترف ونعيم ووراثه للملك والحكم ، وحاولوا جاهدين أن يثنوا عبد العزيز عن رغبته ، ولكن دون جدوى .

وتزوج من ليلي وصحبها الى الشام ، وعاشا فيها عيشة راضية ، ومات معاوية بعد أن أخذ البيعة لابنه يزيد ، ولم تمض مدة طويلة ، حتى وضعت ليلي غلاما ، سربه أبوه سرورا عظيما ، وبلغ من اعجابه بجذ زوجته أن سماه باسمه وتمنى أن تتحقق فيه رؤيا الفاروق نصر الله تعالى تاريخه ، ومات يزيد وبويع مروان بن الحكم ، فولى أمر المسلمين ، ورغب اليهم أن يبايعوا بعده ابنه عبد الملك وعبد العزيز ،

السلام عليك يا صديق رسول الله ، وناصر الاسلام ، وواصل الارحام ، ومقاتلا لأهل الردة والبدع ، ولقد خلفته أحسن خلف ، وسلكت طريقه ومنهاجه خير منك ، وقمت بأمر الرعية من بعده أعظم قيام حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ما جزى اماما عن أمة نبيه . ثم تحول حتى حاذى عمر ابن الخطاب جد والدته ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ومظهر الاسلام ، ومحطم الاصنام ، وكافل الايتام ، ورافع لواء العدالة بين الانام ، ولقد كنت للمسلمين اماما مرضيا ، وهاديا مهديا جمعت شملهم ، وأغنيت فقيرهم ، وجبرت خواطرهم ، فرضى الله تعالى عن استخلفك ، وجزاك عن الاسلام والمسلمين أفضل الجزاء ، وما أن استقر المقام بعمر بن عبد العزيز في المدينة ، حتى قصد صالح بن كيسان ، الذى أسند اليه أبوه عبد العزيز بن مروان أمر تعليمه وتنقيفه ، وقضى عمر معه معظم وقته ، واثبت اعجاب صالح بذكاء عمر وفطنته ، وصلاحه وتقواه ،

يرجوه فى أن يسمح له بالذهاب الى المدينة المنورة ليأخذ عن علمائها ، وحقق أبوه رجاءه وغادرت الشام قافلتان : قافلة عبد العزيز بن مروان وزوجه والحاشية متجهة الى مصر ، وقافلة عمر بن عبد العزيز تأخذ طريقها الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحيط بها الخدم والحشم ، وما أن لاحت المدينة لعمر حتى امتلأ قلبه رهبة ، وراح يستعد لدخولها ، ولبس أجمل ثيابه ، ودخل المسجد النبوى خاشعا خاضعا وحياء بركعتين بين المنبر والروضة الشريفة ، ثم نهض من فوره ووقف أمام الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وسلم فى أدب ، مستحضرا عظمته وقال :

السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا خاتم النبيين والمرسلين ، ورحمة الله تعالى للعالمين ، والشفيع يوم الزحام فى المذنبين ، وجزاك الله عن الاسلام والمسلمين خير ما جزى نبيا عن أمته . ثم رجع الى الورا حتى كان تجاه الصديق ، وقال :

وعبده الله ، وما أن وقع نظره عليه حتى أعرض عنه ، وقال له : متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ؟ ففهم ما يرمى اليه شيخه بما فطر عليه من نبهة وبعد نظر ، وقال : معذرة الى الله واليك ، وأعاهدك على ألا أعود لمثلها ، ومنذ ذلك الحين تحرر عمر من تعصب الامويين ، وانشرح صدره لاهل بيت الرسول الصادق الامين ، عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلوات وأتم التسليم ، كل وقت وحين •

ولما أقبل موسم الحج قدم الحجاج من جميع الجهات على الاماكن الطاهرة لاداء مناسكهم ، والتشرف بزيارة خير الورى عليه الصلاة والسلام ، وكان من بينهم حجاج مصر يتق—دمهم واليهم عبد العزيز بن مروان وخف ابنه عمر في لهفة لاستقبال أبيه وأمه ، يتمتع نظره برؤيتهما ، ويستمتع الى حلو حديثهما وأبناء مصر وأحـوال المسلمين فيها ، ووزع والده الهدايا على أحبائه ومعارفه ، وسأل صالح ابن كيسان ، وعبيد الله بن عبد الله

وخوفه من مولاه ، وان كان لايزال غص الالهاب • وفي يوم تأخر عن شهود الجماعة أول وقتها بالمسجد النبوى ، ولما حضر بأدركه صالح مغضبا : ما شغلك ؟ فقال كانت جاريتى تمشط شعرى ، فتأسف ابن كيسان أكثر وقال : قدمت ذلك على الصلاة ، وكتب رسالة الى أبيه عبد العزيز بن مروان بحلوان ، يخبره فيها بما كان من ابنه عمر ، ولم يمض وقت طويل حتى جاء عمر كتاب أبيه يرسم له فيه ما يجب أن يسير عليه بالمدينة ، حتى يكون خير خلف لخير سلف ، وينهض بالأمر اذا وسد اليه على أروع الوجوه •

وما أن تلقى عمر كتاب أبيه حتى بادىء بحلق رأسه ، وزادت مكانة أستاذة لديه ، وبلغ من حبه للعلم ورغبته فى أخذه منه بأكبر نصيب ، أنه لم يكتف بأستاذ واحد ، بل راح يختلف الى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه ، وكان عمر يتحامل فى أحاديثه على الامام على بعض الشئء كما يفعل الامويون فظهرت أمارات الغضب على وجه شيخه

سألها : هل ارتكبتما اثماً قط ؟
فأجابا بالنفى، فكبر عبد الملك فرحاً
وقال لقد نلتماها ورب الكعبة ،
ووردت الاخبار بعد حين من مصر
بموت عبد العزيز وجلس عبد الملك
يتقبل التعازي فيه ، ثم كتب عهداً
بولاية الحكم من بعده
لابنه الوليد ، حتى
إذا فارق الوليد الحياة ولى أمر
الناس بعده أخوه سليمان
ابن عبد الملك ، وكتب بذلك الى
الامصار فبايع الناس .

وحزن عمر بن العزيز لموت أبيه،
فضمه عمه عبد الملك الى أولاده ،
وأعجب بتقواه وورعه ، واعتقد بأنه
أشج بنى مروان الذى سيملاً
الارض عدلاً ، وزوجه من بنته
فاطمة ، وجعله حاكماً على خنصرة
قرب حلب ، ففرح أهلها بولايته ،
لما سمعوا من زهده وعدله . فسار
فيهم سيرة الخلفاء الراشدين ،
وسجل فى حكمه من صحائف المجد
والعظمة ما لا تستطيع محوه
الدهور والعصور .

ولقد كان عمر بن عبد العزيز فى
أعماله مخلصاً وفى حكم الرعيّة

مؤدبى ولده عنه ، فأنبأه بما شرح
صدره ، وملاً جوانب نفسه سروراً،
فقد صرحا له بأنهما لم يريا أحداً
يعظم الله عز وجل كهذا الغلام .
ورغب عبد الملك بن مروان ، فى
أن يجعل البيعة بعده لابنيه الوليد
وسليمان ، ولكنه خشى الشعب
الذى بايع أخاه عبد العزيز بها
بعده ونهاه المقربون عن ذلك حتى
لا يفتح باب الفتنة ، ولكن هذه
الفكرة ظلت تعاوده الحين بعد
الحين ، فكتب الى أخيه بمصر : ان
رأيت أن تعيد هذا الامر لابنى
أخيك فافعل . فلم يوافقــه
عبد العزيز على رأيه ، فأرسل اليه
عبد الملك يطلب منه خراج مصر .
فكتب اليه : يا أمير المؤمنين انى
واياك قد بلغنا سناً ، لم يبلغها أحد
من أهل بيتنا الا كان بقاؤه قليلاً ،
وانى لا أدرى ولا تدري أينما يأتية
الموت أولاً ، فان رأيت ألا تكدر
على بقية عمرى فافعل .

فنزل عبد الملك على أخيه
وبادر ولديه بقوله : ان يرد الله
تعالى أن يعطيها لكما فلن يستطيع
أحد من العباد ردها عنكما ، ثم

منصفا ، وفي طاعة ربه صادقا ، ولكتابه تاليا ، ولرحمته راجيا ، ومن خشيته مشفقاً ، وبحميد الخلال متمسكا ، وللأرحام واصلا ، وعلى اليتامى عطوفا ، وللمعروف باذلا ، وللمحقوق مؤديا ولا غرو في ذلك فقد نشأ نشأة عزيزة كريمة ، قل أن تنتهيا لغيره ، وقضى وقتا طويلا بمصر مع والده ووالدته ، والخدم والحشم بحلول ، ينعم بخيراتها وطيب هوائها ، ويتمتع بجميل مشاهد البلاد المصرية ، وروائع الحسن والآثار فيها ، وشاعت ارادة العلى القدير ، أن يأخذ علومه من المنابع العذبة الفياضة ، في المدينة المنورة بلد الثقافة الاسلامية العربية حينذاك ، ومقر البقية الباقية ، والنجوم اللوامع من أفاضل الصحابة وكبار التابعين •

أبيه ، ولم يكن هناك أحد أفقه ولا أقرأ لكتاب الله منه ، وكان الفقهاء يومئذ بالمدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة ابن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان ، ولم تنقض سنة على وفاة أخيه عبد العزيز ، حتى كان عبد الملك على فراش الموت يوصى ابنه الوليد بالتقوى ، والعمل على جمع الكلمة ، وصلة الارحام ، واعطاء كل ذي حق حقه ، ودعوة الناس بعد موت أبيه الى مبايعته ، وودع الخليفة الحياة وما ان عاد المشيعون من دفنه ، حتى صعد ابنه الوليد منبر المسجد الاعظم بدمشق فحمد الله وأثنى عليه وقال : انا لله وانا اليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا في أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا به من الخلافة ، قوموا فبايعوا • فصعد الناس بالامر وأعطوه بيعتهم •

أحمد على منصور

وكذلك كان عمه عبد الملك قبل خلافته واليا على المدينة في حياة

الأمن ومقاومة الجاسوسية والتخريب في ضوء الإسلام

للمرشد محمد جمال الدين محفوظ

ويقول مدير المقلب بوب جونسون: ان السوفيت لا يترددون في القاء قمامتهم هنا ، ولكن ادارة التحقيقات الفيدرالية تجد في القمامة شيئا مفيدا ، وهي تعلم الكثير مما يلقيه الروس من قمامة ، ويقول جونسون : انه لاحظ أن المخابرات تعلم من ايصالات المطاعم أين كان السوفيت يأكلون ومن كان معهم ، ومن تذاكر مخالفات المرور يعلمون أين تقف سياراتهم ثم يبحثون لماذا وقفت في هذا المكان أو ذاك •

ويقول جونسون : انه حدث مرة أن تقابل الغرب مع الشرق عندما وصل رجال ادارة التحقيقات الفيدرالية مبكرين الى المقلب وكان اللورى الروسى مازال يلقي

« كل عدة شهور يقف لورى أبيض اللون يقوده روسيان أمام مقلب للقمامة في احدى ضواحي واشنطن ، ويتخلص اللورى من قدر كبير من القمامة ثم يمضى في طريقه •

وقبل أن يهدأ التراب المثار ، تتصل احدى العاملات بادارة التحقيقات الفيدرالية وتبلغها هذه الرسالة : جاء الروس مرة أخرى • وفي دقائق يصل الى نفس المكان فريق من خبراء القمامة للبحث عن شيء في كوم القمامة الذى تخلص منه الروس •• ويقول العاملون في هذا المقلب ان ما وجده رجال المخابرات فيه حتى الآن لا يتعدى ايصالات من مطاعم وتذاكر غرامات مرور •

المهمات التى تتخلص منها السفارة
السوفيتية » () •

أرأيت الى أى حد يبلغ اهتمام
الدول بالحصول على المعلومات عن
غيرها من الدول ، وكيف أن
« القمامة » تجد من يفتش فيها
بحثا عن خيط من المعلومات مهما
كان تافها ؟ ! وكيف أن الحرص
على صيانة الأسرار يصل الى حد
محو الكتابة بالمعالجة الكيميائية
للأوراق ثم تمزيقها بواسطة آلات
تحليل الورقة الى خيوط رفيعة
يستحيل الحصول منها على شئ من
المعلومات ؟ !

صيانة أسرار الدولة

والواقع أن كل دولة تعنى غاية
العناية بالحفاظ على أسرارها ،
وتعمل فى نفس الوقت على مقاومة
كل محاولة للوصول الى تلك
الأسرار •

وتحرص كل دولة على أن تجعل
من الصعب على الدول الأخرى
وخاصة الدول المعادية لها ،
الحصول على معلومات عنها ، أو
القيام بمحاولات تهديد منشأتها

بالقمامة ، ونظر كل من الفريقين الى
الآخر ، وفى المرة التالية غير
الأمريكيون لون سيارتهم •

وأصبحت المخابرات المركزية
التى يبعد مقرها ١٥ ميلا عن القلب
عمياله بعد أن قررت القوانين عدم
احراق القمامة تجنبا للمزيد من
التلوث ، فاضطرت المخابرات الى
النقاء قمامتها فى النهاية فى المقاب
غير أن قمامة وكالة المخابرات
ليست كغيرها من القمامات :
فالأوراق تمزق أو تمزج بالمواد
الكيميائية فتحمى الكتابة من عليها
ثم توضع فى صناديق قبل أن تتلقى
فى القلب • ورغم ذلك فإن
المخابرات المركزية توفد أحد رجالها
بعد التخلص من القمامة لترى أن
كان أحد يبحث بها •

ونفس الشئ تفعله وزارة
الدفاع الامريكية ، غير أن هؤلاء
ينتظرون حتى يتأكدوا من أن
« البولدوزر » قد سحق مخلفاتهم
نماما () عن جريدة الاهرام
١٩٧٩/٩/٥ عن واشنطن بوست
تحت عنوان « سيارة المخابرات
الأمريكية تستولى يوميا على

فأصبح لدى كل دولة — وبخاصة الدول المتقدمة — جهاز للمخابرات يناط به خدمة أمنها القومي ويعنى هذا الجهاز بالحصول على جميع أنواع المعلومات التى تمكن الدولة من وضع سياساتها المختلفة ، ومن توجيه ألوان العمل المختلفة ضد الدولة أو الدول المعادية لها •

والمخابرات لا تقصر نشاطها — كما قد يتبادر الى الأذهان — على الحصول على المعلومات العسكرية فحسب ، بل انها تهتم بالحصول على كافة أنواع المعلومات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية والجغرافية والطبوغرافية وحتى المعلومات الخاصة بالمواصلات والنقل •

وسائل الحصول على المعلومات :
وتحصل المخابرات على المعلومات بطريقتين : احدهما علنية والاخرى سرية : —

١ — فالطريقة العلنية تعتمد على المصادر العلنية للدول الاخرى ومن ذلك ما تصدره من مطبوعات رسمية وما تذيعه اذاعاتها وما يصرح به ساستها فى خطبهم أو

وأهدافها الحيوية ، أو التأثير على معنويات شعبها أو التشكيك فى مبادئها وقيمها • وهى فى سبيل ذلك تضع كل قدراتها المادية والعلمية لمواجهة هذه المحاولات •• يقول « فرانز موند ريتلين » رئيس الجواسيس الالمان فى الولايات المتحدة الامريكية خلال الحرب العالمية الاولى :

« ان لكل دولة الحق فى أسرارها الخاصة ، وهى — فى الوقت نفسه — ملتزمة بالمحافظة عليها •• ولكن هذا المعنى نفسه ، يعطى كل دولة الحق فى أن تكتشف أسرار الدول الاخرى » •

من أجل ذلك : نرى كل دولة تهتم بمعرفة جميع أنواع المعلومات صغيرها وكبيرها المتعلقة بجميع الدول • وفى المقام الأول الدول التى تتخذ منها موقف العداء ، وتلك التى ينتظر أن تكون فى وقت ما طرف نزاع مباشر معها •

دور أجهزة المخابرات :

ولقد تأثر الى حد كبير شكل العلاقات الدولية بالتقدم العلمى والتكنولوجى فى مختلف مجالات الحياة ومع تطور أحداث التاريخ،

على المعلومات - القيام بأعمال
التخريب المادى والتخريب المعنوى
(أى ما يعرف بالحرب النفسية أو
الحرب السياسية) أو القيام
بعمليات محددة ذات أثر مباشر
كالتآمر لقلب نظام الحكم فى
دولة ما ٠٠ وفى بعض الدول تتولى
هذه الاعمال أجهزة أخرى غير
المخابرات ، غير أنه فى كلا الحالتين
يتم الافادة من المعلومات التى
حصلت عليها المخابرات عند
التخطيط لتلك الاعمال .

ويطلق على هذه الجهود التى
تقوم بها ادارات المخابرات ضد
الدول الاخرى اصطلاح
« المخابرات الايجابية » .

المخابرات الوقائية :

ولكى تواجه الدولة عمليات
المخابرات الاجنبية المعادية لها ،
فان عليها أن تتخذ من التدابير
والاجراءات والعمليات ما يكفل
لها ضمان التحفظ على أسرارها
ويمنع وقوع ما يمكن أن يلحق بها
الضرر أو يؤثر على سلامتها وأمنها .
وهذه التدابير يعبر عنها
بالمخابرات الوقائية « أو

لقاءاتهم ، ويتم بعد ذلك تحليل
وتقييم هذه العلوات لاستخلاص
الحقائق التى يراد معرفتها .

٢ - أما الطريقة السرية المستترة
للحصول على المعلومات فتقوم
أساسا على نشاط الجواسيس وعن
أساليب الجاسوسية التى تبدأ من
« التصنت » على حديث يدور أثناء
حفل خاص بواسطة أحد العملاء
وتصل الى حد استخدام أحدث
الأساليب العلمية والتقنية كأقمار
التجسس الفضائية .

ويؤكد خبراء المخابرات أن
المعلومات التى تحصل عليها
المخابرات بالطرق السرية تمثل أقل
من عشرين بالمائة من مجموع ما
تحصل عليه، ومع ذلك فهم
لا يأخذون ما يصلهم بالطرق العلنية
مقضية مسلمة ، بل يعملون على
التأكد من صحتها والتحقق من
أسباب نشرها وهنا قد يعودون
الى أساليب الجاسوسية !
أعمال التخريب والتآمر :

ومن أنواع النشاط الذى تقوم
به أجهزة المخابرات فى كثير من
الدول - بالاضافة الى الحصول

« اختراق » الخط الدفاعي الاول من تحقيق غرضهم وذلك بالقبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة قبل أن يتمكنوا — كلما كان ذلك ممكنا — من نقل أى جزء من المعلومات عن الدولة أو تنفيذ مخططهم التخريبي •

ويطلق على اجراءات حماية أسرار الدولة وحماية منشئاتها (الامن الوقائي) ويطلق على اجراءات منع اختراق سياج الأمن الوقائي (مقاومة الجاسوسية) (١) ويقول خبير الجاسوسية لاديسلاس فاراجو :

«ان نجاح الجاسوس أو المخرب لا يرجع الى نقص أو ضعف في نظام مقاومة التجسس ، بقدر ما يرجع الى النقص في تدابير الأمن الوقائية » •

مفاهيم خاطئة عن الجاسوسية : وهناك تصور خاطئ حول الجاسوسية هو أن دورها في الشؤون الدولية ينحصر في المجال

« المخابرات المضادة » أو « المخابرات السلبية » ويعرفها الخبراء بأنها هي « الجهد الذى يرمى الى حماية الاسرار الخاصة بالدولة ، ومقاومة من يحاول الوصول اليها » ، أى أنها هي العمل الدفاعي للمخابرات •

فالمخابرات الوقائية بمعنى آخر تعنى أمرين : —

الاول : حماية أسرار الدولة •

والثانى مقاومة من يحاولون الوصول الى هذه الاسرار •

وانطلاقا من هذا المفهوم ، واستنادا الى الوسائل التى تستخدمها المخابرات فى جمع المعلومات ، فان كل دولة واعية تحرص على أن تقيم « خطا دفاعيا » يتمثل فى التدابير والاجراءات التى تستهدف حماية أسرارها ومنشئاتها الحيوية ، ثم تقيم خطا آخر ايجابيا يستهدف مع أولئك الذين يحاولون

كما تعتمد أجهزة المخابرات الأجنبية عند تجنيد أحد الجواسيس للعمل لحسابها على استغلال نقاط الضعف فيه • ومن ذلك : عدم قناعته بالدخل المشروع ورغبته في الثراء، وفقدان الوازع الديني أو الوطني، والشذوذ الجنسي والميل الى الجنس الآخر، والاستهتار بالقيم الاخلاقية وادمان الخمر والميسر الى غير ذلك •• أما مكان الاختبار أو التجنيد فقد يكون داخل البلاد أو خارجها، وقد يكون الجاسوس من مواطني الدولة التي يعمل ضدها أو من رعايا دولة أخرى ويقوم في البلاد أو قد يكون غير مقيم بها لكنه يدخلها بطريقة ما لمزاولة التجسس • أسلوبه في العمل :

ويقوم الجاسوس بالحصول على المعلومات عن طريق الملاحظة والمشاهدة والاستماع وقد يكون ذلك أثناء وجوده داخل المكان الذي يحتوى على هذه المعلومات أو قد يكون عن طريق أشخاص آخرين يثقون به ولا يدركون حقيقة نشاطه ونواياه ، أو عن طريق ما يلتقطه من ثرثرة أولئك الذين يتحدثون بغير حذر أو حرص ، وفي كل هذه

العسكري فحسب ، والواقع أن الجاسوسية تعمل في كل المجالات التي تشكل مصادر قوة الدولة كالمجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي بالإضافة الى العسكري •

ويرجع التصور الخاطئ الى أن نشاط الجاسوسية الذي يستهدف الحصول على الأسرار العسكرية هو النشاط الأكثر خطرا والذي يحظى بالعناية الأكبر لكشفه ومنعه ، والواقع أن الجاسوس الذي يعمل في المجالات الاخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا يقل خطرا عن زميله الذي يعمل في المجال العسكري •

اختيار الجاسوس :

واختيار الجاسوس — الذي هو العنصر الاساسي في عملية التجسس — يتم بكل الحرص والدقة ، فلا بد أن تتوافر فيه وتجتمع لديه من القدرات والخصائص والظروف والعلاقات والصدقات ما يمكنه من أداء مهمته في الحصول على المعلومات •

العدو بالمعلومات بحسن نية دون أن يتبادر الى أذهانهم أنهم بزلة لسان أو تصرف طائش أو رغبة في الظهور والتفاخر يكونون السبب المباشر في حصول العدو على ما يريد من معلومات وأسرار وبذلك يعرضون أمن أمتهم وسلامتها للخطر .

الاسلام والمخابرات الوقائية :

من أجل ذلك كان جوهر « المخابرات الوقائية » هو كتمان الأسرار وحمايتها وهو ما اصطلح العسكريون على تسميته «بالامن»، وتعتبره المدارس العسكرية في جميع الدول خط الدفاع الاول عن الامة.

وقد عنى الاسلام بالامن أشد العناية ، ووضع له المبادئ والأصول والأساليب ، وقد أثبت تاريخ صدر الاسلام أن من أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم الكثيرين أن أسرار النبي صلى الله عليه وسلم وأسرار المسلمين كانت مصونة وبعيدة عن متناول الأعداء ، في الوقت الذي كان صلوات الله وسلامه عليه ، يطلع

الأحوال لا يقف الجاسوس موقفا سلبيا ، بل انه يستخدم أسلوبه الماكر في دفع الناس الى اخراج ما في صدورهم من معلومات ، ومن ذلك مثلا أسلوب الاثارة في الحوار أو المناقشة أو تقديم الاسئلة بحيث يدفع الشخص الآخر الى الانطلاق في الحديث ، ومنه أيضا استغلال ميل محدثه الى التفاخر وحب الظهور بمظهر العليم ببواطن الامور وبذلك يحصل الجاسوس على المعلومات المطلوبة دون جهد أو عناء .

ويعمل الجاسوس بالدرجة الأولى على أن يكتسب ثقة الآخرين دون أن يثير الشك حول حقيقة مهمته أو نواياه حتى يجعلهم يقدمون له ما عندهم من معلومات ، ومن أجل ذلك تعد المعلومات التي تحصل عليها المخابرات عن هذا الطريق ، معلومات ذات قيمة وأهمية عند التخطيط .

واذا كانت أجهزة الأمن قادرة على ضبط الخونة والجواسيس ، فانها لا تملك شيئا ازاء المواطنين الذين يتطوعون بامداد جواسيس

على نيات أعدائه العدوانية عن
طريق عيونه وأرصاده (رجال
مخابراته) قبل وقت مبكر فيعمل
من جانبه على احباط ما يبيتونه
للاسلام من غدر وخيانة أو عدوان .
كذلك لم يستطع المشركون
وأعداء الاسلام أن يياغتوا قوات
النبى صلى الله عليه وسلم في
الزمان والمكان وأسلوب القتال ،
بينما استطاع عليه الصلاة والسلام
أن يياغت أعداءه في معظم غزواته
وسراياه .

لواء محمد جمال الدين محفوظ

دعاء

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربى حزينا هائما قلقا
فارحم بكائى بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه
فمن يجود على العاصين بالكرم

أول وثيقة عالمية للضمان الاجتماعي قانون الضمان .. تشريع إسلامي أصيل

للإستاذ محمد عزام

ومن أجل ذلك حفظ لنا التاريخ
أروع وثيقة في هذا المجال ويجب
أن يدرسها طلابنا في المعاهد
والجامعات قبل أن يدرسوا وثائق
أخرى .. بما في ذلك القوانين
وحقوق الإنسان •

• و • الغريب • أن أول
تطبيق شامل • وكامل للتأمينات
الاجتماعية • نفذ في مصر •
وفي خلافة الامام على كرم الله
وجهه • وبعدها • قلدها دول
العالم • ومازالت • ولكن لن
تصل الى ما كان • الا اذا طبقت
نظام الاسلام •

• و • الوثيقة العالمية • هي
التي ضمنها الامام على تعاليم
الاسلام فيما يعلق بالضمان
الاجتماعي • وهو الأمر الذي لم

مظلة التأمينات الاجتماعية •
عبارة حديثة معاصرة • يتحدث
عنها كل حاكم مصلح • يريد
الخير لشعبه ويبحث عن الأمان
لأُمته •

وهذه الأيام • يكثر الحديث في
مجتمعاتنا المعاصرة عن قوانين
للتأمينات الاجتماعية • ويتنافس
الشرق والغرب في « أنواع »
التأمينات الاجتماعية • ويتباهى
الكل بالجديد فيها •

ولكن •

الذي يجب أن يعرفه الشباب ،
هو أن أول من فكر • وطبق نظم
التأمينات الاجتماعية • في أسمى
صورها • وأكمل نظمها • إنما
هو الاسلام • ومنذ أيام سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم •

يعرفه العالم .. قبل ظهور الاسلام ..

• و .. تقول الوثيقة .. وهي رسالة كتبها الامام على الى واليه في مصر يقول فيها بالحرف الواحد: الله • الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم • والمساكين • والمحتاجين • وأهل البؤس ..

والزمنى « المصابون بعاهة » • فان في هذه الطبقة قانعا (سائلا) .. ومعترا (متعرضا للعطاء بلا سؤال) ..

واحفظ الله ما احتفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك ، وقسما من صوافي (غنائم) الاسلام في كل بلد فان للأقصى منهم مثل الذي للأدنى •

وكل قد استرعيت حقه فلا يشفعنك عنهم بطرفانك لا تعذر بتضييعك التافه ، ولا حطامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصغر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال .. ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الحشوية

والتواضع .. فلترفع اليك أمورهم .. وتعهد أهل اليتيم وذوى الرقة في السن ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه .. وذلك على الولاة ثقيل .. والحق كله ثقيل ..

وفي تصورى أن رسالة الامام المتضمنة أروع نظام للتأمين الاجتماعي .. انما جمع فيما كل ما تعلمه من سيدنا رسول الله .. وما شارك فيه من تطبيقات عملية خلال عهد الخلفاء الثلاثة السابقين له رضى الله عنهم •

— فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرر مبدأ الضمان الاجتماعي كان بدء ذلك عندما جاءت أمثلة سيدنا جعفر بن أبى طالب تشكو وتبكي يتم أولادها .. فقال لها عليه الصلاة والسلام (أ العيلة تخافين عليهم .. وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ..) ؟

وبذلك كان أول قرار في التاريخ يحقق (تأميننا) من الدولة .. لأهل الشهداء •

— وبعدها جاءت التعاليم المحمدية .. والتي ظهرت أوضح ما ظهرت لكثرة تطبيقاتها أيام

الدولة الاسلامية كما حدث للعجوز اليهودي الذي كان يتسول في المدينة لعدم وجود عائل له .. وعدم قدرته على العمل .. وقال عمر كلمته المشهورة في رسالته الى خازن بيت المال (انظر هذا وضرياءه فوالله ما أنصفناه ان أكلنا شببيته ثم نخزه عند الهرم .. انما الصدقات للفقراء والمساكين .. وهذا من مساكين أهل الكتاب ..

• و • • • بقى سؤال • •

هل قرر الاسلام مصدرا لهذا النوع من التأمينات الاجتماعية التي صورها الامام على .. ونفذه من قبله الخليفة ابن الخطاب .. تنفيذاً لأوامر سيدنا رسول الله .. أم .. أن المصدر هو مال الدولة (الميزانية العامة ..) ..

والحقيقة .. أن القرآن الكريم وهو تشريع الأمة الخالد .. وهو يعلمنا حتمية تطبيق هذا النظام (التأمينات الاجتماعية) انما يبين لنا مع الأمر التنفيذي .. مصادر تمويل هذا (الباب) ...

عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. فمثلا .. المعونات الاجتماعية التي يستحقها من مال الدولة الأرامل .. نذكر قرار الخليفة الثانى بعد ما شاهد امرأة تحاول فطم رضيعها، وهو يصرخ ويصيح ، فجادلها الخليفة ، وهى لا تعرف شخصيته عن سبب ذلك فقالت :

أنا أفطمه لأن عمر لا يفرض للرضيع ، فأردت أن أعجل فطامه لأخذ له نصيبه من بيت المال حتى استعين به على فقوى •

فانزعج عمر .. وانصرف الى بيته .. ولم ينم .. فلما صلى الفجر وسلم .. قال لأصحابه يا بؤسا لعمر .. كم قتل من أولاد المسلمين وقص عليهم الأمر .. ثم أصدر قراراً وأمر مناديا باعلانه (لا تعجلوا أولادكم من الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام) •

— وقرار التأمين الاجتماعى للشيخوخة والمرض .. فرضه الاسلام .. ونفذه ابن الخطاب على نطاق واسع حتى على غير المسلمين الذين يعيشون فى كنف

واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفي الرقاب وأقام
الصلاة وآتى الزكاة •

ثم قال أبو ذر • ألا ترى أن
الله تعالى قد فرق بين آداء الزكاة
واعطاء المال ذوى القربى واليتامى
• و • • المهم • • هو أن يؤدي
للمسلمين حقوقهم • • فى ضمان
حياة كريمة لهم • • تتفق مع
انتسابهم لأشرف دين • •

و • • ألم أقل • • انه قد آن
الأوان لكل مفكر مسلم أن يقوم
بواجبه نحو دينه • • فيكشف لأبناء
أمتة معالم هذا الدين ؟ • • حتى
يعلموا أن كل النظريات الحديثة
وغيرها • • والتي يرون فيها الخير
• • سواء علمية أو اجتماعية أو
قانونية • • ! الخ انما سبق بها
الاسلام كل المفكرين • • ليس هذا
فحسب • • بل ان ما فى الاسلام
هو الكمال • • ومن غير أدنى ضرر
لأنها من عند خالق الانسان • •

وصدق الله العظيم (ألا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير) •

صلاح عزام

من (أبواب ميزانية) الدولة
بأسلوب العصر الحديث •
وذلك عن طريقين •

الأول - الزكاة • • ومصارفها
كما حددتها الآية الكريمة (للفقراء
والمساكين ، والعاملين عليها ،
والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب
والغرمين • • وفى سبيل الله وابن
السبيل) •

والثانى - بما نسميه الآن • • •
التبرعات طوعية • • أو كطلب
الغير من الولاية • • وهذا الأمر قد
حسم فى مجلس عثمان بن عفان
رضى الله عنه وخلال أيام خلافته
اذ طرح سؤالاً على الحاضرين
بقوله • • أرايتم من زكى ماله هل
يبقى فيه حق لغيره ؟!

فأجاب كعب الأحبار : لا

فأسكته الصحابى الجليل أبو ذر
• • وصرخ فيه كذبت ثم تلا قول
الله تعالى (ليس البر أن تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن
البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين وآتى
المال على حبه ذوى القربى ،

حكم .. و طرائف

اعداد الاساذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« الاستغفار »

تعالى : « ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » لمن اشتكى جذب الأرض ، وقلة ريعها .

جاء رجل الى الحسين بن على — رضى الله عنهما — واشتكى اليه الفقر ، فقال له :

وقال الرسول الكريم — صلوات الله وسلامه عليه : « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

استغفر الله ، فجاء آخر واشتكى اليه جذب الأرض ريعها . فقال له : استغفر الله .

ويقول الامام على — كرم الله وجهه : « العجب لمن يقنط والنجاة معه » ، قيل : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : « الاستغفار » .

فقال رجل : يا ابن بنت رسول الله ، شكا اليك أناس كثيرون فهلا عندك ، دواء غير الاستغفار ؟

« الرجال ثلاثة »

قال قتادة : الرجال ثلاثة . رجل : وهو العاقل . ونصف رجل : وهو من لا عقل له ، ولكنه يشاور العقلاء .

فقال : أما سمعتم قوله تعالى : « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا » أى لمن اشتكى قلة المطر ، وقوله تعالى « ويمددكم بأموال وبنين » أى لمن اشتكى الفقر وقلة الولد ، وقوله

ورجل لا شيء : وهو من لا عقل لله ، ولا يشاور العقلاء •
 على الله ما ليس له ، ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيديه •

« أبو بكر يوصي عمر »

أحضر أبو بكر عمر ، وقال له :
 انى استخلفتك على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 وأوصاه بتقوى الله ، ثم قال :
 يا عمر ان لله حقا بالليل ، لا يقبله بالنهار ، وحقا في النهار ، لا يقبله بالليل ، وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة •

ألم تر يا عمر : انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الحق أن يكون ثقيلًا !

ألم تر يا عمر : انما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا !

ألم تر يا عمر : انما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة ، وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا ، لا يرغب رغبة يتمنى فيها

ألم تر يا عمر : انما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم وأمسك عن حسناتهم ، فاذا ذكرتهم قلت : انى أخاف أن أكون من هؤلاء •
 وأنه ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم ، لانه تجاوز عما كان لهم من سييء فاذا ذكرتهم قلت : أين عملى من أعمالهم ؟ فاذا حفظت وصيتى ، فلا يكون غائب أحب اليك من الموت ، وهو آتيك • وان ضيعت وصيتى فلا يكون غائب أبغض اليك من الموت ، ولن تعجزه •

« خلتان »

دخل الوليد بن عبد الملك المسجد فرأى شيخا هـد كيانه الزمن ، وأحنى ظهره الكبر ، فاقترب منه ، وقال له مداعبا :

ألا تؤثر الموت يا شيخ ؟

قال الرجل : لا يا أمير المؤمنين •• لقد ذهب الشباب وشره ، وأتى الكبر وخيره ، فأنا الآن اذا قممت حمدت الله ، واذا قعدت ذكرته ، وأحب أن تدوم لى هاتان الخلتان •

عتبة بعد ذلك ، أن الله جلت قدرته ، من عليه بالثلاثة •

« من صحبنا فليصحبنا بخمس »

قال عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - : من صحبنا فليصحبنا بخمس ، والا فلا يقربنا •

يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها •

ويعيننا على الخير بجهد •

ويدلنا من الخير ما لا نهتدي

اليه • ولا يغتابن أحدا •

ولا يعترض فيما لا يعنيه •

فانصرف عنه الشعراء والخطباء وثبت عنده الفقهاء والزهاد •

« بين أبي حنيفة ومالك »

حضر الامام أبو حنيفة عندما ذهب الى المدينة ، درس الامام مالك - رضى الله عنهما - ولم يكن يعرفه ، وألقى الامام مالك : سؤالاً على أصحابه ، فأجاباه أبو حنيفة • فقال مالك : من أين هذا الرجل ؟

قال أبو حنيفة : من العراق •

« أيقبل الله العاصي اذا تاب ؟ »

دخل عتبة على الحسن البصرى - رضى الله عنه - وكان يفسر

قوله تعالى : « ألم يأن للذين

آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله »

وقد أفاض البصرى فى تفسيرها ،

حتى أبكى الحاضرين ، وبكى عتبة

وكان فاجرا يعاقر الخمر ، ويزور

النساء ، فلما سمع تفسير الشيخ

لهذه الآية ، قام فقال : أيقبل الله

- تعالى - الفاسق الفاجر مثلى

اذا تاب ؟ !!

فقال له الشيخ : نعم يقبل الله

- تعالى - توبتك فاصفر لونه ،

وارتعدت فرائضه ، وصاح صيحة

عظيمة وخر مغشيا عليه • فلما

أفاق قال : يا شيخ هل قبل الرب

الرحيم توبة العبد اللئيم ؟

فقال الشيخ : وهل يقبل توبة

العبد الجانى ، الا الرب المعافى ؟

فرفع عتبة رأسه ، وقال : الهى

ان كنت قد قبلت توبتى ، فاكرمنى

بالفهم والحفظ ، حتى أحفظ ، كل

ما سمعت من القرآن ، الهى أكرمنى

بحسن الصوت ، الهى أكرمنى

بالرزق الحلال ، وحدث من شهر

فقال مالك — متفكها — : من أهل بلد النفاق والشقاق !!
فقال أبو حنيفة : أتأذن لى أن أقرأ شيئاً من القرآن ؟
قال : نعم •

« أحسن الأشياء »

قيل لحكيم : أى الأشياء خير للمرء ؟

- قال : عقل يعيش به •
- قيل : فان لم يكن •
- قال : فإخوان يسترون عليه •
- قيل : فان لم يكن •
- قال : فمال يتحبب به الى الناس •

- قيل : فان لم يكن •
- قال : فأدب يتحلى به •
- قيل : فان لم يكن •
- قال : فصمت يسلم به •
- قيل : فان لم يكن •
- قال : موت يريح منه العباد والبلاد •

« وصية »

ان أردت أن تظم أحدا فظم نفسك ، وان أردت أن تعادى أحدا فعادى بطنك ، فليس لك عدو أعدى منها ، وان أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله ، وان أردت

فقرأ ، « ومن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المـنـراق مردوا على النفاق » •

فصرخ مالك ، قائلاً : ما قال الله هكذا !
فقال أبو حنيفة : كيف قال — تعالى — ؟

قال مالك ، قال تعالى : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » •
فصاح أبو حنيفة ، قائلاً : الحمد لله ! حكم الامام على نفسه ووثن من مجلسه !
ثم عرفه مالك ، فأكرمه غاية الاكرام ! •

« دافع الخطرة »

دافع الخطرة فان لم تفعل صارت فكرة ، فدافع الفكرة فان لم تفعل صارت شهوة فحاربها ، فان لم تفعل صارت عزيمة ، فان لم

قال : أترى كل هؤلاء الناس ؟
قال : نعم •

قال : فان كل واحد من هؤلاء
مسئول عن نفسه ، أما أنت
فمسئول عنهم جميعا ، فانظر بما
تجيب ربك غدا !! وترك ابراهيم ،
هارون الرشيد ييكى •

« من أقوال الحكماء »

إذا سألت كريما حاجة فدعه
يفكر فانه لا يفكر الا في خير •
وإذا سألت لثيما حاجة فعاجله
لئلا يشير عليه يشير عليه طبعه
أن لا يفعل •

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أن تترك شيئا فاترك الدنيا ، وان
أردت أن تستعد لشيء فاستعد
للموت ، وان أردت أن تطلب شيئا
فاطلب الآخرة •

« أمام الله .. أنت مسئول عن
كل هؤلاء » !!

لقى هارون الرشيد ، ابراهيم
ابن أدهم في موسم الحج فأوقفه
ابن أدهم ، فقال :

يا هارون باسمه مجردا •
قال : لبيك يا ولى الله •
فقال ابن أدهم له : انظر خلفك
فنظر هارون •
ثم قال له : انظر عن يمينك فنظر
وعن شمالك فنظر ، ثم قال له :
انظر أمامك •

باب الفئاري

الاستاذ عبد الحميد صالح

س : حدث كسوف الشمس
واستعد العلماء في شتى أنحاء
العالم لرصد هذا الحدث واستقبله
الناس بصور مختلفة .. فما هو
هدى الاسلام عند حدوث هذه
الظاهرة ؟

ج : لا شك أن الشمس والقمر
من نعم الله الكبرى • وتأثيرهما
على حياة الانسان والحيوان
والنبات وغيرها لا يقدر • يقول
الله تعالى : « وسخر لكم الشمس
والقمر دائبين وسخر لكم الليل
والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان
الانسان لظلوم كفار » (١) •

وقد كان هناك في الجاهلية من
يعظم الشمس والقمر ويتوجه
اليهما بالعبادة ، ولهذا جاء النهي
عن ذلك في قوله تعالى : « ومن
آياته الليل والنهار والشمس
والقمر ، لا تسجدوا للشمس

(١) الآيتان ٣٢ ، ٣٣ من سورة ابراهيم •
(٢) الآيات من ٧ - ١٠ من سورة القيامة •

ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم آياه تعبدون»(١) .

كما كان هناك من يظن أن كسوف الشمس أو خسوف القمر يكون لموت عظيم أو حياته تعظيما له أو حزنا عليه .

وقد صح أن كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن النبی صلى الله عليه وسلم فقال بعض الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم ، فلما سمع النبی عليه الصلاة والسلام مقاتلتهم خرج اليهم فزعا من تلك المقالة ، وحرصا على عقيدة أمته من أن يتسرب اليها شيء من ضلال الجاهلية ودخل بهم المسجد وصلى بأصحابه صلاة الكسوف ودعا الله حتى انجلت الشمس ثم خطب الناس .

فعن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه قال : « انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يوم مات ابراهيم فقال الناس انكسفت الشمس لموت ابراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى تنكشف » متفق عليه واللفظ لمسلم والبخارى من حديث أبى بكره : « فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم » .

وقد استدل بهذا الحديث وغيره على مشروعية صلاة الكسوف فذهب الجمهور الى أنها سنة مؤكدة ونقل عن أبى حنيفة أنه أوجبها .

أما كيفيتها : فقد اتفقوا على انها ركعتان ولكنهم اختلفوا في عدد الركوعات في كل ركعة فذهب الجمهور الى انها تصلى ركعتين ، في كل ركعة ركوعان : يقرأ في القيام الأول من الركعة الأولى الفاتحة وسورة ثم يركع ثم يرفع ويظل قائما ويقرأ الفاتحة وسورة

ثم يركع ثم يرفع ويسجد سجدة ثم يركع ثم يقوم للركعة الأخرى فيفعل كما فعل في الركعة الأولى •

ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء •

وبهذا أخذ مالك والشافعي والليث وأحمد وغيرهم •

ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية ، وفي الثاني قدر ثمانين ، وفي الثالث سبعين ، وفي الرابع خمسين • • • • • وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة •

يقول الامام أبو حامد الغزالي رضى الله عنه (وهو شافعي المذهب) في كتاب أسرار الصلاة من احياء علوم الدين :

ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة • ويأمر الناس بالصدقة والعنق ، والتوبة •

« فاذا كسفت الشمس في وقت - الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة - تؤدي الصلاة جامعة ، وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين • وركع في كل ركعة ركوعين أوأثلهما أطول من أواخرهما ، ولا يجهر •

وكذا يفعل بخسوف القمر الا أنه يجهر لأنها ليلية •

فيقرأ في الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة ، وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة ، أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد •

فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف الى تمام الانجلاء • فان انجلى في أثناء الصلاة أتمها مخففة أ ه •

وزهدت الحنفية الى أنها تصلى ركعتين كسائر النوافل • ويصلى بهم امام الجمعة ، ولا يجهر ولا يخطب ، فان لم يكن صلى الناس فرادى • • • • • ويدعون بعدها حتى تنجلي الشمس • وفي خسوف القمر يصلى كل وحده •

ولو اقتصر على الفاتحة في كل

س : شاب كثير الاحتلام يسأل هل المنى نجس أم طاهر ؟

ج : اختلف العلماء فقالت الشافعية المنى طاهر على ألا يخالطه نجس واستدلوا على طهارته بالأحاديث الدالة على الاكتفاء بفركه أو حكه • وحملوا الأحاديث التي تأمر بغسله على الندب • وأن الغسل ليس دليل النجاسة • فقد يكون لأجل النظافة

أو إزالة الدرن ونحوه ••• الخ • ومن الذين قالوا بنجاسة المنى الحنفية ولكن قالوا يطهره الغسل إذا كان رطبا ويجزىء فيه الفرق يابسا ••• ولالأخ السائل أن يأخذ بما هو أيسر له « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (١) •

عبد الحميد شاهين

من أنباء العالم الإسلامى

توجيهات هامة من
الرئيس السادات
لوزير الأوقاف

حفظة القرآن فى باكستان

أن يبدأ الوزير في تشكيل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بحيث يكون التشكيل نواة لجامعة الشعوب الإسلامية وذلك بعضوية رجال الفكر الإسلامى والقيادات فى مجال التجمعات الشعبية الإسلامية فى جميع أنحاء العالم الراغبين فى خدمة الإسلام وقضاياها •

وقال الدكتور البرى : أرى من واجبى تنقية المساجد من الشوائب التى تسيء الى الإسلام ولا سيما فى الموالد حيث تتحول المساجد الكبرى الى مطاعم وأماكن للنوم مما يخرجها عن دورها ورسالتها كدور للعبادة والصلاة والتقرب الى الله تعالى •• وأنه قد اتفق مع مشيخة الطرق الصوفية للأعداد لذلك وترشيد السلوك الصوفى عن طريق اختيار المحتسب الصوفى ليكون مرشدا وموجها إسلاميا — وفى الوقت نفسه يتم تشكيل مجلس إدارة لكل مسجد للحفاظ على رسالته ونظافته •

وقال الوزير : بالنسبة لسياسة

دعا فضيلة الدكتور وزير الأوقاف الى مؤتمر صحفى عام حضره مندوبو الصحف والمجلات وقد بدأ فضيلته الحديث باسم الله •• ثم بين أنه تم لقاء بينه وبين رئيس الجمهورية وكانت لسيادة رئيس الجمهورية توجيهات حكيمة ورشيدة من بينها : العناية بالمسجد •• وحماية أموال الأوقاف ، مجلس أعلى للشئون الإسلامية من المفكرين فى العالم •

أصدر الرئيس محمد أنور السادات توجيهات الى الدكتور زكريا البرى وزير الأوقاف بالعناية بالمسجد ورسالته فى مجال الدعوة الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم ، ووضع القواعد التى تضمن الحفاظ على قدسية وممارسة وحماية العبادة ومدارس العلم والمعرفة •• وأن يتحمل الوزير مسؤوليته الكاملة فى حماية أوقاف المسلمين بشتى الوسائل والطرق القانونية والتشريعية والتنفيذية •

كما تضمنت توجيهات الرئيس

مسابقة احياء التراث

لعام ١٩٨٠ م

يعلن مجمع اللغة العربية عن جائزة سنوية قيمتها ٥٠٠ (خمسمائة جنيه) تمنح لأجود مايقدم اليه من التراث العربى الذى ينشر لأول مرة محققا تحقيقا منهجيا فى اللغة العربية بالشروط الآتية :

- ١ - أن يكون العمل المقدم فى متن اللغة العربية أو فى أحد علومها • أو فى نص من نصوصها الأدبية (شعرا أو نثرا) •
- ٢ - تعد النصوص من التراث العربى اذا كانت مؤلفة باللغة العربية قبل نهاية القرن الثانى عشر الهجرى •

- ٣ - أن يكون المقدم عملا كاملا (لا يقل عن خمس وعشرين ملزمة من ذوات الست عشرة صفحة) •
- ٤ - أن يكون العمل المحقق مما لم يسبق نشره أو تحقيقه •

- ٥ - ألا يكون من منشورات مجمع اللغة العربية فى القاهرة •

الوزارة فى تحفيظ القرآن الكريم فقد تقرر تحويل مقارىء المساجد الى جمعيات لتحفيظ القرآن الكريم على أوسع نطاق •• وقال : انه سيتم توحيد الدعوة الاسلامية لمنع الازدواجية فى العمل •

حفظة القرآن فى باكستان

المقرء الأول فى باكستان يقول:
فى جمهورية باكستان الاسلامية يوجد ٥٠ خمسون ألف مواطن باكستانى يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ولكنهم للأسف الشديد لا يفهمون معانيه • يجب أن لا تكون هناك قطيعة بين الشعوب الاسلامية فى كل الدول الاسلامية حتى ولو اختلفت أو تخاضعت الحكومات •
ثم يقول :

علماء الدين الاسلامى يجب أن يستفاد بهم فى كل مكان ولا تجوز مقاطعتهم حتى ولو كانت هناك مقاطعة لحكوماتهم •

مجمع اللغة العربية

الادارة العامة للمجمعات واهياء المراقبة العامة لاهياء التراث

- ٦ - ألا يكون قد مضى على نشره أكثر من ثلاث سنوات ، والمعتبر في ذلك تاريخ آخر جزء (ان كان ذا أجزاء) •
- ٧ - ألا يكون قد نال جائزة ما - من المجمع أو من غيره من الجهات والهيئات الأخرى •
- ٨ - يجوز أن يكون العمل المقدم من تحقيق فرد أو أكثر ، كما يجوز أن يشارك المحقق - أو المحققين - مراجع أو أكثر ، وفي حالة تعدد المحققين أو مشاركة المراجعين توزع الجائزة على الجميع بالتساوى •
- ٩ - يستوى في التقدم الى هذه الجائزة المصريون وغيرهم من المشتغلين بتحقيق التراث العربى في البلاد العربية والإسلامية وكذلك المستشرقون من غير العرب والمسلمين •
- ١٠ - يقدم المتسابق خمس نسخ من العمل المحقق الى المجمع باسم الأستاذ الدكتور الأمين العام للمجمع وليس له الحق في استردادها •
- آخر موعد للتقدم الى الجائزة هو ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٨٠ م •

كتاب الشهر

دلالات التراكيب

دراسة بلاغية - تأليف الدكتور محمد أبو موسى

دراسة

بقلم الدكتور محمد عبد النعم ففاجي

الدراسة على منهج القدماء ، ذلك المنهج الذى يقوم على تأمل التركيب وتحليله ، والتعرف على ما أودعه فيه صاحبه من فكر وحس ، تعرفا يفرط فى الجد والتقصى •

ويقول : منهج القدماء فى التحليل البلاغى يقوم على الادراك الواعى للفروق بين أحوال التراكيب ، وأن هذه الاحوال قادرة على أن تكون مسارب جيدة تناسب منها مواجيد النفس ، فعكفوا على هذه الاحوال ، وهذه المسارب وساءلوا عما أودع القوم فيها من أنفاس نفوسهم ، وخلجات أفئدتهم ••

«وأقول : أن سيبويه ومن سبقه من النحاة ارتبط تفكيرهم النحوى بهذا المنزع الذى لا أخطئه ، وهو تحليل السليقة اللغوية ، وكأنه ضرب من التحليل النفسى للغة ، أو ضرب من مدارس الفكر والمنطق الكامن وراء هذه اللغة » •

ويوضح كذلك منابع هذه الدراسة فيقول : « جدت هذه الدراسة فى الاستمداد من هذه المنابع (أى التراثية طبعاً) ، واصطنعت هذا المنهج فيما عرضته

هل تنطلق البلاغة العربية من ميادين التراث البلاغى والنقدى لعلمائنا الأصلاء القدامى أو من نظريات الغرب وأفكاره البيانية التى يكشف عنها علماء النقد والبيان فى أوربا ، أو منهما معا ؟ ان البلاغة العربية تراث حافل خالد ملئ بالذكاء والطبع والتفكير الرصين ، والاستنتاج الرزين •• ولكننا لن نستطيع دراستها من خلال هذا التراث الا اذا كان لها اجتهادات كبيرة فيه ، وزيادات واسعة عليه ، واضافات عميقة اليه •

وهنا ، فى كتاب « دلالات التراكيب » يدرس الدكتور المؤلف محمد أبو موسى بعض الاصول البلاغية فى البيان العربى ، على ضوء من تراث السلف ، وبخاصة تراث الامام عبد القاهر الجرجانى ، صاحب كتابى « دلائل الاعجاز » ، و « أسرار البلاغة » ، مع اجتهادات ملائمة ومفيدة لموضوع الدراسة وطبيعتها •

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه الذى بين أيدينا : قضت هذه

— ٢ —

يتناول المؤلف في كتابه أسلوب القصر بالدراسة في نحو السبعين والمائة صفحة ، وأسلوب التقديم كذلك في نحو العشرين صفحة ، وأساليب الانشاء ، في أكثر من مائة صفحة ، وأساليب الفصل والوصل في نحو الثمانين صفحة . ولا شك أن هذه الموضوعات هي من أهم موضوعات البلاغة العربية ، التي يقف عندها الباحث متأنيا مستلهما التراث والذوق جميعا يعرض آراء البلاغيين القدماء ، وآراء البلاغيين الجدد ، ويناقش كل رأى وكل فكرة ، معتمدا على ذوق أدبي أصيل ، وثقافة عربية واسعة .

ويستمر المؤلف في الدراسة والبحث ، حتى نهاية الكتاب ، مسترشدا بذوقه وفطنته الى أعماق الأسرار في التركيب البلاغي ومهتديا الى الرأى الامثل حين يختلف البلاغيون والنقاد معا في الفهم والتحليل والتعليل .

— ٣ —

ومن أمتع صور البحث في الكتاب

من أبواب وهي على يقين من سداده في فهم الأدب، وتذوقه تذوقا يقوم على البصر بأحوال اللغة ، والتعرف على ما يستكن فيها من أسرار . وهي ترى أن التذوق ليس هو الاستمتاع بجمال العمارة فحسب، وإنما هو مع ذلك وعى بما تحتويه العبارة من فكر وحق ، وما ترمى اليه من مرام قريبة أو بعيدة ، وما تفصح عنه بصوت مسموع أو توسوس به وسوسة خفية ، أو تغتمم به غممة مكتومة لا تلامس الا قلة من ذوى البصر بأحوال هذا اللسان » ص ٩ مقدمة الكتاب .

ويؤكد ذلك فيقول : وإذا كانت هذه الدراسة تجد في أن ننتفع بهذا المنهج القديم المثر ، فان لها رأيا في الوجه الذى تراه نافعا في دراسة تراث العلماء فليس المهم هو فهم هذا التراث ومناقشته فقط ، وإنما المهم هو شئ بعد ذلك ، هو فقهه وتمثله وإدارته في العقل والقلب . المهم هو نفخ مقالتهم والتفتيش في ظاهرها وباطنها علن فكرة نافعة » — ص ١٠ ، ١١ من المقدمة .

الأسلوب المبسط ، الخالى من التعقيد والاصطلاحية ، والغموض ، وذلك مما يجعل لهذا البحث قيمته العلمية الرفيعة الخصبة المثمرة . ونحن لا نملك الا أن نقول للمؤلف : ياليت البحث البلاغى يجد من أشباه تلك العناية المرموقة ما يضىء السبيل نحو بلاغة عربية أصيلة متجددة تماشى الذوق والطبع والفطرة والوجدان ومشاعر الانسان ، ولا يقعد بها سوء الفهم أو سوء التحليل والتأويل والتعليل . ان فى الجهد المبذول فى هذا الكتاب ، لاضاءة ، جديدة لدروب انبحث البلاغى الذى اكتنفته على طول العصور المتأخرة سحب كثيفة قادته الى مسارب الظلام واللامبالاة معا .

وفى ختام هذا الكلام أحيى المؤلف الدكتور أبا موسى ، وأستنهض همته فى الدراسة والبحث حول كل ما يتصل بالبلاغة العربية وتراثها الدفين .

دكتور محمد عبد المنعم خفاجى

دراسته للمناسبات البلاغية بين أنجمل ، والأحوال الوصل وأحوال الفصل فيها . وفى دراسته للقصر آثار كثيرا من البحوث والمسائل البلاغية ، وناقش كثيرا من الآراء ، ونقد ما يستحق النقد منها ، فى ذكاء وحذر شديدتين وما أكثر ما عرض له من مسائل وقضايا بلاغية ونقدية فى كتابه .

فى بحث « انما » مثلا يعرض لمعنى انما ودلالاتها كما صوره عبد القاهر الجرجانى ، ثم يناقش رأيه والأدلة التى ذكرها البلاغيون ، ويحلل ملاحظات لأبى على الفارسي ، ثم يستقصى طبيعة المعنى الذى يأتى بانما ، ويحلل الشواهد على ذلك ويستقصى البحث فى هذا المجال استقصاء واسعا ، ويخرج بنتائج جديدة مثمرة فى البحث عن بلاغة الأسلوب .

وهكذا يتميز بحث الدكتور محمد أبو موسى بتعمق التراث ، وبتحكيم الذوق ، وبمناقشة الآراء القديمة والجديدة معا ، والوصول الى الرأى المحمص الدقيق السليم ، مع

فهرس العدد

الموضوع	صفحة
● لمحات من الاسراء والمعراج للاستاذ محمد صابر البرديسي	٨٤٩
● حول رأى العلامة ابن خلدون لفضيلة الاستاذ الدكتور محمد الطيب النجار	٨٥٧
● السنة والحديث والخبر والأثر للدكتور الحسينى هاشم	٨٦٢
● ليلة النصف من شعبان لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير	٨٦٨
● المشكلة الاقتصادية فى ضوء تعاليم الاسلام للدكتور رعوف شلبى	٨٧٧
● الاحاد المادى .. والآخرة للدكتور يحيى هاشم	٨٩٢
● تراث مفقود مع كتابين مفقودين للقراء للدكتور أحمد علم الدين الجندى	٩١٢
● مقتطفات من عالم النفس البشرية للدكتور محمد محمد خليفة	٩٣٥
● الذميون فى بلاد الاسلام للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٩٤١
● الربا قبل الاسلام وبعده للاستاذ زيدان أبو المكارم حسن	٩٥٦
● الاسلام والحضارة للاستاذ أحمد عبد الرحيم السايح	٩٨١
● الطب الاسلامى للدكتور على محمد مطاوع	٩٩٦
● امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز للشيخ أحمد على منصور	٩٩٩

صفحة

الموضوع

- الأمن ومقاومة الجاسوسية والتخريب في ضوء الاسلام
لواء محمد جمال الدين محفوظ ١٠٠٦
- قانون الضمان .. تشريع اسلامي اصيل
للأستاذ صلاح عزام ١٠١٤
- حكم وطرائف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٠١٨
- باب الفتاوى
للأستاذ عبد الحميد شاهين ١٠٢٣
- من أنباء العالم الاسلامي
توجيهات السيد رئيس الجمهورية الى السيد وزير الأوقاف ١٠٢٧
- كتاب الشهر
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ١٠٣١

الاسم
إدارة الأزهر
بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢
ت (٩٠٥٥٠٦)

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محمد صابر البردي

الجزء السادس — السنة الثانية والخمسون — رمضان سنة ١٤٠٠ هـ — أغسطس سنة ١٩٨٠ م

في رحاب رمضان توجيه ودعاء

لفضيلة الإمام الأكبر
الدكتور محمد الرحمن بيصار شيخ الأزهر

يأتى رمضان كل عام .. ويطل على المسلمين مشرقا وضيئا ..
ليجدد الهمم .. ويوقظ العزائم .. ويدفع بها الى العمل الصالح ..
ويمدها باليقين والايمان .. لأن شهر رمضان مدرسة قدسية يتعلم
المسلمون فيها دروسا عملية .. تقودهم الى الخير .. وتهديهم الى
الطريق القويم الذى يحقق لهم سعادة شاملة فى دنياهم وأخراهم ..
لو أننا نظرنا الى رمضان نظرة سليمة فاحصة لتكشفنا أنه ما شرع
الا لغايات نبيلة .. ومقاصد شريفة .. ولا تتفق بحال مع تلك النظرة
السطحية التى تتقف بمفهوم الناس لرمضان عند حد ليلاليه الساهرة ..

وأنواره الباهرة .. والتهم ما لذ وطاب .. والاقتصار على مظاهر
شكلية .. لا تؤتي ثمرًا .. ولا تحقق هدفًا ..

فالصوم في الحقيقة نزهة للقلب .. وفسحة للروح .. تسمو
بصاحبها الى عالم علوى من السمو والجلال .. حيث يتجرد من
شهواته .. وينتصر على نزواته ونزعاته .. متفرغا لطاعة ربه وخالقه
ومولاه .. متنائيا عن المعاصى والذنوب والآثام .. متقربا الى الله
بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .. لأن الصوم تجريد للنفس من
الهوى .. وتغلب على ما تهفو اليه من جنوح وانحراف ..
فالصوم في جوهره لم يكن مقصورا على الامساك عن الطعام
والشراب .. بل هو منوط بالامتناع عن كل حرام .. ليكون ذلك تلقينا
للمسلم للالتزام بأحسن الفضائل .. والتزود بأطيب الشمائل ..
والتحلى بأروع القيم .. ليصبح في ذلك مثلا أعلى .. وصورة متألقة
للانسانية الكاملة .. فالصائم يتلقى من صيامه دروسا عملية في الصبر
والجلد .. والصمود والمثابرة .. تؤهله لمواجهة الصعاب والمشقات
بايمان ثابت .. وارادة قوية لا تلين ولا تعرف الضعف أو الوهن ..
كما تتأصل في أعماقه جذور الأمانة .. تلك الأمانة التى تمثلت في صيانته
لدينه .. وحفاظه على هذه الفريضة .. حتى ولو كان بعيدا عن أعين
الرقباء

فضلا عما يترتب على الصيام من احساس بالجوع والعطش ..
لندرك ما يقاسيه الفقراء الذين تتلوى بطونهم من الحرمان .. والمساكين
الذين لا يجدون ما يطفىء غلتهم أو يقيم أودهم .. فنمد لهم يد
العطف والشفقة والحنان .. ومن هنا : نرى رمضان شهرا مباركا
ميمونا .. لأنه موسم للطاعة .. وميدان للعبادة .. وفلك قدسى تطوف
في رحابه قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا .. ويفوزوا برضوان ربهم
بعد أن قدموا أحسن الأعمال ابتغاء وجهه الكريم

فعلى كل مسلم أن يستشعر جلال هذا الشهر ، ليتخذ منه وسيلة إلى الخلاص .. وطريقا إلى الله .. بالكف عن المحارم .. والبعد عن المعاصي .. والاعراض عن الشبهات .. ومجانبة الفساد .. والاقبال على الطاعات .. وفعل الحسنات .. والتحلّى بمكارم الأخلاق ...

وانى اذ أهنيء قوافل الاسلام فى كل مكان بحلول شهر الصيام .. يطيب لى أن أدعوهم إلى التمسك بما يمليه علينا ديننا من الترابط والتآلف والتراحم والتعاطف .. والتآخى والتعاون .. ونبذ الخلاف والشقاق .. والتفرق والانشقاق .. تحقيقا للوحدة .. وتجميعا للكلمة .. وتوحيداً للصف .. وتمثيلاً للقوة .. وتأكيداً للمجد والكرامة .. واستجابة لقول المولى تبارك وتعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .. وتلبية لقول رسوله الكريم : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » .. فلنستقبل شهر رمضان وجوها مستبشرة .. وقلوبا متفتحة .. وأرواحا صافية .. وأيادى متصافحة .. فى ظلال ديننا الحنيف .. ورحاب شريعتنا السمحاء ...

ولا يسعنى — ونحن فى مطالع شهر الرحمة — إلا أن أتوجه بالدعاء والضراعة مبتهلا إلى المولى سبحانه أن يجعل هذا الشهر فاتحة خير وبركة .. وبارقة أمل ورجاء .. لأن يوفق المسلمين إلى الحق والنور .. ويضفى عليهم سراويل المجد والشرف .. والعز والكرامة ليكونوا كما وصفهم فى كتابه الحكيم « كثرتم خير أمة أخرجت للناس » ...

دكتور

محمد عبد الرحمن بيصار

شيخ الأزهر

الأهداف المرجوة من الصوم كيف تتم ؟ ومتى تحقق ؟

لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

وقليل من المسلمين من يصوم رمضان لأنه قد فكر في أثر الصوم والحكمة التي أرادها الله منه ، واقتنع بعد هذا التفكير فلبى نداء العقل والعاطفة معا • واستجاب بعد صوت الضمير لصوت المنطق القويم والعقل السليم ، • • والنتيجة الحتمية لذلك أن يصبح كثير من المسلمين ينفذون أوامر الدين تنفيذا لا يعتمد على التفكير والتأمل ولا يستند الى الاقتناع بالحجة والدليل ولكنهم يصومون لأن الله أمرهم بالصيام ، ويصومون لأنهم ورثوا تلك العادة عن أسلافهم من قديم الزمان • • وأغلب الظن أن يكون هذا الاتجاه

يتجه كثير من المسلمين الى صوم رمضان استجابة لعاطفتهم الدينية ، وتقاليدهم التي ورثوها عن الآباء والأجداد دون أن يتفكروا ويتأملوا في الأهداف المرجوة من الصوم والتي أرادها الله عز وجل وحينما فرض على المسلمين صوم هذا الشهر من كل عام ، حيث يقول : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (١) » ، ويقول : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (٢) •

(١) سورة البقرة آية ١٨٣ •

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥ •

وسلم : « كم صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » ويقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (١) *

★★

والله عز وجل قد فرض الصوم لصالح الأبدان وتقوية الأجسام وذلك أن المعدة وهى بيت الداء لها طاقة محدودة • وهى بلا شك تكل من كثرة العمل واستمراره • فكان صوم رمضان فترة راحة واستجمام فيه صلاح المعدة ونشاطها وفى ذلك صلاح الجسم وقوته ونشاطه •

ولكن كثيرا من الناس ينفذون الصوم بطريقة تجعله مضيعة للصحة ومهلكة للأجسام ، فهم يجعلون من هذا الشهر معرضا لألوان الأطعمة الشهية ويتقننون فى الطرق المغرية على الاسراف فى هذا السبيل • • ونتيجة ذلك أنهم يثقلون المعدة ويتخمونها بما يحشدونه على مواعدهم فى

وما يماثله فى العبادات الأخرى هو السبب فى أن المسلمين ينفذون القانون السماوى فى ظاهره لا فى جوهره فى كثير من الأحيان • •

والواقع أن الدين لم يأمر بالصوم رغبة فى تجويع الناس وحرمانهم • ولكن لتقوية الارادة فى النفوس وكبح جماحها عن المعاصى المهلكة والشهوات المردية ، واذن فكل صائم يمسك عن الطعام ولا يمسك عن الذنوب والآثام • أو يجوع نفسه لكى يملأ بطنه من الحرام بنهب أو سرقة أو تدليس أو بأية وسيلة من وسائل الاجرام • • أو يمتنع عن الأكل والشرب ولكنه يطلق لسانه فى أعراض الناس بالتشهير بهم أو بقول الزور والبهتان • كل من كان على هذا الوضع المشين من الصائمين فصيامه مردود عليه ولا يستفيد من هذا النصب والتعب شيئا ، ولا يكسب من صيامه الا الجوع والعطش والحرمان ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه

وتكون النتيجة أن الكثير من الأغنياء يصومون رمضان ولكنهم لا يحسون بمرارة الجوع والحرمان • وتظل قلوبهم على شدتها وقسوتها فلا يعطون محروما ولا ييسرون على معسر • وبذا تضع الحكمة المنشودة في الصيام وتذهب الفائدة المرجوة منه •

ويعجبني في هذا المعنى ما ذكره الامام أبو حامد الغزالي في كتابه احياء علوم الدين حيث يقول : « وكيف يستفاد من الصوم اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاتته صحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن ندخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر ، ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى ، واذا استمرت المعدة خاوية من أول النهار الى آخره حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها • وانبعث من

وجبات الافطار والسحور من مختلف الأطعمة • وهكذا يقضون هذا الشهر كله في اثقال المعدة بالأطعمة فيعرضون أنفسهم للأسقام والعلل • وبذلك تنعكس الآية ويضيع الغرض المنشود من الصيام ، وليس العيب في الصوم انما العيب في أولئك الذين جهلوا حكمة الصوم أو تجاهلوا • فصيروا الدواء داء وقلبوا النعمة والخير الى نقمة وشر ووبال •

والله عز وجل قد فرض الصيام ليشعر الغنى بمرارة الجوع فيعطف على الفقراء البائسين والمساكين المعوزين • ولكن كثيرا من الأغنياء يصومونه دون أن يشعروا بمرارة الجوع فهم يحاولون أن يغيروا سنة الله حيث يقلبون الليل نهارا والنهار ليلا ويجعلون الليل للسعى والعمل ، والنهار للنوم والكسل والخمول ، ويقضون ليلهم ساهرين يأكلون ويتمتعون • ونهارهم نائمون لا يغدون ولا يروحون

والأسقام • ولا غرو فهم يعلمون
أن الحياة وسيلة للآخرة • وأن
الآخرة هي الغاية الدائمة وهي
دار الخلود والقرار ، ومن أجل
ذلك سمت أرواحهم عن الماديات •
وزهدوا في الاسراف في متاع الدنيا
فلم تشغلهم دنياهم عن آخرتهم ،
بل أخذوا من الدنيا والآخرة دون
افراط أو تفريط فلم يسرفوا لم
يقتروا وكان بين ذلك قواما •• ،
وبذلك تحققت لهم الأهداف
المرجوة من الصوم وهي
تلك الأهداف التي تتمثل
في كلمتين اثنتين ختمت بها
الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم لعلكم تتقون »
فثمره الصيام هي التقوى والهدف
المرجو منه هو التقوى ، والتقوى
هي أن تمتلىء نفسك بالخوف من
ربك فتنتقى غضبه وتجعل بينك
وبين ما يسخط الله وقاية تمنعك
وتحميك ، « ومن يتق الله يجعل له
مخرجاً ويرزقه من حيث

الشهوات ما عساها كانت راکدة
لو تركت على عادتها » •

★★

فالصوم مدرسة أخلاقية يتعلم
الناس فيها الدروس النافعة
والمبادئ الهادية ، ولقد كان
الرسول صلى الله عليه وسلم وهو
المرشد الأول للأمة الإسلامية
يصوم رمضان فيضرب للناس
أروع الأمثال في تحقيق حكمة
مشروعية الصيام • وهو القائل :
« الصوم جنة فإذا كان أحدكم
صائماً فلا يرفث ولا يجهل وإن
امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل أنى
صائم (١) » • وكان أصحاب
الرسول الأبرار وأصفياؤه الأطهار
يسيرون على آثاره ويستضيئون
بأنواره فتصوم ألسنتهم عن اللغو
والهذيان والكذب والبهتان •

وتصوم جوارحهم عن الآثام
والعيوب والمعاصي والذنوب •
وكانوا يحققون حكمة الصيام فلا
يتخمون المعدة بأثقال الطعام حتى
لا تتعرض أجسامهم للعلل

صلى الله عليه وسلم : « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » (٥) •

ولاشك أن أبواب الجنة لن تفتح الا للمصائمين الذين تصوم بطونهم عن الطعام وتصوم جوارحهم ونفوسهم عن الذنوب والآثام ، وهم الذين تعلق أمامهم أبواب النار • وتصفد لهم الشياطين •

ألا فليفهم المسلمون الصوم على حقيقته حتى يظهر أثره في نفوسهم وأعمالهم • وحينئذ يبنى المجتمع الصالح الذى يتجه للخير ويهدف للكمال • وتسعد به الأمم والأجيال •

هذا •• ومن الله العون وبه التوفيق •

د / محمد الطيب النجار

وكيل الأزهر

لا يحتسب (١) ، « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » (٢) فمن الحق اذن على كل مسلم أن يتدبر حكمة الصيام حتى تتحقق له الثمرة الطيبة التى وعد الله بها المخلصين من عباده وهى التقوى التى هى جماع الخير وملاك الايمان ، وحتى يكون من المعنيين بهذه الأحاديث الشريفة وهى قوله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (٣) وقوله صلوات الله وسلامه عليه : « ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم • يقال : أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فاذا دخلوا أغلق عليهم فلم يدخل منه أحد » (٤) وقوله

(١) سورة الطلاق آية ٢ ، ٣ •

(٢) سورة الأنفال آية ٢٩ •

(٣) متفق عليه •

(٤) متفق عليه •

(٥) متفق عليه •

شهر رمضان

لفضيلة الدكتور الحسيني هاشم
الرئيس العام لجمع البحوث الإسلامية

فعدة من أيام آخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم أن كنتم تعلمون شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه •

القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون • (١)

وأما السنة فقول النبی - صلى الله عليه وسلم - : « بنى الاسلام على خمس » ذكر منها صوم رمضان ، وعن طلحة

قال تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » •

الآية

الصوم شرعا : هو الامساك عن المفطرات من الأكل والشرب والجماع ، يوما كاملا من طلوع الفجر الى غروب الشمس • والأصل فى وجوب الصيام ، الكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى فى كتابه العزيز : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون • أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر

(١) الآية رقم ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ من سورة البقرة •

أو أخبر بالحساب الدقيق -
فليصمه •

« عن ابن عمر قال : تراءى
الناس الهلال ، فأخبرت رسول
الله - صلى الله عليه وسلم -
«أنى رأيته ، فصام وأمر بصيامه»
رواه أبو داود •

وعن عكرمة عن ابن عباس قال:
« جاء أعرابي الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال : انى رأيت
الهلال ، يعنى رمضان ، فقال :
أنتشهد أن لا اله الا الله ؟ قال
نعم • قال : أنتشهد أن محمدا
رسول الله ؟ قال : نعم ، قال :
يا بلال أذن فى الناس فليصوموا
غدا » •

رواه الخمسة الا أحمد -
فتكفى شهادة الواحد العدل •
وتكفى شهادة الاثنين المعدلين فى
شهادة رؤية شهر شوال فى آخر
يوم من رمضان •

وعن عائشة رضى الله عنها
قالت : كان رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) يتحفظ من هلال
شعبان مالا يتحفظ من غيره ،
يصوم لرؤية رمضان ، فان غم

ابن عبيد الله أن رجلا جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم ، ثائر
الرأس ، فقال يا رسول الله أخبرنى
ماذا فرض الله على من الصيام ؟
قال شهر رمضان • قال هل على
غيره ؟ قال لا الا أن تطوع شيئا
قال فأخبرنى ، ماذا فرض الله
على من الزكاة ؟ فأخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم بشرائع
الاسلام ، قال : والذي أكرمك
لا أتطوع شيئا ، ولا أنقص مما
فرض الله على شيئا ، فقال النبي
« صلى الله عليه وسلم » « أفلح
ان صدق » أو « دخل الجنة ان
صدق » متفق عليهما •

وأجمع المسلمون على وجوب
صيام شهر رمضان •
وان أعظم منزلة لشهر الصيام،
نزول القرآن ، فيه هدى للناس ،
فكان الصيام احتفاء بنزول القرآن
هدى للناس •

« فمن شهد منكم الشهر
فليصمه » فمن علم بهلال شهر
رمضان ليلة الثلاثين من شعبان
رؤية ، أو علم بحكم القاضى
بشعوب الرؤية أو بتيقنه ممن رآه

عليه عد ثلاثين يوما ثم صام ، المسلمين •

رواه أحمد •

وتجب النية من الليل في صيام
رمضان دون النفل ، يقول ابن عمر
عن حفصة عن النبي « صلى الله
عليه وسلم : « من لم يجمع
الصيام قبل الفجر ، فلا صيام له »
رواه الخمسة •

والنية محلها القلب ، فتصل
بالاستعداد للصوم ليلا والسحور
للصوم •

وقد روى البخاري في صحيحه
عن أنس ابن مالك قال قال رسول
الله « صلى الله عليه وسلم »
« تسحروا فان في السحور بركة »
ويسن تعجيل الفطر ، وتأخير
السحور •

قال صلى الله عليه وسلم
« لا يزال الناس بخير ما عجلوا
الفطر وأخروا السحور » رواه
أحمد •

واذا أكل الصائم أو شرب
ناسيا ، فيتم صومه ، وصومه
صحيح ، روى البخاري عن النبي
صلى الله عليها وسلم قال « اذا
نسى فأكل وشرب ، فليتم صومه ،
فانما أطعمه الله وسقاه » •

وعن أبي هريره ، قال رسول
الله - صلى الله عليه
وسلم - «صوموا لرؤيته وأفطروا
لرؤيته فان غم عليكم ، فأكملوا
عدة شعبان ثلاثين » رواه البخاري
ومسلم •

واذا تعارض الحساب والرؤية
للعدل الثقة ، قدمت الرؤية ،
ويؤخذ بالحساب الموثوق به
بالمراصد وغيرها عند عدم الرؤية
وان لم يعلم أكمل شعبان ثلاثين
يوما •

وقيل يعتبر لأهل كل بلد
رؤيتهم ، ولا يلزم رؤية غيرهم ،
حكاه ابن المنذر عن عكرمة ، وحكاه
الترمذي عن أهل العلم •

وقيل : انه لا يلزم بلد رؤية
غيرهم ، الا أن يثبت ذلك عند
الامام الأعظم «متى وجد الامام»
وحينئذ يلزم الناس كلهم لأن
البلاد في حقه كالبلد الواحد •

والرأى الثالث ، ان تقاربت
البلاد كان الحكم واحدا ، وهو
الأقرب والأولى لجمع وحدة

له أن يذوق الطعام ، ولو ذاقه
ومجه فلا يفسد صيامه — ولا يضر
بالصيام الحقنة في الجلد أو العضل
أو العرق لأنها من طريق غير
طبيعي ، بخلاف الحقنة الشرجية •

ويسن الفطر على تمر وماء ،
لقول الرسول « صلى الله عليه
وسلم » اذا أفطر أحدكم فليفطر
على تمر فان لم يجد ، فليفطر على
ماء فانه طهور » رواه الخمسة
الا النسائي ، وعن معاذ بن زهرة
أنه بلغه أن النبي « صلى الله عليه
وسلم » كان اذا أفطر قال
« اللهم لك صمت ، وعلى رزقك
أفطرت » رواه أبو داود •

ان الصائم متجه بروحه
الصالية في شهر الخير ، شهر
القرآن ، شهر الصيام — الى
مولاه في كل وقت ، مؤمنا ، وعابدا ،
وداعيا ، ومضاعفا للخيرات في
شهر الغفران ، قال « صلى الله
عليه وسلم » (من صام رمضان
ايما نا واحتسابا غفر له ما تقدم
من ذنبه) •

وروى البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال : كان النبي

ومن شرب أو أكل متعمدا أثم
وعليه القضاء ، ومن جامع في نهار
رمضان فعليه الكفارة ، وهي عتق
رقبة ، فان لم يجد فصيام شهرين
متتابعين فان لم يستطع فاطعام
ستين مسكينا ، ويقضى اليوم •

ومن كان مريضا أو على سفر
فله الإفطار ، وعليه القضاء — ومن
كان مريضا مرضا لا يرجى شفاؤه
كمرض الشيخوخة ، وما مثله ،
فليطعم عن كل يوم مسكينا ولا
قضاء عليه •

الحائض والنفساء لا يصح
منهما الصوم ، ويحرم صومها ،
فيفطران ويقضيان الصوم •
ويجوز للحبلى والمرضعة الإفطار
والقضاء وزاد بعض أهل العلم ،
الاطعام عن كل يوم مسكينا •

واذا غلبه القيء فصومه صحيح
بخلاف تعمد القيء ، واذا وصل
غبار طريق الى حلقه أو دقيق
لزاولة لا يفسد الصوم •

ومن طلع عليه الفجر ، وهو يأكل
أو يشرب فتوقف ، ومج الفاضل
فلا يفسد صيامه •

وابتلاع ريقه لا يضر ، ويكره

العبادة والعمل في العشر الأواخر
عن عائشة قالت كان النبي « صلى
الله عليه وسلم » إذا دخل العشر
شد مؤزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ
أهله •

وكان يعتكف في العشر الأواخر
من رمضان ، فعن عائشة رضى الله
تعالى عنها ، « أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يعتكف العشر
الأواخر من رمضان حتى توفاه
الله تعالى ، ثم اعتكف أزواجه
من بعده » •

صلاة التراويح جمع ترويقة ،
وهي المرة من الراحة ، وسميت
الصلاة في الجماعة من رمضان ،
«التراويح» لأنهم أول ما اجتمعوا
عليها كانوا يستريحون بين كل
تسليمتين وجاء في صحيح البخارى
عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ،
أنه سأل عائشة « رضى الله عنها :
كيف كانت صلاة رسول الله
« صلى الله عليه وسلم » في
رمضان ؟ فقالت ، ما كان يزيد في
رمضان ولا في غيره على احدى
عشرة ركعة ، يصلى أربعا فلا

« صلى الله عليه وسلم » أجود
الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون
في رمضان حين يلقاه جبريل وكان
جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة
في رمضان فيدارسه القرآن
فلرسول الله « صلى الله عليه
وسلم » أجود بالخير من الريح
المرسلة •

اقبال على الله بمضاعفة الجود
والرحمة والبر والخير في شهر فيه
ليلة القدر في شهر القرآن •

ومن هنا كانت آداب الصوم
بفعل الخيرات ، والبعد عن
الآثام ، قال « صلى الله عليه
وسلم » « من لم يدع قول الزور،
والعمل به ، فليس لله حاجة في أن
يدع طعامه وشرابه » •
وفي شهر رمضان ليلة بألف
شهر هي ليلة القدر •

عن عائشة رضى الله عنها، أن
رسول الله « صلى الله عليه
وسلم » قال « تحروا ليلة القدر
في الوتر في العشر الأواخر من
رمضان » •

من أجل ذلك كان يضاعف
للرسول « صلى الله عليه وسلم »

الملغو والفحش وقدرها صاع عن كل فرد وهو قدح وثلاث بالكيل المصرى ، فتجزى الكيلة عن ستة اشخاص وتكون من غالب قوت البلد من القمح أو الشعير أو السلت والذرة والدخن والأرز والتمر والزبيب والأقط (وهو لبن يابس نزع زبدته) ويجوز دفع القيمة بالنقود •

عن ابن عباس قال (فرض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات) رواه أبو داود وابن ماجه •

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق الأمة الاسلامية الى ما فيه خيرها وصالحها كما نسأله تعالى أن يوفق ولاية أمور المسلمين الى جمع شملهم وتوحيد صفوفهم واعلاء كلمة الله •

والله ولى التوفيق

دكتور الحسينى هاشم

تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثاً فقلت : يا رسول الله : أتمام قبل أن توتر ؟ قال يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي » •

وجاء فى صحيح البخارى عن عبد الرحمن بن عبد القارى أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » ليلة فى رمضان الى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلى الرجل لنفسه ، ويصلى الرجل ، فيصلى بصلاته الرهط ، فقال عمر : انى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد كان أفضل ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله •

فمن أراد أن يصلى التراويح احدى عشرة ركعة أو عشرين ركعة فله ذلك •

وزكاة الفطر طهرة للصائم من

عن رمي رمضان

للاستاذ محمد صابر البرديسي

- قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لظكم تتقون » (١) •
- تشريع الصيام ، ليس جديداً في شريعة الاسلام ، وانما هو تشريع قديم شرعه الله للأمة السابقة •
- وحينما تشعر النفس بأنها ليست منفردة بما تطالب به ، وانما سبق لأجيال ، وأمم مضت ، أن كلفت بهذا النوع من الصيام فأنها تقبل عليه ، وتستريح له ، بلا مضض أو حرج أو استياء •
- والغاية من الصوم تفهم من قوله تعالى « لظكم تتقون » هي الوقاية التي تقى الصائم ، وتحول بينه وبين الوقوع في المحرمات ،
- والميل الى المنكرات •
- الصوم يقى الفرد أن تتغلب عليه حيوانيته ، فيصير حيواناً لا ضابط له ••
- والصوم يقى المجتمع من الانحراف ، فان المجتمع يتكون من الأفراد ، ومتى تهيا الفرد الصالح الذي يعمل لخير المجتمع ، أصبح المجتمع صالحاً •
- واذا ما اتقى الانسان شرور نفسه ، واتقى المجتمع منه شروره ، فقد بلغ الفرد والمجتمع غاية التقوى ، وهذا معنى قوله تعالى « لظكم تتقون » والله سبحانه وتعالى يعلم أن التكليف بشيء أمر شاق على النفس تحتاج فيه الى دفع واستعداد ، حتى تستجيب له ، وتستأنس به ولو

كان في هذا التكليف نفع لها ،
ورفعة لثأنها ، هذا الدفع يكون
بشيء محبب اليها ، تطمئن اليه ،
وتتقنع به •

ومن هنا جاء النداء في أول الآية
بقوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا »
هذا النداء المحبب الى كل عبد

مؤمن ، ترتاح اليه نفسه ، ويسعد
به قلبه حين يسمعه ، ويستعد
لتلقى ما يجيء بعده •

فاذا ما جاء بعد هذا فريضة
النصوم ، وذكرت الحكمة منه ، وقع
ذلك من نفس المؤمن موقع الارتياح
والاستحسان •

يتضح لنا من تلك الايحاءات ،
أن الدين لا يقود الناس بالسلاسل
الى الطاعات، وانما يقودهم بالحب
والرغبة والايمان والاقتناع • واذا
حدث أن فسد الناس في زمن من
الازمان ، فان أحسن طريق
لاصلاحهم ، يكون عن طريق
التوجيه بالحكمة والموعظة الحسنة
لا عن طريق التشدد في الأحكام
على غير أساس •

فالاصلاح الناجح يكون بالتربية
الحسنة ، والقودة الصالحة
واصلاح القلوب ، واحياء الشعور
الطيب في النفوس ، وخاصة في
الشعائر التي يتعبد بها الناس ،
لأن حسابها بين العبد وربّه لا تتعلق
بها مصالح العباد •

ان الشريعة الاسلامية شريعة
سمحة ، « ولن يشاد الدين أحد
الا غلبه » يقول تبارك وتعالى
« أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا » •
ويقول سبحانه « ما جعل عليكم
في الدين من حرج » ويقول
الرسول صلى الله عليه وسلم :
« بعثت بالملة السمحاء » •

فالدعوة الى الله ينبغى أن
تكون بالصورة التي أَرادها الله ،
وتقررها شريعته الغراء ، فالله
أعلم بما فيه صالح العباد • قال
تبارك وتعالى : « ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ،
وجادلهم بالتى هي أحسن » (١) •
هذه هي طريقة تربية هذه الأمة
تربية أساسها الايمان والتقوى ،

ورقابة الله ، وحساسية الضمير •
وقد اختص الله شهر رمضان
بمزيد من الفضل ، وعظيم الأجر •
روى عن سلمان الفارسي
مرفوعا في فضل شهر رمضان :
« من تطوع فيه بخصلة من
خصال الخير كان كمن أدى فريضة
فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة
كان كمن أدى سبعين فريضة
فيما سواه » •

وروى أنه « يوازن يوم القيامة
بين الحسنات والسيئات ، ويقاوس
بعضها من بعض ، فان بقى من
الحسنات حسنة دخل بها صاحبها
الجنة » •

لكن الصوم لا يسقط ثوابه
بمقاصة ولا غيرها ، بل يوفر أجره
لصاحبه حتى يدخل الجنة ، فيوفي
أجره فيها •

روى عن سفيان بن عيينة رحمه
الله هذا الحديث :

« اذا كان يوم القيامة يحاسب
الله عبده ، ويؤدى ما عليه من
المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى
الا الصوم ، فيتحمل الله عز وجل
ما بقى عليه من المظالم ويدخله

بالصوم الجنة •
الصوم سر بين العبد وربّه
لا يطلع عليه غيره ، وفي الصوم
ترك لتناول الشهوات ، التي يمكن
تناولها عادة في الخفاء ، فاذا ترك
العبد ما تدعوه اليه نفسه طاعة
لله ، وابتغاء مرضاته ، حيث
لا يطلع عليه غيره ، فان ذلك يدل
على كمال الايمان ، وصدق المحبة
لله •

والله سبحانه وتعالى ، يحب
من عباده أن يعاملوه سرا بينهم
وبينه ، فلا يطلع على معاملتهم
اياهم سواه سبحانه وتعالى •

ومن أجل هذه النية الباطنة ،
والسرية الصادقة ، أضاف الله
سبحانه وتعالى الصيام الى نفسه
وخصه باسناده اليه ، دون غيره
من العبادات وسائر الأعمال •

روى في الحديث القدسي أن
الله تعالى يقول :

« كل عمل ابن آدم له الا الصوم
فانه لى وأنا أجزي به » •

ومن كمال الصيام ، وتمام
القرب من الله ، أن يترك الصائم
المحرمات ، فمن ارتكب المحرمات ،

سمعك وبصرك ، ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء » •

إذا لم يكن في السمع منى تصاون وفي بصرى غض وفي منطقى صمت فحظى إذا من صومى الجوع والظما فان قلت : انى صمت يومى فما صمت •

وقال صلى الله عليه وسلم : « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر » (٣) •

وقد روى « أن امرأتين صامتا في عهد النبى، صلى الله عليه وسلم، فكادتا أن تموتا من العطش ، فذكر ذلك للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأعرض ، ثم ذكرتا له ، فدعاهما ، فأمرهما أن يتقيآ ، فقآتا ماء قدح قيحا ، ودما، وصديدا، ولحما عبيطا ، فقال النبى صلى الله عليه

ثم تقرب الى الله تعالى بترك المباحات ، كان كمن ترك الفرائض وتقرب الى الله بالنوافل •

وهل يكون تمام قرب العبد من الله ، وكمال اتصاله به سبحانه وتعالى بترك المباحات ، مع مباشرته لما حرم الله ، من الكذب ، والظلم والعدوان على الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ؟ ان هذا أمر لا يقره العقل ،

ولا يقبله الذوق السليم ، ويتنافى مع توجيهات الاسلام ، وأسسها التى بنى عليها •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « من لم يدع قول الزور ، والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (١) •

وفي حديث آخر « ليس الصيام من الطعام والشراب ، انما الصيام من اللغو والرفث » (٢) • روى « إذا صمت فليصم

(١) رواه البخارى •

(٢) رواه ابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحهما — والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم •

(٣) رواه بن ماجه والنسائى ، وابن خزيمة فى صحيحه •

يقوم الصائم ليله ، يكثر من الصلاة نهاره ، وينتقل الى بيت الله ، ويصحو للسحور ، ويمشي الأداء ما عليه من واجبات ، فتحل الهداية في قلبه ، واذا الهداية حلت قلب امرئ تنشطت لها الأعضاء وامتأل الجسم حيوية وحركة •

والصائم يحس بألم الجوع ، وحرارة العطش ، فتتحرك فيه فضيلة الشفقة والرحمة ، فيعطف الغنى على الفقير، ويمد له يد العون والمساعدة • فالصوم يجعل الغنى يستشعر في نفسه الأمانة على حق الفقراء، فيعطيهم حقهم من مال الله الذى آتاه « وفي أموالهم حق

للسائل والمحروم » (٢)

والفقراء يتذوقون مرارة الصوم ، وحينما تسعى اليهم خيرات الله على يد الأغنياء تتحرك فيهم عاطفة الحب وتملأ قلوبهم الأمانة ، فيحافظون على أموال الأغنياء ، وحينئذ يشعر الغنى والفقير بنعم الله ويحمدون

وسلم « ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما ، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست احدهما الى الأخرى ، فجعلتا تأكلان لحوم الناس » (١) •

ومع أن الصيام فيه تمام القرب من الله ، لما فيه من اخلاص العبادة لله وترك للشهوات والمحرمات ، ففيه أيضا سمو بالروح ، وتربية للنفس ، وتنشيط للجسم ، وتحريك للعاطفة ، وتقوية للارادة ، وارغام لأنف الشيطان • يترك الانسان في رمضان الشبع والرئى ، ومباشرة النساء ، فتسمو روحه •

يدع الصائم الرفث والفسوق والفجور والعصيان ولا يخاصم ولا يشاتم من أجل الصيام، ويتحرك لأعمال الخير ، فيصل الرحم ، ويقرى الضيف ويعين على نوائب الدهر • ومتى تعودت النفس على ذلك فانها تسلك طريقها السوى وتسير نحو مدارج الكمال •

(١) رواه أحمد في المسند •

(٢) الذاريات (١٩) •

الله على ما تفضل به عليهم من خير ونعمة •

وفي شهر الصيام يترك الصائم بعض ما تعود عليه من عادات التدخين ، والشاي ، وكثيرا من العادات التي يتوهم الانسان أنها أصبحت ملازمة له فتتقوى بالصوم الارادة فتكون عارمة جازمة ، وتضعف عنده سلطان العادة ، وحينئذ يملك زمام أمره فيستعين بنكبات الدهر وتقلبات الزمان ، ويتغلب على مشكلات الدنيا ، ويحتمل آلام الحياة ، ايثارا لما عند الله من الرضى والثواب ••

والصائم يخلو قلبه للفكر والذكر ، فيصفو ذهنه ، وترق مشاعره ، ويطرد بالصيام وساوس الشيطان فلا يكون له عليه سلطان ، قال تعالى : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » •

في الصوم فوائد جمة ، ومزايا لاتعد ولا تحصى ، منها اذا استفحل الداء وعز الدواء كان الصيام خير شفاء •

وشهر الصيام رحمة وبركة ، وفيه ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن وهى خير من ألف شهر ، قال تعالى « انا أنزلناه في ليلة مباركة » •• وقال تبارك وتعالى « انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر » وقال تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » •

كانت الليلة مباركة لانها ليلة القدر ، ولأنها أنزل فيها القرآن ، وكان الشهر مباركا لأنه نزل فيه القرآن ، وفرض فيه الصيام •

والقرآن الكريم لم يعين هذه الليلة فضلا منه ورحمة ، ليجتهد الصائمون طوال شهر رمضان ، وليحيوا لياليه يتلمسون هذا الفضل ويرجون هذه البركة •

وقد ورد من الأحاديث ما يشير ، بل يؤكد تحديد هذه الليلة ، في ليلة من جملة الليالي ، من العشر الأواخر من رمضان ، ولا عجب أن تكون هذه الليلة خيرا من ألف شهر ، فان ليلة فيها هدى ونور ، خير من دهر يمضى في ظلام

وضلال ، فليست قيمة الايام
بساعاتها ، ولا قدر الليالى بطولها
وعدها ، وانما قيمة الاوقات
بما يحدث فيها من خير للناس ،
وهدى للبشر ، وسعادة للأمة ..
عن أنس رضى الله تعالى عنه ،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قال : « اذا كان ليلة القدر ، نزل
جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون
ويسلمون على كل عبد قائم أو
قاعد يذكر الله تعالى » .

الزاد التقوى •
اللهم وفق الأمة الاسلامية
علماءها وقادتها الى ما فيه خير
الأمة وصلاحها • • اللهم اهدهم
الى محاسن دينك ، والعمل على
تطبيق شريعتك ، فى كل بلاد
المسلمين ، حتى يعود للأمة
الاسلامية مجدها وتقود معاركها
من نصر الى نصر ، والله سبحانه
ولى التوفيق ، وهو نعم المولى
ونعم النصير •

فعلى كل مسلم أن يتزود من
خير هذا الشهر المبارك ، وخير

محمد صابر البرديسى

« الصائم المحتسب »

الصائم المحتسب لا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا
بل يكون راضيا مطمئنا هادئا ، قد يصيبه فتور فى جسمه
ولكن روحه تظل قوية متيقظة •
الصائم المحتسب لا يغضب فى رمضان مما كان يغضب
منه فى غيره ، ولا يمل مما كان يمل منه وهو مفطر ، لأن
صيامه لله ، وصبره بالله ، وجزاءه على الله •

من كتاب توجيهات الاسلام

لفضيلة الامام المرحوم الشيخ محمود شلتوت

دراسات قرآنية

سورة الطارق

لقضية الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى « والسما والطارق ، وما أدراك ما الطارق
 النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ ، فلينظر الانسان مم خلق ،
 خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » الخ •
 لماذا أقسم الله بالسما والطارق ؟
 وكيف خلق الانسان من ماء دافق ؟
 وما هو المقصود من الصلب والترائب ؟

البيان

حين أنه تعالى حظر علينا أن نقسم
 بغيره ؟ فلا يحل لنا أن نقسم
 بالملائكة أو الانبياء ، ولا بالآباء
 أو الأولياء ، ولا بالسما وزينتها
 من النجوم ، وانما نحلف بالله
 الحى القيوم •
 والجواب على هذا السؤال : أنه
 تعالى انما أقسم بها وهو خالقها ،
 لكى يوجه عباده الى معرفة آياته
 فيها لا الى تقديسها ، ويشير الى

لاشك أن عددا من الاسئلة
 يدور فى ذهن قارئى هذه السورة
 وسامعيها ، وأن الاجابة على تلك
 الاسئلة تريح قلوب المؤمنين ،
 وتزيد علم المتعلمين ، وتفتح
 الطريق الى حق اليقين •

(وأول هذه الاسئلة) :

لماذا يقسم الله بمخلوقاته ، فى

سما كل شيء ما علاه ، فسما
البيت عرشه ، وسما المستظل
ظله ، والعلماء سما العامة ،
يستظلون بهم من نار الشبهات ،
وهجير الجهالة ، وأنت تسمو على
أقراك أي تعلوهم ، والمطر سما
لعلوه ، ومنه قول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم
رعيها وإن كانوا غصبا
أي إذا نزل المطر بأرض قوم
رعيها الكلاً الذي نبت بسببه، وإن
لم يرض صاحب الأرض التي
نبت بها - كذلك يقول الشاعر
متناسيا حق المالك في أرضه •

والمراد بالسماء في لسان الشرع
غالبا : السماء ذات النجوم ، وقد
تطلق على السحاب ، كما في قوله
تعالى : « وأنزلنا من السماء ماء
طهورا » أي : وأنزلنا من السحاب
ماء عظيم الطهارة بليغ النقاء
مما يلوثه ، مطهرا لغيره من
أدرانته •

والمراد بالسماء هنا : السماء
ذات النجوم ، وهل النجوم من

ذلك نحو قوله تعالى : « أن في
خلق السموات والأرض واختلاف
الليل والنهار آيات لأولى
الالباب » (١) •

أما إذا أقسم البشر فانهم
ينحرفون الى تقديسها وعبادتها ،
كما فعل البابليون ، حيث عظموا
الكواكب ليتقربوا بها الى الله ، ثم
عبدوها ، ثم رمزوا اليها بأصنام
عبدوها لتقربهم اليها ، فازدادوا
بذلك بعدا عن الذي خلقها فسواها
وأغتش ليلها وأخرج ضحاها ،
فأرسل الله اليهم خليله ابراهيم ،
لينهاهم عن عبادتها ، ويصرفهم الى
عبادة خالقها ، فلما لم يمتثلوا حطم
أصنامهم خفية ، فلما عرفوا أنه
هو الذي حطمها ، أو قدوا له نارا
وألقيوه في الجحيم ، فجعلها الله
عليه بردا وسلاما •

(وثاني هذه الاسئلة) :

ما معنى السماء لغة وما المقصود
بها هنا ؟

والجواب على هذا السؤال أن

ولقد قرأت مرة أن بعض (التلسكوبات) البعيدة المدى ، اكتشف بعض العلماء بالنظر فيها خلف الكواكب والنجوم والمجرات ما يؤكد ظاهر النص القرآنى ، من وجود سماوات وراءها لا يعرفه حقيقتها سوى علام الغيوب ، وهكذا يبقى القرآن مفتاحا لغيوب لم تدركها عقول البشر !! وقد يدركون بعضها ، وبالجمل فانه سر الله المصون !!

أما هذه الزرقة التى نرى الكواكب والنجوم تلمع فى وسطها ، فهى زرقة الغلاف الجوى ، وقد اخترقه أولئك الرحالة الذين وصلوا الى القمر ، فلما جاوزوه لفهم الظلام حتى وصلوا الى الغلاف الجوى للقمر •

والسؤال الثالث :

الطارق والنجم الثاقب

ما هو الطارق الذى أقسم الله به مع السماء ؟

وفيما يلى مقدمة تسبق الجواب :
والجواب : أن الطارق قد يطلق فى عرف اللغة على سالك الطريق ، لانه يطرقتها فى سيره ، ثم غلب على

السماء أو هى السماء فى لسان الشرع ؟ والذى يبدو لنا أنها غير السماء فى لسان الشرع ، وأن هذه المغايرة ظلت خفية على المفسرين والباحثين ولم يتنبهوا لها ، فان النجوم والكواكب تسبح فى فضاء الله ، وهى زينة للسماء الدنيا وليست منها ، قال تعالى فى سورة الملك : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » وقال فى سورة ق : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وماله من فروج » وقال فى سورة الصافات : « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » •

ولا شك أن الزينة حلية يزدان بها غيرها ، فان الزينة غير ما يزدان بها ، ألا ترى أن القلادة زينة لصدر المرأة وليست هى صدر المرأة ، فكذلك النجوم زينة للسماء الدنيا وليست هى السماء الدنيا ، وذلك واضح من منطوق النص الكريم ، كما أنه واضح من حديث المعراج ، فان المعراج لم يكن الى الكواكب ولكنه كان الى السماوات •

من يأتي ليلا ، لانه يكثر مجيئة ،
والأبواب مغلقة فيطرقها ، ثم اتسع
في معناه فأصبح يطلق على ما يظهر
بالليل حتى الصور الخيالية ، كما في
قول الشاعر :

طرق الخيال ولاكيلة مدلج
سدكا بأرحلنا ولم يتعرج (١)

والمراد بالطارق هنا عند
الجمهور : الكوكب الظاهر في الليل،
اما على أنه اسم جنسى لكل
كوكب ، أو هو كوكب معين — كما
سنبينه ان شاء الله تعالى •

ويعظم الله أمر هذا الطارق
فيقول « وما أدراك ما الطارق »

وكأنه يقول : وأي شيء أعلمك أيها
المخاطب ما هو الطارق الذي أقسم
الله به ، انه لعظمة شأنه لا يعرف
المراد منه أو حقيقته الا بالتلقى من
العليم الحكيم ، ثم كشف عنه
كشفا خفيفا فقال : « **النجم**
الثاقب » يعنى ان الطارق الذى
أقسم الله به هو النجم الذى يثقب
الظلام بضوئه ، وهو جنس يشمل

كل نجم يثقب الظلام بسنانه ، أو
هو نجم بعينه نوره أقوى ،
وشعاعه أسرع ، وحجمه أكبر ومن
العلماء من فسره بالجدى — نقلا
عن ابن عباس — ومنهم من قال :
انه الثريا نقلا عن ابن زيد ، فانه
يكثر اطلاق اسم النجم عليه عند
العرب ، وقيل هو زحل وهو أبعد
السيارات وأرفعها وأقواها ضوءا
— كما قال قدامى المنجمين •

وانما قلنا أبعد السيارات ، لأن
الجدى والثريا أبعد منه بكثير ،
وليسا من الكواكب السيارة حول
الشمس ، ومنهم من قال هو كوكب
الصبح •

وسواء كان هذا أو ذاك ، فكل
منها دال على عظمة الله العلى
الكبير ، حيث سيرها الله في الفضاء
بقدرته ، وأبدعها بحكمته ، وأنار
بها المسالك للسالكين في جنح
الظلام ، وهدى بها المدلجين في
الصحارى ، والمأخرين ليلا في لجج
البحار ، فما أعظمك أيها الخالق

(١) المدلج السائر في الليل والسدك بفتح السين وكسر الدال
المولع ، والأرهل بالحاء المهملة جمع رحل ، وهو ما يجلس عليه راكب
الابل ، والتعرج الميل والانعطاف •

مصيره وجزاءه ، والناس يومئذ
فريقان : (مؤمن تقى) يتناول
كتابه بيمينه ، فيحس بالسعادة
تغمر مشاعره ، (وكافر شقى)
يتناول كتبه بشماله ، فيشعر
بالشقاوة تغطي أحاسيسه ، وفي
ذلك يقول الله تعالى فى سورة
الحاقة :

« فأما من أوتى كتابه بيمينه
فيقول هاؤم اقرعوا كتابيه ، انى
ظننت أنى ملاق حسابيه ، فهو فى
عيشة راضية فى جنة عالية ، قطوفها
دانية ، كلوا واشربوا هنيئاً بما
أسلفتم فى الأيام الخالية ، وأما من
أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى
لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه
ياليتها كانت القاضية ، ما أغنى غنى
ماليه ، هلك عنى سلطانيه » الآيات
ولهذا الملك وصفان — الرقابة
والثبات — وفى ذلك يقول الله
تعالى : « ما يلفظ من قول الا لديه

القدير ، والمدبر الحكيم • ثم أجاب
على القسم بقوله سبحانه :

« ان كل نفس لا عليها حافظ »

أى ما كل نفس (١) الا عليها
حافظ يحفظها أو يحفظ أعمالها ،
أما الحافظ لها : فهو الملك الموكل
بكل انسان ، يحفظه من الكوارث
التي تحل بجواره أو فيه ، وينفذ
مشيئة الله بنجاته ، كالرجل ينجو
من سقوطه من مكان مرتفع ، أو
انهيار منزل فوقه ، أو غرق سفينة
كان بها وقد مات ركبها ، أو
الامتناع عن أكل طعام لا يعلم أنه
مسموم ، أو غير ذلك من المهلكات
التي ينجيه الله منها ، بأسباب
خارجة عن ارادته وبغير تدبيره ،
ولولا حفظ الله لهلك (٢) •

وأما الحافظ لأعمالها : فهو
الملك ، الذى وكله الله بتسجيل
أعماله خيرها وشرها فى صحيفة
ليقرأها يوم القيامة ، ويعرف منها

(١) (فان) هنا بمعنى ما النافية ، و (لما) بمعنى الا ، وهى لغة
مشهورة فى هذيل وغيرهم ، نقله أبو حيان عن الأخفش •
(٢) وفى ذلك يقول الله تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من أمر الله » أى يحفظونه بأمره تعالى •

نمو أنثاه استجابت له ، وخرج من كل منهما عند الوقاع ماء دافق سريع الانصباب ، مدفوع بقوة الغريزة الجنسية التي أعدها الله لذلك في كل من الرجل والمرأة •

وانما قال من ماء دافق ، مع أن الجنين مخلوق من ماءين ، ماء الرجل وماء المرأة — كما سنشرحه — لأن الماءين بامتزاجهما صارا ماء واحدا ، أو أن المعنى : خلق من ماء دافق يخرج من كل من الزوجين فيلتقى بالماء الآخر ، فيحصل التلقيح والحمل ، وقد حدثتنا الآية أن هذا الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب، وزعم بعض قدامى المفسرين في تفسيره : أنه يخرج من بين صلب الرجل ، وهو عظام ظهره ، وترائب المرأة ، وهي عظام صدرها ، حيث موضع قلاذتها ، وادعى هؤلاء أن هذا

التأويل منقول عن ابن عباس • وهذا غير صحيح نقلا ولا موضوعا :

أما نقلا : فلأنه لم يروه عن الحبر ابن عباس من يوثق به بل رويوا خلافه •

« رقيب عتيد » أى مراقب ثابت • ويصح أن يراد من الحافظ : المولى سبحانه ، فهو مهيم ورقيب كما قال تعالى : وكان الله على كل شيء رقيبا » وقال الشاعر :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقيب

عجائب خلق الانسان ومصيره

بعد أن بين الله فيما سبق أن كل نفس عليها حفظة يحفظونها ويحفظون أعمالها ، أمر الله الانسان أن يتأمل في مبدأ خلقه ، ليستيقن بالبعث والجزاء ، ويعمل من الصالحات ما ينجيهِ من سوء المصير فقال سبحانه : « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » الآيات •

أى : فليتأمل الانسان من أى شيء خلقه الله بعد خلق أبيه آدم من تراب ، لقد خلقه الله بطريقة أخرى غير الطريقة التي خلق بها أباه ، وذلك أنه تعالى خلق فيه الرغبة الجنسية ، فاذا ما اتجه بها

والخيلتان الى أربع ، والأربع الى ثمان وهكذا ، وبعد أربعة أيام ، تنزل خلايا كثيرة جدا من القناة الفالوبية الى الرحم ، وتظل تتكاثر داخل الرحم ، وفي اليوم الثالث من نزولها الى الرحم تلتصق بجداره ، وهذا هو القرار المتين للنطفة ، وقد رتب الله لها غذاءها في داخل الرحم ، وبعد خمسين يوما تكون النطفة قد انعقدت جنينا طوله ثلاث سنتيمترات ، وبعد ثمانين يوما يكون طوله ثمانى سنتيمترات ، ووزنه خمسة وعشرين درهما وهذا الطور يسمى طور العلقة ، لأن الجنين عالق بجدار الرحم ، ويشبه في تعلقه بها تعلق الدودة بما تمسك به ، ويبدأ بعد ذلك طور المضفة ، ويمكث أربعين يوما أخرى فوق الثمانين السابقة ، ويكون الجنين في آخرها قد أتم مائة وعشرين يوما ، أى : أربعة أشهر ، ويكون قد تم خلقه فينفخ فيه الروح حينئذ ، ويكون طوله بعد أربعة أشهر ثمانية عشر سنتيمترا ، ووزنه سبعين درهما ، ويبدأ في الحركة في بطن أمه ، ويزيد وزنه

وأما موضوعا : فلأن صدر المرأة ليس وعاءا لمنيتها كما ثبت ذلك تشريحيا ، كما أن عظام الظهر ليست موضع المنى ولا مخرجه في الرجل . وإنما مخرج المنى ومصنعه الأساسى : « الخصيتان في الرجل ، والمبيضان في المرأة » .

والصواب في فهم الآية : أن المعنى : يخرج الماء الدافق من جميع أجزاء البدن في كل من الرجل والمرأة ، فخروجه من بين الصلب والترائب كناية عن ذلك .

وتفصيل ذلك : أنه عند الوقاع تثور الشهوة الجنسية في جميع البدن ، فينصب الدم الى الخصيتين في الرجل والى المبيضين في المرأة ، ثم يتحول فيهما الى نطفة ، وتشتمل نطفة الرجل على الحيوانات المنوية ، ونطفة المرأة على بويضة تخرج منها مرة كل دورة شهرية ، ثم تلتقى النطفتان في القناة الفالوبية ، التى تصل بين رحم المرأة ومبيضها ، ويحصل التلقيح للبويضة بأقوى الحيوانات المنوية داخل القناة المذكورة ، وتنقسم بسرعة الى خليتين ،

صلب كل واحد من الرجل والمرأة وتراثيهما ، وهذا هو المعنى الذى رأينا الأخذ به •

وبهذا التأويل رددنا كيد بعض الملاحدة الى نحورهم ، اذ طعنوا فى الآيه بأن المنى لا يتولد من بين الصلب والترائب ، بل ينفصل من الجسد كله ليأخذ الجنين طبيعته أصله وصورته ، فان التأويل الذى ذكرناه هو المقصود من الآيه الكريمة ، وبه يأخذ الجنين صورة أصله ، وهو المتفق مع رد الرسول صلى الله عليه على بعض النساء ، فقد ورد أن امرأة سألت النبى صلى الله عليه وسلم : « هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت » ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم اذا رأت الماء » فقالت احدى النساء : « أو تحتلم المرأة يا رسول الله ؟ » قال : نعم ، فبم يشبهها ولدها ؟ •

تلك هى خلاصة الحديث ومعناه واضح •

ولما بين الله خلق الجنين على هذا النحو العجيب ، عقبه ببيان

وطوله ، حتى يحين زمن فصله وخروجه من رحم أمه كما قدره الله تعالى ، فيخرج باذن الله سالما للحياة خارج الرحم ، وينتقل غذاؤه من رحم أمه الى صدرها ، فتبارك الله أحسن الخالقين •

وقد عبر الله عن خروج المنى من الجسد كله بخروجه من بين الصلب والترائب على سبيل الكناية كما قلنا لأن الترائب أطراف البدن كما جاء فى القاموس ، والصلب موضع العصب النازل من الدماغ ، ومنه تتوزع الشعيرات العصبية على جميع الجسد ، وله دخل عظيم فى نقل احياءات المخ الى الدورة الدموية ، فهو الذى ينقل الاحساس بالشهوة اليها فيثيرها ، وتنزل سلالة من الدم الثائر الى الانثيتين والمبيضين ، فيتحول فيهما الى منى •

وكأن ابن عباس كان يعيش بيننا فى عصر الحقائق العلمية ، حيث حمل الترائب على أطراف الانسان وعينه ، كما نقله عنه مكى ، وروى الحسن عن قتادة : يخرج من بين

ولقد بين الله تعالى أن رجوع
الانسان وبعثه ، سيكون يوم تبلى
السرائر ، أى يوم نكشف الامور
الخفية من العقائد والنوايا وسائر
الأعمال ، فتبدو واضحة لصاحبها
والأهل القيامة ، وليس له فى ذلك
اليوم من قوة يمتنع بها ، ولا ناصر
ينتصر به ، « فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره » . نسأل الله السلامة
فى هذا اليوم الرهيب .

مصطفى محمد الحديدى الطير

أن من قدر على ذلك فهو قادر على
بعثه لجزائه ، حيث قال :

« انه على رجهه لقادر ، يوم
تبلى السرائر ، فماله من قوة
ولا ناصر » أى : انه تعالى على
رجع الانسان الى الحياة بعد الموت
لقادر لا يعجزه أن أصبح عظاما
نخرة وحطاما مبعثرا فان من قدر
على خلقه من ماء مهين ، قادر على
أن يعيد له الحياة التى فارقته
وفارقها ، فهو الذى يقول للشئ كن
فيكون ، ومن سلب الحياة فهو
قادر على ردها .

« ما يقوله الصائم عند الافطار »

كان النبى — صلى الله عليه وسلم — اذا أفطر قال :

اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، ذهب الظمأ ،
وابتلت العروق ، وثبت الأجر ان شاء الله تعالى .

رسالة المسلمين في كل أنحاء العالم

للاستاذ أحمد حسين

بالكثرة أو القلة ، « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » • وتاريخ الاسلام لم يقم في يوم من الأيام على الكثرة ، وكل معارك الاسلام بدأ بمعارك الرسول صلوات الله وسلامه عليه — ومرورا بأعظم معاركه عبر التاريخ، كالقادسية واليرموك ، وانتهاء بحطين وعين جالوت لم يكن المسلمون هم الأكثر عددا ، وانما كانوا كما يجب أن يكونوا دائما ، هم الأتشد ايماناً والآخذين بجانب الحق والعدل الالهيين •

الى هؤلاء المسلمين ، حيثما كانوا وأينما كانوا وكيفما كانوا ، ولقد زعموا أن عدتكم تبلغ ٨٠٠ مليون مسلم ، والله يشهد انهم لكاذبون تصورا منهم أنهم يغضون

الى المسلمين في مشرق الدنيا ومغربها ، لا الى الدول فحسب ، من أمثال الدول العربية وتركيا وباكستان وبنجلاديش ، ولا حيث يمثلون الاغلبية في دول أفريقية أو آسيوية ، ولا حيث هم يجاهدون لاثبات الذات ، في قبرص أو أريتريا والفلبين وغيرها ، أو حيث هم أقلية مسحوقة كزنج الولايات المتحدة الأمريكية ، وانما أوجه حديثي الى هؤلاء وغيرهم من المسلمين في كل مكان وركن في العالمين ، الى حيث لا يذكر عددهم لقلنتهم أو الخوف من بأسهم اذا كثروا، الى المسلمين في دول أوروبا بشرقها ، أو غربها ، أو في جزر الدنيا المتناثرة عبر البحار، الى حيث يوجد مسلم واحد ، فليست العبرة

من شأنكم اذ يقللون من عددكم ، وانكم الأكثر من ذلك ، ولكن العبرة ليست بالعدد كما قدمت ، فقد فتح المسلمون دنيا عصرهم وقهروا القوتين العظمتين (الفـرس والروم) وعددهم لا يتجاوز بضعة ألوف وهذا هو ما يجب أن يتكرر الى هؤلاء جميعا أوجه هذه الرسالة •

من هو العبد الفقير :

ومن حق من يتلقى الرسالة ، أن يعلم من صاحبها ، فكتب الرسالة ليس ملكا ، ولا هو رئيس أو كبير، أو صاحب مال أو جاه وانما صاحب هذه الرسالة عجوز (فوق السبعين) مشلولاً شللاً كاملاً منذ أكثر من عشر سنوات •

ولكنه والحمد لله نشأ من أبوين مسلمين وعاش في طاعة الله ما وسعه الجهد، ولم ييهرح الاسلام خاطره في يوم من الايام •

فأنشأ في صباه أى منذ أكثر من ستين عاما جمعية (نصر الدين الاسلامى) وعندما كبر وشب عن الطوق وكان ممن أخذوا بروعة

المدنية الأوروبية ، فنقل عنها الاشتراكية ، حرص على أن يجعلها اشتراكية اسلامية من الألف الى الياء حتى رأى نفسه في غفلة ، وأن الاسلام بمبادئه وتعاليمه ، في غنى عن كل المسميات وكل النظم وكل التعاليم التي لم ترد في القرآن ، ومن أجل ذلك فهو يكتب هذه الرسالة ويودعها خلاصة معارفه وتجاريه عبر السنين ، ويعهد بها الى المسلمين كافة وليبلغ الشاهد الغائب وبهذا يكون الكاتب قد أدى الامانة فاشهد اللهم •

بعض التعاليم الاسلامية :

ولأسق الآن بعض المبادئ والتعاليم التي تعتبر في الوقت الحاضر ذروة الحضارة الانسانية ، وتعمل أمريكا وأوروبا بشرقها وغربها ، للوصول اليها وتحقيقها ولكن دون جدوى ، أقول فلأسق بعض هذه المبادئ ونرى أنها كانت سارية ومطبقة بالفعل لأنها من صميم التعاليم الاسلامية المنصوص عليها في القرآن والسنة •

الحرية والاخاء والمساواة :

وهي مبادئ ثلاثة عظيمة ، قيل انها من صنع الثورة الفرنسية ، ومنها سرت الى بقية أوروبا وأمريكا ، والثورة الفرنسية لم تقم الا في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر ، حيث نادى بها الاسلام وطبقها بالفعل منذ القرن انسادس واليك النصوص •

الحرية :

— لكم دينكم وإلى دين •

— لا اكراه في الدين •

— فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر •

ويقول عمر بن الخطاب لعمر بن العاص يؤنبه على بعض تصرفاته : « ياعمر متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أماتهم أحرارا » •

فاذا علمت أن الدين في حياة المسلم ، هو كل شيء ، هو حياته كلها ، أدركت ، أنه اذ يدع غيره وما يعتقد ، هو تغليب للحرية الانسانية ، على الحياة نفسها ، ولن تدرك عظمة هذا المبدأ الذي

طبقه الاسلام بالفعل الا اذا علمت أن في الاتحاد السوفييتي ، وفيما يدعوه له من تعاليم لتطبق في العالمين ، لا يسمح لمن يدين بغير الشيوعية بالبقاء ، وتعتبر المجتمعات الرأسمالية نفسها في ذروة الرقى والتقدم لأنها تسمح (على مضض) بوجود أحزاب شيوعية بين ظهرانيها •

أما أوروبا في العصور الوسطى فلم تكن تسمح بالحياة (الكريمة) لمن لم يكن مسيحيا •

الاخاء :

أما ثاني مبدأ قامت عليه الثورة الفرنسية ، وشادت عليه أوروبا حضارتها المزعومة ، فهو (الاخاء) وفي ذلك يقول القرآن الكريم •• « **انما المؤمنون اخوة** » • وحيث ظلت كلمة الاخاء الفرنسية مجرد لفظ براق خال من كل مضمون ، فقد كان المجتمع الاسلامي كله ، سواء في الكل أو التفاصيل يبني على هذه الاخوة •

المساواة :

قال رسول الله صلى الله عليه

الذى يحقق كل المبادئ السابقة
ويضعها موضع التطبيق ، يقول
رسول الله •• صلى الله عليه
وسلم - « مثل المؤمنين في
توادهم وتراحمهم كمثل الجسد
الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الأعضاء بالسهر
والحمى » •

وجاء في القرآن الكريم ••
« وتعاونوا على البر والتقوى »
ومن هنا كان التعاون بأدق معانيه
وتفاصيله ، هو سدى الحياة
الاسلامية ولحمتهما ، ولا داعى
لذكر الأمثلة فالمجتمع كله ، كان
قائما على التعاون •

النظام والنظافة :

وتزعم الحضارة (التى وصفت
بأنها غربية) أنها تقوم أول ماتقوم
على النظام والنظافة ، حيث نرى
أنفسنا أولا وقبل كل شئ على
أساسين من أسس العباداة
الاسلامية ، فالصلاة الجماعية
لا تكمل الا اذا سادها النظام
فيطلب الامام دائما من المصلين
أن يسووا صفوفهم ، وفى الصلاة

وسلم « المسلمون سواسية
كأسنان المشط » والاسلام كله
مبنى على هذه المساواة •

الاشتراكية :

ننتقل الآن الى نظام حديث ،
زعموا أن العقل الأوربى قد
ابتكره لتحقيق قدر من العدالة
الاجتماعية ، ونعنى به الاشتراكية
حيث النظام أحد أركان الاسلام
الخمسة ، وأعنى به الزكاة
ولا يخطئ أحد فيصور أن الزكاة
هى الضرائب ، فالضرائب تدفع
فى مقابل خدمات تؤديها الدولة ،
أما الزكاة فهى حق الفقراء فى
أموال الأغنياء ، أى أن أروع ما فى
الاشتراكية ، وهو تأمين كافة
أفراد المجتمع ضد العوز والحاجة
هو أحد أركان الاسلام •

التعاون :

ومن النظم التى ابتكرتها
ما أطلق عليه اسم « الحضارة
الغربية » نظام التعاون ، ليعالجوا
بعض مفاسد الجشع فى جنى
الأرباح ، وهذا التعاون هو لب
المجتمع الاسلامى وجوهره ، وهو

وما التمييز بين اللون الأبيض والأسود الا أحد مظاهر هذا التمييز •

وقد برىء المجتمع الاسلامى من هذا الرجس ، فأوامر القرآن انصارمة ، ونص كلام الرسول يحرم هذا التمييز لأى سبب من أسباب اللون أو الجنس أو القبيلة ، وبديلها فى العصر الحديث (الوطنية) يقول الرسول صلوات الله عليه ، ما معناه : « لا فضل لعربى على عجمى أو أبيض على

أسود أو أحمر الا بالتقوى » •
والرسول فى ذلك يردد المبدأ القرآنى الذى أوحى اليه •
« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » •

وكان انعدام التمييز العنصرى بكافة أنواعه وتفريعاته ، نصا وروحا هو أحد الأسس التى قام عليها المجتمع الاسلامى •

الوحدة الانسانية :

وأخيرا انتهت الحضارة الغربية

فى الحرمين ، المكى والمدنى ، فى أيام الحج صورة لا مثيل لها فى الدنيا كلها ، حيث ينتظم قرابة مليون مصل فى صفوف خلف الامام ، أما عن النظافة : فشىء بدوره لا مثيل له فى العالم ، فالصلاة لا تصح الا بعد غسل (أى استحمام) والمسلم مطالب أن يتوضأ قبل أى صلاة ، وعددها خمس فى اليوم الواحد •

التمييز العنصرى :

ونصل الى مشكلة من أعقد مشاكل ما يسمونه بالحضارة الغربية ، وهو التمييز العنصرى ، وهو يسرى مسرى الدم فى هذه الحضارة المزعومة ، ويتصور الكثيرون أنها وقف على التمييز بين الألوان ، هى عامة وشائعة وتعتبر مثلاً أعلى فى بعض النظم (التقدمية) فالشيوعية على سبيل المثال تعمل على القضاء على من تسميهم « بورجوازيين » وفى عهد الاستعمار كان كل مستعمر يضع نفسه بطبيعة الحال فوق الشعوب التى نكبت باستعمارها •

وهكذا ••

ويحكمونهم وراحوا بموجب التاعدة التى تقول • (ان المغلوب يقلد الغالب) ينقلون عن الأوربيين ما كان الأوربيون قد سبق أن نقلوه عنهم ، من نظام ونظافة وعلم •• الى آخره •

ولا عيب فى ذلك وانما العيب فى أن يتصور المسلمون أن الغربيين هم الذين ابتدعوا هذه المبادئ وأن سر تخلف المسلمين هو فى تمسكهم بالاسلام ، حيث يشهد الواقع والتاريخ بغير ذلك على ما قدمنا •

كيف ومتى نقل الأوربيون الحضارة الاسلامية ؟

وقبل أن نمضى قدما فى تبيان رسالة المسلمين اليوم فنريد أن نوضح لمن لم يكن يعلم ، متى وأين وكيف نقل الأوربيون الحضارة الاسلامية •

وبدأة ذى بدء فليعلم من لم يكن يعلم أن ليس هناك سوى حضارة واحدة وأن الزعم بأن هناك حضارة — شرقية وأخرى « غربية » — هو من تخطيطات الأوربيين ومادرجوا عليه من تمييز

المزعومة الى فكرة توحيد البشرية (من الناحية النظرية) فكانت عصبه الأمم وخليفتها هيئة الأمم وكلتاها نادتا بقانون عام يعلو القوانين المحلية ، ولا يزال كل ذلك بطبيعة الحال (حبرا على ورق) حيث ان المبدأ عنصر أساسى فى الحضارة الاسلامية فالإنسان جميعا أمة واحدة يعلوها قانون السماء • « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » •

ونستطيع أن نمضى فى هذا السرد حتى نصل الى أدق التفاصيل مثل آداب المائدة ، والاستئذان وكل صنوف التعامل مما قررته الانسانية عبر ألوف السنين ، وأصبح يطلق عليه مدنية وحضارة ونقله الأوربيون عن المسلمين فى العصور الوسطى ، فسادوا وعزوا بهذه المبادئ والتعاليم ، حتى تفوقوا على المسلمين أنفسهم (الذين كانوا قدتها ونوافى هذه المبادئ أو نسوها أو جهلوا) واستطاع الأوربيون بفضل مانقلوه وتعلموه من المسلمين أن يقهروهم عسكريا وبالتالى أن يسيطروا عليهم

أكثر من خمسمائة سنة ، ويجب أن نقف قليلا ازاء هذه الحقيقة لعرف حدود الظلام الذى عاشته أوروبا ومداه ، وكيف دخلت مرحلة النور تحت وهج انحضارة الاسلامية

كيفية انتقال الحضارة الى أوروبا؟

كانت أوروبا كلها ، باستثناء اليونان وروما والشريط من ساحل البحر الابيض ، تعيش في حالة قبلية يصفها مؤرخو الغرب بأنها كانت همجية بربرية ، الى الحد الذى عندما احتلت هذه القبائل الهمجية روما في العصور الوسطى اعتبر ذلك نهاية الحضارة وبدء عصور الظلام واعتنقت القبائل المتبررة المسيحية فسرعان ما عكست جوهرها وهو المحبة والمودة والتسامح الى صورة وحشية أخذت صورة « محاكم التفتيش » التى كان أسلوبها تعذيب الجسد بأبشع صنوف التعذيب لتطهر الروح ، وكان من بين جرائم هذه المحاكم على سبيل المثال ، حرق جان دارك حية .

وعلى هذا الغرار تبعت أوروبا من مشرقها (ما عدا حوض البحر

عنصرى فليس هناك سوى حضارة انسانية واحدة ، وهى مجموعة قواعد « السمو الانسانى » ومحاولته العيش على ظهر الارض في أحسن حالة ممكنة .

انتهاء الحضارة الى العالم الاسلامى :

وقد نشأت الحضارة أول ما نشأت في مصر ، وانتقلت منها الى حوض البحر الابيض كله أولا في شرقه (اثينا) ثم الى وسطه (روما) وكان يوجد في أنحاء أخرى في الشرق الأوسط بعض مراكز حضارية كأشور وبابل وفارس وغيرها ، وقد انتهى ذلك كله الى الحضارة الاسلامية بعد أن أضفى القرآن على كل ما كان سليما من هذه المبادئ روحا قدسية تشهد بمصدرها وهو الله سبحانه وتعالى .

ومن هنا فقد شهد البشر عبر ألف سنة عالما اسلاميا يغص بأسمى صور الحضارة ، حيث كانت أوروبا الحديثة .. (انجلترا — فرنسا — ألمانيا — وروسيا) تعيش فيما أسموه بالعصور المظلمة والتى دامت

حطين ، وتصرف وفق التعاليم
الاسلامية من رحمة وتسامح وبعد
عن الانتقام فانبهرت أوروبا
بالحضارة الاسلامية فراحت تنقلها
فنقلت النظافة والعلم والأخلاق
الرحيمة وكان أن بدأت أوروبا
رحلتها في سبيل التقدم والتحضر
مبتدئة بما سمي بحركة « الإصلاح
الديني » واكتشفت أمريكا في
محاولتها تفادي الوصول الى الهند
عن غير طريق المسلمين ومن جديد
راحوا في أمريكا يطبقون أساليبهم
الوحشية والبربرية في ابادة الهنود
الحر *

والخلاصة : أن أوروبا لم تعرف
الحضارة الا عن طريقين *

الأول — نقلها مباشرة عن طريق
الأندلس (أسبانيا) *

الثاني — كتمسرة من ثمار
الاحتكاك في الحروب الصليبية *

**الامور التي زادت أوروبا على
ما نقلته :**

أما بالنسبة للمبادئ الرئيسية
للحضارة فلم ترد الا فكرة واحدة
وهي فكرة الحكم عن طريق
الأغلبية العددية وسنرى فساد

الأبيض) لمغربها المسيحية (ذروة
حضارة الشرق في ذلك الوقت)
فالجهد والقذارة هما قمة التدين ،
ولا يدخل الجنة الا من أذنت له
الكنيسة ، ولما كان بابا روما هو رأس
الكنيسة فأصبح يصدر قرار
« الحرمان » على دول بأكملها
فيستحيل عليها أن تدخل الجنة ،
بينما يستطيع هو أن يدخل الجنة
من يشاء عن طريق « صكوك
الغفران » ويطول بنا المقام لورحنا
نتحدث عن أوروبا في العصور
الوسطى وحسبنا أن الأوروبيين
أنفسهم هم الذين أطلقوا عليها

أسم عصور الظلام *

الحروب الصليبية :

وقررت أوروبا « المظلمة » أن
تقضى على الاسلام والمسلمين
فأرسلت انجلترا وفرنسا والمانيا
جيوشها الى فلسطين لتخليص بيت
المقدس من الكفرة المسلمين ،
وعندما استولت هذه القوة الطاغية
على بيت المقدس ، أجروا خيولهم
في بحار من دماء المسلمين واليهود ،
واسترد صلاح الدين بيت المقدس
بعد هزيمة الصليبيين في معركة

هذا النظام من وجهة النظر
نصف النعمة فاعتبر ذلك هو
الاسلامية .
التقدم .

تطوير الآلات :

أما الشيء الثاني ، فهو تطوير
ما نقلوه من آلات ، حيث توقف
المسلمون ، فتصور الأوروبيون أنهم
وحدهم القادرون على الابتكار
والاختراع وكانت المصيبة عندما
صدقهم المسلمون ، مع أن الممارس
لأى عمل من الاعمال لا يلبث أن
يضيف اليه أو أن ينقص ما لا يرى
ضرورة له وهكذا .

وهذا التطور في صناعة الآلات
هو ما يسمى في عصرنا الحديث
« بالتكنولوجيا » ولا علاقة له
بالمدينة والحضارة التي هي أسس
وقواعد وهدفها الأول والأخير هو
التكافل بين البشر والعيش في
أخوة وسلام ورحمة .

قرنان من الزمان فقط :

ولما كان الأوروبيون برابرة وهمج
بطبيعتهم ، فان الحضارة لم تستقر
عندهم أكثر من قرنين (١٨ ، ١٩)
ولم يكد القرن العشرون يستهل
حتى أشعل الأوروبيون فيما بينهم

فنى الرسم والنحت :

وتفوق الأوروبيون في فنى الرسم
والنحت ، ذلك أن الاسلام وهو
أعدى أعداء الوثنية حرم هذين
الفنيين ، ليتفادى صنع الأصنام
والتماثيل ، ولذلك فقد انصرف
الفنان المسلم الى نوع من النقوش
يزخرف بها منشئاته وهو نوع من
التجريد الذى انتهى الفنان المعاصر
اليه ، وقد طوفت أوروبا وأمريكا ،
فكانت هذه الرسوم الضخمة على
الجدران أو اللوحات والتماثيل
المختلفة دينية أو غير دينية تمثل
عنصرا تجاهلته الحضارة الاسلامية
وقد تصور المسلمون « خطأ » أن
ذلك هو عنوان الرقى ، فحاولوا
ذلك بأوروبا في هذا المضمار ،
واندفعوا في جهالتهم يقلدون
« الموسيقى » مع أنهم في هذا
المضمار يتفوقون على الأوروبيين
فحيث تعرف موسيقاهم النعمة
ونصف النعمة وربع النعمة ، فلا
تعرف الموسيقى الأوربية سوى

القضاء على الربا :

ولست أريد أن أقف طويلا أمام
الأنهار الزائفة التي أضافتها أوروبا
انى دنيا الفكر من أن أصل الانسان
قرد (داروين) ، أو أن الجنس
هو محور حياة الانسان (فرويد) أو
أن لا وجود لله (ماركس) .

ولكنى أقف أمام النظام
الاقتصادي حيث عمل اليهود (وهم
قلة مسحوقة) على السيطرة على
أوروبا وأمريكا عن طريق ادخال
(الربا) على المعاملات ، واعتباره
أساس الحياة الاقتصادية ، وقد
برئت الحضارة الاسلامية من هذه
اللعة ، أن أعظم ما قام به المسلمون
في الوقت الحاضر هو انشاء
مؤسسات لا تعمل بالربا . ان
سلطان اليهود (الذي يجعلهم
يفكرون في السيطرة على العالم وبدأ
باحتلال فلسطين وانشاء دولة
اسرائيل بدأ بنظام الربا بحيث
أصبحوا يسيطرون على البنوك
وتسيطر البنوك على سائر مناشط
الاقتصاد كما هو الحال في أمريكا .

حربا ووحشية لم تعرف الدنيا لها
مثيلا من قبل في وحشيتها ، وتوقفت
لعشرين سنة فقط لتعود أشد
ضراوة ووحشية .

وانسلخت أوروبا وأمريكا من
الحضارة جملة ، فلا دين أو أخلاق
وانما صراع ووحشية ، يفوز فيه
دائما الأكثر مثالا والأكثر ازدياء
للقوانين والقيم الحضارية
وحسبنا أن تشير الى آخر صنوف
التجارة في أمريكا وهو الاتجار في
قطع الغيار البشرية فيقتل الناس
(بطريقة علمية) في إحدى
المستشفيات ، ليقطع الجسد بعد
موته الى قطع غيار تباع في السوق
ويشيع الأمر الى جعله (فيلما
سينمائيا) يعرض في دور السينما
ولقد انتهت أوروبا بشرقها وغربها
كقوة حضارية ، وليس سوى
متعلمي ومثقفى المسلمين من
لايزالون ، ينظرون الى أوروبا
وأمريكا باعتبارهما مصدرا للحضارة
والحضارة منهما براء ومن هنا يجيء
واجب المسلمين في بعث الحضارة
الانسانية بكل قيمها ومبادئها
الموروثة .

النظام الديمقراطي :

فلينهض المسلمون :

مؤمنين أن دينهم ، هو الدين ،
وأن حضارتهم هي الحضارة وأن
ما يجدونه من أنظمة عريقة الأصول
فهي بضاعتهم ردت اليهم •

وعليهم أولا قبل كل شيء أن
لا يقلدوا الغرب في عبادة المال
والعمل بكل الوسائل لجمع أكبر
قدر منه •

فما الحياة الدنيا الا متاع
الغرور وأن الآخرة خير وأبقى وأن
السعادة كل السعادة في هذه الدنيا
يكون بالرضا والقناعة ومن تحلى
بهاتين الصفتين يعيش طول عمره
« آمينا » لا يكذب ولا يغش أو
يخادع فضلا عن أن يسرق أو ينهب
ويعيش رحيما عطوفا ناظرا الى أى
انسان على أنه أخاه •

وهذه هي الحضارة فعلى
المسلمين أن يعملوا على تحقيقها
وانهم لقادرون على ذلك •

ألا هل بلغت اللهم فاشهد •

أحمد حسين

وثمة نظام كاذب تحمل لواءه
أوربا بشرقتها وغربها فضلا عن
أمريكا وذلك هو ما يسمى (بالنظام
الديمقراطي) وهو الحكم السياسى
للاكثرية العددية للسكان وهو نظام
فاسد من أساسه •

يقول تعالى في محكم تنزيله
« وان تطع أكثر من في الأرض
يفضلك » وليس أدل على كذب
الادعاء بحكم الاكثرية أن انجلترا
(٤٠ مليون) حكمت أيام الاستعمار
شعوبا مؤلفة من ألف مليون وكذلك
فرنسا ، وكل دولة تزعم انها تؤمن
بالديمقراطية (أمريكا في فيتنام
واليوم روسيا في أفغانستان)
فالتشدد بحكم الأغلبية والنزول
عند رأى الارادة الشعبية هو محض
هراء تتشدد به قلة عددية لتسود
به أغلبية عددية •

الشورى أساس الحكم الاسلامى :

ومن هنا كان نظام الشورى
الاسلامى هو النظام الأمثل
والأكمل •

المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف دكتور روف مشاي

اقتصادية ، لكنها ليست في الندرة
ولا في قلة الموارد الطبيعية كما
يقول أصحاب نظرية الرأسمالية
ولاهى في أن التناقض بين شكل
الانتاج وعلاقات التوزيع ، كما
تذهب الى ذلك الماركسية ، ذلك لأن
الله تبارك وتعالى هو الرزاق
ذو القوة المتين ، وقد خلق الله
الأرض وقدر فيها أقواتها في
أربعة أيام سواء للسائلين •

بل ان نعم الله التي يمن بها
على عباده أنه خلق لنا معاش
ولسنا له برازقين ، وخصص لكل
نوع من المخلوقات طعامه :

يقول جل جلاله : وفاكهة وأبا
متاعا لكم ولأنعامكم «

٣١ - ٣٢ عبس

وقد أقسم الله تعالى على أن

(أ) البطالة

(ب) الانحرافات الأخلاقية

(ج) الانحرافات المالية

*** ثانيا - الحل

(أ) العمل ...

(ب) الاستقامة

(أ) الاستقامة الأخلاقية

(ب) الاستقامة في الانفاق

١ - المشكلة الاقتصادية

لاشك أن الاقتصاد له مشكلة
يعترف بها كل أصحاب النظريات
الاقتصادية ، غير أن كل مذهب
اقتصادي له تفسير للمشكلة
الاقتصادية ، تتبع الأسس
الفلسفية التي يقوم عليها
المذهب •

الإسلام يعترف أن هناك مشكلة

(ب) الانحرافات الأخلاقية :

الإسلام نظام متكامل تتغذى كل مجالاته بعضها من بعض ، والمشكلة الاقتصادية تنشأ عن الفساد الخلقى ، لأن الفساد الخلقى يضع المال دون مقابل • فشرب الخمر ، والحشيش ، والأفيون ، والزنا ، والقمار ، واللعب ليلاً في صالات الرقص ، والملاهي الليلية ، والكاباريهات • الخ ضياع للمال دون عوض مقابل ، وضياع للوقت ، وضياع للصحة •

والمال والوقت والصحة كلها وسائل انتاج ، ليست فقط معطلة بل ذاهبة في الهباء ، فكأنما الانحرافات الأخلاقية تلقى كمية من وسائل الانتاج في عرض بحر الهوى ، كما تتفق كمية من الزمن في دخان الشهوة •

وكل ذلك يعطل الانتاج ، ويقلل وظيفته الأساسية ، من كونه خدمة للمجتمع في مجالات الخير والفضيلة ، وتحوله الى نفقة على الذات خاصة في فراغ ليس من ورائه نفع ولا فائدة •

رزق العباد في السماء « وفي السماء رزقكم ومأوتى عدون ، فو رب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » •

٢٢ ، ٢٣ الذاريات

ولكن المشكلة الاقتصادية في نظر الإسلام تكمن في :

* البطالة

* الانحرافات الأخلاقية

* الانحرافات المالية

(أ) أما البطالة فقد حذر منها النبي — صلى الله عليه وسلم — عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم •

ويقول عليه الصلاة والسلام : على كل مسلم صدقة • فقالوا : يارسول الله فمن لم يجد ؟

فقال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فان لم يجد قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فان لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف ، وليمسك عن الشر فانها له صدقة •

ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا العبث ، ففى الحديث الشريف : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه : كره قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ..

رواه البخارى

كما حذر من اتلاف المال بغير وجه حق ، فقال صلى الله عليه وسلم :

من أخذ أموال الناس يريد اتلافها أتلفه الله ، الا أن يكون معروفا بالصبر ، فيؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، كفعل أبى بكر حين تصدق بماله ، وكذلك أثر الأنصار المهاجرين ، ونهى رسول الله عن اضاعة المال فليس له أن يضيع أموال الناس بعلّة الصدقة •

رواه البخارى

وينهى الاسلام الزوجة من افساد مال زوجها ، لأنه سبب من أسباب المشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا) •

رواه البخارى

ومن الانحرافات الأخلاقية قتل الأولاد خوف الفقر ، أو لقيام الفقر بهم ، لأن الأولاد ، طاقة عمل تحتاجها ميادين الانتاج ، وقلة الأيدى العاملة تؤثر فى الانتاج كما وكيفا ، وبالتالي تؤثر على وظيفة المال كخدمة لرخاء العيش للجماعة الاسلامية •

ولهذا كله حرص الاسلام على أن يبرأ المجتمع الاسلامى من هذه الأمراض الاجتماعية ، التى تفسد الأخلاق ، وبالتالي تفسد الاقتصاد ، وتفرخ المشكلة الاقتصادية •

يقول الله تعالى :

« انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » •

ويقول الله تعالى :

الفساد الخلقي فساد الحياة كلها،
يقول جل جلاله :

«واذا أردنا أن نهلك قرية
أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق
عليها القول فدمرناها تدميرا» •
١٦ - الاسراء

ويقول جل شأنه :

وكان في المدينة تسعة رهط
يفسدون في الأرض ولا يصلحون ،
قالوا تقاسموا بالله لنبيئته وأهله
ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك
أهله وأنا لصادقون ، ومكروا مكرا
ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا
دمرناهم وقومهم أجمعين •
٤٨ - ٥١ النمل

ولقد ضرب الأمثال في القرآن
الكريم على أن هلاك الأمم
والأفراد تابع للفساد الأخلاقي ،
وليس هناك أشد فسادا خلقيا من
الكفر والفسق ، وقد كانت خاتمة
أصحاب الجنة في سورة القلم ،
أنها أصبحت كالصريم لأنهم غدوا
على حرد قادرين في زعمهم ، على
منع الفقراء من حقهم المسنون •

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم
عليكم الا تشركوا به شيئا
وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا
اولادكم من املق نحن نرزقكم
واياهم ولا تقربوا الفواحش
ماظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » •

ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده
وأوفوا الكيل والميزان بالقسط
لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا
قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ،
وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم
وصاكم به لعلكم تتقون » •

١٥١ - ١٥٣ الأنعام

ومع هذا للتشريع المرطب
للمشاعر ، المتقبل لدى الفطرة
السليمة ، المرضي للعقل المنصف ،
فان الله يكرر تحذيراته من ضياع
المال في الانحرافات ، ويرتب على

* وحرّم الميسر : يقول الله تعالى :

انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون •

٩٠ المائدة

* الفصص : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون •

١٨٨ البقرة

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا •

٢٩ — ٣٠ النساء

وفي البخارى عن حكيم بن حزام قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال يا حكيم : ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس

(ج) أما عن الانحرافات المادية

فقد حرم الاسلام كل تصرف مالى يؤثر فى الدورة الاقتصادية •

* فحرم الاحتكار ففى الحديث : من احتكر فهو خاطيء مسلم وأبو داود •

* من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجزام والافلاس رواه : أحمد وابن ماجه * من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطيء وقد برئت منه ذمة الله ورسوله •

رواه : أحمد والحاكم حديث حسن * وحرّم الغش ففى الحديث : من غش فليس منى

اصحاب السنن

* وحرّم الربا ، يقول الله تعالى : وأحل الله البيع وحرّم الربا

٢٧٥ البقرة

* وحرّم السرقة يقول الله تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله •

٣٨ المائدة

أنماطها ، وهى أمور لم يفتن لها أصحاب المذاهب الاقتصادية ، بل أنهم ليمارسون هذه الانحرافات وهم لا يشعرون ، انها مفسد تفرخ المشكلة الاقتصادية ، فالخمر ، والقمار ، والكباريات ، والمسارح ، وصلات الرقص كلها أنظمة مستوردة من عالم أوربا ، وعالم الشيوعية والاشتراكية ، تلك التى جعلت المسارح بديلا عن المساجد وهى سلوكيات •

وما أحوج الأمة الاسلامية فى عصرها الحاضر ، وهى تملك أساسيات العمل الاقتصادى ، من ثروات متعددة المصادر والمنابع ، ما أحوجها الى عودة مخلصنة لنظامها الاسلامى ، فلعلها ان جربت سعادته ، وانه لمن العجب الحجاب ، أن تفسح الأمة العربية والاسلامية صدرها الوطنى والاقتصادى ، لنظريات غربية معربة ، وشرقية فاشلة ، وتتلقى مآسى فى اقتصادياتها كل يوم ، ثم تستمر متمسكة بما أدخلته فى بلادها من هذا الشر الوبيل ، ولم تفق لنداء الله "ولو أن أهل القرى

بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى •

* الغل : وهو أخذ المال من الأنفال قبل القسمة » ومن يغل يات بما غل يوم القيامة « •

١٦١ آل عمران

* الطمع : يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب •

رواه البخارى

* الاتلاف : يقول النبى صلى الله عليه وسلم : من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد أن يتلفها أتلفه الله •

رواه أحمد وابن ماجه

تلك مجموعة من التشريعات التى تصور أسباب المشكلة الاقتصادية ، انها فى البطالة واتلاف المال ، والانحرافات بشتى

يشهد مع الله على عمل المسلمين
وجماعة المؤمنين مع ربهم
ورسولهم يشهدون عمل المسلمين
فيما تتلوه آيات من سورة التوبة :

« وقل اعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله والمؤمنون
وستردون الى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون » .

١٠٥ - التوبة

والعمل في التصور الاسلامي
يشمل الأرض والبحار والأنهار
والزراع والضرع ، فقد عرف
المسلم أن الله سخر له هذا الكون
كما دعاه الله الى السير في جنبات
الأرض سعيا على رزقه ، يقول
الله تعالى :

« هو الذي جعل لكم الأرض
ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من
رزقه واليه النشور » .

١٥ - المائدة

والنبي صلى الله عليه وسلم
يقول : لأن يأخذ أحدكم حبله على
ظهره فيحتطب خير له من أن
يسأل الناس أعطوه أو منعوه .

آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والأرض ولكن كذبوا
فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .
٩٦ الاعراف

ثانيا - الحل الاسلامي للمشكلة الاقتصادية

تتركز الحلول الاسلامية بشكل
موضوعي ، للتغلب على المشكلة
الاقتصادية من مفهومها المشروع
سابقا ، على دعامتين اثنتين فقط :

الدعامة الاولى : العمل :

الدعامة الثانية : الاستقامة على
شرع الله :

(أ) أما العمل : فقد حظى في
الاسلام بتوضيح شامل ، لأن
الاسلام ذاته منهج عملي ، ولأن
النبي صلى الله عليه وسلم في كل
حياته كان عمليا: انه مع المجاهدين
يحفر الخندق ، ومع الطهارة يجمع
الحطب ، ويساعد أهل بيته ، وكان
يخسف نعله بيده الشريفة وهو
القاتل : صاحب الشيء أولى
بحمله والله تعالى يشهد
على عمل المسلمين ، والرسول
الكريم - عليه الصلاة والسلام -

ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها
الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا
العمرة يكفرها اللهم في طلب
المعيشة •

أبو نعيم في الحلية
ب - وأما الاستقامة فهي استقامة
الأغنياء •
واستقامة الفقراء

أخلاقيا ، وماديا ، نفسيا
ووجدانيا ، وأساس الاستقامة
عند الأغنياء أن يتمسكوا بما شرعه
الله في الأموال من حقوق للفقراء
والمساكين وابن السبيل وفي سبيل
الله ... الخ لا يغطوهم حقا ،
ولا يستذلّوهم بحق ، فان الأخوة
الاسلامية والولاية في المجتمع
الاسلامي تربط بين المسلمين
برباط واحد ، في تحقيق كمال
العبودية لله واذا أدرك الأغنياء
أن الغنى ليس بكثرة العرض ، بل
بكثرة القناعة والرضا ، طابت
نفوسهم بما أعطاهم الله ، ورضيت
نفوسهم بالبذل لأصحاب الحاجة
والفقراء ، كذلك اذا أدركوا أن
هذه الحياة قسمها الله من الأزل
وأنه لا اراد لما اعطى الله ، ولا

ودعا الى الجدية في العمل ،
والحسن في الأداء ، فيقول صلى
الله عليه وسلم :

« ان الله يحب أحكم اذا عمل
عملا أن يتقنه » •

والقرآن الكريم يحشد آيات
جمة تصور صلة العمل في الدنيا
بمركز الفرد المسلم يوم القيامة ،
يقول الله تعالى :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »
٧ - ٨ الزلزلة

« ينبأ الانسان يومئذ بما قدم
وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة
ولو ألقى معاذيره » •
١٣ - ١٥ القيامة

ويحذر القرآن الكريم من سوء
العاقبة للعمل الفاسد :

« ظهر الفساد في البر والبحر بما
كسبت أيدي الناس لينذيقهم بعض
الذي عملوا لعلهم يرجعون » •
٤١ - الروم

وقد جعل النبي صلى الله عليه
وسلم السعى على المعيشة من
أسباب تكفير الذنوب فيقول :

الجهل بميزان التوزيع الإلهي ، فليست نظريات الاقتصاد هي التي توزع ، وليست الحكومات شرقية أو غربية هي التي توزع ، فكلها تصاب بالعجز في الانتاج ، وقد استمر العجز في انتاج الغذاء في روسيا الشيوعية ، حتى راحت تستجدي أمريكا اتفاقات شراء قمح لتغطية العجز الزراعي ، وذلك لعلة تخفى على كل الاقتصاديين ، وهي أن التوزيع الإلهي فيقول الله تعالى :

« له مقاليد السموات والأرض ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم » •

١٢ - الثوري

وصدر الآية دليل على التقسيم فالله هو صاحب مقاليد السموات والارض ، انه جل جلاله هو الذي يدبر الأمر فيهما ، وهو جل جلاله الذي قدر الأقوات في الأرض ، وهو جل جلاله الذي جعل رزق العباد في السموات ، وهو جل جلاله الذي ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ، وهو جل جلاله الذي يقدر الرزق على من يشاء من

معطى لما منع الله ، طابت نفوسهم بما يبذل لهم من حق هولهم في مال الأغنياء ، وعملوا على ازالة فقرهم بجد في الكد والكدح ، والجهاد ، فمن بات كالا من عمل يده بات مغفورا له •

والقضية الأساسية في الاستقامة أن الحياة الدنيا لا تسير دواليها الا بالتنظيم ، الذي أبدعه الله وسيرها عليه ، يقول الله تعالى : « أهم يقسمون رحمت ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمت ربك خير مما يجمعون ، ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسرا عليها يتكئون ، وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » •

٣٢ - ٣٥ الزخرف

ان هذا التقسيم الإلهي ، يجب أن يحترم من المسلمين ، وان الخروج عليه افساد يدفع اليه

الايمان أساسا لحل كل مشكلة
وأساسا للتوزيع •

يقول الله تعالى : فقلت
استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا ••
ويمدكم بأموال وبنين ويجعل
لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » •

١٠ - ١٢ - نوح
وتأتى رحمت الله فى الضيق
لمن تاب اليه واستمسك بوحية
وعمل بشره : يقول الله تعالى :

«وهو الذى ينزل الغيث من بعد
ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي
الحميد » •

٢٨ - الشورى •

فالاستقامة هى :

ألا يتخذ الأغنياء من أموالهم
سبيلا الى ارتكاب المعاصي ،
واذلال الشعوب •

وألا يحسد الفقراء الأغنياء على
ما منحهم الله من فضله •

ولم تقع الأمة العربية
والاسلامية فريسة الثورات
العسكرية التى قامت ، تدعى أنها

عباده لعة وحكمة هى : ولو بسط
الله الرزق لعبادة لبغوا فى الارض
ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه
بعباده خير بصير » •

٢٧ الشورى

فمن الذى يقدر من البشر :
اقتصاديين

او سياسيين

أو عسكريين

من الذى يستطيع أن يغير هذا
التوزيع الأعلى ؟

• هل استطاع الشيوعيون
تغييره ؟ لقد عجزوا وفشلوا ويكفى
سوء حالة العالم الشيوعى فى
اقتصاده ، ومجتمعه وأسرته
وأفرادهم وهم البائسون ،
المطحونون الأذلاء للآلة
ولأسيادهم أعضاء الحزب
الحاكم •

• وهل استطاع الرأسماليون
تغييره ؟ فما بال الملايين الجائعة ،
والملايين من اطنان القمح تطرح فى
المحيط لحماية السعر ، ولاخضاع
الأمم للاستعمار الاقتصادى
الحديث •

• أما الاسلام فقد جعل

جاءت للمعدالة الاجتماعية ،
فصادرت الأموال والحريات من
أجل هذه الدعوى لم تقع
الأمة فريسة لهذه الثورات الا لأنها
جعلت شرع الله خلف ظهرها ،
وارتمت في أحضان النظام الأوربي
فصارت بيوتهم كبيوت أوربا لغة
وسلوكا . فتحدثوا الأوربيية
وشربوا الخمر وحولوا بيوتهم الى
مراقص ، ونظروا الى الفقراء
نظرة العبيد الأرقاء ..

واذا كانت القاعدة ما من ظالم
الا ويبلى بظالم ، فقد ظلم أولئك
القوم أنفسهم بخروجهم على
شرع الله ، فابتلاهم الله بظالم
يصادر أموالهم ، ويعصف بحرياتهم

... فما زادت - الثورات
العسكرية عالمنا العربي والاسلامى
الا سجننا على سجن ، وذلا على
ذل ، وفقرا على فقر ... وصدق
الله العلى العظيم :

« ومن أعرض عن نكرى فان له
معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
أعمى ، قال : رب لم حشرتني
أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك
أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم
تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف
ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب
الآخرة أشد وأبقى » .

١٢٤ - ١٢٧ طه

فهل الى عودة من سبيل !!

د . رعوف شلبى

يروى عليه السلام

ودعاة الإصلاح

للاستاذ السيد حسن قرون

حين أرخت السيرة النبوية لرحلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، بعد وفاة عمه أبي طالب ، وزوجه خديجة ، في السنة العاشرة من المبعث ، وسجلت ما جرى من سعادة ثقيف ، وسفاهتها وأرقائها ، لم يفتها أن تسجل لقاء النبي بأحد الأرقاء ، وهو عداس غلام ابنى ربيعة : عتبة وشيبة ، فقد لجأ النبي الى بستان هنين الأخوين ، حين لقي ما لقي من أذى القوم الذين نالوا من سيد البشر ، رعاية لقريش أن تسمع عنهم حسن اللقاء •

نظر الأخوان القرشيان عتبة وشيبة الى الرسول ، فتحركت له رحمهما ، فهما يجتمعان معه في (عبد مناف) فأرسلا اليه غلامهما (عداسا) بطبق فيه قطف عنب ، فجرى بين الرسول وعداس حوار على النحو التالي ، كما يروى ابن هشام في السيرة النبوية • وضع عداس طبق العنب بين يدي النبي ، وقال له : كل • فلما وضع النبي فيه يده قال : باسم الله ، ثم أكل •

نظر عداس في وجهه ثم قال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل تلك البلاد • فقال رسول الله : ومن أهل أى البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل (نينوى) فقال رسول الله : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله • ذاك أخى كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله ، صلى

وأنذرهم ودعا عليهم ، فلما لم يجد أثرا لكل ذلك تركهم ليلقوا مصيرهم •• ولئن كانت ثقيف رده أقبح رد ، فقد وجد من عداس الايمان والتكريم والحفاوة البالغة ، التى تتمثل فى تقبيل رأسه ويديه وقدميه • كان النبى وحيدا بين أئمة الكفر ، ولكن عناية الله عطفت عليه من آمن ومن أصر على الكفر •• ولكن يونس لقى ما سنحدثك عنه فى مسير الكلمات •

وقد كان ذكر يونس فى هذا البلد الموحش ، وفى هذا الوقت العصيب ، دلائل تبشر بالفرج وانفساح الآمال ، فيونس بعد الضيق الذى أحاط به ، وضغطه عليه ولفه فى ظلماته واتاه الفرج واسباغ النعمة •• والقرآن الكريم يقص علينا قصة يونس فى سور منه هى : سورة يونس ، وسورة الأنبياء ، وسورة الصافات وسورة القلم على الترتيب الذى استقر عليه المصحف الشريف ، فلا غرو أن أسير على هذا النهج ، فأتناول الآيات التى وردت فى تلك السور ،

الله عليه وسلم ، يقبل رأسه ويديه وقدميه •

يقول ابنا ربعة أحدهما لصاحبه — وقد رأيا مارأيا — أما غلامك فقد أفسده عليك • فلما رجع اليهما عداس قالاه : ويلك يا عداس ؟ مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ما فى الأرض شئ خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه الا نبى • قالاه : ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فان دينك خير من دينه • ومن البديه أنك تدرك الصلة بين محمد ويونس فى تلك المصادفة العجيبة ، فالرسول جاء الى الطائف ليتخذ من أهلها عونا على نشر رسالات ربه ، والتصدى لقريش لدحر أصنامها وأوثانها ، انه خرج من مكة غاضبا من قومه ، منكرا لعنادهم ، راغبا فى هدايتهم بكل الطرق الممكنة ، ولكنه خرج ليعود ، وخروجه نوع من الجهاد والامل فى هداية العباد ، أما يونس فقد خرج مغاضبا لمن أرسل اليهم ، لا تطاوعه نفسه للعودة الى قريتهم ، حذرهم

عاجب ، انهم آمنوا بعد أن غاب عنهم نبيهم غاضبا من مسلكهم ، زاريا لخلافهم ، كارهيا للحياة بينهم ، آمنوا ولذلك لم يجعلهم الله مثل الذين قال عنهم : « ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون • ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم » (١) بل شاء هدايتهم ، فحذف في قلوبهم التوبة ، فلبسوا المسوح ، وتناهوا عن المظالم ، وعجوا الى ربهم أربعين ليلة — كما تقول كتب التفسير — فلما عرف الله منهم الصدق ، والتوبة والندامة على ما مضى منهم ، كشف عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم مصداقا لقوله تعالى من سورة يونس آية ٩٨

« فلولاً كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين » •

وهذا تنويه عظيم بتلك القرية ، التي نالت رضا الله ، فكشف عنها

مبيناً العبرة منها ، والدروس المستفادة من كل موضع ، لتكون أمام دعاة الإصلاح نبراسا في شق طريقهم نحو هداية البشر ، وما المصلحون الا بصيص من نور النبوات ، وقبس مما تركوا من عظات والقرآن في ترتيب سوره بدءا بخاتمة القصة ، لما لها من نتائج باردة سارة ، ولأن تلك النتيجة تشير الى انفراد قرية يونس بنعمة لم تتعم بها قرية أو أمة أو قوم جاءتهم النذر على أيدي الرسل •

آية واحدة وردت في سورة يونس ، سميت السورة باسمها ، والآية الكريمة تعطيك مثالا رائعا للإيمان ونفعه ، لمن شرح الله صدورهم ، فازدادوا به قربا من الله ، وشوقا الى عبادته وتوحيده ، نجوا على حين أصاب غيرهم الغرق أو الخسف أو العذاب المهيئ بالظلة أو الريح الصرصر العاتية ، لكن قوم يونس آمنوا بعد كفر ، وأطاعوا بعد عصيان • ومتى آمنوا ؟ عجب

عذاب الحريق، أو الغرق أو الخسف أو ما الى ذلك ، ولعذاب الآخرة أكبر ، وهذا يعطى للتوبة مذاقاً لا يحسه الا المهتدون، الذين عرفوا الذنب فندموا ، وعزموا على ألا يعودوا اليه ، فتجلت عليهم السعادة والتوبة أثر من الايمان وضوء منه، فاذا ملأ الايمان القلوب ضاقت على الذنوب ، وصار ذووها مثلاً عالية يقتدى بهم وتتأثر خطاهم . ولذلك سميت السورة بسورة يونس فهو وان هرب فقد كان السر في ايمان هؤلاء القوم الذين يسكنون نينوى من اقليم الموصل شمالي العراق ، وان كان الحديث عن قوم يونس فالله لا يضيع أجر العاملين، ويحاسبهم بعد ان قصروا ، وفي التتويه بقوم يونس علامة على غناية الله بالمؤمنين وفضله عليهم ، وأنهم محل انعامه واکرامه .

جاء ذلك في آيتين اثنتين ٨٧، ٨٨ من سورة الانبياء . قال تعالى :

« وذا النون اذ ذهب مغاضباً
فظن أن لن نقدر عليه فنادى في
الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك
انى كنت من الظالمين . فاستجبنا
له ونجينا من الغم وكذلك ننجي
المؤمنين » .

تتحدث هاتان الآيتان عما وقع فيه يونس صاحب الصوت من الخطأ ، وما صار اليه من العقاب ، وما وفق اليه من أسباب النجاة ، وصار عقابه معجزة له ، تذكرها الرسل في المحنة ، ويتقبلها الأتباع

وتذكر كتب التراث أن متى أبا يونس كان رجلاً صالحاً يسكن فلسطين ، نشأ ابنه تحت عينه وبصره يقومه ويوجهه ، فشب على الصلاح والتقوى ، وهذا واجب الآباء نحو الأبناء ، فلما شب عن

وتذكر كتب التراث أن متى أبا يونس كان رجلاً صالحاً يسكن فلسطين ، نشأ ابنه تحت عينه وبصره يقومه ويوجهه ، فشب على الصلاح والتقوى ، وهذا واجب الآباء نحو الأبناء ، فلما شب عن

للعظة ، ويرويها الدعاة للاهتداء •
خرج يونس من قريته دون اذن
ربه مغاضبا لقومه ، ظانا أنه يجد
سعة بعد ضيق ، وراحة بعد عناء ،
ولم يدر ما قدر له ، فلم يتخذ في
البر مهربا ومضطربا ، بل ركب مع
قوم سفينة ثقيلة حمولتها ، فلجت
بهم • وخافوا أن يغرقوا ،
فاقتنعوا على رجل يلقونه في الماء
ليخف حمل السفينة ، فوقعت
القرعة عليه ، فأبوا أن يلقيه ثم
أعادوها فوقعت عليه أيضا ، فأبوا
ثم أعادوها فوقعت عليه ، وفي
سورة الصافات تقول الآية
« فسأهم فكان من المدحضين » أى
أجريت القرعة فكان من المغلوبين
فالمدحض من دحضت حجته أى
بطلت ، وأدحضها الله أبطلها ، ومن
معانى المادة دحضت رجله أى
زلقت ، فكأنه بعمله أزلق نفسه
وألقي بها في المهالك • ومن ثم قام
يونس وتجرد من ثيابه كما يقول
ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ،
وألقي نفسه في البحر ، وقد أرسل

الله من البحر الأخضر حوتا يشق
البحار حتى جاء فالتقم يونس حين
ألقي نفسه ، فأوصى الله الى ذلك
الحوت ألا تأكل له لحما ، ولا تهشم
له عظاما ، فان يونس ليس لك رزقا
وانما بطنك يكون له سجننا •
هكذا يروى ابن كثير عن ابن
مسعود — رضى الله عنه — ، وهذا
قول يرضاه المؤمنون •
والآيتان تلخصان موقفه : هرب
وظن أن لن يضيق عليه بعد هربه ،
فيقدر بمعنى يضيق وهو رأى
أرتضيه وأفضله على من قال يقدر
بمعنى يقضى عليه ، وحال يونس
تعين المراد ، وأصحاب الرأى
الاول استشهدوا بقوله تعالى :
« ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما
آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا
ما آتاهما سيجعل الله بعد عسر
يسرا » (١) فمعنى «قدر عليه رزقه»
ضيقه عليه فصار في عسر لا يسر ،
فيونس ضاق ذرعا بمن أرسل اليهم
فهرب منهم ليجد أرضا واسعة ،
وظن أنه لا يعود الى الضيق فجازاه

متقبل ودعوة مجابة : قالوا : يارب
أو لا ترحم من كان يصنع في الرخاء
فتنجيه من البلاء ؟ قال : بلى ،
فأمر الحوت فطرحه في العراء •
ودعاء يونس هذا له منزلة رفيعة
عند السلف الصالح ، ويرون أن
المسلم إذا دعا به منيا الى ربه
استجيب له • وعلى ذلك جاء
الحديث « من دعا بدعاء يونس
استجيب له »

وقد بان لك في ضوء النص
القرآني ، أن يونس كان في سعة
من أمره فرآه ضيقا ، وظن أن في
هربه بحبوبة من العيش ، فاذا به
في مكان أشد مايكون تحجرا وضيقا
وأن دعاءه الصادق من قلبه الخاشع
أبدله من الحرج فرجا ، فعاد الى
سيرته ليسير على منهج الرسل ،
فيجب على الداعية أن يتحلى
بالصبر ، ويتخلى عن القلق
والضجر ، وأن يفتح صدره
للمعارضة ، وأن يتسع أفقه ليسع
المؤيدين والنابذين ، كما فعل ألو
العزم من الرسل ، وقد كان نبينا
المثل الأعلى في الصبر ومعالجة
ضعف البشرية بأسلوب يحسن

الله بعكس مراده ، في ضيق لامثيل
له ، في ظلمات ثلاث : ظلمة بطن
الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل ،
ليكون ذلك أبلغ في العقاب
وأبلغ في العظة ، وأدعى
الى تذكر ذنبه ، والعمل
على الخلاص منه ، أراد الله له
النجاة فهده الى أن ينادى في
الظلمات نداء حفيا أن لا اله الا
أنت سبحانك انى كنت من الظالمين
والاعتراف يهدم الاقتراف ، أقر
بالذنب وأبان ظلم نفسه لنفسه
فنظر الله اليه فنجاه من غمه ،
وكذلك يمن الله على المؤمنين ،
ومما يروى عن أنس بن مالك يرفع
الحديث الى رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - أن يونس حين
بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو
في بطن الحوت قال : اللهم لا اله
الا أنت سبحانك انى كنت من
الظالمين ، فأقبلت هذه الدعوة تحت
العرش فقالت الملائكة : يارب
صوت ضعيف معروف من بلاد
غريبة • فقال : أما تعرفون ذاك ؟
قالوا : يارب ومن هو ؟ قال : عبدى
يونس الذى لم يزل يرفع له عمل

• ملّيم • فلولا أنه كان من المسبحين
• للبت في بطنه الى يوم يبعثون •
• فنبدناه بالعراء وهو سقيم • وأنبتنا
• عليه شجرة من يقطين • وأرسلناه
• الى مائة ألف أو يزيدون • فآمنوا
• فمتناهم الى حين » •

وقد شملت تلك الآيات القصة
كلها ، مؤكدة رسالة يونس ،
موضحة مدى قيامه بأمر تلك
الرسالة ، وعقابه على هربه عن
حمل الأمانة ، ثم العفو عنه لما دعا
وتضرع وأناب •

ولتوضيح هذه الآيات نضع تلك
الاشعارات الى ماتضمنته من
دلالات ، فهي تؤكد رسالته كما
قدمنا ، والرسالة عليها تبعات
تقتضى الصبر والجلد وسعة الأفق
والحلم والأناة ، وأن الرسول في
قومه طيبب القلوب ، يعالجها من
العمى ، ويطهرها من الأوضار ،
ثم ان الله وصفه بالاباق فجعله
عبدا هاربا من سيده على طريق
المجاز ، فلو أنه استأذن ربه حين
ضاق بقومه للقى البصيرة التي
تفتح له الأبواب ، ثم جعله يمارس

الاقتداء به • لقد كانت ثقيف محك
امتحانه فأدى الامتحان قادرا عليه
وكان دعاؤه التضرع الى من بيده
الأمر كله ، فانفرجت عنه الغاشية ،
وبدا عمله في لقاء القبائل في
المواسم حتى تم له نشر رسالته
بمن اهتدى بهديه من الأوس

والخزرج حماة يثرب •
وأنا في هذا الصدد لا أميل الى
تحديد المدة التي مكث فيها يونس
في بطن الحوت ، فقد ذكر بعضهم
أنه مكث سبعة وأربعين يوما ،
وجعلها بعضهم ثلاثة أيام ، وقال
الشعبي التقمه الحوت ضحوة
ونبذه عشية ، فلا داعي لهذا
التحديد فقد عوقب يونس بأن حل
في بطن الحوت ، ولقى الضيق
والعنت مما دعاه الى عون ربه ،
فألقاه الحوت في العراء وهو عليل •
واقراً معى آيات سورة الصافات
الآيات من (١٣٩ الى ١٤٨)
وفيها القصة كلها •

قال تعالى : « وان يونس لمن
المرسلين • اذ أبق الى الفلك
المشحون • فسأهم فكان من
المدحضين • فالتقمه الحوت وهو

هربه في سفينة يساهم من فيها ، فيكون هو المظلوم في المساهمة ، والطامة الكبرى أنه لا ينقذ حين رمى بنفسه كما يفعل السباحون ، انما كان على موعد مع الحوت الذي حمله فضغط عليه .. ثم سبح فكانت المفاجأة السارة ، فطرحه الحوت على الشاطئ عاريا سقيما ، وأنعم الله عليه بشجرة من يقطين قيل هي شجرة القرع التي لا يحوم حولها الذباب أنشأها الله انشاء ، أمام عينيه فكانت قبة فوقه تحميه من عوامل الطبيعة . وأتم الله عليه نعمته فرجع الى قومه ، فوجدهم على ما وصفنا من الايمان والتوبة والتقوى وحسن المعاملة ، وكانوا مائة ألف بل يزيدون فأو في الآية بمعنى بل ؟ لأن الله عالم بعددهم ولا داعي لجعل العدد في نظر الرائي من البشر ، وهؤلاء القوم ان متعوا في الدنيا فأمامهم نعيم الآخرة ، فقد وعد الله المؤمنين جنات النعيم .

وتأتى آيات سورة القلم

« فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم . لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . فاجتباه ربه فجعله من الصالحين » (١) والآيات مفهومة في ضوء ما سبقناه قبلها من شرح وتوضيح ، وتلاحظ أن ضيقه جاء في عبارات متقاربة ، فهو قد خرج « مغاضبا » وهو قد « أبق » ، وأخيرا « نادى وهو مكظوم » تجد حاله حين التقمه الحوت عكس حاله حين نبذه في

العراء ، ففى الأولى كان ملوما ، والاجتماع والتاريخ مايسهل الامر
 وفى الاخرى غير ملوم • ويهون العمل •
 فعلى الدعاة فى زماننا أن ي نهجوا
 منهج التقوى باتخاذ الصبر وسيلة
 الى بلوغ المرام ، وأن تكون الموعدة
 الحسنة سبيلهم الى ائارة الأذهان
 وتحريك الوجدان ، ولهم من
 الوسائل مايعينهم على الاصلاح ،
 عندهم كتاب الله وسنة رسوله ،
 ولهم ثقافتهم من علوم النفس
 ولنا من حياة الأنبياء وتجارب
 المصلحين نجوم تهدى فلا نضل
 الطريق • والله الموفق •

السيد حسن قرون

« رجاء الى كتاب مجلة الأزهر »

تسهيلا لعمليات المراجعة ، • يرجى من السادة كتاب
 المجلة أن يتكرموا بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة
 « التبرايتير » ثم مراجعتها — أو كتابتها بخط واضح مع
 مراعاة ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ،
 والله الموفق •

أسرة المجلة

منابع النور .. في غار حراء

للأستاذ جابر حمزة فراج

تعهد الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالعناية والرعاية .. وبث فيه الطهر والنقاء .. وزرع في أعماقه الخير والصفاء .. وصنانه من الجهل والعبث .. وحفظه من الشرك والانحراف .. وعصمه من النقائص والردائل وزوده بأحسن الصفات .. وطبعه على أجمل الشمائل .. وأفضل الشيم .. وأطيب الخصال .. وتوجه بمكارم الأخلاق .. ووهبه الكمال والجلال .. وزينه بأرقى معالم الآداب .. وجمع فيه كل ما تتطلبه الإنسانية من مثل عليا .. وقيم سامية .. حتى صار كما قال عن نفسه : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .. وصدق الله تعالى اذ يقول عنه : « **وانك لعلى خلق عظيم** » ..

اشتهر محمد بين كل من خالطه وعرفه .. بالنبل والفضل .. والعفاف والوقار .. والصدق والأمانة .. والعزة والكرامة .. والاعتدال والاستقامة .. والمروءة والنزاهة .. وحسن المعاملة .. وطيب المعاشرة .. ولين الجانب .. وخفض الجناح .. والتواضع والمسالة .. ورغم أنه نشأ في قوم تربوا بين الجبال الشامخة .. والوديان السحيقة .. والصحراء الفسيحة .. تملأ حياتهم الفوضى .. ودنياهم الهمجية .. حيث لا شريعة تهديهم .. ولا قانون ينظمهم .. ولا حاكم يردعهم .. فالقوة الحائرة أسلوبهم .. والقهر والقمع وسيلتهم .. الا أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — لم يكن على شاكلتهم .. ولم يتأثر بعباداتهم

ذلك الخبرة والتجربة .. وبين هذا
وذاك كان قمة في الأخلاق ..
وذروة في المعاملة الصالحة المشرقة
.. الأمر الذي جعله محبوبا
مرموقا عند الجميع .. لم تجرفه
تيارات الجاهلية الطاغية .. ولم
يتأثر بانحرافات الشباب العاتية ..
ولم ينزلق الى ما وصل اليه القوم
نحو الهاوية ، ولم تخدعه الدنيا
وزينتها .. أو الحياة بفتنتها ..
بل كان بعيدا عن النزوات .. نائيا
عن الشهوات والنزعات ..
ولا غرو .. فهذا محمد الذي علمه
ربه ورعاه .. وهذبه وهداه ..
واختاره واصطفاه .. ورفع ذكره
وارتضاه .. هياؤه للرسالة ..
ودربه ليتحمل الأمانة .. والله
أعلم حيث يجعل رسالته .. انتقاه
ليكون قدوة .. وصانه ليصبح
أسوة .. فلقنه أسمى المبادئ ..
وأنبأ المقاصد .. وأشرف الغايات
.. ليكون للناس بشيرا ونذيرا ..

اتجر في مال خديجة أمينا
حصيفا .. رزينا مستقيما ..
فنمت على يديه تجارتها ..

ولم ينحدر معهم الى مهاوى
الشرك والضلال .. وعبادة
الأصنام والأوثان .. بل سلك
طريقه في الحياة .. لم يظلم
أو يكذب .. لم يعتد أو يتجبر ..
لم يفتر أو يتكبر .. لم يجنح
أو يأثم .. لم يفحش أو يفجر ..
لم يخن أو يغدر .. وانما كان
يقابل التحامل بالتسامح ..
والإساءة بالصفح .. والتجاوز
بالابتسام .. حتى أصبح بين
القوم مضرب الأمثال .. فلقبوه
بالصادق الأمين ..

مارس محمد — صلى الله عليه
وسلم — الحياة ممارسة الانسان
الذى يؤمن برسالته التى من أجلها
خلق .. ليكون عضوا عاملا نافعا
يمنح المجتمع الخير والعطاء ..
اشتغل في طفولته برعى الابل
والأغنام .. لتتأصل في قلبه الرأفة
والرحمة .. والعطف والشفقة ..
ويتجسم في نفسه تحمل المسؤولية
.. ثم اشتغل بالتجارة وهو شاب
يافع .. فاختلط بالناس وعاشرهم
وعاملهم .. حتى اكتسب من وراء

وبوركت بسببه أموالها ..
 فاخترته لنفسها زوجا بعد أن
 رفضت أشراف قريش الذين
 تقدموا لخطبتها والزواج منها ..
 وبعد أن سمعت عن فضائله من كل
 مرافقيه ومخالطيه .. ليعيش
 الزوجان الطاهران الطيبان في حياة
 صالحة .. يمنح كل منهما للآخر
 مظاهر الحب والحنان .. ولامح
 الثقة والتقدير ..

رأت السيدة خديجة في زوجها
 الانسانية النادرة في سموها
 وجلالها .. والأخلاق الكريمة في
 رفعتها وشموخها .. عرفته كريما
 سخيا .. عزيزا أبيا .. صاحب
 مروءة عالية .. وكرامة لا توجد
 الا في النفوس الطاهرة الشامخة
 .. يحمل الكل .. ويقرى الضيف
 .. ويكسب المعدوم .. ويعين على
 نوائب الدهر .. ويساعد المحتاج
 .. وجدته المخلص الصادق
 الصدوق .. عرفته الهادي الورع
 .. الخاشع الوادع .. فكانت له
 الزوجة الوفية .. والصورة المثالية
 .. في صفاء الجوهر .. وأصالة
 المعدن .. وسمو الخلق .. ونبل

الشمائل .. وظلت له اليد الطولى
 في تهيئة الحياة الصالحة ..
 بما منحته من حس مرهف ..
 وشعور مترف .. وسرعة خاطر ..
 والتماع ذكي .. فأخذت بدورها
 تصب في بيتها عطرا من عطرها ..
 ونفحة من غيرها .. وقبسا من
 اشعاع طهارتها وعفتها ..

رأت خديجة في محمد — عليه
 الصلاة والسلام — .. عزوفا عن
 الحياة .. وبعدا عن بذخ الدنيا
 وما فيها من ترف وزينة .. ولمست
 فيه حبه للعزلة .. وكثرة التفكير
 والتأمل .. وانجذبا الى السماء
 .. وتطلعا الى الآفاق .. فلم
 تتمرد أو تتأبد .. ولم تثر
 أو تعترض .. ولم تسخط
 أو تغضب .. ولم تفعل ما يفعله
 غيرها من النساء اذا رأين في
 أزواجهن بعدا أو هجرا .. بل كان
 عندها من توقد الذهن .. ودقة
 الفهم .. وسلامة الذوق ..
 ما جعلها آية في النبوغ .. وقوة
 الملاحظة .. لتصبح في سجل
 الخالدين رمزا للتضحية والفداء
 .. وعنوانا للوفاء والولاء ..

والليالى .. وهو في صمت رهيب
 .. وفكر عميق .. وتأمل دقيق ..
 واستفسار دفين .. فتمتلىء
 بالدهشة .. وتختلج أعماقه بالحيرة
 .. فيتثقل من نظر الى فكر ..
 ومن فكر الى دهشة .. ومن دهشة
 الى رعشة .. ومن رعشة الى تأمل
 .. ومن تأمل الى استدلال ..

كان الوقت يمتد بمحمد — عليه
 السلام — ويطول .. وهو على
 وضعه هذا يشعر بالسعادة
 والراحة في هذا الجو انهادى ..
 والمناخ الرائع .. الذى تنطلق فيه
 الروح .. ويسرح الخاطر ..
 وينتفض الوجدان .. ولولا
 ما تفرضه عليه الزوجية من
 واجبات .. لآثر هذه الخلوة عن
 أى شئ سواها .. فلقد رأى في
 خلوته راحة وسكونا .. وفي عزلته
 سكونا واطمئنانا .. وفي غربته
 استقرارا واثتناسا .. رغم
 ما كان في المكان من خشونة ..
 وفوق ما يلاقيه من حيرة .. عبر
 عنها ربه بقوله : « **ووجدك ضالا
 فهدى** » ..

لقد عرف محمد من قومه أمورا

حرصت خديجة على تمهيد
 الطريق لزوجها .. فذلت له كل
 عقبة .. وأزالت من أمامه كل
 صعوبة .. تحقيقا لرغبته ..
 واحتراما لارادته .. وتقديرا
 لميوله .. فلقد تأكدت من ألفته
 للعزلة .. ولم يكن شئ أحب اليه
 من أن يخلد وحده .. ليسبح
 بفكره ووجدانه في الآفاق الرحبية
 .. والفضاء الواسع ..
 فكانت تهيب له الفرص ليقضى
 الأيام العديدة .. والليالى
 المتعاقبة ليشبع روحه وقلبه ..
 ويغذى فؤاده وعقله .. ويرتوى
 من وراء تفكره وتأمله حتى يطيب
 خاطره .. وتبتهج نفسه ..

وفي غار حراء .. وهو غار
 صغير يقرب من ثلاثة أمتار في
 مترين .. في قمة جبل على يسار
 السالك من مكة الى عرفات .. كان
 محمد — صلى الله عليه وسلم وهو
 قبيل الأربعين من عمره الشريف —
 يذهب اليه .. ويظل فيه .. يقلب
 البصر بين أرجاء الكون .. ويلقى
 بنظره في خضم الوجود .. يمتد
 به الزمن .. وتتعاقب الأيام

لا يقرها عقل .. ولا يرضاها

ضمير .. فلم يعجبه دينهم حيث
 رآهم يعبدون أصناما جوفاء ..
 لا تسمع ولا تبصر .. ولا تضر
 ولا تنفع .. فان هى الا جمادات
 صماء خرساء .. صنعتها يد البشر
 .. وصورها الانسان من وحى
 خياله .. ثم قدسها وخضع لها ..
 ولم يرقه نوع حياتهم ..
 ولا أسلوب تعاملهم .. فهناك
 ظلم وعدوان .. فسوق وفجور ..
 بهتان وزور .. سلب ونهب ..
 فساد وبغى .. فوضى وهمجية ..
استبداد ووحشية .. فالكبير يأكل
 الصغير .. والغنى يستترق الفقير
 .. والقوى يعتدى على الضعيف
 .. رغم ما هنالك من نفوس
 موءودة .. وكرامات مهددة ..
 وحقوق مهضومة .. وحرمان
 مهتوكة .. وأوضاع مقلوبة .. ان
 دلت على شئ فانما تدل على
 شراسة الانسان والضياع فى
 متاهات الحياة ..

لم يعجبه صلى الله عليه وسلم
 ما رأى من وثنية غاشمة ..

وديانا باطلة .. وعقائد زائفة

.. فأين الحق اذن ؟

سؤال كان يتردد بين أعماقه ..
 فتعثره حالات نفسية .. ويتملكه
 شعور غريب .. يشغل لبه ..
 ويشد عقله .. آثر أن يعتزل
 الناس ودنياهم .. لأنهم يحولون
 بينه وبين تفكيره .. ويقطعون
 عليه سلسلة مشاعره ..
 لقد جرب الوحدة .. وألف العزلة
 .. فوجدها تفتح قلبه .. وتريح
 نفسه .. كما وجد فيها مفتاحا
 لما انغلق أمامه .. واتجاهها لهدايته
 .. وطريقا لوصوله الى غايته
 المنشودة التى يجرى وراءها بحثا
 عن الحقيقة فبالغ فى الانفراد
 والابتعاد ..

ان الناس وضوءاءهم ..
 ومناظر حياتهم .. يرهقون حسه
 المرهف .. فليهرب منهم ..
 وليبتعد عنهم وان الطبيعة
 بمناظرها وجمالها .. ورونتها
 وبهائها .. تبعث فى أعماقه
 ما يجعله يطمئن اليها .. فالليل فى
 أعلى الجبل بسكونه الرهيب ..

وهدوئه العميق .. وسـمائه
المحيطة .. ونجومه المتألئة ..
وبدره السافر .. والكون حوله نائم
واقـد .. وهو يناغى الكواكب في
حيرة وتساؤل .. والنهار في أعلى
الجبل كذلك يشرف منه على العالم
من تحته .. فيشاهد الناس في
صخبهم وسلوكهم .. فيتأسى
لأحوالهم .. ويشـفق على
اضطرابهم .. كل هذه الخواطر
كانت تختلج في صدر محمد
الانسان .. وتدور بخـلده ..
وتتمزج بوجدانه فيخفق قلبه وهو
في غار حراء .. فلقد عرف الباطل
ورأى مظاهره ونتائجه .. والنهاية
الاليمة التي تتردى فيها الانسانية
.. فتـهوى الى دركات سحيقة من
الهلاك والخسران .. فهو يريد أن
يعرف الحق الذي يضمن السلامة
.. ويصـون الكرامة .. ليرتقى
بالبشرية الى أسـمى درجات
الكمال .. كما أنه أدرك الضلالة
وما تؤدى اليه من فوضى واضطراب
.. ويريد أن يدرك الهدى
وما يترتب عليها من اشراق
وانطلاق .. الى آفاق الأمن

والاستقرار .. ولم يعجبه ما كان
الناس عليه من تخبط وانحطاط
وهمجية وفساد .. ولكن يريد أن
يعرف ما ينبغى أن يكونوا عليه من
خير وسلام ..

كانت هذه أفكار محمد — عليه
السلام — وخواطره .. يستعرضها
وكانه يرسم للوجود طريق
الخلاص .. ويضع للناس الحلول
السليمة .. والقواعد الحكيمة ..
التي تقودهم الى الحياة الفاضلة
.. والمجتمع الطاهر ..

هذا الظلام بسواده وغيومه وكآبته
فأين النور بتألقه وسناه .. ؟
وهذا العمى ببهته وطمسه وحلوكة
فأين البصر بجلائه وصفاه .. ؟
وهذا الانحراف بجهالته ورذيلته
ومساوئه
فأين الحق بطهره وهـداه .. ؟
وهذا المرض بأسـقامه وأثقاله
وأفاته
فأين الدواء ببلسمه وشفاه .. ؟
هكذا رأينا محمدا — صلى الله
عليه وسلم — في غار حراء .. لم يَأو
اليه عبثا .. ولم يَأته عـجزا
أو سلبية .. وإنما جاءه متفكرا

يطلب علما •• ولكن طلب إيماننا ••
فهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب ولأن
القلب فوق اللغة •• وفوق الكتابة
والقراءة •• وفوق العلوم ••
وفوق المنطق •• من أجل هذا لم
يلجأ محمد — صلى الله عليه وسلم
— الى معلم يعلمه الكتابة •• ولم
يذهب الى مثقف بالكتب والأديان
•• بل فضل على ذلك كله صحبة
غار حراء •• حيث الطبيعة
الصادقة على فطرتها •• مفتوحة
على قلبه •• وحيث يتصل هو وهي
بربها وربها ••

« بحث وتحليل »

وصفوة القول : أننا لو تناولنا
موقف محمد — صلى الله عليه وسلم
— قبيل البعثة وغار حراء والفترة
الزمنية التي شملت ذلك لكان من
العسير على الباحث أن يحيط بهذا
المجال من كل نواحيه •• ولكننا
نتناوله من بعض زواياه •• وبقدر
محدود •• حيث ان العقل يقف
حائرا •• والفكر يظل قاصرا أمام
هذا المقام الواسع الفسيح ••
وما يحيط به من غيب وأسرار ••

متأملا •• باحثا متكشفًا •• ساعيا
وراء الحق •• بعد أن تهيأت نفسه
•• واستعدت روحه •• وكملت
مشاعره •• وامتزجت بالاصلاح
أحاسيسه •• لم يطلب الحق من
طريق الشعر •• فالشاعر يخلق
بخياله •• وينسج بأوهامه •• ثم
يترجم بأسلانه •• مستسلما
لما يمليه عليه الهوى من رؤى
وأطيايف وما تفرضه القوافي من
قيود يلتزم بها سعيا وراء الألفاظ
الحلوة •• والكلمات المزهوة ••
لتنسجم مع الألحان والأنغام ••
وليس هذا من شأن النبوة في قليل
أو كثير ••

ولم يطلب الحق من طريق
الفلسفة أو العلم •• فكلاهما عبد
المنطق •• عبد الألفاظ •• عبد
الكتب عبد الأفكار •• عبد
النصوص •• ولكل انسان عقله
وقد يضل •• وفكره ربما يزل ••
ومنطقه وكثيرا ما يخطئ ويجنح •
ولكن محمدا — صلى الله عليه
وسلم — طلب الحق من طريق أسمى
وأرفع من هذا وذاك •• فلقد طلبه
من طريق القلب •• وأعلن أنه لم

فلو نظرنا الى المكان .. كان دمارا وخرابا على الزمان
والمقصود به: غار حراء .. لوجدناه .. والأجيال ..
مع ضيقه وبساطته وخلوه من .. ولو أننا قارنا الموقف في غار
الأنثا والمتاع .. أوسع من الدنيا .. حراء بغيره من المواقف الدنيوية
.. وأرحب من الحياة ووضعناه مواجهها لهذه
ولو نظرنا الى وحشته وظلمته .. المؤتمرات الدولية الحديثة بما لها
.. لوجدنا فيه الأنس والبهجة .. من طاقات وامكانيات واستعدادات
والراحة والطمأنينة .. وما تتطلبه من أجهزة وأموال
والضياء .. وفبهجة النفس .. ومفكرين ومساعدين .. وما تسفر
وطمأنينة القلب .. وضياء الأعماق .. عنه في النهاية من سقوط في مهمتها
.. أسمى من كل ما عداها .. أو انحراف في غايتها .. أو
من قصور مترفة .. أو هضم .. فكم
مرهفة .. وهي جرداء من تذوق .. لحقوق شعوب بريئة .. أو اعتداء
السعادة .. رغم ما فيها من كل .. على دول نامية .. أو عن سوء
ما يبهر العيون .. أو امعان في التجبر .. فهم .. أو عدم علم .. أو حب في
الأبصار .. السيطرة .. والاسغلال .. فيفتك الانسان
وكم من مدن تسطع فيها الأنوار .. بأخيه الانسان .. وتقوم الحروب
.. وتتألق بينها الأضواء .. ويتخرب العمران .. وتنتشر
تعيش في ظلمة حالكة .. وتعيش .. الأفراد والجماعات لوجدنا الفرق
في جهالة عمياء .. رغم ما تدعيه .. واسعا أما الموقف في غار حراء ..
من مدنية وحضارة .. ورفعته .. فكان بمثابة منزل الطمأنينة ..
وارتقاء .. وحتى وان زخرت بما .. ومهبط السعادة .. وشاطئ الأمان
عندها من معارف وعلوم .. لهذه الحياة ففيه تألق الجوهر ..
كل علم خلا من الايمان .. وسطح الحق .. وولد الخير ..
من اليقين .. ونأى عن طريق الله .. وتحقق العدل .. وعم الهدوء ..

يعظم الشمس والقمر .. وأولئك
هم أصحاب النار .. وهم فيها
خالدون .. ولو أن بصيصا من
النور دخل قلوبهم .. لما كانوا في
جهالتهم يعمهون ..

اذن: فعلوم العقل تتضاءل أمام
ادراك القلب .. وكشف البصائر
.. تعجز عنه الأبصار .. وشتان
ما بين المادة والروح .. والعرض
والجوهر .. فكثيرا ما نرى أناسا
تبحروا في العلوم .. وخاضوا
ميادين المعارف معتمدين في ذلك
على عقولهم المحصورة التي
لا تدرك سوى الماديات التي تربطها
القواعد والقوانين وتحكمها الرؤية
والمشاهدة .. وبالتالي فهي
محدودة قاصرة .. أما القلب
والروح والبصيرة فهي قوى
معنوية .. ترتقى فوق الحواس ..
فلا تخضع للقوانين أو المقاييس ..
من أجل هذا: نرى أناسا وصلوا
الى معرفة الخالق عن طريق العقل
.. فجاء إيمانهم ناقصا غير
مكتمل في الوقت الذي نجد أن من
عرف الله تعالى بقلبه كان عميق
الايمان .. وطيد اليقين ..

وسادت المودة .. ونشأت الرحمة
.. وانتشر السلام على ربوع
العالم .. حيث سرى بين جوانب
هذا الغار نور الله .. فتفجرت
ينابيع اليقين .. على قلب محمد
الأمين — عليه السلام — .. الذي
اتخذته وسيلة الى الوصول نحو
المعرفة .. وطريقا الى الحقيقة ..
ومن هنا : يتضح لنا أن القلب
أقوى من العقل .. وأن البصيرة
أجلى من البصر .. فكثير من
أصحاب العقول .. مرضى القلوب
.. حيث انهم يرون بعقولهم أدق
الأشياء .. ولكن القلوب في عمى
عن درك الشمس السافرة في وضوح
النهار ..

فما أكثر هؤلاء الذين كتبوا
وألفوا .. واخترعوا ونبغوا
واكتشفوا بعيونهم وعقولهم ..
وملئوا الحياة بنظرياتهم .. فكان
لهم في مضمار العقل سبق كبير ..
الا أننا نراهم بعد ذلك يرسفون في
خضيب الجهل .. ودركات
الضلال .. فمنهم: من يسجد للنار
.. ومنهم : من يعبد الحجر ..
ومنهم: من يقدر البقر ومنهم: من

ولا عجب أن نرى امرأة بدوية جاهلية كانت أسبق إلى الايمان من بعض أصحاب العقول الكبيرة .. والأفكار الواسعة كأبى سفيان وغيره من سادات قريش .. ومما يؤيد كلامى هذا الذى أقرر فيه أن طريق الايمان هو القلب : ما نراه من العلماء والعباقرة الذين وصلوا بسفنهم إلى بعض الكواكب عبر الفضاء .. ثم عادوا من رحلتهم ينكرون وجود الله ولو أن عندهم قلوبا واعية لامتثلوا يقينا وايمانا .. نتيجة ما شاهدوه من عظمة الكون .. ورحابة الآفاق .. ودقة الصنع .. واتساق النظام .. وروعة هذا الوجود .. الذى لا يمكن مطلقا أن يأتى وليد الصدفة .. وذلك لأن قلوبهم لم تحرك عقولهم .. لما ران عليها من صدأ .. وما بها من غشاوة .. وهكذا نعلم: أن من مات قلبه .. وعميت بصيرته .. يستحيل عليه أن يؤمن .. مهما كان عقله متفتحا وسأسوق مثلا على ذلك فأقول : تكلم كثير من علماء الحشرات عن العنكبوت .. وأجروا

أبحاثا على حياتها وطبيعتها .. وادعوا أن انواع العنكبوت تصل إلى خمسين ألف نوع .. واكتشفوا أن العناكب تتلون بلون المكان الذى تعيش فيه حتى تتمكن من التخفى .. وتوصلوا إلى أن العناكب لا ترى الأشياء البعيدة .. وأن بعضها لا تزيد رؤيته عن بوصة واحدة .. غير أنها ذات حساسية قوية جدا .. لدرجة أنها تستطيع معرفة أى شئ تريد معرفته .. لأن أهدابها التى تنتشر على أقدامها تستطيع بواسطتها معرفة أى شئ يلمس خيوطها البعيدة المتطايرة فى الهواء .. وقالوا عنها: ان الزوجة من العنكبوت تأكل زوجها بعد الزواج غالبا .. كما أخبروا: أن العنكبوت تنسج خيوطا تطلقه فى الفضاء متعلقة به .. فيرتفع مع تيارات الهواء الساخنة إلى طبقات الجو العليا .. فتدّ تصل فى ارتفاعها إلى خمسة عشر ألف قدم .. وقالوا عنها كذلك : انها مهندس بارع .. وجندى يتقن عمليات التخفى .. وغواص ماهر .. ومكتشف لطبقات الأجواء

هذه المشاهدات .. لنطق قلبه
في الحال .. تبارك الله أحسن
الخالقين « وما أنت بهاد العمى
عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن
بآياتنا فهم مسلمون » (١) ..

قبس من نور

سجى الليل .. وبرزت نجوم
السما كمصابيح نثرت في الفضاء
.. وشمل الكون سكون عميق ..
وبدت جبال مكة كأشباح صامدة
.. وهدأت الطبيعة من صخب
الحياة وضجيجها .. وطابت لمحمد
— عليه الصلاة والسلام — لذة
المناجاة .. بعد أن أفرغ قلبه من كل
شواغل الدنيا .. وتجرد من
روابطها .. فأرسل تأملاته
الفاحصة النفاذة تخترق الحواجز
جريا وراء الغيب .. وكأن
احساسا داخليا يشده الى السماء
.. فيطيل النظر .. ويمد البصر ..
ثم يطلق للقلب العنان .. عله
يستشف الأسرار المكتونة التي
تحيط هذا الوجود .. وكأن قلبه

العليا .. وحائك دقيق ونساج
فنان .. ثم ينتهى بهم البحث الى
القول بأنها أعجوبة ..

نعم .. هكذا رأوا بعقولهم ..
ما أوصلته اليه عقولهم .. فوصلوا
في النهاية الى القول بأنها أعجوبة
ووقفوا عند هذا الحد .. وذلك
لأن قلبهم عمت عن ادراك
الحقيقة السافرة .. والبيئة
الواضحة التي لا يراها الا القلب
المؤمن .. والفكر الوضئ ..
والبصيرة المهمة ..

لقد غاب عنهم ما وراء هذا
المخلوق العجيب من أسرار ..
وضاعت منهم الحقيقة الناطقة
التي تشير الى عظمة الخالق ..
وقدرته الباهرة .. ونظامه البديع
.. الذي خلق الموجودات بدقة
واحكام ولكنهم غفلوا عن وجود
هذا الآله الذي صنع هذه
المخلوقات المختلفة .. وزودها
بخصائص عجيبة تحار فيها العقول
.. وتؤمن بها القلوب ..
ولو أن انسانا جاهلا وقف على

الملك أطلقه قائلاً له : اقرأ يا محمد
 .. فرد عليه الصلاة والسلام
 قائلاً : ما أنا بقارىء .. بصوت
 متهدج وكأنه يطلب منه الرفق
 والشفقة .. وتكرر الأمر مرات
 ثلاث .. ثم قال له : « اقرأ باسم
 ربك الذى خلق .. خلق الانسان
 من علق .. اقرأ وربك الأكرم ..
 الذى علم بالقلم .. علم الانسان
 ما لم يعلم » ..

وارتفع الملك من حيث أتى ..
 أما محمد — صلى الله عليه وسلم
 — فقد وقف جامداً في مكانه ..
 مبهوراً مأخوذاً مما رأى .. وأخذ
 يقالب ببصره في السماء .. فيرى
 الملك في الفضاء ويسمعه يقول :
 يا محمد أنا جبريل .. وأنت رسول
 الله .. فتأكد محمد أن جلال الحق
 قد حل .. وأن نور الحقيقة قد
 وضع .. ففضى على كل خوف
 .. وأحسن بأن نفحة مضيئة من
 العالم الأعلى سكنت في قلبه من
 جديد ..

وهنا تتوقف الأقلام .. وتتجمد
 الأنفهام .. أمام هذا المشهد
 الرائع .. فلا الشعراء يسبحون

ينبض بالتساؤل والاستفسار
 رغبة في الوصول الى الحقيقة ..
 وفي ليلة من ليالى رمضان ..
 وكانت هي ليلة الحياة .. وليلة
 البركة .. وليلة النور .. وليلة
 الخير .. وليلة الرحمة .. وليلة
 الهدى .. وليلة القدر والشرق ..
 وبينما كان محمد — صلى الله عليه
 وسلم — بعيداً عن دنيا الناس ..
 تألفت هنا وهناك على صوت رهيب
 يمزق صمت المكان .. فتطلع مأخوذاً
 نحو الأفق العالى لصلصلة لها جرس
 غني فارتاعت نفسه .. وارتجف
 فؤاده .. وارتعدت أوصاله ..
 وظل صامتا مبهوراً يلفه الخشوع
 .. ويملكه الرعب .. من تألق
 النور الزاهى الذى غمر المكان ..
 ياللعجب .. ان النور يتجمع
 ويتركز حوله حتى غمره وأفاض
 عليه .. واذا به أمام ملك له بريق
 .. اقترب منه وضمه ضمة شديدة
 في قوة خارقة .. عجز محمد عن
 مقاومتها وتحملها .. حتى أوشك
 على الموت .. وكادت أنفاسه
 تتوقف .. وأعضاؤه تنتشم ..
 أمام هذه القوة الهائلة .. ولكن

بخيالاتهم وأوهامهم .. ولا الأدباء بدقتهم وأذواقهم .. ولا الحكماء بمعارفهم وأفكارهم ..
ولا الرسامون بريشتهم ولوحاتهم .. لماذا .. ؟ لأنه موقف، من مواقف السرمدية والأبدية .. ولأنه موقف من مواقف الملأ الأعلى .. ولأنه موقف من مواقف عالم الغيب .. هنا في غار حراء .. تجلت رحمة الله .. وتحققت أسمى الرسالات .. وتفتحت مغاليق الكون .. والتقت الأرض بالسما .. فكانت مسيرة الخير .. وموكب الحق .. ومشرق النور .. ومنبع الطهر .. ومنطلق الحضارة والأمن والاستقرار .. انه الايمان .. ولا شئ غير الايمان ..

ومما تقدم نرى أن محمد صلى الله عليه وسلم — .. تعلق بالهداية فشدته اليها .. وانطبع على الاستقامة فجذبته نحوها .. وانطوى على المثالية فارتاب بها .. وتهيأ للأمر العظيم فمضى في رحابه .. وسار في دربه .. وعرف الحق فالتزم به وتعشق الكمال فاكتساه .. وتسرى بالجلال فارتابه ..

حتى لمعت في قلبه الشرارة الالهية كما يتهيأ السحاب فيلمع البرق .. لقد أضاعت له هذه الشرارة الآلهية كل شئ .. والله أعلم حيث يجعل رسالة .. يمهدها .. ويصلح من أجلها النفوس ويهذبها .. يمهدها بالنور .. ويسقيها باليقين .. ويتولاها بالعناية .. ويغلفها بالعظمة .. ويلفها بالوقار

قد يتساءل المرء قائلاً : لماذا ضم جبريل محمدا عليهما السلام بعنف وقوة حتى أوشك على الموت .. ؟

والجواب عن ذلك .. أن ما حدث على هذه الصورة .. انما كان بمثابة درس وتبنيه لمحمد عليه السلام في بدء حياة النبوة .. يتعلم من خلاله أن المهمة شاقة

•• ويزودها بالخشوع •• ثم يكون
العطاء ••
جاءت رسالته من جنس هدايته
•• فرسالته أن يبعث الحياة فى
القلب •• ويبعث الضوء الى
النفوس • كالقمر يستمد نوره من
الشمس •• ثم يعكس أشعته
الجميلة الزاهية على الكون ••
•• يشترك فى الاهتداء به العالم
والجاهل •• الذكى والغبى ••
الفيلسوف والعيبى •• الكاتب
والأمى •• المثقف والعامى على
اختلاف فيما بينهم •• لأن بينهم
قدرا مشتركا من القلب قابلا
للاهداء ••
جابر حمزه فراج



رمضان

شهر العبادة

للكسور سحر عبد المنعم فهاجى

ما أعز وأجل وأكرم رمضان ،
شهر العبادة ، وشهر الطاعة ،
وشهر الصيام •

التعظيم ، وكرمه أبعد حدود
التكريم ، فأنزل فيه القرآن الكريم
هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان ، وبالقُرآن بدأت
الانسانية تعود الى رشدها ،
وترجع الى صوابها ، وتتصت لنداء
السماء وتبعد عن دعوات الشرك
والمشركين ، وتدخل فى عهد جديد
من الحضارة والتقدم والرفاهية •

ما أرفع هذا الشهر العظيم ،
الذى شرع الله فيه الصوم ،
وجعله فيه فريضة ، أوجبها على
كل مسلم ومسلمة ، يعبدان الله
فى الارض •

وما أجل رمضان ، الشهر الذى
أنزل الله عز وجل فيه القرآن ،
كتاب الله المبين ، الحكيم ، العظيم
الذى نزل على رسولنا الامين ،
محمد صلى الله عليه وسلم ، نورا
وهدى للناس ، ورأفة وبراً
بالانسانية ، وانقاذاً للناس
أجمعين من ظلمات الشرك والوثنية
والضلال والبهتان •

ولقد كرم الله شهر رمضان
تكريماً يفوق كل تكريم ، ففرض فيه
الصيام ، وجعل هذا الشهر الجليل
كله موسماً للطاعة والعبادة ، اذ دعا
الى صيام نهاره ، وندب الى قيام
ليله ، وسن فيه ذكر الله وقراءة
القرآن ، والتهجد بالليل ، ودعا
فيه عمر بن الخطاب المسلمين الى
صلوات التراويح ، مظهراً جليلاً

لقد عظم الله أمر رمضان غاية

طاعة الله وعبادته وتقواه ، وفرحة عند لقاء ربه .
وأوجب فيه الله عز وجل زكاة الفطر ، كما سن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة والاحسان والجود والبذل والعطاء والسخاء ، والانفاق على الفقراء واليتامى والمساكين .

وفي حديث سلمان المرفوع الذي أخرجه ابن خزيمة في صحيحه :
رمضان هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة . وفي حديث آخر :
الصوم نصف الصبر ، والصبر نصف الايمان . وفي حديث ثالث :
الصيام لله لا يعلم ثواب عمله الا الله عز وجل .

وفي هذا الحديث بيان لجلال شريعة الصوم ولعظمة جزائها عند الله جل جلاله .

والآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١)
بيان واضح صريح لأثر الصوم كطاعة وعبادة وشريعة ، في بعث روح الايمان والتقوى والخير في نفس المسلم .

وفي حديث البخاري : كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه كل ليلة فيدارسه القرآن ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة .

- ٢ -

ولنستمع الى حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه :
كل عمل ابن آدم له ، الحسنه بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : الا الصيام فانه لى وأنا أجزي به ، انه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره

بالصوم ، فإنه لا عدل له ، ثم أتيت ثانية فقال : عليك بالصوم فإنه لا مثيل له • رواه أحمد •

وفي حديث سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أن للجنة بابا يقال له الريان ، يقول يوم القيامة : أين الصائمون ، فإذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب ، رواه البخاري ومسلم •

وفي الصحيحين : أن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه غيرهم •

وفي الحديث : أن الجنة لتزخرف من الحول الى الحول لدخول شهر رمضان ، فتقول الحور : يارب اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجا تقرر أعيننا بهم ، وتقرر أعينهم بنا •

وفي حديث الحارث الأشعري عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : أن زكرياء عليه السلام قال لبنى إسرائيل : آمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك ، فكلهم تعجبه

وفي الحديث : أن للصائم عند فطره دعوة ما ترد •

وفي حديث رسول الله صلوات الله عليه : من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه • رواه أحمد وأصحاب السنن •

وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة، عليهم أسس الاسلام، من ترك واحدة منهم فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان » •

وفي حديث ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم فشفعني فيه ، فيشفعان — رواه أحمد •

وفي حديث أبي أمامة ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : مرني بعمل يدخلني الجنة • قال : عليك

يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على شربة لبن أو تمرة أو شربة ماء ومن أشبع فيه صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظماً بعدها حتى يدخل الجنة .

ونعيد هنا ذكر حديث ابن عباس كما في الصحيحين ، وخرجه الامام أحمد : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة .

وفي المسند عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، وأنزل الانجيل لثلاث عشرة من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان .

ان الصيام عبادة روحية

ويحه ، وان ربح الصيام أطيب عند الله من ربح المسك .

وهذه الاحاديث كلها تدل على فضيلة شهر رمضان ، وعلى فضل فريضة الصيام فيه ، وهي ناطقة بعظمة هذه العبادة الاسلامية الجلية .

- ٣ -

والصدقة في رمضان شعيرة ، وسنة مندوبة ، وعمل انساني يرضى الله وملائكته ورسله عنه ، وفي الترمذي عن أنس مرفوعاً : أفضل الصدقة صدقة في رمضان وفي حديث زيد بن خالد عن رسول الله : من فطر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء .

وفي حديث سلمان مرفوعاً : رمضان شهر المواساة ، وشهر يزداد فيه في رزق المؤمن ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعق رقبتة من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، قالوا : يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، قال :

حاملاً تعذى حدودى ، وضع
فرائضى ، وركب معصيتى ، وترك
طاعتى •• فلا يزال يقذف عليه
بالحجج حتى يقال : شأنك به •
فيأخذ بيده ، فما يرسله حتى يكبه
على منخره فى النار •

ويؤتى بالرجل الصالح كان
قد حملة وحفظ أمره فيتمثل له
خصما دونه ، فيقول : يارب
حملته اياى فخير حامل ،
حفظ حدودى ، وعمل بفرائضى •
واجتنب معصيتى ، واتبع طاعتى ،
فلا يزال يقذف له بالحجج ، حتى
يقال : شأنك به فيأخذ بيده ،
فما يرسله حتى يلبسه حلة
الاستبرق ، ويعقد عليه تاج الملك ،
ويسقيه كأس الخمر » •

صدق رسول الله ، اللهم اجعلنا
ممن آمن بكتابك وسنة رسولك
حق الايمان ، وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم •

د • محمد عبد النعم خفاجى

اسلامية جليلة ، وهو ركن من
أركان الاسلام ، وشعيرة من أجل
شعائره ، وهو تهذيب للمسلم ،
ورفع لروحه الى مستوى
الانسانية الرفيعة ، وتطهير للمؤمن
من الذنوب والمعاصى ، وهو سياج
وحمى يحول بين المسلم وبين
التفكير فى عمل ما يغضب الله من
الذنوب والآثام ، وهو حائل بين
المسلم وبين الاسترسال فى
الشهوات واللذات والمعصية •

وهو شهر القرآن العظيم ،
القرآن الكريم ، القرآن كتاب
الله الخالد ، الذى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد •

ونختم هذه الكلمة بهذا الحديث
العظيم ، كما رواه عمرو بن شعيب
عن أبيه عن جده عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :
يمثل القرآن يوم القيامة رجلا ،
فيؤتى بالرجل قد حملة فخالف
أمره ، فيتمثل له خصما ، فيقول :
يا رب ، حملته اياى ، فبئس

الإمام الدكتور
عبد الحليم محمود
كما عرفته
للأستاذ على عبد العظيم

عرفت عديدين من زعماء علماء العالم الاسلامى فى شتى الأقطار والأمصار ، كان فيهم من يمتاز بالعلم الغزير والثقافة العميقة المتنوعة ، ومنهم من كان يمتاز بالذكاء الوقاد أو البصيرة الملهمة ، ومنهم من كان يتميز بالتقوى والصلاح والحرص على التمسك بالشعائر الاسلامية •

وكان — رحمه الله — يمتاز بالقدرة على العمل المتواصل لا يشغله عنه شاغل ، كما كان يمتاز بأن لسانه رطب بذكر الله دائما سواء فى اقامته أم فى سفره لا تفارق مسبحته يده أو لا يشغله شاغل عن مواصلة الذكر والعبادة • وقد ترك ثروة ضخمة من المؤلفات العلمية القيمة لا ينهض بها الا أولو العزم من العلماء فى شتى ألوان الثقافة الاسلامية • فقد ترجم بعض الكتب عن الفرنسية وحقق بعض المخطوطات

ولكننى عرفت من اجتمعت فيه هذه الصفات كلها وهو المغفور له الدكتور عبد الحليم محمود تغمده الله برحماته وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء • عرفته وهو أستاذ بكلية أصول الدين ثم عرفته وهو عميد لها ثم وهو أمين عام لمجمع البحوث الاسلامية ثم وهو وكيل للأزهر

العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » • كما كان يمتاز بعفة السمع فلا يسمح لجلسائه أن يخوضوا في نقد أحد من المسلمين وان كان يستحق النقد عملاً بقوله تعالى « **ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** » ، وكان يضيق باللغو فلا يسمح به في مجلس من مجالسه لأنه كان حريصا على أن يقضى الوقت في ذكر الله أو في مشروع علمي نافع مفيد •

ولقد صحبته في بعض تنقلاته فكان أثناء الطريق يتلو القرآن الكريم أو يستمع الى من يجيد تلاوته أو يثير قضية علمية يستمع فيها الى من يصحبه ، وكان بفطرته الطبيعية يميل الى الاستشارة والحكم الجماعي ، فحينما ولى وزارة الأوقاف ألف مجلسا استشاريا ضم وكلاء الوزارة وبعض من يأنس فيهم قوة الايمان وعمق التفكير — وكان من حظي أن اختارنى من أعضاء هذا المجلس فكنا نجتمع أسبوعيا تحت رياسته

الثمينة وألف في تراجم بعض العلماء الراسخين في العلم وبخاصة في التصوف وألف في الدفاع عن الاسلام وفي ابراز المقسومات الاسلامية السامية وفي تفسير بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وعنى عناية تامة بنشر الكتاب الاسلامى عن طريق مجمع البحوث الاسلامية بثمان رمزى ، وراعى فيما تنشره الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية أن تكون بعض الكتب سهلة الأسلوب ميسورة الفهم ليعم نفعها الجميع ، كما اهتم بأن ينشر بعض الكتب العلمية الدقيقة التى ينتفع بها الخاصة فجمع في هذا بين الحسينين ، كما اهتم بنشر الموسوعات الاسلامية الكبرى مثل « الجامع الكبير للسيوطى » وهو يضم مائة ألف حديث وقد صدر منه نحو ثلاثين جزءا والباقى في طريقه الى النشر •

ومن مزاياه الكبرى عفة اللسان وطهارة الصدر ، فقد أساء اليه كثيرون فقابل اساءتهم بالصفح الجميل ملتزما بقوله تعالى « **خذ**

- وندرس مشكلات الوزارة ونناقش فيها وفي أثناء المناقشة يتضح الصواب فيسرع الى قبوله والى العمل به .
- وفي مشيخة الأزهر ألف لجانا عديدة من أهمها اللجنة العليا للدعوة الاسلامية وهى تضم لفيفا من كبار رجال الصحافة والجمعيات الدينية ورجال الفكر الاسلامى ، وكنت أحد أعضاء هذه اللجنة ، ومن آخر الموضوعات التى طرحها على اللجنة موضوع كيف يستقبل الأزهر القرن الخامس عشر الهجرى . وقد استقر رأى اللجنة على التوصيات التالية ، وبدأ فضيلته الاعداد لتنفيذ هذه المقترحات وأهمها :
- ١ - وضع ترجمة دقيقة لتفسير القرآن الكريم .
 - ٢ - انشاء معاهد مراسلة لنشر اللغة العربية فى البلاد الاسلامية غير العربية عن طريق الاذاعة والتسجيلات الصوتية .
 - ٣ - انشاء صحيفة اسلامية كبرى تهتم بأخبار العالم
- والاسلامى ومعالجة مشكلاته .
- ٤ - نشر بعض الكتب المبسطة عن شعائر الاسلام وحضارته الروحية وأثره فى العالم وترجمتها الى اللغات الحية المعاصرة .
- ٥ - العمل على انشاء مراكز ثقافية اسلامية بأهم الحواضر العالمية الكبرى .
- ٦ - العمل على تذويب الخلافات الطائفية فى الدول الاسلامية ليلتقى الجميع على كلمة سواء .
- ٧ - ترجمة بعض الكتب الاسلامية الهامة التى صدرت باللغات الأجنبية ليتيسر للمسلمين الانتفاع بها .
- وكنا نتمنى أن يمد الله فى عمره حتى يتم تنفيذ هذه الوصايا .
- ومن مزاياه قدرته على العمل المتواصل فقد شغل مناصب هامة عديدة كان ينهض بأعبائها فى صبر ومثابرة بهمة لا تعرف الملل ولا الكلال .
- كان يستيقظ من نومه فى الثلث

الزكاة فلأُننى أعمل بقوله تعالى :
« وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه »
 وهو خير الرازقين » ولهذا عاش
 ومات دون أن يمتلك بيتا يأويه
 ويأوى أسرته واكتفى باستئجار
 بيت متواضع ظل فيه وهو أستاذ
 بالكلية ثم وهو عميد لها ثم وهو
 وزير ثم وهو شيخ للأزهر •

وكان دائم العناية بمن يعملون
 معه ، دعيت معه الى مآدب عديدة
 فكان قبل أن يمد يده الى الطعام
 يوصي باطعام سائق سيارته
 وساعيه الخاص ولا يتناول شيئا
 حتى يطمئن الى تنفيذ وصيته •

وقلما كان يغضب أو يثور الا
 حينما يتعرض الاسلام أو الأزهر
 لنقد أو تشهير فكان يغضب في الله
 ويرضى في الله ويجب في الله
 ويسخط في الله ، وقد ناله بعض
 الخصوم في لجاجة واسراف
 فرددت على ما كتبه أحدهم في
 نقده ، فاتصل بى ورجانى أن
 أكف عن الكتابة ضد خصمه
 واقترح على أن أضيف كتابا في
 تاريخ مشيخة الأزهر منذ انشائها

الأخير من الليل فيتهجد ما شاء
 الله له أن يتهجد ، وبعد صلاة
 الفجر يعكف على التأليف بضع
 ساعات ونفسه صافية شفافة
 فيلهمه الله من الآراء والأفكار
 السديدة الصائبة ما يلهمه ، ثم
 ينتقل لمباشرة عمله في حيوية
 ونشاط ولهذا ترك فوق الثمانين
 كتابا من أقوم الكتب التى أفادت
 المسلمين في شتى البقاع والأمصار
 وهو جهد تنوء به العصابة أولو
 القوة •

وكان الى هذا كله سخي اليد
 ينفق في سبيل الله انفاق من
 لا يخاف من ذى العرش املاقا ،
 فكم أعان من عائلات فقيرة مدقعة
 لولاه لعضها الجوع بأنيابه وبرائنه
 وألزم نفسه الزاما أن يتصدق
 بعشر ما يصل الى يده • قلت له
 يوما : ان الزكاة تجب حينما يتم
 الحول بمقدار اثنين ونصف في
 المائة • فقال : اننى ألزم بقوله
 تعالى : **« وآتوا حقه يوم حصاده »**
 • لأننى لا أملك ضمان
 بقائى على قيد الحياة حتى يحول
 الحول • أما اننى أتجاوز نصاب

الى الآن (١) ليصرفنى عن مواصلة
الكتابة ضد خصمه العنيف فلبيت
دعوته ، وما كدت أفرغ من ترجمة
حياته حتى اختاره الله الى جواره
فكانت خسارة العالم الاسلامى
فيه كبيرة كما كانت خسارتى أنا
فيه كبيرة ولهذا أسرع الى رثائه
وان كان هذا الرثاء لا يعبر
عن مقدار آلامى وأحزانى عليه
وقد قلت فيه :
ما كدت أهتف فى الورى بحياته
حتى سعت مشيعا لرفاته
فتمزق القلب الكليم من الجوى
متدفقا ينساب فى عبراته
صهرته آلام الأسى فتصاعدت
أنفاسه كالجمر فى زفراته
عجبا لمن ذقنا النعيم بقربه
ذقنا فنون الثكل يوم وفاته
اليأس من بعد الامام أحاطنا
وطوى جوانحنا على ظلماته
كان العزاء لنا اذا جد الأسى
واليوم مات عزائنا بمماته
يا راحلا عمت فجيعة الورى
فالكل مطوى على حسراته

شيخ الشيوخ مضى لساحه ربه
مستروحا بالفيض من رحماته
من كان للاسلام حصنا باذخا
يدعو له ويذود عن حرماته
بلغ المدى فى كل فضل سابع
فأشع نورا من جميع جهاته
وسما فحقق كل مجد سامق
وأفاض سباقا الى غاياته
ما كف عن ذكر المهيم لحظة
فى صحوة أو فى عميق سباته
ما كان يعبد رغبة أو رهبة
لكنه عبد الاله لذاته
سلعنه جنح الليل كيف طواه فى
أبحاثه • وقضاه فى اخباته
وأفادنا ببحوته • وأمدنا
ببقيته ، واقتادنا بصفاته
ملأ العيون بسمته ووقاره
وغزا القلوب بحلمه وأناته
يبدو جلال الحق فى نفحاته
ويشع نور الطهر فى قسّماته
سمح اليدين بماله وبجاهه
وبعلمه وبنصحه وعظاته
غمر الجميع بنبله وسخائه
فالكل مشمول بفيض هباته

يعطى ويعطى لا يمل من الندى	وتبعته مترسما خطواته
ويزيد اعطاء على علاته	فنهلت ثم علت من ينبوعه
لم يجتمع مال لديه لأنه	وقبست نور الحق من مشكاته
أقناه في صدقاته وزكاته	أحييت سنته وصنت سبيله
ففعاله موصولة بيقينه	وعملت بالمأثور من كلماته
وصلاته موصولة بصلاته	وقضيت عمرك تاليا لكتابه
حسن الخلاق كالندى في أيكه	متدبرا ما راع من آياته
والماء في ينبوعه والعطر في زهراته	تصغى وتقرأ ثم تشرح للورى
عذب الحديث كأنما هو صدحة	ما يبهر الأبواب من نفحاته
غنى بها داود في نعماته	أرضيت ربك جاهدا ومجاهدا
يا من ورثت المصطفى في هديه	فانعم مع الأبرار في جناته
	على عبد العظيم

« هل تعلم ؟ »

- * أن شهر رمضان هو الشهر الوحيد الذى ذكر فى القرآن نكرا صريحا ، ولم يذكر شهر سواه •
- * أن لكل شىء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم •
- * أن للصائم دعوة عند فطره لا ترد •
- * أن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة •

اللغة العربية والبيان القرآني

ألفاظ القرآن

للدكتور إبراهيم عوض

نعرف أن لكل لغة سمات خاصة في بنائها التعبيري ، الذي تتميز به عن غيرها من اللغات ، شاء ذلك أهلها أو لم يشاءوا ، فهم ينطلقون في البناء التعبيري خاضعين لمؤثرات البيئة بشقي ألوانها : من بيئة طبيعية الى بيئة اجتماعية : الى بيئة اقتصادية ، الى غير ذلك •

وذلك لأن البيئة عامل أساسي في تكوين المزاج الشخصي ، والمزاج الجماعي لكل أمة ، ومن هذا المزاج تصدر الأمة في حركاتها وسكناتها ، وميولها ورغباتها ، وما تقبل عليه وما تصدر عنه في مختلف شؤون الحياة : من مسكن ومطعم ، وسلوك وعادات ، وتعبير • الخ •

ومن ثم : كان لكل أمة خصائص تتفرد بها عن غيرها ، ثم هي لا ترضى بها بديلا مهما علا شأن ذلك البديل ، ومهما بذل في سبيل

اقتناعها ، لأن ذلك انما قر بعامل البيئة ، وليس طارئا عليها يمكن استبدال غيره به •

والتأمل في اللغة العربية يجد أنها تميزت من غيرها في بنائها التعبيري ، بحيث نستطيع أن نتعرف على تأثيرها في اللغات الأخرى ، وتأثرها بها ، اذا وجد شئ من ذلك •

ومن أبرز مظاهر ما تتميز به اللغة العربية — في تعبيرها — عن اللغات الأخرى في تعبيرها :

اذ المقصود الحديث عن خلق الانسان وما ينطوى عليه من اعجاز وليس المقصود الحديث عن الخالق . وعلى هذا المسار التركيبي سار البناء في الآيات بعد ذلك .. فقال تعالى : « .. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما . فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين »

١٣ - ١٤ المؤمنون
ولما أنكر الانسان الحياة الآخرة مستبعدا أن تعاد الحياة الى الانسان بعد أن أصبح عظاما بالية مجردة من اللحم والدم ، حيث يقول : « من يحيى العظام وهى رميم »

أجابه الله - سبحانه وتعالى - بما يتناسب مع اعتراضه ، ويزيل ما التبس عليه واستبعده .. فليس المقصود بسؤاله التعرف عن الذى يحيى - وان كان هو الظاهر من لفظ العبارة - وانما ذلك سؤال استبعاد لاهياء تلك العظام بعدما رمت وبليت ، فهو انما يسأل عن

أولا : أن الجملة في اللغات الأوروبية لا تنقسم الى اسمية وفعلية ، كما هو الشأن في اللغة العربية ، وانما الجملة في اللغات الأوروبية ، اسمية يتقدم فيها الفاعل على الفعل ، ولا يتقدم فيها الفعل الا شذوذا في حالات محدودة ، أهمها حالة الدلالة على المفاجأة ، ووقوع الفعل على غير انتظار . ومع ذلك فان مثل هذا التركيب غير معتبر عندهم ، وانما هم يحسبونه عارضا من عوارض القلب ، التى يحدث فيها أن يتقدم الفعل على الفاعل ، كما يتقدم حرف الجر أو الظرف ، أو الصفة لمناسبة يقتضيها التعبير .

أما اللغة العربية ، فالجملة فيها اسمية أو فعلية ، ولكل مقامها الذى يتطلب استعمالها .

وعلى هذا النمط العربى نجد البيان القرآنى في بنائه التعبيري يقدم الفعل اذا كان الحديث عن الفعل هو المهم أو المقصود بالحديث وذلك نحو قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين »
١٢ المؤمنون

بعض المخلوقين على خالقهم ،
وتعديهم حدود وجودهم ،
وافترائهم عليه ، وابعادهم في
الضلال والاضلال ، مما يتطلب
لفتهم الى ذاته جل شأنه وتعريفهم
بها .

« قد خسر الذين قتلوا أولادهم
سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم
الله افتراء على الله . قد ضلوا
وما كانوا مهتدين . »
١٤٠ الأنعام

فمن يصنع مثل ذلك انما يصنعه
من منطلق الجهل بالله ، أو الغفلة
عنه وعن قدرته وسلطانه ، ومثله
يتطلب لفتا ينبهه الى الحقيقة التى
غفل عنها .

ومن ذلك — كذلك — ما تجده في
قوله تعالى على لسان نبيه صالح
يخاطب قومه :

« قال يا قوم اعبدوا الله مالكم
من اله غيره . . . »

حيث تشعر العبارة من أول الأمر
بأن المطلوب بعد ذلك من صالح
عليه السلام أن يعرف قومه هؤلاء
بالله سبحانه وتعالى في ميدان
الخلق والانشاء . ومن ثم كان بناء

احياء تلك العظام في تلك الحالة
التى لا يتصور عقل احياءها . . .
من هذا الذى يستطيع احياءها ؟!
ومن ثم كان الجواب . . على
خلاف ظاهر اللفظ . . متفقا مع
مقصود السائل :

« قل يحييها الذى أنشأها
أول مرة . . . »

٧٨ — ٧٩ يس

أما حين كان المقصود التعريف
بالله — سبحانه وتعالى — فاننا
نجد البيان القرآنى يقيم جملته
على الاسم ، كما يتضح من قوله
عز وجل في مجال الخلق والانشاء
كذلك :

« وهو الذى أنشأ جنات
معروشات وغير معروشات والنخل
والزروع مختلفا أكله والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابهه كلوا
من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم
حصاده . . . »

١٤١ — الأنعام

وذلك لأن الناظر في الآية
السابقة على تلك الآية ، يلاحظ
ما اشتملت عليه من بيان تجرؤ

الجملة التالية على الاسم ، فقال :
 « ... هو أنشأكم من الأرض
 واستعمركم فيها ... »

٦١ - هود

ومن ثم ...

لا مجال لمرتاب أو مشكك في
 عربية البيان القرآني من هذا
 الجانب .

وان شئت مزيدا من الاستدلال
 فافتح كتاب الله ، تجد المثات من
 الجمل الاسمية في موقعها الذي
 لا يناسب الا أن يبنى الكلام في كل
 منها على الاسم ، الى جوار المثات
 من الجمل الفعلية كذلك التي
 لا يناسب الا أن يبنى الكلام في كل
 منها على الفعل ، لا ترى في شيء
 من هذا أو ذاك عوجا ولا أمثا .

ثانيا ان الصيغ التي تدل على
 الفاعل في اللغة الأوربية ، اما أن
 تبني على فاعل معلوم أو فاعل
 مجهول ، * وهي المعروفة بصيغة
 المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول -
 أما في اللغة العربية فلا تقتصر في
 الحديث عن الفاعل على هاتين
 الصيغتين ، ولكنها تضيف صيغة
 ثالثة لا وجود لها في اللغة الأوربية

... تلك هي صيغة الفعل المطاوع ،
 فقولنا : (انسكب الماء) يختلف في
 دلالاته عن قولنا : (سكب الطفل
 الماء) ، وعن قولنا : (سكب الماء)
 وذلك لأن التعبير الأول يقدم معنى
 لا تدل عليه دلالاته الدقيقة صيغة
 من الصيغتين الأخيرتين ، فقولنا
 (سكب الطفل الماء) يقال لمن يهمله
 أن يعرف من الذي سكب الماء *
 وقولنا (سكب الماء) يقال كذلك
 لمن يقصد التعرف على الفاعل ،
 لكننا نخبر عن ذلك الطريق اما
 بجهلنا بمن وقع منه الفعل ، أو
 بعدم ارادتنا ذكره .

أما حين نقول : (انسكب الماء)
 فاننا نوجه الحديث لمن يتوقع
 انسكاب الماء وينتظره ، ولا يهمله
 أن يعرف ساكبه ولا عدم معرفته *
 ولا شك : في أن الفارق كبير
 بين هذا وذاك .

وهذا الفارق الكبير يعين اللغة
 على الدقة في استيفاء وجوه
 الدلالة ، حتى يتمكن بها من
 ملاحظة مقتضى الحال .

وهذه إحدى مميزات اللغة

العربية في بنائها عن غيرها من اللغات الأوربية •

وإذا نحن تأملنا آيات القرآن الكريم من هذا المنطلق ، وجدناه قد جمع بين هذه الصيغ الثلاثة في بنائها التعبيري •

ولأن الذي يعنينا — هنا — هو أن نقف على استيعاب البيان القرآني لكل ما يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات في البناء التركيبي ... لا أرى ما يدعونا لأن نطيل بذكر نماذج قرآنية لصيغة المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول — فهذا واضح لا يحتاج برهانا — إنما الذي يحتاج البرهان هو الصيغة الثالثة (صيغة الفعل المطاوع) •

وهذه الصيغة في القرآن لا تقصد لذاتها ، وإنما شأنها شأن كل الصيغ تأتي حين يتطلبها الموقف ملبية المطلوب ، محققة المقصود • من ذلك قول الله تبارك وتعالى:

« وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء » •

٧٤ — البقرة

فالفعالان (يتفجر ويشقق) مضارعان • ماضيهما تفجر وتشقق وهما مطاوعان لفجر وشقق — المضعفين — فالحجارة لا يتأتى منها الفعل ابتداء ، ولكنها خاضعة تستجيب للقوة العليا حين تفجرها وتشققها بتجميع أسباب التفجير والتشقيق عليها •

فالآية الكريمة بذلك : تلفت نظر المتأمل الى ما وراء تلك الظواهر الطبيعية : من قدرة الله ومشيتته ، دون أن يتصادم الظاهر مع الواقع الحق • • !

ومن ذلك كذلك قوله عز وجل : « قد نرى تقلب وجهك في السماء » •

١٤٤ — البقرة

فالتقلب : التردد ، وهو مصدر تقلب المضعف ، مطاوع قلب ، يقال : قلبته فتقلب تقلبا •

ولا ريب : في أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يقلب وجهه في السماء عن ارادة منه واختيار ، ولكنه كان في ذلك خاضعا لقوة نفسية خارجة عن ارادته ، هذه القوة هي التي قلبت وجهه فتقلب

وذلك لأن حيرته صلى الله عليه وسلم في أمر القبلة كانت أقوى من سلطانه هو وقدرته ، فبلغت منه هذا المبلغ الذى سجله القرآن •

ذاتيا • وأن احراق النار اياها شامل وليس احراقا جزئيا •
ومنه أيضا قوله سبحانه :

« وما ننزل الا بأمر ربك » •

٦٤ — مريم

فنتنزل : مضارع تنزل، وتنزل : مطاوع نزل — المضعف — تقول : نزله فنتنزل •

أى : أن نزول الملائكة ونحوهم من جنود الله لا يكون الا استجابة لأمر صادر اليهم وطاعة له •

ومن ثم : ضمنت الآية بيانا بصاحب الأمر الذى كان النزول مطاوعة له • • !

ومنه قوله عز وجل على المسار ذاته :

« تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض • • • »

٩٠ — مريم

يتفطر : مضارع تفطر ، وهو : مطاوع فطر المضعف ، يقال : فطرته فتفطر • وتنشق : مضارع انشق ، وهو : مطاوع شق : يقال : شققته فانشق •

ومن ثم : يتضح الفارق الكبير بين (تقلب) ، و (تقلب) ولولا دقة البيان القرآنى في اختيار التركيب الملائم للحال لما ظهر الفارق بين التركيبين ، ولكانا على مستوى واحد في الأداء •
ومن ذلك قوله تعالى :

« فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت • • • »

٢٦٦ — البقرة

لأن احترق : مطاوع أحرق ، يقال أحرقته فاحترق •

ولو اكتفى البيان القرآنى بأصل الفعل فقال : فأصابها اعصار فيه نار فأحرقتها • لما حققت المقصود تبليغه من اتيان النار عليها ، لأن الاحراق يفيد احراق الكل كما يفيد احراق الجزء •
فلما جاءت الآية على هذا • • • أفادت أن الاحراق من النار وليس

وقوله : « فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » •

٦٠ - البقرة

انفجر : مطاوع فجر ، يقال :
فجرت فانفجر •

وقوله : « ٠٠٠ الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » •

١٤٣ - البقرة

ينقلب : مطاوع قلب ، يقال :
قلبه فانقلب •

وقوله : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ٠٠ »

١٧٥ - الأعراف

انسلخ : مطاوع سلخ ، يقال :
سلخته فانسلخ •

والآيات المشتعلة على صيغة المطاوعة أكثر من أن تحصر في مقال ، فليرجع الى كتاب الله من أراد مزيدا •

انما الذي نقصد اليه أننا في تأملنا ذلك تعرفنا على عربية البيان القرآني في بناء تعبيره ، كما تعرفنا من قبل على عربيته في ألفاظه •

ثالثا : أن اللغة العربية تحرص على أن تستوفي أدوات الصفة وكافة شروطها • وذلك أن الصفات لا بد فيها من المطابقة بينها وبين الموصوفات كل المطابقة ، بخلاف الأسماء ، فليس ضروريا فيها أن تطابق مسمياتها ، اذ الأسماء قد تكون توقيفية لا ارادة للمتكلم في وضعها واطلاقها على مسمياتها ، وقد نطلق اسما على مسمى لأدنى ملابسة دون أن تكون هناك مطابقة بين الاسم ومسماه ، وذلك بأن نسمى الشيء باسم أرضه ، أو باسم صاحبه ، أو باسم حادث وقع عندما تعرفنا عليه ، أو باسم كاشفه • الى غير ذلك من الملابسات • وقد تكون الأسماء منقولة عن لغة أخرى بحروفها أو مع تعديل فيها •

أما الصفات فلا بد من أن تطابق موصوفاتها •

ومن ثم : حرصت اللغات على أن تكون هناك مطابقة بين الصفة والموصوف •

لكنها لم تتمكن من استيفاء

وأعتقد أن هذا في البيان
القرآنى أوضح من أن يحتاج منا
الى تقديم نماذج تكشف ما قد
يخفى على القارئ منه •

ومن ثم : يتقرر أن البناء
التعبيرى فى البيان القرآنى
لا يخرج على البناء التعبيرى للغة
العربية فى قليل ولا فى كثير ، وإنما
هو يسير وفق منهج العربية تماما
فى بنائها •

وبالتالى : فان روح اللغة
العربية بمعانيها وأخيلتها هى التى
تسرى فى البيان القرآنى فى أرقى
مدارجها وامكاناتها ، بحيث تتحقق
بالقرآن المعجزة البيانية من خلال
اللغة العربية التى اصطفاه الله
سبحانه لينزل القرآن الكريم بها
دون غيرها •

ولذلك : خلدت العربية بكتاب
الله ، وقاومت من العقبات ما كان
من المحتمل أن يقضى عليها لولا
خلود الذكر الحكيم •

دكتور ابراهيم عوضين

جميع أدوات الصفة وشروطها كما
تمكنت منها اللغة العربية •

فالصفة فى اللغة العربية تابعة
للموصوف ، مطابقة له فى الافراد
والتثنية والجمع ، وفى التذكير
والتأنيث ، وفى التعريف والتكثير ،
وفى مواقع الاعراب • ويتعبير
آخر : الصفة العربية تطابق
الموصوف فى العدد وفى الجنس ،
وفى التحدد والشيوع ، وفى الشكل
العارض للفظ •

أما فى اللغات الأخرى : فقد
تجد فيها بعض تلك المتابعات ،
لكنك لن تجدها جميعها بقواعدها
المطردة الا فى اللغة العربية !

ففى الانجليزية — مثلا — تأتى
الصفة سابقة موصوفها ، ولا تتغير
الصفة تبعا لتغير مواقع الاعراب •

ونحن حين نتأمل فى البيان
القرآنى نجده عربيا فى بنائه
الوصفى ، فلن تجد فيه صفة الا
التزم فيها المطابقة الكاملة بينها
وبين موصوفها ، من تبعية الى
مطابقة فى الجهات الأربع التى
تميزت بها الصفة العربية •

الباحث عن الحقيقة

للمرحوم محمد عبد الحليم عبد الله
من منظور الفرج الروائي

للدكتور فتحي محمد أبو عيسى

- ٣ -

البطولة في الشخصية ، التي
تستقى منها الرواية مادتها
وأحداثها •

فالأُسرة : الأبوان والاخت
(بوران) — يضطلع كل فرد فيها
بدور •• فالأُم لا تلبث أن تتوارى
في زحمة المواقف ، وكأنما تناولها
الروائي بقفاز حريري ناعم ، شاء
أن يمضى عنها بعد اشارات خاطفة ،
ليجسد شخصية (الأب) بكل ما فيه
من ولاء لجوسيته ، وتقديس لعاداته
وحرص على تقاليده ، وشخصية
كهذه تلغى عواطفها — وقد تكون
مشبوبة — أمام تحقيق رغبة من
الرغائب أو حفاظ على الشارات ،
وهل تتخرج في سبيل تلك الغاية
أن تركب المركب الخشن ، متذرعة
بالمكابرة واللجاجة !!

يدور محور الرواية الأساسي
— كما بدا ذلك من خلال المقالين
السابقين — على اماطة اللثام عن
« سلمان الفارسي » — رضى الله
عنه — في المقام الأول ••

يجهد الروائي الراحل « محمد
عبد الحليم عبد الله » في تكثيف
الأضواء عليه ، ثم يسلط شعاعا
على سائر الشخصيات التي
احتشدت في روايته ، موزعة على
الأدوار ، ومن ثم ترى ذلك
الشعاع يتبدى في أشكال مختلفة ،
اذ يخبو مرة ويلتمع مرة أخرى ،
ثم يقوى ويتوهج ثالثة •• ووفقا
لهذه الأضواء تنبسط الشخصيات
على مساحة الرواية وفي حيزها ،
وقد أخذت أنماطا فنية متسقة ،
تتصافر في النهاية على ابراز ملامح

وفكره .. وربما كان هذا أمرا طبيعيا في رواية يفرض موضوعها أن يتنبأ « العابد » فيها منزلة مرموقة ، ونطقا بارزا يشغله بين مواقف وأحداثها ، فليس يعنى الباحث عن الحقيقة — أيا كان — الا أن يكون مسدد الخطأ على درب المعرفة ، وأن يتزود بما يقرب اليه تلك الحقيقة ، وهذان المعنيان — لا شك — يملك زمامهما عابد شفت سريره .. ولا تفتأ الرواية بعد ذلك تقدم أحداثا تتشابك في شخصيات كل من « سهيل » و « أبى يعقوب » و « كعب القرظى » ومن اليهم في لقطات رائعة ، على ما فيها من لمح سريع ، الا أنها بلغت حد البراعة الفنية ، حيث كان القاسم المشترك في رسم هذه الشخصيات هى تلك المزايا التى تفرد كل منها في خلقه أو سلوكه بعيدا عن التدخل والامتزاج ..

ومن الجدير بالتنويه أن المرحوم « محمد عبد الحليم » كان من وراء تلك البراعة ، يضى عليها بعض لمسات الخيال ، مما جعل روايته

وأما (بوران) فهى الأخت الوديعه العطوف التى يحزننها أن ترى أخاها مقيدا بالأغلال ، موثوقا بالحبال ، ولهذا تبدو متقدمة العاطفة في مواجهة صلف الأب ، وعاطفته الصلدة ، وتظل على تلك الصورة من الحنو البالغ ، والانعطاف نحو أخيها ، رجاء أن تصح مسيرة المشاعر فى أسرة تجمع بينها لحة القرابة .

ويغلف الروائى « محمد عبد الحليم » بعض الشخصيات عنده بهالة من الغموض ، رامزا بذلك الى أن الحاسة الفنية فى شخوص الرواية لا ينبغى أن تكون من الدقة الصارمة بحيث تعنى بالتفريعات وتحفل بالتفصيلات ، كما هو الحال عند المؤرخ ..

ومن أجل ذلك جاءت شخصية العابد ، والراعى محددة الرسوم والمعالم ، مستغنيا بها عن تحديد الأسماء ، غير أن الحديث عن « العابد » يتشعب ويطول فى حوار شائق ، يلمس أقطار النفس وتصفح حرارته عاطفة « سلمان »

الى أبعد من ذلك في اختيـار الموضوع حين تسيطر على وعيه خاطرة قد تكون بعيدة عن الواقع الذى تتحرك به الحياة ، ومن هنا كانت رقعة الموضوعات أمامه رحبة واسعة تتراحم وتتدافع •

والروائى — صاحب الرؤية البعيدة — ينتقى من هذه الموضوعات ما يتجاوب مع فكره وشعوره ، وتبعاً لذلك يأتى اختلاف الموضوعات وتناولها عند روائى آخر •

والفنان « محمد عبد الحليم » متعدد الرؤى فى رواياته ، يتجلى ذلك عنده فيما خلفه من روايات •• وروايته « الباحث عن الحقيقة » — كما أومأنا — تتخذ من أحداث التاريخ مسرحاً ، على أرضه تلتقى شخصياتها •• وإذا قص التاريخ علينا سيرة (سلمان) — رضى الله عنه — فإن قصته لا تعدو أن تكون سرداً للمنعطفات التاريخية فى نطاق مألوف ، لا يستهدف الخواطر الكامنة فى أعماق الشخصية ، أو الحدث الذى تضطلع به ، ولكن « الباحث عن الحقيقة » — فوق

(الباحث عن الحقيقة) معرضاً يـموج باللمحات الفنية ، وما أكثرها فى أعماله الروائية ••

وأولى بنا وأقمن أن نؤصل الفكرة التى ذهبنا إليها فى موضوعية ، ولندع — بعد ذلك — ما يتراءى لنا فى تقويم فنية الرجل ، ومناقشة ما أثير من آراء مادحة أو قاذحة ••

ان للعمل الروائى أبعاداً معينة تتمثل فى اختيار الموضوع وتناوله ، وشخصيات الرواية ، ولغتها ، وفنية الحوار فيها الى غير ذلك مما هو جهير معروف ، فأين وقع الروائى (محمد عبد الحليم) من هذا كله ؟ وهل استطاع أن يطوع تلك العناصر ويعطيها من الأصباغ ما تتسق به ، وتتوازن ملامحها فى انسجام ، فلا يطغى عنصر فيها على حساب عنصر آخر ؟

لا محيد لنا — فى البداية — عن الاشارة الى حقيقة مهمة : أن الروائى الفنان يمكنه أن يطوع المرائى المشاهدة لقلمه، لتكون موضوعات لروايته ، وقد يذهب

أعماق الأفراد وينفذ الى كيانهم الداخلى ، وما يرسب فيه من جواهر باقية على الأبد ، أما من يقف عند السطح من المواقف والقضايا الاجتماعية فان عمله لا يبقى طويلا ، لأنه لا ينفذ فيه الى الحقائق الانسانية الخالدة ، ومعنى ذلك أن القصة ينبغي ألا يكون غرضها التسلية والمتعة السريعة الزائلة ، وانما الوصول أو النفوذ من خلال الوعي الكامل بالمجتمع الى الحقائق الانسانية ، بل الى جذور هذه الحقائق ودفائنها ومكوناتها » (١) •

وقد حاول الكاتب — وكان موفقا — أن يؤلف من بعض المواقف فى حياة (سلمان) عملا روائيا ، بمعنى أن الذى لفته الى تلك الشخصية « بحثه عن الحقيقة » ، وهى الحقيقة التى لقى فى سبيلها من المخاطر ما لقى ، حتى اذا رآها بعد رحلة طويلة استعذب فيها الآلام هب يرسخها

أنها تؤرخ لجوانب من حياة الصحابى الجليل (سلمان) — تعد تجسيدا لنبض خفقت به جوانحه ، واضطرب فى وجدانه ، فموضوعها — لذلك — يبدو مألوفاً مطروقا ، غير أن ابراز المعانى الدفينة ، وانتزاعها من الأغوار رغبة فى تصويرها ليس أمرا سهلا ، كما قد يخالغ بعض الباحثين ، فاذا أضيف الى تلك المحاولة محاولة أخرى ، تعكسها مقدرة الفنان على الابداع الفنى بما يشتمل عليه من خيالات تبتكرها ملكته ، لتواكب الموقف الذى يحدثنا عنه ألفينا أن عمل الروائى ومهمته شاقة جسيمة ••

يقول الدكتور « شوقي ضيف » :

« ان مادة القصة هى المجتمع وواقعه ، غير أنها تنتظر القصاص البارع كى يصوغها فى صور بشرية ثابتة ، والقصاصون كثيرون ، ولكن الذى يخلو منهم هو الذى يستطيع أن يتغلغل فى

(١) فى النقد الأدبى ٢٢٨ (دار المعارف) •

وهذا النموذج الروائي تشكله جملة من الحقائق ، تختلف فيها الرواية عن القصيدة ، اذ القصيدة لا تنبسط فيها عناصر الموضوع على نحو ما تتجه الرواية ، وليس من شك في أن الروائي القدير يستطيع أن يجعل من عمله الروائي نمطا راقيا يكسب التفرد ، ويضفي عليه استقلالا وشخصية « ينفصل بها عن نظرائه وأشباهه ، وكأنها النموذج التام في الأدب كالنموذج في الطبيعة ، اذ لا يوجد فيها نموذجان بصورة واحدة ، بل ان شجرتين من نوع واحد تختلفان في الساق والعصون والفروع ، بل ان ورقتين في شجرة واحدة لا تزال نجد بينهما اختلافا بحسب ما تستقبل كل منهما من ضوء الشمس والظل والرياح ..

فكرة التفرد في النموذج الأدبي فكرة تطابق طبائع الأشياء في الوجود ، وارجع الى الانسان فانك لن تجد شخصا يكرر شخصا آخر ، بل دائما حتى بين الأب والابن تقوم أسرار فاصلة في المزاج والطباع والشكل والملامح ،

في نفوس القوم ، وذلك بعد أن صار واليا على « المدائن » من قبل « الفاروق عمر بن الخطاب » — رضى الله عنه — وأحسب لو أراد الكاتب أن يشعب المواقف ، ويعددها في حياة (سلمان) لفعل ، اذ في حياته من الثراء والعطاء ما يفجر المواهب ، ويغزو الملكات ، ولعل توقفه عند جانب منها : البحث عن الحقيقة هو مظهر الفنية في اختيار الموضوع ، ولوقد عمد الى أن يطرق مجالات تاريخية معروفة في حياته لاسـتحال الموضوع شيئا آخر ، قد لا تكتمل له فنية العروض ، وبراعة الاختيار ..

واذا كان « الحب » هو المعنى الذى يغلب على موضوعاته الروائية فتدور حوله ، فقد حول الحب في « الباحث عن الحقيقة » عن السمة التى واكبت موضوعاته الروائية ، ومحضه في مرتكز واحد تفردت به تلك الرواية عن سائر الاعمال الروائية عنده ، واستحقت أن تكون أنموذجا أدبيا رائعا بين رواياته ..

فالفردية جوهر من جواهر حياتنا ، بل من جواهر وحدات الوجود جميعها ، وعلى هذا القياس نماذج الأدب الجديرة بأن تسمى نماذج ، فانه ينبغي أن يكون لكل منها شكله وقسماته وملامحه التي تفرده عن غيره (١) » .

في ضوء هذه المعاني تبدو فكرة الرواية أو موضوعها متداولة ، مألوفة فالبحث عن الحقيقة معنى يتمثل في حياة كثير من الناس ، وربما يكون ديدن عديد منهم ، يعرف به ويدل عليه ، الا أن فنية الكاتب بعثت في الالف به نبضا جديدا ، جرى في بعض شرايين صنعها خيال الكاتب وطبيعته في معاشية المواقف والأحداث ، فكان أن تماسكت وحدات الموضوع ، وتناسقت لبناته في جدة وحيوية يخلعان عليه رواء الفن ، وعبقرية الملكة ..

ولا يفوتنا — على ذكر موضوع الرواية ، ومدى الافتتان في

التصرف فيه — أن ننبه الى تلك المعارك الأدبية التي اشتجرت فيها الأقلام بين المرحوم « محمد عبد الحليم عبد الله » وكتاب لامعين ، نذكر منهم الدكتور « بنت الشاطئ » التي أخذت على الكاتب « محمد عبد الحليم » أن « شمس الخريف تكرر لبعده الغروب » وأن « غصن الزيتون » و « شجرة اللبلاب » أنبتتاهما بذرة واحدة ، وتضيف الى ذلك ما قالت : « لقد ذكرني صنيع « عبد الحليم » حين كرر الغصن بالشجرة والغروب بالخريف بنادرة قيلت عن (بوانكاريه) في زيارته لانجلترا ، حين استقبل عشرين وفدا من شتى الطوائف ، وأصغى الى عشرين خطبة ترحيب به ، فرد عليها عشرين مرة شاكرا دون أن يكرر عبارة واحدة في مرتين ، وروى (ابن بسام) في « الذخيرة » أنه سمع وزيرا من وزراء (أشبيلية) يقول عن (ابن زيدون) : لعهدى بأبى الوليد قائما في مأتم بعض

ولندع حديثه عن المشابهة في الأدب العالمي الى ما ذكره في هذا المضممار من أن « الأديب لا يستطيع أن يعدم ويستهلك شخصيات وذكرياته أولا بأول بعد كل رواية ، ثم يقف من جديد ليخلق شخصيات وذكريات لا ترتبط بحق .. أما التشابه بين قصة « بعد الغروب » و « شمس الخريف » الذي زعمته الدكتورورة « بنت الشاطيء » فهو غير موجود الا بالقدر الذي يربط الأخوين أبناء الحلال بأبيهم . وهكذا الأمر بين « شجرة اللبلاب » و « غصن الزيتون » حيث تلوح فكرة « الشك » فيهما الا أن ذلك الشك كان من الضرورة والحتمية بمكان .

(يتبع)

دكتور فتحي محمد أبو عيسى

حرمة ، والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمعناه يجيب بما أجاب به غيره (١) » . ومهما يكن من شيء فان موضوع الرواية عند (محمد عبد الحليم) لم يجمد عند حدود هذه الموضوعات ..

نعم قد تسيطر عليه أحيانا أفكار تتكرر في بعض أعماله الروائية ، ولكنه - مع ذلك - استطاع أن يعدو هذا الطور ، ويتجاوز تلك المرحلة ، ويعزى ذلك الى تطور الرؤية عنده ، وانفساح النظرة الى العمل الفني لديه ، حتى ليصح وصفه بأنه كاتب متعدد النزعة .

ولئن تجرد «محمد عبد الحليم» للرد على ما أثارتته الدكتورورة « بنت الشاطيء » انه كان محقا في دفاعه عن موقفه حيال هذه القضية .

رمضان والفضائل النفسية

دكتور عهد الغنى الراجحي

صلة به بقية شهور العام ، حتى يأتي رمضان القادم ، فيتجدد ما تبدد من هذا الرصيد وتلك الحصيلة ، ويعطيهم طاقة أخرى جديدة من الزاد الروحي ، والمدد الفكري ، والثقافي والاجتماعي ، الذي يسعدون به في الدنيا والآخرة ، ويبلغون به في مدارج الحضارة والرقى ، والكمالات النفسية والسلوك الانساني النظيف ، أعلى الدرجات وأكمل المستويات ، ولعل ذلك هو مايشير اليه الحديث النبوي القائل « لو علمت أمتي مالها من الفضل والكرامة عند الله في رمضان لتمنت أن تكون السنة كلها رمضان »

سوق تقوم ثم تنفض ، يربح ويخسر فيها من خسر ، أما الخاسر

رمضان — أيامه ولياليه ، صيامه وقيامه ، ودروسه وقرآنه ، وأحاديثه وثقافته ، وأمجاده وابتهاج المسلمين به ، في مشارق الأرض ومغاربها ، لازمة من اللوازم ، وظاهرة من الظواهر العربية والاسلامية ، عبر الأجيال الى أن تقوم الساعة ، ويرث الله الأرض ومن عليها •

مجرد ذكر رمضان يعطي شحنة كبيرة من الطاقات الروحية والاجتماعية في البيئة العربية والاسلامية ، عندما يهل هلاله ، وتتابع بين المسلمين لياليه وأيامه ، يمكن للمسلمين أن يخرجوا منه بحصيلة كبيرة وزاد ثقافي كبير ، ورصيد اجتماعي وديني وفير ، يقضون على مدده وعلى

الشريف الصحيح •

ففى رمضان يتشبه المسلمون فى صيامهم وقيامهم بملائكة الله المقربين ، المنزهين عن الطعام والشراب وشهوة الجنس ، وفى كل انسان عنصران - عنصر مَادى ترابى كثيف ، وعنصر رُوحانى سماوى نظيف ، فمن غلبت عليه مظاهر العنصر الأول الكثيف فهو الى الحيوانية والبهيمية أقرب .. ومن غلبت عليه مظاهر العنصر الثانى الروحانى اللطيف ، فهو الى الملائكة أقرب ، وبالعالم المجردات أشبه ، والى هذين العنصرين فى التركيب البشرى يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى : « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » (١) فقد أشار هذا النص الكريم الى العنصرين اللذين تتركب منهما حقيقة الانسان ، المادة والروح ، ولا يزال الانسان يسفل فى درجات

فقد خرج منها صفر اليدين ، وكان من الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، حال الشيطان بينهم وبين ما جاء به رمضان من مناهج الهدى والخير والبركة ، فلم يصوموا يومه ، ولم يقوموا ليله ، ولم يقدموا فيه مثقال ذرة من صالح الأعمال ، وظلوا فى ضلالهم يعمهون ، لم يرفعوا له رأسا ، ولم يقدموا فيه خيرا ، ولم يلقوا اليه بالا ، وأما الرابع فقد أمده رمضان بالمعانى الدينية ، والقيم الاجتماعية ، والروحانية ، والذكريات المجيدة ، والعبادات المشروعة ، التى تقربه الى ربه ، وتنتقل بالنفس البشرية من حضيض البهيمية الى أبهى صورها وأسمى كمالاتها ، حتى أن الله سبحانه يباهى ملائكته بعباده الصائمين ، فيقول لهم انظروا يا ملائكتى الى عبدى ، ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل الصوم لى وأنا أجزي به » كما جاء فى الحديث

العنصر الأول حتى يكون أحط في شرف الوجود وفضله من البهائم والعجاوات ، ولا يزال يترقى في مدارج العنصر الثانى الى أن يبلغ من شرف الوجود وفضله مرتبة ربما فاقت مرتبة الملائكة المقربين .

ان رمضان بصيامه وقيامه ، وروحانياته وذكرياته وأمجاده القرآنية ، يعتبر فرصة سانحة ومنهجا ربانيا لتقوى في المسلم روحانياته ، وقيمه الروحية على ماديته وقيمه المادية ، التى من شأنها أن تكون حائلة بينه وبين الادراك الصحيح لجلال الحق وجمال الحق جل جلاله .

ان الاتهمك في اللذائذ الحسية من مأكّل ومشرب وجنس ، بهيمية قال الله في أصحابها : « يمتنعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » (١) ويقول الحديث الصحيح فيها : « الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معى واحد » - فاذا خرج المسلمون من

شهر رمضان بحصيلة القيم الروحية ، والمدارك المعنوية والدينية والالهية ، يعبئون بها نفوسهم لتدفعهم الى التحلى بالفضائل ، والتشبه بالكمالات الربانية على قدر الطاقة البشرية ، فقد خرجوا من رمضان بمعين لا ينضب ، ومدد لا ينفد ، وزاد يتزودون به ليلغوا القمة والذروة في معالم الانسانية ، وفضائل النفس البشرية .

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

هذه الكمالات تدفع بالانسان الى كل ما هو نافع ومفيد وبناء ، تقوى همته وتشحذ عزمته وتشد ارادته ، وتجعله أكثر انتاجا ، وأقوى على الصمود والجلاد والجهاد ، في ميادين العمل وميادين الانتاج وميادين الجهاد ، ومن هنا تسقط عن درجته الاعتبار قوله القائلين : ان الصيام يكون سببا في

(١) من الآية ١٢ سورة محمد

في تنفيذها ، وانتصارها على الشهوات الفانية ، فشهوة البطن وشهوة الفرج ، تدعو الانسان الى ممارستها ، ومن شأن الانسان أن يكون أسرع استجابة الى صوت الشهوات منه الى صوت العقل والحكمة ، ولكنه بالصيام يتدرب ويتمرن على أن يكون أكثر استجابة الى صوت الحكمة والعقل ، منه الى صوت الشهوات ، واذا دعت نفسه الأمانة بالسوء الى شيء من هذه الشهوات المفسدة للصيام ، دعاه صوت الحكمة والعقل أن يكون ذا ارادة حديدية ، لا تلين أمام هذه المغريات مهما اثنتتها النفس ، فيستمسك بصيامه ويلوذ بطاعة ربه ، وتتمرس نفسه على هذا الصنيع من انتصار ارادته دائما أبدا ، في ميادين جهاد النفس والهوى والشيطان ، فتصير قوة الارادة له خلقا وكيفية راسخة في نفسه ، يشق طريقه بها في حياته موفقا منتصرا متألق النفس والروح ، صلب الارادة قوى

ضعف الانتاج ، وقلته ، فان القوى المادية اذا لم تكن لها خلفية من القوى الروحية تشحذها وتدفعها وتصبغها بصبغة الايمان والتضحية والاستبسال ، كانت لا محالة قليلة الجدوى ضعيفة الأثر . وتلك حقيقة يؤكدنا لنا ما نراه من الربط الوثيق بين الصيام وانتصار المسلمين في بدر ، ثم في غزوة الفتح ثم في معارك العبور في العاشر من رمضان المبارك ، والسادس من أكتوبر ١٩٧٣ يوم عبرنا القناة ، وحططنا خط بارليف ، وزلزلنا الارض تحت أقدام اليهود بصيحة الله أكبر ، وأعاد التاريخ نفسه وتكرر المشهد الذي قال الله فيه منذ أربعة عشر قرنا من الزمن : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » (١) . ومن توابع ذلك ومتمماته ، ما يتدرب عليه المسلمون في شهر الصيام ، من قوة الارادة والصلابة

صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »
والحديث الذى يفيد أن قوة الارادة التى يتحلى بها الصائم مانعة له عن فعل القبائح جميعها ،
واتيان الرذائل ما ظهر وما بطن
فيقول صلى الله عليه وسلم « الصوم جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق وان شتمه أحد فليقل انى صائم انى صائم » ويقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ويقول : « كم من صائم ليس من صومه الا جوعه وعطشه »
ويقول : « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق فضيقوا مجاريه - قالوا : بم يارسول الله ؟ مال : بالجوع »
ويقول فى امرأتين اغتابتا الناس وهما صائمتان : ان هاتين صامتا عما حلال الله وأفطرتا على ما حرم الله « يعنى لحوم الناس •

العزيمة ، يملك زمام نفسه ولا تملك نفسه زمامه ، فمن ملك زمام نفسه نجا ونجت ، ومن ملكته نفسه هلك وهلك ، وصدق الله حيث يقول :
« ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى أن ربي غفور رحيم » (١)
وصدق البوصيرى وهو يقول :
والنفس كالطفل ان تتركه شب على حب الرضاع وان تطفمه ينظم فاحذر هوى النفس واحذر أن تواتيه ان الهوى ما تولى يصم أو يصم •
وهكذا تدعو قوة الارادة الى الوقوف فى وجه النزوات جميعها ، والمغريات الداعية انى الوقوع فيما يغضب الله من سائر المعاصى والآثام ، والتورط فى الاندفاعات والهفوات التى يكون التورط فيها عادة ناشئاً عن ضعف الارادة ، وضعف العزيمة وعدم ضبط النفس ، وكثيرا ما يعرف الانسان أن هذا الفعل قبيح ، ولكنه لا يملك نفسه من الوقوع فيه ، وفى هذا ورد الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول

ومن توابع ذلك كله ومتمماته ، ما تتربى عليه نفوس المسلمين في رمضان ، من فضيلة المراقبة لله ، والقيام بحقوق الأمانة ، بحافز من الذات والضمير وجوانبه الانسانية ، وابتغاء وجه ربه الأعلى ، فكم يستطيع الانسان الصائم أن يخلو الى نفسه ، فيأكل ما شاء أن يأكل ، ويشرب ما شاء بعيدا عن أعين الرقباء من الخلق ، ثم يخرج اليهم مندمجا في صفوفهم واحدا منهم كأنه صائم من الصائمين ، لكنه لا يفعل ذلك لأنه اذا استطاع الخفية عن أعين الرقباء من الناس فلن يستطيع الخفية عن أعين الخلاق العليم ، ولا يريد أن يكون من الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم « وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » (١) •

« ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » (٢) •

ألا يرى الى ما في قوة الارادة عند الصائم من كسر العادة ونبذها ، والانفكاك من أسرها ، فبعد أن يتعود الناس على مدى أحد عشر شهرا أن يصبحوا فيفطروا ، ثم يأتي وقت الغذاء فالعشاء وهكذا دواليك ، مع ما تعودوا أن يتعاطوه على فترات مختلفة من قهوة أو شاي أو مثلجات أو ما شاكل ذلك ، يأتيهم رمضان بنظام جديد وتوقيت جديد ، يرضخون ويذللون أنفسهم وحياتهم ، ونظامهم المعيشي على وفقه ، من افطار وسحور ، وما يحل تعاطيه فيما بين الافطار والسحور وكفى •

ان قوة الارادة المعينة على كسر العادة ، والمتحصلة من فضيلة الصيام ، تستطيع أن تساعد الكثيرين على التخلص من عاداتهم السيئة من الكيفيات وغيرها ، التي أدمنوها واعتادوا عليها ، وهي لا يرضى بها عقل ولا دين ، فليجربوا اذا شاءوا •

(١) سورة الحديد من الآية ٤

(٢) سورة المجادلة من الآية ٧

ويستطيع المسلمون أن يخرجوا من رمضان برصيد من حصيلته ، فيما يتعلق بمشاعر الوحدة بينهم ، في أمر ان كان مظهريا الا أنه يعبر أصدق تعبير عن أمر جوهرى ، لا غنى لهم عنه اذا ما أرادوا القوة والعزة والكرامة ، وهو الوحدة ، فان المغرب يؤذن فتسمعه ملايين المسلمين فينطلقون الى انهاء الصيام وبدء الفطر في لحظات جماعية ، وان تفرقت بهم الأماكن والديار والبيوت ، فهذه اللحظة الحاسمة التى كانوا يترقبونها قد وحدث بينهم فى شعور واحد ، وعمل واحد مشترك هو الافطار : وكذلك ينطلق مدفع الامساك ، أو يؤذن للفجر فيمسك ملايين المسلمين فى وقت واحد ، ولحظة واحدة عن الطعام والشراب ، يضم شملهم عمل واحد ، وموقف واحد ، وان نأت بهم الديار ، وتفرقت بهم الأماكن والبلاد ، لقد كان من تعاليم الاسلام وسنته المنحوبة تعجيل الفطر وتأخير السحور ، يفطر الصائم فيحس بالفرحة والبهجة ، لأنه أدى

الأمانة ، واقتحم العقبة ، ونجح فى طاعة ربه وخذلان شيطانه ، مرددا هذا الدعاء المشهور « اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ، وبك آمنت وعليك توكلت ، ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر ، ان شاء الله ، يا واسع الفضل اغفر لى » ثم يحس احساسا قويا بمدى صدق الحديث الصحيح الذى يقول فيه نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه : « للصائم فرحتان • فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » ويتسحر الصائمون استعانة لهم بالسحور على طاعة الله فى صيام يومهم القادم ، ويجدون لذلك راحة نفسية واعدادا نفسيا ، وتجهيزا عمليا للقيام بطاعة الله ومرضاته ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : « تسحروا فان فى السحور بركة » فمن يسر الاسلام وعدم الحرج والمشقة فيه ، ورعايته لمطالب الروح والجسد معا ، أن كره الاسلام للمسلمين الوصال فى الصيام على معنى أنهم لا يتسحرون ، وكانوا

واحكام ، فقبل أذان المغرب بدقيقة واحدة ، لا يحل شئ من الطعام والشراب ، فاذا ما نطق المؤذن بقوله الله أكبر فقد حل ما كان حراما ، وسبحان من حرم الحلال بالصيام ، وحل الحرام بالفطر ، وكذلك الشأن في طلوع الفجر ، فكل شئ حلال مادام الليل ، فاذا طلع الفجر حرم ما كان حلالا ، وحصل الانتظام والانضباط في طرفي النهار ، فيما بين جموع المسلمين وملايين المسلمين ، وان اختلفت أزمان ذلك في بعض القطاعات عنها في بعض آخر ، الا أن معنى الانضباط لا محالة قائم ، والانضباط سر الحياة وسر النجاح فيها ، وقد يستطيع المسلمون أن يدركوا ويحسوا في نهاية شهر الصيام ، أن جسومهم بالجوع قد تخلصت من كثير من سمومها ، وأدرانها ، وأن كثيرا من أجهزة الجسم قد أخذت راحتها طيلة الصيام ، من مضار البطنة وامتلاء المعدة بالطعام والشراب ، فما ملأ

في مبدأ الاسلام يتخرجون من الطعام والشراب والجماع ، بعد أن يصلوا العشاء ، فنزل قوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرقت الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » (١) *

ولما نهى النبي المسلمين عن الوصال ، قالوا له : انك تواصل يا رسول الله ، فقال لهم : اننى لمست كهيتكم ، اننى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقيني ، فكان ذلك خصوصية له صلى الله عليه وسلم ، ومن لواحق ذلك وتوابعه ، أن يتمرس المسلمون على عملية النظام والانضباط ، فيتخذون ذلك ديدنا لهم في ممارسة حياتهم بعامة ، فيكون ذلك أرجى لنجاحهم في أعمالهم ونظم حياتهم ومسيرتها ، يشقون طريقهم فيها بدقة ونظام

« وأن تصوموا خير لكم أن كنتم تعلمون » (٢) فإذا كانت التقوى هي حصيلة الصيام ، فإنها كلمة جامعة لكل خير ، ومنافية لكل شر ، وهي رأس الأمر كله كما ورد في حديث النبي لمعاذ : « عليك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله » وكذلك كانت الخيرية في الآية الأخرى كلمة جامعة لكل فضيلة ، وكل نافع ومفيد في الدنيا أو في الآخرة ، على مستوى الفرد ومستوى الجماعة ، ومستوى الأمة الإسلامية كلها ، من الوجهة الدينية ، والاجتماعية والصحية والنفسية .

أن الشارع الحكيم ، لم ينس أن يتوج الأعمال الرمضانية التي تزكو بها النفوس ، ويستقيم عليها السلوك ، وتتضج بها حياة المسلمين بتاج أخير من العمل الجليل ، الذي لا يقبل صيام رمضان عند الله إلا به ، فشرع زكاة الفطر التي قال عنها نبي الإسلام ، صلى الله

ابن آدام وعاء شرا من بطنه ، وفي الحديث الصحيح جوعوا تصحوا ، وقد سبق ذكره ، فإذا ما أحس الصائمون في نهار رمضان ببعض الفتور والضعف ، فإنهم لا محالة بعد انقضاء الشهر سوف يكونون أنشط وأقوى بدنا ، فيعودون الى مضاعفة الانتاج ، واجادة العمل تعويضا عما عسى أن يكون قد نقص من ذلك ، أو ضعف في شهر الصيام .

ان هذه الحصيلة الرمضانية ، والثمرات التي يجنيها الصائمون من شهر الصيام ، والانطباعات التي تشبعت بها أحاسيسهم ، ومواجدهم ، نستطيع أن نجد القرآن قد جمعها على تفرق شتاتها ، وفروعها ، في كلمات قليلة من جوامع الكلم ، تلك التي يقول فيها : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١) . وقوله تعالى في آية أخرى :

(١) سورة البقرة ١٨٣

(٢) سورة البقرة ١٨٤

ينتقلون فيه من طاعة الى طاعة
ومن ممارسة الى ممارسة ، ومن
موقع الى موقع ، منهج تربوي
اسلامى ، يربى أمة الاسلام على
عمل الخير ، وخير العمل ، حتى تكون
بين أمم الأرض أمة رائدة ، تهدى
بدينها وقرآنها وسلوكها أهل
الأرض ، الى أرفع المثل ، وأنبل
الغايات ، ويتحقق فيها قول الله :
«كنتم خير أمة أخرجت للناس»(٢) .

دكتور عبد الفنى الراجحي

عليه وسلم : « صوم رمضان معلق
بين السماء والأرض لا يرفع
الا بزكاة الفطر » وقال : « زكاة
الفطر طهرة للصائم وطعممة
للمسكين » ثم تكون كلمة الختام
وحفل الوداع لرمضان ، هى صلاة
عيد الفطر ، بما فيها من التكبير
الذى قال الله فيه : « ولتكمّلوا
العدة ولتكبّروا الله على ما هداكم
ولعلكم تشكرون » (١) .

ان رمضان مهرجان اسلامى
وضعه الشارع الحكيم للمسلمين



(١) البقرة من الآية ١٨٥ .

(٢) آل عمران ١١٠ .

واجب المسلمين نحو القرآن في شهر القرآن

للأستاذ محمد شلي

سأل قيصر الروم أحد قواده يوماً عن سبب هزيمة جيشه أمام المسلمين ، رغم أنهم — أى الروم — كانوا أكثر عدداً وعدة ، وأعز نفراً وجنداً ، فقال له القائد الحكيم :

« لقد انهزمنا ودمرنا وضعنا من أجل أننا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونشهد بالزور ، ونجور ونظلم . »
وانتصر المسلمون لأنهم

صادقون متقون ، لا يشربون الخمر ، ولا يأتون الفاحشة ، ويحكمون بالعدل ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . »

إن الفضل هو ما شهد به الأعداء كما يقولون ، فقد أعلن

القائد الرومى أن النصر الذى حققه المسلمون سببه : صدقهم وتقواهم ، وعدم شربهم الخمر ، وبعدهم عن الفاحشة ، وحكمهم بالعدل ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

ومن أين للمسلمين هذه الصفات النبيلة ، وتلك الأخلاق الكريمة التى مكنت لهم فى الأرض وكانت من أسباب النصر ؟

إنه القرآن الكريم ، الذى أكرمنا الله — سبحانه وتعالى — به فى هذا الشهر العظيم : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

ذلك لكل جيل قوة التأويل في معانيه
الحادثة الصحيحة ، وقوة التكوين
في آدابه الصالحة القوية كأنه ليس
في زمن مضى ، ولا كان لأمة
سـلـفـت ، ولا هو لتاريخ وقع

وانقطع » •

فاذا أنت تدبرت هذا واستدللت
عليه بما أظهره هذا الجيل العلمي
في القرآن ، مما وافق الحقائق
الطبيعية والكونية والاجتماعية ،
فلن يأتى لك من ذلك الا معنى
واحد تستخرجه وتقتنع به ، وهو
أن هذا الكتاب الكريم أثر غيبي ،
كان في علم الله قبل كل الأزمنة ،
فهو يحويها كلها ، وكأنه يوجد معها
كلها ، وبذلك يتعين أنه هداية الهية
في أسلوب انساني يحمل في نفسه
دليل اعجازه ، ويكون القرآن
منفردا في التاريخ بأنه منذ أنزل
لا يبرح في كل عصر من ناحيتين
صادقتين : ناحية الماضي ، وناحية
الحاضر •

وقد ثبت أن رسول الله — صلى
الله عليه وسلم — قبض ولم يفسر
من القرآن الكريم الا قليلا جدا •
وهذا وحده يجعل كل منصف

القرآن الذى يقول عنه المرحوم
الأديب : مصطفى صادق الرافعى
في كتابه القيم : « اعجاز القرآن »
والذى سنحاول أن نقتبس بعض
فقراته عن القرآن • قال :

« لم يأت دين من الأديان بمعجزة
توضع بين يدى الناس يبحث فيها
أهل كل عصر بوسائل عصرهم ،
غير الاسلام بما أنزل فيه من
القرآن •

ان القرآن أنزل لتكون كل نفس
سامية نسخة حية من معانيه ،
وليكون هو النفس المعنوية
الكبرى ، فهو كتاب ولكنه مع ذلك
مجموعة العالم الانسانى » •

ويقول الرافعى : « ولكنه مع
ذلك كتاب ، أى : كلام ومعان
تتسع لكل الأزمنة ، وتحتمل
اختلافها الذى تختلف به ، ثم هى
تحدد هذا الاختلاف ، فترده الى
القانون الانسانى الأعلى ، الذى
يسرى فيه اليقين العام ، ليحفظ
الانسانية على أهلها ، ومن ثم :
تراه يجمع في نفسه الثبات الزمنى ،
فلا يتغير ولا يتبدل ، ثم يجمع الى

يقول : أشهد أن محمدا رسول الله •

« ان أكرمكم عند الله أتقاكم » •
تأمل كيف أقام القرآن الكريم هذا الأساس الأدبي العظيم ، فجعل أكرم الناس المتساوين جميعا في الحالتين الفردية والاجتماعية هو « أتقاهم » أى أعظمهم خلقا ، لا أوفرهم مالا ولا أحسنهم حالا ولا أكثرهم رجالا ولا أثق بهم فهما ولا أعلمهم علما ولا أقواهم قوة ، ولا شئ من ذلك وأشباه ذلك مما لا يتفاضل به الناس على التحقيق الا فى ادبار الدولة ، واضطراب الاجتماع ، وفساد العمران •

« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » •

المعروف هو كل ما يعرفه العقل الصحيح حقا ، والمنكر كل ما ينكره •

ففى ذلك تقويم لكل انسان من الملوك فمن دونهم ، غير أن هذا المعنى لم يكن على حقيقته الا فى أهل الصدر الأول للإسلام •
والآن : ما هو واجبنا نحو القرآن فى شهر القرآن ؟

اذ لو كان صلى الله عليه وسلم فسر للعرب بما يحتمله زمانهم ، وتطبيقه أفهامهم ، لجمد القرآن جمودا تهدمه عليه الأزمنة والعصرو بآلاتها ووسائلها ، فان كلام الرسول نص قاطع ، ولكنه ترك تاريخ الانسانية يفسر كتاب الانسانية ، فتأمل حكمة ذلك السكوت : فهى اعجاز لا يكابر فيه الا من قلع مخه من رأسه •

كان العرب يأخذون القرآن على لسان أفصح خلق الله منطلقا ، وأصحبهم أداء ، وأجملهم إيماء ، وأبدعهم فى الاشارة ، وأبينهم فى العبارة ، وهو صلى الله عليه وسلم كان بينهم مظهر خطاب الله لأولى الألباب •

لا جرم أن القرآن هو سر السماء ، فهو نور الله فى أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود فى دولة الأرض الى أن تزول ، وكذلك تمادى العرب فى طغيانهم يعمهون ، وظلت آياته تلقف ما يأفكون قوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون •

لا ينقذنا الا منهاج اجتماعي مستمد من كتاب الله تبارك وتعالى ، منهاج مأخوذ من كتاب الله وصادر عنه ، وأن كل نظام اجتماعي حيوي لا يعتمد على القرآن الكريم ، ولا يستمد من القرآن الكريم في كل ناحية من نواحي الحياة ، منهاج فاشل .
فمثلا هم يعالجون الحالة الاقتصادية بترقيعات لا تسمن ولا تغنى ، على حين أن القرآن الكريم :

- نظم الزكاة .
- حرم الربا .
- أوجب الكسب والعمل .
- منع الترف .
- أوجد التراحم بين الناس .

وبهذا تحل مشكلة الفقر ، وبغير هذا لا يمكن أن يكون ، وغير هذا لا يتعدى أن يكون مسكنات وقتية .

في محاربة الجريمة مثلا : هل نضع السارق في السجن ليتخصص على أساتذة الاجرام ؟ وكلما طالت

لقد أجاب عن هذا السؤال أحد رواد الفكر الاسلامي في العصر الحديث فقال :
« في الحقيقة ان الانسان ليعجب من موقف الناس أمام كتاب الله تعالى : « القرآن الكريم » ان موقف الناس من كتاب الله في هذه الأيام ، مثلهم كمثّل جماعة أحاط بهم الظلام من كل مكان ، فهم يتخبطون فيه ، ويسرون فيه على غير هدى .

فتارة يقعون في هاوية ، وأخرى يصدمون بحجر ، وثالثة يصطدم بعضهم ببعض ، ولا يزالون يخبطون خبطا عشوائيا ، ويسرون في ظلام دامس ، مع أن بين أيديهم زرا كهربائيا لو وصلت اليه أصابعهم فان حركة يسيرة يمكن أن توقد مصباحا مشرقا منيرا .

فهذا هو مثل الناس الآن ، مثل كتاب الله وموقفهم من القرآن . فما هو واجبنا الآن نحو القرآن ؟

واجبنا نحو القرآن الكريم :
« أن نؤمن ايمانا جازما قويا لا ضعف فيه ولا وهن معه ، بأن

مدة اقامته في السجن زاد تخصصه في الاجرام .

واذا كان الأخذ بهذا النص القرآني : « أن ينفوا من الأرض » قد أفادت البلاد منه كثيرا فما بالك يا أخى لو طبق النظام جميعه ؟

الاسلام وحدة واحدة ، لا يقبل الشراكة ، فيجب أن نؤمن بأن الاسلام هو الصالح لانقاذ الأمة من كل ناحية من نواحي حياتها .

علينا بعد ذلك — نحن المسلمين — نحو كتاب الله — تبارك وتعالى — أن نتخذ منه أنيسا وسميرا ومعلما ، نتلوه ونقرأه ، وألا يمر بنا يوم من الأيام حتى تكون لنا صلة بالله ، وبكتاب الله تبارك وتعالى .

وعلىنا بعد ذلك أن نلاحظ حين نقرأ القرآن آداب التلاوة ، وحين نسمع كتاب الله آداب الاستماع ، وأن نحاول ما استطعنا أن نتدبر وأن نتأثر .

وبعد أن نؤمن بأن كتاب الله هو المنقذ الوحيد ، بعد هذا يجب

علينا أن نصل الى العمل بأحكامه تطبيقا عمليا ، فحين نقرأ القرآن يجب أن نتقف عند أحكامه وحدوده ، فمن لم يكن يصلى ويقرأ قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة » فلا بد أن يصلى . وحين نقرأ : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » فيجب أن تؤدى الى كل ذى حق حقه ، ويجب ألا تحتاج الى من يحملك على هذا ، فالحلال بين والحرام بين .

وعن فضل القرآن والشرعية الاسلامية تكلم كثيرون ، ولكن في هذه العجالة سنحاول أن نورد آراء الكتاب والمفكرين من غير المسلمين ، الذين أدركوا فضل الاسلام .

قال الأستاذ : يوسف زخريا — وهو مسيحي يقوم بتدريس الشريعة الاسلامية في الجامعة الأمريكية — مبينا فضل الشريعة الاسلامية :

« ان الشريعة الاسلامية تمتاز عن سواها من الشرائع المعمول بها في عصرنا بأنها فضلا عن كونها

فهو الدين الذى أعطى أرسخ
الشرائع نباتا » •

واقراً معى أيها الأخ المسلم
ما قاله « شيرل » عميد كلية
الحقوق بجامعة « فينا » عن
الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ان البشرية لتفخر بانتساب
رجل « كمحمد » اليها فقد
استطاع — على أميته — أن يأتى
قبل بضعة عشر قرناً ، بتشريع
سنكون نحن الأوروبيين أسعد
ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد
ألفى عام » •

وفى شهر يوليو عام ١٩٥١
انعقد فى باريس مؤتمر أسبوع
الفقه الاسلامى ، فى كلية الحقوق
بجامعة السربون ، بدعوة من لجنة
الحقوق فى المجتمع الدولى للقانون
المقارن ، وبعد أن ألقى عدد من
الأعضاء محاضراتهم عن الفقه
الاسلامى ، وتبين منها أصالة
التشريع الاسلامى واشتماله على
ثروة حقوقية ، ونظريات قانونية
خالدة القيمة ، اتخذ المؤتمر قراراً
جاء فيه مانصه :

مجموعة القواعد التى يجب أن
يتبعها كل مسلم ، بما حوت من
أمر ونهى ، هى أيضاً شريعة مدنية
صالحة للأمم التى لا تزال تعمل
بها سواء كانت هذه الأمم مسلمة
أم غير مسلمة » •

ويعلن « هوكنج » أستاذ
الفلسفة بجامعة « هارفرد » :
« أن سبيل تقدم البلاد
الاسلامية ليس اتخاذ الأساليب
الغربية المتكررة للدين كموجه
لحياتهم اليومية ، وإنما سبيل
تقدمهم ونموهم اتخاذ الدين
مصدراً ، فنظام الاسلام يستطيع
توليد أفكار جديدة ، وأحكام
مستقلة متفقة مع الحياة » •

وانى أشعر بأنى على حق ، حين
أقر : أن الشريعة الاسلامية
تحتوى بوفرة على جميع المبادئ
اللازمة لارتقاء الانسان » •
ويقول الدكتور « أنريكو انسايا
تومين » :

« ان الاسلام — مع احتفاظه
بحيويته وقوته وأصالته — يتمشى
مع مقتضيات الحاجات العصرية ،

« ان مبادئ الفقه الاسلامى لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها ، وأن اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية ، هى مئاز الاعجاب ، وبها يستطيع الفقه الاسلامى أن يستجيب لمطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها » .

بمقاصد القرآن ، ويكفى برهاننا على بطلانه تاريخ صدر الاسلام ، وعناية علماء العرب بالعلوم والفنون ، ودراساتهم لكتب الحكماء الأقدمين .

ان الاسلام قد أكد منذ الساعة الأولى لظهوره أنه دين عام ، يصلح لكل جنس وصنف ، ولكل عقل وعصر ، ولكل درجة من درجات الحضارة .

وبعد :

فهذا هو القرآن من وجهة النظر الاسلامية ، وتلك هى آراء بعض المستشرقين المنصفين فيه ، وفى الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى . وذلك هو واجبنا نحو القرآن فى رمضان شهر القرآن ، وفقنا الله الى العمل بما فيه ، باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، فنسعد فى دنيانا ، ويرضى عنا الله ورسوله يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

محمد ثلبي

وينفى « ريتشارد وود » ما يقال عن القرآن : من أنه حائل دون النهوض بالانسان ، والارتقاء بفكره وحياته ، فان القرآن يتضمن أحكام الدين ، وفى الوقت نفسه يتضمن الأمور المدنية والشئون السياسية .

ويقول « ريتشارد وود » نفسه :

« ان كثيرا من المستشرقين يزعمون أن المسلمين لن يتقدموا ما داموا بنصوص القرآن التى لا تتلاءم — بزعمهم — مع المعارف والفنون الحديثة » .

وهذا وهم باطل نشأ عن الجهل

هواتف

طَلَبُ الْعِلْمِ

للدكتور إبراهيم علي أبو الخشب

في الحديث الشريف ما يفيد أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وربما كان هذا العلم الذي يقصد اليه الحديث هنا ، هو هذا الذي يصحح به المسلم سلوكه مع الله - سبحانه وتعالى - لتكون عبادته له على بصيرة تامة ، ووعى سليم ، لا تشوبها خرافة ، ولا يداخلها تزريد ولا مبالغة ، ولا يحيط بها جهل ولا تخبط ، وانما تكون كما رسمها القرآن الكريم ، وبينتها السنة النبوية المطهرة ، وان كان طلب العلم ، والاشتغال به ، والتحصيل له ، والعيش معه ، والانتساب اليه ، شرف لا يدانيه شرف ، ولا يعدله جاه أو سلطان ، الا أن هنالك معنى وراء ذلك كله

قلما يفطن له الناس ، ويلتفتون اليه ، ويدور بخلدكم أنه مقترن به ، أو ملازم له ، وذلك هو ما يجده الطالب حينما تربطه به الأسباب ، وتصله به تلك الوشائج النبيلة التي تعلق ذهنه به ، وتحول نظره اليه ، وتفكيره فيه ، فانه - حينئذ - يحلق في جو من السعادة التي لا يجدها الا الشعراء ، وهم يحلقون في ملكوت السماوات والارض ، يبحثون عن صورة جميلة ، أو معنى رائع ، وقد أدركت بنفسى هذه الحقيقة التي لاشك فيها وأنا أقلب خزانة كتيبى ، بحثا عن سفر أعاود النظر اليه ، أو القراءة له ، لأتصور عهدى به لأول مرة ربطتنى به الأسباب ، وجمعت بينى وبينه

المناسبات ، وربما كررت هذه الزيارة لخزانة كتبي هذه مرة وأخرى ، اذا وجدت ملا من جهد بذلته ، أو عناء قاسيته ، فلا يخفف عني ما ألاقيه الا عيشي في هذه الرحاب الطاهرة ، والأجواء العطرة ، وكثيرا ما تغمرني الفرحة البالغة ، والغبطة العميقة ، والبهجة الحلوة ، اذا وجدت كتابا كنت قد قطعت الرجاء منه ، أو الأمل فيه ، اذ ظننت أن أحدا قد استعاره ولم يرده الى ، وما أدري ان كان ذلك لأن كتب الانسان — كما يقول بعض الأدباء — كفلذات أكباد الذين يوليه من حـدبه عليهم ، واغـتباطه بهم ، وميله اليهم ، وهشاشته لهم ، وما لا يمكن أن يتصوره الا الأب الحاني على أولاده ، الذي يتصور السعادة كلها في ذلك الاشراف الذي ترسله وجوهم وموسيقى نبراتهم وأصوات كلماتهم وهو ينظر اليهم ، أو يصغي الى أحاديثهم ، أو يقترب منهم ، وكثير من الغرائز البارزة في الانسان كحب الاستطلاع ، والحل

والتركيب ، والولوع بالكشف عن المجهول ، وغير ذلك من القوى الكامنة فيه ، والاستعداد الذي خصه الله به دون سائر أنواع الحيوانات برهان واضح على أنه لا يرضى لنفسه بحال من الأحوال ، أن ينطوى على الجهل ، أو يسكت على عدم المعرفة ، أو يستكين لتلك الظروف القاهرة التي تجعله — هكذا — صندوقا مغلقا ، أو صخرة صماء ، أو كومة من اللحم والدم ، أو شبحا كل همه أن يروح ويـجىء ليس الا ، والدليل على ذلك أنه يغضب ويثور اذا رماه أحد بالجهل ، أو قال له انسان أنت لا تدري ، ولو كان هو في واقع الأمر كذلك ، وكم رأينا من مصادمات لا يكون لها من سبب ، سوى أن يقول قائل لصاحبه ان بينك وبين العلم عداوة الصديق ، ونفور المختلفين ، ولقد كان المرجح الذي فضل الله به آدم عليه السلام على الملائكة ، ومن أجله منحه الخلافة في الارض ، وأمرهم بالسجود له ، انما هو العلم ، **«وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم**

الآية الكريمة ، « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم » وقد كان مطعون النسب جاءت به أمه من أب غير شرعى ، فلما أخبره صلى الله عليه وسلم أن أباه فلان كانت القاصمة له .. ولم يكن مثل هذا كله شاقا على النبى ، أو مؤلما لنفسه ، لأنه يعلم علم اليقين ما تحدثه فى الرأس لذعة الحيرة والشك ، أو الجهل بالأمر ، وعدم المعرفة للأشياء ، والوقوف على أسبابها وعللها ، وارتباط بعضها ببعض ، ولهذا لم يكن يتغاضى عن اجابة السائل ، وإضاءة المشاعل لمن تشتبه عليه المسائل ، أو تخفى عنه المعالم ، أو تغيب عنه براهين الأشياء ، وأدلة الحقائق ، ويعاتبه سبحانه وتعالى اذا بدا منه ما يشبه التوانى ، أو الإهمال فى الأخذ بيد الضالين ، أو الحيارى الذين يطرقون بابه رغبة فى العلم ، أو بحثا عن المعرفة ، أو حرصا على أن يرشداهم الى السلوك الذى يجب

على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السماوات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (١) وكذلك كان جل جلاله لا يسوى بين العلم والجهل ، ولا بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، واذ كان السؤال نصف العلم — كما يقولون — فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أسئلة ، ربما بدا منها أنها مما يتخرجون منه ، أو يترددون فى توجيهها اليه ، وهم الذين أمرهم الله بالتزام الادب معه ، وعدم الإيذاء له ، وقد كانوا بلحون فى طلب الجواب ولو كان غير سار ، كهذا الذى نزلت فيه

أن يأخذوا به ، ليكونوا من المؤمنين الصادقين ، لا تهزم عواطف الشك ولا أعاصير الزيف ، و لا عوامل الباطل ، ولو حصل شيء من ذلك ولو على سبيل الاجتهاد لم يقره عليه ، أو يتركه للاسترسال فيه ، كما حصل مع ابن أم مكتوم ، ذلك الذى كان حريصا على الذهاب اليه ، والأخذ منه ، ليكون له من هذا فقه فى دينه ، وكمال فى يقينه ، وقوة فى إيمانه ، وثبات على دربه ، ونور فى سبيله ، وقد صادف فى احدى غدواته اليه ، أن كان عنده بعض وجوه الكفار الذين كانوا يساومونه على الإيمان به والدخول فى دينه ويريدون منه أن يطرد من حوله الفقراء الذين يغشون مجلسه ، ويتوددون اليه ، أو يترددون عليه ، وهناك لم يستقبله الاستقبال الذى عوده عليه ، واشتغل بالحفاوة بهم ، وكأنه كان مطمئنا الى أن هذا الذى ألف التردد عليه ، والزيارة له ، لا ينكر فى نفسه اغضائه عنه ولا تركه للحفاوة به ، والاقبال

عليه ، والألفة — كما يقولون — نسقط الكلفة ، لكن جبريل ، عليه السلام ، قد نزل عليه ، يبلغه صوت السماء بالانكار لهذا الصنيع ، **« عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنتفه النكرى »** (١) وكان صلى الله عليه وسلم اذا لقي ابن أم مكتوم بعد هذا يقول له : أهلا بمن عاتبنى فيه ربى .. وكان جبريل الأمين فى بعض الأحيان يجىء الى الرسول الكريم ، فى شكل أعرابى جلف ، يسأله فى عنف وغلظة — كما هو شأن الأعراب وكان بعض الصحابة تدفعه نفسه الى الاعتداء عليه ، أو التأنيب له ، لاساءته الأدب مع سيد الخلق ، وكان النبى يرددهم عن ذلك قائلا انه أخى جبريل جاء ليعلمكم كيف تسألون عما يشق به عليكم من الحلال والحرام ، وكان الصحابة يسألونه صلى الله عليه وسلم ، لا يقف سؤالهم عند حدود الخبر الذى يريدون معرفته ، وانما يسألون عن الشر كما يسألون عن

جبروت السلطان ، لم يمنعه ما كان فيه ، من محاولة المعرفة ، والرغبة في الوقوف على حقائق الأشياء ، ولم يلبث وقد أخبره موسى ان الله في عليائه قد استوى على العرش ، أن قال لوزيره « يا هاهنا ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السماوات فأطلع الى اله موسى » (١) وكانت نهايته وقد تطامن كبرياؤه ، وذهب غروره ، وأيقن أنه ملاق سوء عمله « قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل » (٢) وهكذا كان طغيان المادة على الناس اذ يحول بينهم وبين الحق ، فلا تنتظر عيونهم للنور ، ولا تذعن قلوبهم للخير ، ولا ترتبط أفئدتهم بالذى خلق السماوات والأرض ، لأنهم فى هذه الفترة من أعمارهم يعيشون لليوم لا للغد ، وللجسد لا للروح ، ولشهوة البطن لا أكثر ولا أقل ، حتى اذا ما أطبق عليهم الحال ، وضاعت عليهم السبل ، وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا

الخير ، وعن الفضيلة كما يسألون عن الرذيلة ، ويقول حذيفة بن اليمان كان الناس يسألون رسول الله عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه .. وهكذا فرى السؤال لا حدود له ، وقد يكون عن الشر الذى يجب تركه ، وعدم الاقتراب منه ، كما يكون عن الخير الذى يجب اتباعه ، والأخذ به ، ومن المعقول أن تنصرف البشرية عن النظر فى الأشياء ، أو البحث عنها ، والتفكير فيها ، والمعرفة لها ، أو ربط الأسباب بالمسببات منها ، اذا طغى عليها طيش الحياة ، أو استولت عليها غفلة الذهن ، أو غفوة القلب ، أو حالت بينها وبين ذلك ظروف قاسية ، لا تستطيع أن نتحكم فيها ، أو تقدر على تخطيها ، لكنه ليس من المعقول أن يظل ذلك دائما أبدا ، وعلى طول الخط . فان فرعون موسى الذى عاش غارقا فى سكرة الملك ، وغرور الحكم وأبهة الجاه ، أو

(١) غافر : من آيتى ٣٦ ، ٣٧

(٢) يونس : من الآية ٩٠

دائما أبدا تلح على صاحبها أكثر من الحاجة الى الزاد الجسمي ، لأنه يستطيع أن يحتمل الجوع والعطش من غير غضاضة ولا مضاضة ، ولا يعييه معهما أحد ، ولكنه لا يحتمل الجهل بالأشياء ، وعدم معرفته لها الا على ضرب من القلق والحيرة ، والسخط والاضطراب ، الذي يستحيل معه السكون والاستقرار ، والرضا والارتياح ، ولا أدل على ذلك كله من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي كان لا يشك في رعاية ربه له ، واهتمامه به ، وتوفير كل أسباب النجاح لدعوته ، يتلف تلهفا يشبه النهم على أن يردد ما يوحى به اليه ، دون أن ينتظر انتهاء جبريل ، عليه السلام من تلاوته اياه ، وكان جل جلاله يذهب هلعه وفزعه ، ويطمئنه على أنه لا يضيع عليه شيئا منه أو يجعل الفرصة تقلت دون أن يكون قد أحاط به ، « لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » (١) وفي قصة موسى مع الخضر

أنهم قد أحيط بهم ، عاد اليهم الرشد ، واعتدل فيهم ميزان التفكير ، ولذلك رأينا الحروب الأخيرة ، وقد طحنت رحاها العالم ، وأنت على الأخضر واليابس ، تفتح قلوبا غلغا ، وأعيننا عميا ، وآذاننا صما ، وتوقظ كثيرا من الجاحدين أن ييحثوا عن السداد والرشاد ، والصواب والحق ، ليستقيموا على الجادة ، ويسلكوا السبيل الصحيح الذي لا التواء فيه ولا انحراف ، وربما كان الرأي مضطربا بين الأخذ بشريعة الله أو شريعة الناس ، ولا يعنينا أن نقول ما هو هذا الذي كان يجمل بهم أن يفزعوا اليه ليكون فيصلا ، انما يعنينا فقط أن نقول ان ذلك عنوان النزوح الى العلم والمعرفة ، والبحث عن الحق والصواب ، أو تجاوز الحدود والسدود .. وعلماء الاجتماع وهم يتكلمون عن البدائية الأولى في الانسان ، لم يختلفوا في أنه كان يتطلع ويتأمل ويسأل ويحاول أن تتكشف له الحقائق عارية من الأغلفة والحجب ، والحاجة الى الزاد العقلي كانت

الأدب ، ولا يتمرد على تلك التقاليد ، فان الطبيعة الانسانية كانت تفرض عليه أن يسأل ، وتحتم عليه أن يتعجل المعرفة ، وتلح عليه أن يطلب كشف الغطاء عن المجهول ، غير مترقب للفرصة المتاحة أو الظروف الملائمة ، وهناك تخطى الوعد الذى وعد به ، والعهد الذى اخذه على نفسه ، وانساق انسياقا للسؤال وطلب العلم والمعرفة ، مكتفيا بالاعتذار عما بدر منه ، أو وقع فيه ، وكلما ضاق الخضر ذرعا بما حصل منه أعاد على سماعه « ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا » كأنما يشفى بهذا غليله ، ويرمه به ، أو غضبه الذى كان يملأ جوانحه ، ولا يزيد موسى مع ذلك كله على اعتذاره له « لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا » وهكذا يتكرر خطأ المخطئ ، واعتذار المعتذر ، بقول الأول

عليهما السلام ، صورة طريفة الى أبعد حد - فى هذه الناحية ، اذ وجد موسى أنه مع التشريف الذى شرفه الله به من اختياره للنبوّة ، واصطفائه بالرسالة ، ينقصه كثير من علم الخضر بالأشياء ، وبصره بالأمور ، واحاطته بالمسائل ، وكأنما تمنى لو يقتبس من وعيه ، ويأخذ من فهمه ، ويغترف من بحره ، ويكون له بعض ما أفاض الله به عليه « قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا ، قال انك لن تستطيع معى صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ، قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا ، قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا » (١) وعلى الرغم من أن موسى أبدى طاعة التلميذ لأستاذه ، وخضوع المريد لشيخه ، وأعلن أنه سينزل على حكم الكبير على الصغير ، فلا يتحول عن هذا

« ألم أقل لك » وبقول الثانى « لا تؤاخذنى » ونحن أمام هذا الحوار الطريف بينهما نقف موقف المتأمل ، وكلاهما رجل لا يستهان بعقله ورأيه ، وذوقه وأدبه ، وتفكيره وحصافته ، يؤاخذه المجتمع على أنه لم يلتزم بما أخذه على نفسه ، وإذا قلنا ان الذخر كان له رأيه فى الانتظام أو التؤدة ليكون ذلك أدعى الى التشويق والترقب ، وليكون للإجابة وقعها الطيب فى النفس ، كما يفعل المربى الماهر مع التلاميذ ، فماذا عساه

أن نقول له عن هذا الذى تخطى السدود والحدود ، أو المواثيق والعهود ، ثم انساق انسياقا قاهرا وراء الرغبة فى العلم ، والنزوع الحاد الى المعرفة ، الا أن يكون هو الطبع الانسانى الذى لا يستطيع أحد أن يخالفه ، أو أن يخرج على تقاليده ، وهكذا كانت البشرية منذ خلقها الله ، تنزع الى طلب العلم ، وتبحث عن حقائق الأشياء .

د • ابراهيم على أبو الخشب

انشقاق القمر والعجاز العلم للقمر

دكتور فخر محمد صبيح

بهذه الآية على أن انشقاق القمر وقع فعلا في الماضي ، كمعجزة مادية خارقة من معجزات سيدنا : محمد عليه الصلاة والسلام وذلك استجابة لطلب المشركين ، ودليلا على اقتراب يوم القيامة •

ثانيا : يجمع المفسرون حديثا على أن هذه الآية تعبير عن الأحداث الكونية في المستقبل ، فعند دنو يوم القيامة سينشق القمر ، وينفصل بعضه عن بعض ، ويؤيد وجهة النظر هذه ما يأتي :

(أ) أن التعبير عن الماضي في الآية الكريمة : « **اقتربت الساعة وانشق القمر** » ليس معناه أن القمر قد انشق فعلا ولكنه التعبير

أشار الله سبحانه وتعالى الى ظاهرة انشقاق القمر في مطلع سورة : « القمر » بقوله سبحانه : « **اقتربت الساعة وانشق القمر** » (١) •

ولقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية ، ولذلك أردت أن أكتب هذا المقال لأساهم برأى العلم الحديث في هذا الموضوع ، وخاصة وقد توقعت البحوث الحديثة أن نظام الأرض والقمر سيتطور مؤديا الى انشقاق القمر •

وفيما يلي : سأناقش قضية انشقاق القمر على ضوء التفسيرين الواردين لهذه الآية الكريمة : أولا : يستدل بعض المفسرين

(١) سورة القمر ٥٤ الآية الأولى منها •

ولم تعتمد في عملها على القهر والتسلط على العقل أو المشاعر ، لأنها دعوة عامة للبشر ، وهي دين الله الخاتم للناس جميعا ، فالدعوة الاسلامية دعوة قائمة على الحجة الواضحة ، والبيان النير ، ولم تعتمد على اعجاز مادي ، لأنها خالدة الى يوم القيامة ، وعامة لكل جيل من البشر في أى مكان على وجه الأرض .

ولقد كانت معجزة كل رسول حسية ، لأنه مبعوث لقومه خاصة ، أما معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله الى البشرية كلها : فهي عقلية خالدة ، لا تتغير ولا تتبدل بحفظ الله لها ، وهي : « القرآن » .

ولقد ضرب القرآن الكريم أمثلة كثيرة للذين كانوا يشاهدون الآيات التى تعتمد على الخورق المادية ثم لم يؤمنوا بها مثل : قوم ثمود ، الذين جاءتهم الناقة وفق ما طلبوا ، ولكنهم كفروا وأهلكهم الله .

بالفعل الماضى عن حدث ما يستخدم عادة في الأصل البلاغى في مقام التعبير عن المستقبل ، تأكيدا لتحقيق وقوعه ، بدليل قوله تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » (١) فلفظ أتى هنا بمعنى : سيأتى . حيث عبر القرآن الكريم بصيغة الماضى بدلا من المضارع ، تأكيدا لوقوع الحدث في المستقبل .

(ب) أن التوقعات العلمية انحدية تشير الى انشقاق القمر في المستقبل ، وهذا ما سأوضحه في هذا المقال .

وقبل أن أدخل في التفاصيل العلمية لهذا الموضوع ، فسوف أناقش التفسير الأول .

أولا : انشقاق القمر في الماضى

يقول صاحب كتاب « الدعوة الاسلامية في عهدنا المكي » ان دعوة الاسلام لم تكن دعوة لقوم أو لجنس ، ولم تكن دعوة جيل أو زمن محدد معلوم ،

(١) سورة النحل ١٦ الآية الأولى منها

الناس الا كفورا • وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا • أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا • أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا • أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا •

(الاسراء — ٨٩ — ٩٣)
ويتضح بهذا أن الكفار قد قصر ادراكهم عن التطلع الى آفاق الاعجاز القرآنى ، فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية ، ويتعنتون فى مطالبهم ، لدرجة المطالبة بمجىء الله — سبحانه وتعالى — والملائكة اليهم ! مما يدل على اختلال قواهم العقلية •

ولقد كان الجواب على هذه المطالب : **« قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » •**
حقا : أن محمدا بشر • ولقد طلب الكفار منه أن ينزل الله عليه ملكا يصدقه ويحدث الناس

ولهذا جاءت رسالة الاسلام ختاما للرسالات كلها ، غير مصحوبة بخوارق مادية ، لأنها رسالة الانسان على وجه الأرض • انها رسالة الأجيال المتعاقبة ، ورسالة الرشد البشرى تخاطب فى الانسان مداركه وعقله ووجدانه جيلا اثر جيل •
انها رسالة تحترم الانسان وتميزه ببشريته •

وآية الاسلام هى « القرآن » كتاب مقدس لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه •
حقا : ان « القرآن الكريم » معجزة الله الخالدة ، وسوف يظل القرآن الكريم مفتوحا للأجيال المتعاقبة ، وحتى قيام الساعة ، باعجازه اللغوى والبيانى والعلمى •

ويسجل « القرآن الكريم » مرحلة المهارات التى كان يثيرها الكفار بطلب المعجزات والخوارق المادية ، أيام نزول القرآن الكريم بقوله تعالى :

« ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فابى أكثر

معه ، فأنزل الله تعالى الآية
الكريمة التالية •
« وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو
أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم
لا ينظرون • ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم
ما يلبسون » •

(الانعام ٨ - ٩)

« وما منعنا أن نرسل بالآيات
الا أن كذب بها الأولون » •

(الاسراء : ٥٩)
أن التكذيب بالآيات المادية
الخارقة ، يوجب في حكم الله
معاقبة المكذبين فوراً بالنقمة ، كما
حدث لقوم صالح : (ثمود)
ولآل فرعون ، وبهذا : فلو أعطيت
قريش ما سألوا من الآيات ،
وجاءهم بما اقترحوا من معجزات
مادية خارقة ، ثم كذبوا ...
لم يلبثوا أن عوقبوا بتكذيبهم
للمعجزات •

ولكن الله أكرم محمداً ، وبعثه
رحمة للعالمين •

ويتضح مما سبق أن الدعوة

وبهذا يتضح أن الله سبحانه
لو استجاب لمطالبهم وأرسل مع
محمد ملكا كما اقترحوا ، ثم
عاندوا ولم يؤمنوا ، لنفذ الأمر
الالهي باهلاكهم فوراً • كما أن
الملك المطلوب ليؤيد الرسول لابد
وأن يكون على هيئة بشر ، حتى
يستطيع الكفار مشاهدته والفهم
عنه ، لأنهم لا يقدررون على رؤية
الملك في صورته الأصلية ، ولكن
ارسال الملك في صورة بشر اليهم
سوف يوقعهم في نفس الخطأ
الذى يتخبطون فيه لأنه في هذه
الحالة سوف يشتبه عليهم
الأمر ، ولهذا كان طلبهم مرفوضاً •

(١) الدعوة الاسلامية في عهدها المكي - للدكتور : رؤوف شلبي •
من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية •

المراء الذى كانوا يتذرعون به ، غير أنه روى عنهم أنهم قالوا : سحرنا : ولكنهم أنفسهم اختبروا الأمر فعرفوا أنه ليس سحرا ،

حيث سألوا آخرين قادمين من السفر ، فأخبروهم أنهم رأوا القمر منشقا ، ورغم ذلك قالوا : هذا سحر . فأنزل الله تعالى الآية « اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » .

والسؤال الآن :

(القمر - ١ - ٢)

هل انشق القمر فعلا فى الماضى أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

ولو سلمنا بأن حادثة انشقاق القمر قد وقعت فعلا استجابة لمطالب المشركين ، فلماذا لم يستجب القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم - لباقي مطالب المشركين ؟

وللجواب على ذلك :
فاننا نحن « المسلمين » نؤمن

الاسلامية لم تعتمد على اعجاز مادى لأنها خالدة الى يوم القيامة ، ولأنها عامة لكل البشر ، ولأنها رحمة للعالمين .

أما موضوع انشقاق القمر : فقد قال بعض المفسرين عنه : أنه حدث ووقع تاريخيا ، وثبت بالسنة (١) ، على نحو ما رواه البخارى :

انشق القمر ونحن مع النبى - صلى الله عليه وسلم - بمنى فقال :

(اشهدوا ، وذهبت فرقة نحو الجبل) .

وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبدالله : انشق القمر بمكة . وتابعه محمد بن مسلم عن أبى نجيب عن مجاهد عن أبى يعمر عن عبد الله .

وهو حادث واجه به القرآن الكريم جماعة المشركين فى حينه ، ولم يرو عنهم تكذيب لوقوعه ، فهو بذلك قد وقع بصورة يتعذر معها التكذيب ، حتى ولو على سبيل

بكتاب الله ، وبصدق رسول الله ، ولو كانت رواية انشقاق القمر صحيحة على نحو ما رواه البخارى ، فليس بوسعنا تكذيب حادثة انشقاق القمر أيام رسول الله لأن الله قادر فى أى لحظة أن يشق القمر ، وقادر أن يعيده الى كتلة واحدة .

ولكن القول بأن انشقاق القمر كان استجابة لطلب المشركين : قول متجاف مع النص القرآنى ، والموقف النبوى الذى أوضحناه من قبل مصداقا لقوله تعالى :

« قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا » .

وقوله تعالى :

« وما منعنا أن نرسل بالآيات

الا أن كذب بها الأولون » .

يقول المسلم الفرنسى « اتين

دينه » (١) :

« اننا لا نستطيع تصديق

حدوث تلك المعجزة المزعومة ، لأنها تتنافى صراحة مع الكثير من آيات القرآن . وما أقل تأثير المعجزات فيما مضى من التاريخ . لقد عبد بنوا اسرائيل العجل بعد أن أنقذهم موسى بمعجزته من لجة البحر ، ومن طغيان فرعون وما كان أهل مكة المشركون ليتأثروا بالمعجزة أكثر من غيرهم من بنى البشر ، فان الطبيعة الانسانية واحدة .

غير أننى لا أملك أمام الكثرة الكثيرة من الأحاديث الصحيحة الا أن أقول : انه ليس فى الامكان تكذيب حادثة انشقاق القمر ، لكنها وقعت ، لا على أنها دليل فى مواجهة مطالب المشركين لاثبات الرسالة ، بل هى وقعت كما وقعت خوارق كثيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم » .

دكتور

منصور محمد حسب النبى

(١) محمد رسول الله « اتين دينه » .

رمضان

والمجتمع والقيم والحياة ..

للسيد عبد الحكيم السجار

في شهر رمضان المبارك .. تنطلق في جنبات الدنيا الكلمة تتجه القلوب الى ربنا تبارك وتعالى .. منطلقاً لتجديد القيم في النفس والمجتمع والحياة .. وتتجه ملايين الأنفس الى مقام الجلال والكمال سيدنا رسول الله صلوات الله عليه وسلم .. محمد .. هدية السماء الى الأرض .. من أرسله الله رحمة للعالمين ..

فتتخذ جماهير المؤمنين من هذا الشهر العزيز .. على الله وعلى الناس .. ومن منهاج صاحب الرسالة العظمى في هذه الأيام الروحية الرحبة .. منطلقاً لتطهير النفس وتصفية الروح .. وحتى نجعل من رسالة السماء .. سلوكاً ومنهاجاً وواقع حياة .. حيث

تنطلق في جنبات الدنيا الكلمة الشريفة .. للسيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها .. عندما سئلت عن خلق رسولنا العظيم فقالت : كان خلقه القرآن .. بل كان قرآناً يمشى على الأرض .. يضيء ويحكم ويشرع بين الناس بالعدل والعدل ومن أجل العدل .. هكذا عاشت وما زالت تعيش هذه القيم الخوالد في نفوس أبناء الاسلام .. حتى أصبح رمضان ربيع القلوب والأرواح وواحة الأمل للعودة الى رحاب الله .. سبحانه وتعالى ..

تربية الروح

الطاقات الروحية أقوى طاقات الانسان وأكثرها أثراً في

**الا الصوم فانه لى وأنا
أجزى به ..**

تغذية الروح

ومن أهداف الصيام تربية النفس على الصبر .. فالمسلم يتحرر من ذاته ويتربى على ضبط أعصابه فلا يثور لأول مؤثر بل يقيم الاعتدال فى طبيعته وحركته وسلوكه .. والصوم يساعد على تربية المسلمين ومساعدتهم على إقامة مجتمع سليم قوى له قيادة يرجع اليها فى كل أمر من أمور حياته ..

والصائم المحتسب لا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا محتسبا مطمئنا هادئا .. ومن هنا ندرك أن أساس الصوم اعداد المسلم بأن تكون تصرفاته كلها منسجمة مع تعاليم الاسلام .. وجوهر الاسلام ينادى دائما بتحرير الانسان فى الأرض من العبودية للعباد ومن العبودية للهوى .. بل لعبودية الواحد الأحد بأن الله واحد .. لا شريك له .. سبحانه .. ولم يكن من المصادفة أن

حياته .. وفى شعوره بالسعادة والأمن والأمان .. فان الله جلت قدرته وعظمت ارادته طلب من المؤمن أن يكون دائم الاتصال به .. والشعائر فى حقيقتها ما هى الا محطات للتزود من الطاقات الروحية التى تؤثر فى المسلم وفى سلوكه وفى عاداته وفى أمنه وأمانه .. بل فى سعادته .. ومن هنا يطلب القرآن من المسلمين جميعا أن ينهلوا من هذا الرحيق الصافى الشفيف النظيف ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ..

وفى الحديث الشريف .. أن رجلا سأل النبی العظيم عن الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل للمغنم أى ذلك فى سبيل الله ؟

فقال الرسول : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » ..

والصوم من الناحية الروحية صلة وثيقة متفاعلة بين العبد وربّه صلة بعيدة عن الرياء وفى ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى فى حديثه القدسى « كل عمل ابن آدم له

ان الجندي الذي يؤخذ الى ميدان المعركة بدون اعداد لهو شاب فاشل .. وان الشباب الذي يقابل الحياة وصعوباتها بدون اعداد لهو شاب فاشل .. والصوم يسهم في تربية النفوس وترويضها وتعويدها الصبر في كل الأمور ..

وشباب اليوم يحتاج الى الاعداد النفسى والعقلى في مدرسة الصوم ..

والصوم في حقيقته ليس حرمانا من حرية الانسان بل هو يطهر النفس ويوجه عقل الصائم كى يسترد حريته .. حرية الارادة وحرية التفكير .. وحرية الحركة في سبيل الله الحق المبين ..

والتفكير الحديث أفسد في أذهاننا معنى الحرية حين هدم حدودها الروحية والنفسية ثم استبقى حدودها المادية فالانسان ليس حرا في التفكير الحديث ان يعتدى على مال غيره أو على شخصه ولكنه حر في نفسه وان جاوز ذلك حدود القتل .. أو قواعد الخلق ..

يفرض الصوم في العام الذى فرض فيه القتال لرد العدوان ونشر الاسلام .. فالصوم هو مجال تقرير الارادة القوية واتصال الانسان بربه اتصال طاعة وانقياد - ومجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها واحتمال ضغطها وثقلها ايثار لما عند الله .. وهذه عناصر لازمة لاعداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك والذى تحف بالسالكين فيه المغريات ..

التفكير الحديث

ونحن نعلم أن الشباب المدلل لا يستطيع أن يقف على قدميه في هذه الحياة لأنه نشأ طفلاً رخواً لدينا تتقاذفه الرياح من كل جانب ثم هو في العادة الذى يصاب بالأمراض والعقد النفسية وبصدمات الحياة ..

والفرق الخاصة في الجيوش تدرب تدريبا عاليا يؤهلها للقيام بالمهام الخطيرة التى تحتاج اليها الأمة في ملوماتها ..

« قل انظروا ماذا في السموات

والأرض » •

وفي هذا الشأن كانت الدقة العلمية التي أدهشت علماء الغرب وجعلت عالما مثل « جب » يقول في كتابه الاتجاهات الحديثة في الاسلام : « أعتقد أنه من المتفق عليه ان الملاحظات الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وانه عن طريق الملاحظات وصل المنهج التجريبي الى أوروبا في العصور الوسطى » •

والصوم من الناحية الفكرية يجلو صدأ الذهن فيكون الانسان أقدر على الفهم والادراك والتفكير • • وما أحوجنا الى أن نسير على النظام الذي كان يسير عليه الرسول الكريم فنستفيد من رمضان فائدة كاملة • •

المجتمع المتكامل

وصوم رمضان فرصة لتربية المسلم عن طريق القدوة حين يقتدى الصغير بالكبير وحين

والواقع ان الانسان عبد العادة وتغيير العادة فيها حرية الانسان • وعبودية العادة مفسدة للارادة ومفسدة للفكرة الصحيحة عن الحرية في صورتها الصادقة • • ومفسدة لسلامة التفكير لأنها تخضعه للتأثر بضرورات الجسم المادية التي طبعها العادة • •

التفكير العقلي

العقل طاقة هائلة ضخمة اذا أحسن الانسان استخدامها استطاع أن ينتج انتاجا ضخما • • والله سبحانه وتعالى يمن على عباده بالعقل فيقول « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » وجعل الانسان مسئولا عن هذه النعم • • « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ونعى على الكفار الذين يلغون عقولهم ويقولون « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » • •

وقد وضع الاسلام المنهج الصحيح للاستدلال العقلي وطلب من عباده أن ينظروا ويتفكروا

القلب وضغط الدم وغيرها حيث قال تعالى « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

الصوم والعلم الحديث

ان العلم الحديث قد أثبت ظاهرة في الجسم تسمى : « ظاهرة التكيف » - فعندما يصاب أى جزء من الجسم بعطل يسرع باقى الجسم الى التكيف .. على الظروف الصعبة التى أصبح فيها - فيزداد نشاط الأجهزة كلها بحيث يعوض أى نقص قد حدث فى الجسم .. فقد ثبت أن القلب قد يتضخم الى أكثر من ثلاثة أضعاف حجمه ليواجه أزمة فى الجسم وانه اذا توقفت كلية عن العمل سارعت الكلية الأخرى الى عمل مضاعف حتى تصل الى عمل الكليتين ..

ولذلك فان الانسان عندما يجوع تماما فان هذا الجوع يحرك كافة الأجهزة الداخلية ويدفعها الى العمل فيكتسب قوة عن طريق عملها السريع وتنعكس هذه القوة على الجسم كله ..

يقتدى المسلمون بساوك النبى الكريم وعن طريق الموعظة الحسنة التى تأتى عن طريق دراسة القرآن وفهم معانيه والحديث الشريف فى المساجد والمنشآت ووسائل الاعلام والصحف .. وفى رمضان عمليات تربوية لا مثيل لها فى الدول المتقدمة من حيث المساواة الكاملة بين المسلمين جميعا لأنهم يصومون فى وقت واحد ، الكل سواسية فى الصوم .. تلك المساواة التى يهدف الاسلام الى اظهارها دائما والى تثبيتها فى النفوس ..

والاسلام حث على التعاطف فى كل وقت ولكنه حث عليه فى رمضان أكثر والتاريخ يحدثنا أن النبى كان أجود من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون فى رمضان .. والصوم من الناحية الاجتماعية فيه تقوية وتنقية للمجتمع المتعاطف المتكامل ..

والاسلام قد جعل من الصوم علاج لكثير من الأمراض الباطنية لا سيما الجهاز الهضمى وهو يعالج الأمراض الجلدية وأمراض

وفي هذه الظاهرة يقول الدكتور « الكسيس كاريل » الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة في كتابه الانسان ذلك المجهول « ان كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها تعطل وظيفة لعبت دورا عظيما في بناء الاجناس البشرية وهي وظيفة التكيف على قلة الطعام .. كان الناس في الزمن الغابر يلتزمون الصوم في بعض الأوقات وكانوا اذا لم ترغهم المجاعة على ذلك يفرضونه على أنفسهم فرضا بارادتهم .. ان الصوم ينظف عطل عمليات ظلات ذاتية النشاط آلاف السنين لدى الكائنات البشرية » ..

وأخيرا ..

عبد الحكيم النجار



الأزهر جامعا ومجتمعا أو مصر في ألف عام دكتور محمد كمال السيد - ١٣ -

ذكرنا في المقال السابق أن محمد باشا شريف ألف وزارته في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ • وأن الشعب قابلها بالابتهاج وسماها وزارة الأمة •

وكان شريف من الداعين للدستور ، وقد سبق في هذا العربيين ، فقد طالب به في أواخر عهد اسماعيل وأوائل عهد توفيق ، وقد وضع مبدأ المسئولية الوزارية أمام مجلس النواب في وزارته الأولى •

فما أن شكل هذه الوزارة حتى قدم في ٤ أكتوبر سنة ١٨٨١ الى الخديوى تقريرا بمزايا النظام النيابى ، وطلب اجراء انتخابات عامة لمجلس شورى النواب ، ليجتمع بصفة جمعية تأسيسية يعرض عليها مشروع الدستور ،

وطلب شريف من عربى وأصحابه الابتعاد بفرقهم عن القاهرة ، ليعود الهدوء والسكينة ، فاستجابوا له ، ونقل عربى الى الشرقية ، وعبد العال حلمى الى دمياط ، وخرجوا من القاهرة يودعهم عشرات الآلاف ، واستقبلتهم في الطريق في كل محطة أيضا عشرات الآلاف مبتهجين بما حققوه للشعب من انتصار •

ثم رأت الحكومة أن في وجود عربى في الشرقية موطنه الأسمى - زيادة في قوته ، وتجميعا

أو القانون الأساسي كما كان يسمى وقتذاك ، وفعلًا تمت الانتخابات في حرية ودون تدخل من الحكومة أو من العرابيين ، واجتمع مجلس النواب في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨١ ، وألقى توفيق في جلسة الافتتاح ما أصبح يسمى فيما بعد بخطاب العرش ، ورد عليه بعض الأعضاء بالخطابات المناسبة •

وكان شريف بحنكة الرجل السياسي يرى أن يطأطأ الرأس حتى تمر الزوبعة ، فالميزانية قد تقرر قبل انعقاد المجلس ، والميزانية الجديدة لن تعرض قبل سنة تقريبا ، فلا داعي للتصادم الآن ، ويحسن تأجيل البت في المادة الخاصة بالميزانية الى ما بعد •

وقدم شريف للمجلس في ٢ يناير سنة ١٨٨٢ مشروع الدستور للمناقشة ، وكان دستورا محتويا على أحدث المبادئ العصرية ، من فصل السلطات ، وتحديد مدى كل سلطة ، والمسئولية الوزارية ، وغير ذلك من الشئون الدستورية ، وابتهجت الأمة بمجلسها الجديد ، وتفتحت آمالها بالدستور وبدا في الأفق ابتداء انتظام حال مصر •

وكان هذا أيضا رأى الشيخ محمد عبده ، فقد قال لأحمد عرابي : لقد لبثنا عدة قرون في انتظار حريتنا ، فلا يثق علينا أن ننتظر بضعة أشهر • (أحمد عرابي للرافعي ص ٣٠) •

ولكن عرابي وصحبه لم يقبلوا فكرة التأجيل • ويرى المرحوم الرافعي في كتابه المذكور : (ص ٩٠) أن هناك عاملا آخر كان في نفوس العرابيين ، هو احراج شريف باشا باشا ليستتقل ، وتسند الوزارة الى أحدهم • وفعلًا استقال شريف باشا ،

ولكن أوروبا كانت بالمرصاد لتعويق البلاد عن التقدم ، فاعترضت انجلترا وفرنسا على ما ورد في الدستور من حق المجلس في تقرير الميزانية ، فشاعت موجة من السخط في البلاد على هذا

«وَألف محمود باشا سامى البارودى الوزارة الجديدة فى ٢ فبراير سنة

١٨٨٢ ومن أعضائها أحمد عرابى بصفته وزيرا للحربية. أو الجهادية كما كانت تسمى . وهكذا وصل الى رتبة اللواء والباشوية .

وأتم المجلس مهمته ، وأقر الدستور فى ٨ فبراير ، وصدق عليه الخديوى ، ولم يقتصر عمل المجلس فى مدة انعقاده القصيرة

على اقرار الدستور ، ولكنه وضع اللائحة الداخلية للمجلس ، وبحث بعض شئون التعليم والتجارة ، كما أقر اقتراحا من أحد أعضائه **بانشاء خزان أسوان** .

وهكذا نرى أن فكرة خزان أسوان مصرية ، لا كما يدعى الانجليز أن لهم الفضل فيها لتنظيم الرى ، ولولا الاحتلال الانجليزى لما تأخر تنفيذه . فقد بدىء العمل فى خزان أسوان سنة ١٨٩٨ ، وتم سنة ١٩٠٢ .

وازدادات مكانة أحمد عرابى فى البلاد ، وأصبح منزله مقصدا لأصحاب المصالح والحاجات من

شتى الجهات كأنه احدى الوزارات .

وكانت استقالة شريف ، ووزارة البارودى على غير هوى الخديوى ، برغم أن شريف كان حريصا على كرامته ، مستقلا برأيه ، فالوزارة الجديدة كانت عرابية بالكامل ، وكان الرئيس الفعلى لها هو أحمد عرابى .

وبدأت الفتن :

فقد نما الى العرابيين وجود مؤمرات من الضباط الجركس ، لاغتيال عرابى وعدد من أصحابه . فقبض على عدد منهم ، وتشكل مجلس حربى لمحاكمتهم ، وحكم على أربعين منهم بالنفى الى أماكن متفرقة فى أقاصى السودان ، مع تجريدهم من الرتب والنياشين والامتيازات العسكرية .

ووجد توفيق فى هذه الأحكام قسوة بالغة ، فعادها الى النفى خارج البلاد ، على أن يختار المنفيون البلاد التى ينفون اليها ، ورفضت الوزارة التعديل ، وصممت

على اقرار الأحكام ، وفكرت في دعوة مجلس النواب ، وهذا يستوجب توجيه الدعوة من الخديوى ، طبقا للائحة التى أقرها المجلس ، ورفض الخديوى دعوة المجلس ، ولكن الوزارة دعتة الى الاجتماع .

وحضر النواب من دوائرهم ، واجتمعوا في دار البارودى في مايو سنة ١٨٨٢ ، ولكن الأعضاء اعتبروا هذا الاجتماع غير قانونى ، ويحمد لهم هذا الموقف لما أبدوه في هذا الشأن من استقلال فى رأى، وكانت موافقة المجلس مسألة خطيرة ، فاذا صمم الخديوى على موقفه فمعناه التهديد بخلع ، وكانت هذه الفكرة بدأ يرددها العربيون ، وأخيرا سوى الأمر بموافقة الوزارة على التعديل الذى أجراه الخديوى ، وهو ما كان على الوزارة قبوله ابتداء ، فلم يكن الموضوع يستحق هذه الإزمة .

ولكن انجلترا وفرنسا كانتا بالمرصاد ، وحضرت أساطيلهما للاسكندرية ، وقدمتا في ٢٥ مايو مذكرة شديدة اللهجة الى الحكومة، على اقرار الأحكام ، وفكرت في دعوة مجلس النواب ، وهذا يستوجب توجيه الدعوة من الخديوى ، طبقا للائحة التى أقرها المجلس ، ورفض الخديوى دعوة المجلس ، ولكن الوزارة دعتة الى الاجتماع .

وحضر النواب من دوائرهم ، واجتمعوا في دار البارودى في مايو سنة ١٨٨٢ ، ولكن الأعضاء اعتبروا هذا الاجتماع غير قانونى ، ويحمد لهم هذا الموقف لما أبدوه في هذا الشأن من استقلال فى رأى، وكانت موافقة المجلس مسألة خطيرة ، فاذا صمم الخديوى على موقفه فمعناه التهديد بخلع ، وكانت هذه الفكرة بدأ يرددها العربيون ، وأخيرا سوى الأمر بموافقة الوزارة على التعديل الذى أجراه الخديوى ، وهو ما كان على الوزارة قبوله ابتداء ، فلم يكن الموضوع يستحق هذه الإزمة .

ولكن انجلترا وفرنسا كانتا بالمرصاد ، وحضرت أساطيلهما للاسكندرية ، وقدمتا في ٢٥ مايو مذكرة شديدة اللهجة الى الحكومة،

طلبتا فيها استقالة وزارة البارودى، ونفى عرابى خارج البلاد ، وتحديد اقامة عبد العال حلمى باشا ، وعلى الديب باشا بالأرياف، مع حفظ رتبهم ومراتبهم .

وكان رأى البارودى قبول هذه المذكرة ، ولكنه لم يستطع اقناع أحمد عرابى ، كما نصحه الشيخ محمد عبده قائلا : (ان هذا الشغب قد يجر الى البلاد احتلالا أجنبيا ، يستدعى تسجيل اللعنة بسببه الى يوم القيامة) . فأجابه عرابى مبتسما : (أبذل جهدى ألا أكون مورد هذه اللعنة) . (محمد عبده للمرحوم محمود عباس العقاد ص ١٦٧) .

وقبل توفيق المذكرة ، واستقال البارودى بوزارته ، ومن ضمنها أحمد عرابى ، وعقد توفيق في ٣٧ مايو اجتماعا بسرائى الاسماعيلية (بميدان التحرير) حضره النواب، والعلماء ، والأعيان ، وكبار الموظفين ، ومن ضمنهم شريف باشا ، فكلفه توفيق بتشكيل الوزارة الجديدة ، ولكنه رفض . ثم اجتمع النواب بدار محمد

باشا سلطان - رئيس مجلس النواب - وكانت بشارع صبرى أبو علم (جامع جركس سابقا)، ومحلها الآن شركة فيلبس، ومسجد أنشئ بجوارها •

واجتمع معهم كبار العلماء والأعيان، وحضر عرابى وصحبه مطالبين بخلع الخديوى، فلم يوافقهم أغلب الحاضرين، فلجأ العسكريون الى التهديد، فأصروا على موقفهم، ولما عجز عرابى عن ضمهم الى صفه اكتفى بالمطالبة ببقائه وزيرا للحربية، وفعلا قابل سلطان باشا الخديوى وأقنعه بذلك، وصدر القرار باستمرار أحمد عرابى وزيرا للحربية، رغم استقالة وزارة البارودى، وبذلك ظل أحمد عرابى مسيطرا على الجيش والحكم •

وتوالت الأحداث سريعا، غفى الاسكندرية ترددت فرنسا فى التدخل، فاستقل الأسطول الانجليزى بالأمر، وطلب قائده من حكومته تعزيز قوته، بحجة أن مصر تحصن بطارياتها بالاسكندرية، ولبت طلبه •

وفى ١١ يونية حصلت منبحة الاسكندرية المعروفة، فقد قتل أحد المalletيين أحد الحمامة، بعد أن ركب حمامه طول النهار، وأبى ألا يدفع الا قرشا واحدا، فلم يقبل المصرى فقتله وهرب •

وثارت نفوس الشعب على الأجانب عامة، وهاجموهم، ورد الأجانب باطلاق الرصاص عليهم من النوافذ، وقتل فى هذا اليوم ٤٩ شخصا منهم ٣٨ من الأجانب، والحادث مفتعل كما دلت الأحداث فيما بعد، فالمالطى انجليزى الجنسية، وكان أخا لخادم القنصل الانجليزى (أحمد عرابى للرافعى ص ١٢١) •

ووصلت الأخبار الى القاهرة • وارتبك الجميع • وتوجسوا خيفة من قيام حرب • وتعهد أحمد عرابى بالطاعة للخديوى • وبمنع الاجتماعات العامة • واليقظة والمحافظة على الأمن، وأموال وأرواح الأجانب ولكن شرع الأجانب فى الهجرة بايعاز القناصل، حتى بلغ عدد المهاجرين

حتى ضرب الاسكندرية في ١١ يولية ستين ألفا •
وانتقل توفيق الى الاسكندرية بحجة تهدة النفوس بها ولكن انتقاله كان نذيرا بالشر ، واعتبر هروبا من القاهرة ، والتجاء للانجليز •

وفي ٦ يولية كرر سيمور الطلب ، فأجابه طلبة باشا عصمت — قومندان موقع الاسكندرية — بأنه لم تجر أى تحصينات جديدة ، وفي ١٠ يولية أرسل سيمور يطلب تسليم بعض البطاريات ، مع التهديد في حالة الامتناع بضرب الاسكندرية في اليوم التالى •

وتشكلت وزارة اسماعيل باشا راغب ، وكان أحمد عرابى وزيرا للحربية فيها ، ولكن انجلترا قد حزمت أمرها على احتلال مصر ، وكان يهمها أن تظهر البلاد في حالة فوضى ، تبرر لها هذا الاحتلال • فلم تقابل تشكيلها بالارتياح ، وأخذت تخلق لها العراقيل •

وتقرر رفض هذه الطلبات ، فضرب الأسطول على الطوابى في صباح ١١ يولية سنة ١٨٨٢ ، ولم تمض ساعات حتى سكتت مدافع هذه الطوابى ، وأخذ الجنود المصريون في اخلائها ، وبدأ الجيش الانجليزى في النزول الى البر •

وفى أول يولية أرسل الأميرال : سيمور — قائد الأسطول الانجليزى — يطلب ازالة التحصينات التى أجريت في طوابى الاسكندرية ، ولم تكن تحصينات ، ولكنها ترميمات عادية • فقد كانت الحرب أبعد ما يكون عن ذهن العربيين ، فلم يستعدوا لها ، وركبهم الغرور أنهم يستطيعون قهر الدول الأوروبية • ولو مجتمعة •

وكان من الممكن صد هذا الجيش لو صمد العربيون ، ولكنهم آثروا الانسحاب من الاسكندرية والتحصن في كفر الدوار • ولم يكتفوا بالانسحاب ، بل أحرقوا المدينة قبل مغادرتهم لها بغرض تعويق العدو •

وهكذا تم للانجليز احتلال الاسكندرية :
وفي ١٧ يولية أرسل اسماعيل

باشا راغب — رئيس الوزارة الى
 عرابى — بتكليف من الخديوى —
 يحمله فيها مسئولية اخلاء
 الاسكندرية بدون مقاومة ،
 واحراقها ، ويأمره بوقف
 التحصينات فى كفر الدوار ،
 ويطلب اليه الحضور للاسكندرية
 لتلقى الأوامر •

ورفض عرابى الذهاب
 للاسكندرية لاحتلال الانجليز لها ،
 وطلب حضور رئيس الوزارة
 والوزراء الى كفر الدوار ،
 للتشاور فى الدفاع عن البلاد •
 وتشكل فى القاهرة مجلس من
 وكلاء الوزارات ، وبعض كبار
 الضباط بصفة حكومة أخرى ،
 ودعا هذا المجلس الى مؤتمر
 يحضره النواب والعلماء والأعيان
 وكبار الموظفين •

وانعقد المؤتمر فى ١٧ يولية فى
 وزارة الداخلية • وكان عدد
 المجتمعين ٤٠٠ شخص ، منهم
 بعض الأمراء الموجودين بالقاهرة ،
 وعرضت على المؤتمر تفاصيل
 الموقف ، فقرروا وجوب الدفاع عن
 البلاد ، واستدعاء الوزراء من

الاسكندرية للتداول معهم ، وكان
 رد الخديوى على ذلك عزل عرابى
 من وزارة الحربية •
 واجتمع المؤتمر ثانية فى ٢٣
 يولية • وكان اجتماعه هذه المرة
 أكثر شمولا من المرة السابقة ،
 فقد بلغ عدد المجتمعين حوالى
 الخمسمائة •

فتوى العلماء :

وفى المؤتمر تلا الشيخ : محمد
 عبده قرار الخديوى كما تليت
 فتوى شرعية من الشيخ : محمد
 عليش ، والشيخ : حسن العدوى ،
 والشيخ : محمد أبو العلا
 الحفناوى بمروق الخديوى :توفيق
 من الدين ، لانحيازه الى العدو
 المحارب للبلاد ، وقرر المؤتمر
 وجوب الدفاع عن البلاد ، وعدم
 قبول عزل عرابى ، كما قرر ايقاف
 تنفيذ أوامر الخديوى •

ولم تعد المسألة خلافا بين
 الخديوى وعرابى ، بل أصبحت
 استقلال البلاد ووجوب الدفاع
 عنها ضد الغاصب المحتل ،

واستجابت البلاد جميعها لهذا الهدف النبيل بكل ما تستطيع ، من رجال ومال ، تطوعا وتبرعا ، وأزكت الخطابات حماس الشعب ، فعلى منبر الأزهر وقف الشيخ حسن العدوى غير مكتف بخلع توفيق بل ينادى باهدار دمه لخروجه على الدين ، وانحيازه لأعداد البلاد •

ولن نستعرض في تفاصيل الاحتلال الانجليزي للبلاد ، فهذا موضوع آخر ، ولكن نختصر فنقول : ان الانجليز عجزوا عن اختراق التحصينات المصرية عند كفر الدوار ، وهزموا مرارا ، فاتجهوا الى الناحية الشرقية •

وكان العربايون قد أهملوا تحصين هذه الجهة ، اعتمادا على أقوال : (ديلسبس) بحياد قناة السويس ، وأنه لن يسمح بدخول الأسطول الانجليزي فيها ، ولا ندرى كيف ينخدع أحد بهذه الأقوال !! حتى ولو كان الرجل صادقا ، فكيف يستطيع منعهم ، ولو فكر عرابى فى سد

القناة لتعسر على الانجليز الدخول ، ولكنه انخدع وتردد لسوء حظ مصر ، ولما حزم أمره على قطعها كان قد نفذ المقدور ، فقد احتل الانجليز بور سعيد فى ٢٠ أغسطس ، والاسماعيلية فى ٢١ منه وفى ٢٢ منه تم احتلال القناة حتى السويس ، واتخذوها قاعدة للهجوم على الجيش المصرى ، الذى كانت مواقعه منتشرة فى محافظة الشرقية •

وظهر عجز وزارة اسماعيل باشا راغب عن معالجة الموقف ، فاستدعى محمد باشا شريف من أوروبا ، وشكل الوزارة فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٨٢ ، ومن أعضائها : رياض باشا للداخلية ، وعلى باشا مبارك للأشغال ، وغيرهما من المعروفين بمخالفتهم للعربيين •

وأُسرع عرابى الى الجبهة الشرقية ، وتضافر سوء التخطيط العسكرى ، وبطء التحركات ، وعدم الكفاءة واليقظة عند بعض الضباط وخيانة البدو ، فوقع

الهزيمة الكبرى في التل الكبير في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢ • من المحطة الى سراى عابدين آثار الاحتلال الانجليزى ، لم يتمالك نفسه من البكاء ، وظلت وزارة شريف باشا حتى يناير سنة ١٨٨٤ ، حيث استقال احتجاجا على طلب الانجليز اخلاء السودان للعجز عن قمع ثورة المهدي ، وتوفي شريف بعد ذلك في نفس السنة •

وانتهت الثورة العرابية بتسليم أحمد عرابى وأصحابه أنفسهم ومحاكمتهم ، واعترافهم بجريمة العصيان ، ليحكم عليهم بالنفى بدلا من الاعدام •

وقيل ان شريف باشا دخل القاهرة بعد ذلك ، ورأى في طريقه

يتبع
للأستاذ محمد كمال السيد

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه

فما فاته منها فليس بضائر

رمضان وحكمة الصيام

للاستاذ محمد نعيم عكاشة

نهاره عن الطعام والشراب وملاذ الحياة محتسبا بذلك النية لله تعالى ، ويقوم ليله متقربا الى الذات العلية .

من أجل هذا : كان فضل الصوم عظيما ، وكان من أحب العبادات الى الله تعالى .. وقد اعتبروه ربع الايمان ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « الصوم نصف الصبر » .. وقوله : « الصبر نصف الايمان » .

وقد روى في المباهاة بالصائم : أن الله تعالى يقول : « انظروا ياملائكتي الى عبدى ترك شهوته ولذته ، وطعامه وشرابه من أجلى » . وقيل فى قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون »

.. وجاء الشهر الكريم .. الشهر الذى شرفه الله وعظمه وأعلى فيه منزلة الانسانية ، حيث أنقذها من ظلمات الجهل والوثنية وهداها الى سبيل الرشاد .

.. شهر رمضان الذى ذكر صراحة فى القرآن ، دون بقية الشهور ، واختصه الله تبارك وتعالى بالصيام الذى فرضه على عباده .. يقول سبحانه وهو أصدق القائلين : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .. والصيام فى حقيقته — وان طال الحديث عن أسرارهِ وحكمهِ — تركية للنفس وتطهير للقلب وجلاء للصدر ، حيث ينقطع الصائم فى

• لرضاء

وقد تضمنت الآيات الخمس من سور البقرة المدنية : (١٨٣ - ١٨٧) فرض الصوم على المسلمين مثلما كان مفروضا من قبل على أهل الملل السابقة ، حيث كانت تتعبد به الأمم القديمة حتى الوثنية منها ، باعتباره من أقوى العبادات •• فقد كان معروفا عند قدماء المصريين ، وانتقل منهم الى اليونان ، ثم الرومان ، ولا يزال الوثنيون حتى وقتنا هذا يؤدون نوعا خاصا من الصيام، وقد ورد في التوراة والانجيل مدح الصوم ، وفرض على اليهود في بعض الأيام وأشهر صوم وأقدمه عند النصارى هو: الصوم الكبير الذى يسبق عيد الفصح ، وهو الذى صامه موسى ، وكان يصومه عيسى والحواريون ، والتشبيه انما هو في الفرضية لا في الصفة ولا في العدد ••

صيام المسلمين ليس كصيام أهل الديانات والملل الأخرى ••
ومن حيث صيام رمضان : فقد بين الله لنا الحكمة في كتابته على الناس ببيان فائدته الكبرى، وهى:

•• كان عملهم الصيام ، لأنه قال : « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » • والصابرون الصائمون في أكثر الأوقات •
وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخص شهر رمضان من العبادة بما لا يخص به غيره من الشهور ، فكان يكثر فيه من الصدقة والاحسان ، وتلاوة القرآن ، والصلاة ، والذكر والاعتكاف •• كان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان ، وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود الناس ، وأجود مايكون في رمضان •

كما أن الصوم يتميز عن غيره من سائر العبادات ، وهو ما عبر عنه بقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى : **الصيام لى وأنا أجزى به** ، وذلك : لأنه يقع في القلب ولا يكون الا بالنية التى تخفى عن الناس ولا يطلع عليها أحد غير الله ، فأضافه سبحانه الى نفسه باعتباره سرا بين العبد وربّه يفعلها خالسا له ، ويعامله به طالبا

اعداد نفس الصائم لتقوى الله بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة ، امتثالا لأمر ربه ، واحتسابا للأجر عنده ، فتقربى بذلك ارادته ، وتقوى نفسه •• كما تتناول هذا المعنى كثير من الأحاديث النبوية الشريفة • ومنها على سبيل المثال : عن أبى هريرة رضى الله عنه — عن النبى صلوات الله وسلامه عليه قال : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » •

•• الى غير ذلك من الأحاديث الشريفة التى تذكر فضل الصوم وآدابه ••

ثم بين الله سبحانه وتعالى: أن الصيام الذى كتبه علينا معين محدد ، فقال : « أياما معدودات » أى معينات بالعدد أو قليلات ، لأن القليل يسهل عده • روى عن مقاتل: أن كل معدودات فى القرآن أو معدودة ، دون الأربعين ، ولا يقال ذلك لما زاد ، والمراد بهذه الأيام المعدودات هى: أيام رمضان — اختار ذلك ابن عباس والحسن رضى الله عنهما — •

وبنزول تلك الآيات الكريمة من سورة البقرة صام الرسول صلوات

وفى معنى « ايمانا واحتسابا » قال الخطابى : « ايمانا واحتسابا » أى نية وعزيمة ، وهو أن يصومه على التصديق ، والرغبة فى ثوابه ، طيبة به نفسه ، غير كاره له ، ولا مستثقل لصيامه ، ولا مستطيل الأيام ، لكن يغتتم طول أيامه لعظم الثواب •

وقال البغوى: قوله: « احتسابا » أى طلبا لوجه الله تعالى وثوابه ، يقال : فلان يحتسب الأخبار ، ويتحسبها : أى يتطلبها •

ولا يحل بعد النوم مأكلاً ولا مشرب
ولا منكح ثم فسخ •

وقال آخرون : معناه : أنه كتب
علينا صيام أيام كما كتب عليهم
صيام أيام ، ولا دلالة فيه على
مساواته في المقدار ، بل جائز فيه
الزيادة والنقصان •

وقال أبو السعود : المراد
بالمماثلة : اما في أصل الوجوب ،
واما في الوقت والمقدار •

والخلاصة عند جمهور العلماء :
أن ليس المقصود من الآية : (كتب
عليكم الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم) أن من قبلنا
كانوا يصومون ما نصومه اليوم ،
بل القصد من ذلك هو : بيان أن
فريضة الصوم عامة ، ولكل أمة
أيام معينة تصومها • قال تعالى :
« ولكل أمة جعلنا منسكاً » وقد
خص الله الأمة الإسلامية بصوم
شهر رمضان باعتباره الشهر الذي
أمر فيه رسوله بالبلاغ ، ونزل
فيه القرآن هدى للناس وبينات من
الهدى والفرقان ، فمن شهد
الشهر وجب عليه صومه •

الله وسلامه عليه والمسلمون شهر
رمضان في العام الثاني من الهجرة
وكان أول يوم فيه يوافق أول
شهر برمها القبطي ، والسادس
والعشرين من شهر فبراير
الميلادي • وذكرت بعض كتب
أهل السيرة : أن أيامه في تلك السنة
كانت كاملة العدد كما دون ذلك
الحاسبون •

قال البيضاوي : « كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم » ، يعني الأنبياء والأمم
من لدن آدم عليه السلام ، وفيه
توكيد للحكم ، وترغيب على الفعل
وتطبيب للنفس •

وقال الجصاص « في أحكام
القرآن » : ان قوله تعالى : « كما
كتب على الذين من قبلكم » :
يحتمل ثلاثة معان ، كل واحد منها
روى عن السلف ، قال الحسن
والشعبي وقتادة : انه كتب على
الذين من قبلنا — وهم النصارى
— صيام شهر رمضان أو مقداره
من عدد الأيام • وقال ابن عباس
والربيع بن أنس والسدي : كان
الصوم من العتمة الى العتمة ،

يتحنث فيه أهل الجاهلية الذين يروضون أنفسهم على الأخلاق القويمة وهم المتألهون منهم ، وأول من تحنث بحراء : عبد المطلب ابن هاشم ، كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء ، وأطعم المساكين ، ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل ، وأبى أمية بن المغيرة •

وكان عليه السلام يجاور ذلك الشهر ، يطعم من جاءه من المساكين لأنه كان من نسك قريش في الجاهلية ••

تعظيمه في الاسلام :

أما تعظيمه في الاسلام فقد ازداد بعد أن ذكر اسمه صراحة في القرآن دون بقية الشهور ، وأن الله سبحانه جعله شهر الصوم الذي فرضه على عباده •

وكذلك حفاوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشهر رمضان ، واعتباره شهر القرآن •• وفيه نزل القرآن الكريم •• وفيه كانت انتصارات الاسلام الأولى • وفيه يستجاب لكل مسلم صائم ••

ومن أعظم فضائل الصوم : أنه يتميز عن بقية العبادات بخاصية لا توجد في سواه ، وهي : أنه ينسب الى الله تعالى ، وأنه يعطى عليه من الثواب بغير حساب ولا تقدير ، ويشهد لهذا قول الله تعالى فيما حكاه نبيه صلى الله عليه وسلم : « كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، الا الصيام ، فإنه لى ، وأنا أجزي به » ••

شهر رمضان في الجاهلية :

كان شهر رمضان معظما في الجاهلية عند كثير من قبائل قريش ، خصوصا المتألهين ، أى الذين يعتقدون في وجود الآله ، وان كانت مضر تعظم رجبا لأنه شهر حرام لا قتال فيه ، وقد كانت تصومه وتذبح فيه ، ولذلك سماه رسول الله شهر مضر •

ويروى أهل السير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحنث شهرا من كل سنة في غار حراء ، كما هو مبسوط في سيرة ابن اسحاق وغيره ، ويقول صاحب السيرة الحلبية : ان غار حراء كان

الصحة والطب والصوم :

واذا نظرنا الى ما توصل اليه الطب من اكتشافات علمية نجد: أنه يعدد فوائد الصوم في علاج كثير من الأمراض مثل : اضطرابات المعدة والأمعاء ، وحالات البول السكرى المصحوبة بزيادة الوزن ، وزيادة ضغط الدم ، والتهاب الكلى الحاد والمزمن ، وأمراض القلب ، كما يستخدم وقائيا في حالات أخرى كثيرة .

ويقول الدكتور ماك خادون من كبار علماء الصحة بأمريكا في كتابه: « الصوم والطب » : « ان كل انسان يحتاج الى الصيام وان لم يكن مريضا ، لأن سموم الأغذية والأدوية تجتمع في الجسم فتجعله كالمريض ، وتثقله وتقلل نشاطه ، فاذا صام خف وزنه وتحلت هذه السموم من جسمه » .

ويذكر : أنه عالج بالصوم كثيرا من المرضى بأمراض مختلفة مثل اضطرابات المعدة ، قائلا : « ان الصوم لها مثل العصا السحرية يسارع في شفاؤها ، وتليها أمراض

الدم ، ثم أمراض العروق كالروماتيزم وغيره ..

ويقول الدكتور محمد جعفر : « ان الصوم نعمة وبركة وان خير ما يفعله الناس أن يتبعوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فيفطروا على لقيمات صغيرة ، أو حسوات قليلة من طعام خفيف ، أو شراب ساخن ، أو فاكهة يسيرة ، مما يكفى لكسرة حدة الجوع ، وأفضل ما يزيل العطش في هذه الآونة فنجال من مرق دافئ أو حليب أو ما شابهه من السوائل الدافئة ، أما الثلج والسوائل الباردة فهي مصدر للمتاعب في الجهاز الهضمي جميعه ، ومثار لكافة العلل ، ثم فليصل الصائمون ولينتظروا ساعة أو بعض ساعة ثم يتناولوا طعامهم من كأكلهم المعتاد ، وليراعوا الله في أنفسهم ولا يسرفوا .. امثالاً لأمر الله تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

وقد تأكد لعلماء الطب في العالم فوائد الصوم لعلاج كثير من الأمراض الى حد انشاء مصحات

يقوم فيها العلاج على الصوم أساساً •

وأشهر مصحة موجودة الآن هي : مصحة الدكتور هيتربج لاهمان في درسن بسكسونيا ، ويقوم العلاج فيها بالصوم ••

وكذلك : مصحة الدكتور برشديد والدكتور مولر وغيرهما، ويكون ذلك العلاج غالباً فيه الشفاء من اضطراب الهضم والبدانة وأمراض القلب والكبد والكلى والبول السكرى وارتفاع ضغط الدم •• وما ذكرناه وغيره ••

يبين لنا حكمة التكاليف الدينية وما أشملها ! وتتجلى بأوسع مدلول عظمة الشارع الإسلامى فيما فرض وشرع ••

وتبقى بعد ذلك كلمة أخيرة تتعلق بظاهرة المجاهرين بالفطر في رمضان ، والتي تشيع في

الشوارع والمحلات العامة ووسائل المواصلات •• وفي المكاتب ودوائر الأعمال أيضاً ، وهي بلا شك ظاهرة مؤسفة ومعيبة خاصة في بلد الأزهر ، وتستوجب بالضرورة محاسبة هؤلاء المجاهرين بالفطر في نهار رمضان بالحبس أو الغرامة ، اذ لا يجوز أن تجاوز الحريات الشخصية حرمة الدين ، وتتحدى مشاعر الصائمين ، وتتصادم مع الجو الإسلامى العام •

فاذا كان الفطر لعذر شرعى أو لاختلاف في الدين : فيجب على أصحاب تلك الأعذار أن يستتروا • أما الملاحدة الذين يتعمدون الاساءة الى الاسلام وأهله فلا بد أن يكون عقابهم أشد ، فليس بعد الكفر ذنب ••

محمد نعيم

شعر

ربيع الروح

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الرعين

يا هلالا راح يحبو في سماه
نوره الوهاج من نور الاله
ناسك قد عاد من محرابه
يسكب الاشراق في قلب الحياه

* * *

رن في الآذان ابان الغروب
صوت داع فوق أستار الغيوب
ساحر الأنعام قدسى الصدى
أيقظ الاحساس في غافى القلوب

* * *

أيها الحيران في تيه الضلال
أيها المحروم من برد الظلال
قف قليلا واستمع أنشودتى
مرهف الاحساس مشعوب الخيال

* * *

ان نور الله شفاف سناه
 ان أصاب الروح رجس لا تراه
 فاغسلوها في ينابيع التقى
 وارقبوه في محاريب الصلاه

* * *

ذاك شهر الصوم رفاه الضياء
 ذا نعيم الروح في دنيا الشقاء
 لوعة الحرمان فيه لذة
 لا تسامى في شعور الأشقياء

* * *

آه لو ذاقت شفاه الرمل
 في رحاب الصوم عذب المنهل
 ما اثبتكى في عيشة حر الظما
 لا ولا أحنى بمتن مثقل

* * *

آه لو راعت عيون حائرة
 بارقات في الدياجى باهرة
 لاستبانن في سناها رشدها
 واستحالت من عشاها باصرة

* * *

قم ترقب أيهذ الصائم
 ليلة من ألف شهر أعظم

ان فضل الله فيها سابغ
من فيوض يرتجيهما المسلم

* * *

حسبك الريان اذ ما يفتح
حسبك الجنات فيها تمرح
فوق نهر تحت ظل وارق
بين حور عند طير يصدح

* * *

محمد صان الدين البرديسي

حكم .. وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« الفضائل الخمس »

قال على - كرم الله وجهه : أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها
إياط الابل لكانت لذلك أهلا : لا يرجون أحد منكم إلا ربه ، ولا يخافن
إلا ذنبه ، ولا يستحيين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ،
ولا يستحيين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه ، وعليكم بالصبر فإن
الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس معه
ولا في إيمان لا صبر معه •

« درجات الصوم »

للصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم
خصوص الخصوص •
فصوم العموم : هو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة •
وصوم الخصوص : وهو صوم الصالحين ، فهو كف الجوارح عن
الآثام •

وتماه بستة أمور :

الأول غرض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره
والى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل •

الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت ، وشغله بذكر الله .
الثالث : كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه ، لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه .

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام : من اليد والرجل وعن الكاره ، وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار .
الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار ، فما من وعاء أبغض الى الله عز وجل من بطن ملئ من حلال .
السادس : أن يكون القلب بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء ، اذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليه فهو من الممقوتين .

أما صوم خصوص الخصوص : فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله بالكلية .

« جهد ضائع »

دخل لصوص بيت أحد الظرفاء ، يطلبون شيئا يسرقونه ، فقال لهم :
 ان الذي تطلبونه منا في الليل ، قد طلبناه في النهار فما وجدناه .

« آداب الكلام »

قال حكيم : اعقل لسانك الا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تذكرها .
وقال آخر : اذا جالست الجاهل فانصت لهم ، واذا جالست العلماء فانصت لهم ، فان في انصاتك للجهال زيادة في الحلم ، وفي انصاتك للعلماء زيادة في العلم .

وقال النبي — صلى الله عليه وسلم — لسان العاقل من وراء قلبه ، فاذا أراد الكلام رجع الى قلبه ، فان كان له تكلم ، وان كان عليه أمسك ، وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما عرض له •

وقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : من لم يعد كلامه من عمله ، كثرت خطاياه •

« ما لم تكن تعرفه »

وقع بين الأعمش وبين زوجته وحشة ، فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح بينهما ، فدخل اليها وقال : ان أبا محمد شيخ كبير ، فلا يزهدنك فيه : عمش عينيه ورقة ساقيه وضعف ركبتيه ، ونتن ابطييه وبخر فيه ، وجمود كفيه !!

فقال الأعمش : قم قبحك الله !! فقد أريتها من عيوبى ما لم تكن تعرفه •

« الحزم »

قيل لأبى مسلم الخرساني ، بأى شىء أدركت ما أدركت ؟ قال : ائتزرت بالحزم ، وارتديت الكتمان ، حالفت الصبر ، وساعدنى القدر ، فأدركت مرادى وحققته ما فى نفسى •

« ما يصفو به ود المتوادين »

قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه ثلاث يصفو بها ود أخيك : تسلم عليه اذا لقيته •
وتوسع له فى المجلس •
وتدعوه بأحب أسمائه اليه •

وقال على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه فى ثلاث : فى نكبته ، وغيبته ، ووفاته •

وقال ابو العتاهية :

أحب من الاخوان كل مواتى
وكل غضيض الطرف من عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أريده
ويحفظنى حيا وبعد مماتى
ومن لى بهذا ليت أنى وجدته
فقا—مته ما لى من حسناتى

« مواجهة قاسية »

من المواجهات القاسية الرادة ، ماروى عن عمر بن عبد العزيز
من أن رجلا سعى برجل عنده ، فقال : ان شئت نظرنا فى أمرك ، فان
كنت كاذبا فأنت من هذه الآية « ان جاءكم فاسق بنبأ » وان كنت
صادقا فأنت من هذه الآية : « هماز مشاء بنميم » وان شئت عفونا
عنك .

قال : العفو يا أمير المؤمنين •

قال : على عدم العودة مرة ثانية •

« يكره الزحمة على المائدة »

جلس أبو الفضل الشاعر المعروف : « بابن القطا » يأكل مع
زوجته ، فقال لها اكشفى رأسك •
ففعلت •

ثم قرأ سورة الاخلاص •

فقال له : ما الخبر ؟

قال : اذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة ! واذا قرئت

سورة الاخلاص ، هربت الشياطين •

وأنا أكره الزحمة على المائدة •

« بر الوالدين »

مرض لعمر بن ذر ابن له ، فدخل عليه وهو يجود بنفسه ، فقال :
يا بني انه ما علينا من موتك غضاضة ، فلما قضى وصلى عليه ، وواراه
التراب ، وقف على قبره فقال : يا بني انه قد شغلنا الحزن لك ، عن
الحزن عليك ، لأننا لا ندري ما قلت ، وما قيل لك ، اللهم انى قد وهبت
له ما قصر فيه مما افترضت عليه من حقى ، فهب له ما قصر فيه
من حقك ، واجعل ثوابى عليه له ، وردنى من فضلك ، انى اليك من
الراغبين وسئل يوما ، ما بلغ من بره بك ؟
قال : مامشى معى بنهار قط الا قد منى !
وما شى معى بليل قط ، الا تقدمنى ، ولا رقى سطحا وأنا تحته •

« كذا أدبنا الله »

قال أنس بن مالك ، كنت عند الحسن بن على • رضى الله عنهما •
فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فحيته بها ، فقال لها : أنت حرة
لوجه الله تعالى •
فقلت : تحييك بطاقة ريحان لاخطر لها فتعتقها ؟
قال : كذا أدبنا الله تعالى فقال : «واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن
منها أو ردوها » وكان أحسن منها عتقها •

« دعاء »

اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، فاجعل يارب رحمتك
سترا لعيوبى ، وعفوك سترا لذنوبى ، ووفقنى للقيام بطاعتك ، والابتعاد
عن معصيتك ، وألهمنى خيرا أفعله ترضى به عنى ، عليك اتكالى فى جميع
أحوالى يا رحمن يا رحيم •

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفَتَاوى

الامام عبد الحميد شافعي

س : هل النية شرط في صحة الصوم في كل يوم أم يكفي بنية واحدة في أول الشهر ؟

وفي القاهرة يفطرون قبل الاسكندرية فعلى أى توقيت يفطر ؟

الفطور يكون على توقيت بلد الوصول فهو يفطر هنا على توقيت القاهرة • ولو كان الأمر بالعكس فانه يفطر على توقيت الاسكندرية ولو أفطر في الحالة الثانية على توقيت القاهرة — قبل غروب الشمس في الاسكندرية — يبطل صومه •

ج : نية الصوم شرط في صحته •• فانما الأعمال بالنيات ، ويرى بعض الأئمة أنه يكفي بنية واحدة في أول ليلة من ليالى شهر رمضان وأن كان يستحب تجديدها في كل ليلة ، على أنه ليس من الضروري التلفظ بها ، بل يكفي السحور نية للصائم وكل ما يدل على هذه النية •

س : ماذا تفعل المرأة اذا فاجأها الحيض أو النفاس في نهار رمضان وهي صائمة ؟

س : صام في الاسكندرية ثم سافر في اليوم نفسه الى القاهرة

جميع الفتاوى المذكورة أخذت مادتها العلمية ، من كتب الفقه المختلفة ومن فتاوى وأقوال كبار الفقهاء المعاصرين مثل : الشيخ محمود شلتوت والشيخ حسنين مخلوف ، والشيخ صالح شرف ، والشيخ سيد سابق وغيرهم نفعنا الله بعلمهم ورضى الله عنهم •

يحط من ثواب الصائمين والصائمات ، والاولى تجنبه الا لضرورة ملحة للخروج والا فليتجنبوه ما أمكن •

س : عقد قرانه في شعبان وأراد الدخول في رمضان فعارض ذلك بعض الامل في الحكم ؟

ج : الدخول في رمضان أو عقد القران فيه مباح لا شيء فيه فلم يحدد الشرع أياما معينة لذلك ، واعتقاد بعض الناس أن الزواج أو العقد في شهر رمضان لا يجوز اعتقاد باطل وليس له أصل في الشريعة •

فلا حرج أن يدخل بزوجه في أى ليلة من لياليه المباركة ولاشؤم في الاسلام •

س : من الناس من يعتبرون رمضان شهر راحة وكسل فيقتل انتاجهم فيه ، ومنهم من يقتل نهاره في اللهو والجلوس في المقاهى ولعب الأوراق أو الطاولة بقصد التسلية ، ومنهم من يسهر ليله وينام نهاره فما حكم هؤلاء الناس ؟

ج : على هذه المرأة أن تفطر فانه يحرم على الحائض والنفساء الصوم فاذا انتهى الحيض أو النفاس صامت ما بقى لها من رمضان وقضت الايام التي أفطرتها من رمضان ••

ومن رحمة الله بالمرأة أنها تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ، لأن رمضان لا يتكرر ، أما الصلاة فهي تتكرر في كل يوم خمس مرات ولو تكرر القضاء بتكرر الحيض لكان في ذلك مشقة والدين يسر لا عسر •

س : ما حكم اختلاط الرجال والنساء في المواصلات العامة وغيرها مما يوقع الصائمين والصائمات في الحرج ؟

ج : لا شك أن اختلاط الرجال والنساء بالصورة التي نشاهدهما في المواصلات العامة لا يقره الاسلام ولا يبيحه ، بل انه يهدد آدمية الانسان وهو اذا كان غير مباح في غير رمضان فهو في رمضان أشد كراهية بل قد يصل الى درجة الحرمة اذا صاحبه القصد السيئ - وعلى كل فهو

ج : شهر رمضان شهر تربية وليس شهر كسل وعدم انتاج ، وعلى العامل والموظف والصانع أن يحسن عمله فيه ولا يؤخره حتى لا تتعطل مصالح الناس ، ولا يقل الانتاج .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة فقد غزا بدرًا وفتح مكة في رمضان مما يدل على أن الجهاد مطلوب في هذا الشهر — ولا شك أنه أشق من ممارسة الأعمال العادية فيجب أداء العمل من باب أولى .

أما هؤلاء الذين يقتلون أوقاتهم الغالية في اللهو واللعب فلعله لا حظ لهم من صيامهم إلا الجوع والعطش ، وإن كانوا قد أدوا الفريضة ، وأولى بهم أن يقضوا هذه الأوقات فيما يعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم من قراءة قرآن أو ذكر أو أداء أعمال تتصل بمعايشهم ففي هذا الخير الكثير .

والأجر على قدر المشقة فكل عمل فيه مشقة كان أجره مضاعفا « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » ونوم الصائم

نهاره لا يتحقق به معنى الصيام ، وليس هذا النوم عبادة كما يزعم البعض — ورحم الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانوا رهبانا بالليل فرسانا بالنهار .

س : عند الغروب يهجم بعض الناس على المائدة ويملئون معداتهم بالطعام والشراب فهل يتفق هذا مع هدى الاسلام ؟

ج : تعجيل الفطر مستحب ولكن على أن يكون على تمرات أو شيء من الماء ويقول عند فطره : اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ، فاغفرلى ما قدمت وما أخرت ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله .. ثم يصلى المغرب وبعده يتناول عشاءه .. هكذا كان يفعل النبي وخير الهدى هديه صلى الله عليه وسلم .

س هل الغيبة والنميمة تفسدان الصيام ؟

ج : ان الغيبة والنميمة من المحرمات في دين الله ، وهما كغيرهما من المحرمات مثل أن يغش أو يطفف في الكيل أو

الميزان أو يؤذى الناس بيده أو بلسانه فكل هذا محرم شرعا وارتكاب المحرم يؤثر في الصيام تأثيرا بالغا اذ يوجب عقوبته في الآخرة •

ولذلك ورد النهى عن جميع المحرمات متأكدا في الصوم لأن ارتكاب المحرمات يتنافى مع ما يصاحبه من الاخلاص لله ومراقبته والتخلى عن جميع المعاصي والتحلى بالفضائل ، والتي ينال بها الثواب العظيم لمن صام رمضان ايمانا واحتسابا مما ورد ذكره في السنة •

ومع هذا فان الصيام لا يفسد بمثل هذه المحرمات ولا يجب قضاءه ، على أنه مما يجب التنبيه عليه ، أن من ارتكب معصية صغيرة كانت أو كبيرة أن يتوب الى الله ولا يؤخر التوبة حتى يلقي الله ربه وقد غفر له ذنبه •

والكيس من جعل رمضان فترة جهاد شامل للنفس والشيطان والشهوات حتى يخرج من رمضان قوى الايمان ، يفرح بفطره ، كما يفرح بلقاء ربه •

س : يسافر كل يوم لعمله وليس في سفره مشقة فهل يرخص له في الفطر ، واذا نوى الصيام ليلا ثم بدأ سفره نهارا هل يجوز له الفطر ؟

ج : السفر ولو كان مريحا في سيارة أو طيارة أو قطار مكيف رخصة في الفطر فقد أطلق القرآن السفر دون قيد ، لأن السفر مظنة المشقة ، والله يحب أن تؤتى رخصه •

وقد اختلفت العلماء في مقدار السفر المباح للفطر ، فمنهم من قال لابد أن يكون سفر قصر وهو حوالى ثمانين كيلو مترا ومنهم من قدره بثلاثة أيام بلياليها بالسير العادى قبل المواصلات الحديثة • وهناك أقوال أخرى •

ومذهب مالك لاباحة الفطر انه لابد من تبييت نية الفطر وأن يبدأ السفر قبل الفجر •• ويرى غيره أنه يجوز أن يفطر سواء نوى الصيام قبل السفر أو نوى الفطر • والافضل في السفر الصيام لمن لا يشق عليه الصوم ، أما من يشق عليه الصوم فان الافضل له

وقيل : على أقرب بلاد معتدلة اليهم •

س : هل يجوز تعاطي الحقن أثناء الصيام ؟

ج : الحقنة مطلقا سواء أكانت للتغذية أم للعلاج وسواء أكانت في العروق أو تحت الجلد مباحة ولا تبطل الصيام فانها وان وصلت الى الجوف فانها تصل اليه من غير المنفذ المعتاد •

ولما كان المحظور في الصوم هو الاكل والشرب عن طريق دخول شيء من الحلق الى المعدة - التي هي محل الطعام والشراب من الانسان - كان المبطل للصوم ما دخل فيها بخصوصها سواء كان مغذيا أم غير مغذ • ولا بد أن يكون عن طريق المنفذ المعتاد • فما دخل في الجوف ولم يصل اليها لا يفسد الصوم •

وعلى هذا فقد رأى بعض العلماء أن الحقنة الشرجية التي يدخل بها الماء الى الجوف ولا يصل الى المعدة لا تفطر الصائم ، وبهذا تكون الحقن بجميع أنواعها لا تفطر الصائم •

الفطر ، بل قد يكون الفطر واجبا عليه ان خاف شدة المرض •

س : هل يصح لربة البيت أن تتذوق الطعام وهي صائمة ؟

ج : يجوز لطاهية الطعام أن تذوق الطعام لتعرف بذلك نضجه وصلاحيته للأكل شريطة أن تحرص على عدم تحلل شيء منه الى الحلق ، وألا تتماذى في ذلك ويكره لغيرها ممن لا يمارس الطهي ذلك ، لأنه رخص ذلك للطاهية للضرورة •

ومثلها كل صاحب صنعة من كيال وجباس وحفار يصل الى فمه شيء من غبار صنعته فانه لا يفطر به •

س : كيف يصوم أهل البلاد التي يقصر ليلا ويطول نهارها أو تلك التي يقصر نهارها ويطول ليلا ؟

ج : اختلف الفقهاء في التقدير على أى البلاد يكون • فقول : يكون التقدير على البلاد المعتدلة التي وقع فيها التشريع كمكة والمدينة •

وكذلك أقماع البواسير أو
مراهمها ، والاكتحال والتقطير في
العين كل ذلك لا يبطل الصيام .

س : أين تصلى صلاة العيدين؟
ج : صلاة العيد يجوز أن تؤدى
في المسجد . ولكن أدائها في
المصلى خارج البلد أفضل - ماعدا
مكة والمدينة - ما لم يكن هناك
عذر كمطر ونحوها لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يصلى
العيدين في المصلى . ولم يصل
العيد بمسجده الا مرة واحدة
لعذر المطر .

س : هل تجوز زيارة القبور في
الاعیاد وما الحكم فيمن يذهبون
اليها بالطبول والاكل والشرب ؟

ج : زيارة القبور جائزة لقول
الرسول صلى الله عليه وسلم :
« كنت نهيتكم عن زيارة القبور
الا فزوروها » .. وكان النهى
عنها أولا لقرب عهدهم بالاسلام
خوفا عليهم من الشرك كعبدة
الاصنام . ثم أبيحت لأجل العبرة
والعظة وذكر الموت ، والدعاء
للأموات بالرحمة والمغفرة ، أما
خروج النساء والرجال اليها في
أيام العيدين ومعهم الطعام
والشراب واتخاذ القبور مسكنة
ومأوى للطعام والشراب واللهو
فذلك غير جائز شرعا ..
والله أعلم .

عبد الحميد شاهين

من أنباء العالم الإسلامى

اعداد الأستاذ : فهمى عبد اللاه سيد على

ألا أنهم سرعان ما أفاقوا من غفوتهم ونهضوا من كبوتهم التى عانوا منها زمن الاستعمار •

لقد بدعوا يدركون أهمية ذلك التراث الإسلامى العظيم وأن الفرصة ما زالت مواتية لهم ليتبوعوا مكانتهم بين الأمم ، وليساهموا فى تطوير الحياة الانسانية نحو الافضل ، لصالح الأمم والشعوب دون استثناء أو تمييز بحيث يعم الرخاء وتسود العدالة ، وتنتشر الأخلاق الفاضلة والقيم المثالية التى جاء بها ودعا اليها الدين الإسلامى الحنيف •

لقد جاء دين الاسلام بأفكار قويمه ومبادئ سليمة وعقائد مستقيمة تتفق مع الفطرة الانسانية الصحيحة التى فطر الله

جاء فى نشرة المركز الإسلامى بايطاليا رقم ٨٣ فى شهر أبريل عام ١٩٨٠ م : ما يلى

يشهد العالم فى هذه الأيام صحوة دينية اسلامية عظيمة لم يسجل التاريخ لها مثيلا ، المسلمون يعملون على ابراز شخصيتهم وتأكيد وجودهم ، وقد بدعوا يراجعوا خططهم ويعدوا أنفسهم للعودة الى الحكم بشريعة دين الاسلام السمحة ومبادئه السامية ، يقينا منهم أن تمسكهم بكتاب ربهم واتباعهم سنة نبيهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وتطبيقهم لأحكام دينهم كما كانوا رواد الحضارة التى تبارى عبر التاريخ ، ولقد شعروا بذلك عندما ابتعدوا عن أحكام دينهم ،

بلد الأزهر الشريف ... وعاصمة
الدولة الفاطمية .. وخط الدفاع
عن الاسلام والعروبة وستبقى
هكذا رغم كيد الأعداء ... وعبث
العابثين .. وما تعيشه مصر اليوم
وما يعيشه العالم العربى
والاسلامى سحابة صيف سوف
تنقشع قريبا ... ليلتقى الجمع
العربى والاسلامى من جديد فى
بلد الأزهر الشريف .

جاء فى صحيفة الأخبار بتاريخ
١٨/٦/١٩٨٠ وتوميئات الأخبار
للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف
ما يلى :

ان الازهر ليس جامعة ولا
جامعا كما يقولون ، ولكنه تراث
تاريخى ضخم من الفكر والرأى
والعمل الاسلامى ، وبهذا عاش
قبله المسلمين على امتداد ألف عام

« والأزهر هو القاعدة »

تردد الحديث عن انشاء مجلس
اسلامى أعلى يضطلع برسالة
العمل الاسلامى فى الأمة

الناس عليها ، كما أنها تلتقى مع
القيمة الأخلاقية والمثل العليا ،
وتعرف الناس بالحقوق
والواجبات ، دون تفريق بين
الأجناس أو تمايز بين الألوان ،
فالاسلام هو دين الحياة صالح
لكل زمان ومكان .

« الذبح وفق الشريعة الاسلامية »

ان ما كان ينقصنا ، فى مدينة
روما ، أصبح موجودا الآن فى
بعض المدن الايطالية ألا وهو
اللحم الحلال ، المذبوح وفق
الشريعة الاسلامية ، وهذا أمر
بالغ الأهمية للعديد من أبناء
الجمالية الاسلامية فى مدينة روما،
والذين يعافون اللحم الموجود فى
الأسواق ، ويفضلون عليه أكل
السمك أو الجبن أو الدجاج الذى
يذبحونه أو يشرفون على ذبحه
بأنفسهم وفق الشريعة الاسلامية.

جاء فى (ملحق مجلة الوعى
الاسلامى) العدد ٦١ رجب ١٤ هـ
ص ٧٦ (جمهورية مصر العربية)
حصن العروبة والاسلام ..

الاسلامية ، ولقد بدأ مجمع للبحوث الاسلامية هذا بداية طيبة وعقد المؤتمر الاسلامى عددا من الاجتماعات عرضت فيها أبحاث قيمة تناولت القضايا الاسلامية التى تشغل اهتمام المسلمين فى هذا العصر ، ولكن فى الايام الأخيرة أصيب مجمع البحوث الاسلامية بنوبة من الركود ، وانقضت اجتماعات المؤتمر الاسلامى لهذا المجمع لغير سبب معقول •

فاذا كنا نريد انشاء مجلس اسلامى يكون قاعدة للعمل الاسلامى وقاعدة لجامعة الشعوب الاسلامية ، فلا بد أن يكون الأزهر هو الأساس الأول لهذه القاعدة ، فان الأزهر له قداسته العلمية والفكرية فى العالم الاسلامى كله ، وما زال جامعة الشعوب الاسلامية يتوافد عليه طلاب العلم والدراسات الاسلامية من مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، وما زالت أروقته تحمل أسماء هذه الدول ، وأوقافه شركة بين أبناء هذه

الاسلامية ، ويكون قاعدة لجامعة الشعوب فى العالم الاسلامى على أن يكون فى تكوينه صورة للأمة الاسلامية على المستوى العلمى والمستوى الشعبى •

ويتجه رأى الى أن يكون المجلس الأعلى للشئون الاسلامية هو القاعدة أو الصورة التى يتم بها انشاء هذا المجلس مع اضافة ما يقتضيه التوسع فى العمل والغرض لتحقيق الهدف المنشود • الفكرة فى ذاتها قوية وعظيمة ، وهى لا تنشأ من فراغ فى مصر فقد عاش الأزهر بقيمته العلمية ومكانته الاسلامية ، حتى فى الوقت الذى أصبحت فيه الاستانة دار الخلافة الاسلامية ، فكان للأزهر كلمته المسموعة فى كل ما يهم العالم الاسلامى من شئون الدين والدنيا ، وفى الآونة الأخيرة أقمنا هذه الفكرة على وضع رسمى شمل فى تكوينه المؤتمر الاسلامى ومجمع البحوث الاسلامية وهو تكوين يضم صفوة من العلماء الأعلام الذين يمثلون شعوب الأمة

محمد أنور السادات من فضيلة
الامام الأكبر الدكتور محمد
عبد الرحمن بيسار شيخ الأزهر
اعداده ليكون أساسا لعلاقات
الدول الاسلامية ومعاملاتها .

وحول ما تضمنه الميثاق من
مبادئ سيتم رفعه للرئيس خلال
الأيام القليلة القادمة .

توصيات اللجنة البرلمانية :

**دعم الأزهر وتوحيد أجهزة الدعوة
والتصدى للأفكار المضادة .**

أوصت لجنة الشئون الدينية
بمجلس الشعب في تقريرها الذي
وافقت عليه أمس برئاسة الدكتور
محمد محبوب بضرورة دعم الكيان
الدينى والعلمى للأزهر الشريف ،
ليظل مركزا للإشعاع الروحى فى
مصر والعالم العربى والاسلامى ،
وتوحيد أجهزة الدعوة الاسلامية
فى جهاز واحد ، يمكن أن تكون له
فعاليه أقوى فى سبيل دعم
الأسس السلبية للعقيدة
الاسلامية .

الدول . والتكوين المطلوب
للمجلس قائم فى مجتمع البحوث
الاسلامية ومؤتمره العام وكل
ما هناك هو أن يتوسع فى هذا التكوين
وفاء للغرض المنشود . فلنحذر أن
يكون المجلس الذى نريده بعيدا
عن الأزهر ، لأننا بهذا نضحى
بتراث اسلامى ضخم ليس ملكنا
وحدنا ولكنه ملك لكل المسلمين .
«النصوص الكاملة لميثاق الشعوب
الاسلامية» .

*** المسلمون أمة واحدة
والشريعة الاسلامية المصدر
الأساسى للتقنين .**

*** أى عدوان على أى شعب
من الأمة الاسلامية عدوان عليها
جميعا .**

*** مؤتمر عام للشعوب
الاسلامية .**

*** محكمة عدل لدعم التعاون
بين المسلمين .**

انتهت اللجنة المشكلة بالأزهر
الشريف لوضع ميثاق الشعوب
الاسلامية الذى طلب الرئيس

القرن الهجرى الخامس عشر
بأضخم حدث فى عالم الفكر
الاسلامى ، وهو التسجيل الكامل
لتفسير عصرى على ستين شريطا
من أشرطة الكاسيت يحمل كل
شريط أربع حلقات ، تشرح كل
حلقة منها ربعا من أرباع القرآن
الكريم ، بعد قراءة الربع بصوت
المفسر ، وتستغرق الحلقة نصف
ساعة ..

وقد اشترك فى هذا التفسير
نخبة من كبار علماء مصر والعالم
الاسلامى .

فهى عبد الله سيد على

وطلبت اللجنة بالاهتمام باعداد
الدعاة وتخريج العدد اللازم
منهم للعمل فى مجال الدعوة
الاسلامية ، وضرورة التنسيق
بين وزارات التعليم والثقافة
والاعلام ، من أجل التصدى للتيارات
الفكرية المضادة للعقيدة
الاسلامية .

لأول مرة تفسير اذاعى جديد
للقرآن الكريم .

كما كان لمصر السبق فى جمع القرآن
الكريم جمعا صوتيا لأول مرة فى
المصحف المرتل ، فانها تستقبل

سورة الواقعة

على النبي صلى الله عليه وسلم

كان محمد صلى الله عليه وسلم يذهب الى « غار حراء » ويمكث فيه أياما يفكر في كل شيء حوله ، .
وفي ليلة من ليالى رمضان جاءه الملك (جبريل) فناداه
يا محمد !! وقال له :

« اقرأ » فقال محمد : ما أنا بقارىء ، فضمه الملك ضمة شديدة ، وقال له : اقرأ ، قال محمد : ما أنا بقارىء ، فضمه ضمة ثانية ، وقال له : اقرأ ، قال محمد : ما أنا بقارىء . قال جبريل عليه السلام : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » فقرأها محمد ، وحفظها ، ثم اختفى جبريل عن عينيه ، وكانت هذه أول ما نزل من القرآن الكريم .

كتاب الشهر

الآلهة في الأسرار

تأليف الدكتور رؤف شلبي

عرض وتحليل : للدكتور محمد صالح المنجد

مؤلف الكتاب عالم داعية ،
 وكتابه ينم عنه في صفتيه هاتين ،
 ففيه دقة العالم عمقه وأمانته ،
 وسلامة استنباطه وحسن تطيله ،
 وفيه شفافية الداعية ، وقوة إيمانه
 وحرارة دفاعه ووضوح غايته ،
 وقد أسس لهذه الخصائص تأسيسا
 مكينا أن المؤلف قد سافر الى بلاد
 الآلهة الأرضية ، وناقش كهانها ،
 وخالف عبادها وشى في الأسواق
 بحثا عن الحق وتوضيحا للباطل
 الزائف ، فأدار أسئلة ، واستمع
 الى أجابات ، وشاهد من المساهر
 العابثة ما كاد يصدمه فيما منع به
 الله عقول الناس من حصافة
 واعية ، ونفاذ مستشف ، فأين هي
 الحصافة ؟ وأين هو النفاذ ؟ في
 سوق الآلهة التي تشتري وتباع ؟ !
 والكتاب من وجهته الثابتة دعوة
 لأبناء الاسلام ، كي ينشطوا الى
 الدعوة لدينهم الصحيح ، لأن فساد
 الاعتقاد في الشرق والغرب يدعو
 أصحاب الرسالة الخاتمة أن يكونوا
 مؤمنين بها ، فيعملوا على نشرها ،
 واشراق نورها ، في بلاد الظلمات ،
 لتخرج الناس من الغي الى
 الرشاد ، وقد عجب المؤلف كل
 العجب حين رأى أمريكا وأوربا
 ترسل المبشرين الى مناطق
 الاسلام نفسه ، لتخرج الموحدين
 بالله الى التثليث ، دون حياء ،
 وأبناء الاسلام نائمون لا يفعلون
 شيئا ، ومن هؤلاء القسس من يعد
 الرسائل الجامعية لمعالجة الدعوة
 التبشيرية لدينهم في بلاد الاسلام
 من ناحية • ولتسهيل أقرب الطرق
 لتشويه معانى هذا الدين الأصيل ،
 وقد اتصل أحدهم بالأستاذ
 المؤلف ، وحاول أن يخدعه
 باصطناع ما يزعمه من التزام
 المنهج العلمى ، ولكن الدكتور
 رءوف كان جريئا على الباطل ، فأفهم
 الدارس أنه يلتزم — سابقا —
 بمقررات باطلة ، لا تتحمل هبة
 ربح ، ولو أراد الحق لوجه الحق
 لنزع عن نفسه كل تأثير طائفى ،
 ليواجه الحقائق سافرة ، بعيدة
 عن الطلاء • وما أن سمع الدارس
 هذه النصيحة حتى لاز بالفرار •
 يتحدث هذا الكتاب القيم عن
 الوثنيات المنتشرة في الدنيا ، وقد

تجعل الغامض المبهم في سراديب الفلسفة والمنطق باهر اللآلء ، ساطع الضياء ، كما سرنى : أن يشيد بالأستاذ الدكتور : محمود حب الله ، معترفا بفضل توجيهه ، وراجعا الى مؤلفاته النافعة ومترجماته السديدة ، لأن الوفاء للأساتذة قد قل في هذه الأيام ، اذ رأينا في الدوائر العلمية : من يحاول أن ينكر آثار أساتذته ، وأن يغتصبها لنفسه ، والاشارة أولى من التصريح •

وقد جلى المؤلف تجلية رائعة مقالاته الأولى عن الدين : نشأة وبواعث ومفهوما واتجاها وثقافة ، موضحا اضطراب الفكر الأوربي في بحوثه الدينية ، وموازنا بين ما يكتبه القسس وأصحاب دوائر المعارف ، وبين ما يقول به الاسلام في مصدره الصحيح : كتاب الله وسنة رسوله واذا كانت علاقة الدين بالأخلاق من جهة وعلاقة الدين بالفلسفة من جهة ثانية موضع خلط كثير لدى المتسرعين من الدراسين فقد وثق الدكتور : رعوف الى

بدأ بالحديث عن الوثنية العربية الجاهلية ، وهو حديث مشتهر لدى الدارس المسلم المثقف ، ولكن المؤلف قد أوجز نقاطه وحدد مجراه فلم يترك الماء يفيض دون نفع ، ولكن امتد به الى الزرع المتعطش للرى ، فأينع وأثمر ، وأتى أكله ، ولم ينقص منه شيئا ، فليت الذين يتكلمون في الذائع المشتهر يحسنون احسان المؤلف في استخلاص للباب وطرح القشور •

ويأتى بعد حديث الوثنية العربية الجاهلية حديث الوثنية في جنوب شرق آسيا ، اذ تحدث المؤلف عن الهندوكية والبوذية ، ثم كر راجعا الى مصر الفرعونية ، ليحدد مكانها من التوحيد •

وقد سرنى جدا : أن يجعل المؤلف اهداء كتابه الى روح أستاذنا المغفور له الدكتور : محمد عبد الله دراز ، رحمه الله — لأن المهدي اليه علم حقيقى من أعلام الازهر ، ومفكر نابه من مفكرى الاسلام ، وقد تحدث عن نشأة الأديان حديث العلامة المكين ، وللدكتور دراز شفافية ساطعة ،

تحديد هاتين العلاقتين في وضوح
سافر لا يحتمل اللبس ، اذ قال
عن علاقة الدين بالأخلاق :

« فالدين والأخلاق في الفكر
الغربي من الناحية التجريبية
مستقلان وان أمكن لقاؤهما في
الغاية ، ومن الناحية العلمية
الواقعية يسبق الشعور الأخلاقي
الشعور الديني . في نفس الطفل ،
وفي عدم امتزاج القوانين الأخلاقية
بالقوانين الدينية في المجتمع ، أما
في الاسلام : فالدين مصدر
الأخلاق . لأن الدين منهج واضح
يحدد السلوك ، ويأمر بالمعروف ،
وينهى عن المنكر » .

وفي مجال التفرقة بين الفلسفة
والدين : اختار المؤلف رأيين قويين
للدكتورين الكبيرين : محمد عبد الله
دراز ، وعبد الحليم محمود رحمهما
الله ، ثم بلور الخلاف في نقاط
هامة حين قال ص ٤٠ —

« ان الدين السماوي حقيقة
الهيئة ، وان الفلسفة ظن بشري ،
فالدين السماوي له من صفات
الكمال والثبات مثل ما للحق —

سبحانه وتعالى — وللphilosophie من
العثار والضعف ما للانسان
الضعيف الذي كتبهما ، وان أدلة
الدين يقينية ، لأنها من الوحي
المعصوم وأدلة الفلسفة ظنية ،
لأنها من العقل الذي يستطيع أن
يبنى ، وأن يهدم دون يقين .

وفي الحديث عن الهندوسية
والبوذية ، ذكر المؤلف : أنه لم يشأ
أن يعتمد على رأى عالم أوربي ،
لأن أكثر الكاتبيين في العربية ليس
لهم مصدر عنهما ، غير ما كتبه
الأوربيون ، ولكن المؤلف درس
لغة القوم ، وقرأ مؤلفاتهم ، ورحل
الى بلادهم ، وشاهد معابدهم ،
وناقش العباد في أمور المعبودين .
وبذلك : استطاع أن يهتدى الى
صواب كثير ، وأن يصحح أخطاء
وقع فيها نفر من أساتذته ، على
اخلاصهم الزائد للحق كالأستاذ ،
الدكتور : محمد غلاب ، اذ أن
مصادر الدكتور : غلاب — رحمه
الله — كانت أوربية تحمل من
الصواب قدر ما تحمل من الخطأ
ولم يجيء خطأ الباحث الأوربي

الالهام الذي سكب عليهم فأظهروه
في هذا الثوب الجميل من المعاني
والألفاظ البديعة » •

ينقل الدكتور ذلك القول عن
مؤرخى الهندوسية ، ليكون شاهدا
بعدم الجزم بأصالة الويدا ، ثم
يوالى البحث ليجد في النهاية أثر
الاسلام بارزا في اتجاه دعاة
الهندوسية المحدثين ، لأن السابقين
من دعاة الهندوسية كانوا ينكرون
الوحي ، وقد حكى الشهر متانى
عنهم ذلك بوضوح لا يقبل
التأويل ، فكيف تسنى للمحدثين
أن يعتزفوا به • يقول
المؤلف ص ٩٤ :

« وهذا أسلوب جديد يتبعه
القساوسة ، اذ يلفقون لنحلهم أدلة
وقضايا لتساير العصر ، وقد
سمعت قسيسا كبيرا يتحدث في
التليفزيون عن يوم القيامة ، فأقام
على صحة البعث عدة أدلة منها :
أدلة العدالة الالهية ، وأدلة
المشاهدات اليومية ، وأدلة
السلطان الالهى ، وهى كلها من
منابع القرآن الكريم ، وليس في

عن غفلة في النظر ، وخطأ في
البحث ، ولكنه جاء عن محاولة
الاستعلاء المتعطر على كل دين
يخالف دينه ، أرضيا كان هذا الدين
أو سماويا ، وقد اهتدى المؤلف
الى حقيقة خطيرة هى : أن دعاة
الهندوسية المحدثين قد أخذوا
مناهج الاسلام ليلصقوها
بالهندوسية ، دون أن تعرف هذه
المنبذات لدى السابقين من دعاة
الهندوسية ، قبل ان تعم بلادهم
تعاليم الاسلام ، يقول الأستاذ :
رءوف وتحت عنوان : (كيف ألفت
كتب الويدا) ص ٥٧ •

« يقول المؤرخون : كانت
« الويدا » تنقل عن طريق السمع
الى زمن معين ، شعر فيه المؤلفون
الملهمون الذين يرون بعين البصيرة
أنوار الحق ، فأحالوا ما رأوه الى
كتب تسمى بالويدا : (وهى التى
تعرف لدى المثقفين بالفيدا) ،
ولهذا : فان بعضا من الكتب قد
لحق اسمه باسم المؤلف ، لا لأن
هؤلاء الشعراء هم المؤلفون عن
أنفسهم ، بل لأنهم تلقوا محتويات
عن طريق الالهام والايحاء ذلك

الأنجيل كلها فقرة ، تشير اليها ، وأفاض المؤلف في تأكيد ذلك ، بما نرجو أن يكون موضع ملاحظة صادقة لدى علماء مقارنة الأديان ، ومن أعظم ما هزنى فيما أعلم من الحقائق : ما ذهب اليه الدكتور : رءوف من انكار القول بتناسخ الأرواح في العقيدة الهندوسية ، مستندا الى نصوص صريحة من كتب القوم ، مع أن الذى نعلمه : أن التناسخ مذهب هندوسى ، ولا أقول : ان المؤلف قد قال الكلمة الأخيرة فى هذا المجال ، فلا بد من دراسات شافية جامعة ، ولكن أقول : انه قد فتح بذلك مجالا للبحث عن التناسخ مبدأ ونحلة وعاقبة ، وهو أمر جدير بنظر الدارسين .

فإذا تركنا آسيا الى مصر ، فاننا نجد : حديث المؤلف عن مصادر التاريخ القديم ، وعن طريقة حل الرموز فى حجر رشيد ، وعن مؤرخى الفرعونية القديمة من أقوى ما قيل ، واذا سبق المؤلف ببعض ما كتب فان ما سطره تحت عنوان : (توحيد اخناتون ودعوة الأنبياء) يدعو الى التأمل الوثيد ،

فقد فتح الله على المؤلف فتحا مبينا ، حين أظهر الحق الأبلج ، الذى حاول المضللون شرقا وغربا أن يطمسوه ، اذ زعم أساتذة الجامعات لدينا نقلا عن سدنة الاستشراق فى أوروبا : أن مصر لم تعرف التوحيد الا على يد اخناتون ، مع أن التوحيد عقيدة

وحديث المؤلف عن المنبوذين حديث جيد ، والمجلد السابع من مجلة الأزهر قد اتسع لتقرير البعثة الأزهرية للهند ، فأغنى عن كل مرجع . وقد أدت البعثة واجبها ، وان لم تظفر بما تريد ، وقد ذكر المؤلف أحد أعضائها شيخنا العلامة المؤرخ الأستاذ : عبد الوهاب

الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الاياه
ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس
لا يعلمون» : ٣٩ ، ٤٠ سورة
يوسف •

واذا كان لى من رجاء لدى
المؤلف فهو : أن يصحح رأيه في
« انجيل برنابا » ، مستأنسا بما
ذكره عنه الأستاذ السيد :
محمد رشيد رضا - رحمه الله -
وانى لأعترف أن كتاب : (آلهة في
الأسواق) مصدر نفع محقق
للدارسين ، ولعل المؤلف بسبيل
اعداد كتاب آخر يستكمل به قصة
الآلهة ، ومن غير الآلهة أجدر
بالحديث ، وان كانوا متوهمين
لا حقيقين ! ؟

دكتور: محمدرجب البيومي

عرفت من يوم أن نزل آدم الى
الأرض ، اذ علمه ربه الأسماء وأمر
الملائكة بالسجود له اجلالا لما علم ،
ثم توالى الرسل والأنبياء قبل
اخناتون ، لتثبيت التوحيد ، جاء
نوح وابراهيم ويوسف قبل
اخناتون - فاذا لم يكن نوح ممن
قدموا الى مصر من الأنبياء ، فقد
قدم اليها عن يقين : ابراهيم
ويوسف ، وفي ربوع النيل : صدع
أبو الأنبياء ابراهيم بوحداية
الله ، وفي سجن مصر : هتف يوسف
بما حكاه الله عنه في قوله :
« يا صاحبي السجن أرباب
متفرقون خير أم الله الواحد
القهار ، ما تعبدون من دونه
الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم
ما أنزل الله بها من سلطان ان

فهرس العدد

الموضوع	صفحة
● في رحاب رمضان	
فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الرحمن بيسار	١٠٣٧
● الاهداف المرجوة من الصوم	
دكتور محمد الطيب النجار	١٠٤٠
● شهر رمضان	
للدكتور الحسينى هاشم	١٠٤٥
● من وحي رمضان	
للاستاذ محمد صابر البرديسى	١٠٥١
● دراسات قرآنية «سورة الطارق»	
لفضيلة الشيخ مصطفى الطير	١٠٥٨
● الى المسلمين فى كل انحاء العالم	
للاستاذ أحمد حسين	١٠٦٧
● المشكلة الاقتصادية فى ضوء تعاليم الاسلام الحنيف	
دكتور رءوف شلبى	١٠٧٨
● يوتس عليه السلام	
السيد حسن قرون	١٠٨٩
● منابع النور فى غار حراء	
جابر حمزة فراج	١٠٩٨
● رمضان شهر العبادة	
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى	١١١٢

- الامام الدكتور عبد الحليم محمود كما عرفته
للاستاذ على عبد العظيم ١١١٧
- اللغة العربية والبيان القرآني • الفاظ القرآن
للدكتور ابراهيم عوضين ١١٢٣
- الباحث عن الحقيقة للمرحوم محمد عبد الحليم عبد الله
للدكتور فتحي محمد أبو عيسى ١١٣١
- رمضان والفضائل النفسية
دكتور عبد الغنى الراجحي ١١٣٨
- واجب المسلمين نحو القرآن في شهر رمضان
للاستاذ محمد شلبى ١١٤٨
- طلب العلم
للدكتور ابراهيم أبو الخشب ١١٥٥
- انشقاق القمر والاعجاز العلمى للقرآن
دكتور منصور محمد حسب النبى ١١٦٣
- رمضان والمجتمع والقيم والحياة
للسيد عبد الحكيم النجار ١١٦٩
- الأزهر جامعا وجامعة او مصر فى الف عام
للاستاذ محمد كمال السيد ١١٧٥
- رمضان وحكمة الصيام
للاستاذ محمد نعيم عكاشة ١١٨٤
- ربيع الروح
محمد هان الدين البرديسى ١١٩١
- حكم وطرائف
اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١١٩٤
- الفتاوى
عبد الحميد السيد شاهين ١١٩٩

صفحة

الموضوع

- من أنباء العالم الاسلامي
أعداد الأستاذ : فهمى عبد الملاه سيد على . . . ١٢٠٥
- نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم . . . ١٢١٠
- كتاب الشهر « الآلهة فى الأسواق » تأليف الدكتور رءوف شلبى
للدكتور محمد رجب البيومى . . . ١٢١١



<p style="text-align: center;">العنوان</p> <p style="text-align: center;">إدارة الأزهر بالقاهرة</p> <p style="text-align: center;">٩٠٩٩٢٢ } ت ٩٠٥٥٠٦ }</p>	<h1 style="margin: 0;">الأزهر</h1> <p style="margin: 5px 0;">مجلة شهرية جامعة تصدر عن جمع البحوث الإسلامية بالأزهر في أول كل شهر عربي</p>	<p style="text-align: center;">مدير المجلة</p> <hr style="width: 50%; margin: 5px auto;"/> <p style="text-align: center;">محمّد صابر البردوسي</p>
--	---	---

الجزء السابع — السنة الثانية والخمسون — شوال سنة ١٤٠٠ هـ — سبتمبر سنة ١٩٨٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإسلام يدعو إلى الحياة الكريمة
 في ظل العمل والتعاون

للدكتور محمد الطيب النجار
 وكيل الأزهر

جاء الاسلام الحنيف فاشرف على العالمين بدستور قوى متين يدعو
 الى مكارم الاخلاق وكريم العادات وينظم العلاقة بين الافراد والجماعات
 ويصف ما تعانيه الامم من الادواء ثم يقدم لها في يسر وسهولة أنجع
 الدواء .

• وهذه المشكلات والامراض الاجتماعية التي تعاني الانسانية
 ويلاتها وتقاسى آلامها والتي طالما اجهد المصلحون انفسهم في علاجها
 فنجحوا بعض النجاح حيناً واخفقوا أحياناً قد وصف لها الاسلام الدواء
 الناجع الذي يضمن النجاح من ايسر سبيل واقوم طريق وانما يستثنى

الداء ويعز الدواء من التقصير والاهمال ، وعدم تطبيق مبادئ الدين
والاخذ بما تنطوى عليه تلك المبادئ من انظمة واحكام وقوانين •

• والاسلام فى معالجته لمشاكل الافراد والجماعات انما يوجه
الامم والشعوب فى مختلف الازمنة والعصور الى النظر بعين الاعتبار
الى الظروف والملابسات التى تحيط بالمجتمع ، ومن هنا : كانت لولى الامر
سلطته الواسعة فى تقدير كل ظرف ، ووضع العلاج المناسب الذى
يلائمه ، وهذه السلطة — بلا شك — انما تركز على أساس متين هو
العقيدة الصادقة والايمان الخالص والعدالة الكاملة •

• ولعل اصدق الامثلة على ذلك ما وقع عقب هجرة الرسول
— صلى الله عليه وسلم — واصحابه من مكة الى المدينة حينما
بدأ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يؤسس الدولة الاسلامية
الجديدة وكانت الظروف حينئذ
تملى على ولى الامر ان يتخذ خطة
حكيمه تلائم الوضع الاليم الذى
يحيط بالمهاجرين •

• فلقد آخى رسول الله — صلى
الله عليه وسلم — بين المهاجرين
والانصار وكانت هى الاولى من
نوعها فى تاريخ الانسانية لانها
أخوة نادرة المثال لم تقم على
قانون وضعى يسهل مغالطته
ويمكن مخالفته اذا غفلت عنه

وضعت الرقابة على تنفيذه وانما
قامت على عقيدة راسخة تهون
امامها متع الحياة ولذاتها ولأنها
لم تفرض بقوة البطش وجبروت
السلطان وانما فرضت بأمر من
الرسول الذى لا ينطق الا بما
يتنزل عليه من العليم الحكيم
الرؤوف الرحيم ولقد جعل الرسول
لكل رجل من المهاجرين أخا من
الانصار ، وجعل لهذه الاخوة
من الحقوق والواجبات ما لأخوة
النسب ، فكلاهما يرث صاحبه
اذا مات ويعقل عنه اذا جنى
ويؤازره اذا ألت به شدة أو
أصابه مكروه مؤازرة الأخ لأخيه
من النسب فكان ابو بكر الصديق
أخا لخارجة بن زهير الانصارى

المسلمين وتقتضى المودة والتعاون بينهم •

وفي ظل تلك الاخوة الكاملة الشاملة بين جميع المسلمين وضعت القواعد الدقيقة التى تكفل قيام مجتمع اسلامى رشيد والتى تقضى على المشكلة الاقتصادية الاولى فى هذا العالم ، وهى : فقر الافراد الذى هو النواة الاولى لفقر الامم والشعوب •

وكان من اقوى الدعائم التى قام عليها النظام فى الدولة الاسلامية الدعوة الى العمل ونبذ البطالة والكسل • فلقد دعا الاسلام كل انسان ان يأكل من كد يمينه وعرق جبينه ومن ذلك جاء فى صحيح البخارى عن المقداد بن معد يكرب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » وثبت فى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان زكريا عليه

وكان ابو عبيدة بن الجراح من المهاجرين اخا لسعد بن معاذ من الانصار وكان عثمان بن عفان من المهاجرين اخا للأوس بن ثابت من الانصار ، وكان عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين اخا لسعد بن الربيع من الانصار • • وهكذا أصبح المهاجرون والانصار بنعمة الله اخوانا وقد آتت هذه الاخوة — بحمد الله — ثمرتها المباركة ، اذ خففت عن المهاجرين وعوضتهم خير العوض عن فراق الاهل والعشيرة •

وكان هذا علاجا طارئاً زال بزوال اسبابه وانتهى حينما انتهت دواعيه فحينما اطمأن المسلمون فى مقرهم الجديد وشعر المهاجرون بكيانهم وبالامن والحرية يشرقان عليهم وشقوا طريقهم بالعمل فى سبيل الرزق نزلت الآية الكريمة : « وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض » فانقطع التوارث بين المهاجرين والانصار ، ورجعت الاخوة الى قاعدتها الاولى وهى اخوة النسب ، ولكن بقيت الاخوة الاسلامية التى تظل جميع

السلام نجارا» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتغل بالتجارة ويشغل - كذلك - برعى الغنم وقد ذكر عن نفسه وعن بعض الانبياء فقال : « بعث موسى وهو راعى غنم وبعث داود وهو راعى غنم وبعثت وانا راعى غنم اهلى باجباد » .

واعتبر الاسلام العمل عبادة لله وجهادا في سبيله فلقد روى ان رجلا قويا نشيطا مر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - متوجها الى عمل معين فقال اصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - لو كانت قوة هذا الرجل موجهة الى الجهاد في سبيل الله . فقال صلوات الله وسلامه عليه : « ان كان خرج يسعى على اولاده صغارا فهو في سبيل الله وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه فهو في سبيل الله » وقال الامام على بن ابي طالب رضى الله عنه « الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله » .

أجل : ان الاسلام يدعو الافراد الى العمل حتى لا يكونوا عالة على المجتمع ، وسوسا ينخر في عظامه ولقد ضرب اسلافنا الاولون رضى الله عنهم اروع الامثال في هذا السبيل فكانوا يكرهون البطالة ويأنفون ان يكونوا كلا وعالة والتاريخ الاسلامى مشرق بسيرتهم عطر بانبائهم ومن ذلك قصة عبد الرحمن بن عوف المهاجر مع سعد بن الربيع الانصارى رضى الله عنهما فحينما آخى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بينهما بعد الهجرة عرض سعد على عبد الرحمن نصف ماله ونصف بيته بل لقد أراد ان يطلق احدى زوجتيه لتكون زوجة لعبد الرحمن ويكتفى هو بزوجة واحدة ولكن عبد الرحمن وقد تربى في كنف العزة الاسلامية وهى تلك التى ينطوى عليها قول الله تعالى « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » أبى الا ان يعتمد بعد الله على نفسه فقال لصاحبه دلى على سوق المدينة ثم اشترى شيئا يسيرا من الزبد وامهل صاحبه بعض الوقت ثم باعه وسدد ما عليه

سبحانه « هو الذى جعل لكم الارض نلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » ويقول « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » .
 وفى الحديث القدسى « يا عبادى حرك يدك انزل عليك الرزق » .
 كما كانت « الزكاة » ولا تزال من اقوى الدعائم التى قام عليها النظام فى الدولة الاسلامية وقد جعل الله الزكاة الركن الثالث من اركان الدين وفرضها حقا معلوما للفقراء والمساكين وواجب اداؤها على كل مسلم يملك النصاب فى النقدين وفى الزروع والثمار وفى الابل والبقر والغنم وعروض التجارة وتوعد من يمتنع عن ادائها بالويل والثبور وعذاب السعير فقال تعالى « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

ثم اشترى وباع واشترى وباع وربح ثم ربح فلم يمض الا زمن يسير حتى ملأ اسمه الاسماع وملأت تجارته الاصقاع والبقاع .
 وكان ابو سليمان الدارنى يقول : ليست العبادة فى الاسلام ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفيك فأحرزهما ثم تعبد وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوصى الفقراء والاغنياء بأن يتعلموا المهنة ويقول انه يوشك ان يحتاج احدكم الى مهنة وان كان من الاغنياء . وكان يمقت اشد المقت اولئك الذين يخلدون الى الراحة والكسل مع قدرتهم على العمل ، ومن ثم قال قولته المشهورة « لا يقعدن احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » .

وقد بلغ من قيمة العمل فى الاسلام انه يعتبر عبادة ، وقد جعله الله سبحانه فرضا واجبا على كل قادر عليه تحصيلا للرزق وابتغاء تحقيق مجتمع الكفاية والامن ، وفى ذلك يقول الله

اعطاه الله فقال - كما جاء في الصحيحين : « مثل البخيل والمنفق كمثله رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو اثره ، واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع » • ومعنى ذلك : ان المنفق كلما بذل المال في سبيل الله وسع الله عليه بزيادة رزقه أو بالقناعة التي تجعل القليل كثيرا وان البخيل في ضيق من نفسه الكزة وطبيعته الشحيحة فهو مهما زادت امواله وكثرت ارزاقه في ضنك وشقاء وبؤس وعناء • واذا كانت موارد الزكاة تكمن في كل ما يحوزه الانسان من انواع المال المهيأ للتنمية والاستثمار كالتقنيين (الذهب والفضة) والانعام والزروع والثمار وعروض التجارة • • فانه يمكن أن يلحق بها في هذا العصر الذي نعيش فيه وفيما يأتي بعد ذلك من الازمنة كل ما استحدث أو يستحدث من انواع

وجعل الله ايتاء الزكاة من أسس الفلاح والايمان فقال « قد افلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون » •

ويبين الله عز وجل ان الانفاق في سبيل الله هو التجارة الربحية التي لا ينمو فيها رأس المال الى عشرة امثال فحسب بل الى سبعمائة بل يضاعفه الله اضاعفا كثيرة وذلك حيث يقول « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » وثبت في الصحيحين ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما ، اللهم اعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفا » • وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا رجلين احدهما بخيل يضمن بمال الله على عباد الله والآخر منفق يعطى مما

امر به الدين الحنيف وهو جزء ضئيل ولكنه مجزىء وجزيل ومقدار قليل ولكن اثره كبير ووفير •

اجل : انه في جملة وفي اغلب الموارد يوازي ربع العشر من الارباح السنوية ولكنه لو احسن توزيعه في نقطة ودقة على المحتاجين والمستحقين ، وتولت كل حكومة مسلمة الاشراف على هذا التوزيع على أساس من الانصاف والعدل والامانة فلن يبقى في المجتمعات الاسلامية بائس أو فقير •

وليس هذا الكلام جزافا أو مجرد ادعاء ولكنه النبأ الصادق الذى تحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى والذى لا يتحدث الا عن وحى يوحى •• ومن ذلك ما يرويه على بن ابي طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الله فرض على اغنياء المسلمين فى اموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا الا بما

الاموال واستثماراتها كأرباح المصانع والشركات والعمارات السكنية الى غير ذلك على ان يقوم كل نوع به عند حساب ما يجب فيه من زكاة — ثم تكون الزكاة على حسب القواعد المفصلة فى كتب الفقه الاسلامى » •

وقد حدد القرآن الكريم مصارف الزكاة فى ثمانية اصناف بقوله تعالى : « **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** » •

ويلاحظ ان من بين المصارف الثمانية الاموال التى تصرف « فى سبيل الله » وهذه الكلمة كانت تتحمل أولا على المجاهدين ولكنها فى واقع الامر تتسع لكل وجوه الخير كبناء المساجد وانشاء المدارس والمصححات وما الى ذلك من دور الخير والبر •

ومن واجب الدولة المسلمة أن تنشئ صناديق الزكاة لى تتجمع فيها حصيلة تلك الموارد وفق ما

يصنع اغنياؤهم • الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا اليما •

ولقد مرت على المجتمع الاسلامى فترات مشرقة بالخير والسعادة نتيجة لتطبيق المبادئ الاسلامية والسير على سننها الحكيم ومنهجها القويم وقد توارى - حينئذ - شبح الفقر البغيض واحس الجميع برد النعمة والرخاء ، فيروى الطبرى ان عمر بن عبد العزيز كتب الى عقبة بن زرعة الطائى - وكان قد ولاه الخراج فى خراسان - فقال له : « استوعب الخراج واحرزه فى غير ظلم فان بك كفافا لاعطيائهم » أى مساويا لاعطيائهم « فسيب ذلك والا فاكتب الى حتى احمل لك الاموال فتوفر لهم اعطيائهم قال : فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن اعطيائهم » (١) •

ويروى ابن عبد الحكم ان رجلا من ولد زيد بن الخطاب قال « انما ولى عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا فذلك ثلاثون شهرا فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون فى الفقراء فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فلا يجده » (٢) •

على ان الزكاة المفروضة وهى دعامة كبرى لاصلاح المجتمع الاسلامى وتدعيم اقتصادياته - ليست فى واقع الامر الا جزءا محدودا من الاسس القوية الاخرى التى جاء بها الاسلام فى هذا المجال ، فقد امن الاسلام فى محاربة الفقر واتخذ كل الوسائل فى سبيل القضاء عليه ، حيث جعل الاحسان الى الفقراء والمساكين كفارة للخطايا والذنوب وستارا للآثام والعيوب ، فكفارة اليمين اذا ما حنث فيها الانسان هى اطعام الفقراء والمساكين ، وفى ذلك يقول الله تعالى : (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن

(١) الطبرى ج ٨ ص ١٣٩ •

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم •

يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فطعام ستين مسكينا ..

وهكذا يكفر الاحسان الى
الى الفقراء الذنوب والآثام ،
ويغسل الخطايا والأوزار ، ولا
غرر فقد قال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - « الصدقة تطفىء
الخطيئة كما يطفىء الماء النار » .

ومظاهر التعاون في الاسلام
كثيرة ومجالاته واسعة تمتد امتداد
الحسنات التي يضاعفها الله الى
عشر ثم يضاعفها حتى تصل الى
سبعمائة ثم يضاعفها الى ما يشاء
ولمن يشاء فالصدقات والاحسان
الى المحتاجين والمعوزين لا يتقيد
شىء من ذلك بقيود ولا تقف دونه
حدود ، وقد وصل الأمر بجماعة
من المسلمين الى درجة الايثار ،
وكان ذلك في عصر الرسول صلى
الله عليه وسلم - وذكرهم الله
فيمن ذكر من عباده الأبرار فقال
عنهم « **والذين تبوءوا الدار
والايمان من قبلهم يحبون من
هاجر اليهم ولا يجدون في
صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم**

يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
فكفارتها اطعام عشرة مساكين من
أوسط ما تطعمون أهليكم أو
كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم
يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة
أيمانكم اذا حلقتهم ، واحفظوا
أيمانكم كذلك بين الله لكم آياته
لعلكم تشكرون) .

والرجل اذا ظاهر من امرأته
بأن قال لها : أنت على كظهر أمي
حرمت عليه ولا يحل له أن يقربها
الا بعد الكفارة ، والكفارة تكون
باطعام الفقراء والمساكين وفي ذلك
يقول الله تعالى « **والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا
فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا
نلكم توعظون به والله بما تعملون
خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم
يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك
لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود
الله وللكافرين عذاب أليم** » .

ومن أفطر بالجماع في شهر
رمضان لزمته الكفارة ، والكفارة
هي عتق رقبة فمن لم يجد فصيام
شهرين متتابعين فمن لم يستطع

خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون • **لقد قوى عزيز** • **الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله**

وحتى يتم ذلك ، وما ذلك على الله بعزيز — فان من حق الأقليات الاسلامية التى تعانى من جور الظالمين وطغيان الكافرين أن تشعر بهذا التعاون الذى يفرضه الاسلام على الدول الاسلامية التى منحها الله نعمة الحرية ، وأفاض عليها من الخير والثراء وبسط لها فى الرزق وبذلك يمكن أن تكون الأمة الاسلامية التى قال الله عنها « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ويمكن كذلك أن تتحقق بين المسلمين فى أرجاء الدنيا الأخوة الاسلامية التى لا تفرق بين مصرى ويمنى وهندى وباكستانى وعراقى وشامى ، بل تجعل المسلمين فى أرض الله الواسعة كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر ••

وفى هذا العصر الذى تقاسى فيه الشعوب الاسلامية من آثار

والاسلام هو دين العالمين ، وليس دين العرب وحدهم • وهو دين الأزمنة والعصور جميعا منذ أشرقت الأرض بنوره الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال « كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة » وفى رواية أخرى « وبعثت الى كل أحمر وأسود » والمعنى على الروایتين واحد • ومادام الاسلام قد تخطى حواجز الأمكنة والأزمنة ، فان آدابه العالية ومبادئه السامية يجب أن تتخطى نطاق الزمان والمكان كذلك •

وبهذا يكون المسلمون فى أرجاء هذا العالم مدعويين الى الجهاد فى سبيل الله حتى تكون كلمة الله هى العليا وحتى يعطوا لواء الاسلام •

ويتم نور الله ويتحقق وعده سبحانه وتعالى حيث يقول « كتب

تتلى في المساجد والمعابد ، وليس الاسلام ركوعا وقياما ولا حجا وصياما فحسب ، انما الاسلام فوق ذلك كله عاطفة انسانية واحساس بالآلام الناس وآمالهم ، ومشاركة لهم في شعورهم وتعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان وأخوة كاملة ترفع عن بنى الاسلام ضراوة الهمجية والوحشية وتجعل الصغير بجوار الكبير والقوى الى جانب الضعيف كالبنيان يشد بعضه بعضا .

الا ان الفجر الصادق في حياة المسلمين لقريب ان شاء الله ، ولقد بدأ الاسلام غريبا من العظمة والغرابة وسوف يعود غريبا في عظمته كما بدأ ، والله العزة ولسوله وللمؤمنين .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

وكيل الأزهر

دكتور / محمد الطيب النجار

التخلف الذى فرضه المستعمرون والذى يتولى كبره الآن جنود الشيطان وأعوان الباطل في كل مكان ، في هذا الوقت العصيب والجو الرهيب تظهر قيمة التعاون الذى يفرضه ديننا الحنيف على الدول الاسلامية التى تتوفر لها الثروات الضخمة والاقتصاد القوى المتين . كى تمد يد العون الى الأقليات الاسلامية لتوفر لها العزة والكرامة ، والحياة الآمنة السعيدة ، وتبدلها من بعد ضعف قوة ومن بعد خوف أمنا وطمأنينة، وبذلك يرأب الصدع ، ويجتمع الشمل ، وتعود للمسلمين عهدود القوة والمجد والسلطان .

فيأمة الاسلام ، ويا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام .
ان الاسلام جهاد وعمل ، وعقيدة وايمان ، وتعاون وتضامن ، وليس الاسلام ألفاظا تجري على اللسان ، ولا أدعية

مناجم الحديث

لفضيلة الدكتور الحسيني هاشم
الأميني العام لجميع البحوث الإسلامية

الجسد وفي الروح بشرط أن تكون
الرواية صحيحة وأن يكون الراوي
تثبيتها •

قال سفيان بن عيينة : « ليس
من أهل الحديث أحد الا وفي وجهه
نصرة لهذا الحديث » •

ومدح الرسول صلى الله عليه
وسلم حملة الدين الحقيقيين
الذين تجمعت فيهم أوصاف خاصة
هي الذكاء والحفظ والقدرة على
استخراج الطيب من الخبيث
والتعرف على الصحيح من السقيم
فقال : « يحمل هذا العلم من كل
خلف عدوله ما ينفون عنه تحريف
الغالين ، وانتحال المبطلين ،
وتأويل الجاهلين » • وقد روى
هذا الحديث من غير طريق
وتعددت طرقه بما يقتضى حسنه

حث الرسول صلى الله عليه
وسلم على رواية الحديث وشجع
المسلمين عليه فقال : « نضر الله
امراً سمع مقالتي فحفظها
ووعاها وأداها » • وفي رواية :
نضر الله امراً سمع منا حديثاً
فبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى
من هو أفقه منه ، ورب حامل
فقه ليس بفقيه » •

وفي رواية : « نضر الله امراً
سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه
غيره فرب حامل فقه الى من هو
أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس
بفقيه » •

لقد دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحافظ الحديث وراوى
الحديث بالسعادة في الدنيا
والنعيم في الآخرة والبركة في

وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ السنة الصادقة وحذر من الكذب عليه فقال : « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وقال : « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » . وقال : « ان كذبا على ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . وفي هذا الحديث توجيه الى أهمية السنة وخطرها . ان الكذب فيها على الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كالكذب على غيره . اذ لا التزام على أحد باتباع غيره ولا الزام لأحد بذلك ان الكذب عليه عفيف الأثر يمتدوزه الى كل زمان والى كل مكان ، وقد يحدث من الآثار ما لا يمكن جبره . وعلى الكاذب عليه أن يتعرف مكانه أنه النار .

من هنا كان اختلاف العلماء في كذب الكاذب المتعمد على الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كان غير

كما قال العلائي . . وفي هذا الحديث رسم لمنهج المدرسة الحديثية ووصف لرسالتها في الحياة . انها تميز الحق من الباطل وحماية الدين من كل دخيل عليه . قال النووي رحمه الله : « هذا — أى الحديث — اخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة هذا العلم ، وحفظه ، وعدالة ، وان الله يوفق له في كل عصر خلفا من العدول ، يحمونه وينفون عنه التحريف ، فلا يضيع ، ان في الحديث رسما لمنهج وأخبارا يتحقق هذا المنهج مصداقا لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » والذكر هو القرآن ما يبينه من السنة الصحيحة ، وسنرى كيف يتحقق هذا الخبر على يد الأئمة الأفذاذ من رجال الحديث . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل . وهو بذلك انما يبين خطر السنة النبوية ورسالة رجال الحديث .

مستحيل لذلك ولكم لم يختلفوا في أن من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث واحد عمدا فسق وردت رواياته كلها وبطل الاحتجاج بجميعها حماية للسنة وحفظا لحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم — بل لقد قال بعض العلماء بعدم ذهاب الفسق عنه بعد توبته وعدم قبول روايته بعد اقلاعه عن هذا الذنب العظيم .

وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من التحديث بكل ما سمع السامع فقال :

« كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع . وقال مالك رحمه الله : اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع ، ولا يكون اماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع .

والمقصود من ذلك أن يتحرى الانسان في الرواية ويعرف وجوه الحديث لينتقى منه ما يصلح للعامة وما لا يصلح ، وما كان منه

عاما وما كان منه خاصا وما كان منه مقصودا لذاته وما كان منه غير مقصود . قال النووي : فيها الزجر عن التحديث بكل ما سمع الانسان فانه يسمع الصدق والكذب فاذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لاخباره بما لم يكن . ومذهب أهل الحق أن الكذب الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو . ولا يشترط فيه التعمد لكن التعمد شرط في كونه اثما . ولا يناقض هذا ما روى الامام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو أنه قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهتني قریش فقالوا : انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج منى الا حق » وقوله صلى الله عليه وسلم : « انى لأمزح ولا أقول الا حقا » وقوله : « انى وان داعبتكم فلا

ودخل على الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله : أنت قلت لأبى هريرة كذا وكذا .. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : نعم فقال عمر : لا تفعل فأنى أخشى أن يتكل الناس فخلهم يعملون . وقد أقره الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال « فخلهم » لقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم قبلا ورأى عمر من بعده أن ظروف المسلمين الشاقة قد تدفعهم الى الاسترخاء عند معرفة هذا الخبر . وأن المصلحة في عدم اعلامهم به حتى يتعودوا على الأعمال الصالحة ويتمرسوا بفعل الطاعات فلم يعلموهم به رغم صحته وما فيه من فائدة .

وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » .

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين . أما أحدهما

أقول الا حقا » لأن النهى انما هو في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم . ففيه توجيه الى التعرف على الرواة والتثبت من المشايخ وتعرف مجارى كلامهم وأساليبه واذا كان في كل ما يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم فائدة للمسلمين فان على المحدث أن يتعرف مناسبات الحديث وجو التحديث وأن يتلاءم مع بيئته وظروفه : روى البخارى في كتاب العلم من صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان راكبا ومعاذ رديفه على الرحل فقال :

« يا معاذ بن جبل . قال : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار . قال معاذ : يا رسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا . قال : اذن يتكلموا » وأخبر بها معاذ عند موته تجنباً لاثم كتمان العلم . وروى مسلم في كتاب الايمان : ان عمر رد أبا هريرة وقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يبشر الناس بمثل حديث معاذ

فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا اليعوم .

وهذا الذى امتنع عن نشره هو ما فيه أخبار الفتن والملاحم وما يكون من الأحداث مما قد ينفر عن الحكام ويخلق الفتن ويثير الأزمات بلا فائدة ترجى منه . أو ما فيه أخبار عن أمور غيبية تتصل بمعانى المتشابهات أو تفصيل بعض المشكلات مما لا تطيق الأفهام فهمه ولا يقدر غير الرسول على تفهيمه .

ومن هنا كان ما قاله عبدالرحمن ابن مهدى « لا يكون الرجل يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع » وكان أحمد بن حنبل يكره التحديث ببعض الأخبار التى يكون ظاهرها الخروج على الأمير وكان أبو موسى يكره التحديث بالغرائب وبالجملة كانوا حريصين على عدم بث الفتنة أو فتح الطريق أمامها برواية ما يسبب ذلك وتوجيه الأنظار اليه محافظة على سلامة الدين من أصحاب الأهواء والشغب والفتن وغيرهم من المغرضين والجاهلين .

وقد حمل الرسول صلى الله

عليه وسلم من سمع منه العلم مسئولية تبليغه فقال بعد أن أمر ونهى ويشر وحذر : « ألا ليبلغ الشاهد الغائب » وقال : « ألا هل بلغت » مرتين .

وقد دعا صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة بالحفظ ومدحه بحرصه على الحديث .

وكان من هديه التعليمى أنه اذا سئل عن شىء لم يعلمه سكت حتى يأتى الوحي بالجواب . وكان اذا قال كلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه وكان كثيرا ما يطرح المسألة على أصحابه ليجذب انتباههم ، ويختبر أفهامهم وكان يتخولهم بالموعظة مخافة السامة عليهم ويختار الأوقات الملائمة للوعظ والتذكير والتدريس كوقت السحر وبعد صلاة الفجر وبعد العشاء ونحو ذلك . لقد رسم الرسول (صلى الله عليه وسلم) منهج التحديث ومنهج التلقى وحد الحدود لأخذ السنة واعطائها .

وما جهود العلماء بعد ذلك الا تفصيل لما أجمل وتقنين لما رسم .

دكتور الحسينى هاشم

ولاية الله للمؤمنين

للأستاذ محمد صابر البرديسي

قلبه • فلا يعمل عملاً يخالف
شريعة الله •

ومتى استشعر القلب في باطنه
بحقيقة الايمان ، وامتلات جوانبه
بنور الله ، فان الصورة الايمانية
التي تضيء قلبه لا تتفترق عن
الصورة العملية التي تصدر عنه •
ان لكل شيء حقيقة ، وحقيقة

الايمان : أن يستشعر المؤمن
وحدانية الله في قلبه ثم تكون له
جدية تظهر في دنيا الواقع وفي
عمله ، فليس الايمان كلمة تقال
باللسان ، مع عمل يخالف الحال
والكلام ، فلا يطابق المقال المقام •
« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل
الايمان في قلوبكم » (١) •

الايمان : ما وفر في القلب ، وصدقه
العمل — التصديق الثابت المتيقن
الذي لا يتزعزع ولا يضطرب •
فالايमान له مشاعر قلبية باطنة ،
وقرت في القلب واستقرت فيه ،
من : اخلاص الاعتقاد بوحدانية
الله ، والتصديق بألوهيته بلاشك
ولا ارتياب •

وللايمان صورة حركية ظاهرة ،
هي : العمل •

فالعمل هو الدلالة الظاهرة
للايمان ، والتي لا بد من ظهورها
للعيان ، لتكون شهادة بالوجود
الفعلي للايمان •

ومتى أخلص العبد الاعتقاد
بوحدانية الله وأخلص العمل
والعبادة له دون سواه ، صفا

روى عن الحارث بن مالك • فيهما

الأنصارى : أنه مر برسول الله « صلى الله عليه وسلم » فقال : « كيف أصبحت يا حارث » ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقا • قال : « انظر ما تقول ، فان لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك » ؟ فقال : عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى ، وأظلمات نهارى ، وكأنى أنظر الى عرش ربه بارزاً ، وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر الى أهل النار يتضاغون فيها • فقال : « يا حارث ، عرفت فالزم » ثلاثاً •

هذه شهادة من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » للحارث بأنه عرف حال نفسه ، وأنه مؤمن حقا ، وأن هذا الصحابى الذى استحق شهادة الرسول « صلى الله عليه وسلم » لم يكن إيمانه مجرد إيمان ، وانما كان مصحوباً بالعمل والحركة المدفوعين بمشاعر قوية ، ملأت عليه قلبه فأثرت

والمؤمن حقا يكون فى مدد الهى وأمن ربانى ، يحمل بإيمانه ثقل الدنيا وأكدارها ، فلا تكون أثقالها ثقلاً على نفسه ، وانما تكون له أسباب قوة • لا يضطرب من شيء ، وكيف يضطرب وعنده الاستقرار ؟ لا يخشى مخلوقاً وكيف يخشى ومعه الله ؟

« ان من عباد الله عباداً أحبوا ربهم حباً ملك عليهم قلوبهم وجوارحهم ، فغدوا بهذا الحب عباداً قانتين لله ، مداومين على عبادته ، محافظين على اتباع أوامره ، واجتنب نواهيه ، مراقبين له فى كل أحوالهم ، رغبة ورهبة منه • انهم بهذا يبلغون درجة

فالايمان يأبى على المؤمن أن يفعل ماينافيه ، أو يتترك مايقترضه •

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم » (٢) •

وعد الله الذين آمنوا بهدايته لهم بسبب ايمانهم •

فما أعظم الانسان حين يؤمن بربه ، ويعمل للتقرب من خالقه ، فيؤدى ما أمر الله به ، ويجتنب ما نهى الله عنه ، فمن آمن بالله واستقامت أحواله فإنه يصير من أولياء الله •

« ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » (٣) تبين الآية : أن المؤمنين يتولاهم ربهم فى شتى شئونهم ، فلا خوف

رفيعة ، ومنزلة عالية ، ويصبحون أولياء لله • وأحباء له وأقرباء منه تذكر أسماؤهم بذكر الله بصفاء قلوبهم ، واشراقة وجوههم ، ويذكر الله برؤية غيرهم لهم • عن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » • أن الله تعالى قال فى الحديث القدسى : « ان أوليائى من عبادى ، وأحبائى من خلقى ، الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم (١) » •

وكما يدفع الايمان صاحبه الى العمل الصالح فإنه يمنعه من اقتراف المعاصى ، ويكون حائلاً بينه وبين الموبقات ، لأن الانسان فيما يفعل وفيما يصدر عنه خاضع لسلطان عقيدته ، ومسير بأمرها ، ولهذا يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » •

(١) رواه الطبرانى فى الكبير •

(٢) سورة يونس الآية ٩ •

(٣) سورة فصلت الآيات (٣٠ ، ٣١) •

وعن أبي ذر قال : قيل لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه ، قال : « تلك عاجل بشرى المؤمن » (٣) •

وقد يكون من البشرى في الدنيا الصبر عند الابتلاء ، فالمؤمن يبتلى في دنياه بألوان الابتلاء ، فلا يشعر أنه المرزأ المبتلى •

« ولقد كان المسلم يضرب بالسيف في سبيل الله ، فتقع ضربات السيوف على جسمه فتمزقه ، فما يحسها الا كأنها قبالات أصدقاء من الملائكة ، يلقونه ويعانقونه » (٤) •

وعمار بن ياسر وأهله وغيرهم من الرعيل الأول المؤمنين السابقين قد لقوا من صنوف العذاب والتكيل ، ماتت شعرة له الأبدان وتتوء عن حمله الجبال « ان عمارا ملئ ايماننا من رأسه الى قدمه ،

عليهم ولا حزن يعتريهم • والأمة المؤمنة يمدّها الله بعونه وينصرها بقدرته ، ويبدل خوفها أمنا ، ويستخلفها في الارض ، ويمكن لها من اقامة شريعة الله •

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » (١) •

ذكر عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) •

قال تعالى « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » لقد عرفنا بشرى الآخرة : الجنة • فما بشرى الدنيا ؟

قال : « الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له ، وهى جزء من أربعة وأربعين جزءا من النبوة » (٢) •

(١) سورة النور الآية ٥٥ •

(٢) تفسير ابن كثير ص ٢ ص ٤٢٣ •

(٣) رواه مسلم •

(٤) مصطفى الرافعى •

واختلط إيمانه بلحمه ودمه • يدخله الله الجنة •
 والعبرة بالتضحية ، وما يقدمه
 المؤمن لدينه وأمته ، فالتضحية
 هي جوهر الإيمان •
 تلك يشرى المؤمن في الدنيا •
 أما بشرهم في الآخرة وما يتصل
 بها ، فان المؤمن اذا حضرته الوفاة
 وانقطع خيطه من الدنيا ، كشف
 عنه الغطاء ، فيرى مقعده في
 الجنة ، فيحب لقاء الله ، ويجب
 الله لقاءه ، فاذا ثوى في قبره ،
 وسوى عليه التراب ، جعل الله
 قبره روضة من رياض الجنة ،
 ويوم يحشر الناس من قبورهم
 وقاه الله شر ذلك اليوم ، ولقاه
 نصرته وسرورا ، فاذا اشدت
 الشمس على الرعوس ، أظله الله
 في ظله يوم لا ظل الا ظله ، ثم

أرجو الله أن يبصر المسلمين
 بدينهم ، وأن يهديهم الى الإيمان
 الكامل ، وأن يمكن لهم دينهم
 الذي ارتضى لهم ، حتى يحكموا
 بكتاب الله ، ويطبقوا في الأرض
 نظم السماء ، فيعم العدل والرخاء
 وتصبح الأرض كلها جنة ، والناس
 كلهم ملائكة •

محمد صابر البرديسي

مدير مجلة الأزهر

دراسات فترآنية :

الإيمان بالله كما يفنيه القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى في سورة البقرة « ان الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) » •

البيان

على الأجر ويؤمنوا من الخوف ،
وهم يؤمنون بالله واليوم الآخر
ويعملون الصالحات ، ولم تطلب
الآية منهم أن يؤمنوا بالنبي
وما أنزل عليه حتى يحصلوا على
الأجر ويؤمنوا من الخوف وقد
أساء هؤلاء فهم الآية فضلوا عن
سواء السبيل ، وباءوا بغضب من
الله لانحرافهم بذلك عن حقيقة
الاسلام •

(الآية تدعوهم الى الايمان بالله)

لو كان ما عليه أهل الكتاب
والصابئة ايمانا بالله لم يشترطه
القرآن عليهم لكي يحصلوا على

جاء مثل هذه الآية في سورة
المائدة بتقديم الصابئين على
النصارى ، ورقمها هناك (٦٩) وقد
أساء بعض المعاصرين فهم الآية
على صورتها ، حيث زعم أن
اليهود والنصارى والصابئين ،
مأجورون يوم القيامة ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون — وان لم
يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
وما أنزل عليه — لأن الآية في نظره
تدل على أن المطلوب من هذه
الطوائف أن يؤمنوا بالله واليوم
الآخر ويعملوا صالحا ، ليحصلوا

أصلح ما أفسدته الأديان ،
اذ يناديهم بقوله سبحانه في سورة
آل عمران « يا أهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن
لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من
دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا
بأننا مسلمون » أى أنهم ان لم
يستجيبوا الى ما دعاهم اليه من
دين التوحيد وترك ما هم عليه
مما ينافيه ، فانهم بذلك لا يكونون
مسلمين ولا مؤمنين بل كافرين
خالدين فى النار ، وأشهدهم على
أن المسلمين هم الذين دانوا بدين
التوحيد ، وهم محمد وأصحابه •

وقد توعدهم على كفرهم بآيات
الله بقوله تعالى لرسوله فى سورة
آل عمران « قل يا أهل الكتاب لم
تكفرون بآيات الله والله شهيد
على ما تعملون ٩٨ » كما توعدهم
على صدهم عن سبيله بقوله له
أيضا « قل يا أهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من آمن بغافل
عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل
عما تعملون » •

الأجر وينجوا من الخوف ، ولكان
نظم الآية هكذا : ان الذين آمنوا
والذين هادوا والنصارى
والصابئين — من عمل منهم صالحا
فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون — ولكنه
اشتراط عليهم الايمان بالله واليوم
الآخر بقوله « من آمن بالله
واليوم الآخر » لكى يحصلوا على
الأجر كما يحصل عليه المؤمنون
الذين صدرت بهم الآية — فكأن
النص يقول — ان الذين آمنوا
بالله ورسوله ، وكذا اليهود
والنصارى والصابئون لو آمنوا
بالله ايمان المؤمنين ، بأن دانوا
بشريعة التوحيد التى أصلحت
ما أفسده أهل الأديان ، فلهم
أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون • • فالآية فى
الحقيقة دعوة لهم الى الايمان بالله
ايمانا نظيفا من الشرك والولدية
والوثنية ، وترك ما هم عليه من
الأفكار الخاطئة فى الله تعالى ،
وترك الديانات التى انتهت بهم
الى عقائدهم الفاسدة ،
والاستجابة الى دين الحق الذى

عقائدهم في الله أبعدتهم عن الايمان به ..

يقول الله تعالى في سورة التوبة «وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون» ويقول في سورة المائدة «واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد» .

يبكى من أجل هذا الخطأ ، كما يزعمون أنه صارع يعقوب حتى الفجر ، ولم يستطع الافلات منه الا بعد ان ضربه فى حق وركه ، وأصابه من أجل ذلك بعرق النسا ، وأنه تعالى غير اسمه من يعقوب الى اسرائيل لشجاعته وجهاده ومصارعته لربه — هكذا قالت التوراة — فانظر سفر التكوين . اصحاح ٣٢ فقرة ٢٣ — ٢٨ .

والايمان بالله فى الاسلام لا يبيح مثل هذا الاعتقاد فى الله ويرفضه ويكفره ، كما أن العقل المستقيم لا يقبل أن يغلب البشر خالق الكون ، ولا يوافق على هذا العبث الماجن ، حيث تصور التوراة المقتدر الجبار بمصارع عابث وواهن عاجز لا يستطيع أن يفلت من البشر الذى يصارع الا بعد أن يضربه فى فخذه .

والنصارى تخطبوا فى شأن المسيح ، فجعلوه ابن الله تارة ، وثالث ثلاثة تارة ، وجعلوه هو الله تارة أخرى ، واعتقدوه فى كل هذه الصور شخصا ساذجا ضعيف الفكر ،

واليهود يعتقدون أن الله تعالى يخطئ ويصيب كالbشر ، فاذا تبين له خطأه ندم وبكى ، ويزعمون أنه ندم على الطوفان الذى أهلك به عصارة البشر ، وأنه

أنصار ٧٢ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ٧٣ » •

وحسبك هذا القدر في تصوير الايمان بالله عند أهل الكتاب ، دون أن نعرض لتفاصيل أخرى ، ومعلوم أن العهد القديم موضع التسليم من اليهود والنصارى ، وحسبك في الرد عليهم قوله تعالى في سورة الزمر « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » وقوله سبحانه « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » وقوله « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » •

أما الصابئة فمع ايمانهم بالله ووصفه بالأولية والأبدية ، يتوصلون الى عبادته بعبادة الكواكب كما نبينه ، ولما كان ايمانهم بالله مشوبا بالاشراك به في

اذ يسلم نفسه لخصومه اليهود ليصلبوه ويقتلوه على زعم تكفير خطايا البشر ، مع أنه يضاعف ذنبهم بتمكينهم من قتله ، في حين أنه يستطيع العفو عنهم دون أن يرتكبوا اثم قتله ، وكيف يستطيع البشر قتل الههم أو ابن الههم ، وكيف كان حال الكون حين قتله ، ومن كان يدير شئونه بعد قتله وقبل قيامه من الموت •

وكيف يستقيم أن عيسى هو الله ، وقد جاء في أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم ، أنه خاطب الله تعالى وهو مصلوب قائلا « ايلي ايلي لما شبقتنى » أى الهى الهى لماذا تركتنى لليهود ليصلبونى ويقتلونى •

لقد أنكر القرآن عليهم كل ذلك وحكم بكفرهم ، وقضى بعقابهم ، قال تعالى في سورة المائدة « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من

في سورة النساء « وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله (٦٤) » وقال « من يطع الرسول فقد أطاع الله (٨٠) » وهذا النص شاهد بأن من يعصى الرسول فقد عصى الله .

واعلم أن شريعة كل رسول ناسخة للشريعة التي قبلها بما اشتملت عليه من أحكام جديدة تناسب الأمة التي شرعت لها ، وأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم — مع نسخها للشرائع التي سبقتها ، فهي عامة لجميع الخلائق ، منذ بعثته الى أن تقوم الساعة ، قال تعالى في سورة الأعراف « قل يأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا » وقال في سورة النساء « وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا » وقال في سورة سبأ « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

وقد صدقت رسالته صلى الله عليه وسلم رسائل النبيين قبله فيما اشتملت عليه من العقائد وأصول الأحكام ، قال تعالى في سورة آل عمران « نزل عليك

العبادة ، فانه لا يعتبر ايمانا به سبحانه ، ولهذا لا ينجى صاحبه من أشد العقاب ، قال تعالى « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق » وقال « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية » .

من لم يؤمن برسالة محمد فهو هالك ضلال مبين أن يزعم أحد صحة الايمان بالله وكفايته في النجاة مع الكفر برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فالكفر برسول الله كفر بالله الذي أرسله وتمرد عليه ، ولهذا قال تعالى في سورة النساء « ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا (١٥٠) » أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا (١٥١) »

فالله سبحانه لا يرسل رسولا الا ليطاع باذنه ويعمل بشريعته ، والا كان ارساله عبثا ، وتعالى الله أن يكون عابثا ، ولهذا قال سبحانه

الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه » •

وكما صدقت رسائل النبيين فيما جاء بها من الحق ، ردت ما جاء فيها من عبث العابثين وتبديل المبدلين ، وبينت الحق فيه ، ففي شأن عيسى — مثلا — قال تعالى في سورة المائدة « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أأنى يؤفكون » • ولهذا كان القرآن مهيمنا على تلك الرسائل السابقة ومبين لما فسد فيها ، كما قال تعالى في سورة المائدة « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » •

وحيث كان محمد من ربه على هذه المكانة الرفيعة ، فيجب الايمان بنبوته وعموم رسالته ونسخها لما قبلها من الرسالات التي عبث بها أصحابها ، ومن لم يفعل ذلك فهو كافر ومصيره

جهنم ، قال تعالى في سورة النساء « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » وقال سبحانه في سورة البينة « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية » •

وقد بين القرآن أن الرسول يشهد يوم القيامة على من كفر به فتنسوء حالته ، قال تعالى في سورة النساء « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (٤١) يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا (٤٢) » •

وحذرهم عاقبة كفرهم بآيات الله الشاهدة على صدق رسوله فقال في سورة النساء « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما (٥٦) » • كما حذر أهل الكتاب من كفرهم

من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وان توليت فان عليك اثم ، اليريسيين — أى عامة الشعب —
ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » •

فأنت ترى أن النبی صلی الله عليه وسلم لم يعتبر هرقل النصرانى على هدى ، ولهذا قال له : السلام على من اتبع الهدى ، ولو اعتبره على هدى لقال له : السلام عليك ، كما انه دعاه الى الاسلام ، لأن ايمانه بالله كايمان النصرانى بعبسى ، وهو ايمان فاسد ، والاسلام جاء ليصلح ما أفسده أهل الكتاب ، وليأخذ بيد البشرية لتسلك الجادة الآمنة الى نعيم الخلود ، وتبتعد عن تيهاء الضلال ، وتتجنب عذاب السعير •

به فقال فى سورة النساء أيضا « يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أديارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا (٤٧) » •

أفبعد هذا البيان مستتبطا من آيات القرآن ، يتوهم أحد أن من يؤمن بالله ويكفر بمحمد يكون ناجيا ، ان من ينحدر الى ذلك الفهم الخاطيء هالك خالد فى نار جهنم والعياذ بالله رب العالمين ، « فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون » وماذا بعد الضلال سوى سوء المصير •

دعوة هرقل الى الاسلام ومدلولها

لا يوجد من هو أعلم بمقاصد القرآن ممن أنزل عليه القرآن ، وأنت — أيها القارئ الكريم — تعلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا هرقل عظيم الروم — وهو نصرانى يؤمن بالله ايمان النصرانى به — دعاه الى الاسلام بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم •

بالله الذى تكون به النجاة من
الخلود فى النار ، ويعتبر الكفر به
كفرا بمن أرسله وأيده بكتابه
العظيم •

« ان الدين عند الله الاسلام »

هذه الآية تقتضى أن جميع
الأديان الالهية ، تشترك فى معنى
الاسلام وقواعده القلبية والعملية
فأما معناه الذى تشترك فيه فهو
المعنى العام ، وهو الاستسلام
والخضوع لله رب العالمين ، وأما
قواعده القلبية فهي الايمان بالله
وملائكته وكتبه التى أنزلها على
رسله ، وسلمت من تغيير أصحاب
الهوى ، والايمان برسله جميعا
دون استثناء أحد منهم ، ولا
تفريق فى التصديق بينهم ،
والايمان باليوم الآخر وما فيه من
ثواب وعقاب ، والايمان بالقدر
خيره وشره •

وأما قواعده العملية المشتركة ،
فلاعتراف برسول الأمة ، وبجميع
الرسلك - سابقهم ومعاصرهم
ولاحقهم - وأصول الشرائع
والأخلاق ، من صلاة وصيام

ولقد اختتم النبى صلى الله
عليه وسلم كتابه الى هرقل
بانذاره بأنه ان تولى وأعرض عن
الاسلام الذى دعاه وأمته اليه ،
فان عليه اثم عامة الشعب فوق
اثنه ، لأنه لم يبلغ دعوة الاسلام
اليهم ، ثم نبههم الى توحيد الله
والامتناع عن اتخاذ أرباب من
البشر ، وختم كتابه اليه ، بأنهم
ان أعرضوا عما دعاهم اليه ،
فليشهد هو ومن معه من أهل دينه
أننا نحن المسلمون دونهم •

فاقرأ حديث هرقل فى صحيح
البخارى - كتاب بدء الخلق
ج ١ ص ٥ - طبعة قديمة ، قبيل
كتاب الايمان مباشرة ، وسترى
فيه فصل الخطاب وهدى الحيران
بمشيئة الله تعالى •

وكما دعا هرقل الى الاسلام
دعا المقوقس عظيم القبط اليه ،
ومن ذلك يفهم أن الاسلام الذى
يدعو اليه القرآن ويأمن به صاحبه
من النار هو الذى يدعو اليه محمد
صلى الله عليه وسلم ، ومن أجل
ذلك يعتبر الايمان به وبالقرآن
الذى أنزل عليه أساسا فى الايمان

وكل دين بأصوله المشتركة ، وبفروعه وتفصيلاته الخاصة به ، يمثل الاسلام الخاص بأمة وبرسوله ، ويسمى كل من النوعين اسلاما ، لما فيه من الاستسلام والخضوع لله رب العالمين .

وشريعة كل رسول تنبئ شريعة من قبلها في أمة هذا الرسول ، وتوجب على أمة أن يدينوا بها ويتركوا الشريعة التي قبلها ، لما فيها من تغييرات تناسبها وفي ذلك يقول الله سبحانه « **لعل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** » فلن لم يفعلوا فهم برسولهم وبرسالته كافرون ، كما حدث من بنى اسرائيل حين رفضوا رسالة عيسى « **فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون** » .

ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يبلغ الناس عموم رسالته فقال « **قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** » وأيد ذلك بقوله « **وما**

وزكاة وبر للوالدين ، وحرمة العدوان بغير حق ، وغير ذلك من عموم الأحكام والعبادات ومكارم الأخلاق .

ومع اشتراك هذه الأصول العملية بين جميع الأديان ، فإنها تختلف في صورها وأحوالها ، لكى تناسب عصرها وأمتها ، فالصيام في شريعة أمة ، يختلف في كيفيته ووقته ومقداره عنه في شريعة أمة أخرى ، والصلاة في أمة قد تختلف في كيفيتها وشروطها وأوقاتها عنها في أمة أخرى ، والزكاة في أمة قد تختلف في أنواع الزكويات ومقدار النصاب ومقدار الزكاة ووقت اخراجها عنها في أمة أخرى ، الى غير ذلك فالأمور المشتركة من العقائد وأصول الأحكام تمثل الاسلام المشترك بين الأديان السماوية ، وهو الذى يعنيه قوله تعالى « **ان الدين عند الله الاسلام** » وكل ما خالف تلك الأصول فهو من وضع أصحابه كادعاء البشرية في الله وأن له ولدا وأنه ثالث ثلاثة الى غير ذلك من الفساد في الأصول .

أرسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونظيرا » •

كلمة عن ديانة الصابئة

في سهل الموصل جماعة يسمون
الصابئة ، يؤمنون بأن الخالق
واحد أزلى ، لا أول لوجوده ولا
نهاية له ، منزه عن عالم المادة
والطبيعة ، وهو الذى أوجدها ،
ولكنهم مع هذا يتقربون اليه
بعبادة الأفلاك والكواكب ،
زاعمين أنها أقرب الأجسام المرئية
الى الله تعالى ، وأنها حية خالدة
ناطقة ، وأن كل ما يحدث في
العالم يكون على حسب ما تجرى
به الكواكب حسب أمر الله لها ،
فعظموها ثم جعلوا لها تماثيل
وأصناما ترمز اليها فعبدوها ، فهم
كالمشركين الذين عبدوا الاصنام

لتقربهم الى الله وبما أنه تعالى لم
يقبل من المشركين اعترافهم بالله
خالقا ، مع اشراكهم غيره معه في
العبادة ، فكذلك الصابئة لا يقبل
الله منهم اعترافهم بأنه هو الخالق
مع اشراكهم غيره معه في العبادة ،
قال تعالى ان الله لا يفر أن
يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن
يشاء » فالله سبحانه يرفض
الوسائط في عبادته بقوله « وما
خلقت الجن والانس الا
ليعبدون » ويقول في الحديث
القدسى « أنا أغنى الشركاء عن
الشرك من عمل عملا أشرك فيه
معى غيرى تركته وشريكه » والله
يقول الحق وهو يهدى السبيل •

مصطفى محمد الحديدى

الطبر

نظرات هادفة :

عالم الدين عندنا وعندهم

للدكتور محمد رجب البيومي

وأذكر منها موقفه الرائع حين ولج الكنيسة لص مجرم أخذ يجمع التحف ويسرق السجاد والبسط ، وقد عثر عليه الخدم في لحظاته الأخيرة فاقتادوه مكبلًا إلى الشرطة وعلم رئيس الكنيسة بالامر فبادر إلى المجرم ، وفهم من قصته أنه فقير لا يجد قوت أطفاله ، فسعى إلى العفو عنه ، وقدم له من العطاء الجزل ما يفي بحاجته ثم أخذ يقدم له نصائح الحياة ، في وعظ عملي مؤثر حتى رده إلى دنيا العفة والكرامة ، وهكذا شاء الأديب الفرنسي أن يقدم لقراءه ومشاهديه رجل الكنيسة في أعطر أفق ، وأوسع مرأى وكأنه عندهم ملك لا انسان •

أثار هذا المشهد الرائع في نفسى

قرأت قديما قصة البؤساء التى كتبها الاديب الفرنسى الأشهر فيكتور هوجو ، ثم شاهدتها تمثل معربة على الشاشة البيضاء بمصر ، فرأيت رجل الدين المسيحى يأخذ بين أبطال الرواية أرفع مكان اذ تجلى فى أنبل المواقف الانسانية وأقربها إلى معانى الايثار والكرامة والتضحية والاحساس حين صوره المؤلف الكبير فى صورة الانسان المثالى الذى يلقي كلمة الله فيواسى المنكوب ويعمل على اسعاد الفقير ويمسح دموع الأيامى والثواكل ، وهو بهذا يقدم رحمة الله للبائسين والتعساء ، وقد رسمه الكاتب فى عدة مشاهد تنطق بهذه المعانى لا فى مشهد واحد !

في نفوس المشاهدين ، فزعزعت مكانة عالم الدين اذ لا يخلو أمامهم من أحد أمرين ، اما أن يكون عاقلا داهية فهو مراب ولص وفاجر ، واما أن يكون مجنونا مستهترا فهو مهرج بهلوان !

ذلك مزلق وبيء تسقط فيه الاقدام المغرضة سقوفا بعيد المدى سبيء المنقلب لانه في أبسط نتائجه يوحى بأن الدين الاسلامي قد عجز عن تكوين علمائه تكوينا انسانيا يقدم المثل ، ويعطى الشاهد ، وهو تبعا لذلك أعجز من أن ينشئ أجيالا تفهم معنى الخير والرحمة وتسعى بالتسامح والهداية بين الناس ، وأنا لا ادعى العصمة لعالم الدين ، اذ أنى اعرف أن كل طائفة من الطوائف تضم الخبيث والطيب ، وتجمع الصالح الى الطالح . ومع ما أعرفه من ذلك فاني أقرر أن نسبة الشاذ بين رجال الدين في الاسلام لا تقاس اطلاقا بنسبة المنحرف من غير رجال الدين بمعنى أن المنحرف من علماء الشريعة يمثل

خواطر أليمة ، حين تذكرت موضع عالم الدين الاسلامي لدى نفر كبير من كتاب المسرحية العربية اليوم ، اذ دأب الكثيرون على انتقاصه زورا ، والصاق المثالب به بهتاناً وقد يفجر أحدهم فجورا يكذب به على الله وعلى الناس حين يعمد الى مشعوذ أمي فيليبسه عمامة ، ويطلق له لحية ثم يجعله واعظا داعية في الظاهر ليطلع الناس منه على باطن دنيء كله احتيال وعهر وتسفل ، وهو بعد صاحب عمامة يتلو آية ، ويقرأ حديثا ، ويتمتم على مسبحة ! حتى قدم علينا وقت لا نرى فيه غير أشباه من يسمون (بالشيخ متلوف) في مذهب هؤلاء ، وهو آدمي هزأة ضحكة يلبس العمامة والقفطان ليرفه عن الحاضرين بحركات صبيانية وإشارات بهلوانية ثم ينطق بلغة بين الفصيحة والعامية ، يتقعر في حروفها ، ويتماجن في نبرها ليثير الضحك من لغة الضاد أيضا ، وكأن الفصحى هدف آخر للمناوأة والمعاداة ، ثم تنتهي الرواية وقد أوحى ظلالها الكثيرة

عند أحد لوجدته عند علماء الدين ،
وهم هؤلاء أمامكم كما يعرضهم
الفنانون !

هذا التواطؤ المنكر على تشويه
عالم الدين ! لا يقف عند اصطیاد
الهفوات العابرة لتضخيمها
وتجسيمها كى تذاع على النظارة
بألف مذياع ، ولكنه يعمد الى
مواقف الكرامة المثالية لدى
الأفذاذ من العلماء ليشوه وسامتها
الرائعة بعد أن بهرت العيون
وملكت الأبواب ، وتلك وقاحة
سافرة تتطلب التأديب دون مراء .
وواضح أننا لا ندعو الى الاطراء
الباطل ، ولكننا ننكر ان يكون عالم
الدين وسيلة للأسقاط الدنى لدى
أناس يسرهم ان تكون الرذيلة
قاسما مشتركا بين الجميع ! ولكى
اوضح ما أعنيه من الاطراء
المنصف ، استشهد هنا بشخصية
العز بن عبد السلام لنرى كيف
نظر اليها روائيان مختلفان !

كان العز بن عبد السلام سلطان
العلماء فى عصره ، وكان من المهابة
والعزة والكرامة والتجلة بحيث

الاستثناء النادر لا القاعدة
المطردة ، اما الطوائف الاخرى
فنسبة المنحرفين فيها لا تسمح
بالموازنة بحال ، فماذا يريد هؤلاء
المفترون حين يصممون على تشويه
عالم الدين ، وكأنه وحده هدف
لكل تجريح .

نحن نعرف أن الاسقاط من
الحيل العدوانية لدى الانسان ،
ومعناه أن يرمى الانسان غيره
بدائه لينجو من التثريب ، واذا
كان عالم الدين هو الهادى الى
البر ، والداعى الى المعروف ،
والمندد بالشرفان هؤلاء النفر من
الكتاب يجدون راحة نفسية فى أن
يظهروه فى غير مظهره ، وكأنهم
من ناحية أولى يريدون أن ينتقموا
لأنفسهم من هذا الذى يحذرهم

عقوبة الله اذ ينقد مسالكهم
المشبوهة على رءوس الأشهاد ،
ومن ناحية ثانية يقولون للناس
لا تصدقوا أن مبادئ الاسلام
وأخلاقه الرفيعة شئ عملى يتاح
فى الحياة ، ولكنها مسائل نظرية
تقال فقط ! ولو وجدت تطبيقها

أصبح بعض من عناهم شوقى حين
قال :

كانوا أجل من الملوك جلالة

وأعز سلطانا وأبهى مظهرا

من كل بحر في الشريعة زاهر

ويريكه الخلق العظيم غضنرا

وقد كان بطلا روائيا في قصة

والسلامه للاستاذ على أحمدباكثر

رحمه الله وفي قصة السلطان

الحائر للاستاذ توفيق الحكيم ،

فلننظر الى ما صنع الكاتبان :

لقد كان الاستاذ بأكثير رحمه

الله رجل صدق واخلاص وفن !

فقد قرأ تاريخ العز ورأى من

شجاعته الرائعة في مواجهة الطغاة

ثم في مقاومة الصليبيين والتتار

معا ، ما كاد يعز نظيره في عشرات

الاجيال ، فعرف أن مواقف الرجل

العظيم بحقائقها المذهلة تغنى عن

كل خيال فالكاتب عادة لا يلجأ

للخيال الا ليزين الواقع ويجمله

ويقربه من الخواطر والاذهان ،

فاذا كان الواقع نفسه أبهر من

الخيال ، فان الكاتب رحمه الله قد

جعل من واقع العز بن عبد السلام

مجال امتاع خصب يرضى العقل

ويغذى الشعور ويحيى الوجدان ،

ولذلك جاءت قصته البارة

« وا اسلاماه » آية للسائلين !

اما الاستاذ توفيق الحكيم فلم

يكن رجل صدق واخلاص ، ولكنه

كان رجل فن فقط ، اذ جعل العز

ابن عبد السلام رجل كفاح ونضال

وعزة في بعض مواقفه ، والى هنا

فالكاتب صادق لم يتخيل ما يشين ،

ولو دار في هذا المدار وحده لمحي

بخط باكثر من الانتقان ، ولكنه

افتري على الحق حين جعل العز

عاشق غائية يلين لها ويتوسل !!

وما هكذا كان العز ولن يكون وقد

كان هذا الانحدار الشائن مدعاة

غضب عنيف من الفاقهين ،

واذكران المغفور له الاستاذ أمين

الخولى قد نقد هذا الاسفاف

بجريدة الاهرام نقدا ساطع

الدليل ، واضطر الاستاذ توفيق

أن يلتمس من يدافع عنه فقال من

يبرر مسلكه : ان الرواى لا يتقيد

بالتاريخ وانما يريد ان يصور

النفس البشرية ، ولكل نفس مهما

ارتقت مثالب ومحرجات والعزوان

لم يكن في تاريخه ما يوحى بهذا

أئمة ، يصلح تاريخ الواحد منهم أن يكون تاريخ عصره جميعه ، فأنت اذا تحدثت عن تاريخ سعيد بن المسيب أو الحسن البصرى أو مالك بن أنس أو أحمد ابن حنبل فى قصص تاريخية، تقوم كل قصة على تصوير مواقف العزة والمروءة فستجد من هؤلاء وأمثالهم ما وجده الأستاذ على باكتير فى العز بن عبد السلام ، وكتابة تاريخ هؤلاء الاغذاذ فى ثوب قصصى واجب مفروض على المخلصين من رجال القصة لأن تراجم هؤلاء فى كتب الطبقات لا تتييسر للشبيبة المتطلعة فى عصر المسرح والسينما والتلفزيون وان قراءة قصة غرامية أو حكاية بوليسية لأفضل لديهم من صحف قديمة تتحدث عن القدماء ! فاذا ما نهض فضلاء من أمثال باكتير رحمه الله لتسجيل حيوات أئمة رفعوا كرامة العلم وأعزوا كلمة الاسلام فسيعلم جمهرة القارئى كيف كان عالم الدين فى الاسلام وكيف يتحدث عنه المتحدثون .

أذكر أن فقيده البيان العربى

المسلك ، فهو بشر ينتظر ان يحدث منه هذا وان لم يحدث !! وهذا كلام باطل لأن العز وأمثاله قد تغلبوا على النوازع المنحدرة وعاشوا فى أفق الطهارة ، فمحاولة الصاق التهم بهم بدعوى أنهم معرضون لها كبشر ، محاولة هابطة ولها دلالة خبيثة لا تشرف كاتبها كالحكيم ونحن نسأل الكاتب بربه أيرضى لنفسه ان يجعل منه كاتب آخر بطلا روائيا يصور السرقة والزنا يدعوى أنه بشر يتعرض للانحدار !! واذا كان لا يرضى لنفسه هذا وهو باريسى «متفرنج» أفيرضاه لسلطان العلماء العز بن عبد السلام ! انا لا أتردد لحظة فى ان أقول ان هذا الذى يتجه هذا الاتجاه ممن يتسسترون بالفن ليصلقوا التهم بالشرفاء أحد الذين عناهم الله عز وجل حين قال :

« ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

ان تاريخ علماء الاسلام على مد عصوره يفيض بسير أعلام

الغابر ، وقد عرف مكانه الطبيعي من القيادة البصيرة والمهدى المستير ، كما تحتم على المجتمع أن يعلم أن عالم الدين شمس تضىء لا رجل يحتال ويختل ويسف ليعيش !

لقد صدر عن مارتن لوثر وحده في أوربا أكثر من عشرين رواية أدبية تتحدث عن اصلاحه الدينى كما صدرت روايات هادفة عن اغسطن وكلفن وتوماس ألا كوين ثم رسم هيجو واضرايه صورا زاهية لأناس متخيلين لا حقيقيين يمثلون الشخصية المحترمة لعالم الدين فاذا كان كتاب الرواية عندنا اليوم يقلدون أساتذتهم الأوروبيين فيما يعالجون من فنون • فلماذا لا يقلدون صنيعهم المثالى فى تقدير الرسالة الحية لعالم الدين ! ان كان لابد من التقليد المترسم لدى أناس يرون طريق الغرب أقوم سبيل •

د • محمد رجب البيومى

الاستاذ مصطفى صادق الرافعى رضى الله عنه قد كتب فى أوائل الثلاثينيات بقلمه الساحر سير نفر من الائمة على صفحات الرسالة وقد جمعت فيما بعد فى وحي القلم فجذبت الانظار الى نوع من الأدب الاسلامى الحى ،ونفر من حملة الاصلاح الدينى أدوا رسالتهم الحية فى مصاربة الشهوات وكانوا بسيرهم الطاهرة موضع الاسوة لمن ينشدون عزة النفس وشرف الحياة ، ولكن أسلوب الرافعى من القوة والعمق والدقة والايغال بالمكان الذى يرضى الخاصة ويعلو على العامة، ولا بد لاكمال رسالته فى هذا المضمار من أن تعاد سير هؤلاء الأفاضل مرة أخرى فى قالب روائى أخذ ، وأن يقوم بكتابتها جماعة فهموا روح الاسلام فى تنشئة علمائه وابداع حكمائه ، وحين تنتشر هذه السير الرفيعة بين المجتمع المعاصر يستطيع عالم الدين اليوم أن يمثل دور سالفه

المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف دكتور روف شاوي

كل النظريات الاقتصادية تحاول أن تقدم لشعبها خدمة بقدر ما يرى علماء النظرية مقدار هذه المصلحة لبلادهم •

✽ فالتجار يرون حين زعموا أنهم فسروا كمية الثروة لدى كل أمة بالمقدار الذي تملكه من النقد استخدموا هذه الفكرة لتتسيط

التجارة الخارجية بوصفها الأداة الوحيدة لجلب النقد الاجنبي وذلك من أجل خدمة اقتصاد بلادهم ورفاهية شعبهم ولذلك نراهم يضعون معالم سياسة اقتصادية تؤدي الى زيادة قيمة البضائع المصدرة على قيمة البضائع المستوردة من أجل تحقيق عمل تجاري يزيد في جلب النقد الأجنبي الى البلاد •

✽ والطبيعيون من بعدهم يفسرون الثروة بأنها الانتاج الزراعي وحده وأنه هو الذي يكفل تنمية الثروة دون التجارة والصناعة وأيضا كان ذلك خدمة لبلادهم من أجل ازدهار الزراعة وتقدمها لأنها في نظرهم قوام التجارة والصناعة •

✽ ولما رأى الغربيون أن محاولاتهم كلها لم تحقق الأمل المنشود ورأوا أن الشرق العربي والإسلام هو خزانة المال ومصدر الثروات طلّعوا علينا بنظرية « مالتس » التي تزعم أن : نمو البشر أسرع من نمو الانتاج الزراعي وذلك يؤدي حتما — حسب زعمه — الى مجاعة هائلة في مستقبل الإنسانية وذلك بسبب

أجل الأجور واستطاعت الحكومة البريطانية حل الازمة عن طريق التشريع وانتهت ثورة العمال الى الابد ولم تتحول بريطانيا الى دولة شيوعية ، رغم أن ماركس كان يكتب ورقاته ابان ثورة العمال في انجلترا وشاهد حلها لكنه كان « رجاسيا » فاسد المزاج ، ديكتاتوري الرأي فلم يعبأ بما حدث واستمر يكتب الورقات وما هو التاريخ يقرعه في قبره في لندن ان العمال في انجلترا لم يحولوا بريطانيا الى دولة شيوعية كما كان يحلم صاحب السخيمة الاحمق .

ومع هذا يجنح حكماء العرب الى موسكو ظنا منهم أن كعبة المال السخى والمدد الممدود سوف تغرقهم في نعيم الاشتراكية .. ومع الحفاء الذى تعانيه الشعوب الاشتراكية والمرض والجهل ، ومع الظلم والبغى فما زالت حفنة منهم تظن أن الحل النبيل هو فى النظام الاشتراكى .

وان النتائج المذهلة التى ترتبت على اقتصاد فاشل فى الغرب وفى

زيادة الناس على المواد الغذائية ووجد الحل الذى يريح البشرية من هذه الفجيعة هو تحديد النسل وراحت البلاد التى تعانى من كثرة الأيدى العاملة تنادى بفكرة تحديد النسل .

وتلقف الاقتصاديون فى البلدان العربية والاسلامية نظرية « مالتس » وروجوها ، وزج علماء الاجتماع بأبحاثهم فى الميدان ثم زج السياسيون بسطوتهم فرض تحديد النسل كعمل قومى وراحت البلاد التى تعانى من قلة الأيدى العاملة تنادى كذلك بفكرة تحديد النسل ، واعتبروا ذلك حلا .

ثم دس الاشتراكيون أنوفهم المزكومة فى ميدان الاقتصاد رغم أنهم فاشلون فيه زراعيًا وصناعيًا — وزعموا أنهم كشفوا القوانين الطبيعية التى تتحكم فى التاريخ وقالوا بحتمية الصراع بين الطبقات ، وحكم البوليتاريا ومن العجيب أن صاحب النظرية كان يعيش فى انجلترا عام ١٨٤٨ م ابان حملة العمال الانجليز وثورتهم من

- الشرق الشيوعي قد جعلها قومنا
محاور للاصلاح الاجتماعى
والاقتصادى •
- السياسية •
- فاذا أضيف الى هذا ما جرته
الشيوعية على بلادنا من : —
- (أ) فالاشتراكية الفاشلة في
نظر بعض حكام الامة العربية
والاسلامية هى عندهم طريق
الاصلاح الاقتصادى •
- (ب) تجميد الطاقات البناءة
المتحررة في نفوس المحبين للعمل
الاقتصادى •
- (ج) ارهاب رأس المال الاجنبى
من دخول البلاد خوفا من المصادرة
والتأميم والحراسة •
- (د) زعزعة الثقة في نظام الحكم
واشاعة سقوطه لا رجاء النقد
الاجنبى من دخول البلاد لتتطل
البلاد فقيرة ليفرخ فيها الوباء
الاشتراكى فان الاشتراكية
لا تعيش الا وسط أكوام المرض
والفقر والجهل والرذيلة •
- (هـ) تعطيل طاقات العمل
الزراعى بتحويل عمال الزراعة الى
المصانع لا من أجل الانتاج بل من
أجل ايجاد جناح عمالى يستخدم
في المظاهرات والمضاربات
- (ب) عمالة فاسدة لفشل المصانع
في تحقيق ارباح لرداءة منتجاتها
وعدم قدرتها على سد الديون •
- (ج) دين باهظ يتراكم نتيجة
تخلف المصانع وسوء ادارة الانتاج
وفساد التوزيع •
- (د) بيوقراطية كسيحة جعلت
الصناعة قزما •
- ولهذا فان الجنوح الى
الاديولوجية الاشتراكية خطأ دينى
أولا ، ووطنى ثانيا لأنها نظرية
فاشلة لم تستطع أن تنجح مع

امره فأية قوة تستطيع أن تحدد
ما قرر خلقه ، أو تقف دون ارادته ،
أو تتناوىء قدرته ؟ كلا وألف كلا .

ولست أريد أن أعرج على أدلة
الدين في هذه القضية بل سأعرج
على افتراض عقلى صرف وهو
لو فرضنا أن الله اراد أن يوجد
في عام ١٩٨٠ مليون نسمة في مجتمع
معين وأراد أهل المجتمع أن يحددوا
النسل فعقموا ثلاثة أرباع النساء
فيه أفلا يمكن أن يوجد الله هذا
المليون من بقية النساء ؟؟

ولقد فشلت جميع وسائل تحديد
النسل الا وسيلة واحدة هي العقم
فهل تستطيع الحكومات ان تغامر
بهذه المخاطرة ؟؟

ان تجربة الاشتراكية في العالم
العربى والاسلامى تشير الى خطأ
ممارسة اتباع هذه الايديولوجية .
وان الدعوة الى تحديد النسل
تبعية الى اديولوجية اقتصاد غربى

ما يحرسها من السلاح المدجج
والسلطان المستبد .

ب : وتحديد النسل كنتيجة
أوربية دعا اليها ديكلردو لمعالجة
قضايا العمال كان يراعى فيها :

* ضيق الارض في البلاد
الأوربية .

يضاف الى ذلك : —

* ضيق التدين فليس لديهم
دين يعطيهم مفهوما كاملا عن الكون
والرزق وقدرة الله .

* والتطلع الاستعماري لبلاد
العرب والمسلمين لكثرة خيراتها ،
ولن يمكنهم ذلك الا اذا اضعفت في
العرب والمسلمين القدرات العقلية
الفياضة وذلك يتأتى عن طريق
تحديد النسل .

وتحديد النسل خرافة لأن الله
جل جلاله هو الكبير المتعال وهو
الفعال لما يريد ، وان الله بالغ

(١) يراجع فتح البارى ج ٥ ص ٣١٥ ، ٣١٠
وكتاب احياء علوم الدين ج ٢ ص ٥١ ، ٥٢
وكتابتنا استوصوا بالنساء خيرا ص ١٢٠ ، ١٠٣

فاسد فاشل وكلاهما فاسد وكلاهما
خاسر لان الله تبارك وتعالى حكم
منذ الازل •

واليوم وقد اظهر الله ثراءها
اباهظ في الموارد الطبيعية وفي
النقد الحر ، وفي القوة البشرية وفي
العلم والبحوث •

* ففي الامة العربية مساحات
بالملايين لما تزرع حتى الآن وفي
السودان وحده ٢٠٠ مليون فدان
صالحة للزراعة وتحفها المياه من
النيلين الازرق والابيض •

«ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل
شيء قدرا» •

وفي العراق وسوريا حوالى ٣٠
مليونا وهذه امكانات معطلة ،
تحتاج الى وحدة في الضمير تجمع
شئات الامة العربية بنية خالصة
لاستثمار هذه المساحات لتغطية
حاجات العالم العربى والاسلامى
من الغذاء •

فالمعركة المعاصرة ليست معركة
سلاح بقدر ما هى معركة تجويع •
* وفي الامة العربية طاقات
هائلة من البترول والغاز الطبيعى •
والمعادن الاخرى ففى الجزائر :
معادن الرصاص ، والزنبق ،

ان الله لا يصلح عمل المفسدين •
فهل من توبة نصوح عسى ربنا
أن يرحمنا ويرزقنا من حيث
لا نحتسب فان قوله صدق
« ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب » •

«ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل
شيء قدرا» •

الخاتمة

الامكانات العربية في

مواجهة التحدى الخارجى

تقع الامة العربية في منطقة
استراتيجية هامة فهى مركز
الاتصال بين القارات وهى كذلك
مصدر تمويل للعالم بكثير من المواد
الأولية التى تقوم عليها الحياة
الصناعية بل والاجتماعية فى أوروبا
واليابان وأمريكا •

لقد كانت الامة العربية فى بدء

- والنحاس ، الحديد ، الفوسفات ٤١٧ بليون دولار •
وبها ١٠٪ من الغاز الطبيعي الذي يغطي احتياجات العالم •
وفي دولة الامارات العربية المتحدة: بترول يستخرج يوميا من حقوله ٢ مليون برميل •
- وفي الكويت : بترول يقدر بـ ١٠٠ مليون طن سنويا بالاضافة الى المعادن الكيماوية •
- وفي ليبيا : يقدر البترول المستخرج من الحقول سنويا بألف مليون برميل •
- وفي المغرب : معادن الزنك ، والحديد ، والفوسفات والمنجنيز ، والفضة والفحم وهي مصدر طبيعي للأسمك •
- وفي قطر : يقدر انتاج البترول سنويا بمبلغ ٣٥٠ مليون دولار بالاضافة الى الحديد ، والغاز الطبيعي ، وبعض المحاصيل الزراعية •
- وفي السعودية : الرخام ، والنحاس ، والحديد ، والاسمنت وبلغ دخلها من البترول عام ١٩٧٤م
- وفي مصر : الغاز الطبيعي ، والبتترول ، والزراعة ، وقناة السويس والمحاصيل الزراعية •
- يضاف الى هذه الامكانات امكانات استراتيجية فالامة العربية هي صاحبة البحر الاحمر وهي المتحكمة في مضائق البحر الابيض المتوسط والخليج العربي فما الذي يجعل الامة العربية عضوا في دول العالم النامي؟؟
- أرأيت لو أن هذه الامكانات مع اسرائيل ماذا كانت تفعل ؟
- ان العالم العربي يسأل يوم القيامة عن ضياع أرضه وأمته وعن فقر شعوبه لأن الله :
- ✽ اختار له الاسلام ديناً وهو منهج حياة عليا •
- ✽ اختار له الموقع الاستراتيجي الهام •
- ✽ وأعطاه من الامكانات مالا معذرة معها •
- ✽ وجعل فيه من القوة البشرية

ما يكفى لاقامة حضارة رائعة في
 السياسة والعسكرية والرخاء ،
 والعلم والأمن الدولى •
 ان العرب سيسألون يوم القيامة
 عن كل هذه النعم وعن رسالتهم
 فى الحياة فبماذا يجيبون ؟؟
 ألا هل بلغت اللهم فاشهد
 فلم يذهب العرب الى روسيا أو
 الى أمريكا أو الى أوربا •• ؟؟
 دكتور : رعوف شلبى

تضع ست توائم بنات

نشرت جريدة الأهرام فى عددها الصادر بتاريخ
 ١٩٨٠/٦/٣٠ بأن سيدة فى مدينة طما محافظة سوهاج قد
 وضعت ست توائم بنات وجميعهن فى حالة صحية جيدة •

من مراجع البحث

- * القرآن الكريم
- * فتح الباري : شرح صحيح البخارى
المطبعة السلفية
- * كتاب الخراج : للقاى
أبى يوسف يعقوب ابن ابراهيم
المطبعة السلفية
- * الربا فى نظر القانون الاسلامى
للمرحوم الدكتور محمد عبد الله
دراز
- * المال والحكم فى الاسلام
* خلاصة الاقتصاد السياسى
* تاريخ أوربا الاقتصادى
للمشيد الاستاذ عبد القادر عوده
الدكتور حسين على الرفاعى
دكتور أمين مصطفى عفيفى
عبد الله واخر *
- * اقتصادنا
* الاقتصاد الاسلامى
* التفضيل الماركسى
* العمل الاقتصادى من وجهة
نظرا الاسلام
* المبادئ الاقتصادية فى الاسلام
* فى الاقتصاد الاسلامى
العلامة محمد باقر الصدر
للمرحوم الدكتور عيسى عبده
دكتور : روف شلبى
دكتور : روف شلبى
دكتور : على عبد الرسول
المرحوم الدكتور محمد عبد الله
العربى
الشهيد سيد قطب
- * العدالة الاجتماعية فى الاسلام

- * النظام المالى فى الاسلام
- * الربا
- * النظرية العامة فى الاقتصاد
- * فى مبادئ الاقتصاد
- * الاسلام والاوضاع الاقتصادية
- * التكافل الاقتصادى فى الاسلام
- * الاسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة
- * نظرة الاسلام الاقتصادية
- * نظرية التوزيع
- * السياسة المالية فى الاسلام
- * الاسلام والتكافل الاجتماعى
- المرحوم العلامة أبو الاعلى المودودى
- ترجمة نهاد رضا — تأليف جون ميركنز
- دكتور : محمد خليل برعى
- العلامة الشيخ محمد الغزالى
- دكتور : على عبد الواحد وافى •
- الاستاذ : محمد اسماعيل •
- عبد الحميد أحمد ابو سليمان •
- الاستاذ رفعت العوضى •
- الاستاذ عبد الكريم الخطيب •
- للاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت •

الشعر الحديث والقصيدة العمودية

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

القصيدة العربية العمودية ، التي يمتد عمرها الى
آلاف السنين والتي ورثناها عن المهلهل واهرى القيس
وشعراء المملكات .

- ١ -

وترجمها الى الانجليزية ، ونوه
بصورها وخيالاتها وبحيوياتها
أيضا ، ودعا الشعراء الانجليز الى
خلق حركة تجديد في الشعر
الانجليزى تأثرا بها .. هذه
القصيدة خالدة ، وستبقى حية
ومتجددة على مر العصور .

وموسيقى هذه القصيدة
العمودية الداخلية والخارجية ،
المتتمثلة في الوزن والقافية ،
صارت من الأصول الفنية للقصيدة
العربية ، وصارت تمتلك ناحية

القصيدة العربية العمودية هي:
التي نهج نهجها جميع الشعراء
على مدى العصور حتى اليوم ،
والتي أدت جميع أغراض الشعر
والشاعر ، وخدمت جميع قضايا
العروبة والاسلام ، على اختلاف
الأجيال ، والتي أكبرها الدارسون
والعلماء والنقاد ، بل المستشرقون
الذين ترجموها الى كل اللغات
العالمية ، حتى ان المستر : وليم
هونر أكبر قصيدة المملكات

التأثير الكبير في الجماهير العربية وتقود ثوراتها دائما الى التقدم والحرية •

ان مدائح المنتبى في سيف الدولة مثلا ، لم تكن مجرد مدائح في مناسبات طارئة ، انما كانت أغاني وطنية تمثل روح الشعب العربى العظيم ، في دفاعه عن حرياته ضد الغزو البيزنطى لبلاده — في القرن الرابع الهجرى — العاشر الميلادى — وقصيدة أبى تمام مثلا في مدح المعتصم بمناسبة انتصاره في عمورية — في اوائل العشرينيات في القرن الثالث الهجرى — كانت تمجد البطولات الاسلامية الظافرة ضد جيوش بيزنطة في سهول آسيا الصغرى • ولم يمجّد الشعراء العرب على اختلاف العصور الحكام بمقدار ما مجدوا الشعوب العربية في حركتها المستمرة نحو الحضارة والتقدم ، وفي انتصاراتها ضد أعدائها في كل مكان ••

وقد تطورت هذه القصيدة العمودية ، منذ وضع الخليل بن أحمد عروضها الشعرى ، فشملت

الموشحات ، وشملت الأوزان المولدة الجديدة ، وشملت ضروبا من التجديد في القافية أحدثته مدارسنا الشعرية المتعاقبة ، ومن أواخرها : مدرسة البعث ، ومدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ومدرسة شعراء المهجر •

بل نظم الشعراء العباسيون والأندلسيون الملاحم التاريخية ، ونظم من أتى بعدهم ملاحم في السيرة النبوية ، ونظم الشعراء الصوفيون القصائد الصوفية الطويلة في الحب الالهى ، ونظم شوقى البردة ، كما نظم ملحمة عن كبار الحوادث في وادى النيل وملحمته الأخرى في التاريخ الاسلامى العظيم في كتابه : «دول العرب وعظماء الاسلام» •

ولم تضق القصيدة العمودية — التى ورثناها عن شعرائنا ، والتى لايزال ينظمها شعراؤنا العموديون حتى اليوم — صدرا بأية خاطرة أو فكرة أو غرض من أغراض الشعر والحياة ، حتى الملاحم والقصص الشعرية كتب فيها الشعراء قديما وحديثا •

ومع أن القصيدة لا بد فيها عند علماء الشعر من أن تكون أبياتها من بحر شعري واحد ، وأن تلتزم فيها قافية واحدة ، فقد نظم الشعراء المحدثون من « مجمع البحور » كما فعل أبو ماضي في قصيدته : « الشاعر والسلطان الجائر » ، وكما فعل غنيم في بعض قصائده وكما فعل عزيز أباظة في ملحمة : « من اشراقات السيرة الزكية » . بل كما فعل شوقي في مسرحياته ، التي أبدع فيها كل الابداع ، ووضع بها أن الشعر الغربي لا يعجز عن نظم التمثيلية ولا يعجز عن الحوار وتمثيل الصراع .

وبذلك : صارت القصيدة يمكن أن تشتمل على عدة أوزان ، اذا تعددت مواقفها وأفكارها .

وعدد المعاصرون كذلك — من أمثال : مطران ، وشكري ، وشعراء الديوان ، وأبولو ، والمهجر — القافية في القصيدة الواحدة ، مجارة لفن الموشحات الأندلسية ، وتحررا من سلطان القافية ، وجعل الكثير منهم كل مقطع يمثل تيارا

فكريا متميزا في القصيدة . . . وبذلك : صارت القيود الفنية في القصيدة ضيقة غاية الضيق ، أو قل : صارت سهلة غاية السهولة . مع أن الفن هو الفن لا بد فيه من القيود ، والمثل الفرنسي يقول : « لا يحيا الفن بغير القيود » ، بل ان الفن في رأيه : هو العبور الى الانطلاق من خلال القيود . والشاعر الموهوب لا تعوقه أبدا قيود الوزن والقافية ، كما يقول أبو شادي في مقدمة ديوانه « الينبوع » :

« وفي تراثنا الشعري نظام السمط والأرجوزة والموشحة وعكس البحور ، ويضاف الى ذلك ماجد من أوزان شعرية ، ومن تنويع القافية والوزن في القصيدة الواحدة ، مع بقاء الروح الشعرى والهيكل التراثي لها ، والموسيقى الحلو الرفافة المؤثرة » .

ولأنني : أن القصيدة العمودية بعروضها قد قلدها الشعر الفارسي والتركي ، بل والعبري أيضا . . كما أنها استخدمت في الشعر القصصي

والمحمى والمسرحى ، وبذلك صارت مطوعة للتعبير عن مطالب الحياة ، وأقطار الشاعر .
وقد نظم الشاعر الفرنسي : « لوييس أراجون » بعض شعره على نهج الشعر العمودي ، فقسم بيته الى مصراعين وقفاهما تقفية عربية ، وعد ذلك كشفا جديدا .

— ٢ —

ولقد حدث في الثلاثين سنة الأخيرة أن نظم شعراء الشباب قصائد من الشعر الحر ، وبدأت الدعوة الى هذا الشعر الحر تظهر في كتابات كثيرة ، بل لقد غالى بعض الكتاب ، فزعم أن عمود الشعر قد انتهى الى الأبد ، وانتهت معه القصيدة العمودية الى غير رجعة ، وانتهى معها الشعراء العموديون بلا رثاء أو رحمة !! كأنما هم أعداء لا يستريح شعراء الشعر الحر الا اذا أجهزوا عليهم .

هذه الدعوة تأثرت في أكثر الأمر بمذهب الشاعر الأمريكي : « والت هوتمان » الذي هجر الأوزان في معظم شعره ، ولم

يهتم بالقافية . وكان بعض الشعراء في أوروبا قد شكوا في ضرورة الوزن للشعر ، وان لم يلق رأى هؤلاء جميعا أنصارا كثيرين في الولايات المتحدة ، وفي بلجيكا .
أما في انجلترا وفرنسا : فلم يصادفوا نجاحا يذكر . وفي عام ١٩١٧ نشر « اليوت » : ديوانا شعريا خرج فيه على نظام الشعر القديم وزنا وقافية .

وشعراء الشعر الحر بدعوا ففقدوا أنفسهم بالشكل الهرمي ، تفعيلة في البيت الاول ، واثنان في الثاني ، فثلاث ، فأربع ، فخمس مثلا ، ثم يعودون بالعكس الى نهاية القصيدة : خمس تفاعيل ، فأربع ، فثلاث ، فاثنتين ، فواحدة .

ومن الشعراء الذين ينظمون هذا الشعر الحر من يتأثرون بالطريقة القديمة ، فيلتزمون في أحيان كثيرة القافية ، كنزار والفيتوري ، ومنهم من يتركها كـ تـازك والسياب في أغلب شعرهما .

هي القيود ، ويقول نيتشه :
« الفن هو الرقص بالقيود
والأغلال » .

وعمر الشعر الحر ثلاثون عاما،
ولا يملك أية قدرة خارقة على
تحطيم الجبل الأسم الذي يمثل
القصيدة العمودية ، واليوت
الشاعر الانجليزى يقول : « اذا
أردت أن تجدد فى الشعر فيجب
أن تكون جذورك عميقة فى الماضى »
.. وهذا هو الطريق الصحيحة
للتجديد ..

هل صار شوقى وحافظ وعزيز
أباطلة وشعراء الثلاثينيات
— الديوان وأبولو — بل ومن
عصرهم أو سبقهم من أعلام
الشعر العربى على مدى العصور
يستحقون من أن نرجمهم بالحجارة
وندعى أنهم غير جديرين بالخلود
والتقدير من أحد ؟

لقد صاحب تشأة الشعر الحر
دعوات لتحطيم عمود الشعر ،
ونحن نعلم أن الشعر الحر قبل
أن يظهر عندنا ظهر فى أمريكا
وأوروبا ، ونظم منه « اليوت ،
وما يكوفسكى ، وهوتمان ، وسواهم

وهكذا : صار الشاعر (الحر)
لا يتقيد بنظام التفاعيل العروضية،
ولا يقيد البيت بنظام الشطرين ،
وكان التفعيلة العروضية هي
الاناء الموسيقى للشعر الجديد ..
بل ان منهم من ترك التفعيلة نهائيا
باسم التجديد ..

وهكذا : صار الشعر الحر
تغيرا كاملا لنظام القصيدة
العمودية ، وأصبح يحاول اسدال
الستار على تراثنا الشعرى كله ،
دون أن يملك الموسيقى أو
العروض الشعرى الذى يبرر له
أن يزعم ذلك ، ودون أن يملك
زمام التأثير على الجماهير ، وعلى
أذواق الشعب ومشاعره . ودون
أن تصمد قصيدة من قصائده لروح
الغناء والفن الأصيلة .

ومع ذلك صار هذا الشعر
الجديد يحطم عمود الشعر العربى
بقسوة وعنف مع أن جميع النقاد
العرب فى القديم والحديث حذروا
من الخروج عليه ، وعدوا ما خرج
عليه من النظم ليس شعرا على
الاطلاق .

الشعر فى أساسه فن ، والفنون

ولها الحق في ذلك بعد ظهور ما يسمى قصيدة النثر ، وبعد أن أصبح الغموض والرمز والمضامين الغريبة تحيط بالشعر الجديد احاطة السوار بالمعصم ، وبعد أن صار اهتمامه بالاثارة والرمز الاسطوري والتفكير الدرامي أكثر من أى شيء آخر .

لقد حدثنا السياب أنه هو وجماعة جلسوا يوما في مقهى من مقاهى شارع أبى نواس في بغداد .. وكتبوا قصيدة حرة ، توخوا فيها أن تكون خالية من أى معنى أو مضمون ، وبعثوا بها الى مجلة أدبية مشهورة ، بعد أن ذيلوها بتوقيع مستعار « سميرة أحمد العلنى » ونشرت المجلة القصيدة في مكان بارز ، وجاء بعض أدعياء النقد فصنف الشاعرة سميرة التى ليس لها وجود ضمن الشعراء المبدعين من شعراء الشعر الحر ، وتنبأ لها بمستقبل مرموق !!

ولا يزال الهجوم على القصيدة العمودية صناعة كثير من الناس فهذا معين بسيسو يقول كما كتب في صحيفة كبيرة : ان الشاعرة

كما نعلم أن في أوروبا مدارس أدبية تتبنى تحطيم القديم بحثا عن شيء جديد، من مثل: التعبيريين والعشقيين وغيرهما ، وفي مجموعة : (فجر الانسانية) التى أصدرها الشعراء التعبيريون صدى لذلك .

ان أرسطو يقرر في كتابه « الشعر » أن الفنون الشعرية الكبرى لابد أن تستخدم كل أدوات المحاكاة ، من الايقاع والوزن والانسجام . بينما لم يستطع الشعر الحر اثارة القارئ ولا السامع ، لفقدانه الموسيقى الخارجية دائما ، وأحيانا كثيرة جدا يفقد الموسيقى الداخلية أيضا . وقد سماه العقاد وعزيز أباطلة والزيات وصالح جودت ، وآلاف الدارسين والنقاد : الشعر المنثور . وعادت نازك الملائكة في ديوانها الرابع (شجرة القمر) الصادر عام ١٩٦٨ تنبأ بوقوف تيار الشعر الحر ، وبأن الشعراء لابد أن يرجعوا الى الاوزان الشطرية ، بعد أن خاضوا في الاستهانة بها ، والخروج عليها .

العمودي يرتطم صوته وتسقط
قافيته ، ويجيء الشعر الحر
كالصاعقة الكهربائية ، التي تلتهم
القصيدة العمودية وتذروها
رمادا .

لقد ذكر العقاد أن سليقة
الشعر العربي تنفر من الغناء
القافية كل النفور ، كما
تنفر من طرح الموسيقى في شعر
الشعراء الجدد .

شعرا الا اذا قام على تلك
الأسس ، وتوافرت فيه تلك
الخصائص ، ولست أرفض الشعر
لأنه انحرف عن عمود الشعر
القديم أو خالف الأوزان ،
(المخالفة خلاف الالغاء طبعا)
التي أحصاها الخليل ، وإنما
أرفضه حين يقصر في أمرين :
الأول : الصدق والقوة وجمال
الصورة ورافتها .

والثاني : أن يكون عربيا
لا يدركه فساد اللغة ولا الاسفاف
في اللفظ . وقديما قال أرسطو :
يجب قبل كل شيء أن نتكلم
اليونانية . فلنقل : يجب قبل كل
شيء أن نتكلم العربية .

وأقول مع عميد الأدب العربي :
انه يجب أن يكون ما ننظمه — قبل
كل شيء مما يصح أن يسمى
شعرا .

د . محمد عبد المنعم خفاجي

ولطه حسين رأى مشهور نختم
به هذه الكلمة ، قال : « ان التجديد
في الأوزان أو القوافي دعوة غير
منكرة وغير جديدة » . وبالطبع
التجديد فيهما غير الالغاء . ثم
يقول : « والجدير بالبحث في
الشعر الجديد هو البحث عن
توافر الأسس التي يجب أن
تراعى في الفن الشعري ،
والخصائص التي ينبغي أن تتحقق
فيه ، ولا يمكن أن يعد هذا الجديد

التصوف والعلوم المصرية

للاستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرني

مفهوم التصوف : ينبغى أولاً على هذا الفهم هو الصوفى الحق ،
تحديد مفهوم التصوف ، فقد
أما غير ذلك : فهو اما جاهل
يظن الكثيرون أنه شيء جديد في
بحقيقته أو منحرف في طريقته ،
الاسلام ، ولكنه هو جوهر

وبعد : فما العلم في نظر الصوفية ؟
العلم في نظر الصوفية
هو ما هداك الى الله لا ما أبعدك
عنه . والعلم في رأيهم : خلق
محض وتهذيب مطلق ، ويستوى
في ذلك النظرى والعملى .
والصوفية لا يعارضون العلوم
الحديثة بفروعها المختلفة طالما كان
الهدف من ورائها ادراك سر الوجود
واستنباط الدليل على قدرة الوجود ،
الذى دعانا الى التفكير « وفي
أنفسكم أفلا تبصرون » ويقول
جل وعلا : « سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم

الاسلام وحقيقته ، بل هو المنهج
الامثل له ، لانه يعنى بتتقية الخلق ،
وتهذيب النفس وتخليصها من
شوائبها ، كما يعنى بمراقبة الله
تماما ، ومحاسبة النفس في دقة
بالغة ، ويهدف الى التعرف على
الله عن طريق أداء الفرائض
والنوافل ، والاذكار في أدب ودأب
واخلاص وخشوع .

وباختصار : هو مقام الاحسان
الذى ورد في حقه الاثر الشريف :
« الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك » .
هذا هو التصوف ، وسالك طريقه

الثاقبة ، والالهام الصادق ، والرغبة
الأكيدة في معرفة واجب الوجود •

رائد الصوفية : ولقد كان رائدهم
في ذلك الامام : على كرم الله وجهه
الذى يعتبرونه مورث العلم الصوفى

بل هو باب مدينة العلم ، الذى
منه يلج المتفكرون في خلق السموات
والارض ، ويستخرجون منها
كنوز المعرفة والتبيان • اقرأ قوله
رضى الله عنه في وصف الخفافش :

« ومن لطائف صنعته ، وعجائب
حكيمته ما أرانا من غوامض الحكمة
في هذه الخفافيش ، التى يقبضها
الضياء الباسط لكل شئ ويبسطها
الظلام القابض لكل حى ، وكيف
غشيت أعينها عن أن تستمد من
الشمس المضيئة نورا تهتدى به في
مذاهبها ، وتصل بعلائية برهان
الشمس الى معارفها فسبحان
من جعل الليل سكنا وقرارا ،
والنهار معاشا ، وجعل لها
أجنحة من لحمها ، تعرج بها عند
الحاجة الى الطيران كأنها شظايا
الآذان غير ذوات ريش ولا قصب
الا أنك ترى مواضع العروق بينة
أعلاما ، لها جناحان لم يرقا

أنه الحق » • ويقول : « وما يتذكر
ألا أولوا الالباب » بعد قوله تعالى :
« يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » •
ويقول : « ولتعلموا عدد السنين
والحساب » • ريرر « وما يعقلها
ألا العالمون » • الى غير ذلك من
الآيات الكريمة التى تدعو الى
التعلم والتفكر •

والذى يتهم الصوفية بالجمود
غير منصف لهم • وانما شاع
بين طوائف مدعى التصوف أن العلم
حجاب ، وأن العقل عقال ، حتى
أصبحت هذه الشائعة بكل أسف
تكاد تكون عقيدة راسخين هؤلاء •
ولكن الذى يعنينا : هو موقف
المستتيرين من أهل التصوف ، الذين
تحققوا بالدين ، وتسلموا باليقين ،
ومضوا على درب من تقدمهم من
الصحابه الأجلاء ، والتابعين
الأوفياء ، وكانوا في منتهى الجرأة
حين وجهوا أنظارهم الى السماء
وأفلاكها ، والمخلوقات وأجناسها ،
باحثين عن الحقيقة المجردة ، وقد
أدركوا من وراء ذلك أسرار عزيزة
يوحى الفطرة السليمة ، والنظرة

فينشقا ، ولم يغلظا فيثقلأ .. هبة العقل للانسان .
فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال خلا من غيره .. »
العلماء : لقد كانت خشية الله هدفا

واقراً قوله في وصف الجرادة :
« خلق لها عينين حمراوين ،
وأسرج حدقتين قمراوين ، وجعل
لها السمع الخفى ، وفتح لها الفم
السوى ، وجعل لها الحس القوى ،
ونابين بهما تقرض ، ومنجلين بهما
تقبض ، يرهبا الزراع في زرعهم ،
ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا
بجمعهم ، حتى ترد الحمرث في
في نزواتها ، وتقضى منه شهواتها ،
فتبارك الله الذى يسجد له من في
السموات طوعا وكرها .. »

فبغض النظر عن البلاغة التى
أحكمت نسج هذه العبارات ،
وأضفت على البيان روعة وجلالا ،
نجد من وراء ذلك أفكارا دقيقة ،
ومعانى عظيمة ، تشهد بتصويب
النظر فى روائع ما خلق الله ،
لاستتباط دلائل القدرة الالهية
الفائقة ، وشهود عظمة الخالق فى
خلقه ، ومن وراء ذلك علوم جمّة
مكتسبة بالفكر والتروى ، وهذا
هو معنى التوحيد ، والهدف من

ولقد ورث الصوفية الحقيقيون
هذه الفطرة السليمة ، فنادوا بأن
يستغل الفرد قدراته الممنوحة له
فى الوصول الى الحق ، وبرز منهم
من برز فى مختلف العلوم والفنون
ولم تقف مجهوداتهم عند التبصر

ساميا من أهداف الصوفية ،
والعارفون بالله أخشى الناس لله ،
والمعرفة أساسها العلم ، وليس
العلم الدينى فقط ، بل العلم بما
تحويه الدنيا من عوالم تخطف
بصر الناظر ، وتلفت ذهن المتفكر ،
وتبعث على التأمل ، ولقد جاء قوله
تعالى : « **انما يخشى الله من عباده**
العلماء » بعد كلام يلفت الله فيه
النظر الى ظواهر كونية تستحق
البحث والدراسة : « **الم تران**
الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا
به ثمرات مختلفا ألوانها ومن
الجبال جدد بيض وحمر مختلف
ألوانها وغرابيب سود — ومن
الناس والدواب والأنعام مختلف
ألوانه كذلك ... »

وما أبرى نفسى اننى بشر
أسهو وأخطىء مالم يحضى القدر
ولا ترى عفرا أولى بذى زلل
من أن يقول مقرا: اننى بشر

هذه شنشنة صوفية ، وهى طريق
الوصول ، فمن تواضع لله رفعه ،
وأنا له سبيل الفهم والمعرفة •

ونستشهد أيضا بالدميرى صاحب
كتاب « حياة الحيوان » الذى
كان رائدا لكثير من علماء الفرنجة
حتى اعتنوا بهذا الكتاب ، ودرسوه
وحققوه واستفادوا منه ، واشتهر
فى الاوساط العلمية فى «أوربا»
بأنه كتاب عظيم قيم ، وقد استطاع
— كما تقول مقدمة الكتاب التى
كتبها الدكتور حسين فرج
زين الدين ونشرتها دائرة معارف
الشعب — أن يلعب دورا هاما فى
الثقافة الغربية ، فكثيرا ما اقتبس
منه العلامة « لين » واقتبس عنه
« وستنفلد » واستعان به العلامة
« يوكارت » والعلامة « هازل »
وغيرهم من أعلام المستشرقين •

هذا الرجل العظيم الذى يقول
عنه « لوسين ليكلير » : انه أعظم
عالم فى علم الحيوان أنجبته العرب ،

فى علوم الشريعة وما وراءها من
أسرار ، ولكنهم برزوا فى الكثير
من الكثير من علوم الحياة : من
تاريخ ، وتقويم ، وهندسة ،
وطبيعية وغيرها من العلوم
يستوى فى ذلك السابقون فى
العصور الاولى ومن جاءوا بعدهم
فى العصور المتأخرة •

ونستشهد فى ذلك بالمقرىزى
صاحب المؤلفات المتعددة التى
تشهد بسعة علمه : فى التاريخ ،
والخط ، والترجمة ، والسكة ،
والأوزان ، والمقاييس ، فضلا عن
التوحيد ، والحديث ، والفقه ،
وان غلبت شهرة التاريخ عليه ،
يقول السخاوى المعروف بدقة
النقد — فيما ترويه مقدمة كتاب
الخط — عنه « انه كان على
جانب عظيم من حسن الخلق ،
وكرم العهد ، وكثرة التواضع ،
وعلو الهمة ، والمداومة على التهجد
والأوراد ، وحسن الصلاة ،
والملازمة لبيته » •

ولا أدل على تواضعه من قول
المقرىزى نفسه فى مقدمة كتاب
الخط :

كان نموذجاً صوفياً عظيماً ، ومازال مسجده في حي «الحسينية» بالقاهرة عامراً ، وله فيه مشهد يزار .

« ان أهل الحق يشهدون جميع العلوم ، حتى الحساب والهندسة ، وعلوم الرياضيات ، والمنطق ، والعلم الطبيعي . لها دلالة وطريق انى العلم بالله » . ويرد في كتابه « آداب العبودية » على من يرى في دراسة هذه العلوم حجباً عن الله بأن الذى يشهد ذلك انما هو محجوب عن موضع الدلالة فيها عن الحق ، لأن جميع العلوم التى يراها أكثر الناس حجاباً انما هى عند « أهل الله لا حجاب فيها » . وهذا ذوق عال وادراك عظيم .

الخواص الأملى المعلم :

وللاستدلال على سبق الصوفية انى العلوم التجريبية نسوق ما أورده المرحوم : طنطاوى جوهرى في كتاب «تفسير الجواهر» في الجزء التاسع عند قوله تعالى :

« ولكن لا تفقهون تسبيحهم » قال : ألهم الله الرجل الصالح الشيخ الخواص في القرن العاشر

وقد اخترت هذين الشاهدين من القرون المتوسطة . فما بالك بالقرون الاولى ! حيث كان المسلمون في أوج نشاطهم ، وغفوان قوتهم ، وفورة تمسكهم بدينهم ؟

الشعرانى والعلم :

وفي القرون المتأخرة من لدن القرن العاشر الهجرى وما تلاه ، برز صوفيون آخرون . من أمثال : الخواص والشعرانى والديباغ وعبد الله بن المبارك وغيرهم ، وقد يظن ظان أن هؤلاء كانوا غفلاً من العلوم الحديثة المبنية على التجربة والملاحظة ، ولكنهم بوحى من الالهام الصادق ، والفترة الصافية ، هداهم الله الى ما اهتدى اليه الأوروبيون بتجاربههم وملاحظاتهم .

يرى الشعرانى : أن العلم الظاهرى ضرورة لتعمير الحياة ،

وشيخه حول ذلك ، انتهت باقتناع
الشعرانى العالم بردود الخواص
المؤيدة بالكتاب والسنة . وليرجع
اليه من أراد الاستيضاح في مصدره
المشار اليه .

والدباغ أيضا :

وقال الجوهرى أيضا : ثم ان
الشيخ أحمد بن المبارك بعد ذلك
بقرنين حدث عن شيخه الدباغ
بمثل هذا ، حين سأل عن تسبيح
الحصى ، فقال الدباغ : ان ذلك
كلامها وتسبيحها دائما ، وقد سأل
النبي صلى الله عليه وسلم ، أن
يزيل الحجاب عن الحاضرين حتى
يسمعوا ذلك منها ، فسمعوا .
وأفاد أن الجمادات تعرف ربها
كسائر الحيوان وأنها عابدة
خاشعة خاضعة ، هذه وجهتها الى
ربها أما وجهتها اليها فهي أنها
لا تعلم ولا تسمع . قال تعالى :
« وان من شيء الا يسبح بحمده »
وقال الدباغ أيضا : ان للارض
علما هي حاملته وعارفة به ، كما
يحمل أحدنا كتاب الله تعالى .
وعلق الجوهرى - رحمه الله -
على ذلك بقوله : « ان كلام

الهجرى أن يلقي بعض مسائل
للشيخ : عبد الوهاب الشعرانى ،
وتلك المسائل تناسب الآية
« ولكن لا تفقهون تسبيحهم »
التي نحن بصددنا ، وتناسب
العلوم التي كشفت حديثا ولم
تكن معلومة في ذلك العصر ، وانما
فعل ذلك ليرد على جهلة المسلمين
في عصره ، الذين يقولون : ان
العلوم لا لزوم لها ، وفي الوقت
نفسه حجة على من يدعى من
الصوفية جهلا أن الاسلام براء
من هذه العلوم . لقد أظهر الله
على يد الخواص بعض العجائب
العلمية ، ليثير في المسلمين روح
التعلم ، وليكون ذلك علامة على
صدق هذا الدين ، ومعجزة لصاحب
الشرع صلى الله عليه وسلم .

أما هذه المسائل التي أشار اليها
الجوهرى فتتلخص في أن الخواص
أخبر تلميذه الشعرانى بأن كل شيء
في الوجود حى يدرك حتى
الجمادات ، وفي أن الاشجار
تتعاشق ويطلب بعضها بعضا
للقاح .

وحدثت محاوراة بين الشعرانى

العصر الحاضر قد أتى بثلاثة أرباع ما قاله شيوخ الصوفية من باب الإلهام ، وقد نبه هؤلاء الشيوخ المسلمين ، ولكن المسلمين مع ذلك بقوا غافلين لم يفتنوا لما يقوله الشيوخ .

نخلص من كل ذلك الى أن العلم الحديث لا ينافي التصوف ، بل هو طريق من طرق الوصول الى الله ، لأنه يدل عليه عن طريق هذه المكتشفات العظيمة ، التي تدل على عظمة الخالق وقدرته ، وكما أمعن العالم في بحثه ، ووصل الى أسرار جديدة من أسرار الكون ، ازداد ثقة بأن هذا الكون لم يخلق عبثا ، بل ازداد ايمانا بقوله تعالى :

« ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه
فقنا عذاب النار » .

درس لصوفية عصرنا :

ان ظهور تلك الأذواق على يد أولئك الصوفية دليل مسوق الى أهل التصوف في عصرنا أن يعملوا عقولهم ليدركوا علوم عصرهم ، فان ذلك لون من الجهاد العملى المؤدى الى معرفة الحق سبحانه

الصوفية هذا هو ما كشفت العلوم الحديثة الآن ، فتعاشق الاشجار الذى قاله الخواص هو نفس ما أثبتته العلم الحديث فى نظرية التلاقح ، وأما حياة الجماد فهو أمر خفى لم يذكر علماء العصر الحاضر منه الا قولهم ، كل الجمادات متحركات . وهذا أمر صحيح مبرهن عليه ، ومعنى ذلك أن كل قطرة ماء أو قطعة حجر مركبة من ذرات صغيرة ، والذرات الصغيرة ترجع الى جواهر فردة ، والجواهر الفردة ترجع الى عناصر أولية كالأكسجين والايديروجين ، وهذه العناصر متى تحللت ترجع الى الكهرباء ، وما هى الا تموجات وبينها مسافات متباعدات يدور بعضها على بعض كما تدور السيارات حول الشمس ، فالعوالم كلها متحركة دائما لا سكون لها ، وحركات تلك الذرات دائمة لا فتور فيها ، فهى لا تهدأ من يوم أن خلق الله العالم الى أن يفنى .
والخلاصة : أن كل موجود حى .

وقال الجوهري : ان كشف

• وتعالى •

• الله علم ما لم يعلم •

ان من يترك عقله ومواهبه اتكالا
على الفتوح يكون أشبه — كما
يقول الجوهري — بمن يترك حرث
الأرض وزرعها اتكالا على أنه ربما
يعثر على كنز •

آداب التعلم

ولابد من التنبه لهذه الملاحظة
في أثناء طلب العلم ، وهي : أن
العلم أحيانا يقف في طريق العالم
ويصده عن الغاية الروحية
المطلوبة ، وذلك حين يغتر العالم
بعلمه ويظن أنه قد بلغ نهاية
الكمال • فاغتراره حينذاك هو
الذي يضع حجابا كثيفا على قلبه ،
يحول بينه وبين الرؤية الحقيقية
المبصرة ، فالعلم بحر لا ساحل
له ، وحقائق المعرفة لا يمكن لكائن
أن يحيط بها مهما أوفى على الغاية
في فنه ، والرجل عالم مازال يطلب
العلم ، فمتى ظن أنه علم فقد
جهل •

ومن أجل ذلك ، كان التواضع
ميزة في العالم أكمل منها في غيره ،
لأن تواضعه عن معرفة كاملة ،

ولا يقال : ان هؤلاء المتقدمين
قد وصلوا الى ذلك عن طريق
الكشف والالهام ، فعلى المريدين
أن يتجردوا عن الأسباب لينالوا
ما ناله المتقدمون •

لا يقال ذلك : فان الذين منحوا
عن طريق الالهام نادرون ، والنادر
لا حكم له ، ولو كان الفتوح
عاما لأصبحت بلاد الاسلام أغنى
وأعمر من الدول الأخرى المتقدمة •
على أن الكثيرين من العلماء
الأجلاء السابقين سلكوا الطريق
الطبيعي للوصول الى ما وصلوا
اليه من ابتكار وعلم وفهم ، ان
العلم بالتعلم ، والله لا يمنح
مفاتيح علمه الا للمجد فيه ، ولو
درس المتصوفون الآن العلوم
بالجد والتقوى ، ومراقبة الله
ومحاسبة النفس ، وغير ذلك من
الآداب التي يحرص على توطيدها
التصوف ، لاثمر ذلك ثمارا يانعة ،
وأتى بنتائج مضاعفة ، مصداقا
لقوله تعالى : **ولقوه الاثر**
ويعلمكم الله • « **واتقوا الله**
الكريم : « من عمل بما علم ورثه

تلك النظرة النكسية من العزلة ، واجتئاب الجماعات والآحاد ، ولا يبقى فيها النفس الا كوسيلة أو رياضة على التطهر والصفاء ، وهو يتجه الى الدنيا ولكن لايعتبرها نهاية الغايات ، فهو مسلك من النفس أشد اتصالا بالدنيا ، وأكثر تحررا منها في وقت واحد » .

ويقول اينشتين : « ان الانسان الذى لم يختبر وقفة من وقفات الصوفية حيال ذلك العالم ، ولم يشعر نحوه بالروعة ، هو حى حكمه حكم الميت » ويقول : « كنت كلما تعمقت فى نظرية النسبية ازددت قربا من منطقة الروح والايمان » . وبأقوال غيره من علماء الغرب ، الذين لم يقفوا عند حدود المادة فى كشفهم ، بل نفذوا من ورائها الى عالم فسيح من الروح والملا الأعلى .

ان كثيرا من هؤلاء العلماء انطلقت أصواتهم تحذر من طغيان المادة ، وانسياق الناس وراءها انسياقا أعمى ، لأن فى سيطرة المادة على الروح نذيرا بتغلب

وتحقق تام بحال العجز الذى يرفع من شأنه ، ويعلى من قدره .

التصوف والكشوف الحديثة :

لا نكرر القول بأن الصوفى الحق يتحمس لهذه الفتوح العلمية الحديثة ، لأنه يعتقد أنها من أبواب الخير على الانسانية ، وبشرى تحمل فى طياتها انتصارا للروح على المادة ، وانطلاقا لقوى الخير الكامنة فى الانسان .

يقول المرحوم طه عبد الباقي سرور فى كتاب «أعلام التصوف» : « لقد آمن المتصوفة بأن فجر الذرة انما هو صفحة جديدة فى تاريخ الكون ، تتمشى مع التسخير الالهى لقوى الكائنات كافة للانسان » « الخليفة » ، بل لقد رأوا فى الفجر الجديد ارهاصا لعالم جديد سيبلغ كماله مع الوثبة الروحية » ، ويستشهد على ذلك بأقوال أساطين المادة أنفسهم ، كقول العلامة برديف : « والعالم اليوم يدلج نحو صوفية روحانية جديدة ، لا محل فيها لتلفت النظرة النكسية الى الدنيا ، ولا لما توحيه

الى الله ، وربما كان ذلك من وسائله في هذه الطريق •

حقا : اعتبروا العلوم الموصلة الى الله أشرف العلوم ، حتى قال الجنيد فيما يرويهِ ابن عجيبة عنه في كتابه ايقاظ الهمم : « لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت اليه » • ولقد صدق الجنيد رضى الله عنه في قوله •

على أنه من أسباب الوصول الى الله : البحث في أرجاء هذا الكون الواسع ، وما فيه من عوالم يهتدى المفكر بواسطتها وبواسطة دراستها واستقصائها وتحليلها والمقارنة بينها على قدرة المبدع ، الذى فطر السموات والأرض ، وفي هذه الحالة يصبح تعلمها فرض عين لا فرض كفاية كما يرى بعض الصوفية رحمهم الله •

لا أحسب أن الصوفى الحق في عصرنا هذا يحاول أن يقف في وجه التقدم العلمى ، لا سيما ونحن في أمس الحاجة اليه ، لأنه من أسباب

النشر على الخير ، وفي النهاية فناء العالم • مصداقا لما جاء في القرآن الكريم : « حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » •

لا نكرر ما سبق أن قلناه من أن تاريخ التصوف يروى لنا قصص المئات من علوم الصوفية ، الذين برزوا في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والعقلية وغيرها ، واستطاعوا أن يقدموا للحياة زادا وافرا من المعلومات التى نفعت الناس ، ويسرت لهم السبل ، فهم لم يقصروا في علوم الحياة ، كما لم يقصروا في علوم الدين ، وهم وان كانوا قد وصفوا في الأولوية ندب أنفسهم لتعلم وتعليم العلوم الموصلة الى الله ، فلأنها في نظر العاقل أحوج ما يكون اليها الانسان ، بل هى أمس ما تدعو اليه الغاية من خلقه ووجوده في الحياة ما دام غيره من العلماء معنيا بعلوم الدنيا ، ومع ذلك فاشتغاله بها لم يصدّه عن طريقه

القوة التي أمرنا الله - سبحانه غير معطلين لشعائر دينهم ، أو
 «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» .
 ولا أشك في أن الصوفى الحق فرح بما تتاله دولته الاسلامية من
 أمجاد علمية ورقى فكرى على يد أمثالها العلماء الجـدين
 والمستكشفين ، ولكن الصوفى أيضا يسره أكثر أن يجد هؤلاء النابهين
 إلى الايمان العميق ، واليقين الصادق ، والاستدلال المشرق على
 معرفة واجب الوجود .
 عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

« العلم والعمل »

الدنيا كلها ظلمات ، الا موضع العلم ، والعلم كله هباء الا موضع العمل ، والعمل كله هباء الا ما كان خالصا لوجه الله الكريم ، قال جل وعلا : « الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » .

أهل الذمة وواجباتهم في بلاد الإسلام

المستشار محمد عزت الطهطاوى

تكلّمنا في مقال سابق عن أهل الذمة وحقوقهم في بلاد الإسلام وذكرنا أنه من المقرر أن كل حق يقابله واجب ، ومادام الإسلام قد قدر للذميين تلك الحقوق فلا بد وأنه رتب مقابله واجبات عليهم أن يلتزموا بها ، وهذه الواجبات تنحصر في الأمور الآتية :

أولا : واجبات مالية هي :

ثالثا :

احترام شعائر المسلمين
ومشاعرهم •

١ - أداء الجزية •

٢ - أداء الخراج •

٣ - أداء الضريبة التجارية •

الواجبات المالية :

١ - أداء الجزية : والجزية

ضريبة سنوية على الرؤوس من الذميين ، تتمثل في مقدار زهيد من المال ، يفرض على الرجال البالغين القادرين على حسب

ثانيا :

التزام أحكام القانون الإسلامى في المعاملات المدنية والتجارية والجنائية •

من أحد من المسلمين ، وأخذها عمرو بن العاص من أقباط مصر من كل حالم دينارين ، وكتب بذلك الى عمر بن الخطاب فأجازه •

شرائط وجوب الجزية :

أولاً : العقل والبلوغ والذكورة فلا تجب على الصبيان والنساء والمجانين من أهل الذمة ، لان الله تعالى أوجب الجزية على من هو أهل للقتال — فقال جلت كلماته :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .. الآية » والصبيان والنساء والمجانين ليسوا من أهل القتال ، فلا تجب عليهم •

ثانياً : السلامة من الزمانة والعمى والكبر — فلا يجب على من زمن وعمى والشيخ الكبير — وهذا ما فعله خالد بن الوليد في صلحه مع أهل الحيرة ، وقد كتب به الى الصديق : أبى بكر وقت خلافته ليعلمه بما فعل ، فلم ينكره عليه •

ثالثاً : الحرية — أى : أن يكون الشخص الذمى الذى يقوم بدفع الجزية متمتعاً بالحرية ، فلا تجب على العبد ، وهو : الشخص الذى

ثرواتهم ، فى ميعاد معين ، ويعفى الفقراء منها اعفاء تاما •

وليس للجزية حد معين ، وانما ترجع الى تقدير الامام الذى عليه أن يراعى طاقات الذميين ولا يرهقهم كما عليه أن يراعى المصلحة العامة للأمة •

أساس وجوب الجزية :

هو : القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة •

فمن القرآن الكريم : قوله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون) سورة التوبة ٢٩ — وصاغرون : تعنى هنا التسليم والقاء السلاح والخضوع لحكم الدولة الاسلامية •

ومن السنة النبوية المطهرة :

ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرين ، وأخذها عمر بن الخطاب من مجوس سواد العراق بلا انكار

به من تسامح المسلمين معهم ، ومن حمايتهم لهم ، يدفعون الجزية كل منهم بحسب قدرته .. وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطني ، فكان لا يدفعها الا الرجل القادر على حمل السلاح ، فلا يدفعها ذوو العاهات .. ولا المترهبون وأهل الصوامع) •

وقت وجوب الجزية :

اختلف الفقهاء في وقت وجوبها فمنهم : من رأى وجوبها في ابتداء السنة كالحنفية • ومن الفقهاء : من رأى أنها تجب في آخر السنة وتأخذ مرة واحدة •

عن أى شيء وجبت الجزية ؟

شرعت الجزية على الذميين بدلا عن حمايتهم من قبل الدولة الاسلامية ، ذلك أن الدولة الاسلامية دولة (عقائدية) ، ومثل هذه الدولة لا يقاتل دفاعا عنها وسلامة عقيدتها وفكرها — وليس من المعقول أن يؤخذ شخص ويدفع الى القتال والقتل ويسفك دمه من أجل فكرة يعتقد عدم صحتها ، وفي سبيل دين لا يؤمن به •

فقد حريته ، لانه ليس من أهل ملك المال يقول الله تعالى : « حتى يعطوا الجزية » سورة التوبة ٢٩ — ولا يقال لمن لا يملك — حتى يعطى — مع ملاحظة أن هذا الشرط أصبح في زماننا المعاصر شرطا نظريا ، أو شرطا فرضيا ، لان نظم الرق تم الغاؤه دوليا •

رابعا : ألا يكون الذمي فقيرا غير معتمل ، وهو : الذى لا قدرة له على العمل والكسب ، لان الجزية لم توضع على فقير غير معتمل من أهل سواد العراق في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب — كما أنه أيضا رفع الجزية عن رجل كبير من أهل الذمة رآه يسأل الناس « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » سورة البقرة ٢٧٦ •

خامسا : ألا يكون راهبا ، لأنه من المبادئ المقررة في الاسلام أن الراهب اذا أسر في الحرب لم يقتل ، فاذا دخل في الذمة لم تجب عليه الجزية •

يقول المؤرخ الغربى آدم ميتز :
(كان أهل الذمة بحكم ما يتمتعون

جيش المسلمين في بلاد الفرس زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ملك جرجان — فقد جاء فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم • هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان ، وأهل دهستان ، وسائر أهل جرجان ، أن لكم الذمة ، وعلينا المنعة) •

٣ — أورد الامام أبو يوسف في كتابه (الخراج) قوله : (فانما كان الصلح جرى بين المسلمين وأهل الذمة في أداء الجزية — وفتحت المدن على ألا تهدم بيعهم ، وعلى أن يقاتلوا من ناوهم من عدوهم ، ويذبوا عنهم ، فأدوا الجزية على هذا الشرط ، فافتتحت الشام كلها على هذا) •

ما يسقط الجزية بعد وجوبها ؟ :

١ — الاسلام : فمن دخل من الذميين في الاسلام سقطت عنه الجزية •

٢ — الموت : كذلك من مات من الذميين بعد وجوب الجزية ولم تستوف منه سقطت عنه ، ولا يلزم بها ، ولا تؤخذ من تركته •

من ذلك يتبين : أن الجزية ليست عقوبة كما يشيع عنها أعداء الاسلام ، لان الاسلام لم يلزم الذميين بواجب الدفاع عن دار الاسلام كما ألزم به المسلمين ، وان كان لهم أن يساهموا في هذا الواجب لكن باختيارهم ، فضلاً عن انتفاعهم بالمرافق العامة للدولة •

ويستدل على ذلك بالآتي :

١ — ما حرره خالد بن الوليد في كتابه الى (صلوبا بن نسطونا) صاحب قس الناطف بعد مصالحته له ، فقد ورد فيه كما رواه الطبرى في تاريخه : (بسم الله الرحمن الرحيم • هذا كتاب خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه ، أنى عاهدتكم على الجزية والمتعة • • وأنك نقيب على قومك — وأن قومك قد رضوا بك — وقد قبلت ومن معى من المسلمين ، ورضيت ورضى قومك ، تلك الذمة والمتعة ، فان منعناكم فلنا الجزية ، والا فلا ، حتى نمنعكم) •

٢ — كتاب سويد بن مقرن قائد

• الجزية

ويرى المالكية : أن الجزية تسقط عند عجز الذمي عن أدائها ، بل انها لا تؤخذ منه بعد يساره عما عجز عنه •

٥ - سقوط الجزية بعجز الدولة الإسلامية عن حماية الذميين :

إذا عجز المسلمون عن حماية الذميين لم يبق لهم ما يدعو الى بقاء الجزية عليهم ، لانها كما قررنا في صدر هذا البحث أنها بدل عن الحماية ، لان الاسلام لم يلزم الذميين بواجب الدفاع عن دار الاسلام رعاية لهم ، وعناية بهم ، والسوابق التاريخية شاهدة على ذلك • فمنها على سبيل المثال لا الحصر :

(أ) جاء في صلح خالد بن الوليد مع صولبا بن نسطونا صاحب قس الناطف في منطقة الحيرة والسابق الاشارة اليه : (انى عاهدت على الجزية والمنعة •• فان منعناكم فلنا الجزية والا فلا حتى نمنعكم)
(ب) أن أبا عبيدة بن الجراح عندما أعلمه نوابه على مدن الشام

٣ - مضى المدة ويراد به مضى سنة أو أكثر على وجوب الجزية تستوف دون أن تستوفى من الذمي ، فقد اختلف فيها الفقهاء فبعضهم يقرر : وهو الامام أبو حنيفة بأن الذمي لا يطالب بجزية السنين الماضية ولا بالسنة التي هوفيهما حتى تنتقضى ، لانه يرى أن دين الجزية دين ضعيف يمكن سقوطه بغير الاداء أو الابرأء الا أن بعض الفقهاء - في مذاهب الحنابلة والشافعية والشيعة الامامية يرى عدم سقوطها بمضى المدة ، بحجة أن الجزية حق مالى يجب في آخر كل حول •

٤ - حصول بعض الاعذار :

فاذا طرأت بعض الاعذار المانعة من ايجاب الجزية ، كما لو صار الذمي فقيرا لا يقدر على شئ ، أو صار مقعدا أو زمنا أو شيخا كبيرا ، ففي هذه الاحوال تسقط عنه الجزية - ولا تؤخذ منه جزية ما مضى اذا لم يكن قد أداها في وقتها ، وهذا ما يراه الاحناف ويشترطون أن تدوم هذه الأعذار نصف سنة فأكثر حتى يسقط الباقي من

بتجمع جيوش الروم للهجوم عليها •
كتب اليهم : أن ردوا الجزية على
من أخذتموها منه ، وأمرهم أن
يقولوا لهم : (انما رددنا عليكم
أموالكم ، لأنه قد بلغنا ما جمع
لنا من الجموع ، وانكم اشترطتم
علينا أن نمنعكم ، وأنا لا نقدر على
ذلك - وقد رددنا عليكم ما أخذنا
منكم ، ونحن لكم على الشروط ،
وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا
الله عليهم) •

٦ - سقوط الجزية باشتراك الذميين في الدفاع عن دار الاسلام :

(ب) أن الجراجمة في جبل
اللكام في نواحي أنطاكية نقضوا
العهد ، فوجه أبو عبيدة بن الجراح
الى انطاكية من فتحها ثانية ، وولى
عليها بعد فتحها حبيب بن مسلم
القهرى ، فغزا الجرجومة مكان
الجراجمة - فلم يقاتله أهلها -
ولكنهم طلبوا الامان والصلح ،
فصالحوه على أن يكونوا أعوانا
للمسلمين ، وعيونا ومسالح في جبل
اللكام ، وأن لا يؤخذوا بالجزية ،
ودخل من كان في مدينتهم في هذا
الصلح •

مادامت الجزية قد وجبت على
الذميين بدلا عن حمايتهم ، فانهم
اذا ساهموا في الدفاع عن دار
الاسلام فقد قاموا بالاصل الذى
من أجله وجبت عليهم الجزية ،
وبالتالى تسقط عنهم الجزية •

الجزية في البلاد الاسلامية عامة ، وفي بلادنا المصرية خاصة :

والأمثلة كثيرة نكتفى منها
بالاتى :

يوجد في كثير من البلاد
الاسلامية ذميون في الوقت الحاضر
- وهؤلاء لا تؤخذ منهم جزية -

(أ) روى الامام الطبرى في
تاريخه عن ملك (الجلب) في نواحي
اقليم أرمينيا وكان اسمه : (شهر

من وصف بأنها (جزية الرعوس) فاشتبهت بما كان من ضرائب فرضتها الدولة الرومانية في الزمن القديم على رعوس رعاياها ، فكرهوها ، لأنها انتقاص من الحرية ، وتعامل الشخص كعرض من عروض التجارة — وفاتهم أن الرعوس في الاسلام غير ذلك ، اذ فرضت على الشخص لصفة فيه — وهى أنه ذمى — وأن هذا الوصف يلحق بالشخص لدينه لا لماله ، أما ماله ومال المسلم فسواء — أما عند الرومان فكانت ضريبة الرعوس تفرض عندهم على الشخص لعينه • وثنتان بين الصورتين •

(٢) الخراج

الخراج في اللغة يعنى الاتاة — وأصله ما يخرج من غلة الارض والمال — ومن معناه : المال المخروب على الارض والجزية •

فكلمة الخراج ترد في الاستعمال بمعنى الجزية ، استنادا لقول الشعبي عامر بن شراحبيل المتوفى سنة ١٠٤ هجرية (أول من فرض الخراج رسول الله — صلى الله

ويمكن ارجاع ذلك الى أنهم في تلك الدول يشتركون مع المسلمين في واجب الدفاع عن دار الاسلام ، والمساهمة في هذا الواجب تسقط الجزية — بعد وجوبها ، أو تمنع وجوبها أصلا — اذ الدفاع عن الوطن واجب مقدس — وأداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين، والتجديد أصبح اجباريا وفقا للقانون •

ولقد نص القانون رقم ٥٠٥ سنة ١٩٥٥ المعدل ، بشأن الخدمة العسكرية والوطنية في مصر ، في مادته الاولى على أن : (تفرض الخدمة العسكرية أو الوطنية على كل مصرى من الذكور أتم الثامنة عشرة من عمره) •

فمن ذلك يتبين أن الذميين يساهمون حاليا برضاهم في الدفاع عن أرض الوطن ، ولا يتميزون في هذا الواجب المقدس عن المواطنين المسلمين •

هل الجزية ضرائب كيديّة ؟

يزعم أعداء الاسلام أن الجزية ما هى الا ضرائب كيديّة ، ويبدو أن مرد ذلك راجع الى ما غلب عليها

وعليه وسلم — فرض على أهل هجر
على كل محتلم ذكرا أو أنثى) •
الا أن المعنى الشائع في
استعمال كلمة الخراج عند الفقهاء
هو ما يفرض على الأرض من
ضريبة مالية — ولا يطلق اسم
الخراج على الجزية الا مقيدا
بخراج الرأس •

(ج) أراضى نصارى بنى تغلب
وهذه لها حكم خاص بها ، فقد
صالحهم الخليفة عمر بن الخطاب
— رضى الله عنه — على أن يأخذ
من أراضيه العشر مضاعفا •

أنواع الاراضى الخراجية

١ — الاراضى التى فتحها —

المسلمون عنوة وقهرا :

ومثالها : أراضى العراق ومصر
فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب
— رضى الله عنه — ترك الأرض
بأيدي أهلها ، وضرب على رؤوسهم
الجزية ، وعلى أراضيه الخراج ،
بعد عرض الموضوع على صحابة
رسول الله — صلى الله عليه وسلم
— وموافقتهم •

(ب) الاراضى التى تركها

المسلمون الى أهلها صلحا على
وظيفة معلومة : فانها تكون خراجية
لما روى عن النبى — صلى الله
عليه وسلم — أنه صالح نصارى
نجران على جزية رؤوسهم ،

(د) أرض الموات التى أحيها
الذمى بسبب اشتراكه فى القتال
مع المسلمين — وانما كانت هذه
الاراضى خراجية لان الأرض
لا تخلو من خراج أو عشر ، وأرض
الذمى يفرض عليها ابتداء الخراج
لما فى العشر من معنى العباداة ،
والذمى ليس من أهل وجوبها •

(هـ) الاراضى العشيرية اذا
تملكها ذمى فتصير أرضا خراجية :
ويعلل ذلك الامام أبو حنيفة : بأن
فى العشر معنى العباداة ، لأن
العشر زكاة ما تخرجه الأرض ••
والذمى ليس من أهل وجوبها —
ولهذا لم يجب عليه العشر ابتداء
— فكذا لا يجب عليه فى حال
البقاء •

المسلمون الى أهلها صلحا على
وظيفة معلومة : فانها تكون خراجية
لما روى عن النبى — صلى الله
عليه وسلم — أنه صالح نصارى
نجران على جزية رؤوسهم ،

لما افتتحتها •

أنواع الخراج :

الخراج نوعان : خراج وظيفة
— وخراج مقاسمة •

(أ) خراج الوظيفة :

وهو : ما يفرض على الأرض بالنسبة إلى مساحتها ونوع زراعتها والاصل هو ما فعله الخليفة : عمر ابن الخطاب رضى الله عنه في أرض السواد في بلاد العراق بعد فتحها ، فقد تركها بأيدي أهلها — وفرض على كل جريب أرض بيضاء تصلح للزراعة قفيزا مما يزرع فيها — ودرهما • وعلى جريب الرطوبة خمسة دراهم • وعلى جريب الكرم عشرة دراهم • وقد جعل الخليفة الراشد تلك المقادير بمحضر من الصحابة ، ولم ينكر عليه أحد وقتئذ •

(ب) خراج المقاسمة :

وهو : أن يكون الواجب شيئا من الخارج نحو الخمس والسدس وما أشبه ذلك وهذا النوع من الخراج جائز — فقد فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل خيبر

والفرق بين النوعين : هو أن في خراج الوظيفة يكون الواجب شيئا في الذمة يتعلق بالتمكن من الارتفاع بالأرض •

أما اخراج المقاسمة فيتعلق بالخارج من الأرض لا بالتمكن من الزراعة •

وخراج الوظيفة يؤخذ مرة واحدة في السنة — أما خراج المقاسمة فيتكرر أخذه بتكرر الخارج من الأرض •

مبنى الخراج على الطاقة :

عند تعيين مقدار الخراج ينظر إلى الأمر إلى طاقة الأرض وقدرتها على تحمل ما يفرض عليها من الخراج ، لما ثبت من أن حذيفة ابن اليمان وعثمان بن حنيف لما مسحوا سواد العراق ووضعوا عليها الخراج بأمر الخليفة : عمر بن الخطاب قال لهما لعلكما حملتما الأرض ما لا تطيق ؟ قالوا — لا بل حملناها ما تطيق • ولو زدنا لأطأقت • فدل هذا الخبر على أن مبنى الخراج على الطاقة •

ما يستدل من مناقشة الخليفة عمر بن الخطاب ؟

هذه المناقشة تدل على عدالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه المستمدة من سماحة الاسلام وعدالته بالنسبة الى كل انسان مهما كان دينه ، ومهما كانت عداوته للاسلام والمسلمين ، ملترما بما قاله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بانقسط ولا يجز منكم شئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » سورة المائدة ٨ •

كما يدل كلام الخليفة عمر بن الخطاب على أن المسلمين لم ينظروا الى غير المسلمين من أهل البلاد المفتوحة نظرة استغلال ، مما يشير الى أن الفتوحات الاسلامية لم يكن يراد بها استغلال الشعوب ونهب خيراتها ، وانما ابلاغها بعقيدة الاسلام وشريعته ، واقامة العدل فيها •

وقد نص الفقهاء على بعض الامور التى يجب ملاحظتها بمعرفة ولى الامر عند فرض الخراج ،

للتعرف بها على طاقة الارض من ذلك خصوبة الارض ، ونوع ما يزرع ، وثمرته ، وطريقة سقيها وقربها أو بعدها عن المدن والاسواق •

تأثير الخراج بما يصيب الأرض من طوارئ :

اذا تقرر الخراج ، ثم طرأ على الأرض طارئ أضعف طاقتها ، فانه يجوز للامام تخفيضه • واذا زادت طاقة الأرض جاز له تقرير زيادة فى خراجها •

نظام الخراج فى ميزان التشريع الضريبي :

لما كان الخراج ضريبة مالية على الأراضي الزراعية التى تركها الفاتحون المسلمون بأيدي أهلها ، فقد توافر فى هذه الضريبة القواعد الأساسية التى يسترشد بها علماء التشريع المالى عند تقريرهم للضرائب فى الوقت الحاضر ، وهذه القواعد هى العدالة – واليقين – والرفق – والاقتصاد •

١ - قاعدة العدالة :

هذه القاعدة ملاحظة في التشريع المالى الاسلامى ، وطبقت تطبيقا دقيقا في الضرائب التى قررتها الدولة الاسلامية . ذلك أن الاسلام هو دين العدل والعدالة ، فالخليفة الراشد : عمر بن الخطاب هو أول من وضع ضريبة الخراج على أساس طاقة الأرض ، وأكد على عماله أن يجعلوا مقدارها مناسباً مع هذه الطاقة ، كما تشير بذلك المحاورة التى ذكرناها فيما سبق بينه وبين الصحابى : حذيفة ابن اليمان وعثمان بن حنيف . وكان قد أرسلها الى سواد العراق لمسح أراضيه وتقدير الخراج عليها .

وتبدو هذه القاعدة واضحة بجلاء فيما قرره فقهاء الاسلام : من أن خراج الوظيفة يجب بالتمكن من الانتفاع بالأرض - فاذا تعذر الانتفاع فلا يجب الخراج ، وأن خراج المقاسمة يجب بوجود الزرع حقيقة ، فان لم يوجد فلا يجب الخراج - واذا لم تخرج الأرض الا بقدر ما كفى الخراج فلا

يؤخذ الخراج كله ، وانما ينقص الى النصف - اذا هلك الزرع بأفة سماوية فان الخراج يسقط في هذه الحالة ، لأنه مصاب ، فيستحق المعونة ، وتعذر عليه استغلال الأرض .

ولم يفت فقهاء الاسلام أن يوصوا أولى الأمر من حكام المسلمين ، بل أكدوا عليهم ألا يتعسفوا في جباية الخراج ، وأن يراقبوا عمالهم حتى لا يأخذوا من أصحاب الأرض أكثر من المقدار المعين عليها .

وفي ذلك يقول الامام أبو يوسف في وصيته الى الخليفة العباس هارون الرشيد ، بعد أن طلب منه ضرورة مراقبة عمال الخراج ، والأخذ بمقتضى العدل ، وترك الظلم :

(ان العدل وانصاف المظلوم وتجنب الظلم مع ما فى ذلك من الأجر يزيد به الخراج ، وتكثر به عمارة البلاد ، والبركة مع العدل تكون . وهى تفقد مع الجور . والخراج المأخوذ مع الجور تنقص البلاد به وتخرّب) .

٢ - قاعدة الوضوح واليقين :

فالضريبة التي يلتزم الفرد بأدائها يجب أن تكون محددة في مقدارها ، واضحة في سبب وجوبها ، وزمن أدائها . وبهذا الوضوح واليقين يكون المكلف بها على بينه من أمره ، فلا يستطيع جباة الخراج استغلال جهله ، وأخذ أكثر من المستحق عليه - وضريبة الخراج تتوافر فيها هذه القاعدة ، فمقدارها معلوم ومعلومة المقدار نسبة الى الخارج من الأرض ، وتدفع في وقت معين من السنة .

٣ - قاعدة الرفق :

وتعنى هذه القاعدة : أن الضريبة أن تجبى في الأوقات الملائمة التي لا ترهق الملتزم بها ، وضريبة الخراج لا تجبى الا وقت ظهور الزرع ، وحلول وقت حصاده ، وهذا الوقت لا جدال أنه أنسب الأوقات لجباية الضرائب من المكلفين بها .

٤ - قاعدة الاقتصاد :

وتفيد هذه القاعدة في : أن جباية

الضريبة يجب أن تنظم على نحو تكون نفقات جبايتها قليلة ، ويكون الفرق بين ما يخرج من المكلف وبين ما يدخل الخزانة العامة أقل ما يمكن . ومن الأصول المخالفة لهذه القاعدة : أن تقوم الدولة ببيع الضرائب لقاء ثمن يدفعه الراغب في شرائها وجبايتها ، وهذا ما عرف في الماضي : (بنظام التقبل) وهو نظام سقيم ، يرهق أصحاب الأرض ، ويلحق الضرر ببيت المال ، وينافى قاعدة الاقتصاد ، لأن الداخل في بيت المال بهذا النظام أقل مما لو تولت الدولة جباية الخراج بمعرفة عمالها أنفسهم فضلا عما في التقبل من ارهاق أصحاب الأرض وظلمهم بمعرفة المتقبل ، والذي يحمل على أهل الخراج ما لا يجب عليهم ليعوض لنفسه ما قام بدفعه للدولة . وفي ذلك كما يقول الامام أبو يوسف (خراب البلاد وهلاك الرعية) . ما عليه ، العمل في بلادنا المصرية ؟

ينظم ضريبة الأراضي الزراعية

لها اذا ما انتقلوا بأموالهم التجارية من بلد الى آخر داخله دار السلام — ويعفى الذمى من هذه الضريبة في بلده الذى هو فيه ، فتجارته وان كانت قد تجلب له ربحا الا أنه ليس كالربح الذى يحصل عليه بانتقاله من بلده الى بلد آخر ، كما أنه لا يستفيد من مرافق الدولة وهو في بلده كما يستفيد بها في تنقله .

ووعاء هذه الضريبة : جميع عروض التجارة : من ثياب ، وحيوان ، وحبوب ، ونحو ذلك وكذلك الذهب والفضة ، نقودا كانت أو عتادا اذا بلغت النصاب ، وهو نصاب الزكاة . ومقدارها : نصف العشر .

ويستوفى هذه الضريبة عمال الدولة المعينون لهذا الغرض ، والقائمون في ثغور الدولة الاسلامية — وعلى طرق المواصلات خارج المدن — وقد سمي استيفاء هذه الضريبة بالتعشير ، وسمى العامل القائم بجبايتها بالعاشر ، لأن ما يستوفيه من ضريبة مداره على العشر .

في جمهوريتنا المصرية القانون رقم ١١٣ لسنة ١٩٣٩ وما تلاه من تعديلات وقوانين .

وبموجبه تفرض على الأراضى الزراعية الصالحة للزراعة ، سواء زرعت أو لم تزرع ، وهذا الحكم هو ما قرره الفقهاء في خراج الوظيفة — اذ تجب بالتمكن من الانتفاع بالأرض الزراعية ، ولا يشترط الانتفاع الفعلى بها كما بيناه سابقا — ولا شك أن واضع القانون لاحظ طاقة الأرض في تقرير نسب الضريبة المفروضة عليها ، حتى لا يكون هناك ارهاق على المكلف بدفعها . مع تفصيلات كثيرة يمكن الرجوع اليها في كتب فقهاء التشريع الضريبى لمن أراد التوسع في ذلك .

٣ — الضريبة التجارية —

أو العشور

قرر الاسلام على الذميين ضريبة تجارية تفرض على أموالهم المعدة للتجارة عند نقلها من بلد الى بلد داخل دار الاسلام — وهى أشبه بالضريبة الجمركية في عصرنا ، لان المسلمين يخضعون

دليل شرعية هذه الضريبة السنة - والاجماع • تعليل جعل ضريبة الذمى ضعف ضريبة المسلم :

يبدو أن السبب في هذا التضعيف : هو أن الذمى كان لا يؤخذ من أمواله شيء سوى ما يؤخذ من أمواله التجارية التي ينتقل بها من بلد الى بلد - أما أمواله التجارية التي في بلده - وأمواله الباطنة كالذهب والفضة ، وزروعه وسوائمه ، فلا يؤخذ منها شيء ، بخلاف المسلم الذي تؤخذ منه زكاة هذه الأموال جميعا - اما أن يأخذها الامام نفسه كما في زكاة السوائم والزرع - واما أن يدفعها المسلم نفسه الى مستحقيها كما في أمواله الباطنة وأمواله التجارية التي في المدينة وعلى هذا تكون التكاليف المالية على المسلم أكثر منها على الذمى ، فاقضى هذا الأمر تضعيف الضريبة التجارية على الذمى •

الضريبة التجارية على الخمر والخنازير :

يرى فقهاء الشافعية والحنابلة :
ألا يعثر الخمر ولا الخنزير

١ - من السنة : فقد ورد في كتاب شرح السير الكبير للسرخرى وكتاب الأموال لأبى عبيد : أن الخليفة عمر بن الخطاب بعث أنس بن مالك لجباية العشور فقال أنس (يا أمير المؤمنين تقلدنى المكس ؟ • فقال عمر : قلدتك ما قلدنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلدنى أمور العشور ، وأمرنى أن آخذ من المسلم ربع العشر ومن الذمى نصف العشر ، ومن الحربى العشر) •

٢ - من الاجماع : فقد أورد الكاساتى في بدائعهم بأن عمر بن الخطاب نصب العشار وقال لهم : (خذوا من المسلم ربع العشر ، ومن الذمى نصف العشر ، ومن الحربى العشر ، وكان ذلك بمحضر من الصحابة - ولم ينقل أنه أنكر عليه أحد منهم فكان اجماعا - والاجماع المذكور اجماع سكوتى والفقهاء - يختلفون في حجيته) •

ولا ثمنها ، لانهما ليسا بمال أصلا — والعشر — أى : الضريبة التجارية — انما يؤخذ من المال المتقوم *
 شأنها شأن الخمر لاستوائهما في المالية ، وهما مال متقوم في حق أهل الذمة ، ولهذا كان مضمونا على المسلم بالاتلاف *

يتبع

وبالله التوفيق

أما فقهاء الأحناف فلهم رأى آخر : فممنهم من رأى أنها تفرض على الخمر دون الخنازير * ومنهم من رأى : أنها تفرض على الخنازير فقط ومنهم من رأى : أنها تفرض على الخنازير أيضا

المستشار / محمد عزت الطهطاوى

احجز نسختك من مجلة

الأزهر

في غرة كل شهر عربى

تأليف العبارة كما يراه المبرد في الكامل للأستاذ السيد حسن فترون

الجاهلية والاسلام ، وحسبك أن
منها الأوس والخزرج أنصار
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ،
وفضلهم على الدعوة الاسلامية
لا ينكر ، منهم دعائها والمنافحون
عنها ، والباذلون أموالهم وأرواحهم
رخيصة في سبيلها ، وأول حكومة
اسلامية نشأت في مدينتهم (يثرب)
التي سميت المدينة المنورة فضمت
خير البشر الرسول وخلفاءه
وأصحابه من المهاجرين والأنصار،
ومن الأزد الغساسنة ملوك
الشام ، ومنهم أزد شنوءة ، وأصل
الأزد اليمن ، ولكنهم بعد انهيار
سد مأرب اتجهوا الى الشمال ،
وبقى بعضهم في الجنوب ، ومنهم
المهلب بن أبي صعرة وأبنائوه ،
ولهم دورهم في تدمير الخوارج ،

المبرد : هو محمد بن يزيد
ابن عبد الأكبر ، ولقب « المبرد »
لأن أستاذه المازني لما صنف كتاب
« الإلف واللام » سألته عن دقيقه
وعويصه فأحسن الجواب : فقال له
المازني : قم فأنت المبرد • أى
المثبت للحق ، ولكن منافسيه في
عصره وحاسديه كانوا يتخذون من
هذا اللقب منفذا للاساءة اليه
والنيل منه ، فيقولون انه المبرد
بفتح الراء لا بكسرها ، كما أن
خصوم العقاد في عصرنا اتخذوا
من اسمه وصفا لعموض شعره
ونثره وتعقيدته ، والمبرد والعقاد
بريئان مما تقول به منافسوهما •

والمبرد من اسرة نبيلة هي :
«ثمالة» وثمالة من قبيلة «الأزد»
والأزد ، قبيلة كبيرة لها شأنها في

مما جعل الخلفاء والأمراء والوزراء
يقبلون ، ويتنافسون في تكريمه •
وللمبرد مؤلفات أشهرها
« الكامل » « والمقتضب » في
النحو ، و (الفاضل والمفضول)
و « التعازي والمراثي » ،
« ومعاني القرآن » ، ويعرف
بالكتاب التام •

وكتاب الكامل أشهر كتب المبرد،
وأكثرها فائدة للنحوي واللغوي
والبلاغي ، وطالب الأخبار
والأنساب ، لأنه قد حوى كل ذلك
وقد يستطرد الى مسائل الفقه
والعقائد ، والتفسير الى كثير من
العلوم الاسلامية والأهمية الكامل
قال عنه ابن خلدون !

« سمعنا من شيوخنا في مجالس
التعليم أن أصول فن الأدب
وأركانه أربعة دواوين ، وهي كتاب
الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب
لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين
للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على
القالى البغدادي ، وما سوى هذه
الأربعة فتبع لها وفروع عنها » •
ولكن كتاب الكامل • حسب
النظرة المعاصرة • لا يعد كتاب

وقد كانت ثمالة تسكن السراة
من أرض الحجاز ، ولكن المبرد ولد
في مدينة البصرة من أسرة سرية
ثرية ، ومن دلائل شرفها أن ابنها
محمد الأديب الوحيد في أدبنا
العربي ، الذي يعرف يوم مولده
ويوم وفاته ، فقد ذكروا أنه ولد
في غداة عيد الأضحى من سنة
٢١٠ هـ ، وتوفي في بغداد سنة
٢٨٥ هـ •

وتلقى المبرد النحو واللغة
والأدب من شيوخ عصره وأئمة
دهره ، كالأصمعي وأبى زيد
وأبى عبيدة ، والجرمي والمازني
ولم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو
من المازني، كما عرف منه ذلك ونوه
به تلاميذه وفي مقدمتهم المبرد •

وكما كان للمبرد شيوخه • كان
له تلاميذه ، منهم أبو اسحاق
الزجاج ، وأبو على الصغار ، وابن
درستويه ، وأبو الحسن الأخفش
« الصغير » ، وكان المبرد زعيم
مدرسة البصريين ، في الوقت الذي
كان فيه أحمد بن يحيى ثعلب زعيم
الكوفيين ، ويمتاز المبرد على ثعلب
بفصاحة لسانه ، وصياحة وجهه ،

نواحيه على مدى صفحات كتاب الكامل ، فانه بعد المقدمة التي جعلها للنبي وأصحابه وصد الباب الأول لنقد الشعر ، الذي راعنا منه عنايته بتأليف العبارة ، فماذا قال ؟ والى أى حد يتفق ونقدنا الحديث ؟ وينبغي أن نعلم أنه كان مجددا ولا ينظر الى القديم لقدمه ، فيطريه على طول الخط ، ولا ينظر الى الحديث لحدثه فينقص من قدره ، بل الميزان عنده واحد للقديم والحديث على السواء ، فالمدار على الاجادة أو كما يقول : « وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحق ، وموقفى أنا معه موقف التلميذ المخلص والناقد معا ، ولست فى هذا بعاق له ، ولا حائد عن طريقته ، بل سعيالى تبرئة سامته ، وتكميلا لمذهبه ، وكان الأخفش الصغير من خاصة تلاميذه فى عصره ، ولكن الأخفش حين تقرأ « الكامل » تجد له تعليقات ناقدة ، مكمله منثورة ، فى غضون الكتاب ، وقد كنت

أدب بالمعنى الفنى الحديث ، ولكنه كما قدمنا كتاب جامع فى فنون المعرفة الدينية ، وكان المبرد واسع الأفق ، رحب الصدر ، متفتح الذهن ، لا يضيق بمناوئية ، ولا منافسيه ، حتى لقد روى الهجاء الذى قيل فيه فقد سئل ما أشد ما قيل فيك من هجاء ؟ قال قول الشاعر :

سألنا عن ثمالة كل حى
فقال القائلون ومن ثمالة ؟

فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهالة
وما أسهل الرد على قائل ذلك
الشعر ، محمد بن يزيد لا يزيد قبيلته جهالة ، بل يرفعها ويرفع الأمة كلها الى مواطن النجوم لما آداه للفكر العربى ، والبلاغة العربية من فن وعلم .

واذا كنت قدمت لما أنا بصدده بهذا التقديم للمبرد ، فلأنى أود أضع القارئ معى فى دائرة الضوء ، علنا نتبين معالم أدب المبرد ، ومدى رأيه فى نقد الشعر ، وتأليف العبارة ، وإذا كان المبرد عنى بالحديث عن الشعر من جميع

جمعت تلك التعليقات في كراسة ،
ثم فقدت منى ، وأرجو أن أوفق
في جمعها من جديد ، لأبين مدى
ما أحسن فيه وما أساء فيه ، وأنا
أوافق الأخفش في أخذه على المبرد
خطأه في بعض أسماء الأعلام ،
ومما لم يلاحظه الأخفش خطأ
المبرد في نسب خال هشام
ابن عبد الملك ، فقد جعله من
ولد هشام بن المنيرة ، والصواب
أنه من ولد الوليد بن المغيرة ، فقد
مدح جرير الخليفة هشام بن عبد
الملك بقصيدة عصماء منها قوله :
سما بك خالد وبنو هشام
الى العلياء في الحسب الجسيم
قال أبو الحسن الأخفش :
« وهم أبو العباس في قوله :
وبنو هشام ، وانما وقع في شعره
وأبو هشام وهو الصحيح ، يريد
اسماعيل ابن هشام ، وهو جده
من قبل أمه » ولكن أبا العباس
المبرد حين أورد النسب قال :
سما بك خالد يريد خالد بن الوليد
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر

ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن
كعب ، وهذا صحيح ثم قال :
لأن أم هشام بنت هشام بن
اسماعيل بن هشام ابن المغيرة
وهذا خطأ ، لأن هشام الأخير
أخو خالد بن الوليد ، وقد بنى
المبرد على الخطأ بيان منزلة
(هشام بن المغيرة) فقال عنه أنه
كان « أجل قرشي حلما وجودا ،
وكانت قریش تؤرخ بموته كما
كانت تؤرخ بعام الفيل . » قال
الشاعر :

« زمان تتاعى الناس موت هشام »
ومن أجله يقول القائل :

فأصبح بطن مكة مقشعرا
كأن الأرض ليس بها هشام
ووضع الأمور في نصابها أن
تقول سما بك خالد وأبو هشام
وهو الوليد بن المغيرة الذي لا يقل
منزلة في قریش عن أخيه هشام
ابن المغيرة ، وهشام أخو خالد
سمى باسم عمه لمكانته في قریش ،
وكان زعيم بنى مخزوم عام غزوة
بدر •

أبو العباس المبرد الى منهج العرب
في الشعر والخطب والكتابة ، فبين
خاصية العرب في حب الایجاز •
فالایجاز مطلب صعب لا

يحسنه كل قائل ، فهو يحتاج الى
حصافة العقل ، وتوهج الذهن ،
وتملك اللغة والعربی الخالص فيه
تلك الصفات ، وله اللمحة الدالة
وتأليف العبارة تقتضى الوضوح ،
ومن ثم قيل له بيان ، ولكن البيان
يعتد به ما يشينه من استغلق
المعنى ، واستكراه اللفظ ، فماذا
ينبغي لمن وقع في صناعة الكلام ؟
يرى المبرد : أنه اذا أحيط بما يبينه
من سياق العبارة • كان مقبولا ،
« ويغتفر السيئ للحسن » ثم
هو لا ينكر قول الآخر من أن
المعنى المستغلق ، واللفظ

المستكراه ، يكون العيب فيه أظهر ،
وهذه قضية قام بها القدماء ، منذ
عهد الجاحظ الى اليوم ، وقد
وضحها وبين معالمها الامام
عبد القاهر الجرجاني ،
وأرجع كل نقص في العبارة الى
مخالفة النحو وقواعده ، وما من
شك في أن المبرد وان عفا عن

أما هشام بن المغيرة فهو والد
أبى جهل ، ومن الغريب أنه في
فصل آخر أورد النسب سليما •
أقول : كل هذا الأبرهن على أنى
مع المبرد في احسانه ، وليس معه
في أخطائه •• واليك ما جاء منه في
تأليف العبارة ، قال أبو العباس :
« من كلام العرب الاختصار
المفهم ، والاطناب المفخم ، وقد
يقع الايماء الى الشيء فيغنى عند
ذوى الألباب عن كشفه ، كما قيل
لمحة دالة ، وقد يضطر الشاعر
المغلق ، والخطيب المصقع ،
والكاتب البليغ ، فيقع في كلام
أحدهم المعنى المستغلق ، واللفظ
المستكراه ، فان انعطفت عليه جنبنا
الكلام غطنا على عوارده ، وسترتا
من شينه •

وان شاء قائل أن يقول : بل
الكلام القبيح في الكلام الحسن
أظهر ، ومجاورته له أشهر ، كان
ذلك له ، ولكن يغتفر السيئ
للحسن ، والبعيد للقريب ••
وقبل أن نورد ما مثل به لمذهبه
تناقش تلك القطعة في ضوء
مفهومنا للكلام البليغ ، أشار

ومما وقع كالإيحاء قول الفرزوق
(يهجر جريرا) :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها
وقضى عليك به الكتاب المنزل
وهذه الشواهد لم يعلق عليها
المبرد ما عدا البيت الأخير فإنه
قال « فتأويل هذا أن بيت جرير في
العرب كالبيت الواهي الضعيف
فقال : « وقضى عليك به الكتاب
المنزل » يريد به قول الله تبارك
وتعالى : « وان أوهن البيوت
لبيت العنكبوت لو كان يعلمون » (١)

ولو نظرت الى قوله الحطيئة
وقول زهير وهما مادحان لوجدت
الألفاظ مفصلة على قدر المعانى ،
فلا زيادة ولا نقصان ، وهذا ما
يعرف في البلاغة بالمساواة تسمية
الا يجاز والاطناب ، وهما يرسمان
صورة مثلى للانسان الرفيع
والأسرة الكريمة ، أما عنتره فقد
وصف نفسه بالشجاعة ، واحترس
أن يكون دخوله في الحرب للمغانم،
فكان في بينه اطناب جميل ، لا يتم

الاساءة لمقارنتها للاحسان ، فان
أمثلته تضعه في جانب من ينكر
استغلاق المعنى ، واستكراه اللفظ،
وشتان بين هذا وبين استخدام
اللفظ مهما كان حسنه أو قبحه ،
فما دام اللفظ يتعاون مع سابقه
ولاحقه ، ويبين عن مكنون ما في
النفس ، فهو في قمة البلاغة ،
ولا تحديد للفظ شعري أو غير
شعري .

يقول أبو العباس مبينا نقده
للكلام موردا الأمثلة لما يحسن وما
يستجهن : ، فمن ألفاظ العرب
البنية القرية المفهمة ، الحسنة
الوصف الجميلة الوصف قول
الحطيئة : وذلك فتى ان تأته في
صنيعة الى ما له لا تأته بشفيح
وكذلك قول عنتره :

يخبرك من شهد الوقية أننى
أغشى الوغى وأعف عند المعنم
وكما قال زهير :

على مكثريهم حق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

الوصف إلا به ، وهو قوله :
« وأعف عند المغنم » وهي جملة
نسبها في البلاغة الاطناب
« بالاحتراس » .

والأبيات المختارة كلها تبين دون
المبرد ونفاذه الى الوقوف على
الشعر الجيد المنشود ، وبه تدفع
قول القائل : ان مختارات المبرد
في الشعر ليست جيدة .

والمبرد وقد سبق عبد القاهر
الجرجاني مثله في أن جمال تأليف
العبارة يجيء حسب قواعد النحو
التي تجيء أيضا ترجمة لما في نفس
الشاعر أو الكاتب أو الخطيب ،
فاذا ضعف المعنى في نفس القائل
أو لم يتضح له ونبهت عليه طرق
الأداء وقد اتخذ المبرد من الفرزوق
سبيله الى تطبيق مذهبه ، فأورد
له شعرا غاية في التعقيد ، وشعرا
غاية في الوضوح ، قال : ومن أقبح
الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد
المعاني قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا تملكا
أبو أمه حي أبوه يقاربه

مدح بهذا الشعر ابراهيم بن
هشام بن اسماعيل بن هشام (١)
بن المغيرة (المخزومي) ، وهو خال
هشام بن الملك ، فقال : وما مثله
في الناس إلا مملكا يعنى بالملك
هشاما أبو أم ذلك الملك أبو هذا
المدوح . ولو كان هذا الكلام على
وجهه لكان قبيحا ، وكان يكون اذا
وضع الكلام في موضعه أن يقول :
وما مثله في الناس حي يقاربه إلا
مملك أبو أم هذا الملك أبو هذا
المدوح ، فدل على أنه خاله بهذا
اللفظ البعيد ، وهجنه بما أوقع
فيه من التقديم والتأخير حتى كأن
هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل
واحد مع قوله حيث يقول :

تصرم منى ود بكر بن وائل
وما كاد معنى ودهم يتصرم
قوارص تأتيني ويحتقرونها
وقد يملأ القطر الاناء فيفعم
وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن
يقول :

والشيب ينهض في الشباب كأنه
ليل يصيح بجانيبه نهار

فهذا أوضح معنى وأغرب لفظاً وأقرب مأخذاً •

هذا هو الكلام الذى وازن فيه المبرد بين شعر الفرددق المعقد ، وشعره البين ، وأنت تجده أرجع ذلك الى تأليف العبارة ، وإيقاع لفظها حسب المتعارف من قواعد النحو ، فالبيت « وما مثله فى الناس .. » جاءه الفساد من التقديم والتأخير ، وفصل الصفة عن الموصوف ، وعلماء البلاغة منذ وقعوا على نقد المبرد ، اتخذوا هذا البيت مثالا للتعقيد ، الذى جاءه الوهن من مجافاة الشاعر لمنهج اللغة العربية •

أما ما عاتب به قبيلة بكر بن وائل وما تحدث به عن الشيب ، فهو فى غاية البلاغة • ألا تراه فى العقاب يذكر (تصرم) التى تدل على تدهور العلاقة شيئاً فشيئاً ، ويورد الفاعل ، ثم يوضح ما أراده بقوله وما كاد منى ودهم يتصرم فتجد يتصرم رداً على الصدر ، مما يجعلك تقول معه وتنتهى الى ما انتهى اليه ، والبيت الثانى يوضح ما جرى قوارحى تأتية يظنونها

لا تؤذى ، وهى بتكرارها تملأ نفسه غيظاً ، وهنا تكون القطيعة • وبيت الشيب واضح الدلالة والتشبيه يقع موقعه ، والجمل تتقابل • الشيب ينهض فى السواد ، يقابله ليل يصيح بجانيه نهار ، فوصف الليل جعل التشبيه فى مقام النبلاغة الأصيل ، وكلمة ينهض تدل على ظهور شئ لم يكن ، وكلمة يصيح هى من صاح العنقود يصيح اذا استتم خروجه من أكمة وطال ، وهو فى ذلك غصن ، تأليف العبارة حسب قواعد النحو ، وكل لفظ يؤدى الغرض فهو تشبيه حالة بحالة ، وهذا البيت فى الشيب لقى حظوة عند عبد القاهر الجرجانى فجعله من التشبيه المصيب •

ناهيك بتشبيه يجمع الحركة واللون ، وقد تلمح فى يصيح « الصوت » •

وأنا فى هذا المقال لا أعرض عليك كل ما استشهد به المبرد على مذهبه ومثل به ، ولكنى اختار لك بعض ما أثبتته فى كتابه

فى هذا الباب ، يقول : ومن حسن الشعر وما يقرب مأخذه قول مخيس بن أرتاة الأعرجى ، والأخرج الحارث بن كعب من تميم ، لرجل من بنى حنيفة يقال له (يحيى) ، وكان يصير الى امرأة فى قرية من قرى اليمامة يقال لها (بقعاء) :

عرضت نصيحة منى ليحيى
فقال غششتى والنصح مر
ومابى أن أكون أعيب يحيى
ويحيى طاهر الاخلاق بر
ولكن قد أتانى أن يحيى
يقال عليه فى بقعاء شر
فقلت له تجنب كل شئ
يعاب عليك ان الحر حر
لم يتعرض المبرد لشرحها
تقصيلا ، ولكن عنى ببعض
فقراتها ، والمعنى واضح ،
فالشاعر يرى أن صلة يحيى ببقعاء
جعلته مضغة فى أفواه الناس
يلوكونها ، فنصحه فرماه يحيى
بالغش ، مع أن الشاعر حريص
على تنقية سيرة يحيى من الدنس ،
لعلمه بطهارة أخلاقه ، وما عليه
لو تركها حتى يسلم من ألسنة

الناس ، ويسلموا من الاثم ؟
والشاعر مقتصد فى تعبيره ، فكل
معنى له لفظه ، ولذلك يقول
المبرد .. فهذا كلام ليس فيه
فضل عن معناه ، وانظر الى شرحه
وتعليقه تجده يقول : وقوله
« ان الحر حر » انما تأويله أن
الحر على الأخلاق التى عهدت فى
الأحرار ، ومثل ذلك « أنا أبو
النجم وشعرى شعرى » أى
شعرى كما بلغك وكما كنت
تعهد ، وكذلك قولهم : الناس
الناس أى الناس كما كنت
تعهدهم .. وقوله « تجنب كل
شئ يعاب عليك » كقول عمر بن
العاص لمعاوية حين وصف عبد الملك
اين مروان فقال : آخذ لثلاث
تارك لثلاث : آخذ بقلوب الرجال
اذا حدث ، وبحسن الاستماع اذا
حدث ، وبأيسر الأمرين عليه اذا
خولف . تارك للمراء ، تارك لمقاربة
اللئيم ، تارك لما يعتذر منه كقوله :

... تجنب كل شئ

يعاب عليك ان الحر حر
والهدف من كل ما ذكرت ومالم
أذكر ، أن أبين أن تأليف العبارة

يجب أن يكون واضح الدلالة ، مرصوفا حسب قواعد اللغة ، ولو كان المعنى عويضا يحتاج الى كد الذهن ، فان تأليف العبارة حسب القواعد يعين على الفهم ، والارتياح الى التحصيل ، ومن ثم نرفض الشعر الحديث ، الذى يجيء تهويهاً وتهاويل ، بكل الذهن عن بيان ما يعرضه الشاعر، وقد يتصور الشاعر الحديث أن الرمز هو الأداء ، ولكن الرمز اذا زاد عن حده كان أصواتا لا تحمل معنى ، وجميل من الشاعر أن يأتينا بالصور ، ولكن الصور ينبغى أن تكون مما يعكس مشاعر الشاعر ، ومما ترفضه أن يكون هناك أداء حسب التراث ، وأداء حسب اللغة المعاصرة ، فالفصحى هى الفصحى ، لها قواعدها ولها تراكييها ، واذا كان الأقدمون لهم معان وصور حسب رؤياهم ورؤيتهم ، فلنا نحن مثل ذلك فى عصرنا ، فقد اتخذ الأقدمون وسائل القتال مثل السهم والسنان والسيف مجالا فى الغزل وغيره ، فعلينا نحن المعاصرين أن نصنع صنيعهم حسب ماتطى المعاصرة • أما اللغة فهى الوعاء ، والوعاء يتضح بما فيه •• وأول المبادئ فى التعبير الوضوح •

ألا ترى قول الله تعالى :
« الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » (١) فالبيان هو مطلب الانسان ، فاذا ضاع البيان ضاع التأثير وفقد الارتياح، وصرنا الى التعقيد وهو شر ما يصاب به الأدب فى ذلك الزمان ، ولنا عودة •

السيد حسن قرون

انشقاق القمر والعجاز العلمى للقرون

وكتبه منصف محمد صبح النبى

- ٢ -

ونظرا لأن موضوع انشقاق القمر فى الماضى قد تعرض لكثير من الجدل ، وأن منطق الرسالة يعتمد على العقل والتفكير ، فاننى أرى أن أقدم التفسير العلمى لانشقاق القمر فى المستقبل .

فى المستقبل ، كعلامة من علامات الساعة ، لأننى وجدت فى العلم الحديث ما يؤيد ذلك ، بالاضافة الى ما ذكرته سابقا .

فاذا كانت الحقيقة العلمية تتفق على هذا النحو المدهش مع نص الآية القرآنية ، فما الذى يمنع عقلا وشرعا من تفسير الآية طبقا لتلك الحسابات العلمية القاطعة ، لاسيما وأن العصر الذى نعيش فيه الآن لا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب ، فضلا عن الاقتناع ، ولاسيما أيضا أن هذه اللغة العلمية هى اللغة التى لا لغة غيرها لمخاطبة غير المسلمين ، اذا أردنا أن نصدع بما أمرنا من نشر الدعوة الاسلامية وتبليغها الى البشر أجمعين .

عند اختلال نظام الأرض والقمر الذى قد يكون مقدمة لاختلال الكون كله كبداية للنهاية ، باعتبار أن الكون أشبه بالعقد الذى اذا انفرطت احدى حباته تذاثرت الحبات الباقية ، وليس هناك من الناحية العلمية ما يمنع من اختلال نظام الكون على هذا النحو كمقدمة لزواله نهائيا عند قيام الساعة .

وأجدنى أكثر ميلا الى الأخذ بالرأى الذى يقول : ان الآية الكريمة تنبئ بأن القمر سينشق

ومن جهة نظر علوم الطبيعة والفلك : فان التوقعات العلمية الحديثة تؤيد أيضا انشقاق القمر في المستقبل ، نظرا للتغير التدريجي لنظام الأرض والقمر •

وفيما يلي أقدم شرحا مبسطا للحقائق العلمية التي أدت الى هذه التوقعات المثيرة :

١ - دوران الأرض حول نفسها : نحن نعلم أن الأرض كروية الشكل تقريبا ، وهي تدور حول نفسها ، أي : تدور حول محورها الوهمي مرة واحدة في اليوم الواحد ، فيتعاقب عليها النور نهارا ، والظلام ليلا ، وتكمل الأرض دورتها حول نفسها في زمن يقدر حاليا بأربع وعشرين ساعة ، أو على وجه الدقة ٢٣ ساعة ، ٥٦ دقيقة ، ٤ ثوان •

ودوران الأرض يمثل الساعة الكونية العظمى بالنسبة للإنسان ، فهي الساعة التي تبلغ في انتظامها حدا يندهش له الإنسان ، فهي كما سنعرف فيما بعد : سوف تعطينا يوما أطول بمقدار ٠.٠٢ و • من الثانية بعد مائة سنة من الآن ،

فهي لنرى سويا ذلك الاتفاق المذهل بين العلم والقرآن ، لالند على المنكرين والكافرين بالقرآن فحسب ، بل ان بعض المسلمين للراسخى العقيدة يريدون - لكى تطمئن قلوبهم - أن يجدوا جوابا علميا لكثير من التساؤلات - حتى لا يعترهم شعور بالنقص في حجة عقيدتهم ، ولنستفيد من الحضارة الحديثة ، لنقدم الرد الصحيح على التحدى الذى يمسنا فى صميم مصيرنا ، ولنعلن أن الاسلام يتحدى العلم فى كل زمان وأن الفكر الاسلامى يقف وجها لوجه مع الفكر المعاصر والاحاد •

ثانيا : انشقاق القمر فى المستقبل :
أجمع معظم المفسرين حديثا على أن الآية الكريمة •

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

تفيد بأن القمر سوف ينشق عند اقتراب الساعة فى المستقبل ، وذلك لأن التعبير بالفعل الماضى عن حدث ما يستخدم عادة فى الأصل البلاغى فى مقام التعبير عن المستقبل ، تأكيدا لتحقيق وقوعه •

هذه الأجزاء من الألف من الثانية
التي يزداد بها طول اليوم
الأرضي • وقد يقترب استتصافه
لها بالاستخفاف بها ولكن حذار
من إهمال المقادير الضئيلة في حساب
الأفلاك • ان عمر الانسان يقاس
بالأيام والأشهر والسنين ، ولكن
عمر الأفلاك وأحداثها تؤرخ
بملايين وبلايين السنين • وبهذا
فان ملايين أو بلايين السنين تجمع
القليل التافه من هذه الأجزاء من
الألف من الثانية ، لدرجة أن طول
اليوم كان في الماضي عند نشأة
الأرض ٤ ساعات فقط ، وذلك
عندما كانت الأرض كرة من الصخر
المنصهر كالعجين قبل أن تتجمد
قشرتها • وعندما استقر الماء على
سطحها ، وتكونت البحار
والمحيطات ، بدأ المد والجزر بفعل
جذب القمر لهذا الماء ، فأدى الى
تعويق دوران الأرض حول نفسها
تدريجيا ، الى أن أصبح منذ ٣٥٠
مليون سنة مثلاً ٢٢ ساعة ، وأصبح
الآن ٢٤ ساعة ، وسوف يصبح
في المستقبل ٤٣ ساعة مثلاً بعد
حوالي خمسة بلايين سنة من الآن

وبهذا فان نسبة الخطأ لا تتعدى
واحد في البليون ! •
واذا ما قارنا تلك الدقة المتناهية
في انتظام مدة دوران الأرض بجرم
الأرض الذي هو حوالي خمسة
آلاف مليون طن على تناهي
كبره ، فان العقل البشري ليقف
مدهشاً غارقاً في التأمل ، لدقة هذه
الساعة الكونية العظمى ! •

ان ساعة من معدن أو غير معدن
جرمها جرامات تدور فتخطيء في
دورانها في اليوم بضغ ثوان ،
ونقول عنها : ما أضبط وما أجمل
هذه الساعة !! فما بالك بالكرة
الأرضية التي تعمل كساعة كونية ،
جرمها ملايين ملايين الملايين من
الأطنان !! تدور ولا تخطيء في
اليوم ثوانى ولا أعشار الثوان ،
ولكن أجزاء من آلاف من الثانية
وتخطئها الأسباب معلومة
محسوبة •

حقاً ان هذا الخطأ البسيط في
دوران الكرة الأرضية دليل على
الكمال • وسبحان الخالق مبدع
السموات والأرض •
وقد يندهش القارئ لصغر

وبهذا يدرك الانسان ما في ساعة الكون العظمى : (الأرض) من تأخير ، رغم أنها أدق من الساعة التي تطلق عليها الشركات الآن ساعات الكوارتز ، التي تدرك الجزء من الألف من الثانية !
والآن وقد اكتشف العلم ما في

دورة الأرض حول نفسها من ابطاء ، وإلى جانب هذا الابطاء الدائم القائم المنتظم في دوران الأرض حول نفسها لأسباب أكثرها وأخطرها جذب القمر لمياه البحار والمحيطات : (المد والجزر) توجد تغيرات في سرعة هذا الدوان اسرعا أو ابطاء ، تصيبه في غير انتظام وقد تصيبه بغتة !

فكل حدث يحدث في الأرض : في سطحها ، أو فيما دون سطحها ، يكون من أثره انتقال مادة من مكان إلى مكان ، يؤثر في سرعة دورانها •

فليس المد والجزر هو العامل الوحيد في ذلك حتى ما تنقله الأنهار من مائها من ناحية في الأرض إلى ناحية يؤثر في سرعة الدوران وهبوط في قاع البحر أو بروز في

سطح الأرض هنا أو هناك يؤثر في سرعة الدوران •
ومما يؤثر في سرعة الدوران أن تتمدد الأرض أو تنكمش ، بسبب ما ، ولو انكماشاً أو تمدداً طفيفاً لايزيد في قطرها أو ينقص منه الا بضعة أقدام •

ولقد ثبت علمياً أن أهم العوامل في ابطاء الأرض في دورانها حول نفسها هو جذب القمر لمياه البحار والمحيطات ، محدثاً ما نسميه : « المد والجزر » •

٢ - ظاهرة المد والجزر وابطاء الأرض :

عرفنا أن يوم الأرض يطول مع الزمن ، نظراً للتباطؤ الحادث في سرعة دوران الأرض حول نفسها ، ولقد ثبت أن القمر يلعب دوراً هاماً في هذه الظاهرة ، فالقمر تابع للأرض ، ويدور حولها وحول نفسه ، وهو أقرب الأجرام السماوية للأرض ، وكلنا يعرف ظاهرة الجاذبية بين كل الأجرام في الكون ، وبهذا فان القمر يؤثر بالجاذبية على الكرة الأرضية وعلى حركتها في الفضاء ، فيسبب

ظاهرة معروفة : « بالمد والجزر » حيث يعمل القمر دائما على جذب مياه البحار والمحيطات التي تغطي ثلاثة أرباع سطح الأرض ، أثناء مواجهة هذا الماء للقمر ، فترتفع هذه المياه عن سطح الأرض عاليا ، نظرا لليونتها ومرونتها ، فينتج ما يسمى بظاهرة : « المد » لهذه المياه • وتدور الأرض بهذا الماء ، ليستقبل القمر ماء غيره على سطح الأرض ، فيصبيه « المد » بجذب القمر ، بينما يهبط الماء الأول بعد أن دارت به الأرض وبعد عن تأثير القمر فيصبيه « الجزر » من بعد المد • وهكذا تدور الأرض حول نفسها ، فيتناوب سطوحها المائية جذب القمر لها شدا وتعلقا ، ويبعد بعض سطوحها اذ يدور عن القمر ، والقمر متعلق بمائه ، فيعوق هذا التعلق الأرض في دورانها ، ذاك لأن الماء المتعلق يرتطم بما يأتى من سواحل المحيطات الصلبة وقيعانها ، فيعوق من دورانها ، أى من دوران الأرض ، وهو تعويق يؤدي الى ابطاء سرعة دوران الأرض حول نفسها ، ورغم أنه تعويق فى غاية التفاهة الا أنه تعويق على كل حال

يؤدى الى أن يوم الأرض سيطول فى المستقبل • ويمكن تشبيه هذه الظاهرة وكأن الكرة الأرضية رجل يدور حول نفسه ، وتمسك أنت بأطراف ثوبه ، وكلما أفلتت من يدك طرف أمسكت فورا بطرف آخر من الثوب ، وبهذا يتعطل الرجل فى دورانه حول نفسه •

ولهذا فان المد والجزر يبطئ أى يفرمل من دوران الأرض حول نفسها • ويتكرر المد والجزر مرة كل يوم ، فى جميع البحار والمحيطات فى سائر أنحاء الكرة الأرضية ، وبهذا يتكرر التعطيل ، ويزداد طول اليوم الأرضى الحالى تدريجيا بمقدار ٠.٠٢ • ثانية كل قرن !! فى المستقبل ، بينما كان هذا اليوم أقصر فى الماضى بنفس المعدل •

فلقد ثبت أن اليوم كان ٢٢ ساعة فقط ، منذ حوالى ٣٥٠ مليون عام مضى ، وذلك فى العصر المعروف بعصر الأسماك ، حيث ثبت أن بعض الشعب المرجانية الحالية تظهر عليها أحزمة سنوية

تتركب من ٣٦٥ حلقة أصغر : (بعدد أيام السنة الحالية) تمثل مؤشرا للنمو السنوى الحالى لهذا النوع من الشعب المرجانية • بينما المرجان المتحجر لنفس النوع من هذه الشعب ، التى كانت موجودة منذ نحو ٣٥٠ مليون عام ، فقد أظهر ٤٠٠ حلقة صغيرة لكل حزمة سنوية (بعدد أيام السنة فى هذا العصر !) •

من المعروف أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس ، بينما القمر تابع للأرض يدور حول نفسه وحول الأرض ، ولهذا فإن الأرض والقمر يمثلان معا نظاما شبه معزول ، وهناك تأثير متبادل بينهما ، وكمية تحركهما الزاوى أى : الدورانى مقدار ثابت ، فلو أبطأت الأرض فى دورانها أسرع القمر فى دورانه والعكس صحيح ، لأن مجموع كمية التحرك الدورانى فى أى نظام معزول مقدار ثابت طبقا للقوانين الأساسية فى الطبيعة • والمقصود بكمية التحرك الزاوى (١) لأى جسم هى كمية

وحيث انه لا يوجد دليل أو سبب لتوقع أى تغيير حقيقى لطول العام ، فان كثرة عدد الحلقات يعتبر دليلا على أن اليوم فى هذه الحقبة الماضية من الزمن كان أقصر ، ويمكن بذلك حساب طول اليوم فى هذا الوقت الماضى بمقدار ٢٢ ساعة •

وهكذا لقد أدى ابطاء الأرض الى زيادة طول اليوم تدريجيا ، كما أظهرته دراسات الشعب المرجانية ، وساعات الكوارتز ، والساعات الذرية •

ويمكن القول بأن اليوم

(١) — كمية التحرك الزاوى لجسم ما هى ناتج حاصل ضرب كتلة الجسم الدائر × بعده عن محور الدوران × سرعة الدوران •

التحرك المناظرة لدوران الجسم حول محوره أو لدورانه في مداره أو لكليهما •

وحيث ان الأرض سوف تبطئ في سرعة دورانها حول نفسها في المستقبل ، فان القمر سوف يسرع حتما في دورانه حول نفسه ، أو في دورانه حول الأرض ، ليعوض ما ينقص في الأرض من كمية تحركه • وهذا التسارع في دوران القمر في المستقبل سوف يؤدي الى انشقاق القمر ، ويمكن ادراك ذلك بطريقتين :

(أ) زيادة سرعة دوران القمر حول نفسه في المستقبل ، سوف تؤدي الى تغلب القوة الطاردة المركزية (١) على أجزاء القمر المتماسكة ، فينشق القمر ويتفتت كما يتفتت الشيء عندما يدور بسرعة في الخلاط الكهربى •

(ب) زيادة سرعة دوران القمر

حول الأرض سوف تؤدي الى ابتعاد القمر عن الأرض ، ثم اقترابه منها تدريجيا ، وخاصة بعدما يصل يوم الأرض الى حوالى ٤٣ ساعة ، وذلك في غضون ٥ الى ١٠ بليون سنة من الآن ، (٢) حيث سيقترب القمر من الأرض اقترابا يجعل الفرق في تأثير جذب الأرض على الجزئين : القريب والبعيد من القمر كافيا لشق القمر شيئا فشيئا ! وعندما يحدث هذا فان بقايا القمر تصبح على شكل حلقة من الجسيمات حول الأرض ، شبيهة بدرجة كبيرة بحلقات زحل ! والآن وقد عرفنا بالمنطق العلمى المتفق مع الحضارة الحديثة أن القمر سينشق بالتأكيد في المستقبل فقد تسأل كيف يمكن للعلماء تحديد موعد ولو تقريبي لانشقاق القمر علما بأن انشقاق القمر مرتبط كما ورد في القرآن الكريم باقتراب

(١) — وهى القوة التى يكتسبها أى جسم ماذى دائر ، ويكون اتجاهها خارج مركز الدوران ، مثل القوة التى تقذف بقطرات الماء خارج الملابس التى تدور فى مجفف الغسالة •

(٢) — آفاق جديدة فى علم الفلك — تأليف : جون براندت وستيفن ماران (مترجم) مكتبة الوعى العربى صفحة ٤٢٠ •

الساعة كما تشير الآية الكريمة : ؟
« اقتربت الساعة وانشق القمر »

كما أن علم الساعة وتحديد يوم
 القيامة أمر من الغيبيات التي
 يحتفظ بها الله سبحانه وتعالى
 لنفسه بدليل قوله تعالى :

**« ان الله عنده علم الساعة
 وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام
 وما تدري نفس ماذا تكسب غدا
 وما تدري نفس بأي أرض
 تموت » لقمان ٣٣**

وللرد على هذا السؤال غاننا
 نلاحظ من سياق هذه الآية الكريمة
 أنها تقرر أن الله عنده : علم
 الساعة ، وينزل المطر ، ويعلم ما في
 الأرحام . وقد يتعرض **الإنسان**
 بواسطة العلم لهذه الأمور الثلاثة ،
 وقد يتمكن في حدود ضيقة (إذا
 ما سمح الله له بشيء من العلم
 الإلهي وهذا جائز) أن يعرف
 علامات الساعة وكيفية نزول
 المطر واستعجاله ، ونوع الجنين
 دون تأكيد مطلق في هذه الأمور
 الثلاثة . ولكن موضوع رزق
 الإنسان وميعاد ومكان وفاته ، فإن
 الآية تنص نصا صريحا على

**« هل ينظرون الا الساعة أن
 تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون »**
 وقوله تعالى : (الزخرف : ٦٦)
« يسألونك عن الساعة أيان

استحالة التعرف عليهما داخل أى
 إطار بدليل قوله تعالى :

**« وما تدري نفس ماذا تكسب
 غدا وما تدري نفس بأي أرض
 تموت »** .

وبهذا فإن من الجائز أن يسمح
 لنا الله بمعرفة موعد انشقاق
 القمر دون تأكيد مطلق بهذا الموعد،
 وحتى لو عرفنا موعد انشقاق القمر
 فإن هذا سيكون دليلا على اقتراب
 الساعة ، وليس قيامها !

كما أن العلم لا يستبعد تدخل
 عوامل أخرى غير المد والجزر تؤثر
 على سرعة دوران الأرض حول
 نفسها ، مما يقدم أو يؤخر من
 موعد انشقاق القمر ، وهذا يتفق
 مع الآية الكريمة التالية التي تشير
 الى قيام الساعة فجأة ، وبالتالي
 فإن علامات الساعة سوف تحدث
 دون تأكيد مطلق بموعد حدوثها :

مرساها • فيم أنت من فكرها •
الى ربك منتهاها • انما أنت منذر
من يخشاها •

(النازعات ٤٢ - ٤٥)

هذا هو العلم الحديث يكشف
عن امكانية انشقاق القمر في
المستقبل ، دون تحديد مطلق لموعد
الانشقاق • وهذا هو القرآن
الكريم يشير الى انشقاق القمر ،
وما كان رسول الله سيدنا محمد
يستطيع معرفة هذه الظاهرة ، وهو
مجرد من كل الوسائل العلمية التي

تكشف النقاب عنها ، ولهذا فان
القرآن الكريم كتاب الله ، وأن
سيدنا محمدا رسول الله • وسوف
يظل الاعجاز العلمي للقرآن الكريم
حتى قيام الساعة ، بعد أن ينشق
القمر ، وتتكور الشمس ، وتتحول
الى عملاق أحمر كما سنعرف في
المقالة التالية باذن الله تعالى •
والسلام عليكم ورحمته الله
وبركاته •

دكتور

منصور محمد حسب النبي

رجاء الى كتاب مجلة الأزهر

تسهيلا لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب المجلة
أن يتكرموا بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة (التبرايتير)
ثم مراجعتها - أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم
آيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، والله الموفق •

أسرة المجلة

مع اللغة في تطورها

للدكتور توفيق شاهين

وكان التعاون بين علماء اللغات والاجتماع مفيدا لكليهما :
اذ استفاد الاولون من دراسة الألفاظ ودلالاتها على نحو دقيق في واقع الاطار الحضارى والاجتماعى
•• وتفسير التغير اللغوى تفسيراً كاملاً فى ضوء الظروف السابقة •
واستفاد الآخرون : أن اللغة من أهم مظاهر السلوك الاجتماعى ،
وسبب لانتماء الفرد لمجتمعه •
• كما عظمت العناية ببحوث (علم النفس اللغوى

(LINGUISTIC PSYCHOLOGY

لبيان العلاقة بين اللغة ، والحالة النفسية ، والتفكير والايحاء •

• وكذلك بحوث علم الدلالة (السيمينتيك SEMANTIQUE

اللغة ككائن حى ، تتحرك وتموج وتضطرب ، وتحيا وتستخدم وتتغير وتموت ، كشأن الأحياء •

ولا يمكن أن تثبت اللغة ثبوت الدين فى دائرة الخلود ، بل لابد من تغيرها وتطورها ومعرفة حياة اللغة وتقلباتها ، وتأثرها وأثرها ، وتماسكها أو تالشيها •• كانت من البحوث القيمة ، التى أولاها علماء اللغة عناية كبيرة ، فى مجالات :

• علم الاجتماع اللغوى

(SOCIOLOGY OF LANGUAGE)

لبيان العلاقات التى تربط بين اللغة ومجتمعها ، وأثره فى مختلف المظاهر اللغوية ، من حيث تركيبه وحضارته وبيئته •

كانت المعانى يتم بها تنظيم علاقات التفاهم ، والتعبير عن الحاجات والمشاعر والأحاسيس ، احتاجت في دراستها الى علوم الاجتماع ، والنفس ، والتاريخ ، والبيئة الجغرافية .

اللغة في مسارها التاريخي أو

الموروث :

التطور والتغير ناقوس في كل مجتمع والمجتمع بأسره وما يدور فيه عامل في خلق هذا التطور . والمدلول الاجتماعي يسبق دائما المدلول اللغوي ، الذي يخلفه ليغضيه برمز لغوي . واللغة أهم ظاهرة لغوية في المجتمع ، التي يتوارثها الأجيال تباعا . وكل تطور نفسي أو عقلي أو اجتماعي ، بيئي ، أو حضاري .. تبدو مظاهره في اللغة ، فتلاحقه ، وتتشكل معه تطورا وتغيرا وأثرا وتأثيرا . وبازدياد ملامح التغير والتطور تتسع مسافة الخلف ، حتى تتشعب اللغة الى لهجات ، وتصبح لغات — كما أسلفنا — وهكذا دواليك . وقد شبه بعضهم اللغة

وخاصة علمي : البنية : الاشتقاق والتصريف (المورفولوجيا) • والتنظيم ، في أقسام الكلام وأنواعها ، ووظائفها في التركيب ، في المسارين : التاريخي والمقارن • وكذلك علم الأساليب :

(الستيليستيك STYLISTIQUE) الذى ينوع فنون القول باختلاف العصور عند الشعوب ، في اطارى المظارنة والتاريخ أيضا • أما الجانب التعليمي في كل ما سلف فقد استقل بنفسه ، وأصبح علما مستقلا ، وكثير من علماء اللغة ، لا يعدونه من أبحاث علم اللغة اليوم •

وقد احتاجت اللغة في دراسة جوانبها الى تكاتف وتعاون هؤلاء العلماء ، حتى يتم توضيحها والكشف عنها في قطبيها من ناحية الأصوات وأجهزة النطق ، التى تحتاج لعلوم : الطبيعة ، والفيزيولوجيا ، والتشريح ، والأنثروبولوجيا •

ومن ناحية المخبر وهى المعانى التى تؤدى اليها الأصوات ، ولما

كل لغة ، فان العربية وهى وعاء مقدساتنا لن تموت — بأذن الله — وان نالها التطور والتغيير •

واللغة تتبع من أصل ، وتجري في روافد الى مصب ، وتتشعب بها المجارى والروافد ، وكلما بعدت عن نقطة الانطلاق ازداد التباين والتباين •

وهذا التطور قوى التيار ، يجرف أمامه ما يعترضه ، ويصبغه بصبغته ، مهما نشط اللغويون يكل امكاناتهم في ايقاف زحفه ، فقد يطيل الأجل قليلا ، أو يوقف الزحف يسيرا •• ثم تسمى اللغة منقوقة ، أو غريبة الوجه واللسان ، أو هامة الحركة •

ويؤيد ذلك : أن العربية وأخواتها الساميات : العبرية ، والبابلية ، والآشورية ، والفينيقية والسريانية ، والحبشية ، على ما بينها من اختلاف •• كلها انشعبت وتحدرت من مجرى واحد •

وأن اللغات : الأرمنية ،

بشجرة (١) تتدلى فروعها الى أسفل ، فتلامس التربة — وترسل في الأرض جذورا تصبح أشجارا فنتية فيما بعد • وقد تموت الشجرة الأم ، ولكن من فروعها تنشأ أشجار جديدة •

واذا قلنا : ان اللغة تموت ، فانما نقصد بالموت التغيير الكلى الذى يطرأ على المجتمع ، والتبدل الجذرى في الحياة ، وفي الظروف المحيطة بالحياة الى حد نستطيع فيه القول أن لغة اليوم مغايرة للغة الأمس •

قد نستطيع أن نطيل حياة لغة بإقامة سياج حولها من أحكام شديدة وقوانين ثابتة • وقد نقيم حولها هالة من التقديس ، وقد نضفى على أدبها مسحة من القدسية •• وجميع هذه تطيل في حياتها ، ولكن لا مفر من المحتوم : (الموت) ، وكل حى يموت ، واللغة حية فهى خاضعة لهذا الناموس •• •

ونقول : اذا جاز ذلك الموت على

ومن بعيد ، وعبر الأثير واللاسلكى ويرجع هذا الاختلاف الى التكوين الفسيولوجى لكل واحد على حدة ، وبسبب تعودده والفه • كما يتلون حديثه بما ينم عن شخصيته ومهنته وطبقته فى الحياة • والفروق الفردية فى النطق لا تخفى الأصوات اللغوية للمجموعة ، والتي تحمىها الصفات الأساسية التى يشترك الجميع فى معرفتها والسير عليها • وتحديد هذه الصفات الأساسية لاصوات لغة ما كان هو السبب الداعى لنشوء نظرية (الفونيم) فى الدراسات اللغوية ، وعنهما تفرعت (الفونولوجيا) •

وهذه الفروق الفردية بين الأفراد فى نطق الأصوات حتمية ، لا يمكن ايقافها ، لأنها جبرية ، وكل انسان وطبيعة تكوينه •

كما أنها قديمة : فقد وصف سيبويه — فى القرن الثانى الهجرى — الضاد التى سمعها بأنها : الضاد الضعيفة ، أى ليست هى الضاد التى ينطقها الأعرابى الأصيل (١)

والايرانية ، والروسية ، والألمانية ، والايرلندية ، واليونانية والسويدية والدانمركية ، واللاتينية ، والانجليزية ... على ما بينها من تباين كبير فى الاصوات والنظام والاساليب ... تمثل مجارى منتشعة من مجرى واحد ، من الجرمانية الأم •

ولم يبق لللاتينية الا رسمها ، حين استقلت عنها : الفرنسية ، والايطالية ، والرومانية ، والبرتغالية ، والأسبانية •

وكالعربية الفصحى التى ظلت لغة كتابة وحديث وتأليف وأدب ، بينما تجد — اليوم — لهجاتها فى البعد عنها فى عامية الأقطار العربية وتغذ السير فى هذا البعد الذى استشرى وخيفت عقباه ونتائجه • ومعلوم أن لكل لغة صفات أساسية مشتركة بين عدد من أصواتها ، يعرفه أبناء تلك اللغة الا أن لكل انسان صفاته المميزة فى النطق ، وطريقة تعبيره وأدائه حتى (IDIOLECT,)

ليمكن أن نميز صوته عن غيره ،

(١) الكتاب لسيبويه ٢/٤٠٦

مشتركة ، ليصح القياس عند
الأصوليين • عكس المفرد عند
النحويين •

والجامعة اليوم : تيار سياسي ،
وأكاديمي ، وشعبي في الجامعة
الشعبية •

وأهل السنة والجامعة ، وجماعة
المسلمين ، للصف الاسلامي الموحد
والجمعية العمومية ، والتعاونية
•• والاجتماع للقاء ، واجتماع
المنجمين ، والاجتماع عند علماء
الاجتماع ، واجتماع الفقهاء ،
وعلماء الكلام ، والنحاة •

ويقول المقرئ : انجمت على
القلوب ، والقواميس لم تعرف
(انجمع) • وجاء عن الادريسي
(مجتمع) ، وعندنا اليوم المجتمع
السنوي ، والمجمع اللغوي ،
ومجمع البحوث ، ونكتي عن
الزوجة بالجماعة ••

وقد كان تتابع الاضافات معييا
في التراكيب ، كقول الشاعر :

وقد قلبت هذه الضاد الى ما يقرب
من الدال في بعض اللهجات ، والى
ظاء في لهجات أخرى كما يشاهد في
العراق •

• والتغيير يشمل المفردات في
معانيها ، كما يشمل التراكيب ، وكما
شمل الحروف : فاذا تتبعنا لفظ
(جمع) وبعض مشتقاته في العربية
— مثلا — لوجدناها تطورت
حضاريا كما يلي : القواميس
القديمة عرفت (جمع) بمعنى
الضم والجمع والاجتماع للناس
والأشياء ، والأمر الجامع • وعرفت
الصلاة جامعة ، وصلاة الجماعة ،
وما عرفت الجمعية ، حتى القرن
الثاني الهجري •

ولكننا لو راجعنا معجم (دوزي)
في عصر الحضارة ، وراجعنا —
أيضا : (كشف اصطلاحات الفنون
للتهانوي) (١) لوجدنا تشعب
الاصطلاحات وكثرة الاستعمالات :

فالجمع : حسابي عند الرياضيين
وضم الأصل والفرع لعدة

(١) علم اللغة العربية — د — محمود حجازي ٢٩٩ وما بعدها •

(٢) كشف التهانوي ١ / ٣٣ •

اللاتينية مفردات عديدة في :
التشريع ، والقضاء ، ونظم
السياسة والاجتماع (١) وأخذت
الأوربيات عن العربية كثيرا من
ألفاظ منتجات الزراعة ، مثل :
الليمون ، والزعفران ، والسكر ،
والكافور ، والقهوة ، والقطن ،
والنسيج الموصلي ، والدمشقي .
وهي على الترتيب :

LEMON, SAFFRAN, SUGAR,
CAMPHOR, COFFEE, COTTON,
MUSLIN, DAMASK.

وأخذت الأسبانية عن العربية
حوالي أربعمئة لفظة ، في شئون
الملاحة والبحرية ، وكذلك صنع
اليونان كالأسبان .

وكلمة (شاي) وفدت من
ماليزيا ، وعمت أرجاء المعمورة
وأخذت العربية من اليونانية :
الفاظ الطب ، والفلسفة والمنطق ،
وعلوم الطبيعة ، وكذلك الفردوس ،
والقسطنطين ، والبطاقة ، والسجنجل
(للمرأة) .

وأخذت العربية عن الفارسية

(حمامة جرعى حومة الجنـدل
اسجعى) . فأصبح مألوفا في
تراكيب جديدة مثل : احتمال قرب
سقوط مطر الشتاء .

الاحتكاك اللغوى في مجال التغيير :

الانسان مدنى بطبعه ،
والاتصال ضرورى بين الأمم ، وقد
كثر نتيجة لتذليل سبل الاتصال
والاحتكاك اللغوى عندئذ لابد منه
والتأثر والتأثير اللغوى نتيجة هذا
الاحتكاك ، ومصير التأثير التطور
والتغيير لا شك في ذلك .

وسنة اللغات في الاحتكاك الأخذ
والعطاء ، والأعلى كعبا من اللغات
هى التى تقرض أكثر مما تقترض .
والبلد المتفوق فى ناحية من
نواحي الحياة أو الثقافة يعطى هذا
الجانب ومع ألفاظه الى الذى
افتقد هذا الشيء :

فقد أخذت اللاتينية عن
الاغريقية ، مع حضارتها الشيء
الكثير من الألفاظ ، وخاصة الطبية
والفلسفية وأخذت الجرمانية عن

(١) علم اللغة . د . وافي ٢٣٢ .

السحر والكمال والجمال ، فهي أكثر من (فونيمات) وحياتها أو موتها أو تبدلها رهن بالعنصر الانساني اذا عاش عاشت معه ، وان مات توارت معه ، سواء اكان موته حقيقيا أو معنويا •

واللغة أصدق سجل لتاريخ الأمة ، وميزان منزلتها من الحضارة ، وتعكس ما في البيئة من مختلف الشئون الحياتية ، وتتأثر بكل ما يدور ويحدث في البيئة من موروث أو طريف ، والانسان ابن بيئته : فان بدت وبادت معه لغته ، وان تحضرت حضر وتحضرت معه لغته : تنتسج بانفتاح آفاقه وتتغلق بانعزاله :

فمن (الساميات) : كانت (الآرامية) في الشمال : قليلة الألفاظ ، مضطربة القواعد ، ثقيلة التراكيب ، صعبة النطق ، متنافرة الكلمات والحروف •

و (العربية) في الجنوب : وفيرة المفردات ، رقيقة الحاشية

أسماء التوابل • والأدوات المنزلية • مثل الفلفل ، والقرفة ، والزنجبيل ، والدراسيني ، والكوز والابريق ، والطست • والخوان • ومن العطور : البنفسج ، والمسك ، والياسمين ، والكافور ، والعنبر • ومن النسيج : الديباج ، والسندس • والاستبرق (١) •

وأثبتت العربية بما أخذته وعربته من اللغات الأخرى أنها ذات قدرة بارعة على هضم الألفاظ الأجنبية ، وصقلها على أوزانها فيها وجعلها مثل الألفاظ الأصلية فيها ، حتى صرفتها واشتقت منها ، فقالت فلسفة ، وتفلسف ، ومتفلسف • ونورز من النيروز •

اللغة والحضارة :

تعيش اللغة في تفاعل دائم مع طبيعة العلاقات الاجتماعية ، والحضارية ، والسياسية ، وكل ما في المجتمع عبر الأجيال ، لأن اللغة من الحياة الانسانية ولها ، والعنصر الانساني هو الذي ينفى على اللغة مسحة من تأثير وفيرة المفردات ، رقيقة الحاشية

(١) فقه اللغة للثعالبي الباب ٢٩ ، والمزهر للسيوطي ، النوع ١٩ .

دائما — باحتياجاته واهتماماته
 بشكل مرض للغاية ، وهى —
 بالتالى — تساعد الفرد والمجتمع
 على التفكير الى العالم بطريقة
 ما ، ولكنها لا تمنعه من التفكير
 والتصرف بطريقة أو طرق أخرى .
 فاذا انتقل المجتمع من حال الى
 حال : من الزراعة الى الصناعة ،
 أو من البداوة الى الحضارة
 لا تتقف اللغة حائلا دون ذلك
 التحول ، لان فى كل لغة امكانيات
 للتطور والتغيير ، بحيث تسير
 المجتمع الجديد فى كل ما يجد فيه
 من شئون ، تسرع أو تبطىء فى
 ذلك على حد ما فى طياتها من
 امكانيات اليسر أو العسر فى
 الحركة ، ولكنها سائرة نحو الوفاء
 بالتعبير عما جد فى المجتمع الذى
 تعايشه من مداليل وأمور .
 وتصطبغ اللغة بما فى البيئة ،
 وترى أنماط السلوك السائدة ،
 والاتجاهات الاجتماعية ، والطبقية
 وتوحى بدرجة الثقافة :

انسانية التعبير ، منطقية القواعد،
 رحبة الأفق ، ووسعت كتاب الله
 لفظا وغاية .

وجاءت (العبرية) فى منزلة
 بين المنزلتين : ففاقت الاولى ، ولم
 تبلغ شأوا الثانية « (١) » .
 واللغة أداة بلاغ ، وحمالة
 حضارة ، لكنها كما ثبت من الواقع
 — لاتحدد نوع الحضارة لمجتمع
 معين : فقد ثبت : « أن المجتمعات
 التى تتكلم لغات مختلفة يمكن أن
 تشارك فى نفس الحضارة :
 كالحضارة العربية الاسلامية » ،
 التى حاكمتها أمم تنتمى الى لغات
 شتى .

وعكس هذا صحيح أيضا :
 « فمن الممكن أن تستعمل مجتمعات
 تنتمى الى حضارات مختلفة لغة
 واحدة ، كما هو حاصل فى الوقت
 الحاضر — مثلا — للغة
 الانجليزية » (٢) .

فاللغة انعكاس لاهتمامات
 المجتمع الذى يتكلمها ، وتفى —

(١) علم اللغة ٠ د . وفى ٢٣٥ .

(٢) أضواء على الدراسات اللغوية ٢٢٠ .

الحضارة ، وتموج بها الدنيا من حوله ، وهو لا يدري •• لكن ما ان يتعامل مع الدنيا الجديدة وينفعل الا وتجد النقلة واسعة ، والجذوة متقدة ، اذا كانت القريحة وقادة :

تحدث أسانيد الأدب : أن شاعرا وفد من البادية ، مشبعا بمشاهددها ، ويحمل بضاعتها ، مدح على بن الجهم ، فقال له : أنت كالكلب في وفائك بالعهد

وكالتيس في قراع الخطوب أنت كالدلو لاعد منك دلو

من كثير العطا قليل الذنوب فهم احد جلساء الأمير بتأديبه ، ولكن الأمير أدرك بفطنته ، فالشاعر استوحى محصله ومخزونه اللفظي والمرئي ، فلم تسعفه الذاكرة بأكثر مما عاشه واقعا في بيئته ، وأبقاه الأمير زمنا يسيرا ينعم في بجموحة العيش ، ويتعامل مع الطبيعة في أجلى مغانيها ومفاتيحها ، ويشاهد

الجوارى كالحوريات في غدواتهن وروحاتهن وتحديث كتب الأدب أن ذات الشاعر رأى في روضة

فحين يصبح فرس امرئ القيس خير وسيلة للسفر ، يصفه امرؤ القيس بتفصيل دقيق • وحين تسمى ناقة طرفة خير ركوبة وعليها زاده وأمله وحياته •• يمطرها بأكثر من أربعه آلاف لقطه ، لاتدع شاردة ولا واردة من شئون ناقة الا أحصاها •

وحين تمحل الأرض أو تخلف السماء ، لاتجد أثرا للمراحلين سوى الدمن والاطلال ، وبعبر الآرام في المعرصات •

وحين يحيا القوم في عيشة راضية ، يمدح الشاعر المرأة ، بأنها نثوم الضحى ، ويضحى فتيات المسك فوق فراشها ، ومشيتها من بيتها الى بيت جارتها مشى السحابة لاريث ولا عجل •

ويكون القوم المدحون : رفاق النعال ، وطيب حجزاتهم ، ويسوسون أحلاما بعيدا أناتها وتخالهم جنا اذا جهلوا •

وقانون البيئة وانطباع مافيه في اللغة لا يتخلف ، والعنصر الانساني هو الأداة والحمالة : فقد تزدهر

أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، يتميز بها كل مجتمع انساني ، وهي ظاهرة انسانية •• لم تهبط من عل ، بل نشأت من أسفل ، وتطورت بتطور الانسان ذاته ، ونمت بحضارته • وليس هناك مبرر للمفاضلة بين لغة وأخرى • لكل لغة عبقريتها ومقدرتها على التعبير عن حياة المجتمع • وليست القضية قضية لغة أفضل من لغة ، بل قضية حضارة أرقى من حضارة • وحياة أغنى من حياة •

ولذلك لا مفاضلة في أصوات اللغة : كأن يقول أحدنا ، ان في الايطالية أصواتا أعذب موسيقى من أصوات العربية ، فالذى نعهده — نحن البيض — عذوبة في الصوت ، قد يعده الهندي الأحمر قبجا وخشونة • وما نحسبه بيانا وفصاحة •• قد يرى فيه الزنجي غموضا وتعقيدا • ولا مبرر للقول بأن مفردات لغة ما أكثر عددا من مفردات لغة أخرى ، اذ قد يكون عندنا — نحن البيض — للصورة الذهنية لقطة

أريضة كالخميلة جارية تتهادى بين الشجر ، فهم بمغازلتها فتهددته بخنجرها ، فأمسك بيدها قاتلا : يامن حوى ورد الرياض بخده وحكى قضيب الخيزران بقده دع عنك ذا السيف الذى جردته عيناك أمضى من مضارب حده كل السيوف قواطع ان جردت وحسام لحظك قاتل في غمده ان رمت تقتلنى فأنت مخير من ذا يعارض سيدا في عبده وذات الشاعر هو القاتل أيضا : عيون المهاجرين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري •

وهكذا تكون النقلة ، وهكذا يكون أثر البيئة ، وهكذا تكون اللغة مطواعا للألمعى •

وكثير من العلماء يرون أن لكل لغة مقدرتها على التعبير عما في بيئتها ، فلا مجال لتفضيل لغة على أخرى في أية ناحية ، وانما التفضيل لحضارة على أخرى تحملها لغة :

يقول الأستاذ أنيس فريجة :
« لقد أثبت علم اللغة الحديث :

التساؤل : هل يوجد فكر مجرد بدون رموز لغوية ؟ أو أن اللغة والفكر مظهران لعملية (سيكولوجية) واحدة ، كوجهي قطعة عملة ؟

والسؤال بوجه آخر ، هل هناك ارتباط بين طبيعة نظام اللغة ورموزها من جهة ، وبين تفكير مجتمع هذه اللغة وفلسفته ومظاهر التفكير التي انتجها وينتجها هذا المجتمع من جهة أخرى .

بعض العلماء يؤيد هذا الترابط وتؤيد التجارب والدراسات : بأن اللغة تسيطر على طريقة تفكير المجتمع ، وأن سلوك الفرد والمجتمع معزوا الى اللغة المتكلمة وطبيعتها .

وبعض العلماء ينقض ذلك وينفيه . فمأساة الخلف واسعة ، والتطرف كبير بين النفي والاثبات : يرى سابير (SAPIR) : أن

اللغة هي التي تجعل مجتمعا ما يتصرف ويفكر بالطريقة التي يتصرف ويفكر فيها . وأن ذلك

خاصة تعبر عنها ، بينما نجد أن الصفر أو الحمر أو السود من البشر لايشعرون بأن هذه الصورة الذهنية تحتاج الى لقطة خاصة بل قد يعبرون عنها بطريقة أخرى مخالفة ، ولكن فعالة » (١)

ونحن لا نوافق الاستاذ في كل ما ذكره : فهناك عذوبة في موسيقى بعض اللغات كالفرنسية ، يحب الانسان أن يسمعها ، ويأنس لها ويطرب ، ولولم يدرك معناها . وهناك لغات غنية بمفرداتها ، وأخرى فقيرة . . وناهيك (باللسان) الذي يضم بين دفتيه أكثر من مائة ألف مادة . . ومخزونه الوفير هذا ارهاص بأنه يلبي أشواق الروح ومطالب الحياة والأحياء ، حين تدعو الحاجة ، وتلم الضرورة .

اللغة والفكر :

ثار جدل كبير بين العلماء والمفكرين ، بشأن قضية : توافق اللغة والفكر وتفاعلهما . فكان

المجتمع لا يستطيع رؤية العالم
الا من خلال لغته ، فالبشر واقعون
تحت رحمة تلك اللغة المعينة ، التي
اتخذوها وسيلة للتفاهم في
مجتمعهم . حقيقة الأمر أن العالم
الحقيقي مبنى الى حد كبير على
العادات اللغوية لمجتمع معين « (١)
وفي موطن آخر يوضح
(ساير) نظريته ، بأن اللغة
طريق ممد ، أو أخذود كالأخاديد
التي تراها على سطح اسطوانة
تمهد وتحدد للابرة لتمر فيه لتردد
الصوت .

فاللغة تسهل الفكر وتساعد على
نموه ونمو الفكر ذاته يعود فيؤثر في
اللغة وتطورها ونموها . فالتفاعل
بين اللغة والفكر أمر واقع : (٢) .
ان ولادة فكرة ما يسبقها عادة
نوع من التعبير اللغوي الواضح
أو غير الواضح . ولكن هذه
الفكرة المولودة جديدا لا يصبح
لها كيان ذاتي مالم تلبس رمزا
لغويا ، أي مالم تضمن الفكرة في

(كبسول) لغوي ، عندها تشعر
أن الفكرة المولودة جديدا قد
أصبحت ملكا لنا ، وأصبحت
تشكل جزءا من تفكيرنا .
وكان (بنيامين وورف) أوضح
وأشد صراحة من أستاذه (ساير)
اذ جعل اللغة حاكمة تماما ، والمرء
أسير لغته ، يقول : « ان الانسان
أسير لغته ، وان اللغة ليست
مجرد وسيلة للتعبير عن الافكار ،
فنحن نقسم الطبيعة (العالم)
بموجب الخطوط التي ترسمها لنا
لغاتنا القومية » (٣) .

بينما يرى (الفرد كورزيسكى
— ١٨٧٩ A. KORZYBSKY
١٩٥٠) ، عكس النظرية السابقة
فلغة مجتمع معين لاتحدد الاطار
لذلك المجتمع لأن يرى العالم من
خلال لغته . ويوضح ذلك ، بأن
(الخريطة لاتمثل الرقعة الأرضية
كلها) ، أي أن اللغة لاتمثل كل
مايشمله هذا العالم من أشياء ،
وما يحدث فيه من أحداث .

(١) أضواء على الدراسات اللغوية ٢١٨ .

(٢) نظريات في اللغة ٥٩ .

(٣) أضواء على الدراسات اللغوية ٢١٩ .

فقد ثبت أن ليس هناك لغات بدائية متخلفة ، ولغات عصرية متقدمة ، ففي مفردات كل لغة وتراكيبها - في أى لغة - ما يعطى ويفى بمتطلبات وحاجيات هذا المجتمع ، ويتمشى مع ما يعوزه من أشياء • فقد ذكر طرفة ناقته وشئونها في أكثر من أربعة آلاف لفظة في مجتمع بدائي التفكير والبيئة فيه ضحلة •

ويعرف (الاسكيو) لصنوف الثلج وألوانه الشئ الكثير ، ويعبر عن كل نوع بلفظة تخصه • ولالأرز في (الفلبين) أكثر من عشرين لفظة • وتراكيب كل لغة تعين مجتمعها على التعبير الصائب ، والفهم والافهام •

وبعض الكلام لا يدخل في نطاق الفكر ، ولا تتلبس به اللغة تلبسا واضحا وقويا • فقولك مثلا : نمت الليلة نوما هادئا • وقولك لزمالك : تفضل معنا لا تحتاج سوى لمسة فكر خفيفة •

فالمعادلات الرياضية كانت

وتأسيسا على الرأيين السابقين جعل العلماء طريقة التفكير عند العرب والفرنسيين استنتاجية : (DEDUCTIVE) لأن الصفة في لغتيهما تتبع الموصوف • بينما تفكير الأمة الانجليزية تفكير استقرائي : (INDUCTIVE) لأن الموصوف عندهم يأتي بعد الصفة (١) •

وقيل أيضا : ان مجتمع اللغة التي لا تميز تراكيبها بين أحداث الجملة ، ومورفيماتها بدقة في الاستعمال مجتمع قدرى ، كمجتمع الهنود الحمر مثلا ، فلا ضابط له ولا رابط ، وتفكيره ضحل ، وتعابير بدائية محسوسة •

وأى مجتمع لا تتوافر في لغته بنيات الزمن ، وتتقاسمها مصطلحات التحديد المنطقى ، تتسم حياته بعدم احترام الزمن ، ولا يقيم للفكر والمنطق وزنا •

ولكن بعض علماء اللغة يردون هذا وذاك ، ويثبتون خطأ هذا القول ،

(١) أضواء على النظريات اللغوية ٢١٨ وما بعدها •

موجودة بصورة ما في الذهن ، قبل تلبسها برمز لغوى • ولكنه بعد تلبسه بها وضحا وفننها ، وجعلها تقترب بسرعة من الفهم والاذهان عند ذويها •

فضلا عن أن المدلولات الاجتماعية تسبق في الظهور المداليل اللغوية التي تعنونها • هذا ما يترتب على الرايين السابقين ، (لسابير) وتلميذه (بنيامين) من ناحية ، ورأى (الفرد كورزبسكى) من ناحية أخرى في سيطرة اللغة على الفكر ، أو عدم السيطرة • وذكرنا طرفا مما اعترض به على النظريتين •

وهناك رأى فلسفى لا يفصل بين الفكر واللغة ، لأنهما نوعان من السلوك البشرى : اذ يعتبر (جون

واتسون JOHN WATSON وأصحاب المدرسة السلوكية : التفكير نوع من الكلام الداخلى ، والمنطوق على مستوى الحنجرة • و (سكينر SKINNER) لا يفصل بين الفكر واللغة ، لأنهما نوعان من

السلوك البشرى على حد سواء (١) • ونقد هذا الرأى : بأن اللغة نظام تجريدى يشارك فيه أبناء المجتمع الواحد بينما الكلام الفعلى واحد من مظاهر القدرة اللغوية الكاملة •

والذى نرتضيه من هذه الآراء : — أن العلاقة متبادلة بين اللغة والفكر ، وكذلك بينها وبين الحضارة والأحداث التى تدور فى المجتمع : فهما يعتمدان على بعضهما الى حد كبير • ونحن لا نستطيع التفكير أبعد من قدرتنا اللغوية : كما لا نستطيع أن ننطق بما لا نستطيع التفكير فيه •

— وان التجارب التى أجريت ومازالت تجرى دلت على أن اللغة لا تسيطر سيطرة كاملة على أى مظهر من مظاهر الحضارة ، أو احتواء الفكر احتواء كاملا •

مجتمع اللغة والطبقة :

اللغة ناظمة عقد أى مجتمع ،

وبون شاسع بين هذا ، وبين ما عرفته العربية في الصدر الاسلامي ، حين كان يخاطب الأعرابي النبي صلى الله عليه وسلم ، قائلا : يا محمد : أعطني من مال الله •

وللمجتمع الفه وعاداته في أحاديثه وتعايره التي تخضع لمعايير الذوق والأدب : فيكتفى عما يسىء ويزعج ، ويورى عما ينفر ، ويغلف بمعسول القول ، ما يؤلم ، ويستر بأسلوب الحكيم البليغ ما يؤذى المشاعر والأحاسيس ، وما يستقبح ويستهج ذكراه :

وللعربية قصب السبق في هذا المضمار :

ففى حديث السيدة عائشة — رضى الله عنها — : ما رأيت منه ولا رأى منى « والرسول يوصى به بألا يقول أحد : عدى وأمتى • ولكن فتاى • وفتاتى • والقرآن الكريم يقول فى أدب عال : «نساؤكم حرث لكم» ، « فاعتزلوا النساء فى المحيض » ، « واهجروهن فى المضاجع » ،

ودليل هويته ، ومراة أحداثه وشئونه ، وهى لذلك خير ترجمان لكل ما يدور فى المجتمع : ان فى أعلاه أو فى قاعه ، وتعكس الأحداث الاجتماعية ، وهوية النظم والتقاليد ، والثقافة والانتماء الحرفى ، وكذلك القيم والسلوك السائدة ، لكل الأشتات والأجناس التى يموج بها هذا المجتمع :

وتكشف الالقاب والنعوت جانبا كبيرا مما سلف ، اذ عندما تسمع : حضرة صاحب الجلالة والسلطان ، والعظمة ، والسمو ، والفضيلة ، والغبطة ، والمعالي والسيد ، والباشا ، والبك والأفندى ، والأستاذ ، والدكتور ، والمهندس ، والأسطى •••

وعندما تتصدر الرسائل أو تنتهى بمثل هذه العبارات :

تفضل سيدي ، ومولاي ، وأرجو أن تتفضلوا ••• تدرك على الفور أن اللغة كشفت عن جانب من هوية المجتمع وبعض نظامه ، وطبقاته المتعايشة ، ونظامه السياسى •

« فصيام شهرين متتابعين من قبل
أن يتماسا » •

ويقول عمر بن أبي ربيعة في
مواسم تغزله :

وكم من مالىء عينيه من شىء غيره
ويقول فقهاؤنا ينقض الوضوء
مايخرج من أحد السبيلين ••
وحتى أطباؤنا لا يذكرون ألفاظ
(السل) ، و (السرطان) ، لمن
هو مريض بهما ••

ونحن لانقول : مات فلان ،
ولكن نقول : انتقل الى رحمة
الله ، وأراحه الله ، وأعطاك
عمره ••

وأحيانا نلوذ بكلمة أجنبية ،
مثل (التواليت) ، أو مجاورة
كالحمام (واكس) لما دل عليهما ،
وحتى قلنا للأعمى : بصير ،
وللمريض : سليم ، ولالأعور :
ممتع باحدى عينيه •

وذكرنا قبل لفظة « الشيطان »
ببسم الله الرحمن الرحيم ، لئلا
يخرج لنا • والشر بره وبعيد عن
بيتنا •

كل ذلك من باب الأدب
والاحتشام والحياء ، ومراعاة

الذوق العام ، أو مراعاة لأعراف
ومعتقدات ، وأسباب تعلم أو
تخفى •

وظاهرة الكلام المحظور
اجتماعيا (TABOO) ، محكمة
اجتماعيا ، وقد يكون قانونيا في
البلاد المنعزلة والمحافضة ، والتي
لا تقبل اطلاقا بخدش الحياء العام
كما في بعض البلاد الاسلامية ،
وفي المجتمعات الانجليزية •

بينما يكون الحبل على الغارب
في البلاد المفتوحة ، للأدب الصريح
والمكشوف ، فلا يستحى أهلها في
التعبير عن السوات والعورات ،
وتسمية المستور باسمه الصريح ،
وتداوله في كتب ومجلات سيارة ،
كاللغة اللاتينية قديما ، وبعض
مجتمعات أوروبا حديثا ، وخاصة
عند المنحرفين كالهيبين ومن على
شاكلتهم دونما حياء ولا خجل ،
وقد يكون ذلك بسبب التحدى
للمجتمع ، أو الشذوذ ، أو التمرد
على السلطة والنظام القائم •

كما لاحظ علماء اللغة أن من
الألفاظ ما يحظر على النساء ذكرها
ومنها ما يكثر على لسانهن أكثر

سوء • وفي الانجليزية أكثر من
مائة كلمة بدلا من كلمة حيض •
وأحيانا تسقط اللفظة اجتماعيا،
وأصلها لابس به •• فلا تذكر
الا في وسط مثقف كحديث
الرسوك - صلى الله عليه وسلم
- : اخوانكم خولكم أطعموهم
مما تطعمون ، وأكسوهم ••
والمعنى عبيدكم خدمكم ، بينما هم
في الحقيقة اخوان لكم ، فأنزلوهم
المنزلة الاسلامية الانسانية •

الجهود اللغوية في صيانة اللغة واثراتها :

كل أمة لها اسهام في الحضارة
الانسانية بشئ ، ولها ماضيها
التليد ، وحاضرها المشرف ،
ومستقبلها المرجى •• تحافظ على
لغتها ، حفاظها على مقوم رئيسي
من مقومات حياتها ووجودها •
والمستعمر قبل أن ينال ثروات
الشعوب ومقدراتها ويسيطر عليها
يوهن من عرى لغتها ، ويطاردها
حتى تسمى في زوايا النسيان ••
لأنه يدرك أن اللغة مناط وحدتهم
وناظمة عقدهم •
ولولا جهود الشيخ عبد الحميد

مما يكون على لسان الرجال ،
وحبذا لو درس ما يدور في
مجتمعهم كاملا ، ليظهر الفرق
جليا •

فالمراة الانجليزية كانت
لا تتحدث عن رجل المائدة المكسورة
والنساء عموما تكثر من ذكر
الألفاظ العاطفية ، والتميز الدقيق
بين أنواع الألوان ، بما لا يعرفه
معظم الرجال •

وتحايى اللغة أحيانا جنس
الرجال ، فتغضب جماعات النساء ،
فالتغليب لجنس الرجال شائع في
العربية وغير العربية •

وذكر الدكتور نايف خرما ، أن
الانجليزية حين تقول :

تعنى أن الرجل محترما وينتمى
الى احدى المهن المرموقة
(HE IS PROFESSIONAL)

بينما اذا قالت الانجليزية
(SHE IS PROFESSIONAL)

فيصف ذلك المرأة

بأنها مومس وكلمة (MASTER)

تعنى بالنسبة للرجل (سيد) •

بينما مؤنثها (MISTRESS)

تعنى أن المرأة موسومة بوصف

السّمك بمعنى : كف الماء القوى .
والجمل والشجر ، لأى شئ عال
ضخم كالجبل ..

ومن الأبجدية الفينيقية اشتقت
الآغريقية ، ومنها أخذت اللاتينية
ومنها كانت حروف الأوربيات
الحديثة ، ومن الفينيقية أيضا :
اشتق العبرى القديم ، والآرامى ،
والتدمرى ، والسريانى ، والنبطى
ومن النبطى جاء العربية .

وكانت الكتابة نعمة جلى ، لأن
الاعتماد على مخزون الذاكرة
كثيرا ما يخون ، أو يتداخل فيحدث
اللبس والخلط فأصبحت لغة
الكتابة ، وسيلة القيد ، والحفظ
للتراث وعدم ضياعه ، وتولى
الحكومات جهدها لتعليم اللغة
المحلية ، وحفظها وصيانتها
وتنقيتها مما يشوبها ويعلق بها
ويأتى ذكرها فى دساتير البلاد فى
المرتبة الثانية ان لم تكن الأولى ،
وتعكف المدارس والمعاهد
والجامعات على تعليمها ،
والتدريس بها ، وتلتزمها وسائل
الاعلام المختلفة فى بث برامجها
ونشر بضاعتها . وقد أمر الرسول

بن باديس الجزائرى وأعوانه فى
الجزائر إبان الاستعمار الفرنسى
لكانت العربية فى خبر كان .

وعندما نتأمل المنجزات
الحضارية فى تاريخ الشعوب ..
نجد أن مفخرة من مفاخرها هى
أبجدية الكتابة .

وقد كان قصب السبق فى هذا
الجانب للحضارة السامية ، ثم
نقلتها عنها الحضارة الفينيقية الى
اليونانية ، والرومانية بعد ذلك .

وتدرجت الكتابة بالرسم
المشخص للشئ ، الى الرمز عنه
بشئ منه ، أو بخطوط متعارف
عليها ، كما تحكيه لنا قصة الكتابة
الأبجدية : فالمصرية القديمة
رسمت الصقر بصورته ، ورمزت
الهيرغليفية للشمس بدائرة فى
وسطها نقطة . ورسم الفينيقيون
للدلالة على الثور رأس الهمة .
واستعانت الصينية بأكثر من
أربعين خطا أساسيا ، توضحها
خط صغيرة فى أبجديتها .

وترجمت الحروف عن الأحداث
— كما فى مقدمة الشيخ العلايلى —
فالسين والميم والكاف تشير الى

والنشاط في التأليف والترجمة •
والحث على التأليف اللغوي
للأبحاث اللغوية ونشرها
واشاعتها ••

وانشاء المجامع اللغوية للحفاظ
على اللغة القومية وتتميتها ،
وترويض الدخيل ، وانتقاء وصقل
الوافد ، وايجاد البديل ••
وكل تلك محاولات تطيل أجل
بقاء اللغة ، ولكن سنة التطور
والارتقاء والتغير تنال من اللغة
برغم كل الاحتياطات والسياسات
سنة الأحداث والأيام في اللغات •

الدكتور توفيق شاهين

• صلى الله عليه وسلم - زيد
بين ثابت بتعلم لغة أجنبية ، وجعل
فداء أسرى بدر بتعليمهم أبناء
المسلمين الكتابة !!

وكلما تقدمت وسائل الاتصال
والتكنولوجيا ، كلما أعان ذلك على
الثقافة ، ووجدنا حركة التجديد
في اللغة ، في تأثر الأدباء والكتاب
باللغات ، الأجنبية ، وترجمة
المفردات الأجنبية والتراكيب
والافكار •

وفي احياء المفردات المهجورة
من بطون المعاجم القديمة رغبة في
التجديد ، ونقل المصطلحات
الأجنبية •

الأزهر جامعاً وجامعة أو مصر في ألف عام لورناذ محمد كمال السيد

- ١٤ -

وانتهت الثورة العربية بتسليم أحمد عرابي وأصحابه أنفسهم
ومحاكمتهم واعترافهم بجريمة العصيان ليحكم بالنفى بدلا من
الاعدام

الخلق العربي ، حتى وشى به أخيرا
مخبر سرى متقاعد طمعا في المكافأة ،
ولكنه لم يقبضها ، لأنه لم يكن
يعرف أنها كانت موقوتة بسنة ،
فقبض على النديم في أكتوبر سنة
١٨٩١ م ، ونفى الى يافا (تل أبيب
بفلسطين) . ثم عفى عنه سنة
١٨٩٢ ، ثم نفى ثانية سنة ١٨٩٣ ،
وتوفى منفيا باستانبول في أكتوبر
سنة ١٨٩٦ ، وتعد حياة عبد الله
النديم من أروع قصص المغامرات
والبطولة وحرية الرأي (عبد الله

ولم يقبل عبد الله النديم
الاعتراف بالعصيان ، وانتقد
عرابي وزملاءه على هذا الاعتراف ،
واختفى النديم تسع سنوات في
قرى الدلتا ، متخفيا متكررا بزي
مغربى أو يمنى أو شامى ، أو غير
ذلك من صور التتكر ، ومجسدا
تتكبره كل حين ، وآواه الناس
وعرف الكثيرون سره ، فستروه ،
ولم يطمعوا في المكافأة التى جعلت
لن يدل عليه ، ايماننا بأهداف
الثورة ، وحفاظا للذمام كطبيعة

الموقعين على الفتوى والذي نادى من فوق منبر الازهر باهدار دم توفيق كما ذكرنا — في محاكمته موقف مشرف ، فقد قال في جراءة : انهم اذا جاءوه الآن بفتوى أن توفيقا مستحق للعزل فإنه يوقعها •• وما في وسعكم وأنتم مسلمون أن تتكروا أن الخديوى توفيق مستحق للعزل ، لانه خرج على الدين والوطن •

والشيخ : حسن العدوى هو منشىء الجامع بشارع القائد جوهر ، أمام الجامعة الازهرية • أنشأه سنة ١٨٧١ م (١٢٨٥ هـ) كما سبق ذكره في مقال سابق •

وممن نفوا الى الشام الشيخ : محمد عبد ألجواد القاياتى ، وأخوه الشيخ : أحمد ، وقد اختارا بيروت •

والقاياتى : نسبة الى القايات ، قرية غربى البحر اليوسفى من مركز العدوة ، في شمال محافظة المنيا ، وهو أحد العلماء الأجلاء ، وأحد مشايخ الطرق الصوفية ، وطريقتهم فرع من الطريقة

النديم للدكتور على الحيدى) • ثم أخذت الحكومة تقبض على عشرات الآلاف فمن كان لهم ضلع في الثورة ، أو تشجيعها سواء بالعمل أو القول أو المال ، وكان من المقبوض عليهم مئات من علماء الازهر — وطلبته ، وحوكموا ، وحكم عليهم بالسجن أو النفي مددا مختلفة ، ولو أردنا حصر العلماء الذين قبض عليهم لطال بنا القول ، ولكن نذكر بعضهم ، فمنهم الشيخ محمد عبده ، وقد سبق ذكره •

ومنهم : الشيخ محمد عبد الله عيش شيخ المالكية ، وهو احد الذين وقعوا على الفتوى بعزل توفيق ، فقد أخذ مريضا من داره ، ونقل الى المستشفى حيث توفى بها ، وأشيع أنه وضع له السم في الدواء ، ولم تسمح الحكومة لأهله بتشييع جنازته من داره ، ولم تكف بموته ، بل نفت أكبر أولاده الى الشام ، وهو الشيخ : عبد الرحمن محمد عيش •

وكان للشيخ حسن العدوى (بكسر العينى) — وهو أحد

الأحمدية ، (نسبة الى السيد أحمد البدوى) ، وعرف بيتهم بالتقوى والكرم ، ولأهل مصر الوسطى اعتقاد كبير فيه ، وينسبون لآله الكرامات المختلفة ، وأخوه الشيخ : أحمد عالم أيضا ، وكان شيخ رواق الفشنية بالأزهر ، وهو والد الشيخ : مصطفى أحمد القاياتى ، المعروف بخطاباته الوطنية فى ثورة سعد زغلول سنة ١٩١٩ • وقد ألف الشيخ : محمد عبد الجواد القاياتى كتابا عن قصة نفيهما سماه : (نفحة البشام فى رحلة الشام) والبشام على وزن سحاب : نبات طيب الرائحة ونقتطف من مقدمة الكتاب المذكور ما ذكره عن سبب خروجهما من مصر ، فهو اجمال لشرح الحالة من أحد المعاصرين المشاركين ، فقال رحمه الله :

وسبب خروجنا من مصر أن أهالى البلاد عندما صارت الأحكام فيها عسكرية ، وانتشبت الحرب بين الانجليز وأهل الوطن العزيز ، اجتهدوا غاية الاجتهاد ، فى سبيل المدافعة والجهاد ، بأخذ الأهمية

(وكانت السادة العلماء الأعلام ، ولاسيما أستاذنا شيخ الاسلام ، يقرأون كتاب البخارى الشريف ، فى الجامع الأزهر المنيف ، والافاضل منهم الكلمة ، يحثون على اتحاد الكلمة ، فى مقاومة هذا البلاء والاصر ، النازل ببلاد مصر) •

(وليس هذا بالأمر العجيب منهم ، ولا بالغريب صدوره عنهم • فذلك شأن كل أمة قصدها بالحرب

حكمته الباهرة ، بدخول الجيوش الانجليزية القاهرة ، وفي مقدمتهم نائب الحضره الخديوية ، وهو رئيس النواب فى البلاد المصرية) • (وهو يعنى سلطان باشا) •

(وأول ما بدأ به من الأعمال فى هذه الحال ، الترخيص لهم بالحلول بالقلعة العلية ، والقشـلاقات العسكرية ، مثل : قصر النيل والعباسية ، والامر بالقبض على من نسب الى هذه الحركة ، كائنا من يكون ، ولو كان المعهود من عادته السكوت والسكون ، انا لله وانا اليه راجعون ، ما قدر الله لابد أن يكون) •

(فكنا ممن وقع الحجر والحجز عليهم ، بعد صدور الأوامر العلية فيهم ، فصار سجيناً بمديرية المنيا ، من مديريات الصعيد — مع جم غفير ، وعدد كثير ، من الوجوه والاعيان ، ومشايخ العرب والبلدان ، لاتهامات يطسول شرحها بغير طائل ، والغالب فيها الوشاية بالباطل) •

(فمن هؤلاء من نسب الى

أمة أخرى ، فهي ترى أن الدفاع أولى وأحرى ، بل تراه من الواجب على الأعيان ، لا سيما اذا تخالفت الأديان ، اختلف اللسان ، وتباينت العقائد ، وافترقت العوايد) •

(فبهذه النسبة العلمية ، والمناسبة العملية ، التمس منا أهل بلادنا القيام معهم ، لنكون لهم قدوة ، وتكون لهم بنا أسوة ، فى مساعدة اخوانهم الجهادية ، بالمراكز العسكرية والنقط الحربية ، والحدود الدفاعية ، وذلك من انتقاد غيرتهم الدينية ، وحميتهم الوطنية ، فتوجهنا معهم الى تلك المواطن ، والله أعلم بالظواهر والباطن) •

(فلم نلبث الا قليلا من الأيام ، وقد فشلت الأقوام ، وحصل الانهزام ، بواسطة الخيانة من بعض اللثام ، وبث أنواع الدسائس ودس الوسوس ، فى قبائل العربان وعشائر البلدان ، وغالب الأمراء والأعيان ، لسابق الأمر المحتم ، والقضاء المبرم ، وقضت علينا

التطوع ، ومنهم فى نسب الى التبرع ، ومنهم من اتهم بالتهيج للخطر ، وتحريك الساكن من الخواطر ، ومنهم من ادعى عليه بالتشيع للجهادية ، وكثرة قراءة الجرائد المحلية ، وغير ذلك من الاسباب الخصوصية ، والبواعث العدوانية ، لدواعى العداوات الشخصية ، بدون مراعاة المصالح العمومية) •

(فكم قبض على برىء ، وأطلق سبيل مجترىء ، بمجرد الوشاية فيه من بعض أعاديه ، هكذا حصل فى أغلب المديریات ، سوى من قبض عليهم فى القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد من الذوات والبكوات والباشوات ، والعلماء والامراء ، وأولاد الفقراء) لعله يعنى المعنى اللفظى للكلمة • أو المعنى الاصطلاحي أنهم أتباع الطرق الصوفية فهم يلقبون بالفقراء) ،

ومكثوا فى أقبح السجون ، بغاية الاحزان والشجون ، يكابدون عذاب الهون ، بأنواع لا تحصى ولا تحصر ، من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) •

(وأما أكبر المعذبين : فأهل الفضل والدين ، فقد وقع لهم من الحقارة والتكيل ، والاستهانة والتخميل ، والكرب والخطب الجليل ، مالم تسمح به لهم أهل التوراة والانجيل ، فحسبنا الله ونعم انوكيل ، يطاف بهم فى الاسواق والمحافل ، اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل ، وبعد أن مضت لهم على هذه الحالة أربعة من الشهور ، كأنها أعوام ودهور ، ومثلوا بغاية المثلة ، على حال لم يروا مثله ، بين أيدي الكتبة أقباط النصارى ، وهم فى أمرهم تائهون حيارى ، وأشخصوا أمامهم لاجل الاستنطاق • ، بمالا يطاق ، ولا تضبطه الاوراق ، ولا يدخل حصره فى نطاق ، صدرت فيهم الارادة النفسية على غير ما يراد ، باجلائهم وخروجهم من البلاد ، وابعادهم عنها أى ابعاد) •

(فممنهم من نفى مؤبدا الى سيلان ، ومنهم من نفى بمدة الى السودان ، ومنهم الى خارج القطر وملحقاته ، بدون تعيين مواطنه وجهاته ، وكنا من هذا القسم

ولكن يعيننا بصفة خاصة ما حفل به الكتاب ، من أسماء علماء الشام وأعيانه ، فقد تلقى الكثيرون منهم دروسهم بالازهر ، وعادوا الى مواطنهم علماء ينقلون ما درسوه ، فكانوا يحفظون لصاحب الكتاب حق الزمالة ، أو واجب التلمذة عليه ، ويدل هذا على ما كان لازهر من فضل في تثبيت وحدة فكرية ثقافية في العالم العربي ، بل في العالم الاسلامي ، فقد رأينا أن أحمد أفندي شريف والد شريف باشا كان شيخا للاسلام في الاستانة ، بعد أن تلقى علومه في الازهر .

وبعد الاحتلال الانجليزي لمصر ، مرت بالبلاد فترة هدوء ، أو بعبارة أدق فترة ذهول ساعد عليها استسلام الخديوى : توفيق للانجليز استسلاما كاملا ، وأخذ الانجليز يمكنون لانفسهم في حكم البلاد .

ثم توفي توفيق سنة ١٨٩٢ م ، وتولى بعده ابنه : عباس حلمي الثاني ، وسنرى في المقال التالي باذن الله كيف تطورت الأمور .

محمد كمال السيد

الأخير ، نحن وجم غفير ، فبودرنا بالاخراج من غير مهلة ولا تأخير ، فالحكم لله العلى القدير ، نعم الولي ونعم النصير (١٠ هـ .

ثم يذكر بعد ذلك ما سماه نكتة تاريخية : أن (غرائب عجائب) بحساب الجمل موافق لسنة حادثة النفى المذكور ، وهذا صحيح فهي تساوى بالحساب المذكور ١٢٩٩ ، وهذا يوافق سنة الحرب والهزيمة ، فقد كانت سنة ١٢٩٩ . والنفى سنة ١٣٠٠ هـ .

ويعيننا من الكتاب المذكور ملاقاه صاحبه من حفاوة وترحيب في جميع مدن الشام ، سواء في بيروت أو صيدا ، أو طرابلس الشام ، أو اللاذقية ، أو بيت المقدس ، أو الرملة ، أو نابلس ، أو دمشق ، وغيرها من مدن الشام ، الذى مزقته السياسة الاوربية الى أربع وحدات : سوريا ولبنان والاردن وفلسطين .

ووصف المدن المذكورة ، وطرق المواصلات لها ، والمشاهد والمزادات فيها ، وعادات أهلها ، وغير ذلك مما تتناوله عادة كتب الرحلات .

التجارة الراجعة

حب الله ورسوله

للدكتور محمد عبد اللطيف الغرنوري

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)
ومفهومها ، وكذلك قواعد

الاستنباط وصريح القرآن
والسنة ، والا لصار معنى هذه
الآية (قل ان كنتم تتبعون الله
فاتبعوني ٠٠٠) وعلى تقدير
(رسول) مضافا محذوفا يكون
المعنى (قل ان كنتم تتبعون رسول
الله وهو أنا فاتبعوني) !! وكلا
التأويلين باطل كما هو ظاهر لكل
ذى نظر صحيح ٠٠٠ ثم من قواعد
الاستنباط أنه لا يصار الى المجاز
الا عند تعذر الحقيقة ، أو بعد
تصورها ، فهل استحالة
أن يحب العبد ربه ؟ ولماذا ؟ وما هو
دليل هذه الاستحالة ؟ ! هل انحصر
الحب كله في الحب الشهوى أو
الجسدى أو في ما يرى وما يحس
وما يلمس حتى يصح كلامهم ؟ !

بهذه الآية الكريمة استهل بحثى
هذا ، وأنا أعلم أن هنا لك من
الناس من أضل الحقيقة حين ذهب
يزعم للناس أن المحبة لا تتعقد
أبدا بين مخلوق وخالقه ، بل هى
ان ذكرت فى التنزيل أو السنة
فهى مجاز وليست حقيقة ، اذ
يستبعد هؤلاء كيف يجب العبد
الضعيف المحدث الفانى ربا قويا
باقيا خالقا ؟ ! فأولوها بالاتباع
وقالوا ، حيثما وردت المحبة فى
النصوص التشريعية فهى الاتباع
لا غير ٠٠٠

وفات هؤلاء السطحيين فى
التفكير غفر الله لى ولهم أن الآية
الكريمة تنفى ذلك بمنطوقها

صدق في قلب صاحبها ، وصدق صاحبها بها ، ومن ذلك قول سيدنا على رضى الله عنه وكرم وجهه •
**اللهم ارزقنى حبك وحب نبيك
 واجعل حبك وحبه فى قلبى أحب من
 الماء البارد على الظما •**

وفى حديث الصحيحين
 ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة
 الايمان ، أن يكون الله ورسوله
 أحب إليه مما سواهما •••

الحديث وكذلك حديث البخارى
**ولا يزال عبيد يتقرب الى
 بالنوافل حتى احبه ومن احبته
 كنت له سمعا وبصرا ويذا ومؤيدا •**

والله تبارك وتعالى يقول
**ياأيها الذين آمنوا من يرد منكم عن
 دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم
 ويحبونه الآية ٥٤ من سورة المائدة**

فالمحبة حالة شريفة شهد الحق
 سبحانه بها للعبد ، وأخبر
 عن محبة للعبد ، قال القشيري :
**وأما محبة العبد لله فحالة يجدها
 من قلبه تلتطف عن العبادة ، وقد
 تحمله لتلك الحالة على التعظيم له**

ألا يجب المرء مكارم الأخلاق ؟
 ألا يجب الانسان المعانى السامية
 والمبادئ الرفيعة والمثل العليا ؟ !
 أم الانسان مادي لا يشعر بالحب
 الا للمادة ولا يكيف قلبه مودة
 الا للكثائف ؟ ! شأنه شأن
 الأنعام ؟ ! من قال هذا ؟ !

ان العبد الصادق ليلعب من قوة
 محبة الله ورسوله فى قلبه
 ما يستطيع ان يقتحم به الجبال
 والمحيطات وهل دفع الصحابة
 رضوان الله عليهم الى الاتباع
 وحفزهم الى الجهاد وفتح لهم
 مشارق الأرض ومغاربها الى محبة
 الله ورسوله ؟ ! وهل كان فى قلبهم
 غير هذه المحبة يعتلج أوارها ،
 ويضطرم لهيبها ، حتى تصبح حمما
 يقذفونها على الباطل وأتباعه ،
**(بل نقذف بالحق على الباطل
 فيدمغه فلذا هو زاهق ولكم الويل
 مما تصفون) •**

الحق أن المحبة شئ والاتباع
 شئ آخر ، لكنهما متلازمان تلازم
 الثمرة للشجرة والنتيجة للمقدمات ،
 فالمحبة تثمر الاتباع وتنتجه اذا

وايثار رضاه وقلة الصبر عنه،
والاهتياج اليه ، وعدم القرار
دونه ، ووجود الاستئناس بدوام
فكره له بقلبه •

أ هـ الرسالة القشيرية ح (٢) ص
٦١٢ •

وفسر القشيري محبة الله لعبده
(ارادته لأن يخصه بالقربية
والأحوال العلية) ر ج ٢ ص ٦١١
وجعلها أخص من الرحمة التي
فسرها بأنها (ارادة الله تعالى لأن
يوصل الى العبد الثواب والانعام)
كما أن الرحمة أخص من الارادة
ر ج ٢ ص ٦١١ وما قبلها •

ومن أجمل ما قال العارفون في
المحبة ما رواه أبو بكر الكتاني
قال : (جرت مسألة في المحبة بمكة
أيام موسم (الحج) فتكلم
الشيوخ فيها ، وكان الجنيد
أصغرهم سنا فقالوا له ، هات
ما عندك يا عراقى : فأطرق رأسه
ودمعت عيناه ثم قال : عبد ذاهب
عن نفسه متعل بذكر ربه ، قائم
بأداء حقوقه ، ناظر اليه بقلبه ،
أحرق قبله أنوار هيئته ، وصفا

شربه من كأس وده ، وانكشف له
الجبارق من أستار غيبه ، فان تكلم
فبالله ، وان نطق فبالله ، وان
تحرك فبأمر الله ، وان سكن فمع
الله ، فهو بالله ولله ومع الله ...
فبكى الشيوخ وقالوا :

ما على هذا مزيد ، جبرك الله
يأتاج العارفين ...
ومن حكاياتهم ما رواه الحسين
الأنصارى قال :

— رأيت في النوم كأن القيامة
قد قامت وشخص قائم تحت
العرش فيقول الحق سبحانه :
يا ملائكتي من هذا ؟ فقالوا الله
أعلم • فقال : هذا معروف الكرخي
سكر من حبي فلا يفيق الا بلقائي •
وفي رواية أخرى : هذا معروف
خرج من الدنيا مشتاقا الى الله
فأباح الله عز وجل النظر اليه •

والله تعالى يقول : (من كان
يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت)
الآية هـ من سورة العنكبوت •

وهكذا يكون المعيار الحقيقي
الصادق للمحبة من العبد لربه سدة

وشمائله لا بد لنا من شحن القلوب
 بشحنة قوية من المحبة المحرقة
 المتوهجة لله ولرسوله صلوات
 الله عليه لا مندوحة لنا عن حب
 كحب الصحابة ، وشوق كشوقهم ،
 وتقان كتفانيهم ، والا فمادام
 الاسلام كلاما يقال وصحفا تكتب
 وحبرا على قرطاس فلا أمل لنا في
 نهضة اسلامية ، ولا في فتح مبين •
 ليست أزممتنا اليوم أزمة علم
 بقدر ما هي أزمة محبة لله وشوق
 اليه •

أجل ان هذا الحب وحده هو
 الذى هز العروش وقوض حضارات
 زائفة ، وأقام مكانها حضارات
 اسلامية راقية ، ان الحب وحده
 هو الذى دفع الصحابة الى التضحية
 والايثار والزهد فى الدنيا ومتاعها
 والركض خلف رضاء الله سبحانه
 أجل هو الذى دفع خالد بن الوليد
 — رضى الله عنه — يوم عـزله
 عمر — رضى الله عنهما — كي
 لا يفتن الناس فيه ، وكان عـزله
 لمصلحة الامة ، وقف خالد يقول
 وماضرنى ، كنت أقاتل أميرا

الثوق اليه ، وحب لقاءه مع حالة
 الاستقامة ، قال تعالى : **(وعجلت
 اليك رب لترضى)** أى شوقا اليك •

وكان من روائع دعائه صلى
 الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح
 الذى اخرجـه النسائى عن عمار بن
 ياسر رضى الله عنه مرفوعا (اللهم
 بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق
 أحينى ما علمت الحياة خيرا
 لى وتوفنى ما علمت الوفـاة
 خيرا لى ، اللهم انى أسألك
 خشيتك فى الغيب والشهادة ،
 وأسألك كلمة الحق فى الرضا
 والغضب وأسألك القصد فى الغنى
 والفقر ، وأسألك نعيما لا ينفد
 وقررة عين لا تنقطع ، وأسألك
 الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش
 بعد الموت ، وأسألك النظر الى
 وجهك الكريم ، وشوقا الى لقاءك
 فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة •
 اللهم زيننا بزينة الايمان ، اللهم
 اجعلنا هداة مهتدين وبعد •

فلا بد لنا اليوم لـكى يتحقق
 الاتباع الكامل لشريعة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولأخلاقه

واليوم أقاتل جنديا

المحبة ذلك الوقود الاعظم الذى
يحول الشخصيات القزمة الى
عملقة ، ويصنع القيادات
والبطولات .

لقد امتلأت الدنيا كتباً وعلماً
وفقها ودرسا ومحاضرات ودروسا
ولم يحرك ذلك ساكنا على أننا
محتاجون للعلم لانه أمام العمل ،
وهو تابعه ، ولكن ما قيمة العلم
والقراطيس والكتب بدون أن تكون
هناك النفوس الكبيرة التى تحملها
فتحولها الى عظمت ..

أجل ..

ان التصوف الصافى المصفى
السائر على هدى الكتاب والسنة
وعمل السالف الصالح والتصوف
الذى يشحن النفوس بالمحبة
الصادقة يثمر الاتباع الصحيح ،
هذا التصوف على يد رجاله من
العلماء الذين زادوا على علومهم
الكسبية علوما وهبية منحها الله

اياهم كما ورد فى الخبر « من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم »
هذا التصوف اليوم هو سر انطلاق
المسلمين ويقتظتهم وزهدهم فى الدنيا
ورغبتهم بما عند الله تعالى ، وهو
التجارة الرباحة ، سمه ان شئت
تصوفا أو احسانا ، أو تربية روحية
أو تزكية فنحن لاتهمنا الاصطلاحات
والاسماء بل يهنا الجوهر ، وحين
نقصد التصوف نقصد الاخلاقى
منه والوجدانى ، ونترك مايسمونه
بالتصوف الفلسفى ، فنحن مع
تصوف المعاملة ، ونترك لاصحابه
تصوف المشاهدة ندعه لهم ونسلم
لهم حالهم فيه ولا نشغل به عن
الاصول ، فالذى يهنا اليوم هو
انقاذ نفوسنا ومن حولنا من
الشباب من براثن الشهوات
الموبقات وشياطين الانس والجن
وذلك عن طريق هذه التجارة الرباحة
ألا وهى حب الله ورسوله .

دكتور / محمد عبد اللطيف صالح
الفرفور

اللغة والشعر والشعراء قديماً وحديثاً

للاستاذ محمد عايش عبيد

الكتاب المنزل على صاحب هذه الرسالة ، باللغة العربية ، وهى لغة القوم ، عملاً بقوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم .. الخ » آية رقم ٤ سورة ابراهيم .

جاء القرآن الكريم فى الذروة من الفصاحة والبلاغة ، فلما سمعه العرب ، أدركوا معانيه ، وعرفوا مرامييه ، وحازوا إعجابهم ..

أما المخلصون منهم فبادروا بالدخول فى الاسلام طائعين .

وفريق آخر كابروا عناداً وغطرسة ، بيد أنهم كانوا يتسللون خفية فى جوف الليل فيجلسون حول بيت محمد صلى الله عليه وسلم ليسمعوا تلاوته ، كل واحد منهم لا يدري عن الآخر ..

مما لا شك فيه أن العرب هم أهل الفصاحة والبلاغة .. ملكوا ناصية البيان ، فانقادت اللغة لهم ، وأرخت عنانها طائفة مختارة ، فصاروا فرسان الكلمة على مختلف ألوانها : شعراً ونثراً وخطابةً وبديعاً ، فمن ثم بزوا كل الامم ممن حولهم فى هذا الميدان ؟؟

وما كان نزول القرآن الكريم بهذه اللغة الا تكريماً لها من ناحية ، وتجانساً لحال القوم الذى وصلوا اليه ، فصاحة وبلاغة من ناحية أخرى .

ووجه ثالث لنزول القرآن الكريم باللغة العربية هو : أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، جاءت للعرب خاصة ، وللعالم عامة .. فمن ثم كان من الحتم أن يكون

وهكذا، فقد كان للشعر والشعراء مكانة في نفوس العرب ، لا تعد لها مكانة أخرى .. فالشاعر لسان حال قبيلته ، يعدد مناقبها ويفخر بها ، مثل هذا الشاعر العربي الذي يفخر بقبيلته فيقول :

إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً
تخر له الجبابر ساجديننا ؟!

وكما يفخر الشاعر بقبيلته ، فالقبيلة أيضاً تفخر بشعرائها وتعزز بهم كفخرها بالزعماء والأبطال — ان اسم يكن أكثر — والقبيلة التي يكثر شعراؤها تكون أكثر فخراً على غيرها من القبائل الأقل في عدد شعرائها ؟!

والشعر كان له وقع السحر في نفس العربي ، سرعان ما يتناقله الناس ، فيحفظونه عن ظهر قلب ، يستعملونه سلاحاً فعالاً لمحاربة الأعداء ، لأنه أشد فتكاً من ضربات السيوف وطعنات الرماح ؟!

وليس أدل على ذلك من أن بيتاً واحداً من الشعر ، جعل إحدى القبائل الكبرى في الجزيرة العربية ، كان بنوها مشهورين بالطول

ما دفعهم الى هذا الا اعجاب بلغة القرآن الكريم ، الذي تحداهم في أخص خصائصهم ، بحيث أنه تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا ؟!

ولا غرو : فالعرب هم الذين جعلوا لفن الكلمة سوقاً ، اسمه : سوق عكاظ قرب مكة ، هذا السوق لا سلعة فيه أثمن من الكلمة ..

يفد الناس اليه من أنحاء الجزيرة العربية رجالاً ونساءً ، ممن يعشقون الكلمة على مختلف ألوانها ، ولهم فيها ذوق رفيع وقدم راسخة ، يستمر ذلك السوق شهراً من كل عام ، تعرض الكلمة فيه سلعة ليست للبيع ، وإنما هي للتقييم .. يتبارى الخطباء والشعراء ، وقضاة يحكمون بين المتبارين بعد الاستماع لهم ، ثم يصدر عن أحكامهم عن دراسة وفهم دقيق .

وينفض السوق بعد أن عرض فيه كل جديد من أساليب الكلمة ، ويعود رواده كل الى الجهة التي وفد منها ، وقد ملأوا أروبتهم من أنفس ما عرض في سوق عكاظ ، يقدمونه هدية ثمينة الى ذويهم !!

قائل هذا البيت المشؤم؟؟ فاعترض
العقلاء منهم على تلك الفكرة
الخاطئة قائلين : لئن قتلتهم الشعراء ،
فسوف يظل شعره أبد الدهر يتردد
على ألسنة الناس .. ولكن الرأي
الصواب هو : أن تذهبوا الى
الشاعر بهدية قيمة تقدمونها اليه ،
وتطلبون منه أن يقول شعرا آخر
يمدحكم به ، فيبادر الناس الى
حفظ الشعر الجديد ، وينسون
القديم ! ؟

وفعلا ذهب وفد من عقلاء
قبيلة بنى عبد المدان الى المدينة
المنورة - يثرب - وقدموا لحسان
ابن ثابت هدية ثمينة ، ورجوه أن
يقول شعرا آخر يمدح به قبيلتهم
انتي آذاها ذاك البيت ؟

فقبل حسان هديتهم ، وقال :
لاغرو لأصلحن ما أفسدته
بشعري .. فقال :

وقد كنا نقول اذا رأينا
لذى علم يعد وذى بيان
كأنك أيها المعطى بيانا
وجسما من بنى عبد المدان
سمع الناس بما نظمه حسان

وضخامة الأجسام .. هذا البيت
جعلهم يتمنون أن لو كانوا أقزاما ،
بعد أن كانوا يفخرون على غيرهم
بأجسامهم طولا وضخامة ! ؟

هذا البيت نظمه حسان بن ثابت
الأنصارى ، شاعر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولكن قبل
الاسلام كما قيل .. وهذا هو
البيت :

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ
جسم البغال وأحلام العصافير
تردد هذا البيت على ألسنة الناس
صغارهم وكبارهم ، في البوادي
والحضر ، بحيث أن كل عربى صار
كلما وقع بصره على أى رجل ضخم
الجسم طويل القامة ، هتف متمثلا
بهذا البيت :

لا بأس بالقوم .. الخ .. ويسمعه
آخر فيشاركه ، وثالث ورابع أيضا
.. فلا يجد ذاك الرجل مفرا من
أن يفر ويتوارى حياء من ضخامة
جسمه وطوله؟؟ لدرجة أن قبيلة بنى
عبد المدان التى اشتهر بنوها
بالطول والضخامة ، فكر بعض
رجالها أن يقتلوا حسان بن ثابت

ويوم حمراء الأسد ، غداة غزوة أحد ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنين أسرى من المشركين ، فكان الشاعر أبو عزة واحدا منهما • فلما مثل بين يدي رسول الله قال : يارسول الله أقتلني • فقال عليه الصلاة والسلام : « لا والله • لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمدا مرتين ، اضرب عنقه يازبير • فاضرب الزبير عنقه • » وقد فعل رسول الله أيضا مثل فعلهم ، فحارب أعداءه بنفسه السلاح الذي حاربوه به ، فقد قال لشاعره حسان بن ثابت : « اهجمهم ومعك روح القدس » يعنى مشركى مكة ، فكان وقع شعر حسان على قريش أشد من طعن الرماح وضرب السيوف ! •

وقد كان العربى لشدة حبه للشعر ، واعتزازه به ، لا ينسى أن يتمثل به فى أفراحه وفى أحزانه ، فى كل أمر من أموره ، حتى عند لقاءه بأعدائه فى ميدان القتال • • فهذا جعفر بن أبى طالب ثانى القادة للجيش فى غزوة مؤتة ، يتمثل

ابن ثابت من الشعر ، ففتناقلوه وحفظوه ، وصاروا يرددونه - صغارهم وكبارهم - فى البوادي والحضر • • فمن ثم صار الناس يستحسنون طول الاجسام بعد أن كانوا يسخرون منها ! وهكذا يتبين لنا أن الشعر كان من أقوى الأسلحة فى محاربة الأعداء عند العرب •

ولا غرو فقد حورب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا السلاح : سلاح الشعر • • لقد كان أبو عزة الجمحى الشاعر ، يحرض مشركى مكة على رسول الله ، وعلى المسلمين بالشعر ، وكان أيضا يشبب بنساء المسلمين مما أوغر عليه صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقد كان رسول الله قد من عليه بالعفو بين أسرى بدر ، بيد أنه اشترط عليه ألا يعود الى التحريض بالشعر ، أو التشبيب بالنساء المسلمات ، لكن أبا عزة منذ أن أطلق سراحه ، لم يتقيد بوعده لرسول الله ، فعاد الى التحريض والتشبيب معا ! •

الأيمان وهو يهتف متمثلاً بأبيات
من الشعر يخاطب بها نفسه التي
ترددت فيقول :

**أقسمت يا نفس لتنزلنـه
لتنزلن أو لتكرهنـه
أن أجلب الناس وشدو الرنه
مالي أراك تكرهين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنـه**

هل أنت ألا نطقة في شـنه ؟
وبعد لقد كان للشعر دولة ،
وذلك حينما كان القوم يعنون
بلغتهم ، أما الآن فقد ذهبت دولة
الشعر ، لأن القوم أهملوا لغتهم ،
فصاروا أجهل الناس بها / لاسيما
بالشعر / وصدق فيهم قول الشاعر
العربي ينعى على القوم جهلهم
باللغة وبالشعر فيقول :

**زوامل للأشعار لا علم عندهم
بجيدها الا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا
بأوثاقه أرواح ما في الفرائر !!
وبعد : فهل من صحوه واعية
تعيد للغة العربية مكانتها في نفوس
بنينا ؟! أرجو وأتمنى •**

محمد عايش عبيد

بالشعر وهو يرى الموت قاب
قوسين أو أدنى منه ، فقد قتل
قبله بلحظات زيد بن حارثة القائد
الأول ، أمام جحافل الروم ••
وهاهو ذا قد جاء دوره ليحمل
الراية ، فأخذها وهتف قائلاً بعد
أن عقر جواده ، وهو أول من عقر
في الاسلام كما قيل ، فقال :

**يا حبذا الجنة واقترباها
طيبية وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
على أن لاقيتها ضرابها**

ثم هجم على الأعداء بقلب
مملوء إيماناً •• فقتل بعد أن أبلى
بلاء الصابرين الأبطال •

ثم تقدم بعده عبد الله
ابن رواحة الأنصاري ، ثالث
القادة ، وكان قد رأى صاحبيه :
زيداً وجعفرًا قد قتلًا ، اذن فهو
مقتول لا محالة ، فشعر في أعماقه
بشيء من التردد أمام هذا الموقف
الرهيب ، ولا غرو فهو اللقاء
بالموت ، فماذا فعل ؟! لم يطع
نفسه في تردها ، بل أقدم بقوة

التعزير

بين الفقه الإسلامى والفقه الوضعى

للأستاذ عبد العليم شداد

التعزير في اللغة

أصل التعزير مأخوذ من العزر ، بمعنى الرد والردع والمنع واللوم والأدب والعقاب والتعظيم ، فيقال عزره يعزره عزرا : رده وردعه ولامه ، وعاتبه ، وعظمه ، فهو من أسماء الاضداد ، ومنه قوله تعالى : (فالذين آمنوا وعزروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) وقوله تعالى : « وتعزروه وتوقروه » ومعنى هذا : تنصروه وتعظموه (١) .

وفي الاصطلاح عقوبة مشروعة غير مقدرة على كل ذنب لم تضع له الشريعة عقوبة محددة . فولى الأمر مفوض شرعا بمعاقبة المذنب في جميع أنواع الجرائم والأعمال المنوعة من غير موجبات الحدود والقصاص بأى نوع من أنواع العقوبات ، وبأى مقدار لا يقيد في ذلك الا بقيد العدالة ، ومراعاة المصلحة المعتبرة شرعا (٢) .

(مبدأ المشروعية والنصوص ووقائع في الشريعة الإسلامية في الواردة فيه)
الكتاب والسنة وعمل الصحابة تدل
لقد وردت نصوص وشواهد دلالة واضحة على شرعية التعزير .

(١) القصاص والحدود في الفقه الإسلامى دكتور فكرى عكاز ص ٧٦

(٢) المرجع السابق ص ٩٧ .

الكتاب الكريم :

فاقتلوه) وفي رواية أخرى :
(ستكون هنات وهنات فمن أراد أن
يفرق أمر هذه الامة وهى جميع
فاضربوه بالسيف كائنا ما كان) *
الهنات الفتن *

وعن ديلم الحميرى قال : «سألت
رسول الله عليه السلام فقلت
يا رسول الله انا بأرض نعالج بها
عملا شديدا وأنا نتخذ شرابا من
القمح نتقوى به على أعمالنا ، وعلى
برد بلادنا : قال : وهل يسكر ؟
قلت نعم قال : فاجتنبوه * قلت :
ان الناس غير تاركيه * قال : فان
لم يتركوه فاقتلوههم » (٢) *

وقد جاءت أخبار كثيرة عن
الرسول في التعزيز بالعقوبات المالية
ذكر ذلك بن القيم في كتابه :
(الطرق الحكيمة في السياسة
الشرعية) واليك طرفا منها : فقد
ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه
قال : (سلب الذى يسطاد فى حرم
المدينة لمن وجده) ومثل : أمره عليه
السلام (بكسر الدنان لشارب

قوله تعالى : (فعضوهن
واهجروهن فى المضاجع واضربوهن
فان أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا)
فأنت ترى أمره سبحانه وتعالى
بضرب الزوجات تأديبا وتهذيبا
لهن (١) *

السنة النبوية :

قال عليه السلام : « لا ترفع
عصاك عن أهلك » وروى أنه عليه
السلام : (عزز رجلا قال لغيره
يا مخنث) وروى عنه أنه قال :
(رحم الله امرأ علق سوطه حيث
يراه أهله) وقوله : (واضربوهن
على تركها لعشر) وروى عنه أنه :
(حبس رجلا بالتهمة) وروى عنه
عليه السلام مرفوعا وموقوفًا
أنه قال : (ان حد الساحر ضربة
السيف) رواه الترمذى *

وروى عن رسول الله صلى
عليه وسلم أنه قال : (من أتاكم
وأمركم جميع على رجل واحد يريد
أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم

(١) المرجع السابق ص ٩٧ ، ٩٨ *

(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٣٦٢١٣٥ طبعة الشعب *

الاجتماع :

لقد أجمع على جوازه الصحابة
ومن بعدهم الى يومنا هذا ،
ولم يوجد من أنكر مشروعيته (٢) .

العقل :

ان الزجر عن الافعال السيئة
وارتكاب الجرائم الموبقات واجب ،
وذلك لكى لا تصير ملكات وعادات
يتعود الناس عليها ، وتصبح عادة
مألوفة فيفحش ويستدرج الى ماهو
أقبح منها وأفحش ، ويضطرب أمن
المجتمع ويختل نظامه ، وتصبح
الحياة غير مطابقة ، لذا كان التعزيز
ضروريا .

لدفع هذه الجرائم وازالتها من
المجتمع الانسانى ، حتى تصير
الحياة رخاء ويعم الأمن
والسكينة ، ويأمن الناس على
أرواحهم وأعراضهم وأموالهم .

التعزيز عقوبة تفويضية :

سلكت الشريعة الاسلامية فى
اقامة الحدود حفاظا على أمن

الخمير وشق ظروفها) ومثل : هدمه
(مسجد الضرار) ومثل : تحريق
مال الغال . ومثل : أمره لعبد الله
ابن عمرو باحراق التوبين
المعصفرين . ومثل : أمره يوم خيبر
بكسر القدور لطبخهم فيها لحوم
الحمر الانسية ، ثم بعد ذلك أباحها
لهم بغسلها واستعمالها ، ومثل
أمره للابن خاتم الذهب بطرحه ،
فطرحه على الارض ، فلم يتعرض
له أحد ومثل : قطعه نخل اليهود
اغاظه لهم (١) .

أما عمل الصحابة :

فقد روى عن عمر رضى الله
عنه أنه حرق المكان الذى يباع
فيه الخمر ، وكذلك تحريق عمر
قصر سعد بن أبى وقاص لما
احتجب فيه عن الرعية ، ومن هذا
القبيل أورد الامام ابن القيم طرفا
كبيرا عن التعزيز بالعقوبات المالية ،
ورد على الذين يمنعون بأنهم
لاسند لهم من كتاب ولا سنة ولا
اجماع ولا عقل .

(١) الطرق الحكيمة لابن القيم ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٢) فتح القدير ص ٢١٢ .

الاسلام بأن الشريعة الاسلامية
حية متطورة مع المجتمعات
الاسلامية الانسانية ، وكيف لا :
وقد قال الحق سبحانه وتعالى :
« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا » الى آخر النصوص المتعددة
اندالة على خصوبة الشريعة
الاسلامية وملاءمتها لروح
المجتمعات الانسانية ، وكيف لا !!
والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق
الخلق ويعلم مستقبل ما ينفع
خلقه وعبيده .

وأني أرجو من اساتذة القانون
كما هرعوا الى الفقه الغربي ،
وبحثوا ودرسوا ونقبوا فيه ، أن
يهرعوا الى شريعتهم ، والى الفقه
الاسلامي ، لينقبوا ويبحثوا فيه
فسـيجدوا بغيتهم ومأربهم
وظلبتهم وضالتهم المنشودة .

من هو ولي الامر المفوض في قانون
التعزير ؟

ولى الامر الذي تمنحه الشريعة
الاسلامية هذا الحق ، ليس هو

المجتمع وسعادته وأمنه وهنائه
مسلكين : —

المسلك الاول :

عقوبة محددة ومقدرة معينة لا
دخل لحاكم فيها ولا مشرع وهى :
عقوبات الحدود والقصاص .

المسلك الثاني :

عقوبة تفويضية : وهى عقوبة
التعزير ، فهذه العقوبة متروكة
أمرها للحاكم وولى الامر والقاضى ،
يوقع منها ما يراه راجعا حسب
ظروف الجريمة ، وحال المجرم
والزمان والمكان ، وذلك تخفيفا
وتشديدا حسب المصلحة العامة
للمجتمع الانسانى (١) .

ومعنى التفويض : أى تركها :
وترك تنقيدها ووضع نصوص لها
الى ولى الامر .

أو هو : اعطاء الشريعة الاسلامية
للكـاكم أن يسن من الاحكام
والقوانين والقواعد والنصوص ما
يتـلاءم مع ظروف المجتمع
الاسلامى ، فكأن التعزير اشارة
طبية .. ولفت نظر لعلماء وفقهاء

(١) سلام مذكور بتصريف (المدخل للفقه الاسلامى) .

من يخلع عليه طائفته أو اقليمه أو نفر من الناس لقب : (الامام) بل هو الحاكم الذى يعرف فى صدر الاسلام بلقب الخليفة ، والذى حدد الكتاب والسنة مركزه فى الامة وهدفه فى الجماعة (١) .

العقوبات التعزيرية :

ان العقوبات التعزيرية كثيرة متنوعة منها : العقوبات التى تصيب البدن ، وأهمها : الاعدام والجلد . ومنها : العقوبات المقيدة للحرية ، وأهمها : الحبس والنفى ، ومنها : العقوبات المالية . وغير ذلك من العقوبات .

الاعدام :

قد أقرته الشريعة عقوبة تعزيرية ، كما أقرته كذلك عقوبة للقصاص ، فعند الأحناف يجوز الاعدام تعزيرا فى الجرائم التى شرع القتل فى جنسها اذا تكرر ارتكابها .

وعند المالكية والحنابلة يجوز الاعدام تعزيرا فى بعض الجرائم ،

كجريمة التجسس للعدو على المسلمين والدعاية الى البدعة ، لافساده فى الارض . والوقوف بجريمة الاعدام عند بعض جرائم الحدود والعقاب لا يتمشى مع أغراض الشارع مع فريضة العقاب ، ولا يتفق مع المنطق والعقل ، فهناك جرائم تمس أمن المجتمع وكيانه وحياته ، وأمن الدولة وسلامتها ، فأى عقوبة توقع على هذه الجريمة ان لم يكن التعزيز . !!

القانون المصرى :

وفى القانون المصرى تعتبر عقوبة الاعدام عقوبة تعزيرية فى غير الاحوال التى تقررت فيها للقتل العمد أو للحرابة ، لأنها فى حالة القتل العمد تعتبر قصاصا ، وفى أحوال الحرابة تعتبر حدا .

وهذه الاحوال الآتية هى التى أجاز فيها القانون الحكم بالاعدام: أولا : بعض الجنايات المضرة بأمن الدولة من جهة الخارج . المادة

(١) شلنوت (عقيدة وشريعة) ص ٢٦٦ .

٧٧ وما بعدها وهى : ١ - اتيان
فعل يؤدي الى المساس باستقلال
البلد • (مادة ٧٧) •
٢ - الالتحاق بالقوات المسلحة
لدولة فى حالة حرب مع مصر • مادة
٧٧ •

ثانيا : بعض الجنايات المضرة
بأمن الدولة من جهة الداخل طبقا
للمادة ٨٦ وما بعدها وهى :

٣ - التخابر مع دولة أجنبية
بأعمال عدائية ضد مصر مادة ٧٧ •
٤ - التخابر مع دولة أجنبية
لمعاونتها فى عملياتها الحربية ، أو
الاضرار بالعمليات الحربية المصرية
مادة ٧٧ ج •

١ - الاعتداء على رئيس
الجمهورية أو على حريته • (٨٦) •
٢ - فى جريمة الشروع بالقوة
فى قلب دستور الدولة أو شكل
الحكومة اذا وقعت من عصابة
مسلحة ، يعاقب بالاعدام من ألف
العصابة ، أو تولى زعامتها أو
قيادتها • ٨٧ •

٥ - التدخل لمصلحة العدو
لإضعاف روح القوات المسلحة ، أو
روح الشعب المعنوية • مادة ٧٨ •
٦ - تحريض الجند على
الانخراط فى خدمة أى دولة أجنبية
أو تسهيل ذلك لهم • مادة ٧٨ •

٣ - من ألف عصابة هاجمت
طائفة من السكان ، أو قاومت
بالأسلحة رجال السلطة العامة فى
تنفيذ القوانين ٨٩ •

٧ - تسهيل دخول العدو فى
البلاد • مادة ٧٨ •

٤ - من تولى لغرض اجرامى
قيادة فرقة من القوات المسلحة
بغير تكليف من الحكومة ، أو سبب
مشروع ، أو استمر رغم الامر
الصادر من الحكومة فى قيادة
عسكرية بعد صدور أمر الحكومة
بتسريحها •

٨ - اتلاف الاسلحة أو المؤن
أو وسائل المواصلات فى زمن
الحرب • مادة ٧٨ •

٥ - كل من قلد نفسه رئاسة

٩ - محاولة احتلال شئ من
المباني المخصصة للمصالح
الحكومية ، أو المرافق العامة ، أو

٣٣ من القانون ١٦٢ لسنة ١٩٦٠ م •
وعقوبة الاعدام في جميع هذه
الاحوال ليست قصاصا ، لانها
لا تقابل قتل انسان عمدا ، وانما
هى عقوبة تعزيزية، ولنا أن نعتبرها
حدا في الحالات التى تعتبر الجرائم
المقررة لها تلك العقوبة من جرائم
الحرابة في كل مرة يصدق على
الجريمة أنها سعى في الارض
بالفساد ، تكون عقوبة الاعدام
المقررة لها من الحدود ، بشرط أن
تتوفر للعقوبة بحل شرائط
الحدود (١) •

الجلد :

الجلد عقوبة مشروعة في بعض
جرائم الحدود ، فهى في الزنى
والقذف مشروعة بالكتاب ، لقوله
تعالى : (الزانية والزانى فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة) •
مشروعيته في التعزير :

فالجلد : تعزير مشروع بالقرآن
والسنة والاجماع •
أما القرآن فقوله تعالى :
(واللاتى يخافون نשוوزهن)

عصبة حاملة للسلاح ، بقصد
اغتصاب الاموال المملوكة للحكومة
أو لجماعة من الناس •
ثالثا : القتل العمد في الاحوال
الآتية :

١ - جنائية تعريض وسائل
النقل العام للخطر ، أو
تعطيل سيرها • عمدا اذا
نشأ عنها الموت (١٦٧ ، ١٦٨)
والعقوبة في هذه الحالة الاعدام أو
الأشغال الشاقة المؤبدة •
٢ - الحريق العمد اذا نشأ عنه
الموت •

٣ - شهادة الزور التى يترتب
عليها الحكم على متهم بالاعدام اذا
نفذت العقوبة • مادة ٢٩٥ •
٤ - جنائية تصدير أو جلب
مخدرات أو انتاجها ، اذا كان قد
سبق الحكم على المتهم في احدى
هذه الجرائم ، أو جريمة مخدرات
مما نصت عنه المادة (٣٤) • أو اذا
كان المتهم من الموظفين المنوط بهم
مكافحة المواد المخدرة ، أو لهم بها
اتصال من أى نوع كان • المادة •

فعضوهم واهجروهم في المضاجع

واضربوهم) •

أما السنة :

فقول الرسول صلى الله عليه

وسلم : « لا يجلد أحد فوق عشرة

أسواط إلا في حد من حدود الله » •

الاجماع :

اتفق الاجماع على ذلك ، سار

الخلفاء الراشدين على ذلك •

بعض الامثلة على الجلد تعزيرا

قضاء عمر بالجلد على من زور

كتابا لبیت المال ، ووقع عليه ببصمة

خاتم اصطنعه على نقش خاتم بيت

المال ، وقدمه لامين بيت المال

فأخذ منه مالا • وفي هذه القضية

بالمفهوم العصري الحديث تزوير

واستعمال الأوراق المزورة •

ومنها : وطء الرجل أمة زوجته

زنا ووطء الجارية المشتركة ، وكل

ما كان سببه الوطء كوطء جاريته

المزوجة ، أو جارية ولده أو جارية

أحد أبويه ، والمحرمة بالرضاع ،

أو الميتة • فقد ورد أن كل هؤلاء

يعزرون بمائة جلدة •

وكذلك الحال في السرقة • فقد

قيل بالجلد عقوبة في كل سرقة

لا حد فيها : كأن يسرق من غير

حرز •

وكذلك من الجرائم التي قيل

فيها بالضرب : افساد الاخلاق

والجاسوسية ، (١) وذلك مع

العقوبات الاخرى •

هذا عن الجرائم • أما عن

الاشخاص فقد قال الفقهاء :

بالضرب عقوبة لمن لا يردعهم عدا

الضرب من شرار الناس وأسافلهم ،

وممن مردوا على الاجرام واعتادوه

ولهم في ذلك تقسيمات للناس ،

وبيان للعقاب اللازم لكل قسم ،

يقسمون الناس الى مراتب أربع :

١ - أشرف الاشراف •

٢ - والاشراف •

٣ - والاوساط •

٤ - والسفلة •

ولا يقولون بالتعزير بالضرب الا

بالنسبة للقسم الاخير ، وهو أدنى

الناس (٢) •

(١) التعزير د . عبد العزيز عامر .

(٢) التعزير في الشريعة الاسلامية - دكتور عبد العزيز عامر .

الجلد في التشريع المصرى :

لم يأخذ المشرع المصرى فى التشريع العقابى بالجلد ، وانما أقرها فى حالتين :

١ - فى قانون الاحكام العسكرية حيث ينص البند (١٧٠) على جزاءات توقع على الجنود • ومنها : العقاب البدنى بما لا يزيد على خمسين جلدة : وقد نص ذلك القانون على (الذنوب) التى يطبق فيها الجزاء البدنى فى بنود عديدة •

٢ - فى السجون : حيث تنص

المادة ٦١ من لائحة السجون على العقوبات التأديبية التى توقع على المسجون لسوء السلوك ، أو فى مخالفة النظام • ومن هذه العقوبات : جلد المسجون الذى لا يجوز أن يزيد على ٣٦ جلدة • لمسجونى الليمانات ، ولا على ٢٤ جلدة لمسجونى السجون ، ولا يجوز أن يزيد على ١٢ جلدة لمن لم يبلغ سن سبع عشرة سنة •

وهناك حقائق وحسنات ، يجب أن تذكر لعقوبة الجلد وميزتها بين أنواع العقوبات وهى كالآتى :

- ١ - أنها تخفيف الجناة •
 - ٢ - وانها يمكن أن تكون ذات حدين •
 - ٣ - وأن تطبيقها لا يثقل كاهل الدولة •
 - ٤ - وأنه يظهر فيها مبدأ شخصية العقوبة ، لانها تلحق المحكوم عليه فقط ، ولا تلحق غيره ممن يتصلون به •
 - ٥ - وانها لا تؤدى الى تعطيل الأيدى العاملة ، فلا يقف دولا ب العمل •
 - ٦ - وانها تحمى من نشر الحبس عند اختيار عقوبة الحبس ، لأنه يعرض المحكوم عليهم للعدوى الخلقية من مخالطة المجرمين •
- ولقد دافع عن عقوبة الجلد الدكتور : (القللى) عميد كلية حقوق القاهرة فقال : (ان عقوبة الجلد بلا مراء أقوى وأنجح وسيلة لردع بعض الطوائف المجرمة ، الذين لا يردعهم العقوبة المقيدة للحرية (١)) •
- ولقد نادى الدكتور « محمد نجيب الملاح » فى رسالته عن

(١) من الفقه الجنائى المقارن ص ٧٨ موافى •

الحبس أو السجن ويقصدون بالكل نفس المعنى •

مشروعيته :

اختلف الفقهاء في الحبس ومشروعيته ، فقال قوم : ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر لم يكن لهما سجن ولم يسجنا أحدا •

وقال آخرون : بمشروعية الحبس ، وساقوا على ذلك حججا كثيرة منها :

ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بالحبس ، فقد ورد أنه سجن بالمدينة أناسا في تهمة دم ، وأنه حبس رجلا في تهمة ، ساعة من نهار ثم أخلى سبيله ، وثبت عن عمر أنه حبس الحطيئة على هجوه ، وأن عثمان سجن صابئ بن الحارث ، وكان من لصوص بنى تميم وفتاكهم حتى مات في السجن ، وأن عليا سجن بالكوفة ، وروى : أنه بنى سجنا من قصب ، وسماه نافعا ، فنقبته اللصوص ، وبنى آخر من مدر ، وسماه مخبأ ، وكذلك ابن الزبير سجن بمكة :

واحتجوا على مشروعية السجن بقوله تعالى : « فأمسكوهن في البيوت الآية » •

الادمان في المخدرات يعقوبة الجلد واعطاء القاضي تلك السلطة •

ولقد اقترح كذلك مكتب المخدرات في تقرير عام ١٩٣١ م قائلا في هذا الصدد : « ان الالم البدني أنجح في العلاج من السجن » •

عقوبة الحبس :

أما الحبس في الشرع : فقد قال ابن القيم : أن المقصود بالحبس الشرعي ليس الحبس في مكان ضيق ، ولكنه تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه ، سواء كان ذلك : في بيت ، أم في مسجد ، أم في غيرهما • وان هذا كان هو الحبس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، فلم يكن هناك محبس معد لحبس الخصوم ، ولكن لما انتشرت الرعية واتسعت رقعة البلاد الاسلامية في أيام عمر ، اشترى دارا لصفوان بن امية بأربعة آلاف درهم ، وجعلها حبسا والسجن معناه : الحبس ، لذلك يطلق الفقهاء كلا منهما بمعنى الآخر ، ويطلقون كذلك كلمة الحبس أو المحبس أو السجن ، على المكان الذي تنفذ فيه عقوبة

والشرط فيه : أن يكون كافيا لجزر الجاني ، جاء في كشف القناع : أن من وجب عليه التعزير يعزر بما يردعه ، لأن القصد من التعزير هو الردع والجزر .

وجاء في شرح الكنز للزيلعي في صدد الكلام عن حبس المدين : أن ما جاء من تقدير مدة الحبس بشهرين أو ثلاثة أو أقل أو أكثر اتفقى وليس يتحتم تقديرا ، وأن ليس للحبس مدة مقدرة ، ويترك الأمر فيه للقاضي ، وأن ذلك يختلف باختلاف الشخص والزمان والمكان والمال ، وأنه مفوض الى رأى الامام ، ويختلف باختلاف الجريمة والمجرم ، وقيل في نهاية المحتاج : أن مدة الحبس للأحرار لا تصل الى سنة .

ومن الأقوال المختلفة للفقهاء : أن الحبس المقدر ليس له حد أقصى ، فهو مفوض الى الامام أو القاضي بما يراه مفيدا للجزر وناجعاه .
ما يقابل هذا النوع في القانون المصرى :

يقابل الحبس المحدد المدة في الشريعة الاسلامية في القانون

والحبس مشروع بالكتاب والسنة والاجماع .

١ - أما الكتاب فقولہ تعالى : (أو ينفعوا من الأرض) وقالوا : ان المقصود بالنفى في آية المحاربة: هو الحبس .

٢ - وأما السنة : فلأن الرسول حبس :

٣ - وأما الاجماع : فلأن الصحابة ومن بعدهم أجموا عليه ، وقد انعقد الاجماع على أن الحبس يصلح عقوبة في التعزير ، ووضعه الفقهاء بين العقوبات التعزيرية .

نوعا الحبس :

والحبس في الشريعة الاسلامية نوعان :

١ - محدد المدة .

٢ - غير محدد المدة .

١ - الحبس محدد المدة :

ليس للحبس مدة محدودة ومقدرة ، سواء في حده الأدنى أو في حده الأقصى ، وهو يختلف باختلاف ظروف كل مجرم ، وباختلاف ظروف كل جريمة وكذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة :

وعلاماتها •

ما يقابل الصورتين في القانون المصري :

يقابل الصورة الأولى : الأشغال الشاقة المؤبدة في القانون المادة ١٤ ، اذا الغى منها التشغيل الشاق ، ويقابل الصورة الثانية ما ينادى به الآن فلاسفة علم العقاب ، من ضرورة عدم تحديد مدة الحبس ، وترك التحديد للسلطة التي لها الافراج •

التعزير بأخذ المال :

اختلف الفقهاء في مشروعية التعزير بأخذ المال ، فمنهم من يجيزه ، ومنهم من يمنعه :

فأبو حنيفة يمنعه ولا يجيزه • وأبو يوسف قال : بالجواز • وأما الشافعية ، فقالوا بالجواز مع شيء من التفصيل • وكذلك الحنابلة : ولقد ذكرها ابن القيم في كتابه : « الطرق الحكيمة » •

والتعزير بأخذ المال يكون بصورتين : الصورة الأولى : التمليك :

المصري عقوبتي الحبس والسجن والأشغال الشاقة المؤقتة اذا الغى منها التشغيل الشاق ، والحد الأدنى للحبس : ٢٤ ساعة ، وحده الأقصى ثلاث سنين •

والسجن : حده الأدنى ثلاث سنين ، وحده الأقصى خمس عشرة سنة •

والأشغال الشاقة المؤقتة : وحدها الأدنى ثلاث سنوات ، وحدها الأقصى خمس عشرة سنة ، على ما هو مذكور في مراجعه •

٢ - الحبس غير محدد المدة :

ويأخذ هذا النوع صورتين :

١ - الصورة الاولى : الحبس حتى الموت •

٢ - الصورة الثانية : الحبس حتى التوبة أو الموت •

مثال الاول : حبس سيدنا عثمان الصابى بن الحارث ، وكان ممن لصوص بنى تميم وفتاكهم ، حتى مات في السجن •

ومثال الصورة الثانية : قول أبى حذيفة : يحبس الشخص العائد للمسقة للمرة الثانية حتى يتوب ، ويكون بظهور أماراتها ودلائلها

الحكم بأحدهما فقط ، وقد يلزمه بالجمع بينهما ، وفي أحوال كثيرة تقرر بمفردها ، وقد حدد الشرع حدها الأدنى بخمسة قروش .

المادة ٢٢

ولم يبين لها حدا أقصى بصفة عامة إلا في المخالفات ، وهو : مائة قرش المادة ١٢ عقوبات • وان كان قد بين بصفة خاصة الحد الاقصى في كل حال على حدة •

وفي بعض الأحوال ينص القانون على حد أدنى بغرامة تزيد على الخمسة قروش •

الصورة الثانية : الاتلاف :

مثل اتلاف المنكرات من الأعيان : كالأصنام ، والخمر وأوعيتها ، واللبن المخلوط بالماء للبيع ، والصكوك المزيفة • وليس اتلاف المحل متعينا في جميع الحالات ، بل يجوز التصديق بالشئ اذا لم يكن بالشئ ضرر لمن يتناوله أو يستعمله ، كاللبن المخلوط بالماء ، والطعام المغشوش غير الفاسد • ويرى الدكتور عبد العزيز عامر ابقاء الشئ وأخذه على ملك الدولة وضمه اليها •

ومثاله قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن سرق من التمر المعلق قبل أن يؤخذ الى الجرين بجلدات نكال وغرم ما أخذ مرتين • وفيمن سرق من الماشية قبل أن تؤدي الى المراح بجلدات نكال وغرم ذلك مرتين •

ما يقابل هذه الصورة في التشريع المصرى :

تقابل هذه الصورة عقوبة الغرامة في التشريع المصرى • المادة ٢٢ •

بقولها : العقوبة بالغرامة هي : الزام المحكوم عليه بأن يدفع الى خزينة الحكومة المبلغ المعتمد في الحكم •

وهي في القانون العقوبة أصلية عادة ، بمعنى : أنها تكون الجزاء الأصل المقرر للجريمة ، وقد تكون تكميلية في بعض الاحيان • أى بالاضافة الى العقوبة الأصلية •

ويقررها القانون عادة في الجامع والمخالفات ، وقد يترك للقاضي حرية الاختيار بينها وبين الحبس ، أو حرية الجمع بينهما أو

ويقابل الصورة الثانية من التشريع المصرى « المصادرة » •

ولقد نصت عليها المادة ٣٠ بقولها : (يجوز للقاضي اذا حكم بعقوبة لجناية أو لجنحة أن يحكم بمصادرة الأشياء المضبوطة التي تحصلت من الجريمة ، وكذلك الأسلحة والآلات المضبوطة التي استعملت ، أو التي من شأنها أن تستعمل فيها ، وهذا كله بدون اخلال بحقوق الغير الحسن النية ، واذا كانت الأشياء المذكورة من التي تعد صنعها أو استعمالها أو حيازتها أو بيعها أو عرضها للبيع جريمة وجب الحكم بالمصادرة في جميع الاحوال ، ولو لم تكن تلك الأشياء ملكا للمتهم •

التوبيخ :

جأهلية « وقصة العبد مع عبد الرحمن بن عوف : فقد خاصم العبد عبد الرحمن بن عوف ، فغضب عبد الرحمن ، فسب العبد وقال له : يا ابن السوداء فغضب الرسول وقال : « ليس لابن بيضاء على ابن سوداء سلطان الا بالحق » فخلع عبد الرحمن بن عوف واستخذى ، ووضع خده على التراب ثم قال (١) للعبد : طأ عليه حتى ترضى •

والمقابلة في التشريع المصرى :

وأخذ التشريع المصرى بعقوبة التوبيخ في المخالفات فقط ، بالنسبة للأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين سبع سنين واثنى عشرة سنة (المادة ٦٥) •

العزل :

وهو حرمان الشخص من وظيفته ، قال ابن تيمية : ان التعزير قد يكون بالعزل من ولاية وان النبى عليه السلام وأصحابه كانوا يعزلون تعزيرا •

استدل الفقهاء على مشروعيته بالسنة فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبا ذر سب رجلا فعيه بأمه ، فقال الرسول : « أعيرته بأمه ، انك امرؤ فيك

ما يقابل العزل في التشريع المصرى :

عرفت (المادة ٢٦) العزل هو : الحرمان من الوظيفة نفسها ، ومن المرتبات المقررة له) * . واعتبر عقوبة تبعية كما جاء بالمادة ٢٥ لكل حكم بعقوبة جنائية بمعنى أن المتهم اذا حكم عليه بعقوبة جنائية : (أشغال شاقة مؤبدة أو مؤقتة أو السجن) وكان موظفاً فإنه يعزل من وظيفته دون حاجة الى النص على ذلك في الحكم ، كما اعتبره في (المادة ٢٧) عقوبة تكميلية : ينص عليها بالحكم اذا ارتكب الموظف جنائية مما نص عليها في الباب : الثالث والرابع والخامس والسادس عشر من الكتاب الثانى من العقوبات : (الرشوة واختلاس الأموال ، والاكراه ، وسوء معاملة الناس ،

والتزوير) وعومل بالرأفة فحكم عليه بالحبس ، فإنه يحكم عليه أيضاً بالعزل لمدة لا تتقص عن ضعف مدة الحبس المحكوم بها عليه ، وهذه الجرائم التى اختارها المشرع للحكم بعقوبة العزل شبيهة الى حد كبير بما أورد ابن تيمية فى كتابه « السياسة الشرعية » ومثل أمثلة للجرائم التى يحاكم فيها بالعزل ، ومنها : ولادة أموال بيت المال اذا خانوا وهى تساوى (اختلاس الأموال الأميرية) ومن يقبل الهدية بسبب العمل وهى تساوى (الرشوة) وولى الأمر الذى يقبل الرشوة أو الهدية ، وهى (الرشوة) بذاتها ، ومن يعتدى على رعيته ، وهى تساوى (الاكراه وسوء معاملة الناس) (٢) * والله الموفق .

عبد العليم شداد

أخطاء شائعة

لمؤلفه عباس أبراهيم

- ٥٦١ ويقولون : شاركه التجارة ،
وشاركه الميراث ونحو ذلك ، وكل
هذا ضلال بعيد ، لأنهم جعلوا
الفعل متعديا بنفسه الى مفعولين ،
وهو لا يتعدى بنفسه الا الى
مفعول به واحد ، فيقال : شاركه
في التجارة ، وشاركه في الميراث ،
ويؤيد هذا الرأي قوله تعالى
« وشاركهم في الأموال والأولاد »
ومثل هذا الفعل في التعدى الى
مفعول واحد فعلان : أحدهما :
الثلاثى تقول : شركة في البيع
يشركه من باب تعب شركا وشركة
وزان كلم وكلمة بفتح فكسر فيهما
اذا صار له شريكا ، ثم خفف
المصدر بكسر الشين وسكون الراء ،
واستعمال المخفف أغلب ، فيقال :
شرك وشركة كما يقال كلم وكلمة
- والاسم الشرك بالكسر ، جمعه
أشراك ككثير وأشباه .
والفعل الآخر : المزيذ بالهمزة ،
تقول : أشرك فلان أخاه فى كل
أمره ، ومن هذا قوله تعالى
« أشد به أذى ، وأشركه فى
أمرى » أى اجعله شريكى فى الأمر .
وجمع الشريك شركاء ،
وأشراك ، كشرىف وشرفاء
وأشراف ، والمرأة شريكة وهن
سراىك وهناك أشرك متعدد أيضا
الى مفعول واحد ، بيد أنه لمعنى
آخر ، تقول : أشرك فلان نعله اذا
جعل لها شرارا بالكسر كشرىكها
تشرىكا ، والشراك هو سىرها الذى
يكون على ظهر القدم ، جمعه شرك
بضمين ككتب تقول : أصلحوا
شرك نعالكم .

قولك : شهدنا ملاك فلان أى تزوجه أو عقد زواجه ، كما يقال شهدنا املاكه ، وهو التملك كما فى قولك ليس لفلان ملاك أى لا يستطيع أن يملك أى يملك نفسه .

ويقال هذا المنزل ملك بميم مثله ، وملكه بميم مفتوحة ، والاملاك التزويج ، تقول أملكنا فلانا فلانة أى زوجناه اياها ، وهو أيضا التطلق تقول : أملكك المرأة أمرها بالبناء للمفعول اذا طلقت والملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبنة ، تقول : لفلان ملكوت العراق أى له ملكه وعزه ، وهو ملكك بزنة عدل ، وملك بزنة كتحف ، ومالك ، وتقول : علاه أبو مالك أى الكبر والشيخوخة ، قال :

أبا مالك ان الغوانى هجرتنى
أبا مالك انى أظنك دانيا
ويقال : فلان حسن الملكة
بالتحريك أى حسن التصنيع الى مماليكه ، وفى الحديث لا يدخل

وهناك أيضا أشرك غير متعد
لمعنى آخر ، تقول أشرك الملحد بالله أى كفر وجعل لله شريكا فهو مشرك ومنه قوله سبحانه « ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم » وهم مشركون ومنه قوله تعالى « انما المشركون نجس » وهى مشركة وهن مشركات ومنه قوله « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ويقال : رجل مشرك بصيغة اسم المفعول اذا كان يحدث نفسه كالموسوس والمهموم ، وطريق مشترك أيضا ، والأصل مشترك فيه ، ومنه الأجير المشترك وهو الذى لا يخص أحدا بعمله بل يعمل لكل من يقصده للعمل .

٥٦٢ ويقولون : فلان ملاك بالفتح
يعنون أنه متسم بكرم الأخلاق ، وهذا خطأ محض ، لأن للملاك معانى عدة لا صلة لأى منها بالمعنى الذى أرادوه ، فهو قوام الأمر الذى يملك به ، اذ يقال : القلب ملاك الجسد بفتح اليم وكسرها ، وهو اسم من ملكته الشئ تمليكا ، وهو التزوج أو العقد كما فى

ذووضنى وهن ذوات ضنى •
والصواب أن يقال على سبيل
التشبيهه البليغ : أنت روحى ،
أو قلبى ، أو كبدى أو انسان
عينى ونحو ذلك •

وهذه المرأة لو قالت : أنت
ضنوى بفتح الضاد وكسرهما لكان
قولها سليما لأن المعنى حينئذ
يكون : أنت وكدى •

٥٦٤ ويقولون : تستعمل النظارة
فى رؤيا الأشياء الصغيرة ، وفى هذا
التعبير غلطتان احدهما كلمة
النظارة ، والصواب أن يستبدل
بها كلمة المنظار اسم آلة من النظر
كالمفتاح فهو اسم آلة من الفتح ،
والمنشمار اسم آلة من النشر ،
وللمنظار معنى آخر هو المرأة ،
تقول رأيت خيالى فى المنظار ،
وأنشد الفراء •

خود (٢) مهفهفه (٣) كأن جبينها
تحت الرصارص (٤) صفحة المنظار

الجنة سىء الملكة والملك^(١) بالتحريك
من الملائكة واحد وجمع ، ويقال
ملائكة وملائك بدون هاء •

٥٦٣ وتقول المرأة لابنها : أنت
ضناى وتناديه فتقول : يا ضناى ،
وهى بهذا تعنى أنها تحبه حبا ملك
غليها لبها ، ومس شغاف قلبها •

وهذا غير سليم ، لأن الضنى
معناه المرض الشديد ، تقول :
ضنى فلان من باب تعب يضنى
ضنى اذا مرض مرضا مزامرا
كلما ظن أنه برىء نكس فهو ضن
على النقص ، وامرأة ضنية
وزان فرحة •

ويقال : تركته ضنى ، وضنيا
أى مريضا ، وأضناه أى أثقله فهو
مضنى بصيغة اسم المفعول ،
وفلان بين سفر ينضيه ومرض
يضميه •

ويجوز الوصف بالمصدر فيقال:
هو وهى وهم وهن ضنى ، والأصل
هو ذووضنى وهى ذات ضنى ، وهم

(١) — من الجمع قوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفا صفا » أى
بحسب منازلهم ومرانيهم •

(٢) — الخود : الحسنه الشابة أو الناعمة •

(٣) — المهفهفه : ضامرة البطن •

(٤) — الرصارص براقع صغار تلبسها الجارية •

بمعنييه أمور ، والحق أن الأمر قد يكون بمعنى الحال كما في قوله تعالى : « وما أمر فرعون برشيد » وهذا جمعه أمور ومنه قوله سبحانه : « والى الله عاقبة الأمور » وقد يكون بمعنى الطلب أى ضد النهى كما في قوله تعالى « قال استجدينى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا » وهذا جمعه أوامر ، ومن الأئمة من يقول في تأويله ان الأمر مأمور به ثم حول المفعول الى فاعل كما قيل أمر عارف بمعنى معروف ، وببيت عامر بمعنى معمر ، وعيشة راضية بمعنى مرضية وكما قيل في عكس ذلك مستور بمعنى ساتر في قوله تعالى « فاذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا » أى حجابا ساترا .

ثم جمع فاعل على فواعل ككاهل وكواهل ، وصاهل وصواهل ، وشاهق وشواهق ، فأوامر جمع أمر الذى هو فى الحقيقة مأمور كما قلنا ذلك سابقا .

واذا أمرت من هذا الفعل ولم

أما النظارة فهم القوم ينظرون الى سماء ، واحدهم ناظر كما رأى صاحب المصباح ، ورأى صاحب المختار أن الرجالة واحدهم راجل وهو خلاف الفارس ، ويجمع الراجل أيضا على رجال كما في قوله سبحانه فان خفتم فرجالا أو ركبانا » ويجوز أن يكون واحد النظارة نظارا قياسا على ما قال صاحب الأساس : ان السيارة واحدهم سيار ، وقول أهل اللغة : ان الجمالة وهم أصحاب الجمال واحدهم جمال ، والحمارة وهم أصحاب الحمير واحدهم حمار والبغالة وهم أصحاب البغال واحدهم بغال .

والغلطة الأخرى كلمة رؤيا ، والصواب أن يستبدل بها كلمة رؤية بالهاء لأن الرؤية هى الابصار بالعين تقول : رأيت الشئ رؤية اذا أبصرته بعينك ، جمعها رؤى ، كمدية ومدى .

أما الرؤيا فلا تكون الا فى النوم كما فى قوله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » ٥٦٥ ويقولون فى جمع الأمر

تعالى « **ولا تنازعوا فتفشلوا** » •
ومن الثلاثي يقال لمن أشبه
أخواله أو أعمامه : نزعهم
ونزعوه ، أو نزع اليهم كما في قول
الفرزدق :

أشبهت أمك يا جرير فانها
نزعتك والأم اللئيمة تنزع
ونزع فلان الشيء من مكانه من
باب ضرب قلعه ومنه قوله تعالى :
« **تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء** » ونزع فلان من باب
تعب نزعا اذا انحسر الشعر عن
جانبى جبهته فهو أنزع ، وهى
زعاء ولا يقال للأنثى نزعاء من
لفظه •

٥٦٧ ويقولون لواحدة الذباب
ذبانة بكسر الذال وتشديد الباء
وزيادة نون قبل الهاء والعامية
يستبدلون بالذال دالا فيقولون
دبانه •

والصواب أن يقال لها ذبانه
بضم الذال وتشديد الباء ، أو يقال
لها ذبابة والجمع ذباب بالضم ،
ويجمع الذباب فى القلة على
أذبة ، وفى الكثرة على ذبان

يتقدمه حرف عطف حذفتم الهمزة
على غير قياس وقلت مره بكذا ،
ومنه قوله تعالى : « **وامرأهك
بالصلاة** » والامر بكسر الهمزة
معناه معناه العجيب ومنه قوله
سبحانه « **لقد جئت شيئا امرا** » •
٥٦٦ ويقولون : اشتد المرض على
فلان فأخذ ينزاع نزاعا مؤلما ،
وهذا خطأ والصواب أن يقال :
فأخذ ينزع من باب ضرب نزعا أى
أشرف على الموت ، وقولهم فلان
فى النزاع معناه فى قلع الحياة ،
أو يقال : فأخذ يئن أنينا ، أو أخذ
يتوجع توجعا أو أخذ يتأوه تأوها
ونحو ذلك •

أما النزاع بالكسر فله معنيان
أحدهما الخصومة والمجادبة
كما فى قولك : نازعت فلانا منازعة
ونزاعا اذا جاذبته فى الخصومة •
والآخر الاشتياق كما فى قولك :
نازعت النفس الى كذا نزاعا بكسر
النون ، ونزوعا بضمها أيضا اذا
اشتاقت اليه •

ويقال : بين فلان وجاره نزاعة
بفتح النون أى خصومة فى حق ،
والتنازع التخاصم ، ومنه قوله

بالكسر كما يقال في جمع غراب
أغربة وغريان •

ويقال أرض مذبة بثلاث فتحات
أو مذبوبة إذا كانت كثيرة الذباب ،
والمذب بـ كسر الميم وفتح الذال
ما يذب به الذباب اسم آلة •

وللذباب معان كثيرة زيادة على
المعنى المعروف ، فهو انسان
العين ، نقول : فلان أعز على من
ذباب العين ، وهو من السيف حده
الذى يضرب به ، تقول ضربه
بذباب سيفه وكذلك هو من الأذن
ما حد من طرفها ، وهو الشر ،
تقول : أصابنى ذباب شر ماذى
وللذبابة أيضا معنى آخر غير
معناها المعروف فهى بقية الشيء
وجمعها ذبابات ، تقول : فلان
ذبابه من دين من ذبابات أى بقايا ،
وبه ذبابه من جوع ، أو من
عطش ، تقول : ما تركت فى الاناء
صباية وفى من العطش ذبة •

وتقول : ذبب النهار اذا مضى
ولم يبق منه الا ذبابة •

ويقال ذب فلان عن حريمه من
باب نصر ذبا اذا حماه ودافع عنه
قال الطرماح :

٥٦٨ وينكرون أن يقول القائل :
صديقى يقبل عنى ما أقدم اليه من
آراء ، ويصرون على أنه يجب أن
يقال يقبل منى كذا ، مستأنسين
بقوله تعالى : « ومن يتبع غير
الاسلام ديننا فلن يقبل منه » •
والحق أن التعبير الذى أنكروه
سليم لا غبار عليه •

وبيان ذلك أن الحرفين من وعن
يترادفان : فعن تأتى مرادفة من
كما فى قوله تعالى : « وهو الذى
يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن
السيئات » أى منهم •

كما تأتى من مرادفة عن فى قوله
سبحانه : « فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله » أى عن ذكر الله
وقوله : « يا ويلنا قد كنا فى غفلة
من هذا » أى عن هذا •

وكذلك تأتى عن مرادفة الباء
لما فى قوله جل شأنه « وما ينطق
عن الهوى » أى بالهوى وتأتى
مرادفة بعد كما فى قوله « عما قليل
ليصبحن نادمين » أى بعد قليل ،

علمه تعليماً فهو عتيد أى حاضر مهياً •

٥٧٠ ويقولون لقوس الله : قوس قزح ، وقزح وزان صرد خطوط من صفر وخضرة وحمرة ، وهذا غير سليم •

والفصحى كما فى مراجع اللغة — أن يقال له : قسطان ، قسطانى وقسطانية بضمهم ، وبتشديد الياء فى الآخريين •

وقال علماء اللغة : والعامة تقول قوس قزح ، وقد نهى أن يقال • وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : لا تقولوا قوس قزح ، فان قزح اسم شيطان ، ولكن قولوا قوس الله •

وقال الديميرى فى المسائل المنثورة : قولهم قوس قزح بالحاء خطأ ، والصواب أن يقال قوس قزح بالعين وبالتحريك ، لأن القزح هو السحاب المتفرق واحده قزعة بالهاء تقول فى التشبيه : كأنهم قزح السحاب تعنى أنهم متفرقون ومختلفون فى ألوانهم وأشكالهم ، قال ذو الرمة :

وقوله : « يحرفون الكلم عن مواضعه » أى بعد مواضعه بدليل قوله فى مكان آخر « يحرفون الكلم من بعد مواضعه » وقوله « للتركيب طبقاً عن طبق » أى حالة بعد حالة وتأتى من مرادفة فى كما فى قوله سبحانه « اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة » أى فى يوم الجمعة •

٥٦٩ وينكرون أن يقول القائل :

أعدت الرجل لضيافته مأدبة شائقة بها كل ما لذ وطاب من طعام وشراب ، يعنى هيأها لهم تهيئة طيبة تملؤهم غبطة وسرورا ويصرون على أنه كان يجب عليه أن يقول : أعد الرجل مأدبة •

والحق أن التعبير الذى أنكره سليم لاخطأ فيه ولا غبار عليه فقد ورد فى التنزيل قوله تعالى : « وأعدت لهم متكاً » وقوله : « وأعدنا لها رزقا كريماً » •

وهذا الفعل (عتد) يتعدى بالهمزة فيقال : أعتده اعتاداً وزان أخرجه اخراجاً اذا أعدده وهياه ، ويتعدى بالتضعيف أيضاً لهذا المعنى فيقال : عتده تعتيذا وزان

ترى عصب (١) القطا (٢) هملا (٣) عليه

(البيعان) وهو المتسرع الى الشر ، وفي الحديث « ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار » •

وروى أنه لما كثر شرب الخمر في عهد عمر رضى الله عنه ، جمع الصحابة وقال : انى أرى الناس قد تتابعوا في شرب الخمر واستهانوا بحدّها •

٥٧٢ ويقولون : لقد وصينا الوزير على فلان ، وهذا كتاب موسى عليه ، والفصيح أن يقال : وصينا الوزير بفلان ، وهذا كتاب موسى به ، لأن هذا الفعل لا تستعمل معه الا الباء سواء أكان رباعيا مضعفا كما ذكرنا ، وكما في قوله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه » وقوله « ذلكم وصاكم به » أم كان رباعيا مهموزا كما في قولك لغيرك : « أوصيك بتقوى الله » وقوله

كأن رعاله (٤) قزع الجهام (٥) وقيل قزح جبل بالمزدلفة ، واسم ملك موكل بالسحاب ، أو اسم ملك من ملوك العجم أضيفت قوس الى أحدهما •

٥٧١ ويقولون : تتابعت النوائب على فلان فيخطئون ، والصواب أن يقال : تتابعت النوائب بالياء بدلا من الباء ، وذلك لأن المتتابع يكون في الصلاح والخير •

أما المتتابع فمختص بالشر والمنكر ، تقول : فلان يتتابع في الأمور اذا رمى نفسه فيها من غير تثبت ، وتتابع الناس في الشر اذا تهافتوا فيه •

والأتيع هو المتتابع في الحمق ، والتيعان بتشديد الياء وزان

١ — العصب بضم ففتح جمع عصبه وهى الجماعة من العشرين الى الاربعين •

٢ — القطا : نوع من الطير واحده قطاة ، وتجمع القطاه ايضا على تطوان وربما قالوا قطبات •

٣ — هملا : مهملة •

٤ — الرعال : جمع رعلة وهى النخلة الطويلة •

٥ — الجهام السحاب لا ماء فيه •

هذا الشاعر رقيق الوجدان بكسر
الواو ، ووجه الكلام أن يوصف
الشاعر بأنه رقيق الاحساس
أو رقيق العاطفة ، صادق
الشعور ، واسع الخيال ، صافي
القريحة ، بارع التصوير ، قوى
التأثير في النفوس *

أما الوجدان فهو مصدر لقولك :
وجد فلان ضالته يجدها وجدانا ،
ووجد عليه بكسر الجيم في
الغضب موجدة ووجدانا ، ومن هذا
قول صخر النعي :

كلانا رد صاحبه بيأس
وتأنيب ووجدان شديد
وقد يستعمل الوجدان بكسر
الواو في الوجد بضمها ، ومنه قول
العرب : وجدان الرقين (١) يغطى
أفن الأفين (٢) أى أن اليسار
يغطى ما يبدو على صاحبه من
ضعف في عقله *

عباس أبو السعود

جل شأنه « وأوصانى بالصلاة
والزكاة مادمت حيا » وقوله « من
يعدو صية يوصى بها أو دين » ويقال :
تواصوا بالصدق ، ومن هذا قوله
تعالى : « وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالرحمة » *

٥٧٣ ويقولون : صار المريض في
زمن (النقاها) وهذا المصدر عامى
لا وجود له في العربية والصواب
أن يقال : نقه المريض نقهما من
باب طرب ، ونقوها أيضا بالضم
إذا برىء وصح ولكن فيه ضعف
وأثر من المرض ، فهو نقه كطرب
وتعب وضجر ويقال أيضا نقه ينقه
من باب نفع فهو ناقه ، جمعه نقه
كراكع وركع قالوا : لفلان في كل
عام مرضة ونقمة بالفتح في كل
منهما لأنه اسم مرة ومن هذا قول
عمران بن حطان :

أفى كل عام مرضة ثم نقمة
وتنعى ولا تنعى فكم ذا الى متى؟
٥٧٤ وهم يخطئون حين يقولون:

١ — الرقين : الدرهم
٢ — الافين منزوف العقل ، وكذلك هو من يتمدح بما ليس عنده تقول :
في عقل فلان أفن أى ضعف من أفنت الناقة اذا استنزف الحالب لبنها .

وفاء لإمامهم

للدكتور كمال جعفر

قيلت في رثاء فضيلة الامام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر وألقيت في ٢٦/١٠/١٩٧٨ بالسودان .

أين راحت - حمامة الاسلام -
واحة الانس ، راحة الايام
كيف ولي الهديل ساحر الراح
ن ونابت نوائح الآلام
كيف تاه الدليل في سائر الركب
وزلت ثوابت الأقدام
فيم هذا الذبول يا ربة الروض
وفيم الذهول في الاحلام ؟
رقرق الدمع في المآثي حبيسا
والبرايا ضنينة بالكلام
مادها ، الصبغت يا حبيبة قولى ؟
ما عراهم بجنة في الزحام
فاجأ الخطب يا حبيبة قومي
ورماهم من قهره بالسهام
أطفأ الموت بالديار سراجا
وكساها بحالك الاقتسام
غاب عبد الحليم عن أفق الناس
وخلى جموعهم في الظلام
وبكاه الشيوخ من كل فج
ورثته شبيبة الاسلام
كان جم التقى ، نقى الطوايا
واسع العلم حاسم حكام
مطلق الكف في سبيل المعالى
هادىء الطبع في لجاج الخصام
مشرق الروح في خضم المآسى
رابط الجأش في مور العظام
باسم الثغر لا يفيل رضاه
جاهل القوم ومرذول الطغام
ظل يذكى على المطامع حربا
ويؤاخى زهادة بالسلام
بات سفيان يرتضيه خيلا
وسمات البصرى تحكى امامى
لاتراعى حمامتى ان قومي
أوفياء بعهدده والذمام

لئن يكلوا ولن تخور قواهم
 بل سيمضون في مضاء الحسام
 لا تقولى تهدم الصرح حتى
 عاد فيها بقية من ركام
 لا تقولى قد غاض نبع الأمانى
 واستبد الردى بختم الكرام
 ان ربى عطاؤه لا يبارى
 لن يزال المفيض بالاعلام
 فاذا خر في النضال شهيد
 سبقتة اللطاف بالانعام
 دين ربى يصونه من عواد
 من غلاظ القلوب والافهام
 ويمد الجنود تلو الجنود
 في طريق الهدى بخير الانام
 رحمة الله ما لها من نفاد
 وهى تمضى بعناية الاحكام
 أرتجيبها لشيخنا فى ثراه
 ومقام يحف بالاكرام
 قادة الدين لا أراكم وقوفا
 ويفوز الغريب بالاقدام
 ان دين الاله يطلب بذلا
 بعميم النفيس ، والاعلام
 بنقاء الضمير من أجل ربى
 وسراح الحظوظ والاقسام
 فى دياجى الحياة كونوا هداة

ومن الأمجاد بوءوا بالسنام
 لا تذلل الصعاب الا لقوم
 واصلوا العزم بموفور الوثام
 وأعدوا بدينهم خير زاد
 لصراع الحياة والايام
 وأحالوا النصوص نبضا قويا
 ليريحوا النفوس من أسقام
 انما الدين طاقة وحياة
 فى حماها معاقل الابرام
 أم درمان لاعدمت رجالا
 هم مناط العلا ونيل المرام
 منك كان الوفاء (بمحمود) سعى
 يذكر الفضل سابغا للامام
 من بنى (مصر) للفقيده التباع
 (وبسودان) لاذع الآلام
 هز وقع المصاب فيها قلوبا
 جاوبتها مواطن الاسلام
 أيها (النيل) كم حملت لمصر
 من سدان شقيق نسام
 كم تدانت حناجر الحب حتى
 أطربتتا بساخر نغام
 رب سد خطاهما فى كفاح
 وتعهد فيهما درب السلام

الدكتور / كمال جعفر

دُعَاءُ الْفَجْرِ

لِلأستاذ محمد الضمراني أبو العلا

نامت الأعين إلا أعيننا
تتشد الصفح وترجو الفرجا
قلت ادعوني دعونا فاستجب
نفذ الصبر فهات المخرجا
كيف الوصول ؟
قلت كيف الوصول والليل داج
وظلام النفوس كالليل حالك
وطعام الانام يحتضن الش
ر ويرمى بشره في المسالك
وعراك الحياة يوردنا الصع
ب ويلقى بمثلنا في المعارك
أنصد الجهول بالعفو دوما
فنرى الحتف والخنا والمهالك
قال هذى الحياة يياصاح- دنيا
وسمو السمو يوم القيامة
مزج القبح بالجمال وصارت

قيم الناس لا تساوى قلامه
فعظيم الرجال أغزر مالا
وفقير الرجال دون الكرامه
وأخو العلم فى سمو وطهر
عابه اللص واستخف مقامه
ثم ماذا ؟
فخذ بالعلم والمعالى سبيلا
ودع الخصم فى ضلال وغى
وأنشد الخير للبرايا جميعا
وابذل النصح عن ضمير نقى
وكن النخلة السخية تعطى
أطيب التمر للصبى الشقى
وأحمد الله أن حبأك فؤادا
ورث العلم عن أحب نبى

محمد الضمراني أبو العلا

حكم .. وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« من أصبح وليس همه إلا الله »

إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده : تحمل الله سبحانه حوائجه كلها وحمل عنه كل ما أهمه ، وفرغ قلبه لمحبتة ، ولسانه لذكره ، وجوارحه لطاعته ، وان أصبح وأمسى والدنيا همه ، حمله الله همومها وأنكادها ، ووكله الى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم ، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم ، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره ، كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره ، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بلى بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته قال تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » •

« شكاية صريحة »

قدم أمير المؤمنين — المنصور — حاجا ، فكان يخرج للطواف ليلا وبينما هو يطوف اذ برجل يقول : اللهم انى أشكو اليك ظهور البغي والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع •

فاستدعاه — المنصور — وسأله ، ما هذا الذى تقول ؟ لقد حشوت مسامعى بما أمرضنى وأقلقنى •

فأجابه الرجل ، انما عنيتك بقولى ، وقصدتك ، لا سواك •

قال المنصور : وكيف يدخلني الطمع ؟ والصفراء والبيضاء في يدي ، والحلو والحامض في قبضتي ؟ !!

قال الرجل : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين ؟ ان الله تعالى — استرعاك أمور المسلمين وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا ، واتخذت لك أعوانا ووزراء ظلمة آثمين ، ان نسيت لم يذكروك ، وان ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم رعيتك ، وابتزاز أموالهم فلما رأتك حاشيتك هذه قد استخلصت أفرادها لنفسك ، وآثرتهم على أمتك ، قالوا : هذا قد خان الله فلماذا لا نخونه ؟ فأتهمروا على ألا يصل اليك شيء من أخبار الناس ، الا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا الا أقصوه ، حتى امتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وأنت تنتظر ولا تنكر ، وترى ولا تغير ، فماذا تقول اذا انتزع الملك الحق المبين الدنيا من يدك ، ودعاك الى الحساب ؟ هل يغنى عنك عنده شيء مما كنت فيه ؟ فبكي المنصور حتى نحب ، ثم زهد وتنسك واستبدل بحاشيته الأئمة الأعلام المرشدين فصلحت بهم الرعية ، واستقامت أمورهم •

« رأس المال »

سرق رجل جملا ، وذهب ليبيعه في السوق ، فسرقت منه ، فلما عاد قيل له بكم بيعت جملك ؟ قال برأس المال •

« خير صاحب »

قال ابن المقفع : اني مخبرك عن صاحب لي ، كان أعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما أعظمه في عيني ، صغر الدنيا في عينه ، كان خارجا من سلطان بطنه ، فلا يشتهي ما لا يجد ، ولا يكثر اذا وجد ، وكان خارجا من سلطان لسانه ، فلا يقول ما لا يعلمه ، ولا ينازع فيما يعلمه ، وكان خارجا من سلطان الجهالة ، فلا يقدم أبدا الا على ثقة بمنفعة ، كان

أكثر دهره صامتا فاذا نطق بز الناطقين كان يرى متضاعفا مستضعفا ، فاذا جاء الجد كان كالليث عاديا ، وكان لا يدخل في دعوى ، ولا يشترك في مرء ولا يدلى بحجة ، حتى يرى قاضيا عادلا ، وشهودا عدولا ، وكان لا يلوم أحدا على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره ، وكان لا يشكو وجعا الا لمن يرجو عنده البرء ، وكان لا يستشير صاحباً الا من يرجو عنده النصيحة ، وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته ، فعليك بهذه الأخلاق ما استطعت ولن تستطيع ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع •

« دعه »

لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، خرج ليلة للحراسة فدخل المسجد ، وبينما هو يجوسه في خلال الظلام ، عثرت رجله برجل نائم ، فرفع الرجل نصف رأسه ، وقال لعمر : أمجنون أنت ؟ !!
قال عمر : لا •

فهم به حارسه ، فقال له عمر : صه ودعه ، انما سألتني أمجنون أنت ؟

فقلت له لا !!

« فيك طبع الدواب »

مر بعض الملوك بسقراط الحكيم وهو نائم ، فركضه برجله وقال : قم ، فقام غير مرتاع منه ، ولا ملتف اليه فقال له الملك : أما تعرفني ؟
قال : لا ، ولكن أرى فيك طبع الدواب ، فهي تركض بأرجلها ، فغضب •

وقال : أتقول لى هذا وأنت عبدى •

قال له سقراط : بل أنت عبد عبدى ، •

قال : وكيف ذلك ؟

قال : لأن شهوتك قد ملكتك ، وأنا ملكت شهوتي •
 قال : أنا الملك ابن السادة ، أملك من البلاد كذا ، ومن الأموال
 كذا ، ومن الرجال كذا !!

فقال له سقراط : أراك تفخر على بما ليس من نفسك ، وانما
 سبيلك أن تفخر على بنفسك ، ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعا ثوبا
 من ماء هذا النهر ، ونتكلم اذ يتبين الفاضل من المفضول •
 فانصرف الملك خجلا •

« غظة شعرية »

مر عابد براهب في صومعة • فقال له : عظمي ، قال : أعظمك ، وعليكم
 نزل القرآن ، ونبيكم محمد قريب العهد بكم ؟ !
 قال العابد : نعم •
 قال : فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبي العتاهية •
 تجرد من الدنيا فانك انما
 وقعت الى الدنيا وأنت مجرد

« أربع آيات فيهن غنى وغناء »

عن المعلی بن زياد الفردوسی : أن عامر بن عبد القيس العنبري
 كان يقول : أربع آيات من كتاب الله اذا قرأتهن مساء لم أبال على
 ما أمسى ، واذا تلوتهن صباحا لم أبال على ما أصبح •
 « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا
 يرسل له من بعده » •

« وأن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده » •

« وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها » •

« سيجعل الله بعد عسر يسرا » •

« فائدة العصا »

لقى الحجاج أعرابيا فقال : ما بيدك ؟
قال : هي عصاى أركزها لصلاتي ، وأعدها لعداتي وأسوق بها
دابتي وأقوى بها على سفرى ، وأعتمد عليها فى مشيتى ليتسع خطوى ،
وأعبر بها النهر ، وتبعدنى العثر ، وألقى عليها كسائى فيقيني الحر ،
ويجنبنى القر وتدننى لى ما بعد ، وهى محل سفرتى وعلاقة أدواتى أقرع
بها الأبواب ، وألقى بها عقور الكلاب ، وتتوب عن الرمح فى الطعان ،
وعن السيف عند منازل الأقران ورثتها عن أبى ، وسأورثها ابنى من
بعدى ، وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى ..

« ثلاث خصال »

قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — :
ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان :
• حلم يردبه جهم الجاهل
• وورع يحجزه عن المحارم
• وخلق يدارى به الناس •

« تضرع بعد صلاة العيد »

وقف عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — بعد صلاة
العيد ، فقال : اللهم ، انك قلت — وقولك الحق — « ان رحمة الله قريب
من المحسنين » فان كنت من المحسنين فارحمنى ، وان لم أكن من
المحسنين فقد قلت : « وكان بالمؤمنين رحيمًا » فارحمنى !! وان لم أكن
من المؤمنين فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة فاغفرلى •
وان لم أكن مستحقا لشيء من ذلك ، فأنا صاحب مصيبة وقد قلت :
« الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » اللهم فارحمنى •

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفَتَاوى

الإمام عبد الحميد بن صالح

سؤال « من غير هاء التانيث في آخره هذه لغة العرب الفصيحة المعروفة ، يقولون : صمنا ثلاثا وصمنا خمسا ، وصمنا عشرة ، بحذف الهاء وان كان المراد مذكرا وهو الأيام .. فما لم يصرحوا بذكر الأيام يحذفون الهاء جوازا ، لأن اسم العدد اذا لم يذكر مميزه يجوز فيه الوجهان : حذف الهاء وإثباتها ، فاذا ذكروا المعدود المذكر أثبتوا الهاء فقالوا : صمنا ستة أيام وعشرة أيام وهكذا ... ومما جاء مثله في القرآن العظيم : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » (١) والمراد عشرة

س : ما حكم صوم ستة أيام من شوال ؟ وكيف يتم صومها ؟
ج : جاء في كتاب « الصيام — فضائله وأحكامه » لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح القاضى :
يندب صوم ستة من شوال لما روى أبو أيوب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر » رواه مسلم ، ورواه أبو داود بلفظ « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر » .
وقوله صلى الله عليه وسلم : « ستا من شوال أو بست من

(١) آية ٢٢٤ من سورة البقرة .

ولا ينعقد صومه •

فان لم يجعلها متتابعة بل فرقها أو آخرها عن اليوم الثانى من شوال جاز وكان فاعلا لأصل هذه السنة ، لعموم الحديث واطلاقه ، وهذا مذهب الامامين الشافعى وأحمد •

وذهب أبو حنيفة ومالك الى كراهة صومها •

قال مالك فى الموطأ : وصوم ستة أيام من شوال لم أر أحدا من أهل العلم والفقه يصومها ، ولم يبلغنى ذلك عن أحد من السلف ، وإن أهل العلم كانوا يكرهون ذلك ويخافون بدعته • وأن يلحق أهل الجفاء والجهالة برمضان ما ليس منه لو رأوا فى ذلك رخصة عند أهل العلم ، ورأوهم يعملون ذلك انتهى من الموطأ •

وحجة الشافعى وأحمد الحديث السابق ، ولا معارض له من الأحاديث مطلقا ، وأما قول مالك : لم أر أحدا يصومها فليس

أيام بلياليها ، ولا تنقضى العدة حتى تغرب الشمس من اليوم العاشر •

ومثله قوله تعالى : « يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرة » (١) أى عشرة أيام بدليل قوله تعالى : « اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما » (٢) •

قال أهل اللغة فى تعليل هذا الباب : وانما كان كذلك لتغليب الليالى على الايام ، وذلك لان أول الشهر الليالى : فلما كانت الليالى هى الأوائل غلبت لأن الأوائل أقوى ، ومن هذا قول العرب : خرجنا لىالى الفتنة وخفت لىالى امارة الحجاج ، والمراد الايام بلياليها •

ويؤخذ من الحديث استحباب صوم ستة أيام من شوال ، ويستحب صومها متتابعة فى أول شوال ، بأن يبدأ فى صومها فى اليوم التالى من أيام عيد الفطر ، لأن صوم اليوم الاول منه حرام ،

(١) آية ١٠٣ من سورة طه

(٢) ١٠٤ من سورة طه

وفي هذا المقام يحدثنا الامام ابن القيم في كتابه زاد المعاد فيقول : وكان من هديه صلى الله عليه وسلم كراهة تخصيص يوم الجمعة بالصوم — فعلا منه وقولا •

فصح نهى النبي عن افراده بالصوم من حديث جابر بن عبد الله وأبى هريرة وجويرية بنت الحارث وعبد الله بن مسعود ، وجنادة الأزدي وغيرهم •

وشرب يوم الجمعة وهو على المنبر يريهم أنه لا يصوم يوم الجمعة • ذكره الامام أحمد ، وعلل المنع من صومه بأنه يوم عيد، فروى الامام أحمد من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم الا أن تصوموا قبله أو بعده » •

فان قيل يوم العيد لا يصام مع ما قبله ولا ما بعده • قيل لما كان

حجة في الكراهة ، لأن السنة ثبتت في ذلك ، وعدم رؤيته من يصومها لا يعارض السنة •

قال علماء الشافعية : وتحصل السنة بصوم الايام المذكورة عن قضاء رمضان ، أو عن نذر ويفوت وقتها بفوات شوال ولكن يسن قضاؤها •

وعلى بعض العلماء تشبيه صوم الايام الستة بصوم الدهر فقال : لأن الحسنة بعشر أمثالها ف رمضان بعشرة أشهر ، وست من شوال بشهرين •

س : سأل طالب جامعي متدين : كنت أصوم يوم الجمعة نظرا لأنه يوم اجازة • ولكن البعض نصحنى بعدم صيامه • فأرجو توضيح ذلك وبيان وجه الحق فيه ؟

ج : الأصل في مشروعية العبادات هو النقل من كتاب أو سنة « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (١) » والاتباع فيها خير من الابتداع •

ابن الحسن ومالك بن أنس لا يكره
افراد يوم الجمعة وهم محجوجون
بالأحاديث الصحيحة الواردة
بالنهي عن صومه وحده •

س : هل في القرآن ما يدل أو
يشير الى أن الانسان يصل الى
القمر ؟

ج : يجيب عن هذا السؤال
الامام الأكبر الشيخ محمود
شلتوت رحمه الله في كتابه
الفتاوى تحت عنوان : من شئون
العقل البشرى :

الجواب أنه يكفيننا في مثل هذا ،
أن القرآن الكريم ليس فيه ما يدل
على عدم امكان الوصول الى القمر
وهو من الشئون التي تركها
القرآن للعقل البشرى عن طريق
تفكيره فيما أودع الله في خلقه من
أسرار وسنن ، وعن طريق أن الله
سخر لنا ما في الأرض جميعا • كما
سخر لنا الشمس والقمر ، والليل
والنهار ، ومهد لنا طرق المعرفة لما
يحيط بنا من عجائب الله في
ملكوته •

وليس بلازم — ومهمة القرآن

يوم الجمعة مثبها بالعيد أخذ من
شبهه النهى عن تحرى صيامه
فاذا صام ما قبله أو مابعده لم يكن
قد تحرّاه • وكان حكمه حكم صوم
الشهر ، أو العشر منه ، أو صوم
يوم وفطر يوم ، أو صوم يوم
عرفة أو عاشوراء • اذا وافق يوم
جمعة : فانه لا يكره في شيء من
ذلك •

فان قيل فما تصنعون بحديث
عبد الله بن مسعود قال :
« ما رأيته رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفطر في يوم الجمعة »
رواه أهل السنة • قيل نقبله ان
كان صحيحا ويتعين حملة على
صومه مع ما قبله أو بعده ، ونرده
ان لم يصح فانه من الغرائب •
قال الترمذى : هذا حديث
غريب • أ هـ

وعلى هذا فيكره تحريما أو
تنزيها افراد يوم الجمعة بالصيام
الا في الحالات المذكورة سابقا
وينبغى لمن أراد صيامه أن يصوم
يوما قبله أو يوما بعده •

هذا وقد قال أبو حنيفة ومحمد

هداية وارشاد - أن يصرح
القرآن أو يشير الى هذه
المخترعات البشرية أو الى غاية
ما تصل اليه .

وليس من رأيي تحميل آيات
القرآن هذه الاشارات ، وانما
نأخذ القرآن بمعنى آياته الذى
تعطيه ، بحسب سوقها ، وبحسب
اللغة التى نزل بها وهى لغة العرب
وكم من مخترعات جدت وليس فى
القرآن ما يشير اليها .

من القرآن بإمكان الوصول الى
القمر أو بعده ٠٠٠ أ . هـ
هكذا وقد فسر العلماء لفظ
« الكتاب » فى قوله تعالى :

« ما فرطنا فى الكتاب من
شئ » (١) أن المراد به هو اللوح
المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى
فى العالم من الجليل والدقيق لم
يهمل فيه أمر حيوان أو جماد .

أو القرآن فانه قد دون فيه
ما يحتاج اليه من أمر الدين
مفصلا أو مجملا .

والله وأعلم

عبد الحميد شاهين

نعم القرآن أمر بالنظر فى
ملكوت السموات والأرض وتعرف
سنن الله فى كونه والانتفاع بها .
وهذا على عمومه لا يعطى حكما

من أنباء العالم الإسلامى

اعداد الاستاذ فهمى عبد الله سيد على

المسلمون فى أمريكا لهم ٣ مشاكل : تعليم الأولاد ، زواج البنات ، التليفزيون (١) •

أكبر الهيئات الإسلامية فى أمريكا وأكثرها نشاطا هو (اتحاد الطلاب المسلمين) ومقره مدينة (انديا) التى تتوسط هذه البلاد الفسيحة ، وله زهاء ثلاثمائة فرع فى أنحاء الولايات المتحدة مما يدل على أن المسلمين قد انتشروا خلال السنوات الأخيرة فى جميع أرجائها •

أنشأ هذا الاتحاد منذ عدة سنوات الدكتور عثمان أحمد استاذ مصرى فى علم الطبيعة •• وهو رجل ممتلىء حماسة وثقة •• وتفاؤلا بأن المسلمين فى أمريكا يستطيعون أن يحافظوا على

ورغم أن هذه المنظمة تسمى اتحاد الطلاب الا أن نصف أعضائها تقريبا قد انتهوا من دراستهم ، وصاروا مهندسين

(١) من مقال للاستاذ عبد الحميد الكاتب فى يوميات الاخبار
١٩٨٠/٦/٢١ •

الصحة الإسلامية - اقتصاديات
العالم الإسلامي - التنمية
الصناعية والنمو الاقتصادي -
القوانين والدساتير - الحكومات
والسياسة في الدول الإسلامية
- الحياة الاجتماعية والتربية -
عظماء الإسلام المعاصرين -
السياسة والمحاربين من أجل الحرية
وترى سفارة جمهورية مصر
العربية - في اسلام اباد -
ضرورة الاسهام في هذا العمل
لابراز دور مصر القيادي على مر
التاريخ الإسلامي ، وكذا ابراز
دور الأزهر الهام في تعميق
العقيدة الإسلامية •

« مركز اسلامى متعدد النشاط

لخدمة ١٧٠٠ مسلم في فنلندا » •

بعيدا هناك في أقصى شمال
الدنيا في فنلندا يعيش حوالى
١٧٠٠ مسلم من بينهم ١٢٠٠ من
أصل تتارى عاشوا في هذه البلاد
منذ أزمان طويلة ، واستقروا فيها
بالاضافة الى ٥٠٠ جاءوا من دول
أخرى واستقروا في فنلندا سعيا
وراء الرزق •

على أية حال فان هؤلاء

كيانهم رغم اندماجهم في المجتمع
الامريكى ، بل يستطيعون أن
يصيروا قوة مؤثرة ولها نفوذ فيما
يتصل بأمورهم في أمريكا ، وفي
علاقة أمريكا ببلادهم •

« موسوعات عن العالم الإسلامى »
تقوم الحكومة الباكستانية
بتتظيم احتفالات بمناسبة مرور
١٤ قرنا على الهجرة النبوية
الشريفة ، وأنها بصدد اعداد ثلاث
موسوعات عن العالم الإسلامى
هى :

١ - موسوعة بعنوان : (العالم
الإسلامى اليوم) بالتعاون مع
جميع الدول الإسلامية :

٢ - موسوعة بعنوان
(الإسلام في جنوب آسيا)
بالتعاون مع دول جنوب آسيا •

٣ - أطلس للعالم الإسلامى ،
بالتعاون مع جامعة الكويت •

والموسوعات المقترحة التى
سيدور البحث حولها في موسوعة
(العالم الإسلامى اليوم) هى :

ظهور الإسلام وانتشاره -
التأثير الإسلامى في مختلف أنحاء
العالم - نهضة العالم الإسلامى -

المسلمين يخشى عليهم أن يذوبوا وسط مجتمع أوربى الطباع وله عادات تختلف كثيرا عن عادات المسلمين •

ولكن أيدوب المسلمون كما يذوب جليد هلستكى مع قدوم الصيف !! لقد تحرك البعض وعلى رأسهم المهندس المصرى محمد عبد الحميد سليمان لانشاء مركز اسلامى يكون دوما راعيا للمسلمين ويربطهم بدينهم الحنيف •

وقد بدأ التخطيط لبناء هذا المركز منذ عام ١٩٧٧ م ويستمر العمل لمدة ٨ سنوات ••• وتم تشكيل مجلس للإدارة من ٦ أفراد منهم شخصيات فنلندية مرموقة •

وهكذا المركز لم ينشأ من فراغ ، بل جاء امتدادا للجمعية الاسلامية فى تأميره والتي توقفت عن العمل تقريبا بعد وفاة امام المسلمين بفنلندا حبيب الرحمن شاكر عام ١٩٧٦ م كنتيجة لبعض الظروف غير الملائمة للعمل •

يحدد القائمون على المركز آمالا عريضة فى مستقبل مشرق للأقلية

المسلمة •• يأتى فى مقدمة الآماله بالطبع : رؤية المركز قائما يمارس نشاطه بعد التغلب على العقبات التى تعترض طريق التنفيذ ، وبعد ما تمكن محمد سليمان من ادخال مادة التاريخ الاسلامى فى مناهج كلية الآداب بجامعة تأميره بعد اقناع هيئة التدريس بوجهة نظره ، فانه يسعى لدى المسؤولين عن الاذاعة لبث أذان الصلوات الخمس ، وتلاوة القرآن يوميا فى رمضان •

كل هذه المحاولات لربط المسلمين بدينهم ، واعادتهم الى ممارسة الشعائر والعبادات الاسلامية من جديد ، تهدف الى تجميع المسلمين ، ومقاومة انقراضهم ، ولربطهم بالعالم الاسلامى •

ويتمنى المسلمون هناك الحصول على الدعم اللازم من الهيئات الاسلامية ، كالأزهر ، ووزارة الاوقاف ، لارسال علماء وتخصيص منح دراسية فى الأزهر ، ولتدعيمهم بالكتب اللازمة •

« مجلس الشعب يبحث مشروع قانون لإنشاء أول نقابة لقراء القرآن الكريم » •

« إنشاء أول جمعية للاقتصاد الاسلامى » •

قدم السيد محمد رشوان مشروع قانون جديد بإنشاء نقابة لقراء القرآن الكريم •

وقد وافقت لجنة الاقتراحات والشكاوى بالمجلس على القانون من حيث الشكل ، وأحالته الآن الى لجنة الشئون الدينية لاعداد تقرير عنه يعرض على مجلس الشعب •

ومن ابرز وسائل الحفاظ على القرآن الكريم من خلال هذا القانون يقول السيد محمد رشوان : ان القانون تضمن نصا صريحا بأنه لا يجوز لأحد تلاوة القرآن الكريم ، سواء فى جهة حكومية

فى أول يوليو الماضى تكونت — ولأول مرة — جمعية للاقتصاد الاسلامى برئاسة د • عبد العزيز حجازى نقيب التجاريين ورئيس الوزراء الأسبق ... أعضاء الجمعية من أساتذة الاقتصاد وخبراء البنوك الاسلامية ، ورجال الأعمال وعلماء الشريعة ، وتهدف الجمعية الجديدة الى نشر التراث الاقتصادى الاجتماعى الاسلامى والانسانى ، وتقديم أصول الاقتصاد الاسلامى بلغة العصر •

فهى عبد الله سيد على

كتاب الشهر :

تراثنا في دائرة الضوء
لطائف المئين

تأليف العارف بالله ابن عطاء الله السكندري

تحقيق

الإمام الأكبر المرحوم الدكتور

عبد الرحمن سليم محمود

شيخ الأزهر السابق

عرض وتقديم
الدكتور محمود بن الشريف

يقول عن ذلك ابن عطاء الله
السكندري في مقدمة كتابه
(لطائف المنن) :

« وكان أصحاب الشيخ الامام
القطب أبى الحسن الشاذلى قد
أثبتوا جملا من كلامه ، وان كان
هو — رضى الله عنه — لم يضع
كتابا .. وقد بلغنى أنه قيل له :
لم لاتضع الكتب فى الدلالة على
الله ، وفى نشر علوم القوم
(الصوفية) فقال رضى الله عنه :
كتبى أصحابى .. »

ثم يقول ابن عطاء : « وكذلك
تلميذه شيخنا أبو العباس المرسى
لم يضع فى هذا الشأن كتابا » ..
وفى المقدمة أيضا يتحدث الامام
ابن عطاء الله عن الدافع له على
تأليف هذا الكتاب الجليل فيقول :
« لا أعلم أن أحدا من أصحاب
شيخنا أبى العباس المرسى تصدى
الى جمع كلامه ، وذكر مناقبه ،
وأسرار علومه وغرائبه ، فحدانى
ذلك الى وضع هذا الكتاب بعد
أن استخرت الله تعالى ، وطلبت
منه المعونة وهو خير معين » .. »

للدعاة والهداة أتباع وأشياع •
وللمفكرين وذوى البصائر
حواريون يتتلمذون عليهم ،
ويأخذون منهم ، وينقلون عنهم ،
يسجلون تعاليمهم ويدونون
آراءهم واتجاهاتهم .. »

وللعلماء والأساتذة وأصحاب
المذاهب الفكرية والمدارس
التربوية كتب وتواليف يسطرون
فيها ، ما أفاء الله عليهم من
خواطر وأحاسيس ، وعلوم
ومعارف ، والهامات واشراقات •

لا أن هناك قلة من هؤلاء
الذين وصلوا الى القمة ، وتسمنوا
الذروة فى مجاليتهم ومجالاتهم لم
يحبروا كتابا ولم يخطوا حرفا فى
قرطاس .. يعتقدون مجالس العلم
يتصدرون اللقاءات والندوات ،
ويطلقون الآراء والنظريات ..
ويقوم بمهمة التدوين طلبتهم
وتلاميذهم .. »

من هذه القلة القليلة الامام
العارف بالله أبو الحسن الشاذلى،
وتلميذه الشيخ أبو العباس
المرسى .. »

يقصها في هذا الكتاب فيقول :
 « كنت لأمر الشيخ أبى العباس
 من المنكرين ، وعليه من المعترضين
 لا لشيء سمعته منه ، ولا لشيء
 صح نقله عنه ، ولكن جرت
 المخاضمة بينى وبين أصحابه
 فقلت فيهم قولاً عظيماً .. ثم قلت
 فى نفسى : « دعى أذهب أنظر
 هذا الرجل ، فصاحب الحق له
 أمارات .. لا يخفى شأنه ..
 فأتيت الى مجلسه ، فوجدته يتكلم
 فى الأنفاس ، ومسألة درجات
 السالكين الى الله ، ومدى
 معرفتهم به وقربهم منه ، فقال :
 الأول اسلام : وهو درجة
 الانقياد والطاعة ، والقيام بمراسم
 الشريعة .. وثانيها الايمان : وهو
 مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة
 لوازم العبودية .. وثالثها
 الاحسان : وهو مقام شهود الحق
 تعالى فى القلب ..
 وان شئت قلت : الأول عبادة ،
 والثانى عبودية ، والثالث عبودة ..
 وان شئت قلت : الأول شريعة ،
 والثانى حقيقة ، والثالث تحقق ..
 فما زال يقول : وان شئت

على أن المؤلف نفسه يعترف
 بأنه لم يضمن كتابه كل ما عرف
 عن شيخه أبى العباس المرسى ..
 يذكر ذلك فى المقدمة فيقول :
 « وليس كل شيء سمعته من الشيخ
 رضى الله عنه استحضرت وقت
 وضعى لهذا الكتاب ، ولا كل شيء
 استحضرت يمكن اثباته ..
 وقصدت بذلك أن تنتفع به هذه
 الطائفة (أى الصوفية) خصوصاً ،
 وغيرهم عموماً ، ليؤمن بأحوال
 هذه الطائفة من قسم الله له
 نصيباً من المنة ، وجعل فى قلبه
 نوراً من الهداية ، ويرجع المكذب
 الى الاعتراف ، والمكابر الى
 الانصاف ، ولتستبين به — لمن
 أراد الله به الهدى — المحجة ،
 وتقوم — على من لم تنصره عناية
 الله — الحجة » ..

أما المؤلف ، فهو العارف ابن
 عطاء الله : الجذامى نسباً ،
 المالكى مذهباً ، الاسكندرى داراً ،
 القاهرى مزاراً — توفى بالقاهرة
 سنة ٧٠٩ هـ .. وتتلذذ على يد
 الامام الكبير أبى العباس المرسى ،
 وصلته بأساتذته أبى العباس

قلت .. الى أن بهر عقلى وسلب
لبى ، فعلمت أن الرجل يغترف من
فيض بحر الهى ، ومدد ربانى ،
فأذهب الله ما كان عندى ...

ثم ذهبت تلك الليلة الى المنزل،
 فلم أجد فى شئنا يقبل الاجتماع
بالأهل على عادتى .. ووجدت

معنى غريباً لا أدري ما هو ..
فانفردت فى مكان أنظر الى السماء
وكواكبها .. وما خلق الله فيها من

عجائب قدرته . فلمس قلبى أشياء
لم أعرفها من قبل .. فحملنى ذلك
على العودة اليه مرة أخرى ..
فأتيت اليه ، فاستؤذن لى عليه ،

فلما دخلت اليه قام قائماً وتلقانى
ببشاشة واقبال حتى دهشت خجلاً
.. واستصغرت نفسى أن أكون
أهلاً لذلك ، فكان أول ما قلت له :

— ياسيدى ، أنا والله أحبك ..
فقال :

— أحبك الله كما أحببتى ..
ثم شكوت له ما أجده من
هموم وأحزان ، فقال :

— أحوال العبد أربع لا خامسة
لها : النعمة ، والبلية ، والطاعة ،
والمعصية .. فان كنت فى النعمة ،

فمقتضى الحق منك الشكر .. وان
كنت فى البلية ، فمقتضى الحق منك
الصبر .. وان كنت بالمعصية ،
فمقتضى الحق منك وجود
الاستغفار .. وان كنت بالطاعة ،
فمقتضى الحق منك شهود منته
عليك ..

فقمتم من عنده وكأنما كانت
الهموم ثوباً نزعته .. ثم سألتنى
بعد ذلك بمدة :

— كيف حالك ..
فقلت :
— أفنتش عن الهم فما أجد ..
فقال :

— الزم ، فوالله لئن لزمتم
لتكونن مفتياً فى المذهبين :
فى علوم الظاهر .. وحقائق
الباطن ..

وأخذ ابن عطاء الله العهد على
أبى العباس .. ولازمه ، وأخذ
منه ، ونقل عنه ، وسجل ما سمع
وما نقل فى « لطائف المنن » ..

فتاريخ حياة أبى العباس
المرسى ، وتدوين ذلك التاريخ
العريض المضى .. بما يحمل من
علم ونور وهداية ومعرفة ووصول

لنفس قد تقتضر به نفس أخرى ،
 لذا نراه صلوات الله وسلامه عليه
 تختلف وصاياه لأصحابه كل حسب
 اختلاف شخصيته ونفسيته ، فهو
 يقول لبلال : « أنفق بلالا ولا
 تخش من ذي العرش اقلالا » ..
 بينما يقول لآخر : « أمسك
 عليك ما لك فانك تدع ورثتك أغنياء
 خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون
 الناس » .. وقال رجل له صلى
 الله عليه وسلم : أوصنى - فقال
 له الرسول عليه السلام : استح
 من الله ، وقال لآخر عندما قال
 له أوصنى ، قال له : لا تغضب ..
 وفي المقدمة بعد ذلك حديث
 مستفيض عن الأنبياء وورثتهم ،
 وحديث شاف دقيق عن الفرق بين
 الرسالة والنبوة والولاية ، وعن
 الأولياء ووجودهم في كل وقت
 (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين
 على الحق) .. وأن فساد الوقت
 لا يحط من مكانتهم ، لأنهم مع
 المؤقت لا مع الأوقات ، ومن كان
 مع المؤقت لا يتغير بتغير الوقت ،
 ومن كان مع الوقت يتغير بتغيره ،
 ثم ساق النصوص القرآنية

— انما يرجع الفضل فيه الى
 صاحب اللطائف والمنن ولى الله
 العارف بالله ابن عطاء الله الذى
 قال فى مقدمة اللطائف : (فانى قد
 قصدت فى هذا الكتاب أن أذكر
 جملا من فضائل سيدنا ومولانا
 الامام : قطب العارفين ، علم
 المهتدين ، حجة الصوفية ، مرشد
 السالكين الواصل الى الله الموصل
 اليه : شهاب الدين أبى العباس
 ابن عمر الانصارى المرسى .. وما
 نقله عن شيخه الشيخ أبى الحسن
 الشاذلى رضى الله عنه) ..

والمؤلف فى مطلع كتابه يتحدث
 عن منهجه فى تأليف هذا الكتاب ،
 ويقول انه قسمه الى مقدمة
 وعشرة أبواب وخاتمة ..

تناولت المقدمة اقامة الأدلة على
 أن أول المرسلين محمدا صلى
 الله عليه وسلم هو أفضل النبيين
 وأكمل الخلق أجمعين .. ثم أبرز
 بعد ذلك جوانب من هديه صلى
 الله عليه وسلم وارشاده .. وأنه
 كان مربيا حكيما ، اذ كان يعالج
 كل نفس بما يتفق مع أدوائها ..
 ليس هناك علاج واحد ، فما يصلح

والنبوية عن مكانة الأولياء عند الله ، كما تحدث عن ولاية الله لعباده ، وولاية العباد لله ، وعن الفرق بين ولاية الصادقين وولاية الصديقين ، وأثبت أن ظهور الولي ليس بارادة نفسه ، ولكن بارادة الله له ..

ولما تحدث عن كرامات الأولياء الحسية والمعنوية عرض الدلائل العقلية والنقلية على وجود الكرامات وأشبع القول فيها .. وعرض بمن عارضها وأنكرها .. وبعد كل هذا الحديث المسهب المستفيض ... وبعد كل هذا التحليل والتحقيق والتحليق في تلك الأجواء ، اذا بالمؤلف يشدنا فجأة من سبحاتنا في هاتيك المقامات وتلك المجالات والتجليات عندما قال : (ان ذلك كله كان مقدمة ، وقد انبسط الكلام في هذه المقدمة وما كان لنا باختيار) ..

ثم يذلف الى الدخول في الباب الأول الذي خصصه للحديث عن ولي من أولياء الله • مولده : بالمغرب الأقصى بشاذلة واليها نسب : ذكهم هو العارف بالله

البدال على الله أبو الحسن الشاذلي أستاذ أبي العباس المرسى ..

وأبواب الكتاب عشرة كلها دراسة تحليلية للامام أبي العباس المرسى شيخ المؤلف ورائده وامامه .. عرض فيها زهد أبي العباس

وعلمه وجهاده وصبره وهمته ومنهج طريقه ومدى علمه بدقائق التفسير وغريب الحديث ، وخص الباب الخامس للحديث عن آيات قرآنية تناول شيخه أبو العباس شرحها وتبيان دقائقها ودلالاتها .. ولكل مؤلف ظلال من شخصيته

ونفسيته وثقافته تسقط على كتاباته وتظهر في تأليفه من أجل هذا دخر الكتاب بزوايا ومناحي أظهرت بوضوح معالم شخصية المؤلف ، وأنه كان بجوار كونه علما من أعلام الصوفية والتصوف كان أدبيا شاعرا ، كما كان مفسرا محدثا متمكنا في كل هذه النواحي ..

فهو مفسر متمكن ينفذ الى الأعماق يدل على ذلك تفسيره لقول الله سبحانه : (ومن يتول الله

قال :

هذه الشمس قابلتنا بنور
ولشمس اليقين أبهر نورا
فرأينا بهذه النور ، لكننا
بهاتيك قد رأينا المنيرا
وللامام ابن عطاء الله في
« اللطائف » تحليلات رائعة
وتعليقات بارعة ، من هذا القبيل
تعليله لتأخير عقوبة الذين يؤذون
أولياء الله .. فقال ان عقوبة الحق
تبارك وتعالى لمن آذى أولياءه
لا تلزم أن تكون معجلة في الدنيا ،
لقصر مدة الدنيا عند الله ، ولأن
الله لم يرض الدنيا أهلا لعقوبة
أعدائه ، كما لم يرضها أهلا لاثابة
أحبابه ، فالجزاء الأوفى في دار
الجزاء ..

وعندما تحدث أبو الحسن
الشاذلي وقال ان من أطاع الله
في كل شيء بهجرانه لكل شيء ،
يطيعه الله في كل شيء ، بأن يتجلى
له في كل شيء ، حتى يراه أقرب
اليه من كل شيء ، نرى المؤلف
يتلقف هذا القول ويبسط الكلام

ورسوله والذين آمنوا فان حزب
الله هم الغالبون (١) ذلك
التفسير الدقيق الذي استغرق
صفحات عدة من كتابه أبان فيها أن
الولاية ولايتان : ولاية تؤخذ من
هذه الآية الشريفة ، وهي ولاية
العبد لله .. وولاية أخرى تؤخذ
من قوله تعالى (وهو يتولى
الصالحين) وهي ولاية الله للعبد
.. وعن الفرق بين هاتين الولايتين،
وعن المراد من الصلاح في قوله
تعالى (وهو يتولى الصالحين)
وعن حديثه عقيب ذلك عن ولاية
« الايمان » .. عن ذلك كله تحدث
بعبارة مجلوة ، وتعبير حي
نابض ..

ثم هو « شاعر » ففى ثنايا
حديثه أبيات شعرية ومقطوعات
وقصائد نظمها تعبر عن أحاسيسه
ومواجيده وتدل على مدى مشاعره
.. فعندما تحدث عن شمس النهار
التي بها نشاهد الأنوار والآثار ..
وتحدث عن شمس اليقين التي
نشاهد بها آلاء المحبوب الموجد ،

فيه ويقيم الشواهد والأدلة على ما أورد .. وفي النهاية قال :

« هناك : ولى يفنى عن كل شيء فلا يشهد مع الله شيئاً ، وولى يبقى فى كل شيء فيشهد الله فى كل شيء » ..

ثم علل قائلاً : « وهذا - أى الثانى » أتم ، لأن الله سبحانه لم يظهر المملكة الا كى يشاهد فيها ، فالكائنات مرايا الصفات ، فمن غاب عن الكون غاب عن شهوده الحق فيه ، فما نصبت الكائنات لنراها .. ولكن لنرى فيها مولاها .. فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها .. تراها من حيث ظهوره فيها ، ولا تراها من حيث كونيتها » ..

وهذا هو التفكير والتدبر والنظر فى ملكوت الله .. لنصل به الى الله ..

وقد حقق هذا السفر القيم ووشاه ، فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود - شيخ الأزهر السابق ، رحمه الله . ولفضيلته جهد محمود ظاهر فى اخراج هذا الكتاب ، والتعريف

بمؤلفه وايضاح ما خفى على بعض الأذهان من تعبيراته ، وما دق من اشاراته واصطلاحاته ، يؤيد هذا ما حفل به الكتاب من هوامش كثيرة فيها تجلية .. وتحلية وفيها تذوق .. وفيها من وراء ذلك كله ..

الهام .. واشراق .. وفيض .. ودلالات على تفهم لعلوم القوم الظاهرة ، وتذوق لما خفى من اشاراتهم وتعبيراتهم

فعند حديث المؤلف عن الأولياء وأنهم مظاهر أنوار النبوة وأن مددهم من « الحقيقة المحمدية » نرى فضيلة شيخ الأزهر المحقق يزيد الأمر تحقيقاً وتبياناً فيقول فى هامش ص ٣٩ : « يتحدث كثير من الناس عن هذه الحقيقة : ماهى .. وينكر بعض الناس هذه الكلمة ، أو على الأقل يجادل فيها .. ويمارى ..

والواقع أن الأمر أيسر من أن يثير نقاشاً .. وأوضح من أن يكون مصدر ممرارة أو انكار : فالحقيقة المحمدية هى : النبوة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حقيقته نبوته ، وهذه النبوة فى علم الله

منذ الأزل .. قدرها الله سبحانه وتعالى بحكمته قبل خلق الكون وقبل وجود العالم ..

وعلى هذا الأساس يمكنك أن تقول : ان الحقيقة المحمدية أزلية أو قديمة .. وتقصد أنها كذلك في علم الله ..

ويمكنك أن تقول : ان الحقيقة المحمدية حادثة ، وذلك يوم بعثته ، أى : سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة عندما أشرق فجر الهداية الخاتمة ، وبدأ النور يشرق مستفتحاً بـ (اقرأ باسم ربك الذى خلق ..) والأمر على هذا الوضع لا يثير مماراة ولا انكاراً ..

وعند حديث المؤلف عن الانتصار لله والانتصار على النفس ، رأينا فضيلة الامام الأكبر قد أضاف اضافة جديدة في هذا المجال عندما قرر أن الولي يقتدى برسول الله صلى اله عليه وسلم في الانتصار لله ، وما جوهر حياة الولي الا الانتصار لله : ينتصر لله من نفسه ، وينتصر لله في أسرته ، وينتصر لله في مجتمعه .. انه يقوم بالمبدأ الاسلامى الواجب

وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...

ونرى لزما علينا أن ننقل هنا تعليق فضيلة المحقق شيخ الأزهر عن موقف الدعاة والهداة حول اثبات وجود الله والدلالة على وحدانيته .. اذ بين في دقة دقيقة وعمق عميق أن هناك حدا دقيقا حول اثبات وجود الله .. واثبات وحدانيته ، وقال ان وجود الله أمر بديهى لم يحتج من الدعاة الى اقامة الأدلة بعد أن ثبت أن الاعتراف بالربوبية مركوز في القلوب .. كل القلوب ..

أما مثار الاختلاف وتفرق البشر وتباين العقائد فهو حول « الوحدانية » عن ذلك يقول الامام الأكبر شيخ الأزهر فى « هامش ٩٦ » حين بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر بدعوته ، بعد ثلاث سنوات من الاسرار بها ، فانه صلوات الله عليه وسلم لم يبدأ باثبات وجود الله ، وانما بدأ بالبرهنة على صدقه هو ، وتحدى العرب بصدقه ..

أن يثبتته البشر ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ..

ومن المعروف أن الدين الاسلامي لم يجيء لاثبات وجود الله .. وانما جاء لتوحيد الله ..

واذا تصفحت القرآن أو التوراة - حتى على وضعها الحالي - أو الانجيل - حتى في وضعه الراهن - فانك لا تجد أن مسألة وجود الله قد اتخذت في أى سفر منها مكانة تجعلها هدفا من الأهداف الدينية .. أو احتلت مكانا يشعر بأنها من مقاصد الرسالة السماوية .. والقرآن الكريم : يتحدث عن بدهة وجود الله حتى عند ذوى العقائد المنحرفة يقول سبحانه (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) ..

انهم يقولون ان الخالق هو الله ، مع أنهم مشركون ، أو منحرفون بوجه من الوجوه في ايمانهم بالله تعالى ، وما نزلت الأديان قط لاثبات وجود الله ، وانما نزلت لتصحيح الاعتقاد

ومن قبل ذلك حين فاجأه الملك في الغار ، ونزل الوحي لم يبدأ الملك أو لم يبدأ الوحي باثبات وجود الله ، وانما بدأ بالأمر بأن يقرأ الرسول صلوات الله وسلامه عليه باسم ربه (اقرأ باسم ربك الذى خلق) ..

ومضى القرن الأول كله .. ولم يحاول انسان قط أن يتحدث حديثا عابرا أو مستفيضا ، عن اثبات وجود اله سبحانه وتعالى .. ومضى أكثر القرن الثانى ، والمسألة - فيما يتعلق بوجود الله - لا توضع موضع البحث ، ذلك أن وجود الله انما هو أمر بدهى لا ينبغى أن يتحدث فيه المؤمنون نفيا أو اثباتا ولا سلبا أو ايجابا ..

ان وجود الله من القضايا المسلمة التى لا توضع فى الأوساط الدينية موضع البحث ، لأنها فطرية :

وأن كل شخص يحاول وضعها موضع البحث انما هو شخص فى ايمانه دخل ، وفى دينه انحراف .. فما خفى الله قط حتى يحتاج الى

أنها فكرة لا حق لها في الوجود ،
لأن عالم العقيدة انما هو من
اختصاص الله ، يبينه على لسان
رسله ، وكل تدخل من الانسان في
هذا العالم انما هو تدخل فيما
ليس للانسان التدخل فيه ، لأنه
اقتحام لساحة محرمة مقدسة ،
لا ينبغي أن يدخلها الانسان الا
دخول الساجد الخاشع ، الخاضع ،
المسلم لما جاء به الوحي الالهي ..
ان الفلسفة اليونانية في عالم
العقيدة ، فلسفة وثنية ، انها وثنية
حتى حين تثبت وجود الله ، ولا
يخرجها اثباتها وجود الله عن أن
تكون وثنية .. انها وثنية بالمبدأ
الذي قامت عليه وهو مبدأ تأليه
العقل البشرى ويستوى بعد ذلك
أن تكون قد أثبتت وجود الله أو
أنكرته ..

وهي حينما تثبت وجود الله
عقليا ليس في ذاك كبير فائدة ..
ولا يبرر ذلك وجودها — ولا قيمة
لما تثبته ، واثباتها والعدم سواء
.. ذلك أن العقل الذي أثبت هو
العقل الذي يمكنه أن ينكر .. وهو
العقل الذي ينكر بالفعل ..

بالله ، أو لتصحيح طريق
التوحيد ..

أما الآيات الكثيرة التي يظن
بعض الناس أنها نزلت لاثبات
الوجود : فليست من ذلك في قليل
ولا في كثير ، انها تبين عظمة الله ،
وجلاله ، وكبريائه وهيمنته الكاملة
على العالم ما عظم من أمره وما دق
منه ، لا تفوت هيمنتها كبيرة ولا
صغيرة .. ولا يخرج عن سلطانه
ما دق وما جل ..

وقد أتت على هذا الوضع لتقود
الانسان الى اسلام وجهه لله
اسلاما كاملا ، بحيث لا يصد ، ولا
يرد الا باسمه سبحانه ولا يأتي
ما يأتي أو يدع ما يدع الا في
سبيله تعالى ..

ومضى القرن الأول على ذلك ،
ومضى القرن الثاني — أو أكثره —
على الفطرة .. ثم كانت الفلسفة
اليونانية .. والفلسفة اليونانية
فلسفة وثنية ، لأنها تصدر عن
العقل ، لا عن وحي ، وكل فكرة
تصدر عن العقل لا عن الوحي في
عالم ما وراء الطبيعة أى في عالم
العقيدة انما هي فكرة وثنية ، أى

ولا لزوم — اذن — للطنطنة والتصفيق الذى نحى به كل عبقرية فكرية فى الشرق أو فى الغرب تحاول فكريا اثبات وجود الله .. اننا لا نقيم عقيدتنا على فكر بشرى ، مهما كان هذا الفكر عبقرىا ..

ويجب على المؤمن ألا يقيم وزنا — أى وزن — لأى نتاج فكرى فى عالم ما وراء الطبيعة — فسواء خالف معتقده أو وافقه ، انه فى معتقده يدين لله وحده ، وكفى بالله مصدرا .. وكفى بالله هاديا ، وكفى بالله مرشدا .. ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ..

ان كل ما عدا الهدى الالهى فى عالم الدين ، انما هو وثنية وضلال ..

كانت الفلسفة اليونانية فلسفة وثنية بشرية ، وقد أرادت أن تجد لجاما يعصمها من الخطأ فاخترعت هنا وثنيا آخر .. هو فن «المنطق» فما أجدى .. وما أغنى .. ولا تقدم بالفكر الوثنى فى عالم الصواب شروى نقير ..

وبقيت هذه الفلسفة الوثنية — عبر القرون — على ما هى عليه ، فيها كل سمات الوثنية من ضلال وخرافات ..

ولقد كانت الأمة اليونانية معذورة بعض العذر ، فما كان فى ربوعها دين منزل من السماء تلجأ اليه مهتدية مسترشدة ، وما كان مثلها فى ذلك الا كمثل العصر الجاهلى فى الجزيرة العربية .. فلجأت الى العقل وألهته ، وأخذت تثبت به وتتكبر ، فضلت وأضلت .. وجاءت الديانة النصرانية مصححة للوضع .. فعزلت فكرة الألوهية من تدنيس الوثنية .. وسمت بالله جل جلاله عن أن تضع وجوده موضع البحث ، ثم تسالت اليها — كميكروب خبيث — وثنية اليونان .. فجعلت من وجود الله — مجرد وجود الله — بابا ضخما من أبواب البحث .. أو من أبواب اللاهوت الكنسى ، ونزلت بتلك الفكرة الدينية المقدسة عن الله الى مستوى الجو الوثنى البشرى ، وجاء الاسلام تطهيرا للعقيدة وتركيزة تامة للإيمان .. وأعلن

وأهل الهوى الالهى ، وفصلها
 وفسرها ، وأبان أمارات الحب ،
 وعلاماته ، ومن هو المحب
 الحقيقى ، وكيف يتمحض الحى
 ويخلص للمحسوب ، وعن كأس
 الحب وشرابه وساقيه .. وقد
 أفاض فى ذلك وأفاد وبخاصة
 عندما تغرض بالتفسير لقول الله
 سبحانه وتعالى فى شأن موسى
 عليه السلام : (**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ**
مَحَبَّةَ مَنى) ..

وعند حديث الحب ذاك ، وقف
 المحقق رحمه الله وقفة طويلة ،
 فيها تعليق وتعقيب وإضافة
 استغرقت صفحات عدة شرح فيها
 أن المحبة صراط الأولياء .. وأن
 الناس فى العواطف درجات ، ثم
 كشف فى نهايتها عن علاقة المحبة
 بالعمل والإيمان والاتباع .. كما
 تحدث عن أسباب الحب ، وثمره
 المحبة ، وأجمل تعبيرات المحبين ..
أقباس .. من اللطائف :

من أحاديث صاحب اللطائف عن
 الصوفية ، وحبهم لله ، وذكرهم
 له ، يقول : « هم فى معاقل عزه ،
 تحت سرادقات مجده .. يصونهم

بمجرد التسمية « الاسلام »
 الحرب على التدخل البشرى فى
 دين الله ورسالاته ، فما جاء
 الاسلام الا للاستسلام المطلق
 لله سبحانه وتعالى .. انه
 الاسترسال مع الله على ما يرضيه،
 وهل للانسان غير هذا بالنسبة
 لله ؟ ، وهل للمؤمن أن يتصرف
 تصرفا آخر ؟ .. وهل اذا تصرف
 تصرفا آخر سمي مؤمنا ؟!

والاسلام توجيه ومبادئ ،
 ومن توجيه الاسلام : أن وجود
 الله لا ينبغى أن يوضع موضع
 البحث .. وكل من وضعه موضع
 البحث فانه بذلك يعدل عن توجيه
 الله تعالى .. الى توجيه بشرى
 .. انه يبتغى غير الاسلام
 توجهها ... »

وكتاب اللطائف هذا يعلمك
 الحب : الحب لله ، والحب فى
 الله ، والحب لرسول الله ،
 وللدعاة ، وللهداة الى الله ..

فقد استفاد فى الحديث عن
 هذه العاطفة السامية النبيلة ،
 وأورد ما جاء فيها من نصوص
 قرآنية ونبوية وأقوال المحبين ..

من كل شيء الا من ذكره ،
ويقطعهم عن كل شيء الا عن حبه ،
السننهم بذكره لهجة ، وقلوبهم
بأنواره بهجة .. وطن لهم وطنا
بين يديه ، فقلوبهم جائمة في
حضرتة .. وأسرارهم محققة
بشهود أحديته » ..

وعن أعداء الصوفية يقول :
« ان الله ابتلى هذه الطائفة
(الصوفية) بالخلق ليرفع —
بالصبر على أذاهم — مقدارهم —
ولتكمل بذلك أنوارهم .. وليتحقق
الميراث فيهم .. ليؤذوا كما أودى
من قبلهم فيصبروا كما صبروا ،
ولو كان من أتى بهدى فأطبق
الخلق على تصديقه لكان الأولى
بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم .. وقد صدقه قوم هداهم
الله بفضلهم وحجب من ذلك آخرون
حجبهم الحق عن ذلك .. فانقسم
العباد في هذه الطائفة الى معتقد
ومنتقد ، ومصدق ومكذب ، وانما
— يصدق بعلومهم من أراد الحق
سبحانه أن يلحق بهم .. ومن أين
للعباد أن يعلموا أسرار الحق في
أوليائه ، وشروق نوره في قلوب

أحبابه ، وسبب هلاك الهالك بهم
أن من أظهره الله منهم لابد أن
يظهره ببواهر المكن وطوارق
العادات فتستغرب عقول العموم
أن يعطى ذلك غير الأنبياء ، وأن
تظهر الخوارق الا في أهل العصمة
.. وهؤلاء لم يعلموا أن كل كرامة
لولى هي معجزة لذلك النبی ، الذى
هذا الولی تابع له ، فظن هؤلاء
أن جريان الكرامة على الولی
مساهمة لمقام النبوة .. وحاشا
لله أن يشترك النبی والولی في
مقام .. كيف وقد قال أبو يزيد :
« جميع ما أخذ الأولياء مما هو
للأنبياء كزق ملء عسلا ..
فرشحت منه رشاحة ، فما انطوى
عليه الزق فهو مثل علوم الأنبياء
.. وتلك الرشاحة هي حظ الأولياء
منهم » ..

ومن مناجاة المؤلف لربه ..
وهي نفحة الهية .. فيها سمو في
التعبير ، وبلاغة في القول ، يزينها
المنطق الأخاذ والحكمة الدقيقة
العميقة ، فيها يقول : « الهى ..
كيف يستدل عليك بما هو في
وجوده مفتقر اليك ؟! أليكون لغيرك

من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك .. متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك .. ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي الموصلة اليك ..

ومما يثلج الصدر ، أن هذا الكتاب - وغيره كثير - قد رأى النور بفضل اسهام حضرة صاحب السمو ولي عهد اماره أبى ظبى ة وهذه يد تذكر ، فنشكر لهؤلاء الولاة والحكام والمسؤولين الذين دفعهم الولاء لدينهم والوفاء لتراثهم الروحي العتيق لأن

يسهموا في نشر هذا التراث ، وأن ينفضوا الغبار الذي تراكم على الكثير من كتبه بعد أن ظل قابعا في زوايا النسيان .. ولعل الله يوفق الجميع لأن يرصدوا جانبا من امكاناتهم المادية والعلمية ومما أنعم الله به عليهم لاحياء هذا التراث العربى الأصيل حتى يرى الضوء مجلوا في أبهى ثوب وأنقى طبع .. وأدق تحقيق .. والله ولى التوفيق ..

الدكتور / محمود بن الشريف

فهرس العدد

- | اسم الموضوع | صفحة |
|---|------|
| ● الاسلام يدعو الى الحياة الكريمة | |
| للدكتور محمد الطيب النجار وكيل الازهر | ١٢٢١ |
| ● مناهج المحدثين | |
| للدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث
الاسلامية | ١٢٣٣ |
| ● ولاية الله للمؤمنين | |
| للأستاذ محمد صابر البرديسى | ١٢٣٧ |
| ● دراسات قرآنية « الايمان بالله كما يعنيه القرآن الكريم » | |
| لفضيلة الشيخ مصطفى الطير | ١٢٤٢ |
| ● نظرات هادفة « عالم الدين عندنا وعندهم » | |
| للدكتور محمد رجب البيومى | ١٢٥٢ |
| ● المشكلة الاقتصادية في ضوء تعاليم الاسلام الحنيف | |
| للدكتور رموف شلبى | ١٢٥٨ |
| ● الشعر الحديث والقصيدة العمودية | |
| للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى | ١٢٦٧ |
| ● التصوف والعلوم العصرية | |
| للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى | ١٢٧٤ |
| ● اهل الذمة وواجباتهم فى بلاد الاسلام | |
| للمستشار محمد عزت الطهطاوى | ١٢٨٥ |

- اسم الموضوع
صفحة
- تأليف العبارة كما يراه الميرد في الكامل
للأستاذ السيد حسن قرون ١٣٠٠
 - انشقاق القمر والاعجاز العلمي للقرآن
دكتور منصور محمد حسب النبي ١٣١٠
 - مع اللغة في تطورها
للدكتور توفيق شاهين ١٣١٩
 - الأزهر جامعا وجامعة أو مصر في ألف عام
للأستاذ محمد كمال السيد ١٣٣٨
 - التجارة الرابعة « حب الله ورسوله »
للدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور ١٣٤٤
 - اللغة والشعر والشعراء قديما وحديثا
للأستاذ محمد عايش عبيد ١٣٤٩
 - التعزيز بين الفقه الاسلامي والفقه الوضعي
للأستاذ عبد العليم شداد ١٣٥٤
 - أخطاء شائعة
للأستاذ عباس أبو السعود ١٣٦٩
 - وفاء لامام
للدكتور كمال جعفر ١٣٧٨
 - دعاء القجر
للأستاذ محمد الضمراني أبو العلا ١٣٨٠
 - حكم وطرائف
اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٣٨١
 - باب الفتاوى
الأستاذ عبد الحميد شاهين ١٣٨٦

صفحة

اسم الموضوع

- من أنباء العالم الاسلامى
اعداد الأستاذ فهمى عبد اللاه سيد على ١٣٩١
- كتاب الشهر
عرض وتقديم الدكتور محمود بن الشريف ١٣٦٥



إدارة الأزهر
بالقاهرة
٩٠٩٩٢٢ } ت
٩٠٥٥٠٦ }

الْأَزْهَرُ
مجلة

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محمد صابر البردي

الجزء الثامن — السنة والخمسون — ذو القعدة سنة ١٤٠٠ هـ — أكتوبر — سنة ١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حول رأي العلامة ابن خلدون في اقتداء المغلوب بالغالب

لفضيلة الدكتور محمد الطيب النجار

دكتور الأزهر

عسى أن يدرك العرب والمسلمون عوامل ضعفهم وتخلفهم في هذا العصر الذي نعيش فيه ، ويفكروا بعقل ونصيرة فيما يحيط بهم من أخطار تهدد كياناتهم ، وتكاد تعصف بهم ، ويعملوا بجِد وإخلاص على استرداد نهضتهم الظارية لتشرق من جديد في أفق العروبة والإسلام .

سنة الله في خلقه ان ينجذب للصغير الى الكبير ليدور في فلكه وأن يقتدى الضعيف بالقوى ويقتفى أثره ويتشبه به في أخلاقه وعاداته وسائر حالاته ونجد ذلك واضحا في الأبناء يحذون حذو الآباء فيما يقولون ويفعلون ، وفيما يأخذون ويذرون . ذلك بأن

الحكمة القائلة : « الناس على دين ملوكهم » والحكمة الاخرى : « المرء أشبه شئ بزمانه ، وصبغة كل زمان منتخبة من سجايا سلطانه » .

ونرى من واقع التاريخ مثلاً كثيرة في اقتداء الرعية بالراعى .. وكما يروى ان الوليد بن عبد الملك كان يحب العمارات والابنية فكان الناس في زمنه اذا تلاقوا يتساءلون عن العمارات والأبنية ويتنافسون في ذلك السبيل وكان سليمان بن عبد الملك يحب الطعام والنساء ، فكان الناس في زمنه يهتمون كل الاهتمام بالتفنن في ألوان الطعام ويكثرون من زواج النساء وكان عمر ابن عبد العزيز صاحب عبادة وتلاوة فكان الناس في زمنه اذا تلاقوا يسأل بعضهم بعضاً ما وردك الليلة ؟ وكم تقوم من الليل ؟ وكم تصوم من الشهر ؟ . وتصل من ذلك الى نتيجة حتمية وهى ان المظلوم مولع أبداً بتقليد الغالب والاقتداء به في شعاره ودثاره أو بعبارة أخرى في شكله

الطفل الصغير يشعر بضالته أمام والديه ، فيرى فيهما مثله الأعلى وغايته المرجوة وينساق الى الاقتداء بهما في كل شئ ولو لم يتلاءم مع طاقته وقدرته ويعجب بما يصدر عنهما من أفكار وآراء ولو كانت سقيمة باطلة وتنطبع بها نفسه ويصعب صرفه عنها بعد ذلك مهما وضح له ما فيها من زيف وفساد وقديما كان العرب في جاهليتهم — وفيهم أفذاذ الرجال الذين صقلتهم التجارب والحوادث — يعكفون على أصنام لهم يلتمسون فيها الخير والبركة ، ويعتقدون أنها تشفع لهم عند الله بل يعبدونها من دون الله ويلجأون اليها في الشدائد والكروب ولئن سألتهم : لم تعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ؟ فأنهم يتشبثون بهذا المنطق الكليل وتلك الحجة الداحضة العمياء وهى الاقتداء بما كان يفعله الآباء ويقولون : وجدنا آباءنا لها عابدين .

ومن هذا المنطلق نرى المرعوسين يقلدون الرؤساء والرعية تقتفى أثر الراعى وتجىء

ومظهره وأخلاقه وعاداته وسائر حالاته :

ولو مضينا مع ركب الانسانية منذ وجد التاريخ لرأينا كيف كانت المدنية والحضارة والعلوم والمعارف والعادات والتقاليد تزحف في هذا العالم وراء زحف القوى المتغلبة وأن الشعوب المغلوبة تقتدى أبدا بالشعوب الغالبة ، وترى أن في ذلك الخير والسعادة كما هو شأن الابناء مع الآباء والضعفاء مع الأقوياء .
وخذوا لذلك مثلا من واقع تاريخنا الاسلامي في عصر القوة والفتوح .

فحينما فتح المسلمون بلاد الفرس والروم كانت تلك البلاد تقف على درجة أعلى في سلم المدنية والحضارة وفي سلم العلم والمعرفة ومع ذلك وجدنا تلك الشعوب تسارع الى الاقتداء بالمسلمين فانتشر الاسلام وانتشرت اللغة العربية وغلبت العادات والتقاليد العربية

وازدهرت العلوم الاسلامية في كنف الموالى وهم المسلمون من غير العرب فنبت فيهم العلماء الكثيرون الذين أسهموا في بناء النهضة العلمية في الاسلام بأوفى نصيب وتوزعوا في الامصار الاسلامية المختلفة نجوما متألقة هادية .
« فكان في المدينة نافع مولى عبد الله بن عمر وكان ديلما وأصابه عبد الله بن عمر في احدى الغزوات وهو من كبار التابعين ... وروى عن عبد الله بن عمر وأبى سعيد الخدرى ، وروى عنه الزهري وأيوب السجستاني ومالك بن أنس ، وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به ، وقال مالك كنت اذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي الا أسمع من أحد غيره ... وأهل الحديث يقولون رواية الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة وتوفى سنة ١٢٠ هـ (١) . »

(١) راجع وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٣ ص ٥٠ ، ٥١ ط الوطن .

اصعد فوق ظهر بيت وكان من اعلم الناس بالتفسير وقد توفي سنة ١٠٥ هـ هو وكثير عزة في يوم واحد ، وصلى عليهما في مكان واحد وقال الناس اذ ذاك : مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس (٢) •

واشتهر من علماء الكوفة سعيد ابن جبير مولى بنى والبة بن الحارث •

واشتهر من علماء البصرة الحسن البصري ومحمد بن سيرين •

واشتهر في مصر يزيد بن حبيب مولى الأزد وكان مفتي أهل مصر وعنه أخذ الليث بن سعد وعبد الله ابن لهيعة ، وكان يزيد بربري الاصل وقال فيه الليث بن سعد : يزيد عالما وسيدنا وهو أحد ثلاثة عهد اليهم عمر بن عبد العزيز بالفتيا في مصر ، وقد جمع ناحيتين كبيرتين من نولحي العلم اهداهما الناحية التاريخية فيروى عنه الكثير في هروب مصر وفتنها وفتوحها ، والثانية الناحية الفقهية • • فكان

وكان في المدينة كذلك ربيعة الرأي مولى آل المنكر التميميين وهو شيخ الامام مالك بن أنس وكان فقيه المدينة في وقته غير منازع حتى كان القاسم بن محمد يقول : لو تمنيت أحدا تلده أُمى لتمنيت ربيعة وكان يجلس في مسجد المدينة وحوله حلقة كبيرة من العلماء والأشراف يتلقون العلم عنه وقد اتفق العلماء من المحدثين وغيرهم على توثيقه وجلالته وعظم مرتبته في العلم والفهم وكانت وفاته سنة ١٣٦ هـ (١) •

وكان من علماء مكة مجاهد ابن جبر مولى قيس المخزومي وكان فقيها عالما ثقة كثير الحديث وهو من اكبر رواة التفسير عن ابن عباس حتى كان يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة وتوفي سنة ١٠٢ هـ وعكرمة مولى ابن عباس وكانت له شهرة علمية فائقة حتى يروى عن معمر ابن أيوب أنه قال : قدم علينا عكرمة فاجتمع الناس عليه حتى

(١) راجع تهذيب الاسماء واللغات للنووي ج ١ ص ١٨٩ •

(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢١٢ •

صاحب كتابى الاكمال والجامع
 اللذين قصدهما الشاعر بقوله :
 ذهب النحو جميعا كله
 غير ما أحدث عيسى بن عمر
 ذاك اكمال وهذا جامع
 وهما للناس شمس وقمر
 وكان حماد الراوية - مولى
 بنى بكر بن وائل - من أعلم
 الناس بأخبار العرب وأنسابها
 وأيامها وأشعارها ولغاتها وكانت
 ملوك بنى أمية تقـدمه وتؤثره
 وتستزيده فيفد عليهم وينال منهم
 ويسألونه عن أيام العرب وعلومها
 .. وقال له الوليد بن يزيد الاموى
 يوما - وقد حضر مجلسه بم
 استحققت هذا الاسم فقل لك
 الراوية ؟ قال : بأنى أروى لكل
 شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين
 أو سمعت به ، ثم أروى لأكثر منهم
 ممن تعترف أنك لاتعرفه ولا سمعت
 به ، ثم لا ينشدنى أحد شعرا
 قديما ولا محدثا الاميزت القديم
 من المحدث .. فقال له : فكم مقدار

واسع العلم فى الحلال والحرام
 حتى قيل فيه ، انه أول من أظهر
 العلم فى مصر والمسائل فى الحلال
 والحرام .. وتوفى يزيد سنة
 ١٢٨ هـ (١) .

وهكذا اذا رجعنا الى كتب
 الطبقات والتراجم وجدنا الموالى
 وهم المسلمون من غير العرب لم
 يكتفوا فى اقتدائهم بالعرب بتعلم
 اللغة العربية بل نبغ الكثير منهم فى
 العلوم الاسلامية بل امتد نشاطهم
 الفكرى الى اللغة العربية نفسها
 على الرغم من رطانة السنة الموالى
 وبعدهم عن السليقة العربية ، حتى
 رأينا منهم علماء أجلاء يسهمون فى
 وضع قواعد للغة العرب وفى رواية
 الشعر العربى بل فى قرص الشعر
 العربى نفسه ، ومن هؤلاء أبو بحر
 عبد الله بن اسحق وهو من موالى
 بنى عبد شمس ، وكان اماما فى
 النحو واللغة (٢) وكان عيسى
 ابن عمر النحوى مولى
 خالد بن الوليد اماما فى النحو، وهو

(١) النجوم الزاهرة لابن المحاسن بن تغرى بردى ج ١ ص ١٤٣

و ٢٢٨ ، ٣٠٨ .

(٢) عقد الجمان للعينى ج ١٤ ص ٦٢ .

ما تحفظ من الشعر قال : كثير ، ولكنى أشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال : سأمتحنك في هذا ، ثم أمره بالانشاد فأنشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه فأنشد ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم (١) .

وقد نبغ في الشعر العربي كثير من هؤلاء الموالى ، ولانود الاطالة بذكرهم في هذا المجال المحدود ، ففي كتب الأدب العربي ما يحقق طلبه الباحث ورغبة المستزيد .

وبهذا يتبين لنا أن قوة العرب وغلبتهم على غيرهم من الأمم كانت من أقوى العوامل في نشر ثقافتهم وعلومهم بين الأمم التي تغلبوا عليها ، فبدأت تلك الأمم تقلدهم وتحاكيمهم وتتأثر بهم الى حد

كبير . . . وقد عقد ابن خلدون فصلا في مقدمته حول هذا المعنى وقد جعل عنوانه « فصل في أن المغلوب مولع أبدا بالاعتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده » وقد ذكر السبب في ذلك (أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه لما تراه - والله أعلم - من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا بقوة بأس وإنما هو بما انتحله من العوائد والمذاهب ، أى بما اتصف به من عادات طيبة وأخلاق كريمة ولذلك نرى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه وموكبه وصلاحه في اتخاذها وأشكالها ، بل وفي سائر أحواله ، وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان في

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٩٢ .

واخلاص على استرداد نهضتهم
الغاربة لتشرق من جديد في أفق
العروبة والاسلام ، ولن يكون لهم
سبيل الى ذلك الا بالقوة • ولن
تتحقق لهم القوة والغلبة الا
بالتضامن الشامل والايان الكامل
وحينئذ لايتبددون ركاما تذروه
الرياح وتدوسه الاقدام • بل
يصبحون الامة الغالبة التى تقتدى
بها الامم المغلوبة ، والتى تدفع
قافلة المدنية والحضارة فى هذا
العالم الى الامام •
هذا ، ومن الله العون وبه
التوفيق •

دكتور / محمد الطيب النجار

الأكثر لأنهم الغالبون لهم ، حتى
أنه اذا كانت أمة تجاور أخرى
ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من
هذا التشبه والاعتداء حظ كبير ••
ونأمل فى هذا سر قولهم « العامة
على دين الملك » فانه من بابہ اذ
الملك غالب لن تحت يده والرعية
مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه
اعتقاد الابناء بأبائهم والمتعلمين
بمعلميهم) •

فعسى أن يدرك العرب
والمسلمون عوامل ضعفهم وتخلفهم
فى هذا العصر الذى نعيش فيه
ويفكروا بعقل وتبصرة فيما يحيط
بهم من أخطار تهدد كيانهم وتكاد
تعصف بهم ، ويعملوا بجد

قررت ادارة مجلة الأزهر أن تصدر عددا ممتازا فى
غرة المحرم ١٤٠١ هـ وستكون موضوعاته موحدة تتناول
هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) نرجو من السادة
المفكرين الاسلاميين أن يوافقونا بمقالاتهم حول الهجرة قبل
منتصف شهر ذى القعدة حتى نتمكن من نشرها فى هذا
العدد (وكل عام وأنتم بخير) والله الموفق •
أسرة المجلة

الروحانية في الإسلام

الأستاذ محمد منابر البربرسي

واختلاطها بالجسم ، يحدث بينهما صراع ، صراع بين رغائب الجسم ، ومظاهر الروح ، فإذا تغلبت الناحية المادية والميوله الشهوانية ، صار الانسان كالحيوان ، خلقه بهيمى ، وعمله شيطانى يحكمه الهوى ويقوده الجهل ، يسيء الى نفسه والى مجتمعه ، أضر على نفسه من النار ، وعلى الناس من الشيطان .

« واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد » (١) .

والبيئة التى ينشأ فيها الانسان أثر كبير على ميوله ، وتحديد

الانسان يتركب من عنصرين أساسيين : عنصر مادى ، وعنصر روحى . ولكل عنصر من هذين العنصرين مظاهر خاصة :

فالجسم له رغائبه من الطعام والشراب ، وسائر الملذات . وللروح مظاهرها : من العبادة . والاستقامة ، والثقة فى الله ، والخضوع لجلاله والاستغناء عما سواه .

وللروح أن تتدرج فى مدارج الكمال ، حسب مجاهدتها وتدويبها حتى تصل الى مرتبة من الصفاء ، وتكون فى مقام ليس بينها وبين الله حجاب . والروح باتصالها بالجسد ،

معاملاته ، يرهب دائماً من جلال الله وعظمته ، حتى ليكون فراغه وشهوته ابتغاء وجه الله ، وفى طلب الأجر منه — عز وجل — يظل موصولاً بربه ، فلا يحس بشيء يششت عليه فكره ، ويقطع عنه صلته بربه .

أما اذا نشأ فى بيئة غير دينية ، وكان هدفها مادياً فان سلوكه يكون غير مرضى ، لا يهوى شيئاً الا حصله ، ولا تشتهى أمراً الا أتاها ، يدعو الهوى فيضله عن سبيل الله ، وتلعب به الحاجة فيبيع آخرته بدنياه .

قال تعالى : « فأما من طفى ، وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هى المأوى » (٢) .

فاذا تعرض للاختبار ، وأصابه لون من الابتلاء فانه لا يصبر على البلاء ، ولا يصمد أمام الاحداث ، ولا يثبت تجاه الشدائد ، وحينئذ يظهر خبث معدنه وكذب ما يدعيه من ايمان .

اتجاهه ، وتحويل سلوكه ، يولد الانسان على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

فاذا نشأ فى بيئة دينية ، وترعرع فى وسط صالح ، وخالط أصحاب السلوك السوى ، والتفكير السليم ، وتربى تربية دينية حسنة ، امتلأ قلبه بنور المعرفة ، وأشرقت شمس الايمان فى باطنه ، يعرف ربه ، ويسلك اليه طريقه ، وينعم بالقرب منه ، ويسعد فى المثول بين يديه ، يعبد الله فى كل لحظة من حياته ، قد استقام أمره ، وحسن حاله حتى وصل الى مرتبة الاحسان ، وهى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » (١) .

وحين يصل الانسان الى هذه المرتبة ، فانه يفعل الطاعات كلها ، وينتهى عن المعاصى كلها ، ويراقب الله فى كل حال ، يصدق مع الله فى عبادته ، ويصدق مع الناس فى

(١) فى الصحيحين من حديث الايمان .

(٢) سورة النازعات — آية ٣٧ .

وجانب الروحانية التي من أهم
مميزاتها طاعة الله ، قال تعالى :
« ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله
وكرهوا رضوانه فأحبط
أعمالهم » (٢) .

سئل ذو القرنين المصري :
« متى أحب ربى ؟ » قال : إذا
كان ما يبغضه عندك أمر من
الصبر » .

ومن الروحانية في الاسلام ،
أن يكون المسلم أشد حبا لله عن
كل ما سواه ، وأن يرى النور
الالهي قد أشرق على محياه ،
فأكسبه المهابة والجلال ، والفيض
الرباني قد ملأ قلبه ، فبعث فيه
الأمن والطمأنينة .

لا يخاف من شيء ، وكيف
يخاف وعنده الطمأنينة ؟
لا يضطرب من شيء ، وكيف
يضطرب وعنده الاستقرار ؟
لا يخشى مخلوقا ، وكيف يخشى
ومعه الله ؟

ولا يزال المسلم يرتقى في

قال تعالى « أحسب الناس أن
يتركوا أن يقولوا آمنا وهم
لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من
قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين » (١) .

الاسلام في معناه : انقياد
وخشوع لله ، واتباع لمنهج الله ،
وامتثال لما جاء به رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — .
ومبدؤه : النطق بالشهادتين . ثم
يكمل اسلام المرء اذا ما صدقه
العمل ، بأن يقيم الصلاة على أتم
شروطها في خشوع ، ويؤتي الزكاة
حسب ما وضحته السنة ، ويلتزم
بالصوم على أكمل واجباته ، ويحج
مراعى جميع مناسك الحج
وأوامره .

والروحانية في معناها
الاسلامى : أن يكون المسلم هو
تبعاً لما يحبه الله ، فمن أحب
شيئاً مما يكرهه الله ، أو كره
شيئاً مما يحبه الله لم يكمل
اسلامه ، ويكون قد فقد محبة الله ،

(١) سورة العنكبوت — آية ٢ ، ٣ .

(٢) سورة محمد — آية ٢٨ .

القرب رحيق الحب ، ويكون الله كل منا •

المسلم الروحانى : فقير الى الله من جهة العبادة له وفقير اليه من جهة توكله عليه ، مفتقر الى الله دائما من حيث هو المعبود ، ومفتقر اليه من حيث هو المستعان والمتوكل عليه ، ولا تتم العبودية والروحانية الا بهذين الأمرين • والروحانية الحقّة : أن يستسلم العبد لله ، وينقاد له وحده دون سواه ، يحقق لنفسه معنى قوله تعالى : « اياك نعبد و اياك نستعين » (١) •

والاسلام فى روحانيته لا يميل الى الانزواء فى الكهوف ، والعكوف فى المساجد والصوامع ، ولا يريد الانطواء على النفس ، والعزلة عن المجتمع ، ولا يحب أن يكون المسلم انسانا ضيقا مجتمعا حول نفسه •

وانما روحانية الاسلام : أن يكون المسلم انسانا أخلاقيا ممتدا بمنافعه حول أمته كلها ، يعيش

روحانيته حتى يحظى بمحبة الله ، ويصدق فيه قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى الحديث القدسى « ان الله - تبارك وتعالى - يقول : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبد بشيء أحب الى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ، وان سألتنى أعطيته ، وأن استعاذنى أعذته » •

وبالانقياد لله ، والخضوع له ، وتطبيق منهجه ، والتوكل عليه حق توكله ، يحيا المسلم حياة طيبة لا يضل فيها ولا يشقى ، حياة سعيدة لها جدوى ، حياة فيها متعة دون أن تعقب ألما ، حياة يذوق فيها المسلم لذة القرب الى الله ، ويحظى بمقام الرضى منه ، والأنس به ويتناول من شراب

حلالا طيبا وانتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون « (٢) » .

روى البخارى ومسلم فى حديث أوله : « مابال أقوام » (وهم الامام على وعبد الله بن عمر وعثمان بن مظعون) رضى الله عنهم « قالوا كذا وكذا » — أى ذكروا عباداتهم — (وكأنهم تقالوها) أى رأوها : قليلة مع أنها كثيرة — قال صلى الله عليه وسلم : « لكنى أصلى وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

واذا كان الاعتدال فى كل حال مطلوبا من الانسان ، وكانت الروحانية المغالية مجافية لروح الاسلام ، لقول الرسول — عليه الصلاة والسلام — : « ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » . فان من كمال المسلم مجانبته المادية المغالية ، والابتعاد عن الشهوة الجامحة ، والبعد عن عمل ما به

للناس ، ويحييا مع المجتمع ، شعاره الحب والايثار والتضحية ، يأخذ حظه من الدنيا بقدر ، ويتمتع بلذائذ الحياة فى حذر ، ينتفع بالطيبات من الرزق ، ويتجمل بزينة الله التى أخرج لعباده ، ويتزود بكل زاد حلال به قوام الأبدان ، وحياة الانسان ، طبقا لشريعة الله ، وفى حدود الاعتدال .

قال تعالى : « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » (١) .

ويقول تعالى : « ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله

(١) سورة الاعراف — آية ٣١ ، ٣٢

(٢) سورة المائدة ٨٧ ، ٨٨

فترة الاختبار الى الله ويرجع اليه فى صدق وايمان ، فيغفر له ، لأن المؤمن اذا ابتلى فصبر ، آجره الله وعوضه بكرمه ، وكان الابتلاء سبب قوة تدفعه الى التحمل ، ومضاعفة العمل ، والرضا بالقضاء والقدر ، وهذه هى روحانية الاسلام •

ومن لم يتمتع بقسط من هذه الروحانية فانه لا يصبر أمام الابتلاء ، بل يجأ بالشكوى ، ويكثر من الفزع ، وتتهن عزيمته ويقعد عن العمل ، فلو كشف عنه البلاء ، ورفع عنه الضرر ، وسكنت آلامه وخفت أحزانه ، رجع الى سابق عهده ، وحرص على حطام الدنيا ، وطمع فى الزيادة منه ، وازداد فسادا فى الأرض ، وأمن فى أذى الخلق ، ورتب ما يعمل فى الغد بما يعود عليه وعلى المجتمع بالضرر ، ويستمر على حاله حتى ينتهى أجله ، وتقشوم قيامته فيلقى ربه فى أسوأ حال ، يحمل أثقالا تنوء عن حملها الجبال فيندم بعد فوات الاوان •

ورد فى صحيح بن حبان :

يطرد من رحمة الله ، فلا يجعل الدنيا همه تملك عليه قلبه فيسيره ملك ما به يخلد فى النار ، أو يحرص عليها ، فينهج منهاج الطمع ، أو يسعى للوصول الى غرضه بكل أسباب الفساد ، وبأنواع النشاط المشبوهة ، والوسائل الممقوتة ، دون نظر الى حلال أو حرام •

المسلم الروحانى المعتدل ، يرى أن اشباع رغبات النفس ، والاكتار من حطام الدنيا وزينتها ، يقعد عن طاعة الله ، وأن التعلق بالماديات ، والانغماس فى الشهوات ، يعوق الاتصال بالله ، ويقف حائلا دون رحمة الله ، وأن الجنة لا يبلغها الا من كان خفيفا من هذه التعلقات ، التى حلالها حساب ، وحرامها عقاب •

المسلم الروحانى ، يصاب بألوان الابتلاء ، فيصمد ويصبر على ما أصابه ، يصاب فى النفس والأموال والأولاد ، ونقص الثمرات فلا يشعر بأنه المرزأ المبتلى ، بل يرضى ، ويرى أن الابتلاء رحمة ، يلجأ المسلم فى

إليك أسبق من نظرك الى من
تنظر » •

فلنسر في طريق الروحانية
الحقة ، القائمة على المنهج الالهي
القيوم ، يقينا منا أن التقدم
والرقى ، والأمن والطمأنينة ،
والرزق والخير ، والسعادة
والنصر ، لن يكون الا عن هذا
الطريق • وأن لا مخرج مما يموج
فيه العالم اليوم ، من الخوف
والاضطراب والشور والآثام
والقلق والانزعاج ، والحرب
والاستغلال ، والفرقة والانقسام
الا عن هذا الدين القويم ، والمنهج
الاسلامى السليم ، فهو الغاية
لكل من يرجو النجاة ، أفرادا
وجماعات ، في الدنيا والآخرة •

قال تعالى : « وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض كما
استخلف الذين من قبلهم وليمكنهم
لهم دينهم الذى ارتضى لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا
يعبدوننى لا يشركون بى
شيئا » (١) •

(موارد الظمآن) أن النبى
— صلى الله عليه وسلم — قال :
« ان الله اذا أراد بعبد خيرا عجل
عقوبة ذنبه ، واذا أراد بعبد شرا
أمسك ذنبه حتى يوافى يوم
القيامة كأنه عاثر » •

الروحانية التى ندعو اليها :
أن تكون مطابقة لكتاب الله وسنة
رسوله — صلى الله عليه وسلم —
موافقة لشريعة الاسلام فى
الفرائض والسنن والآداب
والفضائل •

الروحانية التى نريدها : تورع
عن كل ما حرم الله ، وصبر على
كل حرمان ، ورضى بكل ما يقضى
به الله •

الروحانية التى نرجوها : أن
يكون المسلم أكثر مراقبة لله ،
وأشد شوقا اليه ، وأعمق شعورا
بالقرب منه ، وأشغف حبا له وأتم
اطمئنانا به ، وأصدق توكلا عليه ،
وأسعد أنسا به •

سئل الجنيـد — رحمه الله
تعالى — : « بم يستعان على غض
البصر ؟ قال : بعلمك أن نظر الله

ونهيى بالدعاة والمصلحين فى الأمة الاسلامية أن ييثوا فى المسلمين الروحانية السامية ، ويوقظوا فى المسلمين الطاقات الهائلة ، وأن يحولوها الى حركة اصلاح نابضة ، تعمل فى صدق ووفاء ، واخلاص وصراحة الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، لأنه لا يصلح حال هذه الأمة الا على وحدة صف المسلمين ، وجمع شملهم ، وبث هذا المعنى بين جميع أبناء الأمة ، حتى يزول العداء ، وتتمحى الشحناء والبغضاء ، وتصبح أمة الاسلام أمة واحدة ، تخفق رايتها عالية فى كل مكان من بلاد الاسلام ، راية الوحدة والمحبة والاخاء .

هذه هى الروحانية الحققة ، التى تتمثل فى بناء قواعد الأمة ، وتدعيم أركان المجتمع ، على أساس المنهج الاسلامى القويم ، والمثل العليا والقودة الحسنة .

وقال تعالى : « **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون** » (١) .

ولو أن المسلمين اليوم رجعوا الى ربهم ، وتمسكوا بكتاب الله وسنته ونبيه وطبقوا شريعة الله فى أرضه ، ونبذوا الخلاف وطرحوا العداوة التى تحكمت بينهم لسادوا الدنيا ، وحكموا العالم ، وأعلوا كلمة الله فى كل مكان .

وحينئذ : يتحقق وعد الله لهم بأن يمدهم بنصره ، ويعيد اليهم مجدهم وتصبح أرض الاسلام كلها جنة ، والمسلمون كلهم أحباب الله وجنوده : قال تعالى : « **وان جندنا لهم الغالبون** » (٢) .

وقال تعالى : « **ولو أن أهل القرى آمنوا وانفقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** » (٣) .

(١) سورة العنكبوت - آية ٧ .

(٢) سورة الصافات - آية ١٧٣ .

(٣) سورة الاعراف - آية ٩٦ .

على الدعاة والمصلحين وعلماء
الأزهر وطلابه في أنحاء الدنيا أن
يبصروا الشباب بمبادئ الإسلام،
وأن يبينوا لهم منهجه في وضوح،
ويشرحوا لهم أخلاقه وفضائله،
عليهم أن يفهموا الشباب دينهم
فهما سليما، بعيدا عن النزعات
المغرضة، والمبادئ الهدامة،
التي لا تمت إلى الإسلام بأية
صلة، والتي تنسب أحيانا إلى
الإسلام، والإسلام منها براء.

على هذا الأساس المتين، وبهذا
المنهج الإسلامي السليم، تقام
الوحدة وتتحد الأمة، ويتحقق
النصر، وما النصر إلا من عند الله،

والله غالب على أمره، ولكن أكثر
الناس لا يعلمون.

اللهم بصر قادة المسلمين
بدينهم، ووفقهم إلى تطبيق منهجه
تطبيقا كلياً كاملاً كما تحبه
وترضاه.

اللهم طهر قلوب المسلمين من
كل وصف يباعدهم عن مشاهدتك
ومحبتك ووفقهم إلى الخير، وخذ
بيدهم إلى النصر، فإنه لا يعجزك
شيء في السماء والأرض، وأنت
وحدك سبحانه نعم المولى ونعم
النصير.

محمد صابر البرديسي

« رجاء إلى كتاب مجلة الأزهر »

تسهيلاً لعمليات المراجعة يرجى من السادة كتاب
المجلة التكرم بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة (التربرايتتر)
ثم مراجعتها أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم
الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية، والله
الموفق.

أسرة المجلة

مكانة الحديث في التشريع الإسلامي

لفضيلة الدكتور الحنيف الهاشم
المؤيد العام لجمع البحوث الإسلامية

الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء» وكما نزل القرآن يوضح المشكل ويبين الصواب •

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر ما خفى وبرز ما ما استتر وأمن الخائف على نفسه وارتد كثير من العرب ومنع بعضهم الزكاة وحاولوا تشويه الدين بالكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم • ولكن أبا بكر وقف وقفة الحبيطة والحذر ، فكما حدد المرتدين وكسر شوكتهم وبدد شملهم كذلك سد الباب في وجوه الكذابين بما وضعه من قوانين الرواية وتابعه عمر رضى الله عنه عن ذلك • واحتياطا للدين وحرصا على السنة وتفرغا لمشاكل الحرب الساخنة المفروضة على المسلمين

وجاء عصر الصحابة : فكان تطبيقا عمليا لتلك التوجيهات النبوية • والحق أن جهود الصحابة في مجال حفظ الدين بالدرس والعلم ورسم المناهج لاتقل أهمية عن جهودهم لحفظه بالسيف وبذل الأرواح • لقد كان الوحي ينزل بما يحتاجون اليه ويكشف ما يخفى عليهم ، وكانت حلقة الاتصال بين السماء والارض موصولة حتى أن الخائن كان لا يأمن سره والمخطيء لا يخشى من خطئه والجاهل لا يخاف من جهله • قال تعالى : **« يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم »** • وكشف الوحي سر الخطاب الذي أرسله بعض الصحابة لتحذير أهل مكة ونزل قوله تعالى : **« يا أيها**

في تلك الفترة الحاسمة • روى
الشعبي عن قرظة بن كعب أنه قال:
خرجنا نريد العراق فمشى معنا
عمر الى صرار ، فتوضأ ، فغسل
اثنيتين ثم قال : أتدرون لم مشيت
معكم ، قالوا نعم نحن أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشيت معنا فقال : انكم تأتون أهل
قرية لهم دوى بالقرآن كدوى
النحل فلا تصدوهم بالحديث
فتشغلوهم • جودوا القرآن وأقلوا
الرواية عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم • أمضوا وأنا شريككم
فلما قدم قرظة قالوا حدثنا قال :
نهانا عمر بن الخطاب • وفي هذا
الخبر ما يدل على ان عمر رضى الله
عنه رأى أن العناية أولا ينبغي أن
تكون مركزة على القرآن لأنه
الأساس وأن حفظ القرآن سيجر
حتما الى حفظ السنة والبحث عن
كل ما يتعلق بها •

وسأل عبد الله بن الزبير أباه :
انى لا أسمعك تحدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث
فلان وفلان فقال له أما انى لم
أفارقه ولكنى سمعته يقول :

كان الاتجاه الى تقليل الرواية
والمبالغة في الاحتياط والتثبت
لأرهاب الكاذبين ، وتخويف
الماكرين • فهذا أبو بكر الصديق
رضي الله عنه — على كثرة سماعه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم
— يقلل من رواية الحديث — وهذا
عمران بن حصين — وهذا
أبو عبيدة والعباس بن عبدالمطلب
وغيرهم • كلهم يقلون الرواية ،
حتى أن سعيد بن زيد أحد العشرة
المبشرين بالجنة لم يرو له الا
حديثان أو ثلاثة • وهذا أبى بن
عمارة لم يرو له الا حديث واحد
في المسح على الخفين •

وهذا أنس بن مالك قال : انه
ليمنعنى أن احدثكم حديثا كثيرا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
من تعمد على كذبا فليتبوأ مقعده
من النار • وكان اذا ذكر حديثا
ختمه بقوله « أو كما قال » حذرا
من أن يغير لفظا منه • وكان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه يأمر الناس
بتقليل الرواية وكان مهيبا عند
جميع الصحابة وما كان كذلك
الا ليتمكن من حصر مصادر الاخبار

« من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » •
فأنفذه أبو بكر لها •

وروى عن عمر رضي الله عنه
بعد أن ذكر أنه الذي سن للمحدثين
سنة التثبت في النقل وربما كان
يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب —
أن أبا موسى سلم عليه من وراء
الباب ثلاث مرات فلم يؤذن له
فرجع ، فأرسل عمر في أثره فقال :
« لم رجعت ؟ قال : سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« إذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب
فليرجع » قال لتأتيني على ذلك بينة
أو لأفعلن بك • فأخبر أبو موسى
بعض الصحابة بذلك وسألهم هل
سمع أحد منكم هذا الحديث فقالوا
نعم كلنا سمعنا وأرسلوا معه رجلا
منهم أخبره • • وقال لأبي بن كعب
وقد روى له حديثا لتأتيني على
ما تقول ببينة فلما حضر ما يؤيد
قوله قال عمر رضي الله عنه : أما
أنى لم أتهمك ولكن أحببت أن أتثبت
— ولعل عمر رضي الله عنه بذلك
انما أراد أن يختبر حفظ الرواة من
الصحابة مع ثقته التامة في عدالتهم
ونزاهتهم • وعن أسماء بن الحكم
الفزاري أنه سمع عليا يقول : كنت

وقيل لزيد بن أرقم وقد كبر
سنه ووهن عظمه : حدثنا يازيد
فقال : كبرنا ونسينا والحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
شديد •

ولم يقتصر الصحابة على ذلك ،
سواء من أنفسهم أو بتوجيه الخلفاء
وانما رسموا منهج التثبت من
رواية الحديث ومن رواته فلم
يقبلوا الا ما اطمانت اليه نفوسهم
ورضيته ضمائرهم •

وقد بين الذهبي في تذكرته أن
أبا بكر رضي الله عنه كان أول من
احتاط في قبول الأخبار • وروى
عن الزهري عن قبيصة : أن الجدة
جاءت الى أبي بكر تلتمس أن
تورث • قال : ما أجد لك في كتاب
الله شيئا ، وما علمت أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك
شيئا ، ثم سأل الناس • فقام
المغيرة بن شعبة فقال : كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعطيها
أندس : فقال هل معك أحد •
فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك

عائشة وهى من هى قد أخطأت حينما استعملت مثل هذا المنهج فما بالك بغيرها؟! ومن ذلك أيضا أن عائشة لما سمعت بوقوف النبى صلى الله عليه وسلم على قتلى بدر وقوله: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقا» وأنه قال: انهم الآن يسمعون ما أقول، قالت: انما قال النبى صلى الله عليه وسلم: انهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق ثم قرأت «انك لا تسمع الموتى» حتى قرأت الآية، وخالفها غيرها فقال ان الآية فى سماع الاجابة وأن الموتى غير مكلفين، وفى رواية أنها قرأت أيضا قوله تعالى: «وما أنت بمسمع من فى القبور» والمراد من الآيتين عدم تكليف الموتى ووجوب تبليغهم الرسالة لانقطاعهم عن دار التكليف. • • وقد بينت الآية الاخيرة أن الله يسمع من يشاء • وغرضنا هو بيان فساد هذا المنهج فى الحكم على السنة والوقوف معه عند حد الضرورة •

وكما كان لها فى مجال النقـد الداخلى شأنها فانها اختبرت الرواة

إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى به وكان اذاحدثنى غيره استحلفته فاذا حلف صدقته وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«ما من عبد مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له» • وكان كثير من الصحابة يختبرون حفظ الرواة وينقدون الحديث نقدا ذاتيا داخليا بمقارنته بغيره مما ثبت وصح • فهذه عائشة رضى الله عنها ترد حديث رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج بظاهر قوله تعالى: «لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار» • وهذا اجتهد منها عارضها فيه غيرها بأن معنى الآية «لا تحيط به الابصار» وبذلك لا تتنافى الآية مع الحديث — وفى هذا ما يدلنا على أن نقـد الحديث على الأساس الداخلى يضر بالسنة أكثر مما يفيد لانه يفتح المجال أمام غير المتخصصين للطعن فى السنة بأدنى توهم — فاذا كانت

لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص • لقد اختبرت حفظه أحلى اختبار وهو لا يشعر فنجح في الاختبار • وتبين لنا من ذلك أنها كانت حريصة على تنقية السنة من كل ما يمكن أن يكون فيه أدنى ريب أو عيب وكذلك كان أكثر الصحابة رضوان الله عليهم ولم يمنع هذا التدقيق من انتشار رواية الحديث وقبول خبر الواحد الثقة فقد قبل عمر خبر الضحاك بن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه أن يورث امرأة أشيم الضبابى من ديتة وخبر عبد الرحمن بن عوف في الرجوع عن بلد الطاعون وعدم الدخول عليه وغير ذلك •

ولما أوشك عصر الصحابة على الانتهاء فتحت الفتن أفواهاها ولعبت دسائس الكفار والمنافقين والمشتغلين أدوارها فتفرق المسلمون وظهرت الأحزاب وكان الشيعة والخوارج والأمويون والعلويون ونحو ذلك ، بدأ الوضع بصورة جدية في الحديث ومحاولة ادخال ما ليس منه فيه • روى ابن الجوزى في مقدمة كتاب الموضوعات

والمحدثين خاصة من اشتهر منهم بالرواية • ففى الصحيحين عنها : أنها قالت لعروة بن الزبير يا ابن أختى بلغنى أن عبد الله ابن عمرو مار بنا الى الحج فאלقه فأسأله فأنه حمل عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرا قال : فلقيته فسألته عن أشياء يذكرها عن النبى صلى الله عليه وسلم • قال عروة : فكان فيما ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعا ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم ويبقى في الناس رؤوس جهال يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون • قال عروة فلما حدثت عائشة بذلك أعظمته وأنكرته • قالت : أحدثك أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ قال عروة : نعم • حتى اذا كان عام قابل قالت لى : ان ابن عمرو قد قدم فאלقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذى ذكره لك فى العلم • قال : فلقيته فسألته فذكر لى نحو ما حدثنى فى المرة الاولى • قال عروة : فلما أخبرتها بذلك : قالت : ما أحسبه الا وقد صدق أراه

وسلم أنه كائن بعده خليفة يطالب له بكرة ولده وهذه عشرة آلاف درهم وخلاعة مركوب وخادم فقال له الرجل : أما عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا ولكن اختر من شئت من الصحابة وحط لى من الثمن ما شئت قال : عن النبي صلى الله عليه وسلم أوكدوا العذاب عليه أشد •

بل لقد حاول بعض الشيعة تركيب أحاديث موضوعة على أسانيد صحيحة فقابلهم أئمة الحديث من أصل الصحيح بعدم اعتماد احاديث على رضى الله عنه ولا فتاواه الا ما جاء عنه من طريق أهل بيته خاصة أو من طريق أصحاب عبد الله بن مسعود كعبيدة السلماني وشريح وأبى وائل ونحوهم وهى طرق أطمأن الى سلامتها حذاق المحدثين •

وكان أعداء الشيعة يحاربونهم بأسلحتهم ، فوضعو أحاديث مضادة لأحاديثهم : «ان فى السماء الدنيا ثمانين ملك يستغفرون الله لمن أحب أبا بكر وعمر» الخ • • « اذا رأيت معاوية يخطب على

عن ابن لهيعة أنه قال : سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول: ان هذه الاحاديث دين فانظروا عن تأخذون دينكم فاننا كنا اذا هويانا أمرا صيرناه حديثا • وقال عبد الرحمن بن مهدي فى حديث « اذا أتاكم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله فان وافق كتاب الله فأننا قلته » : « ان الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث » وابتدع الشيعة أحاديث كثيرة منها ما وضعوه فى الحط من شأن معاوية وبني أمية • ومن ذلك :

« من مات وفى قلبه بغض لعلى ابن أبى طالب فليمت يهوديا أو نصرانيا » •

« ستكون فتنة فان أدركها أحد منكم فعليه بخصلتين : كتاب الله ، وعلى بن أبى طالب » • • الخ •

وهى أحاديث طافحة بالوضع بعيدة عن نور النبوة •

ولما خرج المختار بن أبى عبيد الثقفى على عبد الله بن الزبير قال لرجل من محترفى الحديث : ضع لى حديثا عن النبي صلى الله عليه

وعن طاوس قال : جاء هذا الى ابن عباس — يعنى بشير بن كعب — فجعل يحدثه فقال له ابن عباس عد لحديث كذا وكذا فعاد له ثم حدثه فقال له عد لحديث كذا وكذا فعاد له فقال له : ما أدري أعرفت حديثي كله وانكرت هذا أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا ؟ فقال له ابن عباس : انا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن يكذب فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه •

وعن مجاهد قال : جاء بشير العدوى الى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر اليه • فقال : يا ابن عباس لا أراك تسمع لحديثي • أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع لحديثي ؟ فقال ابن عباس : انا كنا مرة اذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا اليه

منبرى فقبلوه فانه أمين مأمون » مقابل اذا رأيتهم معاوية يخطب على منبرى فأقتلوه والكل موضوع • ولكن الله تعالى حفظا لدينه وتحقيقا لقول رسوله : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله » الخ • قيص للسنة حماتها وهيا لها رجالها فرفضوا أحاديث أهل الفرق وحفظوا السنة من أهل الأهواء وقصدوا القبول على الأحاديث الصحيحة المنقولة عن رجال مخلصين تجردوا عن التعصب ، لهم من دينهم ما يحفظ عليهم صدقهم ويردعهم عن الكذب والاختلاق وزادوا في الاحتياط ودققوا في الانتقاء •

وقد ذكر الامام مسلم في مقدمة صحيحه صورة صادقة للتحوط ودواعيه ، فروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا — أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم ولا يفتونكم » •

بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس الا ما نعرف .

وعن ابن أبى مليكة قال : كتبت الى ابن عباس أسأله أن يكتب لى كتابا ويخفى عنى . فقال ولد ناصح أنا أختار له الامور اختيارا وأخفى عنه . قال : فدعا بقضاء على فجعل يكتب منه أشياء ويمر به الشيء فيقول : والله ما قضى بهذا على الا أن يكون ضل .

وعن طاوس قال : أتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء على رضى الله عنه فسماه الاقدار . وأشار سفيان بن عيينة بذراعه .

ومن ذلك كله نتبين أن بعض الصحابة ومنهم ابن عباس واجهوا هذا التيار بحسم ورسوموا المنهج الصحيح لمقاومته وربوا على ذلك الكثيرين من النبهاء .

وعن ابن سيرين قال : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم .

ولقد تفرق الصحابة فى البلاد المختلفة وكونوا فيها حلقات العلم وزرعوا بها مدارس الحديث ودرسوا هذا المنهج النبوى الحكيم فى الحث على السنة والتحذير من التهاون فى شأنها أو ادخال ما ليس منها فيها .

وحفظ التاريخ كثيرا من الصحابة واتباعهم بالأمصار المختلفة . فبالمدينة كان أبو بكر وعمر وعلى قبل انتقاله الى الكوفة وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمرو وأبو سعيد الخدرى وزيد بن ثابت وقد تخرج على أيديهم أفاضل التابعين مثل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهرى وغيرهم من فقهاء المدينة وعلمائها الذين كانوا من المراجع الهامة فى السنة والذين انتفعت بعلومهم أمصار الاسلام فى مواسم الحج وغيرها .

وكان بمكة معاذ بن جبل وعبد الله بن عباس وعبد الله بن السائب المخزومى وخباب وخالد ابنا أسيد والحكم بن أبى العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم وتخرج

وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء
وشرحبيل بن حسنة والفضل
ابن العباس بن عبد المطلب وتخرج
على أيديهم كثير من التابعين كأبي
ادريس الخولاني وقبيصة بن ذؤيب
ومكحول بن أبي مسلم وغيرهم •
وكان بمصر عبد الله بن عمرو
ابن العاص وعقبة بن عامر الجهني
وخارجة بن حذافة وأبو بعرة
الغفاري وغيرهم وتخرج على
أيديهم كثير من التابعين كأبي الخير
مرثد بن عبد الله اليزني ويزيد بن
أبي حبيب وغيرهما •

لقد امتد نور النبوة ممثلاً في
الصحابة وما حملوه من علم الى
كل أقطار الاسلام وحملت طائفة
خيرة منهم من بعدهم وهكذا جيلاً
بعد جيل حتى وصلت السنة الى
قمة ازدهارها على يد أئمة
الحديث •

دكتور / الحسيني هاشم

على أيديهم أفاضل التابعين مثل
مجاهد بن جبير وعكرمة مولى ابن
عباس وعطاء بن أبي رباح وغيرهم •
وكان بالكوفة على بن أبي طالب
وعبد الله بن مسعود وسعد بن
أبي وقاص وسعيد بن زيد وخباب
ابن الارت وعمار بن ياسر
وأبو موسى الاشعري والنعمان بن
بشير والبراء بن عازب وغيرهم
وتخرج على أيديهم كثيرون من
أفاضل التابعين منهم مسروق بن
الأجدح وعبد بن عوف السلماني
وابراهيم بن يزيد النخعي وغيرهم •

وكان بالبصرة أنس بن مالك
وعتبة بن غزوان وعمران بن
الحصين ومقل بن يسار وغيرهم
وتخرج عليهم من التابعين الحسن
البصري ومطرف بن عبد الله بن
الشخير وأبو بردة بن أبي موسى
وغيرهم •

وكان بالشام معاذ بن جبل

دراسات قرآنية

الحج
وأهدافه السامية

لفضيلة الشيخ مصطفى الطبر

قال تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا
تقبل انك أنت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
أمة مسلمة لك » الآيات من البقرة •
« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل
فج عميق » الآيات من الحج •

ساذجة الى أبعد حدود السذاجة ،
فلهذا عبدوا الاوثان ، وأشركوها
في العبادة مع الواحد الديان •

وقد شاءت عناية الرحمن
الرحيم ، أن يجمعهم بعد شتات ،
وييسر لهم الارزاق بعد صعوبة ،
ويفتح قلوبهم وأرواحهم على
شواهد خالق الأكوان ، حتى
يؤحدوه ولا يشركوا به شيئا ،
ويجعل منهم أمة مسلمة لرب العالمين
تحمل مشاعل الحق في ليل الجهالة

الحج وأهدافه السامية

كان العرب في أرض الحجاز
الجرداء مشتتين ، يرحلون بابلهم
وأغنامهم الى الوديان ، حيث مهبط
الأمطار ، ومستقر السيول المنحدرة
من الجبال والتلال فيرعون ماشيتهم
في الاعشاب النائية عنها ، ويأوون
الى أكتان مصنوعة من أوبارها
وأصوافها ، حتى اذا استوعبت
خضراءها ، ارتحلوا عنها الى
سواها •

وكانت أفكارهم في رب هذا البيت

على الله تعالى ، وأن الماء الذى جرى حولها هو من بركات بيت النبوة الكريم ، وأن ذلك الحدث الجليل يخفى وراءه أسراراً ستظهرها عناية الله فى أوانها •

الرائد يزف البشرى الى قومه

زف الرائد البشرى الى قومه — قبيلة جرهم — فأقبلوا عليها فى فرحة غامرة يسألونها المقام حولها، ويلتمسون الانتفاع بالعين المباركة التى أكرمها الله بها، على أن يقوموا بخدمتها ورعايتها وطفلها، وحتى يتزعرع ويبلغ مبلغ الرجال ، فأذنت لهم •

بناء الكعبة :

كان ابراهيم يتعهد اسماعيل وأمه ويزورهما من آن لآخر حتى كبر اسماعيل ، فأمره الله أن يبنى كعبة يحج اليها الناس لعبادة الله رب العالمين فى هذه البقعة المباركة، ويتخلصون بذلك من عبادة الأوثان ، ويكون من وراء ذلك جلب الأرزاق لأهل هذا الوادى الذى لا زرع فيه ولا شجر ، فاستجاب لربه وبنى البيت الحرام ، وكان يقول هو وولده

والشبهات ، فتضىء للناس سبيل الهدى والرشاد •

فلهذا أمر الله نبيه ابراهيم عليه السلام ، أن يرحل بولده اسماعيل وأمه هاجر الى أرض الحجاز ، وأن ينزل بهما فى مكان معين منها ، شئت العناية أن تنشأ فيه مكة المكرمة ، ليكون مشرق الهدى ومبعث الايمان والعرفان ، ففعل ابراهيم ما أمره الله به ، ولما أراد الانصراف دونهما سأله هاجر : الى من تكلنا ؟ قال ابراهيم عليه السلام : الى الله تعالى ، قالت هاجر : آله أمرك بذلك ؟ قال نعم، قالت : اذن لا يضيعنا •

فلما انصرف أخرج الله لهما عين زمزم ، وأفاض الماء من حولها غزيراً ملاً البقاع ، فحومت الطيور فوق الماء ، فلما رأت قبيلة جرهم تلك الطيور تروح وتغدو ، أرسلوا رائداهم اليها ، فرأى ما لم يكن رآه من قبل ، رأى سيدة كريمة معها رضيعها ، والماء يستبخر من حولها، فسألها عن أمرها وأمر الماء الذى لم يعرف قبل نزولها ، فأخبرته بمقتضاها ، فعرف أنها من بيت كريم

ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة
من الناس تهوى اليهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون» •

وتحقيقا لتلك الأغراض ، أمر
الله ابراهيم عليه السلام ، أن
يؤذن في الناس بالحج ، وفي ذلك
يقول الله تعالى « وأذن في الناس
بالحج يأتيوك رجالا وعلى كل
ضامر يأتين من كل فج عميق» (٢)

أى يأتيوك مشاة وركبانا على بعير
مهزول من طول السفر على ابلهم
آتية من كل طريق بعيد « ليشهدوا
منافع لهم » عظيمة الخطر ، جليلة
القدر في الدنيا والآخرة •

روى ابن جرير والحاكم
وصححه وغيرهما عن ابن عباس
قال « لما فرغ ابراهيم من بناء
البيت قال : رب قد فرغت ، قال :
أذن في الناس بالحج ، قال : يارب
وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن وعلى
البلاغ ، قال : رب كيف أقول ؟
قال : قل يأيها الناس كتب عليكم

اسماعيل — وهما يرفعان القواعد
منه « ربنا تقبل منا انك أنت
السميع العليم ، ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن نريتنا أمة مسلمة
لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك
أنت التواب الرحيم » (١) •

فالغرض الأول من بناء الكعبة هو
انشاء أمة مجتمعة مسلمة لله
وحده لا شريك له ، تتحدر من
اسماعيل عليه السلام ، بعد
تزوجه من قبيلة جرهم •

والغرض الثانى من بنائها أن
تتجه هذه الأمة المسلمة اليها لتقيم
الصلاة لرب العالمين وحده
لا شريك له •

والغرض الثالث أن يحج الناس
اليها من مختلف البقاع ، لأداء
المناسك وحمل الأرزاق الى
السكان حولها ، وفي ذلك يقول
الله تعالى حكاية لدعوة ابراهيم
عليه السلام التى حددت أهدافه
« ربنا انى أسكنت من نريتي
بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم

(١) البقرة - الآية ١٢٨

(٢) ابراهيم من الآية ٣٧

عباداتهم ، ورجعوا الى عبادة الأوثان التي أبطلتها شريعة ابراهيم واسماعيل عليه السلام ، وكانوا يزعمون أنهم يتقربون بها

الى الله ، مع أن الله أقرب اليهم من جبل الوريد ، وليسوا بحاجة الى أن يتقربوا بها اليه ، فهي تبعدهم عنه سبحانه ، فتراهم حولوا الكعبة من قبلة لعبادة الرحمن ومطاف يذكر حوله اسم الله ، الى بيت للأصنام ، ومطاف تذكر حوله أسماء الأوثان .

فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، كان أهم أغراض دينه القضاء على الشرك والوثنية وتوجيه البشر الى عبادة الواحد الصمد .

وقد استمر الرسول يجاهد في سبيل ذلك حتى نصره على أهل مكة ، حماة الشرك في الجزيرة العربية ، في غزوة الفتح المبين ، سنة ثمان من الهجرة النبوية .

قضاء الاسلام على دولة الأوثان

ولما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة بعد أن دانت له ،

الحج الى البيت العتيق ، فسمعه أهل السماء والأرض ، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى البلاد يلبون » .

وجاء في رواية أخرى أنه عليه السلام صعد أبا قبيس ، فوضع أصبعيه في أذنيه ثم نادى : « يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم ، فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، وأول من أجاب أهل اليمن ، فليس حاج يحج من يومئذ الى أن تقوم الساعة الا من أجاب يومئذ ابراهيم » .

وقد استجاب الناس في عهد ابراهيم واسماعيل الى دعوة التوحيد ، ونبذوا الاشرار وعبادة الأوثان ، الى عبادة الواحد الديان ، وكان طوافهم بالبيت تمجيذا لرب البيت ، لا لذات البيت .

تحويل كعبة التوحيد الى بيت للأصنام

بعد فترة من عصر اسماعيل عليه السلام ، نسي أهل هذه البقعة التوحيد في حجهم وسائر

لأنها كانت معقل الوثنية فيها ،
والمركز الأول لقداستها عندهم •

الكعبة أول بيت وضع للناس

كانت الكعبة أول مبنى أمر الله
بأنشائه ليتجه الناس اليه حين
عبادتهم لله رب العالمين ، ولما
زعمت اليهود أن بيت المقدس هو
أول بيت أنشئ لذلك ، كذبهم الله
فأنزل قوله تعالى « ان أول بيت
وضع للناس للذي ببكة مبارك
وهدى للعالمين » ودلل على كونه
أول بيت وضع للناس بأدلة ثلاثة
ذكرها في قوله « فيه آيات بينات
مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا
ولله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سهيلا » •

فمقام إبراهيم هو المكان الذي
كان يقوم فيه للصلاة ، وهو الآية
الأولى على كون هذا البيت بناء
إبراهيم عليه السلام ، فان الناس
قد توارثوا هذه التسمية خلفا عن
سلف ، وهى تدل على أن إبراهيم
كان يقوم للصلاة فيه أثناء بنائه
للكعبة أو أثناء زيارته لاسماعيل
وأهله •

أمر أصحابه بتطهير الكعبة
وما حولها من الأصنام ، فأخرجوها
وحطموها ، وأخرجوا صورتين
لإبراهيم واسماعيل عليهما
السلام ، وفي أيديهما الأزام ،
فقال صلى الله عليه وسلم :
« قاتلهم الله • لقد علموا ما
استقسما بهما قط » ونادى منادى
الرسول صلى الله عليه وسلم
بمكة ، من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا يدع في بيته صنما
الا كسره ، وأرسل خالد بن الوليد
الى شجرة العزى فقطعها وهدم
بيتها ، وكانت معبودة قريش
وبنى كنانة ، وكانت أعظم آلهتهم
في نظرهم ، ثم بعث عمرو
ابن العاص في سرية الى سواع
فحطمه ، وكان معبود هذيل ، ثم
بعث سعد بن زيد بن عبد الأشهل
الى مناة معبودة الأوس والخزرج
وغسان وغيرهم فهدمها ، الى غير
ذلك •

وبالقضاء على عبادة الأوثان
بمكة وما حولها ، سقطت دولة
الشرك في جميع البلاد العربية ،

أنه تعالى مكن الأكوان ، فهو أجل وأعظم من أن يكون له مكان فكيف يحل في هذا الحيز الصغير ، والحيز عليه محال
« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » وفي حديث « كان الله ولا شيء معه وكان عرشه على الماء » فالله موجود قبل خلقه المكان والأحياء ، فيستحيل عليه المكان ، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك •

وجواب هذا السؤال أن اتخاذ القبلة ليس المقصود منه أن يواجه المصلى ذات ربه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، بل المقصود منه توحيد مظهر العبادة من أهل الملة الواحدة ، فكما اتحدوا في عقيدتهم وأقوالهم وأفعالهم أثناء عبادتهم ، يتحدون في قبلتهم أثناء أدائها ، حتى يتميزوا عن سواهم من أهل الباطل ، وحتى تتميز عاداتهم عن عبادتهم •

ومن الأمور المقررة في الأديان السماوية قبل أن يلحقها التبديل والتحريف أن الله أجل وأعظم من

والآية الثانية أن من دخله كان آمنا ، وذلك من شرع إبراهيم ، توارثه العرب عنه جيلا بعد جيل ، فقد صار ملاذا للخائفين منذ انشائه وجعل هذا الحكم من سماته ، فاذا أقام خائف في رحابه أمن على نفسه من أعدائه ، ولو كانت بينه وبينهم دماء وترات ، وفي ذلك يقول الله تعالى **« أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم »** •

والآية الثالثة أن الناس يحجون إليه استجابة لأذان إبراهيم ، فتلك آيات بينات على أن الكعبة أول بيت وضع للناس وليس بيت المقدس ، فإنها شاهدة بأن منشئه هو إبراهيم عليه السلام ، وإبراهيم لم يبن بيت المقدس ، بل أنشأه حفيده سليمان ، وبينهما زمن طويل •

حكمة استقبال الكعبة

قد يقول قائل ان استقبال قبلة معينة أثناء العبادة ، ربما يشعر أن المولى سبحانه مقيم فيها ، فلذا يتجه الناس إليها ، مع

أن يحل في مكان ، فانه ليس بحاجة الى مكان .

فعلى كل متدين حين يستقبل القبلة أن يشعر بهذا المبدأ وأن يجعله مسيطرا على عقيدته ، فلا ايمان بدون تنزيه الله عن الزمان وعن المكان ، وليعلم المؤمن أنه تعالى موجود بعلمه في كل مكان يتجهون فيه اليه ، وهذا هو المعنى المقصود بقوله تعالى « فأينما تولوا فثم وجه الله » .

فضل الحج وأسراره

دعا الله تعالى عباده الى حج بيته الحرام ، وأعد لهم مائدة يختلفون اليها ، هي مائدة الغفران والرحمة ، والثواب الجزيل على ما بذلوا من جهد ومال ، في سبيل تلبية هذه الدعوة المباركة .

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

وبسندهما عن أبى هريرة أيضا قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » وأخرج البزار بسنده عن أبى هريرة أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأثوه ، وسألوه فأعطاهم » .

وبما أنه تعالى صاحب الضيافة وأنت لا تراه ، فلهذا تطوف ببيت ضيافته لك ، كما يفعل المحب الهائم ، حول المحبوب الذى يرى نعمه ولا يرى ذاته .

وأنت في طوافك لا تعظم البيت تعظيم المشركين ، بل تعظيم رب البيت الذى لا تراه ، اذ تقول وأنت به تطوف : سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وتدعو الله بما شئت ، وبهذا تحول طواف الشرك وتقديس الأوثان ، الى طواف التوحيد وتقديس رب الأكوان .

وأنت حين تستلم الحجر الأسود وتقبله ، و لاتجعل منه شريكا لله تعالى - كما كان

ومن حكم الحج وأسراره أنه
يجمع وفود أهل الأرض على توحيد
الله تعالى ، وأن يكون موسماً
لتبادل الرؤى فيما ينفع المسلمين في
دينهم ودنياهم ، وبقيهم شرور
أعدائهم ويؤكد الوحدة
الدينية والفكرية التي
تجمعهم ، ويزيل أسباب الفرقة
بينهم ، ولهذا ذكر الله تعالى من
حكم تشريعه أن يشهدوا منافع
لهم ، الى غير ذلك من الحكم
والأسرار ولو أمكن استغلال
الحج كما أراده الاسلام ، لكان
سبباً في عزة المسلمين ومنعتهم
والله يقول الحق وهو يهdy
السييل .

مصطفى محمد الحيدى الطير

المشركون يصنعون ، بل أنت تعبر
بذاك عن أشواق القلب ، وعظيم
الحب لله الذى لا تراه ، ولهذا
تقول حين استلامه : اللهم ايماننا
بك ، وتصديقنا بكتابك ، ووفاء
بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك ، وبهذا
المذكر النظيف ، تحولت هذه
المناسك وغيرها من الوثنية
المعارضة الى التوحيد النظيف
الذى كانت عليه شريعة ابراهيم
جد الأنبياء - عليه وعليهم
السلام -

ولقد أكثر الله تعالى في سورة
الحج من التحذير من الشرك ،
وحسبك قوله تعالى فيها ، « ومن
يشرك بالله فكانمما خر من
السماء فتخطفه الطير أو تهوى به
الريح في مكان سحيق » .

تعقيب ورد على التعقيب

الشعر المماوكي مرآة عصره

الأستاذ البرهان تروند

فقال : ان العلم والطب الحديث أثبت أن الغدة التناسلية في الانسان بين الصلب والترائب ، أى بين عظام ظهره وعظام صدره ، فتشده رأى الأطباء بأجهزة الأشعة ، أن خصيتى الجنين موجودتان خلف الكليتين في مكان يقع بين عظام السلسلة الفقرية للظهر ، والضلعين الحادى عشر والثانى عشر من عظام الصدر ، وذلك فى الشهر الثانى لوجود الجنين فى الرحم ، ثم تترك الغدة التناسلية هذا الموضع وتتدلى لتأخذ مكانها العادى فى الصفن — وهو جلد الخصيتين فى الشهر التاسع للحمل .. ثم قال : وكذلك توجد الغدة التناسلية (المبيضان) للمرأة فى هذا المكان عندما يكون

فى عدد رمضان سنة ١٤٠٠ هـ من مجلة الأزهر أثناء تفسير قوله تعالى «فلينذر الانسان مم خلق ، خالق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » قال فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الطير فى دراساته القرآنية (وزعم بعض قدامى المفسرين فى تفسيره أن الماء الدافق يخرج من بين صلب الرجل — وهو عظام ظهره — وترائب المرأة — وهى عظام صدرها — ونسبوا هذا التأويل الى ابن عباس ، وهذا غير صحيح نقلاً ولا موضوعاً ..) الخ

تعقيب العقيد

وعقب على ذلك العقيد عبد الفتاح الزهيرى (بالمعاش)

والترائب « أى يخرج الماء الدافق من بين صلب الرجل وترائبها ، وكذا من بين صلب المرأة وترائبها أيضا ، ونقلنا رأى ابن عباس الذى رواه عنه مكى فى ص ١٠٦٥ من المجلة ، فى آخر العمود الأول منها ، وهو يخالف النقل السابق الذى رفضناه .. حيث قلنا : (وكأن ابن عباس كان يعيش بيننا فى عصر الحقائق العلمية ، حيث حمل الترائب على أطراف الانسان وعينيه — كما نقله عنه مكى — وروى الحسن عن قتادة: يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبها — وهذا المعنى هو الذى رأينا الأخذ به) هذا نص كلامنا فى الموضع المذكور . وليس المقصود المعنى الحرفى للنص القرآنى ، فان الماء الدافق لا يخرج من بينهما حقيقة وانما يخرج من الخصيتين فى الرجل ، والمبيضين فى المرأة (١) ، بل المقصود أنه يخرج من جميع أجزاء البدن فان النطفة سائلة من الدم انتهت الى الخصيتين والمبيضين أثناء

الجنين فى الشهر الثانى فى الرحم ، ثم تأخذ مكانها الطبيعى فى الشهر (التاسع ..) الى آخر ما قال . (عقيد : عبد الفتاح الزهيرى)
رد فضيلة الشيخ مصطفى الطير :
لا شك أن السيد العقيد لم يتأن فى قراءة ما كتبناه فى هذا الموضوع الذى أخذ حقه من العناية الدقيقة علميا وطبيا ، ولذا كان كلامه فى واد ، وكلامنا فى واد آخر ، فنحن لم نتعرض لتكوين الغدة الجنسية وموضعها من الجنين فى رحم أمه ذكرا كان أو أنثى ، سواء صح ما قاله العقيد بشأنها أم لم يصح ، وانما تعرضنا لقول القائلين ان المنى يخرج من بين صلب الرجل دون ترائبها وترائب المرأة دون صلبها وزعمهم أن ذلك رأى ابن عباس ، فقد قلنا ان ذلك لم يصح نقلا — لأنه عديم السند — ولم يصح موضوعا ، لأن القرآن الكريم لم يقل يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ، حتى يصح ما قالوا ، بل قال « يخرج من بين الصلب

(١) وموضع كل منهما معروف

آخر ما قلناه •

ثم ماشأن موضع الخصيتين أو المبيضين من الجنين في الشهر الثاني ثم في الشهر التاسع بالنسبة لشرح الآية الكريمة ، فهل الجنين يخرج منه ماء دافق من بين صلبه وتراثبه في بطن أمه ، أم أن النص القرآني خاص بالازدواج الجنسي للبالغين ، فمواجه تعرضك لموضوع خارج عن البحث ، لهذا أنصح الاخ الفاضل بأن يعود الى قراءة المقال ، فسيجد فيه ضالة الحق التي ينشدها المقيثون ، وأنى أشكر سيادته على ماجاء بخطابه من ثناء على ما أقدمه للقراء من بحوث أرجو أن يتقبلها الله ويرضى عنها ، والله الموفق •

أسرة المجلة

الانفعال الجنسي الذي يثير الجسد كله ، ولهذا يشبه الولد أبويه في خصائصهما الجسدية والخلقية • وفي هذا المعنى قلت في العمود الأول من ص ١٠٦٥ (وقد عبر الله عن خروج المنى من الجسد كله بخروجه من بين الصلب والترائب على سبيل الكناية - كما قلنا - لأن الترائب أطراف البدن كما جاء في القاموس ، والصلب موضع العصب النازل من الدماغ ، ومنه تتوزع الشعيرات العصبية على جميع الجسد ، وله دخل عظيم في نقل إحياءات المخ الى الدورة الدموية ، فهو الذي ينقل الاحساس بالشهوة اليها فيثيرها ، وتنزل سلالة من الدم النائر الى الأنثيين والمبيضين ، فيتحول فيهما الى منى ••) الى

المقالات التي لا تنشر لا تلتزم ادارة المجلة بردها •

فَقِيدُ الْأَزْهَرِ

رجل العلم والدين

الدكتور أحمد الشرباصي ١٩١٩-١٩٨٠

للاستاذ السيد حسن فترون

في سبيحة الجمعة وفي العاشرة والربع من اليوم الخامس من شوال ١٤٠٠ هـ الموافق الخامس عشر من أغسطس ١٩٨٠ م شيعت جنازة فضيلة الدكتور الشيخ أحمد الشرباصي من الجامع الأزهر بعد الصلاة عليه فشيّعنا بتشييعه علما من أعلام الأزهر ، ورائدا في الفكر الاسلامي ، وكاتبا عبقريا ، وخطيبا بارعا ، ومتحدثا شائقا في المجالس والأندية والاذاعة المرئية والمسموعة ، ومؤلفا له أسلوبه المتميز ومنهجه العلمي ، ووفاءه للكلمة . عرفته مذ جاء من معهد الزقازيق ليكون طالبا مستجدا بكلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٩ وقد جاء يحمل مؤلفاته « بين عهدين » وكأنه جاء من مسقط رأسه « البجلات » من أعمال محافظة دمياط ليكمل من كل مكان في الوطن العربي والعالم الاسلامي مسقطا لكلماته ومقالاته ومؤلفاته . كان طموحا مشغوبا بطلب العلم مقبلا عليه راغبا فيه ، متحركا لا يهدأ ، منطلقا لا يستريح ، ان القاهرة المعزية على طولها وعرضها لم تشبع نهم الشيخ الصغير ، انه طموح جموح - ان صح التعبير ، فهو في الدرس نجم الفصل يعجب ما يلقي عبا ، دائم السؤال ان غم عليه شيء منه ، وفي خارج الفصل تراه في مسالك المدينة يبتغي ندوة أو حفلا يشارك ويحاور ويخطب ، وفي المسجد تجده الشيخ الذي له مريدوه وسامعوه يتطلعون اليه ويلتفون حوله ، فاذا آوى الى

منزله عاش مع كتب العلم والأدب لا يترك شاردة ولا واردة إلا أمسكها وعانقها وجعلها دليلاً إلى هدفه .

وقد أتيح له النشر من صغره فنشر في السياسة الأسبوعية وغيرها حتى التقى بأستاذه الشيخ محمود خليفة ، وعن صلته به كتب في مجلة « الاسلام » الأسبوعية التي كان يصدرها آل خليفة : عبد الرحمن وعبد الفتاح ومحمود خليفة ، والأخير مهد له السبيل ليعتلى المنابر ويخطب في المساجد ، فكان ينييه عنه ليخطب في مسجد الشامية ، ومن هنا عرفت مساجد القاهرة خطيباً لا يجارى وكم سمعته يخطب في مسجد الكفيا والناس يعجبون به ويأخذون عنه ، وقد حباه الله طلاقة لسان وقوة حجة وبيان ، ينبعان من إيمان راسخ ، ويقين لا يتزعزع . وبجانب ذلك ينشر فصولاً في الأدب في الصحف والمجلات كل هذا وما زال طالبا ، وطالبا متفوقا الأول في جميع سنوات الكلية ، وتخرج في كلية اللغة العربية سنة

١٩٤٥ وكان الأول ، والأول الذي يقيم له حفل في قصر رأس التين مع أوائل الجامعات والأول على الأوائل لان الأزهر لقدمه يقدم على الجامعات الأخرى . . . وقد تحدث عن هذا اليوم في هلال أغسطس ١٩٧٦ قال : « معنى هذا أنى سأكون أول من يصافح الملك » وسأله شيخه عميد كلية اللغة العربية في ذلك الوقت الشيخ الجبالي : هل تعرف طريقة السلام على الملك؟ وهل هناك طريقة خاصة؟ ذهل الشيخ وهتف . . ياخبر أسود يجب أن تقبل يده . يقول الشرباصى : لكنى صرت من أصحاب الفضيلة فكيف أقبل يد إنسان ؟ ولم تعجب الشيخ فلسفته ، فأمره بتنفيذ ما أشار به إليه ، وطمأنه الشرباصى فهذا قليلا ولكنه عاد يقول : لاتنسى تقبيل يد مولانا . ويروى فقيدنا تمام القصة على حسب ما جرى : « كان الواقف خلفى من طابور الأوائل الزميل محمد السيد بكر ، وانتهر الزميل غفلة من الشيخ وهمس لى من خلفى ماذا ستصنع ؟ وعاد

ان أستاذى الأول والأعلى هو القرآن الكريم . كان القرآن أول كتاب فى الوجود فتق لسانى وعلمه كيف ينطق الحرف الصحيح من مخرجه مضبوطا ، والكلمة الفصيحة محكمة . . وعلمنى الطريقة الى الحفظ . لقد حفظ القرآن قبل أن يبلغ الحادية عشرة من عمره ، لذا تراه ضنينا عليه ، يعاود حفظه ، ويتأمل معناه ، ويتخذ منه سبيلا الى اللفظة النافعة والكلمة التى تمس القلوب .

وكنا نظنه من تلاميذ الدكتور زكى مبارك فى الأدب ، لأنه كان معنيا بأدبه ولا سيما كتاب «النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى» ثم تكشفت لنا الأمور عن انسان بعيد المرامى يقبل على كل أديب ، وينهل من كل كتاب ويمزج القديم بالحديث فيخرجه أدبا رائعا ، وبحثا كثير المعانى حلو الألفاظ ، ورأيناه يعنى بالأعلام ممن خدموا لغتهم ووقفوا أنفسهم على تعريف مميزات دينهم للناس . له مؤلفات عن خامس خلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز وعن أمير البيان شكيب

الشيخ يقول : لا تنس يد مولانا . وجاءت الإشارة بالتقدم الى مصافحة الملك الذى كان يقف على مرتفع خشبى ، الى جانبه الشيخ المراغى وتقدم الشيخ الجبالى بثيابه الفضفاضة ونطق باسمى ودرجتى العلمية .

وببساطة تقدمت مرفوع الرأس وسلمت على الملك يدا بيد وقد غرق الشيخ فى ذهوله وقد أعجب الشيخ المراغى بموقفه فقال له : « أرجو أن تكون عالما عزيزا كما كنت طالبا موفقا . »

ولم يدر الشيخ أنه قد أهل نفسه ليكون أعلى درجة من تلك الدرجة التى دفعته الى مصافحة الملك فجده حتى نال الماجستير ثم الدكتوراه ، ولكن هذه المؤهلات العلمية والتفوق فيها ليست هى كل الشيخ الشرباصى ، فالرجل منذ حفظ القرآن وتأدب بأدابه جعل ينظر الى الاسلام وأهله نظرة المسئول عنه ، فكان أن تجرأ لنشر مفاهيم القرآن ، يكتب ويؤلف ويخطب ويذيع ، ألا تراه يقول :

أرسلان ، وعن رشيد رضا ، وبجانب ذلك « موسوعة الفداء » ومنها : « الفداء في الاسلام » ، « فدائيون في تاريخ الاسلام » و « أبطال عقيدة وجهاد » و « بين الوفاء والفساد » و « رجال صدقوا » وله كثير غير ما ذكرنا . وله مقالات في مجلة الأزهر شائعة ورائقة .

وانك لتعجب لهذا الفاضل الذي له كل هذا النشاط في التأليف كيف تسنى له القيام بعمله أستاذًا بكلية اللغة العربية ، وأمينًا عامًا لجمعيات الشبان المسلمين ، وعضوا في المجلس القومي للخدمات ؟

وقد فرح المسلمون حين تولى وظيفته بالشبان المسلمين مع رئيسها العام فضيلة الشيخ الباقرى وأملوا خيرا في توجيهاتهما السديدة ، وترشيد الرواد والقصاد للمعرفة الأصلية والأفكار الصحيحة في الافادة الدنيوية والأخروية .

وها هو ذا يسقط أحد الفرقدين وهو الشيخ الشرباصى ، فيعم

الحزن ، ويعظم المصاب ، وتكبر الفجيعة . أنا لا أرثيه ولا أبكيه فقد كان الفقيد يكره البكاء والرثاء فقد كان قوى الشعور بالحياة له فن في ربط الدين بالحياة وربط الحياة بالدين ليجعل المسلم راضيا بقضاء الله ، مدركا أن الحياة الأخرى خير وأبقى وفي هذا المجال أصدر أكثر من كتاب مثل : « الدين للحياة » و « بين الدين والدنيا » و « يسألونك في الدين والحياة » و « توجيهات الرسول للحياة والأحياء » .

ومقالاته لا تقل أثرا عن كتبه ، وانها لغزيرة المادة ، طيبة الأداء ، فحبذا لو جمعناها من مظانها لتكون مرجعا للكبار ونموذجا للشباب ، ونبراسا للشدة .

نعم غاب نجمنا المفضل ولكن آثاره وأخباره خليفة أن تجعله بيننا معلما ومرشدا ورأى في الخير والحب والجمال والوفاء . رحمه الله وأدخله فسيحات جناته بمقدار ما أدى وأسدى .

السيد حسن قرون

الشرباصى فى سطور

قام بالتدريس بالمعاهد ثم فى
كلية اللغة العربية

ولد أحمد الشرباصى بالبجلات
عام ١٩١٩ حفظ القرآن وتعلم فى
المدرسة الالزامية بالقرية
طلب العلم فى المرحلة الابتدائية
بمعهد دمياط

من حبه للمعرفة تبرع بمكافأة
الأولية للشهادة العالية عام ١٩٤٣
بمبلغ المكافأة وهو عشرون جنيها
لانشاء مجلة كلية اللغة العربية •
توفى رحمه الله فى ١٤/أغسطس
ودفن فى اليوم التالى ١٥/٨/
١٩٨٠ م

وفى معهد الزقازيق الثانوى
أمضى سنوات الدراسة به وكان
كشافا يقوم بالرحلات الكشفية •
دخل كلية اللغة العربية عام
١٩٣٩ وتخرج فيها عام ١٩٤٥
آخر مؤهل دراسى الدكتوراه

أسرة المجلة تنعى فقيد الأزهر والاسلام وتسال الله له الرحمة
وأن يسكنه فسيح جناته أنه سميع مجيب •

أهل الذمة وواجباتهم في بلاد الإسلام

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

خدمة عسكرية وفريضة اسلامية —
— ومن أجل ذلك قرر الاسلام
عليهم الجزية بدلا من الجهاد
والزكاة — رعاية لشعورهم أن
يفرض عليهم ما هو من عبادات
الاسلام •

وفي أموالهم الشخصية
والاجتماعية لا يتعرض الاسلام
لهم فيما يرونه مباحا في ملتهم ،
(وان كان قد حرمه الاسلام)
كما في الزواج والطلاق والميراث
وأكل لحم الخنزير •

فاليهودى الذى يتزوج بنت
أخيه ، والنصرانى الذى يأكل
الخنزير ، والمجوسى الذى يتزوج

أشرنا من قبل الى الواجب
الأول : الواجبات المالية واليوم
نتحدث عن الواجب الثانى •
التزام الذميين بأحكام القانون
الاسلامى

لما كان الذميون بمقتضى عقد
الذمة يحملون جنسية الدولة
الاسلامية كان عليهم أن يتقيدوا
بقوانينها التى لا تمس عقائدهم
وحريتهم الدينية •

فليس عليهم أى تكليف من
التكاليف التعبدية للمسلمين ، أو
التي لها صبغة تعبدية ، أو دينية
مثل الزكاة التى تجمع بين الضريبة
والعبادة — ومثل الجهاد الذى هو

المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم ، مما لا شأن للدولة الإسلامية به ، على أنه كان يجوز للذمي أن يلجأ الى المحاكم الإسلامية ، — ولم تكن الكنائس بطبيعة الحال تنظر الى ذلك بعين الرضا — أما في بلاد الأندلس فكان النصارى يفصلون في خصوماتهم بأنفسهم وأنهم لم يكونوا يلجأون للقاضي المسلم الا في مسائل القتل ، هذا كله — يشير الى مدى سماحة الاسلام ، وتنازل المسلمين عن شيء من سلطة دولتهم القضائية على كافة رعاياها للمسيحيين وقتئذ ، لكن كقاعدة عامة فانه من المسلم به فيما عدا مسائل الأحوال الشخصية يلزم الذميون أن يتقيدوا بأحكام الشريعة الإسلامية في الدماء ، والأموال والأعراض ، أى في نواحى القوانين المدنية ، والتجارية والجنائية ، ونحوها شأنهم في ذلك شأن المسلمين •

فكل ما جاز من بيوع المسلمين وعقودهم جاز من بيوع أهل الذمة

احدى محارمه ، لا يتدخل الاسلام في شئونهم هذه ماداموا يعتقدون حلها ، لكن اذا طلبوا الاحتكام الى شرع المسلمين في هذه الأمور حكمنا فيهم بحكم الاسلام تطبيقا لقوله تعالى : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) سورة المائدة ٤٩ — ومن هنا كان لأهل الذمة محاكمهم الخاصة يحتكمون اليها وان شاءوا لجأوا الى القضاء الاسلامى ، وفي ذلك يقول المؤرخ النصرانى الغربى آدم ميتز في كتابه : — (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى) لما كان الشرع الاسلامى خاصا بالمسلمين فقد حلت الدولة الإسلامية بين أهل الملك الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم — وقد كانت محاكم كنسية ، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضا — وقد كتبوا كثيرا من كتب القانون ، ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج ، بل كانت تشمل الى جانب ذلك مسائل الميراث ، وأكثر

كقطع اليد والرجل واتلاف السمع والبصر ، واحداث الجراحات في الرأس والوجه أو احداثها في سائر البدن ، وأيضا جرائم الاعتداء على الأموال •

أما جريمة شرب الخمر فان الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة يستثنون الذميين من عقوبة شرب الخمر ، لأنهم لا يؤمنون بحرمتها ، وذهب علماء الظاهر الى وجوب تطبيق عقوبة شرب الخمر على شاربيها مسلمين كانوا أو غير مسلمين ، وعند الشيعة الامامية يحدون اذا تظاهروا بشرب الخمر ، وعند الزيدية يحدون اذا سكروا لتحريم السكر عليهم - ويرى الحسن بن زياد وهو من تلاميذ الامام أبى حنيفة أنهم يحدون اذا شربوا وسكروا لأجل السكر لا لأجل الشرب •

حكم مواريث الذميين في الوقت الحاضر ببلادنا المصرية

تخضع مواريث جميع المصريين حاليا من مسلمين وغير مسلمين لقانون المواريث رقم ١٩٤٣/٧٧

وعقودهم ، وما يفسد منها عند المسلمين يفسد عند الذميين ، خصوصا عقود الربا فلا يقرون عليها مهما كانت الأحوال •

أما بالنسبة للجرائم التي يرتكبها الذميون ، فان القانون الجنائي الاسلامي هو الواجب للتطبيق عليهم - ومن هذه الجرائم جريمة قطع الطريق ، فيعاقبون عليها بالعقوبات المقررة لهذه الجريمة ، فيقتل الذمي أو يصلب اذا قتل وأخذ المال - ويقتل بلا صلب اذا قتل ولم يأخذ مالا وتقطع يده ورجله من خلاف اذا أخذ المال ولم يقتل - وينفى من الأرض اذا أخاف الناس فقط فلم يقتل ولم يأخذ مالا ، وان كان هناك خلاف قليل بين فقهاء الاسلام في بعض جزئيات تلك العقوبات ، وهل ينتقض بهذه الجريمة عقد الذمة مع تفاصيل كثيرة يمكن الرجوع اليها في كتب الفقهاء المختلفة عن هذه الجريمة ، وعن جريمة الزنا وكذا جرائم الاعتداء على النفس وجرائم الاعتداء على ما دون النفس ،

١ - فليس لهم أن يروجوا علنا من العقائد والأفكار ما يناهض عقيدة الدولة الإسلامية ودينها ، سواء بالطبع أو بالنشر أو ما شابه ذلك .

٢ - ولا يجوز لهم أن يسبوا الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يطعنوا في القرآن الكريم جهره .

٣ - ولا يجوز لهم أن يتظاهروا بشرب الخمر ، وأكل الخنازير - ونحو ذلك مما يحرم في دين الإسلام - كما لا يجوز أن يبيعوها لأفراد المسلمين - لما في ذلك من أفساد للمجتمع الإسلامي .

٤ - وعليهم ألا يظهرُوا الأكل والشرب في نهار رمضان ، مراعاة لمواظف المسلمين .

٥ - وليس لهم أن يدقوا نواقيسهم بلا داع أو مبرر في وقت أداء صلاة الجمعة عند المسلمين وأعيادهم أو غيرها من الصلوات الخمس .

أما تعيين الورثة وتحديد أنصبتهم فتسرى في شأنها أحكام الشريعة الإسلامية ، وذلك طبقاً لنص المادة ٨٧٥ من القانون المدني والتي تنص على أن (تعيين الورثة وتحديد أنصبتهم في الارث وانتقال أموال التركة اليهم تسرى في شأنها أحكام الشريعة الإسلامية ، والقوانين الصادرة في شأنها) وجاء في المذكرة الإيضاحية لهذه المادة أن المشرع حسم بهذا النص الخلاف القائم في أمرين جوهريين في الميراث - فقضى بأن الشريعة الإسلامية هي التي تطبق في ميراث المصريين حتى ولو كانوا غير مسلمين ، حتى لو اتفقوا جميعاً على تطبيق قانون ملتهم .

الواجب الثالث : احترام شعائر المسلمين ومشاعرهم

على الذميين وهم يعيشون في حماية الدولة الإسلامية التي تظلمهم بحمايتهم ورعايتهم أن يراعوا شعور المسلمين السذجين يعيشون بين ظهرانيتهم ، ولا يعملوا على جرح مشاعرهم .

وكانت له صحبة مع النبي صلى
صلى الله عليه وسلم — وقاتل
مع عكرمة بن أبي جهل باليمن في
حروب الردة ، أنه دعا نصرانيا
الى الاسلام فذكر النصراني النبي
صلى الله عليه وسلم فقتلوه
(أى بسوء القول) فرفع ذلك الى
عمرو بن العاص فقال عمرو قد
اعطيناهم العهد — فقال عرفة
معاذ الله أن نكون أعطيناهم
العهود والمواثيق على أن
يؤذونا في الله ورسوله ، انما
أعطيناهم على أن نخلى بينهم وبين
كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم
والأ نحملهم مالا طاقة لهم به —
وأن نقاتلهم ورائهم — وأن نخلى
بينهم وبين أحكامهم الا أن يأتونا
فنحكم بينهم بما أنزل الله فقال
عمرو صدقت *

وبعد

فهذه هي حقوق الذميين
وواجباتهم في بلاد الاسلام
تقررت من شريعة الاسلام
الخالدة تلك الشريعة التي قامت
على أساس القرآن الكريم ،
والسنة النبوية المطهرة ، وكلاهما

٦ — وعليهم ألا يظهروا
الشماتة والفرح بنكبات المسلمين ،
كما حدث من يهود المغرب بعد
هزيمة العرب وسقوط مدينة
القدس في ٥ يونيه سنة ١٩٦٧ ،
فلقد قام يهود المغرب باظهار
فرحهم وتعليق الزينات والأنتوار
على منازلهم ومحال اعمالهم
وتجارتهم *

٧ — وليس لهم أن يتصلوا
بأعداء المسلمين والانضمام اليهم ،
أو التخابر معهم أو مراسلتهم
لا في وقت السلام ، ولا في وقت
الحرب كما حدث من نصارى بلاد
الشام ، اذ انضموا الى التتار ضد
مواطنيهم المسلمين *

٨ — وكل ما يراه الاسلام
منكرا في حق أبنائه — وهو مباح
في دينهم فعليهم — ان فعلوه —
ألا يعلنوا به ولا يظهروا في صورة
المتحدى لجماهير المسلمين ، حتى
تعيش عناصر المجتمع كلها في
سلام ووئام *

أورد الطبراني في مجمع
الزوائد عن عرفة بن الحارث —

هجرا غير جميل ، ودفعوا الى الأخذ والاستعاضة عنها بتشريعات وضعية غريبة ، (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وفاتهم أنهم يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وأن فعلهم هذا لا يجوز فى شرع الاسلام لأن الله جلت كلماته حذر المسلمين من الالتجاء الى غير شريعته ، والاستعانة أو الاستعاضة بغير حكمه ، فيقول : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** سورة المائدة ٤٤ **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)** سورة المائدة ٤٥ **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)** سورة المائدة ٤٧ • لكن مع هذا كله فهناك آمال كبار فى رجعة المسلمين الى أحكام شريعتهم ، ونبذ كل ما يخالفها من قوانين ، لأن الحق لا بد أن يعلو ، وأن المسلمين لا بد وأن يستيقظوا ، ويدركوا مدى خسارتهم فى ترك شريعتهم ، ومدى تفريطهم فى عدم الالتفات اليها ، ومما يشجع على هذا الأمل ان لم يكن قد

وحى من الله تعالى • هى شريعة عامة لجميع البشر شاملة لجميع شعوبهم وأحوالهم ، خالدة خلود الزمان لا يلحقها نسخ ولا تبديل ، لأنها خاتمة شرائع السماء ، وصالحة لكل زمان ومكان ، لأن الله تعالى حفظها بقيامها على دعائم ثابتة لا تميل الى باطل أو انحراف •

فمبادئها ربانية الأصول ، دينية الصبغة ، ولهذا وجدت من التبول والاستجابة السريعة بين البشر ما لم تجده أى شريعة أخرى ، هى لا تضيق بحاجات الناس ، وما يستجد من أمورهم وأحوالهم وغايتها ايصال الناس الى سعادتهم فى الدنيا والآخرة — وقد كان لأحكام الشريعة الاسلامية السيادة فى التطبيق قرونا فى الماضى عديدة فما وجد الناس فى ذلك الزمان حاجة الى استيراد تشريع بدلا منها ، ولا حتى ضيقا فى تطبيقها •

ولما أصاب المسلمين ما أصابهم من ضعف ، وصارت الكلمة عليهم للحاقدين والمستعمرين من أعداء الاسلام ، هجروا شريعة الاسلام

تحقق فعلا ما حدث في جمهوريتنا المصرية أخيرا من استفتاء بتاريخ ٧ رجب سنة ١٤٠٠ هـ - ٢٢ مايو سنة ١٩٨٠ م ، فلقد وافق الشعب المصرى المسلم بأغلبية ساحقة بلغت ٩٦ ر ٩٨ ٪ وأعلنت الجماهير المسلمة على اتساع أرض مصر ترحيبها وسعادتها للشرعية الاسلامية باعتبارها المصدر الرئيسى للتشريع .

وأهل العلم وفقهاء الاسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ، وليس فى مصر وحدها ، مدعوون اليوم الى مضاعفة الجهد فى التأليف

والانتاج ، واستتباط الحلول الاسلامية لكل مشكلة أو معضلة مما استحدثته الحياة فى زماننا المعاصر ، فهم بهذا يؤدون واجبا نحو الاسلام ، ويقدمون خدمة جليلة لا للمسلمين فحسب بل للبشرية جمعاء ، لأن شريعة الاسلام قامت على أساس وحى الله ، والله أعلم بما يصلح لعباده يقول الله تعالى : (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) سورة الملك ١٤ .

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

الى السادة الراغبين فى الاشتراك بالمجلة الاتصال
بتوزيع الأخبار فى بلادهم .

شاعر فى خدمة الاسلام

محمد اقبال منشئ باكستان

للاستاذ عبدا الحفيظ فرغلى على العرفى

للناس ، ومرجعى فى هذا التقديم بعض المصادر من بينها : «الشعر فى موكب الدعوة» للدكتور صادق عبد الحليم وغيره من المراجع المشار اليها فى الموضوع .

مولده ونشأته :

ولد محمد اقبال فى «سيالكوت» بالهند فى فبراير سنة ١٨٧٣ م فى أسرة عريقة فى الاسلام ، واشتهرت بعشق الايمان ، وكان أبوه صالحا تقيا ، تلقى ابنه على يديه مبادئ التعليم ، قبل أن يدخله مكتبا لتحفيظ القرآن الكريم وتعلمه ، وحين كبر قليلا اصطحبه الأب الى صديق له ضليع فى الادب الفارسى ، ومتقن اللغة العربية ، وطلب اليه أن يعلمه

فى مقال سابق عرضت كتاب «روائع اقبال» للكاتب الاسلامى الكبير العلامة أبى الحسن الندوى — حفظه الله وأطال حياته ذخرا للاسلام — وقد احتوى هذا العرض قبسات من حياة الشاعر الاسلامى العظيم «محمد اقبال» الذى وقف فكره وشعره وحياته على خدمة الاسلام ، ولفظ أنفاسه الاخيرة وهو يهتف باسمه •

فكان من الحق له أن نقدمه للقراء الكرام فى هذه السطور ، وفاء له وتكريما لجهاده ، وشعلة مضيئة أمام كتابنا وأدبائنا وشعرائنا ، ليضعوا أقلامهم ومواهبهم فى خدمة هذا الدين العظيم ، الذى شرفنا الله به ، وهادانا اليه ، وجعلنا به من خير أمة أخرجت

لأقبل تعاليم والده ومعلمه ، ولقد أعجب به أستاذه حين رأى نجابته وذكاءه ، وأقبله على التعليم بغير كلل أو ملل ، فعنى به عناية فائقة ، وأقبل على تعليمه اللغة العربية واللغة الفارسية وآدابهما ، الى جانب تعليمه الدين الاسلامى •

موهبته الشعرية

وظهرت موهبته الشعرية مبكرة، وكان ينظم شعره فى أول أمره باللغة البنجابية فنصحته أستاذه أن ينظمه باللغة الاوروبية ، وكانت هى لغة الادب والكتاب ، وكانت سنة حين أنهى الدراسة فى الكلية الأسكونية سنة ١٨٩٥ م اثنين وعشرين عاما ، انتقل بعدها الى لاهور حيث التحق بكلية الحكومة ، وظل يتزود من العلم ، والثقافة محققا نبوغا عظيما فى اللغتين العربية والانجليزية ، بل أصبح أستاذا فى الفلسفة حاصلا على جوائز التفوق والتقدير فى مختلف المجالات •

وأُسند اليه التدريس لمادة التاريخ والفلسفة فى الكلية الشرقية

الدين الاسلامى ، ويعمقه فيه بدلا من أن يتعلمه فى المدرسة ، ذلك أن القسط الذى يتضمنه منهج المدرسة غير واف بالقصد فى نظر الاب الصالح ، وهو يريد لولده أن يوفى على الغاية فى دراسته •

وهكذا كان للأب أثر كبير فى توجيه دراسة ابنه ، بالإضافة الى سلوك هذا الاب القويم ، وإيمانه العميق الذى ترك أثره العظيم الواضح فى الابن •

قال له حين رآه يكثر من قراءة القرآن الكريم : ان أردت أن تفقه القرآن فاقراه كأنه أنزل عليك • وهى كلمة لها معناها تدل على منزلة الرجل فى الفهم واليقين •

وقال مرة لابنه وقد رآه ينهر سائلا : انظر يابنى الى شيعتى واضطرابى وقلقى ولا تقس على أبىك ، ولا تفضحه أمام مولاه ، انك كم فى غصن المصطفى فكى وردة من نسيم ربيع ، وخذ من ربيع نسيبى من الريح واللون ، لابد لك أن تظفر من خلقه بنصيب •

ولقد كان لأقبال استعداد تام

معها مشاعر المسلمين ، وتهتز لها
جوانحهم لا فرق فى ذلك بين لسان
ولسان •

لقد أحبت مصر بكل وجدانها هذا
المفكر والشاعر الاسلامى العظيم ،
حتى لقد حزنّت لوفاته فى ابريل
عام ١٩٣٨ حزنا شديدا ، وأقامت
له حفل تأبين تتاب فيه الخطباء
والشعراء الكلام يثنون فيه على
جهوده ، ويمجدون كفاحه وجهاده،
وكان مما قاله فيه الاستاذ
عبد الوهاب عزام صديقه ومترجم
ببانه « وقف قلب كبير كان يحاول
أن يصوغ الامة الاسلامية من كل
ماوعى التاريخ من مآثر الابطال
وأعمال العظماء ، مات محمد اقبال
الذى وهب عقله وقلبه للمسلمين
والبشر أجمعين » •

اقبال والجامعة الاسلامية :

لقد كان اقبال عميق الايمان
بحضارة الاسلام ، ظهر ذلك فى
آرائه وأشعاره ، وتتجلى مثالية
الاسلام عنده فى عصر الخلفاء
الراشدين — رضوان الله عليهم —
حيث ظهرت الديموقراطية الحقيقية

بلاهور ، كما اختير لتدريس
الفلسفة واللغة الانجليزية بكلية
الحكومة التى تخرج فيها ، وقام
بعدة رحلات الى الخارج ساعدت
فى مضاعفة أفكاره وتنمية مواهبه
وزيادة معلوماته ، وأسندت اليه
مناصب مرموقة نجح فى أدائها كل
النجاح •

تدويمه الى مصر :

وزار الشاعر اقبال مصر سنة
١٩٣١ وهو فى طريقه الى المؤتمر
الاسلامى الذى عقد فى المسجد
الأقصى ، وقد احتفلت به جمعية
الشبان المسلمين احتفالا مشهودا ،
وكان لحفاوة اللقاء به أثر عظيم فى
نفسه ، وثارت أحاسيس الوحدة
الاسلامية التى كان يدعو اليها
فى قلبه ، تلك الوحدة التى تربط بين
المسلمين فى مختلف الأقطار على
اختلاف جنسياتهم ولغاتهم برباط
المحبة والوئام ، وأشعره مقامه
فى القاهرة بأنه ليس غريبا فيها ،
فالقاهرة وطن كل مسلم حيث
تعمر بالقباب والمآذن التى تنطلق
من فوقها صيحة الله أكبر فتتجاوب

الا الوحدة والترابط ، والاتحاد في جامعة اسلامية متعاونة ، تقضى على روح التنافس والتباعد الذى تثيره العصبية ، والجماعات الكثيرة المتناحرة . كان ينظر الى الامور نظرة واقعية ، ويدرك بثاقب فكره أنه لا أمل في وحدة كاملة بين المسلمين الا عن طريق التعاون أولا بين تلك الجماعات ، الذى يكلل في النهاية بالوحدة الكاملة ، ومن مآثراته في ذلك . « ان الفرق الاجتماعية والجماعات الدينية في الهند لا تقبل التغاضى عن أشخاصها من أجل الوحدة الهندية حتى ينشأ لديها الشعور بوحدتها » .

أراء اقبال وفلسفته :

يقول صاحب كتاب باكستان المعاصرة عن فلسفة اقبال : انها فلسفة كاملة مشرفة باسمه متفائلة ، مستمدة من الاسلام . فلسفة كلها عمل وجهد وبناء ، تجمع بين وجود الذات وايمان القلب ، أولها الفرد وآخرها الجماعة ، وطريقها الجهد والحب ، وغايتها الدين . ان هذه الفلسفة هي التى ينشدها

في صورتها المثالية ، بعيدة عن المظاهر والشكليات ، ولذلك ازداد حماسه للدعوة للجامعة الاسلامية ، لأن تفكك المسلمين في العصر الحاضر يحول دون تقدمهم ، ويعوقهم عن الوصول الى المثالية التى يدعو اليها الاسلام ، ويجعلهم فريسة لاحول لها في براثن الاستعمار .

كما كان ينزع الى قيام دولة مستقلة في الهند — هى التى ظهرت بسبب دعوته في دولة باكستان — ولو أدى ذلك الى معارضة الهندوس والانجليز ، حيث كانت الهند في ذلك الوقت تحت التاج البريطانى .

ولقد انتخب بالاجماع في الجمعية التشريعية في بنجاب ، وكان لرؤاسته للرابطة الاسلامية أثر كبير في اذاعة آرائه التى صدرت عن شعور منه بالتبعة التى يحملها ، كما كانت أحوال المسلمين آنذاك في الهند وما جاورها سيئة تثير مشاعر المؤمنين الغيورين على دينهم ، وفي مقدمة هؤلاء اقبال . ولا حل في نظره لمشاكل المسلمين

على اليأس القاتل المميت ، الذى
يسلم الى السلبية والنكوص ، ومن
سُعره فى ذلك الذى استشهد به
مؤلفا كتاب باكستان المعاصرة وهما
الاستاذان حمدى حافظ ومحمود
أُشرفاوى :

عش ساعة فى لجج البحار
ومت شهيد الموج والتيار
ولا تعش دهرك عيش الخامل
مقيدا بين صخور الساحل
واقبال : يحق له أن يحتفل
بهذه الدعوة ، لان الشرق بعامة
اجتاحته فى القرون المتأخرة هذه
الافاة ، آفة التواكل والكسل ،
فأصابته فى الصميم ، وأقعده عن
التلطف الى تراثه القديم ، الذى
يجب أن يستمد منه مقومات النهضة
واليقظة ، التى تكفل له التقدم فى
الحياة ، لقد غفل المسلمون عن
حقائق دينهم ، وانساق بعضهم
وراء الافهام الخاطئة ، ومن بينها
أن التوكل معناه ترك العمل ،
والعقود عن طلب الرزق ، حتى
أصبح شغل المصلحين الشاغل
تصحيح هذه المفهومات • ومن بين
هؤلاء اقبال الذى نعى على بعض

الاسلام ويعمل لها ، والقرآن
الكريم يدعو المسلمين جميعا الى
العمل ويحذرهم من الكسل ، قال
تعالى : « **وقل اعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله والمؤمنون** » وفى ذلك
اترام لفطرة الانسان ، وحسن
استغلال لقدراته الممنوحة له ،
وظاقلته التى وهبها الله له ، ان الله
— جلت قدرته — يمنح النصر
للمجاهد والنجاح للمكافح المجد ،
والثمار للمجتهد ، لقد خاض
الاسلام — كما يقول صاحب كتاب
واقعية المنهج القرآنى — معارك
منتصرة لأن جنودها بذلوا أقصى
جهودهم ، وخاض معارك دون
ذلك ، لان جنودها لم يحققوا شرط
النصر فى أنفسهم •

ان فلسفة اقبال التى كان يدعولها
ويتحدث عنها دائما فى أشعاره ،
وخطبه وآرائه ، تقوم على عاملين
هامين هما : بعث الايمان فى الفرد
ليؤمن بذاته ، ووجوب تنشئته نشأة
صالحة ليحقق الكمال فى المجتمع ،
ثم العمل الجاد المثمر الذى يقضى
على داء التواكل الذى ينخر فى
جسم الامة الاسلامية ، كما يقضى

في الحب والتصوف :

وإذا كان هذا هو رأى اقبال
في تحقيق ذاتية الانسان ، ودعوته
الى العمل ليكمل نفسه ، فان رأيه
في الحب أنه هو الذى يطهره من
الشهوة والانانية ، ويقوى هذه
الذاتية ويدفعها الى الكمال *
ويقول فى ذلك :

« كان وجودى تمثالا ناقصا لا
قيمة له ولا ترتاح له العين
فأعمل الحب ازميله فيه فصرت
رجلا
وكسبت المعرفة الحقبة لطبيعة
الكون والوجود ...
النقطة المثيرة التى تسمى الذات ،
هى شرارة الحياة تحت التراب
جعلها الحب خالدة وأكثر حيوية
واحتراما ووهجا
ومن الحب بدأ شعاع وجودها ،
ونمو قدرتها المجهولة
وشرارة الحب المقدس تجعل القلب
العذب شعلة من نور ، والقلب من
حجر الصبابة *
يزدهى خصبا ، وينبت فيه نخل
الطور * »

الناس احترافهم التسول ، معطين
بذلك قدراتهم التى وهبها الله لهم،
وقال فى ذلك :

أيها الجانى من الليث الخراج
صرت كالثعلب خبا باحتياج
ذلك الاعواز أصلك العلك
كل أدوائك من ذا المعضل
من كنوز الدهر أخرج ما تريد
وخذ الصهباء من دن الوجود
فهو يدعو الى القوة والكفاح ،
وينفر من وسائل الاحتياج التى
يلجأ اليها المتسولون ، ان التسول
فى رأيه مرض يسلب الافكار
السامية ، ويطفىء الخيال الشريف،
وبالسؤال يصبح الفقر أشد حقارة
والفقير أشد فقرا ، انه يقول
« مهما كنت فقيرا وبائسا وغارقا
فى المحن ، فلا تطلب خبز يومك من
أحسان الناس ، اسأل الله الشجاعة
وصارع القدر ، تعا لمن يقبل منح
الآخرين ، ويحنى رقبتة للعطايا ،
لقد باع شرفه بدرهم بخس، وسعدا
للرجل الذى يقتله العطش فى
الشمس ، ولا يتوق للاكسير فى كوب
ماء انه مازال رجلا وليس قطعة
من طين * »

هم بها جديرون ، لان دينهم هو
مصدر السمو والرفعة ، ومنبع
المجد والعظمة ، وقد ألقت كتب
كثيرة بالأردية والانجليزية فى
سيرته وفلسفته ، وكتبت مقالات
لا حصر لها فى فضله وأثره ، وأما
آثاره فهى كثيرة ، تظهر فى دواوينه
المتعددة ، التى كتبها باللغة الأردية
والفارسية ، والتى عرض العلامة
الندوى بعضها فى كتابه الذى سبق
أن عرضته فى المقال السابق بعنوان
« روائع اقبال » . وأشعاره تتضمن
أفكاره وآراءه ، وقد صاغها فى
أساليب متعددة ، من بينها :
الأسلوب القصصى والتعليمى ،
ومن بينها : الوصف والشعر الغنائى
والوجدانى .

يقول فى قصيدة له يخاطب أمة
العرب ، وينعى عليها تصرفها مع
أنها أول أمة جاوزت حدود النسب
والوطن ، وأخت بين الناس ،
وهجرت كل غوى يتبع أبا لهب :

هل يسعد الكافر الهندي منطقته
مسائلا أمراء العرب فى أدب
من أمة قبل كل الناس قد أخذت

وما أشبه هذا الحب بحب
الصوفية الذى يصهر أرواحهم فى
بوتقته ، فينقى أرواحهم ويظهر
نؤوسهم ، ويبرز حقيقتهم ،
فتتكشف أمامهم حقائق الأشياء ،
ويصرون مالا عين رأت ، ويدركون
مالا أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر .

لقد كان إقبال صوفيا . ورث ذلك
عن أبيه ، واكتسبه من روحه الشفاف
ولا شك أن يكون لذلك أثره الذى
يحقق — كما يقول إقبال — معنى
خلافة الانسان لله فى الارض ،
تحقيقا لقوله تعالى : « **انى جاعل
فى الارض خليفة** » ولا يتم ذلك
الا اذا ربح الانسان ذاته عن
طريق التمرس بقوانين الدين ،
والسير على تعاليمه واحياء الضمير ،
والوازع الدينى الذى يحيى ميزان
المراقبة فى نفسه ، فبذلك يصبح
الانسان سيد الكائنات .

أثر إقبال :

لقد أثر إقبال بأفكاره هذه
فى نفوس المسلمين ، التى التقت
مع ما يتوقون اليه ، من سمو ورفعة

بحكمة فأعانتها على النوب
أخاء كل تقى دون تفرقة
وهجر كل غوى من أبى لهب
ما من حدود وأرض كان منشؤها
من أحمد العرب كانت أمة العرب

الشخصيات الاسلامية في شعره :

ومن المعانى التى صاغ اقبال
حولها أشعاره الاسلامية ، غير
تلك المعانى التى أشرنا اليها ، تمجيد
الشخصيات الاسلامية ، ومن ذلك
قصيدته فى السيدة فاطمة الزهراء
— رضى الله عنها — التى يقول
فيها :

نسب المسيح بنى لريم سيرة
بقيت على طول المدى ذكراها
والمجد يشرق من ثلاث مطالع
فى مهد فاطمة فما أعلاها
هى بنت من هى زوج من هى أم
من • من ذايدانى فى الفخار أباهـ ؟
هى ومضة من نور عين المصطفى
هادى الشعوب اذا تروم هواها

وفيها يقول :

لولا وقوفى عند أمر المصطفى
وحدود شرعته ونحن فداها

أضيت للتطواف حول ضريحها
وغمرت بالقبلات طيب ثراها • •
ولعله من حسن الختام أن نعرض
نموذجا آخر حول مطلع النور ميلاد
الرسول صلى الله عليه وسلم قال
فيه مترجما بقلم الشيخ صاوى
شعلان مترجم القصيدة السابقة :
« يا ثروة وجودنا وكنز أمانينا •
سل ربك أن ينقذ حياتنا من الحرص
على الحياة ، فان الخوف على
ضياعها هو الموت قبل الممات •
« يا من هدمت أصنام اللات
والعزى ومناة ، وألقيت بها جذاذا
على الثرى وجددت حياة الكائنات
بعد البلى •

« فى طريق الذكر والفكر معا
فى جميع الخلق من انس وجان
« أشرق النور فكنت المطلعا
يا صلاة الصبح يا صوت الأذان
« لقد وجدنا صفة الاحتراق ونعيم
الأشواق من جذوة لا اله الا الله
وانقشع ظلام ليلينا بنورها •

« لقد حررتنا بالسجود لله من
السجود لمن عداه ، رأس مالنا
ذكراك التى حفظت لهذه الامة على
رغم فقرها ثروة العزة والكرامة •

الحياة » •

رحم الله الشاعر العظيم اقبال
الذى طوف بشعره حول كثير من
المعانى ، وكانت له أراؤه فى مختلف
مناحي الحياة ، وتوجيهاته التربوية
السليمة السديدة ، التى ظهر
بعضها فى العرض السابق ، والتى
كان لها أثرها المشرق العظيم •

لقد كان مسلما حقا ، يشهد
بذلك أثره الخالد ، وذكراه العاطرة ،
وتاريخه المشرق ، لقد كانت آخر
كلماته وهو يجود بنفسه ، « أنا
لا أهرب الموت • أنا مسلم أستقبل
الموت راضيا مسرورا » •

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

« أنت العلم الذى يهـدى
السالكين الى مقامات الصدق
والمنار الذى يمد كل ركب فى
طريق الحق ، ولكن معذرة اذا بدت
قيثارتى خافتة الرنين ، فقد ثقل
العزف على أوتارها ، وحتى لو
انطلق منها النغم فلم تعد تجد
سامعا أو مستجيبا •

« لو أن هذا المسلم تنبه الى
قيمة نفسه لاستطاع أن يخلق فى
هذا العالم دنيا جديدة يتبوأ منها
حيث يشاء •

« يا صاحب الرسالة أيقظ هذا
النائم ، وقل له : قم باذن الله
لتبعث فى كيانه مرة أخرى روح

أهداف سورة محمد ﷺ

للدكتور عبد الله محمود شحات

- سورة محمد سورة مدنية وآياتها ٣٧ آية ، نزلت بعد سورة الحديد ولها اسمان : سورة محمد، وسورة القتال .
- والقتال عنصر بارز في السورة ، بل هو موضوعها الرئيسي ، فقد نزلت بعد غزوة بدر وقبل غزوة الأحزاب . أى في الفترة الاولى من حياة المسلمين بالمدينة ، حيث كان المؤمنون يتعرضون لعنت المشركين ، وكيد المنافقين ، ودسائس اليهود .
- سورة محمد - ويحتل المقام الثالث : دعوة المسلمين الى مواصلة الجهاد بالنفس والمال من الآية ٣١ - ٣٨ .
- ١ - التحريض على قتال المشركين
- تبدأ السورة بالهجوم على المشركين وتبين هلاكهم وضياعهم وضلالهم ، لقد سلب الله عنهم الهدى والتوفيق ، فاتبعوا الباطل وانصرفوا الى الضلال اما المؤمنون فقد آمنوا بالله وبرسوله فكفر الله ذنوبهم ورزقهم صلاح

عناصر السورة

يمكن ان نقسم سورة محمد الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : يحرض على

البال وهدوء النفس ونعمة الرضا واليقين •
تنتهى الحرب بين الاسلام وأعدائه المناوئين له •

ولو شاء الله لانتقم من المشركين وأهلكهم كما اهلك من سبقهم بالطوفان والصيحة والريح العقيم ، ولكن الله اراد ان يختبر قوة المؤمنين وأن يجعلهم سبيلا لاعزاز الدين واهلاك الكافرين ، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضيع اعمالهم فهم شهداء عند الله يتمتعون بجنت خالدة ونعيم مقيم وأرواحهم في حواصل طير خضر تسبح حول الجنة وتأكل من ثمارها وتقيم في الوان النعيم • وقد وعد الله الشهداء بحسن المثوبة والكرامة والهداية وصلاح البال ودخول الجنة لانهم نصروا دين الله فسينصرهم الله ويثبت أقدامهم ، كما توعده الكافرين بالتعاسة والضلال والهلاك جزاء كفرهم وعنادهم •

وتسوق السورة الوانا من التهديد للمشركين فتأمرهم أن يسيروا في الارض فينظروا ماذا أصاب المكذبين من الهلاك والدمار ثم تمضى السورة في ألوان من

وشتان بين مؤمن راسخ الايمان صادق اليقين معتمد على رب كريم حلیم وبين كافر ضال يبيع الحق ويشترى الباطل ويفرط في الايمان والهدى ، ويتبع الشرك والضلال •

ثم تحت السورة المسلمين على قتال المشركين ، وقطع شوكتهم وهدم جبروتهم ، وازالة قوتهم من طريق المسلمين • (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) وهذا الضرب بعد عرض الاسلام عليهم وابائهم له ، (حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق) والاثخان شدة التقتيل حتى تتحطم قوة العدو وتنتهاوى فلا تعود به قدرة على هجوم أو دفاع وعندئذ يؤسر من استأسر ويشد وثاقه (فاما منا بعد واما فداء) أى اما أن يطلق سراحهم بعد ذلك بلا مقابل واما ان يطلق سراحهم مقابل فدية من مال أو عمل أو في نظير اطلاق سراح المسلمين المأسورين • (حتى تضع الحرب أوزارها) حتى

على بينة من ربه كمن زين له
سوء عمله واتبعوا أهواءهم) •

كما تصف الايات متاع المؤمنين
في الجنة بشتى الاشربة الشهية ،
من ماء غير آسن ، ولبن لم يتغير
طعمه ، وخمر لذة للشاربين وعسل
مصفى ، في وفر وفير . • في
صورة أنهار جارية . • ذلك مع
شتى الثمرات ومع المغفرة
والرضوان ثم سؤال : أهؤلاء
المتمتعين بالجنة والرضوان « كمن
هو خالد في النار وسقوا ماء حميما
فقطع أمعاءهم ؟ » •

٢ - خصال المنافقين

تشمل الايات من ١٦ - ٣٠
المتقطع الثاني من سورة محمد •
وفيها حديث عن المنافقين وصفاتهم
وحركة النفاق حركة مدنية لم يكن
لها وجود في مكة نظرا لضعف
المسلمين في مكة وتفوق أعدائهم •
فلما هاجر المسلمون الى المدينة
وبدأ شأن الاسلام في الظهور
والاستعلاء ، بدأت حركة النفاق
في الظهور والنمو وساعدها على

الحديث حول الكفر والايमान
فتصف المؤمنين بأنهم في ولاية الله
ورعايته والكفار محرومون من هذه
الولاية •

وتفرد السورة بين متاع المؤمن
بالطيبات ، وتمتع الكافرين بلذائذ
الارض ، كالحوانات (ان الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها
الأنهار ، والذين كفروا يتمتعون
ويأكلون كما تاكل الأنعام والنار
مشوى لهم) محمد / ١٢ •

ان الفارق الرئيسى بين الانسان
والحيوان ان للانسان ارادة وهدفا
وتصورا خاصا للحياة يقوم على
أصولها الصحيحة المتلقاة من الله
خالق الحياة • فاذا فقد هذا فقد
أهم خصائص الانسان المميّزة
لجنسه ، وأهم المزايا التى من
أجلها كرمه الله •

ثم تفضى السورة فى سلسلة
من الموازنات بين المؤمن المتيقن
والكافر الذى اتبع هواه وشيطانه
وزين له سوء العمل (أفمن كان

اليهود يعمل بأمرهم ، وينفذ كيدهم ومكرهم ، فمن هؤلاء المنافقين من يستمع الى النبي بأذنه ويغيب عنه بوعيه وقلبه ، فاذا خرج من مجلس النبي تظاهر بالحرص على الدين ، فسأل الصحابة عما قاله النبي سؤال سخرية واستهزاء أو سؤال تظاهر ورياء •

أولئك المنافقون قد طمس الله على أفئدتهم فلا تفقه ، وقد اتبعوا أهواءهم فقادهم الهوى الى الهلاك •

بينما المتقون المهتدون يزيدهم الله هدى ويمنحهم التقوى والرشاد ، ثم يتهدد القرآن المنافقين بالساعة ، فاذا جاءت فلا يملكون الهداية ولا تنفعهم الندامة •

(فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) محمد / ١٨ •

ثم تصور الايات جبن المنافقين وهلعهم وتهافتهم اذا ووجهوا بالقرآن يكلفهم بالقتال ، فهم

الظهور وجود اليهود في المدينة ولهم قوة مادية وفكرية ، وكراهيتهم للدين الجديد ، وسرعان ما اجتمع اليهود مع المنافقين على هدف واحد ، ودبروا أمرهم بليل ، فأخذ المنافقون في حبك المؤامرات ودس الدسائس في كل مناسبة تعرض ، فان كان المسلمون في شدة ظهوروا بعدائهم وجهروا ببغضائهم ، واذا كانوا في رخاء ظلت الدسائس سرية والمكايد في الظلام ، وكانوا الى منتصف العهد المدني يؤلفون خطرا حقيقيا على الاسلام والمسلمين • وقد تواتر ذكر المنافقين ووصف دسائسهم والتنديد بمؤامراتهم وأخلاقهم في السور المدنية ، كما تكرر ذكر اتصالهم باليهود وتلقيهم عنهم ، واشتراكهم معهم في بعض المؤامرات المحبوك •

والحديث عن المنافقين في سورة محمد يحمل فكرتها ويصور شدتها في مواجهة المشركين والمنافقين • بل ان المنافقين هم فرع من الكافرين ، أظهروا الملاينة وأبطنوا الكفر والخداع • أو هم فرع من

عليه ، فلما هاجر النبي الى المدينة شنوا عليه حرب الدس والمكر والكيد ، وانضم المنافقون لليهود يقولون لهم سرا : (سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم) .

ثم يتهدد القرآن المنافقين ، بملائكة العذاب لانهم تركوا طريق الاسلام ، وانضموا الى دسائس الحاقدين عليه .

وفي نهاية المقطع يتهددهم بكشف أمرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين الذين يعيشون بينهم متخفين ، لان مافيك يظهر على فيك :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم .

قال تعالى : (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ؟ ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم)

محمد / ٢٩ و ٣٠ .

٣ - حديث عن المشركين والمؤمنين

المقطع الاخير من السورة يشمل الآيات ٣٣ - ٣٨ ، وقد تحدث في

يتظاهرون بالايمان ، فاذا انزلت سورة لا تشابه فيها وذكر فيها الجهاد رأيت المنافقين ينظرون اليك يا محمد نظرا كنظر من هو في الفزع الأخير ، تشخص أبصارهم ، لذلك كانوا جديرين بأن يهددهم الله بالويل والهلاك .

وتحثهم الايات على الطاعة والصدق والثبات (فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) محمد / ٢١ .

وبذلك يفتح القرآن الباب لمن يريد الطهارة الحسية والنفسية من المنافقين ومن جميع المخاطبين . ثم يحثهم على تدبر القرآن وتأمله فان القرآن يحرك المشاعر ويسـتـجيش القلوب ويخلص الضمير .

وتمضى الآيات في تصوير حال المنافقين ، وبيان سبب توليهم عن الايمان بعد اذ شارقوه ، فيتبين أنه تأمرهم مع اليهود ، ووعدهم لهم بالطاعة فيما يدبرون .

لقد كره اليهود الاسلام وتألبوا

عميقا في نفوس المسلمين الصادقين
فارتعشت له قلوبهم وخافوا أن
يقع منهم ما يبطل أعمالهم ويذهب
بحسناتهم •

وتستمر الآيات في خطاب
المؤمنين ، تدعوهم الى مواصلة
الجهاد بالنفس والمال دون تراخ أو
دعوة الى مهادنة الكفر المعتدى
الظالم ، تحت أى مؤثر من ضعف
أو مراعاة قرابة أو رعاية مصلحة
ودون بخل بالمال الذى لا يكلفهم
الله أن ينفقوا منه الا فى حدود
مستطاعة • مراعى الشح الفطرى
فى النفوس • واذا لم ينهضوا
بتكاليف هذه الدعوة فان الله
يحرمهم كرامة حملها والانتداب لها
ويستبدل بهم قوما غيرهم ،
ينهضون بتكاليفها ، ويعرفون
قدرها ، وهو تهديد عنيف مخيف
يناسب جو السورة كما يشير بأنه
كان علاجاً لحالات نفسية قائمة فى
صفوف المسلمين اذ ذاك — من غير
المنافقين — وذلك الى جانب حالات
التفانى والتجرد والشجاعة والفداء
التي اشتهرت بها الروايات ، فقد
كان فى الجماعة المسلمة هؤلاء

بدايته عن المشركين وبين أنهم
منعوا الناس عن الايمان بالله ،
وأعلنوا الشقاق والعداوة لرسول
الله ، وهؤلاء لن يضروا الله
بكفرهم ، وسيحبط الله أعمالهم •

وتتجه الآيات الى المؤمنين
فتأمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول
وتأمرهم بالثبات على الحق حتى
يأتى نصر الله •

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا
أعمالكم) محمد/ ٣٣ •

وهذا التوجيه يوحى بأنه كان
فى الجماعة المسلمة يومئذ من
لايتحرى الطاعة الكاملة ، أو من
تثقل عليه بعض التكاليف ، وتشق
عليه بعض التضحيات التى
يقتضيها جهاد هذه الطوائف القوية
المختلفة التى تقف للإسلام ،
وتناوشه من كل جانب ، والتى
تربطها بالمسلمين مصالح ووشائج
قربى يصعب فصلها والتخلّى عنها
نهاييا كما تقتضى العقيدة ذلك •

ولقد كان وقع هذا التوجيه عنيفا

وهؤلاء .. وكان القرآن يعالج ويربى لينهض بالمتخلفين الى المستوى العالى الكريم .

مقصود السورة اجمالاً

قال الفيروزباده : معظم مقصود سورة محمد :

« الشكاية من الكفار في اعراضهم عن الحق ، وذكر آداب الحرب والاسرى وحكمهم ، والأمر بالنصرة والايمان ، وابتلاء الكفار

في العذاب ، وذكر انهيار الجنة : من ماء ولبن وخمر وعسل ، وذكر طعام الكفار وشرابهم ، وظهور علامة القيامة ، والشكاية من المنافقين ، وتفصيل ذميمة خصالهم ، وأمر المؤمنين بالطاعة والاحسان وذم البخل في الانفاق وبيان استغناء الحق تعالى وفقر الخلق في قوله تعالى (والله الغنى وأنتم الفقراء) « (١) .

د : عبد الله محمود شحاته

(١) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/٣٠ تحقيق النجار ، نشر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية . مطابع شركة الاعلانات الشرقية ١٩٦٤ م .

التنمية

أحد ضوابط منهج الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي

للدكتور رفعت العوضى

تحقيق التنمية هو أحد ضوابط المنهج الإسلامي في الاستثمار •
ويعالج هذا الضابط ما يتعلق بالتنمية • ونسأل في البداية
ماذا يعنى الضابط ؟

التي يستخدمها الإسلام في منهجه
للاستثمار لتحقيق التنمية ؟
للإجابة على هذا التساؤل ، سوف
أناقش أربعة عناصر أو أربع
أدوات أعتقد أنها تمثل أدوات
استخدامها الإسلام لتحقيق
التنمية في منهجه لاستثمار رأس
المال : هي :

١ - الالتزام بالتشغيل الكامل
لرأس المال •

٢ - الالتزام بأن يغطي
الاستثمار الأنشطة الاقتصادية
الضرورية للمجتمع •

٣ - الالتزام بأن يكون أسلوب

ان المقصود بهذا الضابط هو أن
الإسلام يستهدف في منهجه
للاستثمار تحقيق التنمية ولا أريد
أن أدخل في المناقشة التي تثار
دائما عن الفرق بين التنمية
والنمو ، وان كنت أشير الى
أننى استخدمت مصطلح التنمية
ولم أستخدم مصطلح النمو ،
كأحد ضوابط المنهج الإسلامي في
الاستثمار ، لان التنمية المقصودة
إسلاميا هي أكبر من مجرد زيادة
دخل الفرد في المتوسط ، وهو
المعنى الذي يفسر به عادة مصطلح
النمو •

نتساءل مرة أخرى عن الأدوات

التنظيم الاسلامى للملكية تكشف
عن أن الاسلام يستهدف بهذا
الشكل أن يكون هذا التنظيم
يعمل كأداة لتحقيق التنمية (١) •

ويعد أيضا من هذه الأدوات
توزيع المنهج الاسلامى ، لذلك أن
للاسلام منهج متميز في
التوزيع ، وتكشف الدراسة أن هذا
المنهج بهذا الشكل يستهدف ضمن
ما يستهدف تحقيق التنمية (٢) •

وبسبب أن دراستنا هنا تتجه
الى الكشف عن المنهج الاسلامى
للاستثمار ، واذن فان الدراسة
الكاملة لأدوات تحقيق التنمية في
المنهج الاسلامى لا تكون
موضوعنا المستهدف •

لذلك لن أعرض لكل هذه
الأدوات ، وانما سوف تقتصر
الدراسة على عرض أدوات
تحقيق التنمية في المنهج الاسلامى
التي تدخل في دراسة المنهج

مشاركة رأس المال كأحد عوامل
الانتاج الأخرى يستهدف الانتاج
وليس مجرد الحصول على دخل •

٤ - الالتزام بأن يستهدف
استثمار رأس المال تنمية العنصر
البشرى •

هذه هي العناصر الأربعة ،
أو بمعنى آخر الأدوات الأربع
التي اعتقد أن الاسلام يستهدف
بها تحقيق التنمية من خلال منهجه
لاستثمار رأس المال •

أود أن أشير قبل عرض هذه
الأدوات الى أن الادوات التى
يستخدمها الاسلام لتحقيق التنمية
في منهج للاستثمار ، لا يقتصر
على هذه الأدوات الأربع وحدها •
وانما هناك أدوات أخرى كثيرة غير
هذه الأدوات الأربع تستخدم
لتحقيق التنمية وفق المنهج
الاسلامى ، من هذه
الادوات الملكية ، ذلك أن دراسة

(١) يمكن الرجوع في هذا الموضوع الى رسالتى للماجستير السابق
الإشارة اليها والمنشورة تحت عنوان : نظرية التوزيع في الاقتصاد الاسلامى ،
مجمع البحوث الاسلامية الفصل الثامن ، ص ٢٩٧ - ٣٢٢ •
(٢) يرجع الى رسالتى للماجستير السابق الإشارة اليها •

لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون»
سورة التوبة الآيتان ٣٤ ، ٣٥ •

أريد أن أجدب الانتباه في هذا الدليل الى السياق الذى وضع فيه تأثيم الاكتناز من حيث أنه قرن بالصد عن سبيل الله وأكل أموال الناس بالباطل ، وما يشير اليه بصفة خاصة قرن تأثيم الاكتناز بأكل أموال الناس بالباطل وما يتضمنه من حقوق للجماعة على المال الخاص بحيث أن كنزه يقرن بأكل أموال الناس بالباطل والمعنى الذى أريد أن أقف عنده أكثر هو المعنى الذى يستنتج من تأثيم الاسلام للاكتناز فى علاقته بالتشغيل الكامل لرأس المال • ان الاكتناز هو جزء الادخار الذى لم يوجه الى الاستثمار • واذا التزم المسلم التزاما اسلاميا صحيحا بالمنهج الاسلامى ، ومن هذا المنهج تأثيم الاكتناز ، فسوف يوجه كل ادخاراته التى هى جزء الدخل الذى يفيض عن الاستهلاك ، سوف يوجهه الى الاستثمار • معنى ذلك

الاسلامى للاستثمار • وهى الادوات الأربع التى سبق تحديدها ، والتى نتناولها الآن بالمناقشة •

الأداة الأولى الالتزام بالتشغيل الكامل لرأس المال

أعنى بالتشغيل الكامل لرأس المال فى هذا الصدد أن الاسلام يلزم ضمن منهجه لاستثمار رأس المال أن يوجه الى الانتاج ، وأن يوضع فى خدمة المجتمع الاسلامى جميع وحدات رأس المال ، ويتضمن هذا الا تكون أية وحدة من وحدات رأس المال عاطلة ، أى لا تعمل فى دائرة النشاط الاقتصادى المشروع • والدليل الذى استند اليه فى هذا هو قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم

من هذه الاهداف : استخدام
حصيلة الزكاة في تنمية العنصر
البشرى في المجتمع وذلك
بتوفيرها حدا أدنى من الدخل
لصاحب الحاجة •

ومن هذه الاهداف أيضا تقليل
حدة التفاوت الداخلى بين أفراد
المجتمع الاسلامى • وبمعنى آخر
أن الزكاة تمثل أحد الأدوات
المستخدمة في اعادة التوزيع في
النظرية الاقتصادية الاسلامية •
وهناك اهداف أخرى كثيرة للزكاة
يمكن البحث عنها والرجوع اليها في
الكتب المختصة لدراسة الزكاة •
كما أن الزكاة تستهدف أيضا هدفا
معنويا له أهميته في المجتمع هذا
الهدف هو خلق نوع من الترابط
والتماسك والاحساس الجماعى
المشترك ، ماديا ومعنويا بين أفراد
الجماعة الاسلامية • هذه هي
بعض الاهداف الرئيسية للزكاة ،
أما علاقة فريضة الزكاة بالالزام
بالتشغيل الكامل لرأس المال فهي
نوع من أنواع الاستلزام ، أى
الأمر الذى يترتب بالضرورة على
أمر آخر •

أنه وفق المنهج الاسلامى لا توجد
رؤوس أمواله مكتنزة ، أى عاطلة •
هناك دليل آخر يستدل به على
الالزام بالتشغيل الكامل لرأس
المال وهذا الدليل يتعلق بالزكاة •
ان الزكاة يمكن أن ينظر اليها من
أن توجه كل رؤوس الاموال الى
التشغيل ، والا تبقى عاطلة •
وتستند وجهة النظر هذه الى
تحليل طبيعة الزكاة والتي يشير
اليها القول المأثور (اتجروا بمال
اليتيم حتى لا تأكله الصدقة) •
يعنى هذا أن بقاء رأس المال
عاطلا وعدم تشغيله في النشاط
الانتاجى مع استمرار فرض
الزكاة عليه يجعل رأس المال
ينفذ وأريد أن أوضح رأىى في
علاقة الزكاة بالالزام بالتشغيل
الكامل لرأس المال ، ذلك أنه وان
كنت أرى أنه يمكن استنتاج علاقة
بين فرض الزكاة والالزام بالتشغيل
الكامل لرأس المال الا أنه تكملة
لرأىى ، لا أعتقد أن هذه العلاقة
هى أحد الاهداف الرئيسية
للزكاة • اذ أن للزكاة أهدافا
اقتصادية أخرى أقوى وأوضح

الكامل لرأس المال بربط هذا الالتزام بهدف التنمية • وقول الرسول (ص) : الامن ولى يتيما فليتجر بماله حتى لا تأكله الصدقة هو واضح فى هذا الربط • ذلك أن المقابل لتعطيل المال حسب هذا النص الاتجار به • والاتجار هو مصطلح يكتى به عن تشغيل رأس المال فى النشاط الانتاجى • سواء أكان انتاجا ماديا أم انتاجا خديما •

ونربط كذلك الآية التى سبق الاستدلال بها وهى آية تحريم وتأسيس الاكتناز بين الالتزام بتشغيل رأس المال وبين التنمية ، ذلك أنها تربط بين اكتناز الأموال وبين منع انفاقها فى سبيل الله • ويمثل الانفاق فى سبيل استثمار فى تنمية العنصر البشرى ، أو ما تسمى اقتصاديا بالموارد البشرية • كنتيجة ان الاسلام يجعل ضمن

إذا قارنا بين المنهج الإسلامى للاستثمار وبين المناهج الاقتصادية الوضعية فما يتعلق بالالتزام بالتشغيل الكامل لرأس المال نجد أن للمنهج الإسلامى تمييزه وذاتيته المستقلة فى هذا الصدد • وذلك أننا نعرف كالاقتصاديين أن ضرورة المساواة بين الادخار والاستثمار، وهى الفكرة ذات الاهمية الاقتصادية ، هى فكرة يربطها الاقتصاديون بالدورة التجارية • ومصطلح الدورة التجارية هو ما سبق ان قربناه للقارىء العادى غير المتخصص فى الاقتصاد بمصطلح الأزمة الاقتصادية • وهكذا يكون التشغيل الكامل لرأس المال وان استهدف فى المناهج الاقتصادية الوضعية الا أنه لا يستهدف كأداة فى المنهج الاستثمارى بقصد تحقيق التنمية فى المقابل ، ان الاقتصاد الإسلامى وهو يفرض ويلزم بالتشغيل

يمثل الالتزام بأن يغطى الاستثمار الأنشطة الاقتصادية الضرورية للمجتمع الاداة الثانية التى استخدمها الاسلام لتحقيق التنمية كأحد ضوابط المنهج الإسلامى فى الاستثمار • ويمكن الاستدلال على هذا النوع من الأدوات بالحكم الإسلامى •

يقم أحد بهذا الاستثمار ، مع وجود القادرين عليه ، فان المسؤولية تظل واقعة على جميع المسلمين • واعتقد أن الشيخ محمود شلتوت قد استند الى هذا حين قال : (اذ كان من قضايا العقل والدين أن مالا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وكانت عزة الجماعة الاسلامية أول ما يوجبه الاسلام على أهله ، وكانت متوقفة على العمدة الثلاثة : الزراعة والصناعة والتجارة ، كانت هذه العمدة واجبة ، وكان تنسيقها على الوجه الذي يحقق خير الأمة واجبا (١) •

أريد أن أشير الى أهمية هذا النوع الفريد من الاحكام في الاسلام وهو فرض الكفاية • وأكد اعتقد أنه حكم قصد به مواجهة ضروريات سوف تواجه المجتمع الاسلامي • كما أريد أن أشير أيضا الى أننا تعلقنا بهذا الحكم طويلا من خلال تطبيقاته

ضوابطه لاستثمار رأس المال التنميمة • ومن الادوات التي يستخدمها لتحقيق ذلك : الالتزام بالتشغيل الكامل لرأس المال •

الأداة الثانية : الالتزام بأن يغطي الاستثمار الأنشطة الاقتصادية الضرورية للمجتمع المعروف :

فرض الكفاية • ويعنى هذا المصطلح أن القيام بما يلزم للجماعة الاسلامية يكون فرض كفاية : اذا قام به البعض سقط الاثم عن الباقين • وبتطبيق هذا النوع من الاحكام على النشاط الاقتصادي نستنتج أنه اذا كان هناك نشاط اقتصادي مشروع يلزم للجماعة الاسلامية كضرورة يكون القيام به أي تنفيذه وتوجيه الاستثمارات اليه فرض كفاية على جميع المسلمين ككل • اذا قام بهذا الاستثمار بعض أفراد المجتمع الاسلامي ، فان هذا يكفي وتسقط المسؤولية عن باقي أفراد الجماعة الاسلامية • وفي المقابل ، اذا لم

(١) نقلا عن د . محمد عبد الله العربي « استثمار الاموال في الاسلام » المؤثر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ ، ص ١٣٠ •

الاسلامية يكون الاستثمار أعلا ربحيه حين يوجه الى النشاط الاقتصادي الأكثر ضرورة من وجهة النظر الاسلامية • وإذا كنا كالاقتصاديين ننتقد باستمرار توجيه الاستثمارات في البلاد الاسلامية الى انتاج السلع للترفيه مثل السيارات ودور اللهو والسلع المشابهة واهمال انتاج السلع الضرورية ، ونذكره على أنه أحد أسباب استمرار تخلف هذه المجموعة من البلاد ، فإن الالزام بهذه الأداة الاسلامية ، التي تعنى ضرورة توجيه الاستثمارات الى أوجه النشاط الاقتصادي الضرورية واللازمة للمجتمع ، سوف يقضى على التخلف الاقتصادي المسبب عن هذا الخلل التوجيهي للاستثمارات • وأيضا يعنى ذلك أن الاستثمارات سوف تغطي كل ما يلزم للجماعة الاسلامية •

ومرة أخرى ، ماذا يعنى هذا اقتصاديا ؟ يعنى ذلك أننا كالاقتصاديين ننتقد دائما في البلاد المتخلفة ما نسميه بتضخم

في العبادات ، كما انه ارتبط بفكرنا من حيث ربطه بحالات من الجهاد • والآن وأمام تحديات كثيرة ومعقدة تواجه العالم الاسلامي ، هي في غالبيتها اقتصادية ، يجب أن نربط هذا الحكم الهام بمثل هذا النشاط • ان فرض الكفاية كأحد الاحكام الاسلامية هو فرض ليس له نظر في التشريعات الوضعية ، سواء منها ما يتعلق بالاقتصاد أم بغير الاقتصاد • وهو فرض فريد من حيث تكييفه القانوني •

ماذا تعنى هذه الاداة ، أى الالزام بتغطية كل الأنشطة الاقتصادية اللازمة للمجتمع من وجهة النظر الاقتصادية ؟ يعنى هذا ببساطة أن الاستثمارات سوف توجه الى الأنشطة الضرورية للمجتمع الاسلامي ، ولن ترتبط بمعيار الربح بمعناه المادى والأمانى في الاقتصاد الذى يعرف الربح بأنه العائد النقدي من الاستثمار • ويكون الاستثمار أعلا ربحية حين يحقق أكبر عائد نقدي • لكن من وجهة النظر

فاننا بهذا نقضى على سبب تخلف
العالم الاسلامى الناتج عن اهمال
ذلك .

نستنتج أن الالتزام بأن يغطى
الاستثمارات كل الأنشطة
الضرورية للمجتمع الاسلامى على
مستوى العالم الاسلامى ككل ،
يمثل هذا الالتزام أحد أبعاد
التنمية بمفهومها الحديث فى
الاقتصاد . وهكذا ، يكون هذا
الالتزام هو أحد الأدوات
الاسلامية المستخدمة لتحقيق
التنمية . والتنمية بدورها وفق
التصنيف الذى اقترحته هى أحد
ضوابط المنهج الاسلامى
للاستثمار .

دكتور رفعت العوضى

الاستثمارات أو بيطنة الاستثمارات
فى بعض الأنشطة الاقتصادية
أو بعض المناطق الاقتصادية ،
بينما يكون هناك فى المقابل الجوع
للاستثمارات وشدة الحاجة اليها
فى أنشطة أخرى أو مناطق أخرى .
ويمكن أن نعطي كثيرا من الأمثلة:
تركيز الاستثمارات فى كل عواصم
البلاد الاسلامية هى ظاهرة
منتشرة يقابل ذلك اهمال خطير
للمناطق الأخرى البعيدة عن
العواصم ، كما أنه على مستوى
العالم الاسلامى المتحد ، وحيث
نتعلق بهذه الوحدة ، هناك سوء
توزيع استثمارات . وهكذا ، اذا
وضعنا موضع التطبيق هذه الاداة
الاسلامية فى الاستثمارات وهى
تغطية كل أوجه النشاط الاقتصادى
الضرورى للمجتمع الاسلامى ،

فلسفة الحضارة الإسلامية

للمؤلف: د. محمد عبد الرحمن السامح

الانسان ، وركب فيه ماركب ، من قوى الادراك والعمل ، لحكم سامية .. منها : ليكون خليفة في الأرض ، يعمل على اصلاحها ، واتساع عمرانها ، واظهار أسرار خالق الكون فيها ، وتدعيم أوامر الخير ، واقرار السعادة ، في جميع أرجائها .

وقد أرشد الى هذه الحكمة كثير من آيات القرآن .. منها قوله تعالى ، في سورة البقرة ، وهو يحدث عن مبدأ خلق الانسان : «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا : اتجعل

لم يخلق الله ، سبحانه وتعالى ، الانسان ، في هذا الكون .. ليعبث أو يلهو ، أو يلعب .. أو ليطغى بقوته وجبروته ، أو ليعيش في أحضان الجهل والالتكالية ، والاستجداء ..

قال تعالى في سورة « المؤمنون » : **أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون (١) »** .. وقال تعالى في سورة الملك : **« تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور »** .. وانما خلق الله سبحانه وتعالى ،

الكون واخضاعه له في التفكير والتصريف . فلا سبيل الى قيام الانسان بهذه المهمة ، وتحقيق تلك الحكم الا بالعلم والمعرفة والعمل .

ولم يكتف الاسلام بهذا .. بله فتح مجال العلم ، للعقل الانساني ، وتعدى به أسوار الطبيعة وتغلغل به في أسرار الحياة .. قال تعالى في سورة عبس « فلينظر الانسان الى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شققا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم » (٢) .

وقال تعالى : في سورة الطارق : « فلينظر الانسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » .. وقال تعالى في سورة الحجر : « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » .

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم . فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم : انى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » (١) .

فهذه الآيات توحى بأن العلم أساس الحياة ، وسر النجاح ، فالخلافة في الأرض والسيطرة عليها ، وتسخير ما فيها ، واستغلال خيراتها ، وثمراتها وطبياتها أساس ذلك كله العلم لا غيره ..

واذا كانت هذه هي مهمة الانسان في الحياة ، وهي حكمة خلقه ، وحكمة الانعام عليه ، بقوى العلم والعمل ، وحكمة تسخير

(١) البقرة : ٣٠ - ٣٣

(٢) آية ٢٢

هذه الآيات وما جرى مجراها ،
قد فتحت للعقل الانساني ، آفاق ،
الكون وبينت له طريق التأمل
والمشاهدة والتفكير ، في ملكوت
السموات والارض ، لاستنباط
الحقائق ، وما يفيد المجتمع
الانساني ويعود عليه بالنفع والأمن
.. وتلك دعوة صريحة الى العلم ،

فكان بهذا مصباحا أضاء الدنيا
وأنازل أفق الانسانية ، وأشرق
بالمعرفة الصحيحة .

والباحث المنصف يرى أن
الاسلام في وثيقته : تلك ، قد وضع
أسس المعرفة التي تهدي الانسان
الى الخير ..

والمعرفة في الاسلام ، لا تقوم
على نظرية تحتاج الى دراسة
وتأمل وانما على اساس التعادل
بين الكم والكيف ، وبين المادة
والروح ، وبين الغاية والسبب ،
وبين الدنيا والآخرة .. فلا افراط
ولا تفريط ، لقد ربط الاسلام بين
الحواس المرفهة ، وبين العقل
الباحث المنظم والوجدان النقي ،
وكل ما جاء في القرآن في الحث على
التفكير ، دليل على مكانة العقل ،
والعلم ، والمعرفة في نظر الاسلام .

اذ العقل آلة التفكير ، والعلم
ثمرة التفكير . فكل ما ورد في

حظيت بها الانسانية ، منذ أربعة
عشر قرنا من الزمان ، دعوة صريحة
صادقة الى اتباع الاسلوب
العلمي والمنهج القائم على التكامل
والصدق والاخلاص ..

والاسلام قد وثب بالمسلمين
وثبة هائلة . وهذه الوثبة الهائلة
كانت على أثر اشعاع القرآن
الكريم ، في جنبات الدنيا
والانسانية فأناهما بعد ظلمة ،
وهدي الانسانية بعد حيرة ،
ونظمها بعد اضطراب ، وفتق
أذهان أبنائها بعد ارتقاق ، وأزال
الأصفاة والقيود التي كانت تقف
حجر عثرة أمام الفكر .

وكان من ذلك أن نبه على وجوب
النظر في الكون العام ، وفي النفس

واستطاعت هذه التوجيهات أن تمكن المسلمين ، من الاستفادة ، من تلك الدرة الالهية ، التي منحها الله للإنسان ، وهى العقل • فنمته ، وجعلته يمارس الوظيفة الأساسية التى خلق من أجلها • حتى كانت للمسلمين حضارة وعلوم ومخترعات حضارية عالمية لن ينسى التاريخ دورها فى تحويل مجرى الانسانية ، ولن تنسى الانسانية دور المسلمين فى بناء الحضارة ، بأصالة وعمق وفاعلية ••

كانت هناك تشريعات ، وفلسفة ، وقوانين ، وطب ، وفلك ، وأدب ، واجتماع ، ورياضيات ، وتاريخ ، وجغرافيا ، وفنون جميلة ، وآداب للسلوك والاجتماع ••

وكان لكل هذه العلوم والفلسفات ، أساتذة عابرة ، كأئمة الحديث ، ورجال الفقه الذين ضبطوا أساليب النقد ، وقعدوا قواعد التشريع ••

وفوق هذا وذاك •• فقد كان المسلمون هم واضعو طرق البحث العلمى التجريبي الذى كان أساسا للحضارة الأوروبية الحديثة ، ويكفى

القرآن ، حثا على التفكير ، وهو اعلان عن فضل العقل ، وإيحاء بالعمل على تربيته وتقويته ، وهو فى الوقت ذاته تسجيل لفضل العلم •• حتى يتمكن الانسان من الحقائق ، وتزول عنه غشاوة الجهل ، ويتحرر من رق الاوهام ، والخرافات والاساطير التى لا صلة لها بواقع الحياة •

وبهذا كان الاسلام دين الفكر ، والعقل ، والعلم •• وقد ارتفع القرآن بالعقل وقدره حق التقدير ، وجعله ميزة الانسان • قال تعالى :
« أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها » ١٠

وبناء على التوجيهات القرآنية ، للناس بالفكر والدراسة •• انطلق المسلمون يدرسون ويبحثون ، ويقارنون ، ويغربلون ، ويقعدون القواعد ، ويؤصلون الاصول •

ولقد اشتملت توجيهات القرآن العقلية ، على أصول ومبادئ عامة صلت لان تكون منهجا فكريا سليما ، حدد به المسلمون موقفهم من مشاكل الكون والحياة •

كل هذا كان بفعل الاتجاهات العقلية التي غرسها الاسلام ، والتي أدت الى تنمية القوى العقلية الكامنة في الانسان ، والتي جعلت من المسلمين أساتذة للعلوم وكانت بعوث الأمم ، تفد على العواصم الاسلامية من كل ناحية فيأخذون عن علمائها ماشاءوا من أفانين العلوم . وألوان المعرفة ثم يعودون الى بلادهم حاملين اليها مشاعل هذه العلوم التي نفخت فيهم روح الحياة ، وفتحت لهم طريق الانتفاع بأصلين عظيمين من أصولك الإصلاح الاسلامي . وهما :

حرية الفكر .. واستقلال الادارة .. فلم تنهض العقول للبحث ، ولم تتحرك النفوس للعمل .. الا بعد أن عرفت أن لها حقا في طلب الحقائق .

ولقد تلمست أوروبا حضارة المسلمين العلمية .. فاستقتت من روافدها المعرفة ، والفلك والجبر ، والهندسة ، والكيمياء ، والطب ، والفلسفة ، وعلوم النبات ،

في هذا أن نستشهد باعتراف العلامة (بريفولت) : « ان الاوربيين درسوا عن العرب طرق البحث العلمي التجريبي وانه لم يسبقهم اليها باحث أو مفكر » .

تلقى المسلمون هذه الينابيع من مصادرها الأصلية ، واستقرت دعائمها في نفوسهم ، فكانت الرائد الامين للعقول والافهام ، والغذاء الروحي للغرائز والمواهب . وهذه الينابيع طبعت الناس على استقلال الارادة ، وحرية الفكر ، كما كرهت اليهم التقليد والتبعية العمياء ، ووجهت العقول للبحث والانتاج .. وفتحت لهم ميادين العلوم والفنون .. فأقبلوا عليها سراعا .. ودخلوها من كل باب . وبهذه النهضة العلمية الجبارة استطاع المسلمون في سرعة لم يعرف التاريخ لها مثيلا . أن ينتقلوا الى القيادة الفكرية العالمية ويصبحوا أساتذة الدنيا ، وعباقره العلوم .. وكان وأصبح هناك قادة وحكام ، ومدن وعواصم ومعاهد وجامعات ودول وممالك لم يشهد التاريخ لها مثيلا .

والأودية ، ويجول فيها طولا
وعرضا حتى يضع قواعد علم
الضوء .

وابن الدجيلي فيسهر على قمم
الجبال العالية ، يحدق في الكواكب
والنجوم ليحد أفلاها ، ويعرف
أبعادها ، ويقيس محيط الكرة
الارضية ، وعبد الله الخوارزمي
العالم المسلم الذي ولد في اقليم
خوارزم (١) أول رجل في العالم
يضع أصول علم الجبر وفي كتابه
« الجبر والمقابلة » يقسم العلماء
الى ثلاثة : « فمنهم المخترع
المبتكر الذي لم يسبق اليه ، ومنهم
الذي يتناول آراء العلماء قبله
بالشرح والتفصيل والتوضيح ،
ومنهم المخترع المبتكر الذي لم
يسبق اليه ، ومنهم الذي يتناول
آراء العلماء قبله بالشرح والتفصيل
والتوضيح ، ومنهم الذي لم يكلف
نفسه أكثر من جمع المتفرق » .

وأبو الريحان محمد البيروني
الذي ولد في بيرون ، وهي مدينة

والحيوان وسائر أنواع الفنون
الحضارية .

وينى رجال أوربا ، بما تعلموه
في معاهد المسلمين بالاندلس ،
وربما نقلوه من علوم . . أسس
النهضة الحديثة ، التي ظهر نجمها
في القرن الثامن عشر . وازدهر
في القرن التاسع عشر ، وتألق في
القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هو
الذي خرج جهاذة الفكر ، ورجال
الحضارة أمثال ابن الهيثم ، وابن
البيطار ، وابن سينا ، وابن
النفيس ، وابن زهر وابن بطوطه ،
والكندي ، والفارابي ، والبيروني ،
والطوسي ، والدينوري ، والبغدادى
والفيروزا بادي ، والامام
الغزالي ، والطبري والرازي ،
والانطاكي ، والخوارزمي ،
والادريسي ، والمسعودي ، وجابر
والجاحظ ، وغيرهم ممن أفادوا
الانسانية .

وهذا ابن الهيثم يبحث في السهل

(١) اقليم خوارزم هذا من الاقاليم الاسلامية التي كانت عامرة بالعلم
والعلماء وهو الآن تحت الاستعمار الشيوعي الروسي .

ورطتها التي كانت واقعة فيها
الحضارة المسلمين ومازالت أسماء
العلوم والمصطلحات التي أعطاها
هؤلاء العلماء المسلمون ، لغرائب
المخترعات ، مازالت حية نابضة ، في
جميع اللغات ، رغم مانالها من
تحريف وتغيير .

ولقد سجل التاريخ آيات هذه
الحضارة الاسلامية ، وشهد بها
المنصفون من فلاسفة العالم
ومؤرخيه ، الذين لا ييغنون من
بحوثهم ودراساتهم ، الا مرضاة
العلم في ذاته .

تقول الكاتبة الالمانية الدكتورة
سيجريد هونكة : « ان أوربا تدين
للعرب ، وللحضارة العربية ، وان
الدين الذي في عنق أوربا وسائر
القارات ، للعرب كبير جدا » .

وقال العلامة ، دربير « المدرس
في جامعة (هارفارد) بامريكا .
في كتابه « المنازعة بين العلم
والدين » : « ان نتائج هذه الحركة
العلمية ، تظهر جليا بالتقدم الباهر
الذي نالته الصناعات في عصرهم ،
فقد استفادت منها فنون الزراعة

صغيرة تتبع مدينة خوارزم . يساهم
في الفلك والرياضيات ، بمساهمات
فعالة .

وابن النفيس العالم الدمشقي ،
يجري التجارب والاختبارات ،
حتى يثبت ان الدم ليس سائلا
مستقرا في الاوردة والشرابين .
بل هو سائل متحرك يدور في جميع
أجزاء الجسم ، وذلك قبل ان يكشف
العالم البرتغالي (هارفي) الدورة
الدمية بثلاثة قرون .

وابن مسكويه ذلك المفكر
الاسلامي الكبير الذي طرّق
الدراسات الاخلاقية والنفسية
يسبق فلاسفة أوربا ، وعلمائها
بثمانية قرون في علوم الاخلاق
والفلسفة والتهذيب والنفس ..

وجابر بن حيان يحلّ عناصر
الطبيعة ، وتفاعل المواد المختلطة ،
حتى يضع أصول علم الكيمياء ..
وابن يونس يسبق العلماء في
اختراع بندول الساعة « الرقاص » .
هذا كله في الوقت الذي كانت
فيه أوربا ، تعيش في ظلمات الجهل
والفوضوية والامية والهمجية
والتأخر ، ولم ينقذ أوربا من

تعود الى بناء حضارتها المتميزة
وشخصيتها الاسلامية الفريدة •
وقبل أن نقرر امكانية عودة
الحضارة الاسلامية نضع الحقائق
التالية :

أولاً : العالم الاسلامي حياه
الله بأعظم النعم ، اذ يتربع على
كنوز ثمينه ويربض على ثروات
معدنية هائلة ، ويملك من حقول
البترول أجداها نفعا ، وأكثرها
سقاء وثراء ، وأقواها تدفقا
وعطاء •

ثانياً : - يملك العالم الاسلامي
من شواطئ البحار والانهار ،
والمرات ، والطرق البرية ،
والبحرية ، والجوية ، مما يجعله
في مركز القيادة ، ويمكنه من
المساهمة والاشراف والتحرك
الفعال •

ثالثاً : - مناطق الثقل في العالم
الاسلامي بعيدة عن القطبين
ومصبونة من الاعاصير
والطوفانات ، والثلوج ، والمد
والجزر ، وسالة من البراكين

في أساليب الري والتسميد وتربية
الحيوانات ، وسنن النظم الزراعية
الحكيمة ، وادخال زراعة الارز
وقصب السكر والبن •• وقد انشرت
معاملهم ومصنوعاتهم لكل نوع من
أنواع المنسوجات كالصوف
والحرير والقطن • وكانوا يذبيون
المعادن ، ويجودون في عملها على
ما حسنوه وهذبوه ، من سبكها
وصنعها ، واننا لندهش حين نرى
في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ،
ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا
العصر •• وان جامعات المسلمين
كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين
الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب
العلم وكان ملوك أوربا وأمرأؤها ،
يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا
فيها » •

ان هذه الاقوال التي جاءت على
لسان علماء أفذاذ لمرضاة العلم في
ذاته تشهد صراحة وضمنا ، وجملة
وتفصيلا ، لحضارة المسلمين ،
ومدى فاعلية هذه الحضارة
الاسلامية الانسانية •

وان الامة الاسلامية يمكن أن

والزلازل، وهذا يتيح لها ماتستطيع به العمل والتقدم ..

رابعا : - العالم الاسلامى غنى بالمحاصيل الزراعيّة ، والانتاج الحيوانى ، مما يمكن من قيام صناعات متقدمة ومتطورة .

خامسا : - يعيش العالم الاسلامى اليوم فى يقظة واعية ، وصحة صحية ، فاذا أحسن توجيهها ، أثمرت وأفادت الانسانية ..

سادسا : - يشغل الامة الاسلامية من خريطته العالم الانسانى حيزا جغرافيا عظيما مما يمكن المسلمين من التأثير والفاعلية القادرة على الانطلاق ..

تلك وغيرها أمور تجعل الامة الاسلامية ، قوة ايجابية ، مهية للإسهام فى انقاذ الانسانية من هذه الضياع والفوضىّة والجهل، والالحاد ، والمذاهب الهدامة .

ولقد وصف المستشرق السويدي « فرناو » العالم الاسلامى بأنه يمثل بموقعه فى قلب قارات ثلاث « قارة وسطى » .

وهذا تعبير قد لا يرضى عنه علماء الجغرافيا . ومع هذا فهو تعبير محمل بالمعانى .. وصادق على جغرافية المسلمين ، وملء بالتفاؤل ..

يقول الدكتور جورج سارطون : « ان المسلمين يمكن ان يعودوا الى عظمتهم الماضية اذا عادوا الى فهم حقيقة الحياة فى الاسلام والعلوم التى حث الاسلام على الاخذ بها » .

وقال الدكتور فيلب حتى : « ان الشرق الاسلامى هو اليوم فى مطلع دور جديد فى حياته العلمية ، كما أنه فى فجر جديد فى حياته السياسية ، وهو دور جديد يمكن أن نسّميه دور الابداع والابتكار ، ضمن اطار الميراث الخالد ، من القيم الدينية والأدبية .

والحقيقة التى لا يستساع انكارها ان تقدم المسلمين علميا وحضاريا رهين بعودتهم الى الاسلام .

أحمد عبد الرحيم السايح

فقيه العلم والإسلام عالم الأزهر

المرحوم الدكتور الشيخ
محمد الفحام
شيخ الأزهر الأسبق

فقدت مصر والعالم الإسلامي علما من أعلام الدين والدعوة يوم ١٩٨٠/٨/٣٠ م هو الدكتور الشيخ محمد محمد الفحام شيخ الأزهر الأسبق عن ٨٤ عاما قضى الشيخ الفحام ٦٠ عاما في العمل من أجل نشر الدعوة الإسلامية •

ولد الشيخ الفحام بالاسكندرية في ١٨ سبتمبر عام ١٨٩٤ م • وتلقى بعض علومه الدينية في مسجد العباس المرسى والتحق بالأزهر حتى تخرج منه ثم تولى التدريس بمعهد الاسكندرية الديني ثم عين مدرسا بكلية الشريعة •

سافر الشيخ الفحام في بعثة دراسية الى فرنسا حيث قضى عدة سنوات حصل خلالها على دبلومات عليا في اللغات اللاتينية واليونانية والأسبانية كما حصل على الدكتوراه في الآداب من جامعة السربون بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٩٤٩ وعاد الى مصر •

قام بتدريس الأدب المقارن بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف وكلية الآداب جامعة الاسكندرية •

عين عميدا لكلية اللغة العربية عام ١٩٥٩ •
عين شيخا للأزهر عام ١٩٦٩ في ١٦ سبتمبر وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٧٣ •

• انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية في ديسمبر ١٩٧١ •

• منح وسام الجمهورية من الطبقة الأولى في مايو ١٩٧٣ م •

وقد شارك الدكتور محمد الفحام في عدة مؤتمرات اسلامية أولها في لبنان عام ١٩٤٨ وتوجه الى نيجيريا في عام ١٩٥١ في مهمة لدراسة أحوال المسلمين وأمضى خمسة أشهر في هذه المهمة وشارك أيضا في مؤتمرات اسلامية في باكستان واندونيسيا وماليزيا وقام بدراسة أحوال المسلمين في موريتانيا بعد احالته للمعاش وزار السودان وليبيا والجزائر وأسبانيا والعراق واليابان والسعودية وكذا ايران والجمهورية الاسلامية بالاتحاد السوفيتي وكان هو شيخ الأزهر الوحيد الذي زار هذين البلدين وللشيخ الفحام خمسة أبناء يشغلون مواقع عمل مختلفة •

والأزهر اذ ينهى الأمة الاسلامية فقد شيخا من شيوخه وعالما
جليلا من علمائه يرجو للفقيد الرحمة ولأسرته العزاء ..

أسرة المجلة

مشكلات الشباب وحلولها في ضوء الكتاب والسنة للمفتي محمد صالح المنجد

تمهيد :

رسالته في هذه الحياة •

عناية سابقة على وجوده :
وعناية الاسلام بالشباب تبدأ
من قبل أن يولد •• تبدأ بتكوين
الاسرة التي تحقق البيئة الصالحة
له فهو يرى أن تكوين الاسرة له
أسس تحقق الاطمئنان والسكن
والتربية الكاملة المتكاملة : (خلق
لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)
الروم / ٢١ — ولذلك فقد طلب
من الرجل أن يختار المرأة الصالحة
التي تحقق التربية المثالية وتعطي
للطفل كل حاجاته — ويعبر
الرسول الكريم عن ذلك بقوله :
(فاظفر بذات الدين تربت يداك)
البخارى — ومثل ذلك في اختيار
الرجل : (اذا جاءكم من ترضون

عنى الاسلام بتربية الشباب
عناية واضحة ذلك لأن فترة
الشباب هي فترة القوة والحيوية
والنشاط وفترة امتصاص الأفكار
واعتناق المبادئ والحماسة لها
والدفاع عنها ومحاولة نشرها
والبذل في سبيلها بكل شيء
بالصحة والمال والوقت بل والنفس
في كثير من الأحيان •

ومن هنا رأينا الصراعات
المختلفة حول الشباب ومحاولة
اجتذابهم حول الفكرة التي يعمل
فيها كل منهم •• وقد وجدنا عناية
الاسلام بالشباب تلك العناية
الرائعة التي جعلته يعطيه الامكانيات
التي تكفل انطلاقه وتسلمه بكافة
الأسلحة التي تعينه على أداء

وظيفة الشباب في الاسلام :

وظيفة الشباب في الاسلام هي وظيفة المسلم بعامته ، ولكن الشباب أقدر من غيرهم على حملها بما لهم من حماسة وحيوية ونشاط واستعداد للتضحية - فهو جزء من هذا الكون • والكون ساحة لنشاطه وميدان لحضارته يدين بالعبودية لله ويتحرر من عبادة ما سواه من استذلال النظم والقوانين والأشخاص والشهوات والشيطان •

انه سيد الكون وليس عبدا الا لله الذي خلقه وخلق الكون ثم ان الكون كله مصدر رائع للمعارف والعلوم ومنبع لسكينة الانسان وهدوئه ومشاعره - وبذلك يرفع الاسلام من اهتمامات المسلمين بقدر ما يرفع تصورهم للوجود كله - وبقدر ما يكشف أيضا عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره - والمسلم يحس بقيمته حين يعلم أن الله خلقه في احسن تقويم وسواء ونفخ فيه من روحه ، وجعل الملائكة تسجد له وجعله خليفة له في الأرض •

خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير) ابن ماجه - وصفات الوراثة تظهر في الأبناء فان الاسلام يعطى لأبنائه مؤشرات تساعد في اختيار العناصر الصالحة في تكوين الاسرة فهو يقول : (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) البخارى ، ويقول (اياكم وخضراء الدمن) ويفسر الرسول الكريم خضراء الدمن بأنها (المرأة الحسناء في المنبت السيئ) •

وبهذا التخطيط يضمن الأساس السليم للبيئة المتكاملة التى ينشأ فيها الطفل المسلم ثم هو يحاول أن يضمن له الاستقرار الدائم في كنف الاسرة فيجعل الطلاق أبعض الحلال الى الله كما يقول الرسول الكريم - ويجعل أساس البيوت الوفاء كما يقول عمر بن الخطاب - ثم يجعل الأسرة مسئولة مسئولية كاملة عن تربية الأبناء يقول الرسول الكريم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) - البخارى •

يقوم برسالته كاملة مادام خاليا من المشكلات — ولكن اذا وجدت المشكلات فى حياته فان ذلك يعوقه عن أداء هذه الرسالة •

ولما كان الاسلام حريصا على الشباب وعلى أن يؤدى رسالته كاملة فانه يعمل على ازالة العقبات من طريقه وعلى تقوية شخصيته بحيث يستطيع أن يقاوم هذه المشكلات فاذا ما جاءت المشكلات بعد ذلك حاول علاجها بالاسلوب الذى يفيد ويريح وينتج •

الاسلام يزيل العقبات أمام الشباب :

من طبيعة الشباب الحركة والحيوية والنشاط ، وقد يستتبع هذا الخطأ فى جانب من الجوانب والله سبحانه وتعالى يفتح بابا للتائبين دون وساطة ويقول : (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) الزمر / ٥٣ ويقول : (واذا سألك عبادى عنى فأتى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان) البقرة / ١٨٦ ، وجعل من السجعة

والاسلام بهذا يرسى القواعد الاساسية التى لا تتغير ولا تؤثر فيها تطورات الحياة كما لا يؤثر فيها اختلاف النظم ولا تعدد المذاهب ولا تنوع البيئات فمن أداها كاملة فقد أدى وظيفته — ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أصبح بلا وظيفة فى هذه الحياة — وأصبحت حياته خاوية من معناها الأصل الذى تستمد منها قيمتها الأولى — ثم اذا به يسير الى الضياع الذى يصيب كل من يتخلى عن وظيفته والاسلام يوجه طاقة الشباب الى العمل المنتج المفيد الذى هو ثمرة الايمان بالله — والقرآن الكريم يؤكد تأكيدا شديدا على العمل الصالح فى عشرات الآيات : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) آخر الكهف — والعمل الصالح يشمل كل ما يقوم به المسلم نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه الاسلامى بل والمجتمع الانسانى كله •

والشباب المسلم يستطيع أن

يابنى لا أعلم شيئاً عندي
 الا أنى لا أبيت وفي نفسى حقد
 لانسان وهو يبعد عن
 الشاب المسلم الحقد والحسد لأنه
 يقطع الروابط ويزيد المشكلات
 الاجتماعية — ويجعل الاوقات
 تضيع فيما يعود على الناس
 بالضرر — كما أنه يعلم الشباب
 الصبر عند الغضب حين يطلب من
 الغاضب أن يستعيز بالله من
 الشيطان الرجيم فاذا بالغضب
 يذهب عنه — كما يطلب من
 الغاضب أن يغير من وضعه فيكسر
 هذا من حدة الغضب ويصبح
 الانسان أكثر هدوءاً • ويقول
 الرسول عليه السلام : (اذا غضب
 أحدكم وهو قائم فليقع فاذا ذهب
 عنه والا فليضطجع) ثم هو من
 الناحية الايجابية يبين للشباب
 قوة المجتمع المتكامل فالمؤمن
 للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
 بعضا ، والمسلم أخو المسلم لا
 يظلمه ولا يسلّمه ومن كان في
 حاجة أخيه كان الله في حاجته ،
 ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب
 الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب

الذين يظلمهم الله تحت ظله يوم
 لا ظل الا ظله (شاب نشأ في
 عبادة الله) البخارى ويبين
 للشباب أن الخطأ طبعى والمهم أن
 يتوب الشاب • والنبي الكريم
 يقول : (عجب ربك من شاب ليس
 له صبوة) • والمهم ألا يتمادى
 الشاب في أخطائه ولا يجاهر بها
 يقول الرسول عليه السلام :
 (كل أمتى معافى الا المجاهرين
 وان من المجانة أن يعمل الرجل عملاً
 بالليل فيصبح وقد ستره الله
 يكشف ستر الله عليه) البخارى ،
 والاسلام يزيل العقبات الداخلية
 حين يربى المسلم على صفاء
 القلوب يقول النبي عليه السلام
 لأنس (يابنى ان قدرت أن تصبح
 وتمسى وليس في قلبك بغض لأحد
 فافعل — ثم قال : يابنى وذلك من
 سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحبنى
 ومن أحبنى دخل الجنة) الترمذى ،
 وقال عليه السلام عن رجل من
 الانصار : انه من أهل الجنة • •
 وحين لاحظ عبد الله بن عمر أن
 الرجل لا يمتاز بشيء غير عادى
 وصارح الرجل بذلك فقال الرجل :

والاحترام — احترام الطفل لأبويه الذى هو أساس احترامه لنفسه .. وكل سلطة زمنية أو روحية فيما بعد — فيه يتعلم الطفل معنى الضبط وقيمه يتقبله طوعا من والديه فقد عرف أن فيه خيره وسعادته .. فى هذا البيت يخرج الطفل الى الحياة مزودا بطائفة من العواطف الحميدة تكون فى يده سلاحا للكفاح كما تكون أمانا من العلة النفسية فى مستقبل حياته — والشاب الذى ينشأ فى البيت المسلم ينشأ على صلة قوية بالله فيحس بأنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها فيكون فى مأمن من الأمراض النفسية لأن الايمان بالله خالق الانسان ومدبر الكون يجعل الانسان يحس بأن له سندا قويا فى هذه الحياة — والمؤمن متصل بالقرآن الذى أنزله الله ليكون شفاء ورحمة للمؤمنين — ذلك لأن الايمان نور يشرق فى القلب فتشرق به النفس — فيرى الانسان الطريق أمامه واضحا فلا يصيبه اضطراب ولا قلق — وعقيدة الاسلام حين تتغلغل فى

يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه بل ان الرسول الكريم يقول : (من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) مسلم ، وبهذا يزيل الاسلام العقبات أمام الشباب .

الناحية الانشائية فى الاسلام :
الاسلام عنى بالناحية الانشائية للشباب حتى يخرج الى الحياة سليم النفس قوى الجسم فقد عمل على تهيئة الجو الملائم انذى يتربى فيه بحيث يخرج الى الحياة مسلما قائما بواجبه نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه — وقد حدد الاسلام واجبات الوالدين فى معاملة الابناء من ناحية الرضاعة والعناية بالنواحي الجسمية والنفسية والعقلية — فالبيت الأمثل صلة روحية ورحمة ومودة بين ساكنيه — فيه تتبعث عواطف المحبة والتضحية والتعاون — وخير العواطف أمسها بحياة المجتمع وعواطف الصداقة

الله فاذا ما أصابهم ضر في المعركة فهذا أمر طبيعي - والضرر متبادل : (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) النساء / ١٠٤ ، وفي مسألة الموت والحياة يبين للمسلمين أن كل نفس ذائقة الموت وخاطب نبيه الكريم فقال : (انك ميت وانهم ميتون) الزمر / ٣٠ ، وعلى الانسان أن يمثّل لأمر الله وأن يصبر على ما أصابه واذا خاف من ضيق الرزق فאלله سبحانه وتعالى يطمئنه : (وفي السماء رزقكم وما توعدون) الذاريات / ٢٢ - فالمسلم يتطلع الى السماء والى الله الخالق ، أما الارض وما فيها من أسباب ظاهرية للرزق فلا يدعها تحول بينه وبين التطلع الى المصدر الأول الذى أنشأ هذه الأسباب - وليس معنى هذا اهمال الأرض - فالانسان مكلف بعمارتها - ولكن المقصود ألا يعلق نفسه بها ، وألا يغفل عن آله في عمارتها فهو يعمر في الأرض آخذا بأسباب السماء متطلعا اليها وهو مستيقن بأن

النفس تدفعها الى السلوك الايجابى السليم الذى يجعل المؤمن مطمئنا ثابتا (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ابراهيم / ٢٧ .

والاسلام يهيب نفس المسلم لتحمل صعوبات الحياة : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات) البقرة ١٥٥ وبمقدار صبر الانسان على ما يلقى بمقدار ثواب الله له : (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) الزمر / ١٠ .

وليس من المقبول مثلا أن يقول الانسان : انى مسلم ثم لا يتحمل شيئا في سبيل عقيدته : (احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ٣/٢ العنكبوت - وفي الممارك الاسلامية التى تقوم لتحقيق العدالة فى الارض يطلب من المسلمين أن يصبروا وأن يصابروا وأن يرابطوا فى سبيل

حال ان أصابته ضراء فصبر كان خيرا له وان أصابته سراء فشكر كان خيرا له - وقد يخاف من ضغوط الحياة عليه لسبب من الأسباب - والشباب المؤمن موصول القلب بالله وهذا يجعله أكثر تحملا والا فعليه أن يعيد النظر في قوة صلته بالله ولا يهمله الناس لأن الناس لا يملكون له نفعا ولا ضراوهم لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه الا بشيء قد كتبه الله له ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه الا بشيء قد كتبه الله عليه •

والاسلام يربى أبناءه على الامل والبعد عن اليأس ذلك لأن اليأس والايمان لا يجتمعان في قلب مؤمن والقرآن الكريم يقول :

(ولا تياسوا من روح الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون) - « يوسف ٨٧ » - ذلك لأن اليأس يؤدي الى انقباض الكرتزون في الدم والغضب يؤدي الى ارتفاع الادرالين والتروكسين في الدم •• واذا استسلم الانسان لدوافع الغضب واليأس أصبح

ما وعد الله تعالى لابد وأن يكون - وبذلك يعيش قلبه موصولا بالسماء وقدماه ثابتتان في الارض - والشباب اذا وصل الى هذه الدرجة فهو في الحالة التي أنشأه الله عليها قبل أن يتناولها الانحراف : (فطرة الله التي فطر الناس عليها) الروم / ٣٠ - وعلى الانسان ألا يتطلع الى ما في يد غيره أو الى أن يكتسب أشياء فوق قدراته المادية والجسمية واستعداداته الفطرية وبخاصة وأن ما في يد غيره قد يكون مقصودا به الفتنة وقد عافاه الله منها : (ولا تمدن عينيك الى ما متصا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) طه / ١٣١ •

والانسان قد يخاف من المرض والانسان اذا اصابه المرض بعد أن اعتنى بنفسه وبعد أن أصبح جسمه قويا ونفسه قوية فعليه أن يلتزم العلاج من مظاهره ثم ان الاسلام يرشده الى أن ما يصيب المسلم له ثواب عليه حتى الشوكة يشاكها - والمسلم بخير على كل

والقابلية حالة نفسية كما أنها حالة
جسمية •

وقد بدأ الأطباء يتجهون الى أن
مرض السل قد يكون سببيه
نفسيا — ومن الأشياء التي تلفت
النظر أن بعض الأمراض كالأكزيما
أمكن احداثها بواسطة الايحاء
أثناء التنويم المغناطيسي — كما
أن الحالة النفسية قد تكون سببا
فى الحمى والصداع والضغط
والسكر والروماتزم والسرطان •

ومن هنا فاننا نجد أن المؤمنين
الصادقين الذين سلمت نفوسهم
وصفت قلوبهم بأخلص الايمان
لم يتعرضوا مطلقا للأمراض
النفسية التي تجر وراءها الأمراض
البدنية — ذلك لأن هذه الأمراض
بنوعها لا تظهر الا مع ضعف
الايمان أو مع فقدانه حين تتسرب
الوساوس الى النفس فتتشأ العقد
وتكثر الحاجة الى الأدوية المنشطة
والمهدئة والمخدرة التي لا يعتدل
بها ما اعوج من النفوس —
وسيزل الصراع قائما فى زوايا
النفس التي ضعف ايمانها •

قريسة سهلة لقرحة المعد والسكر
وتقلص القولون وأمراض الغدد
الدرقية والذبحة ، وهى أمراض
لا علاج لها الا المحبة والتفائل
والتسامح لأنها فى حقيقتها أمراض
نفسية — ومن هنا ندرك أهمية
وصية النبى للمصاحبى الذى جاء
يطلب نصيحة بقوله : أوصنى
فقال له عليه السلام (لاتغضب)
وكررها ثلاثا — البخارى — كما
ندرك أهمية قوله صلى الله عليه
وسلم : (ليس الشديد بالصرعة
انما الشديد الذى يملك نفسه
عند الغضب) متفق عليه —
ومقاومة الأجسام للأمراض تكون
على أعلى مستوى من الكفاءة اذا
كان هناك انسجام بين كل الخلايا
والغدد والأعصاب وهى حالة ترتد
فى النهاية الى صورة من صور
الامتثال الكامل بين النفس
والجسد •• ولهذا يرى الأطباء
أن الانفلونزا تعود الانسان بكثرة
أسباب نفسية حقيقة انه لا بد من
وجود أسباب — ولكن لا بد من
وجود قابلية للعدوى أيضا —

مشكلات الشباب

وللشباب مشكلات تعوقه عن أداء رسالته في هذه الحياة وتأخذ من وقته وجهده ما يصرفه عن الطريق السليم ان لم تحل على أساس سليم — بل انه قد يكون عبثا على المجتمع الذى يعيش فيه وأداة من أدوات الهدم — كما نرى في المجتمعات الغربية في عصرنا الحاضر •

وبعض هذه المشكلات متجدد أى أنه كان موجودا في الأزمان الماضية وهو موجود في الزمن الحاضر وبعض هذه المشكلات نشر في العصر الحديث بعد ظهور الآلات التى قلبت موازين الأفكار — وبعد ظهور الفلسفات المختلفة التى غيرت من مفاهيم القيم والأفكار وسنتناول أولا المشكلات القديمة الجديدة أى المتجددة ثم نتناول المشكلات الحديثة لنرى حلولها على ضوء الاسلام •

المشكلات المتجددة

مشكلات الفريزة الجنسية :

الفريزة الجنسية من غرائز

الانسان المهمة التى أوجدها الله تعالى لحفظ النوع البشرى — لكن فرويد اشتط في أهميتها حين فسر السلوك البشرى كله على أساسها فنزل بالانسان الى مستوى الحيوان وجعل الدوافع كلها مصدرها الجنس حتى العبادة — وقد رتب على هذا دمار الانسان اذا لم يشبع هذه الغريزة — مع أن سلوك الانسان الجنسى يختلف عن سلوك الحيوان ذلك لأن الانسان فيه عقل وروح ونفس ثم هو يقوم بضروراته الجنسية على طريقة الانسان لا على طريقة الحيوان — وفرويد كان يهوديا واقعا تحت تأثير البيئة التى كانت تسود فيها بعض المفاهيم الدينية المنحرفة التى كانت تعيشها أوروبا والتى كانت تدعو الى كراهية العلاقات بين الرجل والمرأة وتحث على الرهبة — ومع أن تلاميذه أثبتوا أن هذا الرأى غير صحيح وأثبتوا أن عدم الاشباع لا يؤدي الى الدمار — بل وليس هناك ضرر جسمى أو عقلى ينتج عن الامتناع عن

الأديرة فشلت في أداء رسالتها لأنها معادية للطبيعة البشرية •

الغريزة الجنسية في الاسلام :

يقف الاسلام وسطا بين هذين الفكرين فهو يعترف بالغريزة الجنسية وأهميتها ولكنه يضعها في اطارها الصحيح فهو لا يرى رأى فرويد في سيطرتها التي لا تدفع — ولا يرى رأى من يكتبها عن طريق الرهينة — لكنه ينظمها ويضبطها ، ويرى أنها من مميزات الجنس البشرى فهي سبب بقاءه وسبب انجاب الذرية التي تحقق رسالة الانسان في هذه الحياة •

وقد أزال الاسلام بذلك الفكر المعادى للزواج الذى ساد العالم المسيحى وحرّم الرهبانية وقالها نبي الاسلام صريحة : (النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى) — البخارى •

ووصل المتعة بالدين بهدف بقاء الجنس البشرى وأداء رسالته في هذه الحياة يجعل التناقض غير موجود في ضمير الشباب المؤمن بين قوانين الحياة التي يمارسها — وبين تعاليم الدين التي يجب

الجنس — ومع أنهم بذلك أعادوا الكرامة الى الجنس البشرى الا أن آراء فرويد تعلققتها أيدي التجار وساعدهم على ذلك أجهزة الاعلام فعملوا على نشر آراء فرويد من الناحية النظرية وأوجدوا كل الأساليب لتطبيقها من الناحية العملية حتى شملت آثارها الكبير والصغير في المجتمعات الغربية وسار على نهجها الى حد كبير أو صغير في البلاد الاسلامية — واكتوى الجميع بنارها •• ولا يزالون يكتوون — لأن آراء فرويد — وان ثبت فشلها من الناحية النظرية وخطرها من الناحية العملية — الا أن التجار وأجهزة الاعلام ما زالت تسير في الطريق الذى يثير الغرائز ويذهبها وبذلك فان المشكلة مستمرة وآثارها مدمرة وقد طغت هذه الناحية في العصر الحديث على الفكر المسيحى المعادى للزواج ، والذى يرى أن الغريزة الجنسية ينبغى أن تكبت فاتجه الى الرهبانية يدعو لها ويشجع عليها ويفتح الأديرة ويضع لها أنظمتها — وعلى مدى التاريخ الطويل الذى انتشرت فيه

احترامها - والجنس طاقته البشرية طبيعية تحتاج الى اشباع - ولكن الاستغراق الذي يجاوز حدود المعقول هو الأمر المستكبر في الاسلام لأنه يضخم أحد جوانب الانسان على بقية الجوانب الأخرى •

والأعضاء التناسلية ليست مقززة في التربية الاسلامية - فالطفل يعود الطهارة من صغره لاتصاله بالصلاة - وفي كتب الفقه تفصيلات كثيرة يدرسها الاطفال والشباب ليتطهروا ويستعدوا للصلاة التي هي أهم ركن في الاسلام •

والاسلام لا يثير الغريزة ، بل يمنع الاثارة في أية صورة من الصور وذلك منذ الصغر ، فهو يوصى بالآلا تترك الفرصة للصغار للاطلاع على الموروثات ، قال تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن

بعد صلاة العشاء) النور / ٥٨ - فهذا أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية ظانين أن الصغار لا تمتد أعينهم - قبل البلوغ الى هذه المناظر بينما يقرر النفسيون أن المشاهد التي تقع عليها أعين الاطفال هي التي تؤثر في حياتهم المقبلة - والله سبحانه وتعالى يؤدب المؤمنين بهذه الآداب وهو يريد أن يبنى أمة سليمة الاعصاب طاهرة القلوب نظيفة التصورات •

ثم ان الاسلام - لذلك - لا يبيح الاختلاط المثير ولا يبيح الخلوة ولا يبيح الملابس المثيرة لما لها من خطورة فهو يمنع ابداء الزينة الا للزوج والمحارم : (ولا يبيدين زينتهن الا ما ظهر منها) ثم يقول : (ولا يبيدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناءه لبعولتهن أو أبناءهن أو أبناءه لبعولتهن) الآية / ٣١ النور - وينهى المؤمنات عن الحركات التي تعلن الزينة المستترة وتهيج الشهوات الكامنة وتوقظ المشاعر

أعمق ما يؤثر في النفوس — ومن هنا فقد حرم الاسلام الزواج بين المسلم والمشرقة لأنهما لا يجتمعان على عقيدة واحدة — والله سبحانه وتعالى يريد ألا تكون هذه الصلة ميلا حيوانيا — بل يرفعها حتى يصلها بالله تعالى ويربط بينها وبين مشيئته في نمو الحياة ، ورضى بزواج المسلم من الكتابية لأنها تؤمن بأصل العقيدة وقد تهتدى الى الدين الحق •

والزواج يعصم الانسان الى حد كبير لانه أغض للبصر وأحصن للفرج — بل ان في اشباع الغريزة عن طريق الزواج أجر كما قال عليه السلام : (وفي بضع أحدكم صدقة فقالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر ؟ فقال عليه السلام أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر فكذلك اذا وضعها في حلال كان له أجر) مسلم •

والاسلام لا يعتبر الحديث عن الغريزة عارا • لأنه يصلها بأهداف علوية وهو لذلك يتحدث عنها في

المهادنة : (ولا يضرين بأرجلهن ليطم ما يخفين من زينتهن) النور / ٣١ ، ومن ذلك الاثارة عن طريق أجهزة الدعاية والاعلام ومن واجب المسلمين أن يطلبوا منع هذا •• ومن واجب ولي الأمر أن يمنع فهو مسئول أمام الله وأمام الناس — والمسلم مطلوب منه أن يتعفف حتى عن النظر الى المرأة فليس له الا النظرة الاولى العفوية أما الثانية فهي عليه •

والاسلام بذلك يريد بذلك حماية المسلم من الأخطار النفسية التي يتعرض لها نتيجة لما يحدث في المجتمعات التي تظهر زينة المرأة فتثير الشهوات وتحدث الصراعات داخل النفس وتكون سببا من أسباب الكوارث عليها •

أ - الزواج :

والزواج هو الطريق الطبيعي لاستجابة الغريزة — وذلك يتم في ظل الرعاية الالهية وقد جعله الله تعالى للبشرية ليكون سكنية وآلفة ومودة — وبالزواج تتوحد القلوب تحت ظل العقيدة وهي

ب - الصيام :

فاذا لم يستطع الشاب الزواج لسبب من الأسباب فعليه أن يلجأ الى الصوم فانه له وقاية والرسول الكريم يقول في ذلك : (من استطاع منكم الباءة - تكاليف الزواج - فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء - وقاء) البخارى ، فالصيام وسيلة ضبط قوية فعالة ذلك لأن الانسان يمتنع مختاراً عن كثير من لذائذ الحياة المباحة ويحقق كيانه بذلك .

ج - ضبط الغريزة :

والاسلام يضبط الغريزة ويوجهها - والضبط يأتي أولاً من ربط القلب البشرى بالله ومراقبته في كل عمل ومن ربط المسلم باليوم الآخر - فالانسان يتلهف على لذائذ الحياة حين يحس بأن فرصته في الدنيا هي الفرصة الوحيدة فهو ينتهزها قبل أن تفوت - لكن المسلم يؤمن بأن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير لمن اتقى ..

القرآن مبينا كثيرا من الجوانب التي يحتاج اليها الانسان في بيان الأحكام فهو يتحدث عن حل المعاشرة الزوجية ليلة الصيام : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) البقرة / ١٨٧ ، وحرمتها لمن نوى الاعتكاف ولذلك فانه يقول في نفس الآية : (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) ، وحرم اتصال المسلم بزوجته أثناء الحيض : (يسألونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) ، ثم يقول : (فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم

الله) ومعنى ذلك الاتيان من منبت الاخصاب دون سواء - فليس الهدف هو حصول اللذة - انما هو امتداد الحياة ابتغاء رضوان الله ، ولذلك فانه يقول في نهاية الآية : (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) البقرة / ٢٢٢ ، يتحدث عن ذلك أثناء الحديث عن أحكام الزواج والطلاق والمعدة ويرفع هذه العلاقة عن أن تكون مجرد متعة جسد .

الدينى ويمزج بينها فى لحظة واحدة وحركة واحدة واتجاه واحد ذلك المزج القائم فى كيان الانسان وأنه خليفة الله فى أرضه المستحق لهذه الخلافة بما ركب فى طبيعته من قوى وبما أودع فى كيانه من طاقات •

والاسلام مع هذا يستنفد طاقات الانسان النفسية فى اتجاهات عليا لا تلجأ الى المتاع الحسى وحده — كما يستنفد هذه الطاقات فى اتجاهات عليا بقصد تحويل الفائض منها عن أن يستغرق فى متاع الحس فهو لذلك حث — عن طريق الاعلاء — على الفروسية لأنها رياضة ترفع النفس عن محيط الحس وتوجه الطاقة الى منصرف نبيل — وهو يقيم نظام المجتمع كله بصورة لا تحصر الدوافع الفطرية ولكنها تمنع الاسراف فى كل شئ والله لا يحب المرفين •

من هنا فإن الشاب المسلم لا تظهر عنده العقد النفسية لأنه لا يوضع بين ضغطين متعارضين

والاسلام يعرض الى جانب اللذة الجنسية ألوانا من لذائذ الحس والنفس ينالها من يحاولون ضبط أنفسهم فى هذه الحياة عن الاستغراق فى لذائذها المحببة لتبقى لهم انسانيتهم الرفيعة ومن هنا فان القرآن الكريم يجمع فى آية واحدة أحب شهوات الأرض الى نفس الانسان : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث) آل عمران / ١٤ ثم يبين للناس أن هذا كله متاع الحياة الدنيا ، ولكن هناك لذائذ أخرى وهى ما ذكرت فى الآية الأخرى : (قل أوئيبكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) آل عمران / ١٥ — كما ان لهفة الانسان على المتعة الجنسية تضبط حين يعرف المرء فى هذه المتعة وسائل لانتشار النوع ويربط بين نزوة الجسد العارضة وغايات الانسانية الدائمة ورفرفة الوجدان

الرضا العاطفى ، وبذلك يختلف الانسان عن أفكاره لأن الواقع يصدماها ، ولذلك فلا بد وأن يعرف المجتمع الانسانى صاحب الثقافة الغربية حقائق الحياة جيدا وأن يقنع الانسان بأن يتعامل مع الحب كعاطفة انسانية لا كشيء مدمر فتاك يطلب الولاء والتقديس ، ولا بد من منع وسائل الدعاية من نشر المفاهيم الخطيرة حول هذا الموضوع حتى نحفظ الشباب من الدمار الذى ينتظره •

الحب :

والاسلام يبدأ فى علاج هذه المشكلة مع الشباب بإيجاد الصلة القوية بالله فهو نعم المعين لعبده فى كل وقت وقد فتح الباب أمام الجميع : (واذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) البقرة ١٨٦ — وهو يناقش المشكلة مناقشة هادئة حتى يصل الى الاقتناع الى قلب الشاب فيساعده بذلك على التغلب على مشكلته — جاء شاب الى النبى صلوات الله عليه وطلب منه أن يصرح له بالزنا لأنه تمكن منه فلا يستطيع التخلّى عنه — وبدأ

ضغط من ضميره الذى كونه من الدين وانعرف لا يجوز وجودها — وان وجدت أخمدت ، وضغط غريزته عندئذ تتكون العقدة النفسية — أما الاسلام فقد ضمن سلامة الانسان من هذا الصراع بين شطرى النفس البشرية من نوازع الشهوة واللذة ، وحب الارتفاع والتسامى ولكل نشاطه المستمر فى حدود التوسط والاعتدال •

ويأخذ الحب كثيرا من التفكير والوقت فى العصر الحديث ، وما أكثر مشكلاته وما أكثر الأمراض النفسية التى تتجم عنه ، ولعل أغرب تجارة كسب منها التجار أُلوف الملايين هى تجارة الحب وصناعة السينما ونحوها ، ولقد ساعد ذلك على افساد عواطف الشباب فى هذا الجيل الذى ولد بعد الحرب وقالوا له : ان الحب جميل وساحر ، وأصبحت كلمة الحب صورة خيالية لا يستطيع الانسان أن يصل اليها فيعجز الشاب عن ممارسة الحب وعن

أنه رفض الفاحشة في اصرار رائع
قائلا : (انه ربى أحسن مثواى انه
لا يفلح الظالمون) يوسف / ٢٣ •

والتاريخ الاسلامى يحدثنا أن
الشباب المسلم عبد الله الذى لقب
بالقس لكثرة عبادته وورعه أحب
سلامة المغنية حبا ملك عليه فؤاده
وجعل الناس يطلقون عليها : سلامة
القس — وقد استعملت معه كل
وسائل الاغراء فلم تفلح في جذبته
الى ما تريد وأخيرا صرحت له بما
تريد وقالت له : انى أحبك فقال :
وأنا والله الذى لا اله الا هو —
فقلت وأنتهى أن أضع فمى على
فمك فقال : وأنا والله الذى لا اله
الا هو قالت : فما يمنعك فوالله
ان المكان لخال فقال يمنعنى قوله
تعالى : (الأخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين) الزخرف
٦٧ / — ثم خرج ولم يعد اليها
بعد ذلك أبدا •

على القاضى

النبي عليه السلام يناقشه في هذه
المسألة قائلا له : أترضاه لأمك ؟
قال الشاب : لا قال النبي الكريم :
وكذلك الناس لا يرضونه
لأمهاتهم ثم قال له : هل ترضاه
لأختك ؟ قال الشاب : لا قال النبي
الكريم : وكذلك الناس لا يرضونه
لأخواتهم ثم قال النبي الكريم :
هل ترضاه لابنتك ؟ قال الشاب :
لا قال النبي الكريم وكذلك الناس
لا يرضونه لبناتهم ، فاقتنع الشاب
بهذا المنطق وطلب من النبي الكريم
أن يدعو له بعد أن عزم في نفسه على
الاقلاع عنه فدعا له النبي عليه
السلام ومسح على قلبه وشفى
الشباب من هذه المشكلة — رواه
أحمد •

وتذكر الانسان لله تعالى في
أشد الأوقات يحميه من الوقوع في
الخطأ ، وهذا ما حدث مع النبي
يوسف عليه السلام — فمع أنه
كان غلاما في بيت وزير يعيش في
مظاهر النعمة ، ومع أن التى
راودته عن نفسها هي سيدته الا

دراسات قرآنية : في ملكوت السموات والأرض

للاستاذ على عبد العظيم

أولا :

الحسان « والسيوطي في تفسيره » الدر المنثور « وجنح بعضهم في تفسيره بالرأى كما فعل الفخر الرازي في « مفاتيح الغيب » والبيضاوي في « أنوار التنزيل » والآلوسي في « روح المعاني » وجنح بعضهم الى التفسير البلاغي مثل الزمخشري في « الكشاف » أو التفسير النحوي مثل ابن حيّان في « البحر المحيط » أو التفسير الفقهي مثل القرطبي في « الجامع لأحكام القرآن » أو التفسير الصوفي كالسلمي في « حقائق التفسير » وأخيرا ظهرت أنواع من التفسير العلمي للقرآن بذل أصحابها جهودا جبارة في جمع الاشارات العلمية في القرآن

لهج المسلمون بالقرآن الكريم منذ نزوله تلاوة وحفظا وتدبرا ، وعملا بما فيه من توجيهات رشيدة، وتفرغ كبار العلماء قديما وحديثا لتفسير القرآن الكريم ليتيحوا للمسلمين فهمه وفقهه والعمل بما فيه ، امتثالا لقوله تعالى : « أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » ٦٨ المؤمنون وقوله سبحانه « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » محمد ٢٤ •

وتنوعت مصنفات العلماء في التفسير تنوعا فمنهم من جنح الى التفسير بالمأثور كما فعل الطبري في تفسيره « جامع البيان » والثعالبي في تفسيره « الجواهر

تأويلا يصرفها عن معانيها الحقيقية وليها ليا عنيفا لتطابق ما اهتدى اليه العلم الحديث من كشف عملية وقد تزعم هذا التيار المرحوم أمين الخولى وتزعمه من بعده زوجته الدكتورة / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) •

والحقيقة أن كلا الطرفين مبالغ فيما ذهب اليه :

فأما الجانحون للتفسير العلمى • فاننا نقول لهم أن الكشف العلمية تتغير من جيل الى جيل فان العلم ينقض اليوم ما أبرمه بالأمس ، وينقض غدا ما أبرمه اليوم ، والقرآن الكريم ثابت لا يتغير لأنه : « لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ومن الخطأ أن نخضع القرآن الكريم للمعارف البشرية التى تتغير وتتبدل من جيل الى جيل وحسبنا أن نقرر أن نظرية النسبية للعلامة « آينشتاين » جاءت حديثا فغيرت مفاهيمنا عن الكون وغيرت كثيرا من الآراء العلمية التى كنا نؤمن بها كل الايمان •

ولهذا يلاحظ على الشيخ

الكريم والتوفيق بينها وبين ما كشف عنه العلم الحديث لانه لا تناقض بين العلم والدين ولا يبراز اعجاز القرآن الكريم فيما أشار اليه من حقائق علمية لم يكشفها العلماء الا فى العصر الحديث ، وذلك مثل تفسير « الجواهر الحسان » للشيخ طنطاى جوهرى ومثل « التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن » للأستاذ حنفى أحمد ، ومثل « الاسلام فى عصر العلم » للدكتور محمد أحمد الغمراوى ، هذا الى ما يكتبه بعض الباحثين المعاصرين من أبحاث ومقالات أو ما يصدرونه من مصنفات •

وقد ظهر الى جانب التفسير العلمى للقرآن الكريم تيار مضاد له ينكر وجود اشارات علمية فى القرآن الكريم ويقرر أنه كتاب دين لا كتاب فلك أو طبيعة أو طب ••• ويدعو الى فهم القرآن الكريم فهما مطلقا لمدلول كلماته كما فهمه العرب فى صدر الاسلام ويشفق من اندفاع العلماء فى تأويل آيات القرآن الكريم

المؤمنون « أن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » ١٦٤ البقرة •

كما وردت في القرآن الكريم عبارات الدعوة الى التدبر والتفكر والنظر في ملكوت السموات والأرض والاشارة الى العقول والالباب والافئدة مئات المرات ، وما من كتاب سماوى أشار مئات المرات الى العقل أو التدبر أو التأمل أو النظر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ كما أشار القرآن الكريم • وقد وعدنا الله سبحانه وتعالى بأنه سيرينا من آياته العلمية مايردنا الى الايمان به ، قال سبحانه : « وقل الحمد لله سريكم آياته فتعرفونها » ٩٣ النمل وقال عز من قائل : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم

ظنطاوى جوهري — رحمه الله — أنه أخذ ببعض الآراء العلمية في تفسيره ولكنها تغيرت الآن وتحولت من النقيض الى النقيض وهنا مكنم الخطر في التفسير العلمى للقرآن •

أما الفريق الثانى فهو مخطئ كل الخطأ فى انكار ما ورد فى القرآن الكريم من اشارات علمية لأن القرآن الكريم حافل بالاشارات العلمية التى تدل على عظمة الله وعلى قدرته وابداعه — وسنتناولها بالتفصيل فيما بعد — كما أنه حافل بدعوتنا الى استعمال العقل والى التدبر فى ملكوت السموات والأرض ، أما الدعوة الى استعمال العقل فقد حثنا القرآن الكريم على استعمال عقولنا فى نحو خمسين آية مثل قوله تعالى « ويرىكم آياته لعلكم تعقلون » ٧٣ البقرة : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » ٢٤٢ البقرة « قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون » ١١٨ آل عمران « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » ٢ يوسف « وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون » ٨٠

الله وكلماته البينات وآياته
الخالدات قال تعالى : « ولو أنما
فى الأرض من شجرة أقلام
والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر
مانفدت كلمات الله » ٠ ٢٧ لقمان
وقال سبحانه : « قل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل
أن تنفد كلمات ربي ، ولو جئنا
بمثله مددا » ٠ ١٠٩ الكهف

والمسلمون مطالبون بالتدبر فى
آيات الله المتلوة ليفوزوا برحمة
الله « وإذا قرىء القرآن
فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم
ترحمون » ٠ ٢٠٤ الاعراف ومن
علامات الايمان أن تلتن جلودهم
وقلوبهم لذكر الله قال تعالى :
« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلّت قلوبهم واذا تلّيت عليهم
آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم
يتوكلون » ٠ ٢ الانفال

كما أن المسلمين مطالبون بالتأمل
فى آيات الله الكونية وقد عاب الله
على الغافلين أنهم يمرون بآياته
الكونية دون تدبر أو تفكر قال
تعالى « وكأين من آية فى السموات
والأرض يمرون عليها وهم عنها

أنه الحق » من آية ٥٣ فصلت •
والقرآن الكريم يلفت أنظارنا
الى آيات الله المتلوة فى كتابه
الكريم فيقول : « كتاب أنزلناه
اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر
أولوا الألباب » ٢٩ ص كما يلفت
أنظارنا الى آياته الكريمة المنبثة
فى أرجاء الأرض والسموات
« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم
كيف بنيناها وزيناها ومالها من
فروج ، والأرض مددناها وألقينا
فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل
زوج ~~نبت~~ زوج « ٦ ، ٧ ق ،
« أفلا ينظرون الى الأبل كيف
خلقت ، والى السماء كيف رفعت
والى الجبال كيف نصبت ، والى
الأرض كيف سطحت » فالقرآن
كلمات الله المتلوة والكون كلمات
الله المجلوة فلو كان القرآن عوالم
حسية لكان هو الكون العجيب
« ولو أن قرآنا سرت به الجبال
أو قطعت به الأرض أو كلم به
الموتى » ٣١ الرعد أى لكان هو هذا
الكتاب المنزل الحكيم •

ولو كان الكون كتابا متلوا لكان
هو القرآن الكريم فكلهما كتاب

معرضون « ١٠٥٠ يوسف وقال سبحانه : « **أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء** » ١٨٥٠ الاعراف والقرآن الكريم معجزة تقاصرت أعناق البلغاء عن أن يأتوا بسورة من مثله كما عجزت عقول الجن والانس جميعاً عن أن تأتي بمثله « **ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** »

٨٨ الاسراء •

كما أن آيات الله الكونية معجزة أيضاً فان الجن والانس عاجزان عن تكوين خلية حية واحدة من خلايا الذبابة « **ان الذين تدعون من دون الله ان يخلقوا نبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه** » من ٧٣ الحج • « **قباى حديث بعد الله وآياته يؤمنون** » من ٦ الجاثية •

أما زعمهم أن القرآن نزل ليفهمه العرب في الصدر الأول من الاسلام وأن علينا أن نحذو حذوهم فيما فهموه من آياته البيّنات بحسب مدلولات ألفاظه المفهومة لديهم لأنهم عرب أدري

بلغتهم وأقدر على فهم معاني كلماتها منا فهو رأى بعيد كل البعد عن الصواب ، لأن القرآن الكريم لم ينزل لعصر واحد ، ولا لجيل واحد ، ولا الأمة واحدة وإنما نزل للبشرية جمعاء وهو يخاطب العقول في كل زمان ومكان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها من كائنات •

والقرآن الكريم يخاطب العقول على اختلاف المواهب والثقافة والتدبر والتفكر وكل عقل يأخذ منه ما يطيقه وما ينتفع به ، فاذا عجزت بعض العقول عن ادراك بعض معاني آياته وجب عليها أن تستعين بكبار العلماء الباحثين فان الله تبارك وتعالى يقول : « **فاسألوا أهل النكر ان كنتم لا تعلمون** » من ٤٣ آية النحل ويقول سبحانه : « **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون** » ٣٤ العنكبوت ، ويقول عز من قائل : « **وما ينكر الا أولوا الالباب** » ٧ آل عمران وكم استتبط العلماء والفقهاء والباحثون من آيات القرآن الكريم

معانى وأحكاما لم يعرفها
السابقون •

ثانيا :

ان الدارس لأساليب القرآن
الكريم يلاحظ أنه يتحدث عن
الحدود أو الأحكام فانه يذكر
أصولها فى تحديد دقيق ويترك
التفصيلات الفرعية للحديث
الشريف وذلك مثل الآيات الكريمة
التي تناولت القصاص والمواريث
وما حرمه الله من الطعام •

وكثيرا ما ينبهنا الله الى مراعاة
حدوده ويحذرننا من تجاوزها مثل
قوله تعالى : « ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا
خالدا فيها » ١٤ النساء وقوله
سبحانه « ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون » من الآية
٢٤٩ البقرة وقوله عز وجل « وتلك
حدود الله يبينها لقوم يعلمون »
من الآية ٢٣٠ البقرة وقوله
تباركت آلاؤه « ومن يتعد حدود
الله فقد ظلم نفسه » من الآية
الاولى سورة الطلاق •

ولكن القرآن الكريم حينما
يتناول القضايا الاجتماعية
أو المشكلات الفلسفية أو الدراسات

فالقرآن الكريم — كما قال فيه
الرسول — صلى الله عليه وسلم —
« حبل الله المتين ، وهو الذكر
الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ،
وهو الذى لا تزيج به الأهواء ،
ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع
منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة
الرد ولا تنقض عجائبه » والدارس
للقرآن الكريم يأخذ منه بمقدار
موهبته الفكرية وإيمانه القوى
وثقافته العلمية ومعارفه العديدة
وتفكيره العميق وكلما نما العقل
البشرى واتسعت مداركه وتنوعت
ثقافته وتعددت تجاربه وغزرت
معارفه أدرك من معانى القرآن
الكريم ما لم يدركه سواه ، وقد
يدرك بالتأمل العميق ما لم يكن
يدركه من قبل •

وسنوضح هذا بالأدلة العقلية
والشواهد المنطقية والأمثلة
الواقعية فى الفصل التالى ان شاء
الله •

موضع آخر « أفرايتم ما تحرثون
أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون »
٦٣ ، ٦٤ الواقعة على أساس أن
أن (ما) حرف نفى •

ولكن الآية تعطينا معنى آخر
الى جانب المعنى الأول ، وهو أن
الله خلق الثمرات لناكل منها
طازجة ولناكل مما صنعتها أيدينا من
هذه الثمرات بالطهي أو العصير
أو التمليح أو التسكير أو التجفيف
أو التقديد ... أى لناكل منها
طازجة ومما صنعتها أيدينا منها
بالوسائل الصناعية على أساس أن
(ما) هنا موصولة • والمعنيان
كلاهما صحيح وان كان ظاهرهما
يشعر أنهما متضادان ولكن النظر
الدقيق يمنع التضاد فكلا المعنيين
صحيح ومقصود •

وشبيه بهذا قوله تعالى : « وقد
مكروا مكروهم وعند الله مكروهم
وان كان مكروهم لتزول منه الجبال »
فان الآية الكريمة تعطينا معنى أن
مكروهم عظيم وأن كيدهم متين حتى
تكاد تزول منه الجبال وتكون
(إن) هنا مخففة من (ان المشددة)
وهي اذا تأكيد وقد وصف الله

العلمية فانه يصوغها في عبارات
تسع أفكارا عديدة يأخذ منها كل
باحث ما يناسب ثقافته ودراساته
ومواهبه وما يتفق مع ما وصلت
اليه المعارف البشرية من تقدم
وازدهار •

وهنا يعطينا القرآن الكريم أكثر
من معنى في العبارة الواحدة وهذا
لون من ألوان الاعجاز القرآني لم
يوله الباحثون ما يستحقه من عناية
واهتمام ، بل اننا نجد أحيانا
عبارة واحدة تعطينا معنى خاصا
وفي الوقت نفسه تعطينا ما يبدو
مضادا لهذا المعنى وذلك مثل قوله
تعالى : « وآية لهم الأرض الميتة
أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه
يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من
نخيل وأعناب وفجرنا فيها من
العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته
أيديهم أفلا يشكرون » ٣٣ - ٣٥
يس « فان الآية الأخيرة تعطينا
معنى أن الله سبحانه خلق لنا الثمر
لناكل منه ونبهدنا الى أنه من صنع
الله لا من صنع البشر فما عملته
أيدينا بل الله سبحانه هو الذي
خلقه ويسره كما قال سبحانه في

يرسل الرياح حاملة المطر الذى يلمس الأرض فتتهتز وتؤتى أطيب الثمرات كما يلمس الذكر الأنثى بمائه فتجب ويزكى هذا المعنى قوله سبحانه بعد هذا « فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه » من الآية ٢٢ الحجر ، ويذكر الزمخشري أن الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحب ماطر كما قيل للتي لا تأتى ريح عقيم •

وهناك معنى آخر هو أن تحمل حبوب التلقيح من النبات الذكر الى أعضاء التأنيث فى النبات الأنثى وهنا يتم الاخصاب وقد تحمل الريح الحشرات وتتيح لها الانتقال حاملة حبوب التلقيح من نبات ذكر الى نبات أنثى وهناك معنى ثالث هو أن الرياح تمد التربة الارضية ببعض من عناصر الهواء لتزيد خصوبة الأرض وتجعلها صالحة للانتاج ونحن نستمد الآن عنصر الآزوت من الهواء بطريقة صناعية كيميائية لنمزجه بالتربة الارضية فيزيدها خصبا على خصب وتجعلها صالحة للثمار • ومن الأمثلة القرآنية

الانسان المنحرف بأنه كان ظلوما جهولا » وأنه « لربه لكنود » ولكن الآية اذا نظرنا لمعناها من حيث نتيجة الكيد فانها تعطينا معنى مخالفا للمعنى الأول وهو : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال والمعنى أنهم مهما بلغوا فى الكيد والمكر فان نتيجة مكرهم فاشلة وغاية كيدهم خاسرة « انه لا يفلح الظالمون » • من الآية ٢٣ يوسف

وكلا المعنيين صحيح ولا تعارض بينهما فالمعنى الأول يؤكد أنهم يلحون ويلجون فى الكيد والمكر لجاجا شديدا والمعنى الثانى أن نتيجة مكرهم وكيدهم فاشلة وان بالغوا فى التدبير والتصميم •

وهناك آيات عديدة تعطينا معانى عديدة يظهر بعضها فى زمن ويظهر باقىها فى أزمان متوالية تبعا لازدياد فنون الثقافة والكشوف العلمية بعض ومن الخير أن نعطى بعض الأمثلة التوضيحية فى هذا المقام مثل قوله تعالى « وأرسلنا الرياح لواقح » من الآية ٢٢ الحجر فاننا نستطيع أن نفهم من العبارة القرآنية أن الله

وكما قال تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » ١٨ ق .
ثالثا : ان على كل منا رقيباً يحفظه من أن يدمر الآخرين أو أن يعيث في الأرض فسادا الا حين يشاء الله أن يجعل بعض الناس فتنة للبعض الآخر كما قال تعالى :
« وجعلنا بعضهم لبعض فتنة »
 من الآية ٢٠ (الفرقان) والانسان لا يملك أن يفعل الا ما أَرادَه الله سبحانه لأن الله سبحانه يصده عن فعل ما لا يريد **« وما تشاءون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما »** .

ومن المعانى الحديثة :
أولا : أن الله أودع في دم الانسان ما يسميه الأطباء (كرات الدم البيضاء) وكل مليمتر مكعب من الدم يضم ثمانية آلاف كرة بيضاء . مهمتها الدفاع عن الجسم اذا تسللت اليه جراثيم الأمراض فاذا اقتحمت الميكروبات الجسم البشرى صدرت اشارة من المخ الى فصيلة من فصائل كرات الدم البيضاء بملاقاة العدو والالتحام به للقضاء عليه ، وقد فطن الأطباء الى هذه الخاصية فاذا انتشر وباء

التوضيحية قوله تعالى : « ان كل نفس لا عليها حافظ » ٤ الطارق .
 فانها تعطينا معانى عديدة بعضها قديم وبعضها عرفناه أخيرا عن طريق الكشف العلمية الحديثة فمن المعانى القديمة :
أولا : أن الله سبحانه يحفظنا من كثير من الأخطار المحدقة بنا لأنه سبحانه **« خير حافظا وهو أرحم الراحمين »** ٦٤ يوسف .
 وهذا ما لاحظته الشاعر العربى القديم حيث يقول :
 لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقى

اذا هو لم يجعل له الله واقيا
 ولاحظ شاعر آخر أن الله يحفظنا من أخطار نعرفها فيلهمنا تجنبها كما يحفظنا دون أن ندري من أخطار لا ندركها فقال :
 نرى الشئ مما يتقى فنهابه

وما لانرى مما يقى الله أعظم
ثانيا : أن الله سخر بعض ملائكته لتسجل علينا أقوالنا وأفعالنا ليجازينا عنها بما نستحقه من جزاء كما قال سبحانه **« وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون »** ١٠ - ١٤ الانفطار .

الأجسام الدخيلة ، والخط الثالث هو الخياشيم التى تتقى الهواء تنقية تامة وتدفعه حتى تكون حرارته مناسبة لحرارة الجسم حتى لا يصاب المستنشق بنزلة شعبية أو التهاب رئوى حاد .
وهكذا جميع أعضاء الجسم كل منها مزود بجهاز حافظ وواق من الأخطار .

ثالثا : أما علماء النفس فيفهمون الآية الكريمة فهما جديدا فكل جسم بشرى أمدده الله بحافظ ينبهه الى ما يصيبه ويحميه من ارتكاب الآثام التى تدمره تدميرا ويطلقون على هذا الحافظ اسم « الرقيب » ويمكن أن نسميه بالضمير الذى ينبه صاحبه الى اجتتاب ما يخالف القانون أو الأخلاق الكريمة أو الشرائع السماوية وقد يقع الانسان فى خطأ ما فينبهه ضميره الى المبادرة باصلاح ما أخطأ فيه .
على أن خير ما نسمى به هذا الحافظ هو التسمية القرآنية « النفس اللوامة » التى تلوم صاحبها اذا قصر أو أهمل أو أخطأ فترده الى الصواب . فليستمع الى

مثل الكوليرا أو الجدرى بادر الأطباء بتطعيم الأصحاء بجراثيم ضعيفة من هذا الوباء لتتدرب كرات الدم البيضاء على ملاقاته هذا العدو تدريبا كافيا حتى اذا تعرض الجسم للعدوى بعد ذلك كانت لديها حصانة كافية وقدرة تامة على ابادته هذه الجراثيم .

والقوانين الدولية تحتم على المسافرين من دولة الى أخرى أن يحصنوا أنفسهم بالتطعيم ضد الأمراض المنتشرة .

أليست كرات الدم البيضاء جيشا معدا لحفظ الجسم من جراثيم الأمراض الفتاكة « ان كل نفس لا عليها حافظ » (الطارق) .

ثانيا : ويرى الأطباء تفسيراً جديداً آخر للآية فان الجراثيم اذا تسللت الى الجسم البشرى عن طريق الأنف مثلا وجدت ثلاثة خطوط دفاعية حافظه للجسم ، الأول منها شعرات الأنف الموجودة فى داخله فهى تعمل على تنقية الهواء من هذه الجراثيم وأمثالها ، والخط الثانى عدد المخاط فانها تفرز افرازات عديدة تطرد هذه

ومقصودة ولو ذكر القرآن الكريم كل معنى على حدة في آية مستقلة لتضاعف حجمه أضعافا مضاعفة ولباغت بعض الأجيال بما لا تستطيع فهمه قبل أن تتضح ثقافتها العلمية .

صوت نفسه اللوامه وليستجب لها ليعود الى فطرته الطبيعية النقية التي فطر الله عليها الناس، والى هذا يشير الحديث الشريف « استقت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك » .

ان الله هدى الانسان لاختراع انصاروخ صاحب الرؤوس المتعددة التي تنطلق منه فيصيب كل منها هدفا مستقلا مقصودا .

رابعا: يرى علماء الأحياء رأيا آخر وهو أن الله زود كل كائن حي بما يحفظه ويحميه في ميادين الصراع القائمة بين الأحياء ، فقد زود الله الانسان بالعقل ليحميه من فتك الحيوانات المفترسة به كما زود السلحفاة بالدرع الحجرى الذى يحفظها وزود الثعابين بالسم الواقى ، والقنافذ بالأشواك والأبقار بالقرون ، والأسود بالمخالب والأنياب والغزلان بالخفة والسرعة الفائقة حتى بعض النباتات الضعيفة زودها الله بالأشواك « ان كل نفس لا عليها حافظ » ء الطارق .

أما أن تصيب الجملة الكلامية عدة أهداف مقصودة في وقت واحد فهذا اعجاز انفرد به القرآن الكريم ليأخذ كل انسان منه مايتفق وثقافته وتفكيره وتقواه ، ويستطيع كل عصر أن يضيف جديدا في فهم هذا الكتاب الكريم الذى « لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه » كما ورد فى الحديث الشريف ، أما مناهج التفسير العلمى لهذا الكتاب المبين فموعدنا بها البحث القادم ان شاء الله .

ومن هذا المثل رأينا أن الآية الكريمة زودتنا بمعانى عديدة قديمة وحديثة وقد تعطينا معانى جديدة أخرى في مستقبل الأيام وكل هذه المعانى صحيحة

على عبد العظيم

جول (إعلام إسلامي) رشيد

الوعظ الديني

للكاتب محمد عبد الباقى

- ١ -

الذى يشرح للعمامة فى المساجد مسائل الفقه والعقيدة ليس واعظا بالمعنى الذى نقصده ، بل معلم مثقف ، ولكن هذا الشيخ اذا حث سامعيه على الفضائل والآداب الإسلامية وحضهم على التمسك بالمثل العليا مستشهدا بكتاب الله وسنة رسوله ووقائع السلف الصالح من صدور هذه الأمة ، فهو داعية واعظ ، وهو من نعيه بهذا التوجيه •

تصادف كلمة الوعظ ثقلا لدى بعض الناس ، اذ توحى اليهم بادية ذى بدء بأنها لا تخرج عن سبيل من النصائح العامة التى يعرفها السامع مقدما ، قبل أن ينطق بها المتكلم ، حتى أصبح من المؤلفات المشاهد أن تستمع من انسان تنصحه بما ترى فى اتباعه الخير ، صيحة متبرمة يلخصها فى قوله : كفى كفى ، لا أريد وعظا !

ونحن نعلم أن الوعظ الدينى فى مطلع هذا القرن لم يكن وظيفة رسمية لها دعائها المعينون من قبل الدولة ، وانما كان عملا اختياريا يقوم به نفر ممن يعلمون واجب المسلم المثقف فى هداية النفوس

والوعظ الذى نعيه بمقال اليوم هو الوعظ الدينى الذى يهذى الى الصلاح دينيا ودنيا وهوشى آخر غير العلوم الدينية وان اتفق معها فى نتيجته المثمرة ، فالشيخ

مجتمعه ، ليكون الداعية المسلم واعيا بما يجب أن يقول اذ أن لكل مقام مقالا ، ولكن قيام الحرب العالمية الاولى حال دون أن تستكمل رسالتها ، وكان اتجاه الدعاة جميعا الى العامة ، حيث كانوا مظنة الوقوع في حبال المبشرين ، فأخذت خطب الجمعة ودروس المساجد ، ومحاضرات الجمعيات تصاغ على نمط سهل ميسر ، وقارىء الدواوين المنبرية لذلك العهد يلمس روح الاخلاص دون شك ، ولكنه يلمس في الجهة المقابلة سيولة في القول لا تعرف الحصر الدقيق اذ يتشعب الحديث دون أن يتركز في نقطة واحدة ، كما نرى في خطب الشيخ الصالح محمد الجنبهي - وله عدة دواوين كانت ذات انتشار ممتد في عهده - مع مجموعات أخرى من الخطب الدينية ألفها زكي الدين والشرنوبى والحمامي ، ولا ننكر على هؤلاء الافاضل جهودهم المشكورة اذ بذلوا قصارى ما يستطيعون قبل أن ينتقـدم الاسلوب المنبرى تفكيراً وتعبيراً وتصويراً واستشهاداً ، وقبل أن

والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر كما يقوم اليوم بعض المتبرعين بالهداية ممن لا يحملون الصبغة الرسمية تعيينا وتحديدا للزمان والمكان ، ولكن الاحتلال الانجليزى قد عمل منذ هزيمة الثورة العربية على تنشيط التبشير بالمسيحية في بعض البلاد المصرية وبخاصة مدن الصعيد ، فأحس علماء الاسلام بخطر هذا النشاط ، وهبوا تلقائيا يذودون عن معتقدتهم الاسلامى وألفت جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية حينئذ لتقوم بالرد على ما يافكه المبشرون ، وقد اشتهر من العلماء طائفة مخلصة جعلت قيادها الى المرحوم الشيخ زكى الدين سند رئيس الجماعة ، ومعه زملاء مخلصون من أمثال عبد الوهاب النجار ومحمود محمود ومحمد عبد العزيز الخولى وعلى الجربى وطائفة أخرى من تلاميذ الاستاذ الامام محمد عبده ، ثم رأى السيد رشيد رضا أن ينشئ مدرسة للارشاد الدينى تخرج الدعاة على أحسن ما يرجى من فهم روح العصر ، ونفسيات أبنائه وظروف

خرج المطبعة فيضا من الدراسات الدينية كما نرى الآن .
ثم أنشئ قسم الوعظ والارشاد بالأزهر ، وقام على توجيهه نفر من كبار العلماء نذكر منهم الأساتذة الكبار على محفوظ، ومحمد أحمد العدوى وعبد ربه مفتاح ، وكان مدعاة انشائه أن يخرج من أكفاء الوعاظ من يقومون بهداية الشعب خلقيا واصلاحيا لأن حوادث الثأر ببعض الأقاليم ، وشيوع السرقة والتنافس العائلى على الرياسات المحلية فى تحرش بالخصوم ، واستهانة بالأرواح مما دعا وزارة الداخلية المصرية أن تجند نفرا من رجال الأزهر لمكافحة الجريمة ، والدعوة الى أخلاق الاسلام ، فتغلغت الطائفة الأولى من الوعاظ بين الكفور القاصية والنجوع النائية ، لتهدى الضالين بالحكمة والموعظة الحسنة ، ووفقا لمقتضى الحال أخذ هؤلاء الدعاة يصوغون أحاديثهم فى نهج يناسب من يستمعون من العامة ، فيكثرون من أحاديث الترويج ، ولا يجدون

خرج من تعدد الموضوعات فى الموعظة الواحدة ، وهو ما نزال نشكو منه الى اليوم لدى قلة من الدعاة ، لم تظن الى ارتفاع المستوى الثقافى وفقا لتطور الزمن ، أما الكثرة فقد أخذت بأسباب التركيز والتحديد ، وهو ما ينبغى أن يكون منهاجا عاما لجميع الداعين .

- ٢ -

أردت بهذه المقدمة التاريخية الموجزة أن أبين أسباب الانخفاض الملموس فى المستوى العلمى ، والمنحى الفكرى اللذين شاعا بوضوح لدى نفر من واعظى الأمس ، اذ كانت العامة وحدهم هدف المتحدث فكان مضطرا الى أن يقدم لهم من الغذاء ما يقدرون على هضمه وتمثيله ، وكان ذلك مقبولا بعض الشيء فى زمنه الماضى ، اذ كان المثقفون - أو أكثرهم مع الأسف - لا يجدون استجابة نشيطة من نفوسهم لدعاة الفضيلة ، لأن بريق أوربا - فيما قبل الحرب العالمية الثانية - كان

نفوس ، والتزم من منطق فكان ذا اسم ذائع ، ولواء مرفوع ، على حين ظل نفر آخر يخاطب الخاصة خطاب العامة ، ويدعى للمنابر العامة الجهيرة في الصحافة والاذاعة والتلفزيون فيقول لديها ما يقوله في قرى الريف ونجوع الصعيد ، دون أن يقدر موقفه التوجيهي في عصر متعدد المذاهب، متباين التيارات ، متضارب الميول والنزعات .

ولا أكذب الحق — مرة ثانية — حين أقول ان دراسات متخصصة ، قد أعدت لتكوين هؤلاء الدعاة ، والمأمهم بمسائل جديدة في علوم التربية والنفس والاجتماع ، وان كتباً خاصة بالدعوة والدعاة قد كتبت لهم على منوال معاصر ، يكشف عن طبيعة عملهم ، ويغوص الى أعماقه ، ويطير في آفاقه هذا حق لامية فيه ، ولكن قليلاً من هؤلاء من انتفع بدراساته العليا وبثقافته المتطورة ، فكان واعظ عصره ، وداعية زمنه ، وغير القليل لم ينتفع لأن الدراسات العليا وما يحذو حذوها من الكتب

يجذبهم الى ثقافة الغرب وحدها والاكتفاء بها اذا قوبلت بغيرها ، اذ هي في رأيهم ثقافة الحضارة المزدهرة ، والمدنية الشامخة بمخترعاتها العلمية ، وتقدمها الصناعي والفكري والاجتماعي فكيف يتكونها الى مواعظ المساجد ، وخطب الجمعيات الدينية ؟ ! ولكن دمار أوروبا بعد هذه الحرب قد فتح العيون النائمة في بلاد الاسلام على ما جهلوه من خطر التمدن الأوربي الخادع، وتقهر الخلق الانساني هناك الى مستوى الوحوش المتصارعة في الغابات والنمور الهائجة في الأدغال ، فاتجهت النفوس الى الاسلام تلتمس في نوره الهداية ، ومن معينه الارتواء ، وكان الظن برجال الارشاد الديني أن يعدوا للموقف عدته ، فيخاطبوا العائدين الى حظيرة الايمان خطاب المثقف المستتير ، ولا أكذب الله حين أقول ان من بين هؤلاء الأفاضل من برع في أداء رسالته ، وأبدع في توجيهه بما وعى من ثقافة ، ودرس من مذاهب ، وخبر من

المتوقدة فى النقاش ، وحسن تأتية
فى الجدل ، وادراكه الواعى
لطبيعة من حوله من الناس ، فقال
الكاتب الكبير ما ملخصه :

فى أثناء الحرب العالمية المدمرة ،
وقف بعض الواعظين يتحدث فى
مصنع أوربى فصاح به أحد العمال
فى تبرم : ما هذه الجرأة على
الوعظ باسم اله المحبة والرحمة ،
وهذه الحرب تطحن الناس ؟

فأجاب الواعظ فى هدوء صابر :
انك يا أخى لقاس على الأقدار ،
فهيك فى مكان القدر ، فما عساك
تصنع بالدنيا ؟ لا أحسبك كنت
تخليها من الخطيئة ، لأن النفس
مريدة وحررة ولا بد أن تخطيء
وتصيب ، والا كانت مجبورة
مسيرة ، أنت اذا أردت لها شيئا
ملزما ، هدمت تكوينها النفسى
باعتبارها نفسا مكلفة ذات حرية
وتقدير ، فان لم تصنع هذا فما
أنت صانع ؟

فقال العامل — وكان على
نصيب من الادراك الثقافى — على
أى حال لا أدع انسانا فى الحياة ،

الموجهة لم تصادف من عقله
دراسات سابقة تمهد لقبول هذه
الأفانين ، وحسبك أن تعلم مثلا
أن علم الكلام القديم هو حصيلته
العقلية فى مجال الدعوة للعقيدة
فى عصر تنتشر فيه الوجودية
والشيوعية والمادية وما ينحو
نحوها مما يهدم أصول العقيدة
الاسلامية اذا سكت عن دفعه
بالبرهان الصريح ، وقد أصبحنا
فى عصر مفتوح النوافذ للاذاعات
المغرضة تقذف سمومها كما تشاء ،
ولن يستطيع المسلم تحصين نفسه
من هذه السموم دون ارشاد
هاد ووعظ مستتير ! ولا أجد حرجا
من أن أقول ان بعض دعاة
المسيحية فى أوربا أكثر الماما
بتيارات عصره ، ومنحرفاته
الملتوية ، فهو على التوجيه أقدر •
ولعلى أبرهن على ذلك بالمثال •

— ٣ —

كتب الأستاذ الكبير عباس
محمود العقاد مقالا جيدا تحت
عنوان (كيف يعظون) يتحدث فيه
عن واعظ أوربى أعجبه ألمعته

مخاطبيه ، ونحن في زمن لا يكاد
ينجح فيه الواعظ المسلم نجاحا ذا
تأثير مأمول اذا اقتصر على سوق
الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
مجردة من حرارة القائل ، وصدق
تفسيره ، ولطف مدخله ، وطول
آناته ، لأن العقول في زماننا هذا
حائرة قلقة وتريد لمن يصف لها
العلاج من كتاب الله أن يقدر على
اظهار حقائقه الربانية ، فالواعظ
اذن مسئول عن موضع
الاستشهاد ، ومناسبته ، وبراعة
توجيهه ، والتأكد من انطباقه على
ما يتحدث عنه دون تمحل أو
افتعال ، حيث يكون الربط واضحا
في غير اعتساف ، وتلك ناحية عقلية
لابد أن تتآخى مع ناحية
خلقية ، اذ يكون الداعية
موضع القدوة المثالية فهو
الأنموذج المحتذى لأنه ملتزم بما
يقول قبل أن يطالب به سامعيه ،
وقد يبلغ العمل الواحد من التأثير
النفسي ما لا تبلغه آلاف الأقوال ،
وأنا أعرف من كبار الدعاة من كانوا
يؤثرن بالسلوك وحده دون أن
يعطوا منصات المنابر الا في النادر

يألم لجرأة غيره ، ويصلى بحزاء
ذنب لم يرتكبه ؟
فعاظله الواعظ يقول : يالها من
حياة سخيطة تلك التي تريدها ،
فما ذا تتوى أن تصنع بالأمهات
مثلا ؟ أتريد لأم أن يذهب ابنها
للموت أو ابنتها للعبار ،
ثم نضحك بعد ذلك لاهية ،
لأنها لا تحس الألم في ذاتها
الشخصية ، لأنه — حينئذ —
موجه الى الابن أو البنت فقط !
أتريد لها أن تقول : ان الذنب ذنب
غيري فلا أكثر به ! ان الدنيا
حينئذ تخلو من أنبل العواطف ،
وأرق المشاعر ، اذ تكون خلوا من
فضائل الأمهات والآباء وتعاطف
الأوداء والأحباب !

هذا مثل جيد لواعظ بصير ،
وآية الجودة فيه أنه يخاطب العقل
المدرک في نفس المستمع ، ويقدر
الأحوال المحيطة به قبل أن يأتي
ببرهانه ايجبيء رده مطفئا كل
ما يعتلج بالنفوس من حزازة
الشك ، ولن يصل الى ذلك غير
داعية من تتقف بثقافة عصره ،
وكشف عن الأعماق من نفوس

وسائل الايضاح فى درسه ما يمهده
به سبيل المعرفة الى عقول التلاميذ،
فالواعظ مدرس أيضا فى هديه ،
وعليه أن يهتم بوسائل الايضاح
المجدية ليصل الى النفوس دون
عناء •

هذا ، والايجاز - لدى - أبلغ
من الاسهاب ، اذ ألف نفر من
الواعظين أن يظلوا الساعة
والساعتين صائحين متكلمين ، وكأن
امتداد الزمن وحده مقياس
الجدوى ، مع أنه داعية الى
الاستطراد من القائل ، والملك من
السامع ، والسامعون -
لا محالة - طيقات ، منهم من
يثابر على الفهم ، ومنهم من
ينصرف الى أحلامه الخاصة فيرى
مستمعا بجسمه دون فكره ، وإذا
كان الاطناب مع الجودة والاصابة
مملا ، فكيف به مع التفاهة والحشو
والاستطراد والتكرار !

لقد كان الحسن البصرى رضى
الله عنه أبلغ الدعاة فى عصره •
وكان يقابل خطب الحجاج
ابن يوسف الثقفى بعبارات

القليل ، فاذا تكلموا كان حديثهم
تطبيقا عمليا لما يريدون •

على أن ثقافة العصر بمدارسه
ومعاهده وجامعاته وكتبه واذاعاته
تحتم على الواعظ المستتير أن
يلمس عيوب الواعظ القديم ليتركها
دون رجعة ، ولكن الواقع غير ذلك
فأنت لا تزال تسمع نفرا من
الواعظين يغمرون الأسماع
بالقصص الخرافية ، والروايات
المصنوعة ، ويحشدون من
الاسرائيليات وأشباهها ما يغرق
السامعين فى لجب صاخب لاخريفه،
ونحن لا ننكر أن الحرص على
التشويق وجذب الأسماع الى
المواعظ شيء مطلوب ، ولكننا
نريد بالتشويق المؤثر أن يتم فى
ميدانه الطبيعى ، حين يرتفع
الواعظ عن التسلية السطحية الى
التثقيف الموجه ، فهو ذو مصباح
لا بد أن يبدد ظلام الشبهات ،
وغياهب النفوس فاذا لم تستطع
أشعة وعظه أن تهدى النفوس
بغير الملقف من الأقاصيص ، فقد
حاد عن الطريق ، وإذا كان المدرس
فى حقل التربية والتعليم يتخذ من

تلقاه ، ثم ما شفعه به من التعقيب
كل ذلك لم يستغرق دقيقة واحدة .
ولكنه ترك في النفس أبلغ ما يتركه
واعظ كبير يتحدث عن الموت ساعة
كاملة دون انقطاع ، وما ذلك الا
لحرص الحسن على انتهاز الفرصة
المواتية ، فسقط حديثه كما يسقط
الغيث على المرعى الجديد ، وليس
الحسن البصري وحده فريدا في باب
بل يشاركة أعلام بارزون من
طرازه . وأذكر أن الجاحظ قال
« ما تحدث عمرو بن ذر الهذاني في
مجلس وعظه الا حسبت أن قد نفخ
في الصور وقام الناس لرب
العالمين » .

كيف ارتقى الحسن في اقناعه ؟
وكيف اهتدى ابن ذر في ابداعه ؟
سؤالان ، جوابهما القدرة على
انتهاز الموقف بالقول الصائب ! أما
العلم وحده فما أكثره . وما أقل
ما يجدى دون التفات الى مقتضيات
الأحوال .

د . محمد رجب البيومي

موجزة ، تحير الحجاج وتدهشه ،
وتوقعه موقع القلق والاضطراب ،
فلا يستطيع أن يرد ، وما كان
الحسن رحمه الله يزيد في وعظه
البليغ على فقرات يسيرة ، تهب
على المؤمنين روحا وريحانا ،
وتصب على العصاة شواظا من
لهب .

عاد الحسن البصري ذات صباح
مع العائدين من تشييع جنازة لأحد
كبراء البصرة ، فالتفت الى
أصحابه ، ونظر طويلا ، فشخصوا
اليه منتبهين ، ثم سألهم في تودة :

ترى لو رجع هذا الميت ثانية
الى الحياة الدنيا أكان يحرص على
الطاعات ؟

فقال السامعون جميعا : نعم .
فصدق فيهم الحسن متفرسا ثم
قال في تمهل : أما نحن فقد
رجعنا ، وعلينا أن نحرص !

ان السؤال الوجيز الذي وجهه
اداعية الكبير ، والرد الموجز الذي

من شعراء الأزهري

السّاعر الدكتور كيلا في حسن سند

للكثر محمد عبد المنعم خفاص

الدنيا لموت هذا الشاعر العملاق ،
الذي لا أعرف له نظيرا في حلاوة
موسيقاه ، ولا في رعشات صوره ،
ولا في وهج فنه ، وجمال الهامه ،
وبلاغة صياغته مات شاعر ، كان حقا
سيصبح مفخرة للوطن وللعروبة
وللإنسانية •

مات الشاعر د • كيلا في حسن
سند وفقدنا بموته الالهام
الشعري الرفيع ، والموهبة
الساحرة الغنية المعطاء ، والابداع
الشعري الذي لا نهاية لعذوبته
وجماله وسحره •

وهل يمكن أن يجود الزمن
بمثل عبقرية هذا الانسان ، هذا
الشاعر ، هذا الفنان المبدع حقا •

وأشهد أني لم أقرأ شعرا له

بعد ألف عام وعام :

سوف تحتفى الأجيال بذكرى
شاعر كبير ، عاش هنا ، ومات
هنا ، دون أن يعرفه عصره
ومجتمعه ، ودون أن يفهم زمنه
وبيئته حق قدره ، وحق ما يجب
له من تكريم ووفاء •

ولسوف تقول الأجيال القادمة
عنه : لقد كان شاعرا مبدعا موهوبا
أدى للعبقرية وللفن أروع ما يؤديه
شاعر ، عاش بيني المجد والحياة
لأمتة ووطنه ، ولجماهير شعبه ،
وهو يردد أغانيه للحياة وللحب
والحرية ولانتصار الانسان •

وعجبت والله : كيف لم تهتز

سند - رحمه الله - ولم ينشر
المقال بعد .. وأظن أن عدم
نشره حتى اليوم يرجع
الى أن المحرر المسئول له رأى
خلاف رأيي .. وقد ينشر المقال
بعد حين ، ولكن نشره لن يبعد عن
وجداني روح الأسف لأن الشاعر
كيلانى سند لم يقرأه فى حياته
منشورا ، ولم يعرف رأيي فى
شاعريته الحلو الساحرة الغنية
المعطاء ، التى خلفت لنا دواوين
أربعة مطبوعة :

— قصائد فى القنال وقد صدر
عام ١٩٥٧ •

— فى العاصفة الذى صدر عام
١٩٦٢ •

— قبل ما تسقط الأمطار وقد
صدر عام ١٩٦٨ •

— فى انتظار المطر الصادر عام
١٩٧٧ •

وهناك ديوان خامس مخطوط ،
نعه يرى النور فى القريب •

الا وملكنتى هزة الاعجاب ، بهذا
النعم الشعري النشوان ، وبهذا
العطاء السحري الفينان ، وبتلك
الروعة والطاقة الابداعية
الصراحة ، بل بذلك المنجم الماس
الثرى ، الذى طالما نفحنا ثراء
وعطاء وجمالا دون حدود •

وكتت أقول ما لأسويوط
والأنسيطة وما للشعر ؟؟ ••

وكذبت مقولتى هذه أشعار
الكيلانى حسن سند أولا ••
وكذبتها أشعار محمود حسن
اسماعيل ، وفوزى العنتيل ، وبكر
موسى أخيرا •• والثلاثة ممن
أعرفهم ، وممن نشأوا فى القرية ،
وعاشوا فى المدينة ، وممن تلقوا
ثقافتهم الأولى فى المعهد الدينى
فى أسويوط ، وممن كانت موسيقاهم
مع اختلاف درجاتها حلو
وجميلة ••

كتبت منذ أكثر من عام مقالا
لمجلة شهرية أرشح فيها للمجد
ثلاثة شعراء ، كان أولهم
شاعرنا الخالد د • كيلانى حسن

ولا أريد هنا ذكر كتب أصدرها
الشاعر ، ومنها :

— تجارب شعرية •

— ذو الرمة ، الذى صدر فى
سلسلة أعلام العرب ، ولا ذكر
رسالته المخطوطة للدكتوراه ،
وموضوعها « حازم الفرطاجنى
شاعرا » •

ولأذكر كتب جامعية ، كتبها
لطلابه فى كلية التربية بالفيوم •

ولقد حصل على الدكتوراه فى
الأدب والنقد من كلية اللغة عام
١٩٧٤ بمرتبة الشرف الأولى •

وحسبى هنا أن أتحدث عن
شعره وشاعريته ، وتجاربه
الشعرية الانسانية العالية •

— ٢ —

ولنقرأ للشاعر قصيدته الأولى
فى ديوانه الثالث ، « قبل ماتسقط
الأمطار » وعنوانها « الكلمات » ،
وفيه يقول :

يا كلماتى

يا كلمات سنينى العجفاء

أقسم أنى ما قصرت

سرت ، جريت ، مشيت على الشوك
مشيت ماقصرت

ما وفرت ضياء العينين

ماوفرت

لكن الطرقات المكتظة بالأحجار
ماتركت لى أن أختار

وأنا قلبى كالعصفور ، وزندى
لايصمد وسط التيار

مع الاشرار

ماذا يصنع من لايصعد غير جبال
النار

إذا ماانهار أمام الشوك أو الأحجار
يطأطأ حين تهب الريح ، ويصمد
فى وجه الاعصار

يا كلماتى ، ياخيّمات تحمينى من
وهج الصيف أو الأمطار

مما يرفع رأسى زهوا

أنى ماسطرت الأحرف لغوا

مادنست طريق الشعب

ماطرزتك حول وشاح كى يتقلده
جبار

يتقهقه حين يشاهد روما وسط النار
كنت أريدك بستانا ان جاء المتعب

لم يكن يملك فيه ذاتية الصياغة ،
ولا حرية النغم ، حتى لنجد له
مثل قوله :

سيبكي العيال

فتصرخ أهمهم في انفعال :

ابوتكم ، وخبزكم ، والادام ، وكل
الرجال ..

مضوا مرغمين لحفر القنال

ونلمسه في ديوانه الثانى « فى
العاصفة » فى مثل قصيدته الاولى
« الطريق الشائك » ، التى يقول
فيها :

بأكم عبرنا قنطرة

وأبحرا رهية أمواجها مزمجرة
وكم صعدنا قمة عالية ، مسورة
نبحث عن أغنية صغيرة ، عن
جوهرة

وزادنا على الطريق ورق ومحبرة
وأمنيات فى الصدور غضة
مخضوضرة

يا اخوة سيقبلون والليالى مقمرة
ويسلكون دربنا مواكبا مستبشرة
طريقهم ممهد وأرضهم محررة
فلم يروا أنا غرسنا واحة معطرة
سوى بذور لم تزل نائمة مخدرة

يأكل ، يشرب ، يغفو ، ينسى أحلام
الغرباء

خبزا للجوعى ، ودواء للمرضى ،
وغطاء للمقرور ، ومسندة من ريش
نعام

للأيتام

كنت أريدك .. لو كانت تتحقق لو !
ولكن مما سيعزى القلب :-

خطا ؟ الأحباب ، خطا من يسلك
هذا الدرب

أرأيت السحر والنشوة ،
والموسيقى والأحلام ، والانسانية
كيف تتدفق من ألحان هذه القديمة
انجميلة ، المعبرة عن فكر ثرى ،
ومضـمون غنى ، وبألوان من
الصياغة الفريدة الجديدة ؟

القصيدة تلخص فكر الشاعر
ورؤاه ، وحرصه الدائب على
شرف القلم ، وصدق الكلمة .

وليس هذا المضمون بجديد على
الشاعر اننا سنلمسه فى ديوانه
الأول قصائد فى القنال ، وهو يعبر
عن نضال المصرى الذى سخره
المستعمرون لحفر القنال ، تعبيرا

وبعض نجمات صغار في الطريق نيرة
فأتذكروا أنا عبرنا ألف قنطرة
ونقنطرة
ونلمسه في ديوانه الأخير « في
انتظار المطر »
يقول من قصيدته « أغنية » :
ان تدر طرفك تبصر من حوالينا
حيارى
وردوا النهر وعادوا منه بالهم
سكارى
آه لو نجعل يوما لهم الحب منارا
ونغنى ، فالربا الخضراء لا تبقى
صحارى
ربما نصنع شيئا قبل ما أن نتواري
وفي قصيدته « الخريف والحب »
يقول :
لقد غنيت للشاكي ، وللباكى ،
وللمقهوركى يقوى
ومن يشقى بلا جدوى
وذاقت لهم اذا ما جاء عيدهم الذى
أهوى
سأسكرهم بقيثارى
وأتركه لهم ذكرى لكى يرثوه من
بعدي

لكى أذكر
أنا أعرف لا أنكر
ذلك النغم الشعري الانساني
الرفيع هو فكر الشاعر طول حياته
من بدئها لختامها لقد حمل قلمه في
يديه ، وسار طول عمره في هجير
الحياة يغنى .. للحرية ، للانسان ،
للوطن ، للشعب .
يقول في ديوانه (في العاصفة)
من قصيدته (يارياح الخريف) :
تتوالى الهموم من كل فج
مسرعات على حر السلاح
وأنا أغزل الكأبة شعرا
هو شكوى مواجعى وجراحى
أتغنى به فيخضر نبت
من حوالى تشب أفاهى
وأرانى نفضت عنى غبارى
ثم واصلت رحلتى وكفاحى
يا طريق الحياة لا الشوك يثنينى
لا ولا الصخر سوف يثنى طماحى
سوف أشدو فيملا النور قلبى
ثم أمشى على رنين صداى
انى السابق المبشر بالفجر
فمن يستطيع وأد صياحى ؟

— ٣ —
والحب هو الشعار الأبدى الذى

رفعه الشاعر أمامه ، وهو يغنى لحياة وللحرية ..	فكأن جداول من طل رشت بالفرحة أعشابى
يقول فى ديوانه « فى العاصفة » من قصيدته « العودة » :	وفى ديوانه الاخير يقول من قصيدة « عصفور الحب » :
أحبابى غابوا ، أحبابى من سنة ما طرّقوا بابى	عصفور الحب الثرثار أرهقنى ، أتعبنى ، شتت من ذهنى
غابوا ، مامروا ، ما سألوا ، ماتركوا لى أى جواب	الأفكار أرجعنى طفلا يتأرجح بين غصون الأشجار
كانوا كنجوم من حولى لفتهم أردية سحاب	أنسانى عمرى ، تجربتى ، أنسانى معنى أن أختار
أحبابى غابوا ، أحبابى ، فكسانى الليل بجلباب	أقسم بالحب وبالموسيقى ، بالأشعار
وطريقى ممتلىء شوكا ، وصخورا تنهش أعصابى	أقسم بالماء الجارى ، كالفضة فى الأنهار
حتى وكرمتنا قديست ، قد صارت حزمة أحطاب	أقسم لن يرجع بعد اليوم ، فقلت له : يامكار
أترى سنعود كما كنا نتساقى الفرح بأكواب	ستعود اذا خلع الورد القمصان ، وفك عن العطر الأزرار
نمشى فالنخضرة تكفنا ، آلاف حقول وروابى	ستعود مع الأطيّار مع النسمة حين توشوش آذان الأزهار
وأعود فأسمع دقات ، دقات أصابع بالبواب	

حين يعود الناس اثنين ، اثنين ،
 وكل حديثهما أشعار
 لكنى سأقص الريش ، أعريك
 وألقيك أمام الريح ، وتحت الأمطار
 فتبسم منطلقا يتحدى
 سأعود ولو تلقيني في النار
 ان هذا الجمال الفني في الحوار
 في الصور ، في الصياغة ، في الرقة
 والعذوبة ، في الانسانية ، في الحب
 لا تجده الا عند شاعرنا الخالد
 وانظروا اليه يقول من قصيدته
 (دعوة) في الديوان نفسه :
 سأدعو عليك

— ٤ —

يحج الفراش الى وجنتيك •
 وحين يمر به النحل يحكى له
 عنك عما رآه لديك فيأتيك في لهفة
 العاشقين ليرتشف الشهد من
 شفقتك •
 سأدعو عليك

ماتت أمه ، ولفه أبوه بعطفه
 وتحت جناحه ، ثم طوى أبوه عنه
 ظله ، وصور الشاعر ذلك كله ، في
 قصيدته الجميلة « الطير الغريب »
 في ديوانه « في العاصفة » •• وقد
 وازنت بينها وبين قصيدة لنزار
 إذا النوم عشن في مقلتيك •
 ترين المحبين قد قبلوا يديك ،
 وقد قبلوا قدميك وقالوا : دمانا
 التي قد سفكت على وجنتيك وفي
 راحتك
 سأدعو عليك

العاصفة » ... وفيها يقول :
 أبتى ودموعي في خدي
 وجراحك مازالت عندي
 في الحلم أراك تخاصمني
 تتركني في الغربة وحدي
 فأحس الشوك بأعمالي
 وبكى النار على جلدي
 أنى .. مازلت أرددها
 فأحس لها طعم الشهد
 أترك ستغفر لى أنى
 بالأمس فصمت عرى الود
 وهجرتك اذ أمى ماتت
 وشعرت بالآلام الفقد
 فبدت بسمائي أجنحة
 سود ، أجنحة من حقد
 صبغت دنيائى فلم أبصر
 فى الورد سوى شوك الورد
 قد تعتبر ورق أيامى
 كى يقلع فى بحر الصد
 قد مات وأصبح جثماننا
 سيوارى بتراب اللحد
 فشعرت ببركان الذكرى
 يتمدد وحشا فى قيد
 وهوت فى صدري زهرات

قياني فى وفاة أبيه وذلك فى
 كتابي (١) « الشعر الحديث
 ومدارسه » .

ولكن كيف يطوى الأب ظله عن
 ابنه الصغير .. ذلك ماشرحه
 الشاعر فى قصيدته الأخرى «جنة
 الحب» فى الديوان نفسه ، التى
 يقول منها :

قد كان أبى ملكى وحدي
 وأنا قد كنت له وحده

سنوات مرت كثوان واذا بالجنة
 مسودة
 لفتها نار ، تتين ، قد أفرغ فى الجنة
 حقد كالفرخ الازغب مرتاعا ، فى
 العش وقد أصبح وحده قد صرت ،
 فأحساس يقيم ، احساس بالغربة
 بعده ويغاضب الشاعر الحياة فى
 القرية ، ويودع أباه ، ويتركه الى
 القاهرة .. ويذكر ذلك فى قصيدته
 (وداعا يا أبى) من ديوانه الأخير
 « فى انتظار المطر » .

وبعد سنوات يرحل أبوه عن
 الدنيا ، فيرثيه بقصيدته « ثم
 افترقتنا » من الديوان الثانى « فى

— الحادى عشر من ذى الحجة
عام ١٣٩٩ هـ — عن أربعة
وخمسين عاما ميلاديا ، واذ كان
ميلاده عام ١٩٢٥ م فى قرية
أبو محمد مركز أبو تيج — ولربما
يكون الشاعر قد صور هذه المرحلة
الاخيرة من حياته ، مع المرض ،
الذى استمر عامين ، فى ديوانه
الذى لم ينشر بعد ، والذى
سيكون ضوءا جديدا لجوانب
مجهولة من حياة الشاعر الاخيرة .
ولنترك ذلك كله الى قصيدته :

« انسان بلا أسطورة » من ديوانه
« فى العاصفة » ، حيث صور
الشاعر حياته فيها بلا مبالغة ، بل
بصدق وبساطة وجمال . . يقول
الشاعر لفتاته :

بين البيوت بيتنا هناك حيث أنظر
جدرانه طينية، والطوب فيها أخضر
ويابه جميزة ، كانت هناك ، لا تنمر
البدر من عشاق ذاك الصبى
الأشقر

وان دخلت بيتنا لن تجدى ماييه
لكنما أفرحنا كثيرة لا تحصر
الليل لا ننامه نظل فيه نسهر

قد كانت أغلى ما عنى
وتمضى المحنة . . وتبتسم
الحياة للشاعر ، ويعيش يغنى
لآماله وأحلام صباه . . واذ
هو فى محنة جديدة ،
محنة يرى نفسه فيها وحيدا بعد
ما كان قد ركن الى ظل يأوى اليه
فى الحياة . . وتحدث عن ذلك
طويلا فى العديد من قصائده ، فى
ديوانه الثالث « قبل ما تسقط
الأمطار » . . ومنها قصيدته
« فلتبعدى عنى » .

وفى ديوانه الاخير قصيدة
يعنوان « مرثية فى ساعة الضعف »
يرثى فيها الشاعر نفسه ، لما رأى
صفحات كفاحه الطويل لم يقرأها
أحد ، وأحلامه بعد هذا الكفاح لم
تصل به الى غاية .



ثم حالف الشاعر المرض فى
أخريات حياته ، حتى جاءه أجله ،
وانتهت صفحة حياته ، فغادر
الدنيا الى غير عودة . . وذلك فى
اليوم الاول من نوفمبر عام ١٩٧٩م

وكلمة بسيطة تجعلنا نكركر

من الرجاء تنير الليل للسارى

ومثل كل المتعبين فى غد نفكر

صديقتى أما أنا فأدمى خير

— ٥ —

عار ، بلا أسطورة وهمية تحير
حيناً أحس أننى من الحياة أكبر
وبعض حين ذرة ضئيلة أو أصغر
صديقتى الوداع انى هاهنا أنتظر
تلك التى من طينتى لا شئ فيها
أنكر .

وفى شعر الشاعر روائع من
الشعر الانسانى الساحر ، الذى
لا نجد له مثيلاً عند الشعراء
المعاصرين ، كقصيدة « صباح »
فى ديوانه الأخير ، وصباح هى
الطفلة الصغيرة التى تفرح بفرح
الشاعر وابتسامته للحياة ، ويضيق
النطاق عن الاستشهاد بها ، وبكثير
من القصائد التى أشرنا إليها ،
وتبدو كذلك انسانية الشاعر فى
قصائد كثيرة ، غنى فيها للحياة
وللإنسان وللفلح وللعمام ،
وللطفل والمحروم ، وللشعب ..
كما تبدو فى قصيدته (الحب) من
ديوانه الثانى ه فى العاصفة ،
وفىها يقول :

وطيلة حياته كان طموح الشاعر
أكثر مما تحتمله قواه .. كان
يسعى الى المجد ، وكان يظن أن
المجد بعيد عنه ، وما علم أنه حين
احترق بنار الحرمان ، سعى اليه
المجد من كل مكان مجد الشعر ،
لا مجد السلطان .. يقول لحبيبتة
من قصيدته (إليها) من ديوانه فى
العاصفة .

اليك يا سر قلبى كل أغنية

عصرتها من دمي المشيوب كالنار

اليك دفعة قلب ليس يشغله

عنك التقرب من دار الى دار

يلحق الخطو خلف المجد يطلبه

ودونه الدهر ، ليث الغابة الضارى

وكل ما يتمنى منك بارقة

كن مثلما شاء الندى

مثل الصباح الاشقر

كالطير فى أفراحه

غنى لكل البشر

غن لهم ، ارث لهم

قلوبهم من حجر

وافتح لهم نافذة — الربيع كذلك صبيا فيقول في
في قلبك المخضوضر ديوانه الثاني :

فالحب أى منجم وفجأة قد مر ظل فالتفت اذا
في قلب انسان ثرى صبى ورد الربيع بوجنته ، وشعره
الذهب النقى •

لون الضحى من لونه وهو يستعمل الكثير من الكلمات
والعطر بين الزهر والاساليب الدارجة الفصيحة — في
أخى الحياة غنوة في خفة روح ، وحلاوة تعبير ،
ومهارة صانع فنان •• يقول :

بالحب ، حب البشر هذا الى شعر الشاعر في الوطن
والوطنية ، وهو كثير ، كقصيدته « العبور » في ديوانه الاخير ،
وقصيدته « مراثية لبطل » في الديوان نفسه •

وما أروع « الشاعر كيلانى حسن سند » في موسيقاه ، في
صوره ، في أخيلته ، في صياغته ، في مضمونه •

ويخال الفجر صبيا فيقول في ديوانه الثالث :

وجاء الفجر صبيا أشقر ، طافيا ، يذق على الابواب ويجعل

وظاهرة فنية أخرى واضحة في شعر الشاعر « كيلانى حسن سند » رحمه الله ، وهى بلاغة التكرار في شعره ، الذى يجعل منه في القصيدة مثل القفلة في الموشحة •

(١) ١٥ في العاصفة •

(٢) ١٧ في العاصفة •

ويبدو ذلك في قصيدته (دعوة) التي سبق أن ذكرناها ، وكذلك في قصائده :

١ - حلاوة موسيقى الشاعر •
٢ - كثرة الصور في شعره •
٣ - بلاغة التكرار في شعره •
٤ - بعده عن التقرير والخطابية في شعره •

— الخريف والحب (ص ٤٠ من الديوان الاخير) •

— مريثة حب (ص ٧٨ الديوان نفسه) •

٥ - بساطة الاسلوب والتعبير •
وبعد •• فماذا نقول عن الشاعر « الدكتور كيلاني حسن سند » الذي كان يملك موهبة فنية ساحرة ، وموسيقى عزبة نادرة ، والذي اذترج الفن والشعر بأعماق نفسه وطوايا جوانحه •• والذي صار حديثا وذكرى وقصة سوف تتلى على مدى الايام ، ذكرى الشاعر العظيم ، وحديث الشعر الرفيع الذي يقول عنه من قصصه (يا شعر) من ديوانه الثاني (في العاصفة) !

— أمل (ص ٣٠ في العاصفة) •
ولقد كتب من قبل عن ديوانه في العاصفة مقالا نشر في مجلة الازهر حيث ذكر أن فلسفة الشاعر في هذا الديوان تدور حول أمور ثلاثة :

١ - الشعور الكامل بدور الفن في الحياة ، وأثره في مستقبل البشر •

٢ - الايمان بالخير وبالحب ، حب الحياة ، وحب البشر ، وحب الانسانية •

٣ - التفاؤل والابتسام للحياة •
وقلت ان فن الشاعر يتميز بخصائص عدة :

يا شعر ، يا لحن القلوب ، ويا نشيد الحائرين ، يا غنوة طفحت بها كأس الصبابة والحنين ، يارعشة القلب الجريح ، ويا صدى الروح الحزين ، يا موجة غسلت

جرحات الفؤاد من الأئين ،
ويا وحي ليلي والحياة يلفها حولي
السكون يادفعة الشوق الحبيس
وصرخة الامل السجين ، يا مشعلا
بيدي يضيء لى الطريق فيستبين ،
لولاك يا شعري للذت من المواجه
بالمنون .

طويت شراعى المكدود من سعيي
وترحالى ، وهأنذا أود أنام ، ألن
ألقى بأحمالي بواد منزو فى الصمت
واد بين أدغال سوى عصفورة ثكلى
تئن بعشها الخالى ، وغير الريح
حين تهب تكسونى بسربال .

ولكى غلاف صفيق مطرز بالشتاء
غرد لنمشى ونمشى الى مروج
وماء ، وتطلق الفجر نهرا يزيل ليل
الشتاء .

ومضى الشاعر وودع الشعر
والحياة ، بعد أن ترك منجما ذهبيا
من القصيد ، تثرى به الاجيال .

ومشى الناس يقولون : هنا
دفن شاعر . .

د . محمد عبد النعم خفاجى

مضى وخلف شعره يضيء للناس
طريقهم فى الحياة ، فيسعد
المحرومون ، وينعم المعذبون ،
ويفرح البائسون .

أخطاء شائعة

دكتور عبد الله بن عبد الله

٥٧٥ ويقول : لهذا التاجر كثير من الزبائن ، وهذا التعبير فاسد لأن كلمة الزبائن بمعنى المشتريين لم يستعملها الا المحـدثون ، محتجين بأن الزبن معناه الدفع ، اذ يقال : أراد فلان حاجته فزينه عنها رجل آخر ، والمشتريين يزبن بعضهم بعضا .

عروس • وكلمة زبون تكون صفة للمؤنث كما تكون صفة للمذكر . فمن الأولى : قولك الناقة زبون لأنها تزبن ولدها ، أى : تدفعه عن ضرعها ، كما أنها تزبن حالبها . فيقال فى الجمع النوق زبائن وكذلك الحرب زبون ، أى : صعبة كالناقة الزبون ، والحروب زبائن .

والحق : أنه لا يجوز استعمالها بهذا المعنى ، لأنها لم ترد عن العرب ، ولأن فعائل لا يطرد الا فى رباعى مؤنث ثالثة مدة كرسالة ورسائل ، وصحيفة وصحائف ، وعجوز للمؤنث وعجائز ، فاذا كان العجوز ذكرا قيل : رجل عجوز ، ورجال عجز بضميتين • ومثل ذلك : قولهم امرأة عروس ونسوة عرائس ، ورجل عروس ورجال

ومن الثانية : قولك لمن يزبن كثيرا ويغبن : رجل زبون ، ورجال زبن بضميتين • والصواب : أن يقال بدلا من الزبائن حرفاء جمع : حريف كشریف وشرفاء ، تقول : حريف الرجل لعياله من ههنا وههنا يحرف ، اذ كسب لهم ما يقتاتون به ، والاسم : الحرفة • بكسر الحاء .

يستبدل بكلمة جيرة إحدى كلمتين
جوار بكسر الجيم أو ضمها ،
ومجاورة فيقال : جيران جوارهم
طيب ، أو مجاورتهم طيبة •

٥٧٧ ويقولون صرح الرئيس
لفلان بالسفر وأعطاه تصريحاً
بذلك ، يعنون أنه أتاحه له ،
والصواب أن يقال : أذن له في
السفر ومنحه اذناً به ، أما
التصريح فهو تبين الأمر ، تقول:
صرح فلان بما في نفسه تصريحاً
إذا بينه وأظهره ، وصرح النهار
إذا انكشف سحابة وأضاءت
شمسه ، وصرح الحق عن محضه
أى عن خالصه ، وذلك إذا انكشف
بعد خفائه ، وصرحت الخمر إذا
ذهب زبدها ومن هذا قولهم : لبن
صريح أى خالص ذهبت رغوته •
٥٧٨ ويقولون : فلان يتفانى في
أداء واجبه ، كما يتفانى في حب
وطنه باسناد يتفانى الى المفرد ،
يريدون أنه لا يعنيه أمر نفسه بقدر
ما يعنيه أداء الواجب وحب الوطن
وهذا خطأ والواجب أن يسند هذا
الفعل الى اثنين فصاعداً فيقال
تفانى المحاربان ويتفانى المقاتلون

أو يقال لهم : المتعاون • جمع :
مبتاع ، أو المشترون جمع : مشتر
أو الشراة جمع شار •

٥٧٦ ويقولون : لنا جيران
أوفياء جيرتهم طيبة • وهذا
التعبير فاسد لاشتغاله على كلمة
جيرة التى لا تحمل سوى معنيين
كلاهما لا يؤدى ما يقصدون اليه •
أحدهما : أنها اسم هيئة من
الجور ، وهو الظلم والميل عن
الصدق ، وعلى هذا لا يجوز أن
توصف بكلمة طيبة •

والآخر : أنها جمع لجار
كجيران ، تقول : هؤلاء جيرة
يتمتعون بكريم الأخلاق •

ومثل ذلك من الجمع : قيسة
بكسر القاف فهو جمع لقاع •
ومعناه : المستوى من الأرض ومنه
قوله تعالى : « كسراب بقيعة
يخشبه الظمآن ماء » •

وكذا : نيرة بكسر النون ، فهو
جمع : لنار كثيران ، وهذه
الجموع سماعية •

قال ابن مالك :
وفعله جمعا بنقلى يدرى
ولاصلاح تعبيرهم ينبغى أن

ويعلل بعضهم لذلك بأن القعود هو الانتقال من علو الى أسفل ، ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعداً ، وأن الجلوس هو الانتقال من سفلى الى علو ومنه سميت نجد جلساً لارتفاعها ، وقيل لمن أتاها جالس وقد جلس ، ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز للفرزدق •

قل للفرزدق وللسفاهة كاسمها
ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس
يريد فاقصد نجدا

٥٨٠ ويقولون هؤلاء عشرون نفراً ، فأولئك ثلاثون نفراً • وهذا خطأ من جهتين أولاهما أن تمييز العشرين • وأخواتها لابد أن يكون مفرداً منصوباً ، مفرداً لأنه يذكر لبيان حقيقة المعداد وهو يحصل بالمفرد النكرة التى هى الأصل ، أشيب ، ويجوز شائب على الأصل ومنصوباً لتعذر الاضافة مع النون التى هى فى صورة نون الجمع ، قال ابن مالك

وميز العشرين للتسعين

بواحد كأربعين حيناً

وكلمة النفر اسم جمع لا مفردة
قال أبو العباس النفر والرهط

قال الزمخشري : وتفاعل لما يكون من اثنين فأكثر ، ولا يخلو من أن يكون من فاعل المتعدى الى مفعول واحد أو فاعل المتعدى الى مفعول كان من الاول كضارب لم تيعد ، وان كان من الثانى نحو نازعته الحديث ، وجاذبته الثوب تعدى الى مفعول واحد تقول تنازعنا الحديث وتجادبنا الثوب ، وتناسينا العداوة والبغضاء •

وقال ابن منظور والجوهري : وتفانى القوم قتلاً أفنى بعضهم بعضاً ، فليس للتفانى معنى غير هذا ، ولا يمكن أن يحمل التفاعل على غير بابه بأن يراد به الفناء ، لأن ذلك سماعى كما فى قولك تغافلت ، وتجاهلت ، وتعاميت ، وتوانيت أى أوعيت لنفسى الغفلة والجهل ، والعمى ، والونى ولست متصفاً بها •

٥٧٩ ويقولون للقائم اجلس كما يفعل المدرسون مع طلابهم •

والاختيار — على ما حكاه الخليل بن أحمد أن يقال لمن كان قائماً أقعد ، ولن كان نائماً أو مساجداً اجلس •

والحق أن الأمة بحاجة ملحة الى مقومات أخرى كثيرة لا بد منها ولا غناء ببعضها عن بعضها الآخر ، منها العلم ، والصحة ، والمال والصناعة ، وقوة الجيش وغير ذلك أما أن يقصروا حديثهم على الأخلاق ، ويعطوها وحدها كل الفضل فنقص وقصور وكان عليهم أن يستبدوا بكل المقومات ، ثم يختصوا الاخلاق — اذا شاءوا — بما هي أهل له من ايثار ، ولذا عيب على شوقي قوله :

وانما الامم الاخلاق مابقيت

فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
فهذا البيت على الرغم من شيوعه على ألسنة الناس ، وسيره مسير الامثال ونيله كل هذا الحظ من الاستدلال به عليه كثير من المأخذ منها ما ذكرناه آنفا ومنها أنه أراد بالأخلاق الفضائل ، مع أن اللغة تستعملها بمعنى السجايا والطباع وقد تكون السجايا حميدة ، وقد تكون ذميمة ، ولذا قال الشاعر:

ترزين الفتى أخلاقه وتشيينه
وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدري

والقوم معناها الجمع ولا واحد لها من ألفاظها وفي أمهات اللغة أن النفر جماعة الرجال من ثلاثة الى عشرة ، وأنه لا يقال فيما زاد على العشرة ومما يبرهن على أن النفر جمع اعادة الضمير عليه يواو الجماعة في قوله تعالى « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن » وقوله « قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرأنا عجبا »

فكما لا يجوز أن يقال هؤلاء عشرون رجالا لا يجوز أن يقال هؤلاء عشرون نفرا

والجهة الاخرى أنهم دلوا بقولهم هؤلاء عشرون نفرا على أن النفر يقع على العشرين وأخواتها من ألفاظ العقود ، والواقع أنه لم يسمع عن العرب استعمال النفر فيما زاد على عشرة كما في قول صاحب المصباح •

٥٨١ ويقولون : بقاء الامة رهن ببقاء أخلاقها ، وهذا غير سليم لأنهم جعلوا الأمة شيئا واحدا هو الأخلاق فان بقيت بقيت الامة وأن فنيت فنيت الامة على أثرها

إذا أخذ يزمه ويشتمه ويوجه اليه كثيرا من اللوم فهو رجل متولع بعرضه يدق فيه •

ولاصلاح تعبيرهم ليؤدي المعنى الذى يبتغونه ينبغى أن يقال : أشعل الخادم المصباح اشعالا ، أو أوقدره ايقادا ، أو استوقده استيقادا ، أو أضاءه اضاءة ، أو أناره انارة ، أو نوره تنويرا ، ويقال صلى الفجر فى التنوير •

٥٨٣ ويقولون : انصاع الولد لرأى أبيه ، والخادم ينصاع دائما لامر مخدومه ، وهذا خطأ والصواب أن يؤدي هذا المعنى بأحد التعبيرات التالية •

١ - انقاد الولد لرأى أبيه •
والخادم ينقاد دائما لأمر مخدومه
٢ - خضع الولد لرأى أبيه ،
والخادم يخضع دائما لأمر مخدومه •

٣ - أطاع الولد رأى أبيه ،
والخادم يطيع دائما أمر مخدومه •
أما الانصياع فلا علاقة له بالمعنى الثلاثة السابقة ولا بأمثالها •
وانما معناه الانصراف والتفرق وهذا المعنى مأخوذ من قولك :

وقد وصف الله سبحانه الخلق بالعظم فى قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم :

« وانك لطفى خلق عظيم »
ووصفه الرسول بالحسن فى قوله « ليس أثقل فى الميزان من حسن الخلق » •

٥٨٢ ويقولون : ولع الخادم المصباح توليعا ، يعنون أنه أناره •
فهو مصباح مولع وهذا خطأ ، لأن التوليع معناه استتالة البلق بالتحريك ، اذ يقال : هذا ثور مولع اذا كان به سواد وبياض وارتفاع فى التحجيل الى الفخذين ، تقول بلق الثور فهو ثور أبلق ، والبقرة بلقاء كأحمر وحمراء •

ويقال : فرس مولع وفى لونه توليع أى بلق ، ورجل مولع أى به لمع من برص ، وولع الله وجهه فلان أى برصه قال رؤبة :

كأنه فى الجلد توليع البهق
والبهق بالتحريك شبيهه بالبلق
فهو بياض رقيق بظاهر البشرة يحدث لسوء مزاج العضو ، وهو أيضا غلبة البلغم على الدم
ويقال : تولع الرجل بخادمه

ضيقة حرجا كأنما يصعد في السماء •

وأما أصعد المزيد بالهمز فلا يتعدى الا بفى ، تقول أصعد الفلاح في الأرض اذا مضى وسار ، أو ذهب يستقبل أرضا أرفع من الأخرى ، وأصعد في الوادى اذا انحدر تصعد المضعف وقد يكون لازما كما في قوله سبحانه « **اذ تصعدون ولا تلوون على أحد** » •

والتصعد والتصاعد يتعدى فعل كل منهما بنفسه تقول تصعدنى العمل وتصاعدنى اذا شق عليك والصعيد التراب الطاهر ومنه قوله تعالى « **فتيمموا صعيدا طيبا** » وكذلك هو وجه الأرض لقوله « **ويرسل عليها حسبانا (٤) من السماء فتصبح صعيدا زلقا** » ، والصعيد أيضا الطريق جمعه صعد وصعدت بضميتين في كل منهما ، وفي الحديث « **اياكم والجلوس بالصعدات** ، والصعود بفتح الصاد

صعت الحارس ، أصبعه من باب باع (١) اذا صرفته وفرقته عنك فانصاع أى انصرف عنك ، وانقتل راجعا مسرعا ، ومنه قول العجاج : فانصاع مذعورا وما تصدفا (٢) • كالبرق يحتار أميلا (٣) أعرفا ٥٨٤ : ويقولون صعد الخطيب على المنبر ، وصعد الولد على السطح ، فيعدون الفعل خطأ بعلی والصحيح تعديته اما بنفسه واما بانى ، فيقال صعد الخطيب المنبر أو الى المنبر ، وصعد الولد السطح أو الى السطح ، ومما تعدى بالى ماجاء في قوله جل شأنه « **اليه يصعد الكلم الطيب** » • وقد يتعدى بفى كما في قولك : صعدت في السلم وفي الدرج أصعد صعودا • وأما صعد المضعف فانه يتعدى بفى ، وبعلى فيقال : صعد الصياد في الجبل أو على الجبل تصعيدا اذ رقيه وعلاه ومن هذا قوله تعالى : « **ومن يرد أن يضله يجعل صدره**

١ - من باب باع : ومن باب قال ، لان الفعل يائى واوى •

٢ - تصدق : أعرض •

٣ - الأميل : حبل من الرمل مرتفع جمعه أمل ككتب •

٤ - الحسبان بالضم : العذاب والبلاء والشر ، واحدته حسبانته بالهاء

المسرة على مساوىء بالهمزة في الآخر ، والمساءة أصلها مسوأة وزان مرحمة ، قلبت الواو المفتوحة ألفا ، ولهذا ترد الواو في الجمع وعلى الرغم من أن هذا هو الجمع القياسي فلم تنطق به العرب مهموزا ، وإنما استعملته مخففا فقالت : بدت مساوى فلان أى ظهرت عيوبه ونقائصه ، والخيال تجرى على مساويها أى وإن كان بها عيوب فإن كرمها يحملها على السير السريع كما يجمعون المساء وهو ضد الصباح على أمسية بفتح الهمزة وتخفيف الياء محتجين بأن ذلك هو القياس، إذ أن أفعله يطرد في كل اسم مذكر رباعى قبل آخره مد كبناء وأبنية ، وقباء وأقبية ، ورداء وأردية •

ولكن العرب لم تجمعها الا على أمسية بضم الهمزة وتشديد الياء • تقول : أزور صديقى أمسية كل يوم ، واجتمع الباحثون في الشؤون الأدبية أمسية الايام الخمسة الماضية •

العقبة الكئود (١) والمشقة في الامر ومنه قوله سبحانه «سأرهقه صعودا» والصعد يفتحان العذاب الشديد ومنه قوله تعالى «ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا» •

٥٨٥ ويعتقدون — خطأ — أن الطرب خاص بالفرح والسرور ، والأمر ليس كذلك ففى كل مراجع اللغة : الطرب الفرح والحزن ، أو هو خفة تلحقك تسرك أو تحزنك وتخصيصه بالفرح وهم ، قال النابغة الجعدي •

وأرانى طربا فى اثرهم
طرب الواله أو كالمختبل
وقال آخر : يقولون لقد بكيت فقات كلا وهل يبكى من الطرب الجليد ؟

ويقال لمن كان فرحا أو حزينا مطراب ، ومطرابة بكسرهما ، وطروب بفتح الطاء ، وطرب بفتح فكسر ، وقوم طراب بكسر الطاء ومطاريب أيضا •

٥٨٦ ويجمعون المساء وهى ضد

(١) الكئود الصعبة كالكداء •

٥٨٧ الأصل في اسم الفاعل من الثلاثي أن يكون بزنة فاعل كراكب، وشاكر ، وأن يكون بزنة تفعل اذا كان من أفعال الرباعي كمحسن ، ومخرج •

وقد يأتي اسم الفاعل من أفعال الرباعي على فعول بفتح الفاء ، أو على فعل بضميتين أو على أفعل كحال فعله •

فمن الأول قولك أنتجت الفرس اذا حان وقت نتاجها ، أو استبان حملها فهي نتوج بالفتح ولا يقال منتجة •

بضميتين ولا يقال مجنب ، وكلمة جنب تصلح للمؤنث والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا ، فيقال : هو وهي وهما ، وهم ، وهن جنب ، وقد يقال : هما جنبان ، وهم وهن أجنب ، ولكنه لا يقال : هي جنبه •

ومن الثالث قولك أرمل الرجل اذا نفد زاده واقتقر ، وكنا اذا لم يكن له زوج فهو أرمل ، ويقال أرملت المرأة اذا كانت فقيرة وليس لها زوج فهي أرملة والجمع لهما أرامل وشاب الرجل اذا ابيض شعره فهو أشيب قليلا ، ولا يقال للأنثى شياء •

عباس أبو السعود

ومن الثاني قولك أجنب الرجل من الجنباة المعروفة فهو جنب

قصيدة شعر

بالجسم .. والروح

للمؤلف الربيع الفزالي

على جناح الهوى قيسى وليلاه
 ما كان الا الهوى أنسى ومعناه
 أنا المحب .. وحبي ليس يبلغه
 الا الأولى نهلوا من عذب سقياه
 أنا المحب .. وروحي فيك هائمة
 ترقى اليك على الآمال دنياه
 حبي هو الحب .. فوق الشمس منبعه
 وعند عرش ملك الحب مرقاه
 أهواه .. لا الوصل دان لي فأطلبه
 ولا الصدود ملك الحب يرضاه
 قلبي هو الكون .. ما دام الغرام به
 هو الحياة على نهج سلكناه
 لقد رقيت به .. حتى تجرد بي
 عن كل معنى من الأوهام آباه
 قد أشرق الحب في قلبي .. فصار ضحي
 وأشرق الحق في عقلي .. فأحياه
 وللحياة وللنور الذي انبثقت
 عنه الحياة بسر شاء الله

معنى من الحب يسرى في جوانحننا
 نرقى السماء به اما وعيناها
 بالحب قد كانت الأكوان أجمعها
 للكاف والنون سر في طواياها
 في قطرة النور أسرار قد اتحدت
 فكان للماء منه سر محياها
 ومنه ما كان من حى ومن جمده
 ومن أثير ٠٠٠ وقد كانت براياها
 الكهـرباء لها سر ٠٠ نصرفه
 بالعلم ٠٠ فيما نرى ٠٠ لكن جهلنا
 فأى سر وراء السر ندركه
 اذا جهلنا معانى ما عرفناه
 يا للظواهر ٠٠ فى أسرارها عجب
 أمر من الأمر ٠٠ لا ندرى خفاياها
 والروح ٠٠ ما سرها ٠٠ نحيا بها عمرا
 ولا نرى سرها فينا ٠٠٠ ومغزاها
 والعقل ٠٠ ما العقل ٠٠ سر ليس تدركه
 احاطة العقل ٠٠ ضل العقل فحواه
 ما وقدة الفكر ٠٠ ما التفكير ٠٠ ما شعل
 يضى فيها ٠٠ ومن بالنور أذكاه
 والعين ٠٠ ما مقلة فيها ٠٠ وما عصب
 به نرى ما نراه فى مراياها
 والقلب ٠٠ والدم ٠٠ والاحشاء ٠٠ أجهزة
 تصرف الامر فينا ٠٠ ما أدرناه
 وما الحياة التى فينا تدور ٠٠ ترى
 أنحن نملك منها ما ملكتها

والنفس .. وهى مدار الأمر .. تملكها
 أم نحن نملكها .. والمالك الله
 النفس .. وهى مدار الأمر .. أين نرى
 مكانها .. وهى شئ ما رأيناها
 وما الجزىء .. وما ذراته اتخذت
 الى الوجود سبيلا ما دريناها
 وما الزمان .. وما هذا المكان .. وما
 ذاك الفضاء مداه قد ضللتنا
 وما النواميس .. من قد شاءها أزلا
 ومن اذا قال : كن .. للشئ .. سواء
 ومن اذا قالها صارت الى عدم
 ومن يصرفها ما شاء الام
 الله سبحانه .. الله .. الله
 الله سبحانه .. الله .. الله
 والله ان شاء للناموس خارقة
 أو شاء تعطيله .. أصغت براهيه
 آياته .. هو يمحوها .. ويبدعها
 ولا معقب فيما شاء الله
 هل كان ما كان فى الاسراء يعجزه
 أو كان ما كان فى المعراج .. حاشاه
 ما للفضاء على أبعاده أثر
 ولا الزمان .. له حد وبعده
 ولا المكان على أماده فسحته
 ولا مدارك عقل ضل مأتاه
 وقطرة النور .. لو شفت لما جمدت
 ولا استحال على أمر تلقاه

فكيف بالنور في جسم امرئ كتبت
 له العناية أمرا جل معناه
 محمد .. وهو نور الله صوره
 وشق من نوره أنوار دنياه
 قد شف نور رسول الله حين سرى
 وحين أصدده للعرش مولاه
 شق البراق به الآفاق منطلقا
 في ومضة البرق .. عين الله ترعاه
 وجاء للمسجد الأقصى .. فباركه
 وبارك الله في الآفاق مسراه
 الأنبياء به جمع .. يؤمهمو
 محمد .. ولجمع الصف مغزاه
 الكل تحت لواء واحد شهدوا
 في وحدة الدين أن الواحد الله
 وفي السماء علا معراجہ صعدا
 وللنواميس اذعان لمرقاہ
 بالجسم والروح قد أسرى به ... ومضى
 به اليه .. على معراجہ .. الله
 في سرعة الضوء .. أو أضعافها .. انطلقت
 بطاقة النور فيه روح مولاه
 وسدرة المنتهى .. والآي .. كاشفة
 أسرارها .. رؤية في سر رؤياه
 والله يمنحه ما شاء من كرم
 والله ما شاء يعطيه ويرعاه
 الله حيا الذي من نوره انبثقت
 عناصر الخلق فيه حين سواه

وعنه قد كان هذا الخلق أجمعه
نورا تجسد خلقا في هيولاه
وعنه سوف يكون النور عارفة
من الهداية للأيام تلقاه
دين هو الدين .. يهدي من يشاء به
ومن يضل .. فما في النور أعماه
الله حيا رسول الله حين سرى
وحيين صار إليه بعد مسراه
ضييفا على الله .. مدعوا لسدته
الله كرمه ضيفا .. وحياه
وياله شرفا ... ما بعده شرف
للعباد يدنو الى ساحات مولاه
صلى عليه .. فصلى وهو مبتهل
الله .. في غمرة الأنوار مجلاه
ألقى إليه اله العرش منحته
هذى الصلاة .. على أمر تلقاه
وعاد للأرض .. يهدي الأرض شرعته
فريضة الله .. في يمناه يمناه
ما كلف الله جبريل الأمين بها
وحيا .. على ما سواها قد عهدناه
هدية الله للدنيا .. بها صلة
إليه .. حين تناجيه وترعاه
الله أكبر .. فيها .. عز قائلها
على تقاة .. لرب الناس تقواه
هي الصلاة .. بها نرقى لسدته
قلبا وروحا .. ومراجا رقبناه

في هذه الليلة الغراء .. نذكرها
 عيد الصلاة بها .. انا بلغناه
 يا ليتنا .. ليتنا يارب نفهمها
 ونلتقى بك فيها عند لقياء
 عيد النبي .. وقد أكرمه كرما
 ما ان يدانيه لا ملك ولا جاء
 هذا اللقاء الذي ما ناله رسل
 ولا ملائكة .. قد جل معناه
 هي الصلاة الهى .. قربة .. وعلا
 وصلة بك .. عبدا جاء مولاه
 منك الصلاة الهى .. والثناء .. على
 من أنت بالوصل قد أكرمت مثواه
 محمد .. وهو نور الله * أرسله
 رب البرية نورا .. فى براياه
 يارب ... انا على عهد .. نقيم به
 اليك أوجهنا .. فى الدين .. رباه
 يا رب .. انا على الاسلام قد خشعت
 منا الوجوه .. على ما أنت ترضاه
 المسلم الحق من بالدين عز على
 كل الورى .. وتعالى عن دنياه
 ومن يلين جناحا .. وهو ذو غلب
 للمسلمين .. وأعلى شأنه الله

الربيع الغزالي

حكم .. وطرائف

إعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« عباد الرحمن »

سئل الجنيد — رضى الله عنه —
عن عباد الرحمن من هم ؟
فقال : هم الذين طاعة الله
حلاوتهم ، والفقر كرامتهم ، وترك
الدنيا لذتهم ، وإلى الله حاجتهم ،
والتقوى زادهم ، ومع الله
تجارتهم ، وعليه اعتمادهم ، وبه
أنسهم ، وعليه توكلهم ، والجوع
طعامهم ، وحسن الخلق لباسهم ،
والسخاء حرفتهم ، والعلم قائدهم
وانصبر سائقهم ، والهدى مركبهم
والقرآن حديثهم ، والشكر
زينتهم ، والذكر همتهم ، والرضا
راحتهم ، والقناعة مالهم ، والعبادة
كسبهم ، والحياء قميصهم ،
والخوف سجيبتهم ، والنهار
عبرتهم ، والليل فكرتهم ، والحكمة

سيفهم ، والحق حارسهم ، والحياة
مرحلتهم ، والموت منزلتهم —
والنظر إلى الله — تعالى — منيتهم
— فهؤلاء عباد الرحمن ! •

« حقق له أمنيته »

وقف اللص أمام القاضى قائلاً :
ان الذنب ليس ذنبى ، لقد كنت
بدون طعام أو أصدقاء أو مأوى !
فقال القاضى : انك تثير فى
الشفقة الى حد بعيد ، وعلى هذا
فستجد الطعام والمأوى والرفاق
طوال الأشهر التسعة القادمة !

« صاحب يخزى ناما »

دفع رجل رقعة الى صاحب
ابن عباد ، يقول فيها : ان فلانا
قد مات ، وخلف مالا كثيرا ، وليس
نه من عقب الا يتيم •

فوقع صاحب على ظهر الرقعة : ان النميمة قبيحة ، وان كانت نصيحة ، أما الميت فرحمه الله !! وأما اليتيم فجبهره الله !! وأما المال فثمره الله !! وأما الساعي فلعنه الله •

« ليس بحكيم »

حاول أحمق اغتيال سقراط ، فغضب له أحد أنصاره ، وقال له : أياذن لى سقراط أن أفتك به فقال سقراط : اذا فتكت به ، قالوا : أحمق فتك بأحمق ، وحاشا لى أن أمرك بضربه ، لأنه ليس بحكيم من يأمر بالشر •

« الصدق ينجيك »

أبو يزيد البسطامي أراد الذهاب الى بغداد لطلب العلم ، فأعطته أمه أربعين دينارا هي ميراثه من أبيه ، وقالت له : ضع يدك فى يدى وعاهدنى على التزام الصدق فلا تكذب أبدا ، فعاهدها على ذلك ، وخرج مع قافلة يريد بغداد ، وفى أثناء الطريق ، خرج اللصوص ونهبوا كل مافى القافلة ورأوا البسطامى رث الثياب ، فقالوا له : هل معك شيء ؟

قال : معى أربعون دينارا ، فسخروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه ورجعوا الى كهف كان به كبير اللصوص ينتظر ما يأتون به ، فلما رآهم قال : هل أخذتم كل مافى القافلة ؟ ، قالوا : نعم ، الا رجلا سألناه عما معه ، فقال : معى أربعون دينارا فتركناه احتقارا لشأنه ، ونظن أن به خبلا فى عقله ، فقال : على به ، فلما حضر بين يديه ، قال هل معك شيء ؟ قال : نعم معى أربعون دينارا ، قال : أين هي ؟ فأخرجها وسلمها له ، فقال كبير اللصوص : أمجنون أنت يارجل ؟ كيف ترشده عن نقودك وتسلمها باختيارك ؟ فقال له : لما أردت الخروج من بلدى عاهدت أمى على الصدق ، فأنا لا انقض عهد أمى ، فقال كبير اللصوص : لاحول ولاقوة الا بالله أنت تخاف عهد أمك ، ونحن لانخاف أن نخون عهد الله ، ثم أمر برد جميع ما أخذ من القافلة ، وقال : أنا تائب على يدك يارجل ، فقال : من معه : أنت كبيرنا فى قطع الطريق ، واليوم أنت كبيرنا فى

التوبة ، تبنا جميعا الى الله ،
 وتابوا وحسنت توبتهم •
 حاتم ، وقد اجتمع الناس حول
 مواعده •

« لكل فضل زكاة »

قال الحطاب : مادمت أعمل
 وأعيش من عملي ، فأنا لا أنتظر
 منة من حاتم الطائي !!

فأكبرته ووجدته أعلى مني همة
 وكرما •

ان لكل فضل زكاة •
 فزكاة المال الصدقة على الفقير •
 وزكاة القوة المدافعة عن
 الضعيف المظلوم •

« رداء العقل »

عن سليمان — عليه السلام — :
 « ما ارتدى العبد برداء أفضل
 وأجمل من رداء العقل » : ان
 انكسر جبره ، وان صرع نعشه ،
 وان زل عمدته ، وان ذل أعزه ، وان
 اعوج أقامه ، وان عثر رفعه ، وان
 افتقر أغناه ، وان انكشف ستره ،
 وان أقام عند قوم اغتبطوا به ،
 وان غاب اشتاقوا اليه ، وان نطق
 قالوا : بليغ ، وان سكت قالوا :
 لبيب ، وان أنفق قالوا : جواد ،
 وان أمسك قالوا : مقتصد ،
 وان وعظ قالوا : ناصح ، وان
 سكت قالوا : شفيق ، وان
 أفطر قالوا : معذور ، وان صام
 قالوا : مجتهد •

وزكاة البلاغة القيام بحجة من
 عجز عن حجته •

وزكاة الجاه أن يعاد به على من
 لاجاه له •

وزكاة العلم تعليم من قصر
 علمه •

« أكرم مني »

قليل لحاتم الطائي ... هل
 رأيت من هو أعلى منك همة ؟ •

قال : نعم ، ذات يوم ذهبت
 أربعين جملا ودعوت أمراء
 العرب ، ثم مضيت الى الصحراء ،
 فلقيت رجلا حطابا في طريقه الى
 المدينة •

فقلت له : لماذا لا تذهب الى

« حضانة الولد »

تخاصم أبو الأسود الدؤلى —
واضع علم النحو — مع زوجته
على غلام لهما من أحق
بحضانتها ؟

فقالت الزوجة : للقاضى أنا أحق
بها لأننى حملته تسعة أشهر ، ثم
وضعته ، ثم أرضعته الى أن ترعرع
بين أحضانى •

فقال أبو الاسود : أيها القاضى
حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل
أن تضعه ، فان كان لها بعض الحق
فيه فلى الحق كله أو جله •

فقال القاضى : أجيبى أيتها
الزوجة على دفاع زوجك •
فقالت : لئن حمله خفا ، فقد
حملته ثقلا ، ولئن وضعه شهوة
فقد وضعته كرها •

فنظر القاضى الى أبى الأسود

الدؤلى وقال له : ادفع الى الزوجة
غلامها ودعنى من سجعك فهى أحق
بالحضانة •

« أوحش المواطن »

أوحش ما يكون ابن آدم فى
ثلاثة مواطن :

يوم ولادته ، ويوم موته ، ويوم
بعثه •

لذلك قال الله تعالى — فى
حق سيدنا يحيى — عليه السلام —
«وإسلام عليه يوم ولد ويوم يموت
ويوم يبعث حيا»

« الذكر الحسن »

قال الشاعر :

وما من كاتب الا سيفنى
ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شئ
يسرك فى القيامة أن تراه

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

باب الفوائد

الاستاذ عبد الحميد الشاذلي

ورواه البيهقي أيضا عن أبي وائل قال : « كانوا يكبرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعاً وخمسة وستة وسبعة ، فجمع عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر كل بما رأى عليه وسلم فجمعهم عمر على أربع تكبيرات » وروى ابن عبد البر في الاستذكار بإسناده « كان النبي صلى الله عليه وسلم يكبر على الجنائز أربعاً وخمسة وستة وسبعة وثمانيا حتى جاء موت النجاشي فخرج الى المصلى وصف ، وزاد : وكبر عليه أربعاً ثم ثبت النبي صلى الله عليه وسلم على أربع حتى توفاه الله » فان صح هذا فكان عمر ومن معه لم يعرفوا استقرار الأمر على

س : شاهد الناس في مصر وسمعوا عن طريق التليفزيون والراديو صلاة الجنازة على شاه ايران السابق بصورة لم يالفوها ، فنرجو القاء الضوء على كيفية صلاة الجنازة .

ج : نود أن نوضح أولاً أن صلاة الجنازة تختلف عن الصلاة المعروفة بأنها تكبيرات وأدعية من قيام .. ثم سلام .. » وقد اختلفت الروايات في عدد تكبيرات الجنازة . فأخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب أن عمر قال : « كل ذلك قد كان أربعاً وخمسة فاجتمعنا على أربع » ورواه المنذرى من وجه آخر عن سعيد ،

الأربع حتى جمعهم وتشاوروا » (١) •

وذكر ابن القيم في كتابه زاد المعاد (٢) « وكان صلى الله عليه وسلم : « يأمر باخلاص الدعاء للميت ، وكان يكبر أربع تكبيرات ، وصح عنه أنه كبر خمسا ، وكان الصحابة بعده يكبرون أربعاً وخمسا وستا ، فكبر زيد بن أرقم خمسا وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كبرها ذكره مسلم ، وكبر الامام على بن أبى طالب على سهل بن حنيف ستا ، وكان يكبر على أهل بدر ستا وعلى غيرهم من أصحابه خمسا وعلى سائر الناس أربعاً • ذكره الدارقطني ذكره سعيد بن منصور عن ابن الحكم عن ابن عيينة أنه قال : كانوا يكبرون على أهل بدر خمسا وستا وسبعاً ، وهذه آثار صحيحة فلا موجب للمنع منها • والنبي صلى

الله عليه وسلم لم يمنع مما زاد على الأربع بل فعله هو وأصحابه من بعده • • أ ه •

من أجل هذا فقد اختلفوا في عدد تكبيرات الجنابة ، فذهب الى أنها أربع لا غير جمهور من السلف والخلف منهم الفقهاء الأربعة • ورواية عن زيد بن على عليه السلام ، وذهب أكثر الهادوية الى أنه يكبر خمس تكبيرات (٣) • من هذا يظهر أن جماعة من الشيعة يذهبون الى أن عدد تكبيرات صلاة الجنابة خمس تكبيرات وقد تأولوا رواية الأربع بأن المراد بها ما عدا تكبيرة الاحرام وهو تأويل بعيد ولما كانت الصلاة التي رأيناها على شاه ايران قد أقيمت على المذهب الشيعي •

فقد رجعت الى كتاب المختصر (٤) النافع في فقه

(١) كتاب سبل السلام ص (١٠٣) الجزء الثاني •

(٢) فصل ومقصود الصلاة على الميت الدعاء ص (١٢٩) الجزء

الاول •

(٣) ص (١٠٣) الجزء الثاني من سبل السلام •

(٤) طبعة ادارة الثقافة بوزارة الاوقاف المصرية ص (٦٤ ، ٦٥)

الطبعة الثانية •

الامامية (١) باب «صلاة الجنائز»
فاقتطفت منه من أحكامها ما يأتي :
« وهي خمس تكبيرات ، بينها أربعة
أدعية ، ولا يتعين ، وأفضله أن
يكبر ويتشهد الشهادتين ، ثم يكبر
ويصلي على النبي وآله ، ثم يكبر
ويدعو للمؤمنين •
وفي الرابعة يدعو للميت ،
وينصرف بالخامسة مستغفرا •
وليست الطهارة من شرطها ،
وهي من فضلها • ولا يتباعد عن
الجنائز بما يخرج عن العادة ، ولا
يصلي على الميت الا بعد تغسيله
وتكفينه ، ولو كان عاريا جعل في
القبر وسترت عورته ثم يصلي
عليه •
ومن سننها : وقوف الامام عند
وسط الرجل وصدر المرأة ، وأن
يكون المصلي متطهرا ، حافيا ،
رافعا يديه بالتكبير كله •
داعيا للميت في الرابعة ان كان
مؤمنا ، وعليه ان كان منافقا ،
وبدعاء المستضعفين مستضعفا ،
وأن يحشره مع من يتولاه ان جهل
حاله • » انتهى •
أما صلاة الجنائز عند الفقهاء
الأربعة رضى الله عنهم فهي أربع
تكبيرات :
يرفع يديه في الأولى ولا يرفع
بعدها • ويحمد الله تعالى بعد
الأولى أو يستفتح ، ويصلي على
النبي عليه الصلاة والسلام بعد
الثانية ، ويدعو لنفسه وللميت
وللمؤمنين بعد الثالثة ، ويسلم
بعد الرابعة •
ويقول في الصبي بعد الثالثة :
اللهم اجعله لنا فرطا وذخرا ،
شافعا مشفعا • • ولا قراءة فيها ،
لقول ابن مسعود : لم يوقت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في صلاة
الجنائز قراءة ، لا فعلا ولا قولاً ،
كبر ما كبر الامام ، واختار من
أطيب الكلام ما شئت • ولو قرأ
الفاتحة بنية الدعاء لا بأس به ،
أما بنية التلاوة فمكروه •
وهذا عند أبي حنيفة ويوافقه
مالك في عدم القراءة •
أما عند الشافعي : فيقرأ

صيغة كانت في صلاة الجنازة فاننا
نثبت هنا بعد ما صح وحفظ عن
النبي صلى الله عليه وسلم من
دعاء في صلاة الجنازة :

« اللهم اغفر لحينا وميتنا ،
وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا
وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، أنت
تعلم منقلبنا ومثوانا وأنت على كل
شئ قدير ، اللهم من أحييته منا
فأحيه على الاسلام والسنة
ومن توفيته منا فتوفه عليها »
رواه أحمد والترمذي وابن ماجه
من حديث أبي هريرة وزاد منه
الموفق وأنت على كل شئ قدير
ولفظ السنة « اللهم اغفر له
وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم
نزله ، وأوسع مدخله ، واغسله
بالماء والثلج والبرد ، ونقه من
الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب
الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا
خيرا من داره ، وزوجا خيرا من
زوجه ، وأدخله الجنة ، وأعذه من
عذاب القبر وعذاب النار ، رواه
مسلم عن عون مالك أنه سمع
النبي يقول ذلك على جنازة حتى
تعنى أن يكون ذلك الميت ، وفيه

الفاتحة بعد الأولى ويصلى على
النبي صلى الله عليه وسلم بعد
الثانية ويدعو للميت بعد الثالثة
فيقول : اللهم ان هذا عبدك ..
الخ الدعاء ويقول في الرابعة اللهم
لا تحرمننا أجره ولا تفتننا بعده
واغفر لنا وله • ويسلم •
ويوافقه في وجوب قراءة الفاتحة
أحمد ويتحملها الإمام عن المأموم
عنده ، ••••• ورجح النووي انها
تجزئ قراءتها في غير الأولى من
الثانية والثالثة والرابعة وفي
المجموع ويجوز أن يجمع في
التكبيرة الثانية بين القراءة
والصلاة على النبي وفي الثالثة بين
القراءة والدعاء للميت ويجوز
اخلاء التكبيرة الأولى من القراءة •
ومن هذا العرض الموجز
للكيفيات الثلاث لصلاة الجنازة
والأحاديث الواردة بشأنها وأقوال
الصحابة وما ذهب اليه الفقهاء
نرى أنه ليس هناك خلاف كبير
بينها - وأنها كلها لها سند من
السنة أو أقوال الصحابة
وأعمالهم •

ورغم أنه يجوز الدعاء بأي

وأبدله أهلا خيرا من أهله وأدخله الجنة » وافسح له في قبره ونور له فيه « (١) •

وللشافعي رحمه الله وقد جمعه من الأخبار واستحسنه أصحابه » اللهم ان هذا عبدك وابن عبدك، خرج من روح الدنيا وسعتها ، ومحبوبه وأحباؤه فيها الى ظلمة القبر وما هو لاقيه ، كان يشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدا (صلى الله عليه وسلم) عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به ، اللهم انه نزل بك وأنت خير منزل به ، وأصبح فقيرا الى

رحمتك وأنت غنى عن عذابه ، وقد جئناك راغبين اليك شفعا له ، اللهم ان كان محسنا فزد في احسانه ، وان كان مسيئا فتجاوز عنه ، ولقه برحمتك رضاك ، وقه فتنة القبر وعذابه ، وافسح له في قبره ، وجاف الأرض عن جنبه ، ولقه برحمتك الأمن من عذابك حتى تبعته آمنا الى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين « (٢) • وفي الباب أدعية أخرى •

والله أعلم ••

عبد الحميد شاهين

(أكثروا ذكر هادم اللذات الموت ، فانكم لا تتذكرونه
في كثير الاقله ولا قليل الا كثره)

حديث صحيح

(١) من كتاب الروض المربع - شرح زاد المستقنع - مختصر المقنع -
غنى فقه امام السنة أحمد بن حنبل •
(٢) من كتاب الاقتناع ، في حل الفاظ أبى شجاع •

من أنباء العالم الإسلامي

اعداد الاستاذ فهمى عبد اللاه سيد على

ان وضع الاسلام والمسلمين في جنوب الفليبين (١) خطيرا جدا ، ومع ذلك فهناك أمل كبير في أن تكون هذه المحنة التي نزلت بأرض الجنوب الاسلامي ، نقطة انطلاق لانتصار الاسلام انتصارا حقيقيا في المنطقة ، لأن الحرب القائمة الآن وعمليات الابادة الواقعة على المسلمين ، قد هيأت جوا ملائما وأرضا خصبة للدعوة الاسلامية فقد تنبه المسلمون الى الخطر المحيط بمجتمعهم ، وأدركوا وجود المخططات التي تهدف الى محو هويتهم الاسلامية على أرض بانجسا مورو ، وعلموا ان لا ملجأ

الا الى الله ، وأنه لاسبيل للخلاص الا بالاسلام •

أخى المسلم : اخوانك المجاهدون في جنوب الفليبين يدعونك للاسهام في الجهاد القائم هناك بالتبرع لمجاهدى الفليبين ، وعلى الهيئات الاسلامية تنظيم هذه التبرعات •

« المسجد الجامع ببروكسل أحد معالم الهندسة الاسلامية في قلب العاصمة البلجيكية » •

عدد المسلمين في بلجيكا يقدر الآن بحوالى ٢٢٠ ألف مسلم ••

(١) عن صحيفة جبهة تحرير مورو الوطنية •

بين عمال وتجار وطلبة وموظفين ، مسلمين من مختلف الجنسيات ومن هنا بدأ التفكير فى انشاء المركز الاسلامى فى بروكسل ليكون مقراً يربط بين هذه الاعداد وبخاصة الجيل الجديد من الاطفال المسلمين .. ولإقامة الشعائر الدينية والتعريف بالاسلام ونشر تعاليمه فى بلجيكا .

ويحتل المركز الاسلامى فى « بروكسل » موقعا ممتازا فى قلب العاصمة البلجيكية على مقربة من المراكز والمصالح والبنوك والمتاحف فى مكان يسوده الهدوء تحيط به حديقة فسيحة .. ويعتبر أحد المعالم الهندسية المعمارية يجمع بين الطراز الاسلامى ومتطلبات الأنظمة المعمارية المعمول بها فى بلجيكا . وقد تكلفت انشاءاته خمسة ملايين دولار .. قدم الجزء الأكبر منها المغفور له المرحوم الملك فيصل ابن عبد العزيز بمناسبة زيارته بروكسل فى مايو عام ١٩٦٧ م .

ويتألف المبنى من (أربعة)

أى ما يوازى ١/ من عدد السكان هناك .. خلال السنوات الخمس الأخيرة ... صدر فى بلجيكا مرسومان ملكيان ... أصدرها الملك (بوروان) ملك بلجيكا .

اعترف المرسوم الاول بالاسلام ديناً رسمياً الى جانب الكاثوليكية . ونص المرسوم الثانى على ادخال الاسلام والتربية الاسلامية ضمن البرامج الدراسية التى تدرس فى المدارس الثانوية .. وقد جاء هذان المرسومان بعد موافقة الشعب البلجيكي .. ممثلاً فى مجلس النواب والشيوخ .. وبالإجماع . فحتى نهاية الحرب العالمية الثانية لم يكن لبلجيكا أى علاقات هامة مع العالم الاسلامى .

وبعد التطور الاقتصادى الذى عرفته بلجيكا فى الفترة الأخيرة وفد اليها آلاف من العمال المسلمين فراراً من الحكم الشيوعى .. حتى بلغ عدد الجالية المسلمة فى بلجيكا الآن ما يقرب من ٢٢٠ ألف مسلم

أكثر من ٤٠ ألف مجلد من أمهات الكتب فى أنواع الثقافة الاسلامية فى الحديث والفقه والتشريع والقصائد باللغات العربية والتركية والفارسية والأردية والألبانية لتكون عوناً للدارسين والباحثين فى العلوم والفنون الاسلامية • أما الطابق الأرضى فيضم مسجداً للصلوات الخمس ومدرسة اسلامية ذات مرحلتين ابتدائية وثانوية • تستوعب حوالى ٥٠٠ طفل من أبناء الجالية المسلمة يتلقون فيها دروس اللغة العربية والثقافة الاسلامية وتحفيظ القرآن الكريم • يقوم بهذه الدروس أساتذة من المسلمين المقيمين فى بلجيكا • وقاعة فخمة للأفراح تجرى فيها عقود الزواج طبقاً للشريعة الاسلامية للراغبين من المسلمين الذين ليست لهم متطلبات فى بلجيكا •

ويضم المسجد الجامع فى بروكسل ناديين أحدهما للشباب المسلم والآخر خاص بالسيدات المسلمات تتوافر فيهما الوسائل

أدوار واسعة الارجاء • وتضم الى جانب المسجد الجامع الذى خصص له الطابق الاعلى ويتسع لأكثر من ثلاثة آلاف مصل بالاضافة الى مصلى خاص بالسيدات المسلمات •

ويضم الطابق الاول خمس قاعات للمحاضرات يدعى الى القائنها رجال الفكر والدعوة الاسلامية لتكون فى المستقبل نواة لمعهد الدراسات الاسلامية العالية • وتستعمل هذه القاعات الآن لتنظيم محاضرات باللغة الفرنسية لتعرف البلجيكيين والأوربيين بالوجه الصحيح للإسلام ولاتاحة الفرصة لهم للوقوف على سمو تعاليم الاسلام وروعة مبادئه ، ولازالة ما قد علق بأذهانهم من جهالة بالدين الاسلامى • وسوء معرفة لتعاليمه وأصوله •

ويضم معملاً لغويا لتعليم اللغات بالطرق السمعية والبصرية وفق أحدث الاساليب، ومكتبة كبرى تضم

الفروجية مما يساعد على ربط الجميع بالمسجد وتقوية علاقتهم بالاخوة والود بينهم • ولعل في كتاب ابن بطوطة ما يثبت ذلك حيث انه ذكر الكثير من مقابلاته مع بعض المسلمين هناك •

ويضم المكتب التنفيذي للمركز الاسلامي في بروكسل والذي ينتخب أعضاؤه كل عامين • • عضوا بلجيكي مسلم هو : عبد العزيز مانجوتر وكان اسمه (لوسيان مانجوتر) قبل اسلامه وهو واحد من ٢٠٠ بلجيكي شهبوا اسلامهم على يدى امام المسجد الجامع الشيخ (محمد العلوينى) خريج جامعة الزيتونة بتونس • • خلال العامين الأخيرين •

ونص دستور كينيا الصادر فى عام ١٩٦٣ م على أن حرية الاديان مكفولة لجميع المواطنين ، وبعد حصولها على الاستقلال وافقت الحكومة على انشاء بعض المحاكم الشرعية التى تنظر فى مسائل الزواج والطلاق ، بل وافقت على أن يكون عيد الفطر عطلة رسمية فى جميع أنحاء البلاد ، وأن تقتصر أيام العطلات فى بقية الاعياد الاسلامية على المسلمين فقط •

« تحفيظ القرآن وشرح تعاليم الدين بمساجد كينيا » •

وبدأت المساجد تنتشر انتشارا كبيرا داخل جميع المدن والقرى الكينية • • وبعض هذه المساجد ألحقت بها دور لتحفيظ القرآن الكريم وشرح تعاليم الدين الاسلامى ثم أنشئ بعد ذلك العديد من المدارس والمعاهد الاسلامية ومنها معهد مدينة ماجوكوس والمدرسة الاسلامية فى محباسا •

انتشر الدين الاسلامى فى كينيا فى بداية الاسلام ومع عصر الخلافة الأموية وخاصة فى عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان بدأ كثير من المسلمين فى الهجرة من سوريا الى مقاطعة لامو التى تقع بمنطقة الساحل ولا تزال بعض آثارهم موجودة حتى الآن •

وبعد حصول كينيا على الاستقلال
انتشرت الدعوة لاقامة هيئة
اسلامية تتولى الدفاع عن المسلمين
هناك الأمر الذى ترتب عليه
فى النهاية الموافقة على انشاء
المجلس الأعلى للمسلمين •

« مؤتمر المساجد بالولايات المتحدة
الامريكية (١) »

الغزو السوفيتى بمثابة اعلان
الحرب على كل البلاد الاسلامية ،
كما دعا مجلس المساجد كل البلاد
الاسلامية والجاليات الاسلامية
فى امريكا الشمالية ، وفى العالم
أجمع للتبرع بسخاء فى سبيل دعم
المجاهدين المسلمين الأفغان •

٣ - ولقد أكد مجلس المساجد
بالولايات المتحدة أهمية الصلاة
بالنسبة للمسلمين ، ومدى حقهم
بالتمتع بالحرية الدينية ، وناشد
البلاد الإسلامية فى العالم
لتخصيص منح دراسية للطلاب
المسلمين فى أمريكا ، لدراسة الدين
الاسلامى فى المعاهد والجامعات
الدينية الاسلامية ، بحيث يرجعوا
الى قومهم مزودين بالثقافة
الاسلامية والتربية الدينية ،
فيؤدوا واجبهم تجاه الجاليات
الاسلامية فى امريكا (وما كان
المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من

خلال المؤتمر الذى عقده مجلس
المساجد بالولايات المتحدة
الامريكية مع مطلع العام الحالى
تم التوصل الى القرارات التالية :

١ - دعوة جميع البلاد
الاسلامية المنتشرة فى بلاد العالم
الى اعتبار تحرير مدينة القدس
وفلسطين المحتلة واجب دينى
مقدس ، يقع على عاتق المسلمين •

٢ - استنكار العدوان الذى
قام به الاتحاد السوفيتى على
جمهورية أفغانستان ، واعتبار

كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) • عقدوا اجتماعا تدارسوا فيه موضوع انشاء المركز الاسلامى والجامع الاسلامى فى أثينا •

« رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية فى اليونان يبحثون اقامة مركز اسلامى فى أثينا - اليونان » • كما أنه عقد اجتماع آخر مماثل فى هولندا لدراسة مشروع مماثل ، وقد رحبت الحكومة اليونانية بهذه الخطوة •

ان رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية ، فى أثينا ، اليونان ، قد

فهى عبد الله سيد على

كتاب الشهر :

تحديد النسل والتنمية الاقتصادية

للكنور روف شلبي

* «والأرض مددناها وألقينا فيها
رواسي وأنبتنا فيها من كل
شئ موزون

* وجعلنا لكم فيها معايش ومن
لستم له برازقين

* وان من شئ الا عندنا خزائنه
وما ننزله الا بقدر معلوم » •

١٩ - ٢١ الحجر

تجتاح الأمة العربية والأمة
الاسلامية موجة « عارمة » من
الدعاية لتحديد النسل وقد تتطور
هذه الموجة من دعوة للإصلاح الى
واجب قومى يجعل فى مستوى
رفيع من مستويات أهداف الدولة
العليا ، ومن يدرى لعل هذا التطور
ربما يصل الى درجة التجريم أو
الخيانة العظمى ، فقد خرجت
أصوات تنادى بعقاب من يزيد فى
نسله عن ثلاثة كحد أعلى •

ولقد انجرف فى هذا التيار
جماعة من بعض العلماء وشقشقوا
ألفاظهم جريا وراء براعة عليا فى
صياغة الفتوى ، أو مظنة أنهم

يحاولون الهرب من المسؤولية
الدينية التى استقرت فى سويداء
قلوبهم كعلماء مسئولين عن الحق
والعدل الدينى فقالوا انه تنظيم
للنسل وليس تحديدا ••• !!

ومن المعلوم والمعروف أن دعوة
تحديد النسل أو تنظيم النسل
مرض خبيث نقل من الفكر
الأوربى الذى يسيطر عليه :
الدهاء الصهيونى ، والحقده
الصليبي وأصبح الوطن العربى
والاسلامى مريضا بهذا الداء
الوبيل الذى غلف فى ثوب اقتصادى
مستغلا الظروف الاستثنائية فى
الوطن العربى والاسلامى ، والتى
هى من أفعاله ومكره واستعمار
الطويل وكراهيته للعرب والاسلام
ومادام الغرب الصهيونى
الصليبي يحتذى خلف سائر
اقتصادى فى نشر ميكروب تحديد
النسل فانه لمن أيسر السبل وأقصر
الطرق أن نعالج قضية ارتباط
التتمة الاقتصادية : صناعة أو
زراعة أو تجارة بالقوى البشرية
زيادة أو نقصا من خلال الظواهر

الخامس والسابع الميلادى حيث شاهدت أوروبا هجرة واسعة استفادت البلاد منها اقتصاديا حيث استغلت الأراضى فى الزراعة ونشطت الصناعة فلولاً زيادة عدد السكان عن طريق الهجرة ما تم لأوروبا استغلال أراضيها المعطلة بدليل أن :

المرحلة الثانية : كانت مرحلة توقف فى العمل الاقتصادى بسبب الاضطرابات التى اجتاحت أوروبا من جراء الحروب الاسلاميه فى القرن السابع الميلادى التى وجهت الى بلاد أوروبا فراحوا يدافعون عن بلادهم أو يهربون من مواطنهم خوفاً من الحرب •

المرحلة الثالثة : فلما ضعف المسلمون وصار أمرهم فى القرن الحادى عشر الى الرابع عشر تحت سيطرة الحروب الصليبية تقدم الاقتصادى الأوروبى فاستصلحت مساحات واسعة من الاراضى البور ، واتسعت التجارة ، حتى بلغ ذروته فى الفترة من ١١٥٠ م الى ١٣٥٠ م •

التاريخية التى يحتفظ بها تاريخ أوروبا الاقتصادى •

ثم نوضح فى ايجاز موجز عوامل الفقر فى العالم العربى والاسلامى •

ثم نقرر الحكم الشرعى فى قضية تحديد النسل أو تنظيمه من خلال النصوص الرئيسية للشريعة وهى : القرآن الكريم والسنة المطهرة •

أولا : حاجة التنمية الى الايدى العاملة •

* فى حكاية تاريخ أوروبا الاقتصادى ظواهر واضحة تدل على أن الايدى العاملة هى عصب التنمية الاقتصادية • فعندما قسم العلماء مراحل التطور الاقتصادى الاوروبى فى العصور الوسطى قالوا :

يمكن تقسيم التطور الاقتصادى فى العصور الوسطى الاوربية الى أربع مراحل :

المرحلة الاولى : بين القرنين

المرحلة الرابعة : لكن لما قلت الأيدي العاملة بسبب انتشار وباء الطاعون الأسود ، وكثرت الحروب أواخر القرن الرابع عشر انكمشت التنمية وارتفعت الأجور وكثرت الضرائب ، ففشلت المجاعات .

فالاقتصاديون في تأريخهم لاقتصاد أوروبا في مرحلة القرون الوسطى يعلنون ظاهرة بيئية في التنمية الاقتصادية هي : أن الأيدي العاملة هي العصب الأصيل في النمو الاقتصادي طردا وعكسا .

* ولم تتغير هذه الظاهرة في مرحلتى التطور الاقتصادي وأعنى بهما :

— مرحلة التجهيز ١٤٥٠ —
١٧٥٠ م

— مرحلة التقدم ١٧٥٠ — الى
اليوم .

وتتميز مرحلة التجهيز الاوربي بكفاح الجماعة الأوروبية للكشف عن أسرار الطبيعة والبحث عن

الوسائل التى تكفل الافادة منها ، ومن هنا نتج مايسمى بكفاح الفرد وكفاح الدولة ضد الاقطاع والكنيسة وحكومة المدينة ، فاندفع النشاط الاقتصادي فى أوربا قدما الى الامام بفضل نشاط الأفراد وحماية الدولة وبفضل :

١ — زيادة عدد السكان .

ب — الكشف الجغرافية التى فتحت آفاقا جديدة للتجارة والعمل .

ج — والتوسع الاستعماري الذى أضاف وسائل للانتاج .

د — قيام الدولة القومية التى تنافست فى مجال الكشف الجغرافية لمزيد من الاتساع فى رقعة العمل الاقتصادي ومزيد من الاستعمار لبلاد اسلامية .

ولهذا يقول الاقتصاديون المؤرخون لهذه المرحلة :

حقا لقد استمرت الزراعة حتى القرن التاسع عشر هى الاساس الذى يقوم عليه الاقتصاد الأوربي

دول يحكمها ملك يوجه سياسة الدولة واقتصادياتها ، وكان ذلك التحول حسب الظروف التي تعيشها كل دولة ، ولقد كانت إنجلترا أسبق الدول في تأسيس الدولة القومية ، ولذلك كانت أكثر انتشارا في المستعمرات ولهذا الاتجاه : اتجاه تأسيس الدولة القومية التي تسعى الى تحقيق القوى المادية بتوفير الثروة عن طريق السياسة التجارية فانها لم تجد لذلك سبيلا
 الا بالعمل على زيادة السكان •

يقول الكاتبون في اقتصاد أوروبا:
 تطلعت الدولة القومية الحديثة لتحقيق سيادتها الى زيادة القوى المادية ، والقوى البشرية :
 * فالقوى المادية أرادت أن تحققها بتوفير الثروة عن طريق السياسة التجارية •

* أما زيادة القوى البشرية فيكون بتشجيع زيادة السكان بالزواج المبكر ومنح الاعانات لتكثير النسل حتى تتوافر الأيدي العاملة فيزداد الانتاج ويجند العدد اللازم للجيش •

ولكن الصناعة قد تنوعت وازدهرت ولبت مقتضيات الحياة الجديدة ، وسدت حاجة الاسواق الغنامية في أوروبا ، وكسبت لها أسواقا جديدة في خارج أوروبا : في آسيا وفي أمريكا حاملة منها في الوقت نفسه ما تحتاج اليه من المواد الأولية وعلى هذا النحو ازدهرت التجارة واتسع نطاقها فكان ذلك من أهم مظاهر التطور الاقتصادي الحديث في أوروبا •

وخرجت أوروبا من عزلتها وتسابق الأوروبيون لامتلاك المستعمرات وتكوين الامبراطوريات وحرصت دول أوروبا على أن تهيمن على هذا النشاط الاقتصادي لتتخذها وسيلة لتزويدها بالقوة المادية التي تكفل لها التغلب على الدول الاخرى فقد كان العصر عصر منافسة وصراع بين الدول •

ولهذا نجد أوروبا تتجه الى بناء الدولة القومية لمواكبة النهضة الاقتصادية فتحوّلت إنجلترا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وهولندا من نظام الاقطاع الى

ان أهم مقومات التجهيز
الأوربي لبناء الدولة القومية عدة
عوامل منها :

١ - التوسع الأوربي عن طريق
الحروب الصليبية ، والكشف
الجغرافية •

ب السياسة التجارية التي تنظم
أراضي الدولة كلها تحت حكم ملك
واحد ، والعمل على زيادة إيرادات
الدولة بتدخلها في أمور التجارة
لتحتفظ لها بنصيب من أرباح
الذهب والفضة •

ج - الاكتفاء الذاتي •

ء - الصناعة •

هـ - المناجم •

و - الزراعة •

ز - التجارة •

ح - القوة البحرية •

ط - المستعمرات •

ي - زيادة السكان •

فقد رأى الاقتصاديون أن كل
المقومات في حاجة الى عدد كبير من
السكان فالفرد عدة العمل في الحقل
وفي المنجم وفي المصنع وفي البأخرة

ويقول الكاتبون في اقتصاد
أوربا كتعليق على نتائج هذه
المرحلة : « وقد قابل ازدياد
السكان ، واتساع الاسواق
التجارية وكشف بقاع جديدة بها
مصادر متنوعة للثروة الطبيعية
فتطلع هؤلاء - في ظل الأحداث
الجديدة - الى الهجرة الى ما وراء
البحار سعياً وراء العمل والانتاج
وكان هؤلاء المهاجرون عوناً لدولهم
من الناحيتين السياسية
والاقتصادية •

✽ ونقول : ان مرحلة الاقتصاد
الأوربي في دور التجهيز احتاجت
الى الايدى العاملة مثل بدء
الاقتصاد الأوربي في مرحلة ما قبل
القرون الوسطى من أجل :

أ - استغلال الأراضي •

ب - اكتشاف الموارد الطبيعية

ج - بناء الدولة القومية

الحديثة •

د - تطور الصناعات •

هـ - الكشف الجغرافية •

يقول الاقتصاديون في ايجازهم
لمقومات مرحلة التجهيز الأوربي :

القومية تثق في الأجانب كقوى مساعدة للتنمية فقد شاع الاعتقاد أن الأجانب دائماً يعملون لمصلحة بلادهم وأنهم لا يمارسون نشاطهم داخل البلاد التي يقيمون فيها الأريثما يجمعون المال ، ثم يعودون الى وطنهم ومعهم الذي جمعه مما يؤدي الى تسرب النقد الى الخارج .

❖ ولا يقل الفيزيوقراط : الطبيعيون في الدعوة الى كثرة النسل عن خصومهم التجاريين لأنهم يدعون الى حرية العمل والانتاج والاستهلاك والغناء الضرائب الجمركية . وبهذا يبدأ في تاريخ الاقتصاد الأوربي مراحل جديدة للتطور الاقتصادي :

الأولى : من ١٧٧٩ — ١٨٤٨ م
برز فيها مبدأ الاقتصاد الحر بفضل الثورة الصناعية والسياسية .

والثانية : من ١٨٤٨ — ١٨٧٠ م
برز فيها انتشار القومية والنظم البرلمانية .

وفي القطر فلن تستقيم سياسة انتاجية في الزراعة أو الصناعة أو التعدين الا بوفرة السكان وتنظيم جهودهم والأمة تحتاج اليهم في تكوين الجيوش وبناء الأساطيل وتعمير المستعمرات ولهذا تحرص الدولة على زيادة عدد سكانها بالتشجيع على زيادة النسل برصد الاعانات والمكافآت حتى يتوافر للدولة مزيد من سواعد أبنائها وينخفض أجر العمل فتقل تكاليف الانتاج ويستطيع العامل أن يحظى بحاجته من الغذاء والكساء بأسعار رخيصة تتناسب وأجره ويستطيع الصانع أن يشتري المواد الأولية اللازمة لصناعته بأسعار معتدلة فيقل سعر التكلفة ويمكن تصديرها الى الاسواق الخارجية بأثمان معتدلة تمكثها من منافسة مثيلاتها من السلع الاجنبية أما قلة عدد السكان فيصعبه — في رأى التجاريين — ارتفاع اثمان الحاجات وانكماش التجارة وقلة حصيلة الدولة من المعادن النفيسة وهبوط الدخل القومي .

ولهذا السبب لم تعد الدولة

وكذلك كانت نتيجة انتشار الطاعون الذى قضى على ثلث سكان أوروبا ما بين عام ١٣٦٠ - ١٤٠٠ م

وهذا كله أدى الى نقص الأيدي العاملة فى الزراعة :

ولذا فان كتاب التاريخ الاقتصادى الاوروبى عندما يتحدثون عن الثورة الزراعية يدرسون من عواملها : مشكلة المحافظة على خصوبة الأرض ومشكلة الصرف ثم مشكلة الأيدي العاملة فيقولون فيها :

ومن المشكلات التى واجهتها الأرض والزراعة فى أوروبا مشكلة الأيدي العاملة المشتغلة بالفلاحة ، فان نمو الصناعة واتساع المدن ومغرياتها وزيادة أجور عمال الصناعة على أجور عمال الزراعة كل هذا قد أغرى عددا كبيرا من أهل الريف على الهجرة الى المدن فكان لزاما على أصحاب الأراضي أن يواجهوا النقص الكبير فى الأيدي العاملة فى الريف باستخدام آلات للحراث والرى •

وعلى العكس من ذلك يتحدث

والثالثة : من ١٨٧٠ - ١٩١٤ م تأسست الامبراطورية الألمانية التى صارت قدوة فى الاقتصاد لباقي دول أوروبا •

ولا ينفك عامل زيادة السكان عن ارتباطه بالتنمية الاقتصادية طردا وعكسا ومن أمثلة ذلك :

أ - فى الزراعة :

كانت الزراعة هى العنصر الأساسى الذى قامت عليه اقتصاديات أوروبا قديما ، وكان أكثر الأوربيين يقيمون فى القرى ويعملون فى الزراعة فقد كان ٩٠٪ من سكان انجلترا يعملون فى الزراعة أو الرعى أو الصيد مما يدل على تحكم الريف فى ثروة البلاد القومية ، لكن الزراعة التى تعتمد على زيادة السكان قد انهارت بسبب الحروب الأهلية فى انجلترا التى عرفت بحرب الموردين فى القرن الثانى عشر ، ومثل الحروب بين انجلترا وفرنسا التى سميت بحرب المائة عام من ١٣٣٧ - الى ١٤٥٣ وبسبب قلة السكان التى كانت نتيجة الحروب

ازدياد عدد السكان عبثا وانما كان عامل تخفيف للورطة التي أصابت انجلترا عام ١٨١٥ • ولم تضطر انجلترا لكثرة سكانها الى جلب عمال من الخارج مثلما فعلت فرنسا عام ١٩١٣ حيث كان النقص في الأيدي العاملة سيئا فاستوردت عمالا من جنسيات مختلفة ففي عام ١٩٢٩ م كان من بين كل ٢٠ من الأيدي العاملة في الزراعة واحد من جنسية أجنبية •

ب - في الصناعة :

إذا كانت الظواهر الاقتصادية في عالم الزراعة تعطينا فكرة أساسية عن ارتباط التنمية بزيادة السكان طردا وعكسا ، فان هذا المفهوم يكاد يكون مقلوبا الى حد ما في عالم الصناعة ذلك أن الصناعة في أوروبا أول فجرها كانت تكفى حاجات الانسان ولا تزيد الا بمقدار ضئيل •

فلما كانت الكشوف الجغرافية ، والحروب الصليبية واتسعت رقعة المستعمرات في آسيا وأفريقيا وأمريكا ، اتسع تبعا لذلك نطاق السوق الشرائية لا سيما بعد أن

كاتبوا الاقتصاد الاوربي عن الزراعة في بريطانيا فيقولون : أصاب الاقتصاد البريطاني انتعاش كبير في الفترة السابقة التي دعونها فترة التجهيز الاوربي ١٤٥٠ - ١٧٥٠م فقد تضاعف عدد السكان وانتشرت المحصولات الزراعية التي تستخدم للتجارة فأصبح لدى انجلترا فائض من القمح تصدره الى أوروبا • والنتيجة لهذه الظاهرة :

أن الزراعة تتأثر طردا وعكسا بالقوى العاملة فاذا ما توفرت الأيدي العاملة انتعشت الزراعة ودرت خيرا كثيرا واذا ما قلت الأيدي العاملة تعطلت الأرض وفسدت وقل المحصول وعمت المجاعات •

وبصورة جلية عن الزراعة في بريطانيا في الفترة من ١٧٥٠ - ١٩٥٠ - يقول الكاتبون :

ان الاطراد في زيادة السكان كان المخفف من ضيق اهمال الأراضي وتركها نتيجة الحرب وهبوط ثمن البوشل من القمح المحلى عن ١٠ شلن فلم يكن

أحدهما قاض والآخر قسيس
للاشراف على تنفيذ القانون في
المصانع ، ثم صدر عام ١٨١٩ م
قانون يحرم استخدام الاطفال في
المصانع ، وحرم أن يشتغل العامل
أكثر من ١٢ ساعة في اليوم ، ولم
يقبل اصحاب المصانع بهذه
القوانين فحدثت مشكلات أدت الى
البطالة بين العمال وتضخمت
المسائل حتى عجت حلبة الاصلاح
الاجتماعى بنظريات كثيرة خاصة
بالعمال وكان من بين هذه النظريات
تحديد النسل *

فقضية تحديد النسل ظهرت في
جو الصناعة وتطورها وتطور
آلاتها والاستغناء عن بعض العمال
بفضل الآلات الحديثة *

رأى قدامى الفلاسفة

لقد كانت نظرة الفلاسفة قديما
الى زيادة السكان نظرة عادية
لا يرون فيها بأسا ولا خرابا الى
ذلك يذهب الفيلسوف Bvffodn

أقبل الناس على المنتجات الصناعية
من الأقمشة والمنسوجات القطنية
والحريرية مما ساعد على التفكير
في تطوير آلات الصناعة لتواجه
تزايد الطلب من الاسواق الجمة
وراء البحار فكانت الثورة
الصناعية على نحو ما يصفه علماء
الاقتصاد وكان من جراء ذلك ظهور
طبقة من العمال لا عمل لها بعد أن
فقدت المصانع اليدوية فاعليتها في
مواجهة الصناعات الحديثة ، كما
جنح أصحاب العمل الى استخدام
الاطفال والنساء بأجر أقل واستغل
العامل طوال ساعات اليوم وأسىء
له في حياته ومعاملته حتى ظهر ما
يسمى بالمشكلة العمالية (١) *

وكان من أول من تصدى لحلها
(سيروبرت بيل) صاحب مصنع
للقطن وسياسى بريطانى محنك
فعمل على حل جزء المشكلة عام
١٨٠٢ فحدد عمل الصبية باثنتى
عشرة ساعة فقط وعين مفتشين :

١ - لو كان لدى أوربا فقه سليم بقيمة الانسان وكرامته على نحو
ما هو مقرر في الاسلام لوضعت خطة صناعية لاستيعاب كل العاملين في
حقل الصناعة : احتراماً لانسانيتهم ، ونشراً للرخاء ، ولكن المسألة كانت
على خلاف ذلك .

لا تزداد حاجات المعيشة — الانتاج
— الا حسب متواليات حسابية :

١ — ٢ — ٣ — ٤ — ٥ — ٦

٧ — ٨ — ٩ — ١٠ — ١١ — واذن:

فتكون نسبة السكان الى الانتاج
بعد جيلين كنسبة ٢٥٦ الى ٩ وبعد
ثلاثة أجيال كنسبة ٤٠٦٩ الى
نسبة ١٣ وسيكون الفرق خارقا
لحد التصور بعد آلاف السنين •

لكن مالتوس لم يتعصب لهذا
الرأى بل قال انه افتراض •

وقد تكون الأمور المفروضة غير
صحيحة أحيانا ، وقال : ربما صار
حظ الانسان في المستقبل أسعد
مما هو عليه الآن اذا استبدلت
طرق القمع بوسائل الوقاية أى اذا
استبدل بالحرب تنظيم أمور
الزواج ... الخ •

ومع ذلك فان رأى مالتوس مع
أنه ظهر في بيئة عمالية عاطلة وكانت
ظروف الحياة في القرن الثامن
عشر سيئة للغاية الا أن رأى
مالتوس علق بأذهان كثير من
الاقتصاديين حتى جر هذا الوبال
على شرقنا العربى والاسلامى •
يقول المستر جروف سامويل في

والفيلسوف مونتسكيو Montesquieu

فقد كانا يريان أن الزيادة في
السكان مفيدة ونافعة للبلاد ولا
خوف منها ، لأن تعداد السكان
منظم بطبيعته حسب طرق المعيشة،
وهو نفس الاعتقاد الذى كان
يذهب اليه المركيز ميرابو Mirabeau
ولكن الذى أفسد هذه النظرة

العادية جودون GODWIN
عندما ذكر في كتابه « العدل
السياسى سنة ١٧٩٣ م أنه شك في
أن نسبة المحصولات قد لا تزداد
بنسبة تتلاءم مع عدد السكان »

مالتوس الانجليزى : ١٧٦٦م

* وهنا برز في حلبة التشكيك
تأسيس اقتصادى هو مالتوس
الانجليزى الذى وضع كتابه
المشهور :

رسالة عن تعداد السكان عام
١٧٩٨ م ثم اعاده عام ١٨٠٣ م
وفيه يقول :

ان تعداد السكان يزداد طبقا
لنظام متواليات هندسية •

١ — ٢ — ٤ — ٨ — ١٦ —

٣٢ — ٦٤ — ١٢٨ • وهكذا بينما

يقول جروف :

ان مجرد الارتفاع في عدد المواليد لا يفيد في زيادة عدد السكان فالجدير بالاعتبار هو الناتج الختامي : أى رجحان المواليد على الوفيات ، ولا بد كذلك من تقدير العوامل الأخرى كالهجرة ، والحروب ، والأمراض والكوارث الطبيعية •

* ريكاردو الهولندي ١٧٧٢ م :

وعلى غرار مالتوس كان ريكاردو ١٧٧٢ م فقد ذهب الى أن مستقبل العمال مظلم لأنه كلما ازداد السكان كثر عدد العمال ومتى كثر عدد العمال قلت أجورهم ، وإذا قلت مساحة الأراضي الزراعية قل المحصول ، وإذا قل المحصول ارتفع ثمنه ، ففى كلتا الحالتين مستقبل العمال فى خطر ومنعامن وقوع هذا الخطر يجب رفع أجورهم بنسبة ارتفاع لوازمهم ، وعلى فرض امكان حصولهم على هذه الزيادة فلن

فى نقد رأى مالتوس :

— ان مالتوس لم يستطع أن يتنبأ بمخترعات العصور الحديثة تلك التى زادت مقادير المواد الغذائية ، وكذلك أساليب الزراعة فان التقدم فى هذه الآلات قد سابر ازدياد عدد السكان وأربى عليه •

— كذلك مالتوس لم يدخل فى حسابه قدرة الانسان على التعاون والحصول على مزايا تعظم كلما ازداد عدد السكان وازدحموا ، ذلك أنه كلما زاد عدد السكان استطاع الانسان أن يوزع العمل بأساليب اقتصادية أبلغ من سواها ، واستعمل فى تصريف العمل طرقا تفضل غيرها كثيرا وبفضل المخترعات والمستكشفات الحديثة تمكن الانسان من زيادة الانتاج •

ويقول جروف :

من ذلك يرى أن الانسان يستطيع دائما أن يجعل مقدار انتاجه أكثر فى مدة من الوقت أقصر (١) •

ولم يجد الفكر الأوربي له من الدين الذي يعتنقه مساعدا له على تفهم قضية الرزق والعمل •

(انظر حوك)

ولننظر الآن من حولنا لنرى رد الفعل للدول التي أخذت قديما بنظام تحديد النسل فماذا نرى؟؟

(١) في إنجلترا :

* في الحرب العالمية الاولى ١٩١٦ م ألفت في إنجلترا لجنة لاستعراض نسبة المواليد وكانت تتألف من ٣٣ عضوا كلهم من رجال الطب والاقتصاد والعلوم التجريبية والخبراء بفن الاحصاء والعلوم الدينية كما اشترك معهم ممثل عن الحكومة هو الدكتور

استفنسون Stevenson

— المسئول عن الاحصائيات ،
والسير آرثر نيوزهوم
AURTHUR NEWSHOM
— وهو الرئيس الاعلى للشئون
الطبية — ووضعت هذه اللجنة
تقريراً جاء فيه :

على بريطانيا أن تراقب بغاية من الحذر والاضطراب النقص المتزايد في هبوط نسبة الولادة

يكونوا سعداء لأن ثمن القمح وغيره يزداد أيضا وانما الحل الوحيد لسعادة العمال هو ألا يكون لهم أولاد الا بنسبة مكاسبهم وأن يحدد لكل صناعة عدد معين من العمال •

يقول الدكتور حسين على الرفاعي : لا شك أن هذه النظرية اندثرت ولن تجد في حياتنا الاجتماعية الحالية مجالا للنجاح ولقد أصبحت في عداد النظريات العتيقة فان حالة التقدم الصناعي الهائلة التي يعيشها العالم اليوم لا تجد لمثل هذه الأفكار بيئة وسط العاملين والمستثمرين •

والخلاصة :

أن قضية تحديد النسل نشأت وسط مجتمع صناعي بدائي تحيط به عناكب اليأس والأسى ، عندما كانت أوروبا تنهض في بحر من الفقر والجوع والحرب والدمار •

وكان التشاؤم هو السمة السائدة على الفكر العلمي الذي لم يستطع أن يتنبأ بتقدم صناعي هائل يغطي حاجات الانسان

القومية وعليها مواجهة هذا النقص وتغييره بالزيادة الى حد امكان ان تتخذ كل ماياتى فى دائرة قدرتها من التدابير الفعالة ، وتكررت هذه النصيحة فى عام ١٩٤٣ ابان الحرب العالمية الثانية فقد قال المستر هربرت مارسين وزير الداخلية : ان بريطانيا اذا كانت تحب المحافظة على مستواها والتقدم فى سبيل الرقى والازدهار فى المستقبل فمن اللازم أن يتزايد فيها عدد كل أسرة بنسبة ٢٥٪ على الأقل وفى عام ١٩٤٤ م شكلت لجنة من الحكومة لدراسة المشكلة من كل نواحيها وقد صدر عنها توصيات أهمها :

* تعديل قانون الضرائب بحيث تخفف عن المتزوجين الذين لهم عدة أطفال .

* أن تمنح كل أسرة مكافأة مالية على قدر ما يكون لديها من الاطفال .

* والآن فى انجلترا يمنح الاطفال مكافآت مالية وتمنح النساء أجازة ولادة مع مكافأة مالية خاصة .

ب - وفى فرنسا :

أصدرت الحكومة قانونا يجرم تعليم منع الحمل ونشر المعلومات عن طرقه ووسائله .

وان الاسر ذات الاطفال تمنح مكافآت مالية وتعفى من بعض أنواع الضرائب .

ونتيجة لذلك ازداد عدد سكان فرنسا بنسبة ٢٦٪ فى السنوات بين ١٩٣٨ م الى ١٩٥٤ م .

د - وفى السويد :

قال الوزير ترى جر TRYGGAR ان الشعب السويدى اذا كان لا يريد لنفسه الانتحار فعليه أن يتخذ التدابير المؤثرة لمقاومة انخفاض نسبة المواليد فى وطنه . لقد أصبح انخفاض نسبة المواليد خطرا للغاية ينذر بالويل منذ سنة ١٩٢١ م ا هـ .

وكان من تأثير هذا التنبيه الذى ألقاه الوزير فى المجلس النيابى أن الحكومة ألفت لجنة خاصة فى مايو ١٩٣٥م لدراسة المشكلة وانتهت اللجنة الى :

١ - الرقابة على بيع أدوية منع الحمل .

الحبوب لمنع الحمل فهي لا تتعرض
للصداع والآلام العصبية فحسب
بل لا تأمن على نفسها أن يصيبها
مرض عضال كالسرطان •

الأثر الأخلاقي

أما الأثر الأخلاقي فانه يفتح
بابا للفسوق لا حد له مادامت
عواقب الانحراف مأمونة ومادام
الخط الاقتصادي لا يسعف على
بناء بيوت للزوجية فلنأخذ
الابليسية حظها في فكر الشابات
قبل الشبان •

فهل التنمية الاقتصادية في
مجال : الزراعة ، والصناعة
والتجارة في حاجة الى مثل هذه
العاهات والامراض ؟

أو أنها في حاجة الى أيد تعمل
وتبنى وتشيد ؟

ولله در المرحوم العلامة
الاستاذ الدكتور أحمد زكي حين
هتف بالامة العربية : تناسلوا
تكاثروا حتى تملأوا البحر والبر
عربا •

ومن جهة أخرى :

٢ - تخفيف الضرائب عن
الوالدين اذا كان لهما اطفال أقل
من ١٨ سنة •

٣ - المحافظة على الصحة
واعداد الادوية المجانية للاطفال •

رأى الطب

وتقول الدكتورة ميري شارليب
Dr : Mary Scharlieb

ان وسائل تحديد النسل سواء
كانت هي اللوليبات المعدنية
أو الأقراص أو العقاقير القاتلة
للحيوانات المنوية أو حواجز
المطاط وغيرها ، واذا كانت المرأة
لا تتعرض باستخدامها لضرر
فوري ظاهري ، ولكنها اذا ظلت
تستخدمها لمدة من الزمان فلابد أن
يصيبها انهيار عصبي قبل ان
تبلغ سن الكهولة •

ومن النتائج اللازمة لاستخدام
هذه الوسائل - التبرم - والتذمر
- والقلق - وضعف القلب
والتشویش والهجوم ونقص الدورة
الدموية وشلل اليدين واضطراب
العادة الشهرية •

ويقول الدكتور رينيل ديوكس :
ان المرأة عندما تتناول هذه

فان الاستعدادات العسكرية التي يتسابق عليها الشرق الشيوعى والغرب الامبريالى وكلاهما مستعمر غاشم قد جعلت قضية الأخلاق فى الشرق العربى والاسلامى قضية فى حرج شديد اذ بهذا التسابق يتأرجح العرب والمسلمون فى حيرة بين جاذبية كلتا القوتين ، وعندئذ لا توجد شخصية أخلاقية للعرب والمسلمين ، ويبقى فى تفكير العرب الى أى القوتين تضمن لهم السلامة ، ولا سلامة الا فى الاعتصام بحبل الله المتين ويوم أن تفقد الشعوب شخصيتها الاخلاقية تنهار وتتدك حصونها وتذهب شعوبها بددا فى صحراء التيه والضياع •

ثانيا : عوامل الفقر فى العالم

العربى والاسلامى

ان الثروة التى يملكها العالم العربى والاسلامى هائلة جدا ففى مجال الزراعة يملك ملايين الافدنة الصالحة للزراعة والتى تكتنفها الانهار والامطار على امتداد الوطن العربى •

ففى السودان مائتا مليون من الافدنة يجرى من حوالىها النيل الابيض والازرق وهما حزينان لأنهما يمران مر الكرام وسط هذه الملايين دون أن تشرب مائة مليون منها شربة من ماء النيل • وفى العراق ثلاثون مليوناً تهطل عليها الامطار وتجوس خلالها مياه دجلة والفرات •

وفى سوريا وفى فلسطين وفى مصر ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة والكافية لسد حاجات مئات الملايين من الانس خارج الوطن العربى •• ولكنها لا تجد يدا عاملة ولا مالا يساند فى فلاحيتها والمناجم وآبار البترول والغاز الطبيعى ، والمحاصيل الزراعية التى تصدر الى الخارج كلها ثروات تغطى حاجات العالم العربى والاسلامى ولكن الفقر هو سمة غالبية هذه الشعوب فلم • ؟

ان الاجابة اركزها فى هذه النقاط :

أولاً : الابتعاد عن ذاتيتنا الاسلامية الى أيديولوجيات شرقية أو غربية لفت الأمة العربية

الصليبي وسمعت همسه : أن حل
المشكلة في تحديد النسل ، وهم
كاذبون آثمون •

رأى العلامة ابن خلدون :

والعلامة ابن خلدون يربط
التقدم الحضارى والرخاء
الاقتصادى بزيادة السكان لأن
هذه الزيادة تدفع الى التعاون على
العمل الذى هو أساس التقدم
الحضارى فيقول :

ثم اذا اتسعت أحوال هؤلاء
المنتحلين للمعاش وحصل لهم
ما فوق الحاجة من الغنى والرفه
دعاهم ذلك الى السكون والدعة ،
وتعاونوا فى الزائد على الضرورة
واستكثروا من الأثوات والملابس
والتأنق فيها وتوسعة البيوت
واختطاط المدن والأمصار للتحضر
ثم تزيد أحوال الرفه والدعة
فتجىء عوائد الترف البالغة مبالغها
فى التأنق فى علاج القوت واستجادة
المطابخ ، وانتقاء الملابس الفاخرة
•• ومعالات البيوت والصروح ••
الخ •

فنظرية ابن خلدون وهو سيد

فى أثواب خلقة من السياسة
الاستعمارية التى انهكت كل قواها •
ثانيا : تلك الصراعات العربية
التى لم تعرف لها نهاية ولم تجد
لها من يلم شملها •

ثالثا : تلك الحروب التى
طحنت الامة العربية دون أن تدرك
لم حاربت ومن حاربت ، واعتمادات
عسكرية باهظة لم تحقق للقضية
القومية شيئا •

رابعا : بعثرة الامكانيات
الاقتصادية والاجام عن استخدام
المال العربى فى ازدهار الأوطان
العربية وهى حقيل التنمية
المرغوبة •

خامسا : تيه الاقتصاد العربى
والاسلامى وسط جاذبية الاقتصاد
العالمى •

سادسا : التبذير والاسراف فى
النفقات السرية والاعلامية والترف
المعيشى الخاص بالمظاهر الفضفاضة
التى تضيق فى الهواء •

ومن هنا فرضت هذه المشكلات
أسباب الفقر فمالئ الأذن العربية
الى وسوسة الغرب الصهيونى

ثالثاً : الرأي الاسلامي في تحديد النسل

تنشأ فكرة تحديد النسل كآثار
لقضائية أثارها الاقتصاد
الفيزيوقراطي الذي يدعى أن
موارد الطبيعة لا تكفي لتمويل
البشر اذا زادوا في المستقبل •
وهي قضية عقدية قبل أن
تكون اقتصادية ، فهل حقا الموارد
الطبيعية غير قادرة على كفاية
البشر ؟ • •

ان الله تعالى يقول :

« والارض مددناها وألقينا فيها
رواسي وانبتنا فيها من كل شيء
موزون •
وجعلنا لكم فيها معاش ومن
لستم له برازقين »
١٩ - ٢٠ الحجر

« وقدر فيها أقواتها في أربعة
أيام سواء للسائلين »
١٠ - فصلت
« وان من شيء الا عندنا خزائنه
وما ننزله الا بقدر معلوم »
٢١ - الحجر
« نلکم الله ربکم لا اله الا هو

أهل علم الاجتماع : أن الحضارة
تحتاج الى عنصر الوفرة في الأيدي
العاملة التي تقوم بأعباء أنواع
حاجات الحضارة فالبدو ينتج
ما يكفيه أما الرجل الحضري فهو
دائما يتطلع الى العلا وحاجاته
مرتبطة بكثير من الفنون وشئون
الصناعة وذلك لا يتأتى الا عن
طريق الزيادة في السكان •

يقول ابن خلدون :

ومعناه الحاضرون أهل الأمصار
والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في
معاشه الصنائع ، ومنهم من ينتحل
التجارة وتكون مكاسبهم أنمو وأرفه
من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة
على الضروري ومعاشهم على نسبة
وجدتهم • • فقد تبين أن أجيال
البدو والحضر طبيعة لا بد منها •

والامة العربية وهي الامة التي
برز فيها عالم الاجتماع العربي
ابن خلدون فيها من الامكانات
ما يحقق نظرة اكثار النسل ثم هو
أولى أن تميل في اجتماعياتها الى
نظرية ابن خلدون لا مالتوس
ولا ريكاردو • •

خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل » •

١٠٢ - الانعام

« له مقاليد السموات والارض
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه
بكل شيء عليم »

١٢ - الشورى

« ان الله هو الرزاق ذو القوة
المتين »

٥٨ - الذريات

فهذه النصوص ترفض الادعاء
الاوربي القائل بأن الموارد الطبيعية
غير قادرة على كفاية البشر اذا زاد
عدد السكان والنبى صلى الله عليه
وسلم يحذر الأمة من تحديد النسل
فيقول :

* « اذا أراد الله خلق شيء لم
يمنعه شيء »

(رواه مسلم)

* اصنعوا مابدالكم فما قضى
الله تعالى فهو كائن وليس من كل
من الماء يكون الولد •

(رواه مسلم)

* لو أن الماء الذى يكون منه
الولد أهرقته على صخرة لأخرج

الله منها ولدا وليخلقن الله تعالى
نفسا هو خالقها •

(رواه احمد)

* اعزل عنها ما شئت فانها
سيأتيتها ما قدر لها •

(رواه مسلم)

* اعزلوا أو لا تعزلوا ما كتب
الله تعالى من نسمة هي كائنة الى
يوم القيامة الا وهي كائنة •

(رواه الطبرانى)

* ما قدر فى الرحم سيكون
(رواه احمد والطبرانى)
* ما قدر الله لنفس أن يخلقها
الا هي كائنة

(رواه احمد)

* ما عليكم أن لا تعزلوا فان
الله قدر ما هو خالق الى يوم
القيامة

(رواه النسائى)

* لا عليكم ان لا تفعلوا ذلكم
فانها ليست نسمة كتب الله أن
تخرج الا هي خارجة

(رواه البخارى)

* كتب الله مقادير الخلائق
قبل أن يخلق السموات والارض

بخمسين ألف سنة وعرشه على اباهى بكم يوم القيامة •
(رواه احمد)

وبعد : (رواه مسلم)

ولا أدل على رغبة الاسلام في زيادة النسل من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الى الزواج من المرأة الولود الودود •

* ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة :

فان القدماء المصريين كانوا أكثر ذكاء في تصورهم للذرية من أغلبية كثيرين من دعاة تحديد النسل •
فقد ورث التاريخ عن قدماء المصريين انهم كانوا يحبون الاطفال لدنياهم والآخريتهم • وساعدتهم طبيعة أرضهم وأوضاعهم الاجتماعية والدينية على أن يستزيدوا من العيال دون أن يتوقعوا عنتا كبيرا واملاقا (١) •

الودود الولود العودود التي اذا ظلمت قالت هذه يدي في يدك لا أذوق غمضا حتى ترضى •

(رواه الطبراني)

* تزوجوا فاني مكاثركم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى •

(رواه البيهقي)

* تزوجوا الودود الولود فاني مكاثركم •

(ابو داود والنسائي)

* تزوجوا الولود تناسلوا فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة •

(رواه البخاري ومسلم)

* انكحوا أمهات الاولاد فاني

وأخيرا •
رأى مجمع البحوث الاسلامية

في المحرم عام ١٣٨٥ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥ انعقدت الدورة الثانية لعلماء المسلمين في رحاب الازهر ومجمع البحوث الاسلامية وفي هذا المؤتمر الثاني صدرت قرارات تتعلق بتحديد النسل قالوا فيها :

يقرر المؤتمر ما يلي :

١ - أن الاسلام رغب في زيادة

النسل وتكثيره لأن كثرة النسل تقوى الأمة الإسلامية اجتماعيا واقتصاديا وحربيا وتزيد لها عزة ومنعة ♦

لا تجوز ممارسته شرعا للزوجين أو لغيرهما ♦
ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين وتقديم المعونة لهم في كل ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل ♦

ان تحديد النسل : مجافاة للفطرة ومجافاة للطبيعة العربية وهو خرافة
لأن الله فعال لما يريد
ولأن الله غالب على أمره
فهل من مستجيب ؟
هذا

وبالله التوفيق ♦

دكتور رءوف شلبي
عميد كلية أصول الدين
بالمندسورة

٢ - اذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل للزوجين أن يتصرفا طبقا لما تقتضيه الضرورة وتقدير هذه الضرورة متروك لضمير الفرد وتدينه ♦

٣ - لا يصح شرعا وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأي وجه من الوجوه ♦

٤ - أن الاجهاض بقصد تحديد النسل أو استعمال الوسائل التي تؤدي الى العقم لهذا الغرض أمر

فهرس العدد

اسم الموضوع	صفحة
● حول رأى العلامة ابن خلدون فى اقتداء المغلوب بالغالب	
للدكتور محمد الطيب النجار وكيل الأزهر	١٤١٣
● الروحانية فى الاسلام	
للأستاذ محمد صابر البرديسى	١٤٢٢
● مكانة الحديث فى التشريع الاسلامى	
للدكتور الحسينى هاشم الامين العام لجمع البحوث الاسلامية	١٤٢٩
● الحج وأهدافه السامية	
لفضيلة الشيخ مصطفى الطير	١٤٣٨
● تعقيب ورد على التعقيب	
للأستاذ السيد حسن قرون	١٤٤٦
● ففقيد الأزهر « الدكتور أحمد الشرباصى »	
للأستاذ السيد حسن قرون	١٤٤٩
● أهل الذمة وواجباتهم فى بلاد الاسلام	
للمستشار محمد عزت الطهطاوى	١٤٥٤
● شاعر فى خدمة الانسان	
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى	١٤٦١
● أهداف سورة محمد صلى الله عليه وسلم	
للدكتور عبد الله محمود شحاتة	١٤٧٠

- التنمية
للدكتور رفعت العوضى ١٤٧٧
- فلسفة الحضارة الإسلامية
للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح ١٤٨٥
- فقيد العلم والإسلام
المرحوم الدكتور الشيخ محمد الفحام ١٤٩٤
- مشكلات الشباب وحلولها في ضوء الكتاب والسنة
للأستاذ على القاضي ١٤٩٦
- دراسات قرآنية في ملكوت السموات والأرض
للأستاذ على عبد العظيم ١٥١٢
- حول اعلام اسلامي رشيد
للدكتور محمد رجب البيومي ١٥٢٣
- من شعراء الأزهر
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ١٥٣١
- اخطاء شائعة
للأستاذ عباس أبو السعود ١٥٤٤
- بالجسم والروح
للأستاذ الربيع الغزالي ١٥٥٢
- حكم وطرائف
اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٥٥٨
- باب الفتاوى
الأستاذ عبد الحميد شاهين ١٥٦٢

- من أنباء العالم الاسلامى
اعداد الأستاذ فهمى عبد اللاه سيد على . . . ١٥٦٧
- كتاب الشهر
للدكتور رءوف شلبى ١٥٧٣

١٢٢٢



المصنوع
إدارة الأزهر
بالتاهرة
٩٠٩٩٢٢
ت (٩٠٥٥٠٦)

الأزهر
مجلة

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

مدير للجلة
محمد صابر البرسي

الجزء التاسع - السنة الثانية والخمسون - ذو الحجة سنة ١٤٠٠ هـ - نوفمبر سنة ١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

منابع التاريخ الإسلامي وبدء الكتابة فيه

فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار
وكيل الأزهر

تدل كلمة « التاريخ » على الاعلام بالوقت ، مضافا اليه ما وقع
في ذلك الوقت من : حوادث ، وأخبار ، والتاريخ : بهذا المعنى اللغوي :
قديم تمتد جذوره الى الأسرة الأولى من البشر ، فحينما هبط آدم وحواء ،
على ظهر هذا الكوكب ، وأصبح لهما أولاد وذرية ، أخذ آدم يقص على
أبنائه مما علمه الله ، ويروي لهم من الأنباء ما علمه ورآه ، وأخذ هؤلاء
يحتفظون بهذه الأخبار في ذاكرتهم ، لينقلوها الى أبنائهم ، وأحفادهم ،
جيلا بعد جيل ، وقبيلة في اثر قبيل ..

ثم تواتت الأزمان ، وأنبثق فجر الحضارة ، وبدأ الإنسان يتعلم الكتابة ، ويسجل ما يسمعه ويراه ، وما يحتفظ به في ذاكرته ، على الحوائط والجدران • وفي العظام ، والجلود والألواح ، فبدأت الانسانية عهداً جديداً يسمى « مبدأ التاريخ » وأما العصور أنقضى سبقت هذا العهد ، فتسمى « عصور ما قبل التاريخ » •

فالعصور التاريخية اذن تبدأ منذ تعلم الانسان الكتابة • وهذا هو ما اصطلح عليه المؤرخون ، وكأنما أرادوا أن يسدلوا الستار على تلك الأزمنة المتوغلة في القدم ، والتي لم تسجل فيها أخبار الشعوب والأمم ، لأنها — حينئذ — أنباء يحيط بها الغموض ، ولا تستند الى أساس سليم ، بل يشوبها الحدس والتخمين • وتفتح الباب على مصراعيه ، للوهام والباطيل ..

والآن سوف نعبّر القرون ، منذ بدأت كتابة التاريخ عند الاغريق ، وعند الرومان ، وعند المصريين القدماء ، وقد كان ذلك قبل الميلاد المسيحي ، بآلاف السنين ، سوف نتجاوز هذه الأزمنة ، وتلك الأمكنة ، الى القرن السابع الميلادي ، والى الجزيرة العربية بصفة خاصة ، لكي نتتبع كتابة التاريخ الاسلامي ، منذ بدأت في هذه الجزيرة :

وأول المنابع الأصلية لهذا التاريخ ، هو كتاب الله ، المنزل على رسوله محمد بن عبد الله ، ثم يلي ذلك في الأهمية السنة النبوية • ففيها مبادئ الدين الاسلامي ألحنيف وآدابه ، وفيهما سيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وبيان لأحوال المجتمع الذي كان يعيش فيه الرسول ، وأصحابه ، وتصوير صادق لما مر بهم من الآمال والآلام ، والاحداث الكبار والجسام • وقد كان العرب قوماً أميين • وكانت الكتابة فيهم نادرة ، حتى ليذكر المؤرخون ان الاسلام حينما ظهر في مكة ، لم يكن فيها من يعرف الكتابة ، سوى نفر ضئيل يقلون عن العشرين ، وكان منهم

ابن ثابت • ولما فتحت مكة ،
واسلم معاوية بن أبى سفيان ،
انضم الى كتية الوحى من أصحاب
الرسول — صلى الله عليه وسلم
— ولم يكن الورق — المعروف
الآن — قد وجد عند العرب ، ولذا
كانت الصحف التى يكتبون فيها
هى : القماش ، والجلد ، والعظام
العريضة ، والحجارة الرقيقة ،
والأطراف العريضة من الجريد •

وكان أصحاب الرسول — صلى
الله عليه وسلم — أحرص الناس
على الاقتداء به ، وترسم آثاره ،
فكان من يستطيع الكتابة منهم
يسجل عن الرسول ، ما يسمعه ،
أو يراه •

ولكن الرسول — صلى الله
عليه وسلم — نهاهم عن ذلك ،
حتى تكون عنايتهم كاملة بالقرآن
الكريم ، وحتى لا يؤدى ذلك ان
تختلط بعض أقواله ، ببعض آيات
من القرآن ولم يكن يبيع الرسول
كتابة السنة الا فى احوال نادرة ،
ولظروف خاصة •

وقد كان نتيجة لذلك : أن
الصحابه رضوان الله عليهم ، وهم

عمر بن الخطاب ، وعثمان بن
عفان ، وعلى بن أبى طالب ،
ويزيد بن أبى سفيان ، وأخوه
معاوية بن أبى سفيان ، وأبوهما :
أبو سفيان بن حرب • أما المدينة
فكانت الكتابة بين الأوس
والخزرج قليلة — كذلك — وكان
من يعرفها منهم سعد بن عباد ،
والمنذر بن عمرو ، وزيد بن
ثابت •

وكان الرسول — صلى الله عليه
وسلم — يهتم كثيرا بالكتابة
ويوجه المسلمين الى العناية بها
حتى لقد جعل فداء الأسرى فى
غزوة بدر ممن كانوا يعرفون
القراءة والكتابة أن يعلم الواحد
منهم عشرة من أبناء المسلمين
بالمدينة •

وقد استعمل الرسول — صلى
الله عليه وسلم — الكتابة فى تدوين
ما ينزل من القرآن ، وفى ارسال
الرسائل ، الى الملوك والحكام ،
يدعوهم فيها الى الاسلام ، وكان
أول من كتب له بمكة عبد الله بن
سعد بن أبى السرح ، وأول من
كتب له بالمدينة أبى بن كعب ، وزيد

وأمانة ، أما من بعدت عليهم الشقة ، ونأت بهم الديار ، فكانوا إذا اعترضتهم مشكلة وعجزوا عن حلها ، توجهوا من فورهم الى مدينة الرسول — صلى الله عليه وسلم — مهما بذلوا من التضحية . ومهما تحملوا من المتاعب المضنية ، ليستضيئوا بنور النبوة ، وليتبين لهم الخير من الشر ، والحلال من الحرام .

وبعد أن لحق الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالرفيق الأعلى ، وجاء عصر الخلفاء الراشدين ، تركز اهتمامهم في جمع القرآن الكريم ، وتدوينه في مصحف واحد ، وتوزيعه على جميع الأمصار الإسلامية .

التدوين العام للسنة :

وعلى الرغم من أن الصحابة والتابعين في القرن الأول الهجري ، كانوا يتدارسون الحديث النبوي بعناية الا أنهم لم يكتبوه في صحف خاصة به كما تقدم ذلك . . . وقد مضى القرن الأول الهجري على هذا النحو ، ولما كانت نهاية هذا القرن كانت الظروف كلها تحتم

أحرص الناس على القدوة برسول الله — صلى الله عليه وسلم — والاقتراء بهديه ، جعلوا من قلوبهم وصدورهم صحفا ، يسجلون فيها ما يسمعون من الرسول — صلى الله عليه وسلم — وما يعلمونه عنه ، ويتنافسون في ذلك ، حتى بلغوا أقصى الغايات ، ولم يكن للرسول — صلى الله عليه وسلم — مكان خاص دائم يجلس فيه ، ليتلقى عنه أصحابه ، وانما كان يغدو ويروح ، ويسافر ويقيم ، وأصحابه يحيطون به ، ليأخذوا عنه ما يشفى غلتهم ويحيى قلوبهم ، وكان من أصحاب الرسول من يلازمه في ظعنه واقامته ، وفي حله وترحاله ، كأبي هريرة ، وأبي بكر رضى الله عنهما ، وكان منهم من تدعوه الضرورة الى ان يتخلف بعض الوقت لقضاء مصالحه ، ومن هؤلاء من كان يعهد الى جاره ، أو صاحبه ان ينقل اليه ما يقوله الرسول ، أو يفعله في فترة تخافه حتى اذا حضر أخيره به ، ليبقيه هو الآخر في صدره ثم يخبر به الآخرين في دقة وفهم وحرص

علمكم الله من كتابه • والذي سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من السنن التي لم تدع شيئاً من دينكم ولا دنياكم ، في ذلك كله نعمة عظيمة وحق واجب هو شكر الله كما هداكم ، وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، فليس لأحد في كتاب الله ، ولا في سنة رسوله رأى ، وهما حجتى في الدنيا • وبغيتى فيما بعد الموت ، فلا تلبسوا ذلك بغيره » •

ثم اتبع هذا القول الذى يفيض بالاخلاص لكتاب الله ، ولسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعمل ايجابى عظيم فكتب الى عامله وقاضيه على المدينة ، ابي بكر بن حزم ، يأمره بجمع السنة وتدوينها ، ويقول له : « أنظر ما كان من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء » •

وكذلك كتب الى عامله في أمهات المدن الاسلامية ، يأمرهم بجمع السنة وتدوينها فاستجابوا لأمره •

كتابة الحديث ، فالخصوصومات السياسية ، والخلافات المذهبية - وما ترتب على ذلك من الفتن - لا تزال ناشبة • والأهواء مصطرة ، وأعداء الاسلام يتربصون به الدوائر ، ويتخذون كل سبيل لتشويه معاملة ، ولو تركت السنة دون تدوين لتعرضت للضياع بموت العلماء ، والأمناء والحفاظ الثقافات ، وتعرضت - كذلك - للتحريف والتغيير بما يدسه فيها أصحاب الهوى والغرض من الموضوعين الكذابين ، الذين اتخذوا الدين ستاراً ، ينفذون من ورائه الى أغراضهم ومطامعهم • وكان من توفيق الله ورحمته بالمسلمين أن يتولى الخلافة في ذلك الوقت عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - وهو الحاكم المخلص الحريص على دينه • فنهض لاعلاء كلمة الدين ، واحياء سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتجلّى ذلك في كتابه الذى أرسله الى الولاة ، والعمال في الأمصار الاسلامية ، والذي يخاطب فيه عامة المسلمين فيقول : « وفى الذى

لأن السنة النبوية هي : أقوال
النبي - صلى الله عليه وسلم -
وأفعاله وتقريراته ، فكل الأخبار
التي وردت عن النبي - صلى الله
عليه وسلم - بعد بعثته : هي
سنة ، وحديث ، وهي في نفس
الوقت : سيرة ، وتاريخ .
وأما ما ورد عن الرسول -

صلى الله عليه وسلم - من
أخبار قبل بعثته ، فبعضه
يدخل في نطاق السنة ، وهو
ما أخبر عنه الرسول بعد البعثة ،
وهو يسترجع الذكريات الماضية ،
عن العصر الجاهلي ومن ذلك
ما ذكره عن حرب الفجار وما ذكره
عن حلف الفضول ، وما ذكره عن
حادث شق الصدر أيام طفولته
إلى غير ذلك .

أما ما عدا ذلك من أخبار
تتعلق به ، ولم ترد في كتب
السنة فقد تناقلها الناس على
توالي الأجيال ، إلى أن دونت بعد
ذلك في كتب التاريخ والسير .

وقد كتب المحدثون تاريخ النبي
- صلى الله عليه وسلم - في
أحاديث متفرقة ، ومن غير ترتيب

يقول الحافظ بن حجر : « .. ولما
قصر الهمم وخشى الأئمة ضياع
العلم دونوه ، وأول من دون
الحديث .. ابن شهاب الزهري
على رأس المائة بأمر عمر بن
عبد العزيز .. ثم كثر التدوين ،
وحصل بذلك خير كثير ، والحمد
لله » .

وكانت طريقتهم في التدوين في
ذلك الوقت أن يتبعوا وحدة
الموضوع . فهم يجمعون في المؤلف
الواحد الأحاديث التي تدور حول
موضوع واحد . فالصلاة مثلاً
تختص بمؤلف ، وتجمع فيه كل
الأحاديث الواردة في الصلاة ،
وهكذا في الزكاة ، والصوم ،
والحج إلى غير ذلك من سائر
الموضوعات .

والمعروف أن هذه الكتب التي
دونت في تلك العصور ليس لها
الآن وجود مستقل فقد أدمجت في
المصنفات الكبيرة التي كتبت بعد
ذلك .

تدوين السيرة النبوية :
ولا شك أن السيرة النبوية لا
تخرج كثيراً عن السنة النبوية ،

الرسول • وهما محمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥٣ هـ ومحمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وسوف نذكر ترجمة موجزة لكل من هذين العالمين :

١ - محمد بن اسحق :

هو محمد بن اسحق بن يسار كان من الموالى يرجع فى نسبه الى أصل فارسى ، وقد ولد سنة ٨٥ هـ ونشأ فى المدينة وكان بها - حينئذ - طائفة كبيرة من أجلاء العلماء فسمع منهم وأخذ عنهم ، ومنهم محمد بن أبى بكر ، وأبان ابن عثمان ، ومحمد بن على ابن الحسين ابن على بن أبى طالب ، ونافع مولى عبد الله بن عمر ، وابن شهاب الزهرى • ثم رحل الى مصر سنة ١١٥ هـ ، وسمع من يزيد بن أبى حبيب •

ثم عاد بعد ذلك الى المدينة ، وكان يجمع الأحاديث وخاصة ما يتصل منها بالمغازى حتى اشتهر بها وحتى كان الامام الشافعى يقول : « من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق » • وقد ألف ابن اسحق كتابه

للأحداث ، ولا جمع للموضوعات • فلما رتبت الأحاديث فى أبواب ، وجمع منها ما يتعلق بكل باب على حدة ، كالصلاة والصيام ، وانزكاة والحج ، والجهاد ، الى غير ذلك : جمعت السيرة فى أبواب مستقلة ، وكان من أشهرها باب يسمى « باب المغازى والسير » • ثم انفصلت هذه الأبواب عن الحديث ، وألفت فيها الكتب الخاصة ، ولكن ظل المحدثون يدخلونها ضمن الأبواب الواردة فى كتبهم ، وتستطيع أن تلاحظ ذلك فى صحيح البخارى ، حيث خص بابا سماه « كتاب المغازى » وكذا فى صحيح مسلم حيث جعل للجهاد بابا سماه ، « كتاب الجهاد والسير » وكذا ما جاء فى مسند أحمد من « كتاب المغازى » الى غير ذلك من سائر الأبواب المتعلقة بسيرة الرسول •

واذا كان ابن شهاب الزهرى قد قام بتدوين السنة النبوية فى عهد عمر بن عبد العزيز ، فقد أخذ عنه عالمان جليلان هما - فى الحق - أشهر وأوثق من كتب فى سيرة

« المغازى » من مجموع الأحاديث التى سمعها من شيوخه فى المدينة ومصر . وهذا الكتاب لم يصلنا كاملاً وإنما وصل إلينا مختصراً فى سيرة ابن هشام . ونستطيع إذا استخلصنا الروايات المنقولة فى سيرة ابن هشام ، عن ابن اسحق أن نظفر بسيرة ابن اسحق مختصرة ، وقد نص ابن هشام على ذلك فى مقدمة سيرته فقال : وأنا ان شاء الله مبتدىء هذا الكتاب بذكر اسماعيل بن ابراهيم، ومن ولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ولده وأولادهم لأصلابهم . الأول فالأول من اسماعيل الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل - للاختصار - . وتارك بعض ما ذكره ابن اسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شئ . وتارك - كذلك - أشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل الشعر يعرفها ، ومستقص ان شاء

الله - ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به . وقد بقيت بعض الأخبار التى حذفها ابن هشام ، فى تاريخ الطبرى ، منسوبة الى ابن اسحق ، ومعنى ذلك اننا لو جمعنا كل ما نسب الى ابن اسحق فى سيرة ابن هشام ، وفى تاريخ الطبرى استطعنا أن نظفر بالغالبية العظمى من سيرة ابن اسحق ، وقد مات ببغداد سنة ١٥٣ هـ .

٢ - الواقدي :

هو محمد بن عمر بن واقد ، الواقدي وهو من الموالى - كذلك - وقد عاصر ابن اسحق ، وكان أصغر منه سناً ، وهو يعتبر فى الدرجة التى تليه، ومن أشهر شيوخه فى التاريخ ، أبو معشر السندى، وكان أبو معشر هذا واسع العلم بالمغازى ، وألف فيها كتاباً اقتبس منه ابن سعد فى كتابه الطبقات الكبرى عند الكلام فى السيرة ، وكذلك اقتبس منه ابن جرير الطبرى فى كتابه « تاريخ الأمم والملوك » .

وقد ولد الواقدي بالمدينة سنة

— كتاب الطبقات ، وقد ذكر فيه انصاحبة والتابعين مرتبين حسب طبقاتهم .

وقد سلك كاتبه ، وتلميذه : ابن سعد هذا المنهج فى كتابه «الطبقات الكبرى» .

وهكذا كان الواقدى من أوسع الناس علما فى المغازى والسير ، وقد عول عليه الطبرى كثيرا ، وكان من أكبر المصادر ، التى اعتمد عليها فى تاريخه .

وهذان مثالان لعالمين جليلين من الرواد الأوائل فى التاريخ الاسلامى .

وهؤلاء العلماء لهم — بلا شك — فضل السبق اذ هم الذين وضعوا الأساس لمن جاء بعدهم . ولكن لم يكن تأليفهم مرتبا ، ولا عملهم منظما . انما كثر الترتيب والتنظيم فى الطبقة ، التى أتت بعدهم ، ونلمح ذلك فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ، و «تاريخ الأمم والملوك للطبرى» . الى غير ذلك من سائر الكتب التاريخية ، التى كتبت فى ذلك

١٣٠ هـ ، وعلى بالمغازى والسير ، والتاريخ الاسلامى عامة ، ونبغ فى ذلك . وقد وردت له ترجمة فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى وفيها يقول عن الواقدى : « وهو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره ، ولم يخف على أحد عرف أخبار الناس أمره ، وسارت الركبان بكتبه فى فنون العلم من المغازى ، والسير والطبقات وأخبار النبى — صلى الله عليه وسلم — والأحداث التى كانت فى وقته ، وبعد وفاته . . وغير ذلك» . ومما يروى عنه انه كان يذهب بنفسه الى أمكنة الغزوات ، ومواطن قتل الشهداء من أصحاب الرسول — صلى الله عليه وسلم — وكان يقول عن نفسه : « ما علمت غزاة الا مضيت الى الموضع حتى أعينه » .

وكان الواقدى كثير التأليف ، وله كتاب اسمه « التاريخ الكبير » مرتب على حسب السنين ، وقد اقتبس منه الطبرى فى تاريخه ، وآخر ما اقتبس منه ما ذكره من حوادث سنة ١٧٩ هـ ، وله — كذلك

الحين •

وهكذا يتبين لنا أن أساس الحركة العلمية في العصر الاسلامي الأول ، كان هو الدين ، الذي يتمثل في القرآن الكريم ، والسنة النبوية • فأساس الفقه هو ما ورد من آيات قرآنية ، أو أحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تتعلق بالعبادات ، والمعاملات ، والتاريخ الاسلامي ، مستمد من سيرة النبي وغزواته ، وبحث العلماء يتركز ويدور حول هذا الغرض •

ولذا فقد كان الفقه ، والتفسير ، والحديث ، والتاريخ ، علما واحدا في أوائل الاسلام ، ثم أخذت هذه العلوم يستقل بعضها عن بعض ، عملا بناموس الارتقاء ، ولكن استقلال العلوم وتميزها ، ظل غير ملحوظ طيلة العصر الأموي على وجه التقريب ، ففي كتب التراجم عن علماء هذا العصر ما يفيد : انهم كانوا يأخذون من كل علم بنصيبواثر ، وأن العلوم التي استقلت فيما بعد لم تكن اذ ذاك

مستقلة في نظرهم •

فالحسن البصري مثلا يجلس في درسه ، فيتكلم في الفقه والتفسير ، والحديث والتاريخ ، دون ان يلاحظ أنه انتقل من علم الى علم ، وتلامذته يستمعون اليه ، ولا يفكرون أنه قد انتقل بهم الى مجموعة من العلوم ، وانما يفهمون أنهم حضروا درسا من العلم الديني ، ولم يكتمل نضج العلوم وتميزها ، الا في العصر العباسي ، فظهر الفقهاء والمفسرون ، والمحدثون ، والمؤرخون ، وألفوا الكتب الكثيرة في هذه النواحي المختلفة ، فأصبح لكل علم منها مجاله ، واستقلاله ، وبالتالي أصبح للتاريخ رجاله ، وهم المؤرخون السابقون ، ومن جاء بعدهم على توالي الأزمنة والقرون •

هذا • ومن الله العون ، وبه

التوفيق ••

د/ محمد الطيب النجار

وكيل الأزهر

الرحلة في طلب الحديث

لفضيلة الدكتور الحسيني لهاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

ابن مخلد الأتصاري أمير مصر خرج اليه وعانقه ثم قال له ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ قال : حديث سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق أحد سَمِعَهُ مِنْهُ غيري وغير عقبه فابعث من يدلني على منزله . فبعث معه من يدلّه على ذلك فخرج اليه عقبه وسأله عن سبب مجيئه فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سَمِعَهُ مِنْهُ غيري وغيرك في ستر المؤمن قال عقبه : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من ستر مؤمنا في الدنيا على خزيه ستره الله يوم القيامة » فقال أبو أيوب صدقت ثم انصرف أبو أيوب الى راحلته فركبها

لقد رحل الصحابة وأتباعهم الى شتى الأقطار والبلاد حتى أن الفرد منهم ل يتميز بكثرة رحلاته وانتسابه الى أكثر من بلد . ولقد حفظت لنا كتب السيرة وفود العرب الى الرسول صلى الله عليه وسلم وبعثات الرسول الى البلاد المختلفة لنشر العلم وتعليم السنة .

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حافظ الصحابة على تلك السُنَّة الكريمة ، ومن أبرز الرحلات في سبيل العلم وطلبه . ما روى عن أبي أيوب الأتصاري أنه رحل من المدينة الى مصر لمقابلة عقبه بن عامر وسأله عن حديث سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدم الى منزل مسلمة

بعبد الله بن أنيس الأنصاري •
فأتيت منزله وأرسلت إليه جابرا
على الباب ، فرجع الى الرسول
فقال : جابر بن عبد الله فقلت
نعم • فخرج الى فاعتنقته
واعتنقني قال : فقلت : بلغني
عنك أنك سمعت حديثا في المظالم
من رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم أسمعه أنا منه فروي له
الحديث •

وعن عبد الله بن عباس أنه كان
يذهب الى الرجل من الصحابة عنده
الحديث ولو أرسل اليه لجاءه •

وعن أبي العالية قال : كنا نسمع
عن أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلا نرضى حتى خرجنا
اليهم فسمعنا منهم •

لقد كانت الرحلة سبيلا الى
جمع العلم وسبيلا الى التثبیت من
العلم وسبيلا الى التعرف على
الجو العلمی في أقطار العالم
الاسلامی وتدعيما لوحدة
المسلمين • وتتنافس الجميع في
الاكثار منها والحرص عليها
تنافسهم الشريف في تحصيل العلم
والاكثار منه ولم يبالوا في سبيل

راجعنا الى المدينة وما حل رحله
فما أدركته حائزة مسلمة بن مخلد
الا بعريش مصر •

وروى أن عمرو بن أبي سلمة
قال للأوزاعي : يا أبا عمرو أنا
الزمك منذ أربعة أيام ولم أسمع
منك الا ثلاثين حديثا — قال :
وتستقل ثلاثين حديثا في أربعة
أيام ؟ لقد سار جابر بن عبد الله
الى مصر واشترى راحلة فركبها
حتى سأل عن حديث واحد وعاد
الى المدينة وأنت تستقل ثلاثين
حديثا في أربعة أيام •

وهذا سعيد بن المسيب من كبار
التابعين يقول : انى كنت لأسافر
مسيرة الأيام والليالى في الحديث
الواحد •

وروى الشعبي حديثا ثم قال
للسامع خذها — أى الرواية —
بغير شيء فقد كان الرجل يرحل
فيما دونها الى المدينة •

وعن جابر بن عبد الله قال :
بلغنى حديث عن رجل من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فابتعت
بعيرا فشددت عليه رحلى ثم سرت
اليه شهرا حتى قدمت الشام فاذا

واليك ترجماتهم على حسب هذا الترتيب •

أبو هريرة

صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم هم نجوم الهدى ، والمقتبسون من أنوار النبوة ، الناقلون اليها علم الاسلام قرآنا وسنة ، ومن هؤلاء الصفوة من الصحابة أبو هريرة راوية الاسلام أول الكثيرين لرواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

كان اسمه فى الجاهلية عبد شمس بن صخر ولما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم • عبد الرحمن دوس احدى قبائل اليمن العريقة فى عروبته • وكان يرعى الغنم ومعه هرة صغيرة يعطف عليها ويضعها فى الليل فى الشجر ويصحبها فى النهار فكانه القوم أبا هريرة •

أسلم رضى الله عنه فى السنة انسابه من الهجرة عام خير وكان عمره حينذاك نحواً من الثلاثين سنة وقدم المدينة على النبى صلى الله عليه وسلم حين رجع من خير وسكن صفة مسجد الرسول صلى

ذلك بتعب مادي أو مالى • وسنرى عند الحديث على أئمة الحديث أن الأكثر منهم رحلوا الى شتى الأقطار ومن لم يرحل استفاد من علم الأقطار لمركزه الحيوى فى نظره وتوافق الناس عليه •

أولا : أئمة الحديث النبوى من الصحابة •

الصحابة الكثرون لرواية الحديث

اشتهر برواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة من الصحابة شاء الله أن يكون حفظهم فى كثرة رواية الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من غيرهم ، فتألفت أسماؤهم فى سماء رواية الحديث ، واصطلح العلماء على أن من روى أكثر من ألف حديث عد مكثراً •

وذكروا هؤلاء السبعة الكثيرين للحديث على حسب ترتيبهم فى كثرة الرواية وهم :

أبو هريرة — عبد الله بن عمر — أنس بن مالك — السيدة عائشة — عبد الله بن عباس — جابر بن عبد الله — أبو سعيد الخدرى ••

اليهم ولم يصب منها شيئاً ، وإذا جاءت هدية أصاب منها وأشركهم فيها ، فأقبلوا مجتمعين فلما جلسوا قال : خذ يا أبا هريرة فأعطهم فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يروى حتى إذا أتيت على جميعهم ناولته رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه لى مبتسماً وقال : اشرب فشربت ، فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب فأشرب حتى قلت : والذي بعثك بالحق ما أجد مساعاً فأخذ فشرب من الفضلة •

ولقد حبيب الله لأبى هريرة صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ أحاديثه فكان أكثر رواة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظ للمسلمين ثروة طائلة من السنة النبوية ، وقد اختاره الله لهذه المهمة الجليلة فوهبه ذاكرة قوية محققاً دعوة خير البرية •

وروى الشيخان : أن أبا هريرة قال : انكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انى كنت امرءاً

الله عليه وسلم وأصبح عريف أهل الصفة • أهل العلم والعبادة ، أضياف الاسلام وعباد الله المتمتعون برضوانه تعالى •

أصحاب جامعة عريقة قوامها كتاب الله وسنة نبيه صابرون في البأساء والضراء لأنسهم بالله • يقول أبو هريرة : ان كنت لأعتمد على الأرض من الجوع وان كنت لأشد الحاجر على بطنى من الجوع • ولقد قعدت على طريقهم فمر بى أبو بكر فسألته عن آية فى كتاب الله ما أسأله الا ليستبغنى فمر ولم يفعل ، فمر عمر فكذلك حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف فى وجهى من الجوع • فقال الرسول أقبل أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : لبيك يا رسول الله ، فدخلت معه البيت فوجد زيتاً فى قدح فقال : من أين لكم هذا ؟ قيل أرسل به الينا فلان •

فقال يا أبا هريرة : فانطلق الى أهل الصفة فادعهم ، وكان أهل الصفة أضياف الاسلام لا أهل ولا مال ، اذا أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة أرسل بها

مسكيننا صحبت النبي صلى الله عليه وسلم على بطنى ، وكان المهاجرون تشغلهم التجارة في الأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على جمع أموالهم •

فحضرت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا ، فقال • من بسط رداءه حتى أقضى مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه منى ، فبسطت ردائي على حتى قضى حديثه ثم قبضتها الى ، فوالذي نفسي بيده لم أنس شيئا سمعته منه صلى الله عليه وسلم • ولذا كان مرجع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم •

روى النسائي : في باب العلم من سننه « أن رجلا جاء الى زيد ابن ثابت فسأله عن شيء فقال : عليك بأبى هريرة ، فانى بينما أنا جالس وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله ونذكره اذ خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم حتى حضر الينا مسكنا فقال : عودوا للذي كنتم فيه • قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى قبل أبى هريرة ، وجعل رسول الله

صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا ، ثم دعا أبو هريرة ، فقال اللهم انى أسألك ما سألك صاحبائى وأسألك علما لا ينسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن ، فقلنا : يا رسول الله نحن نسأل الله علما لا ينسى فقال بها الغلام الدوسى • وهذا يدل على مدى شغل أبى هريرة وتلهفه على تحصيل العلم النبوى فكان شغله الشاغل ، يحرص على الحديث من كتاب العلم عن أبى هريرة أنه قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ظننت يا أبا هريرة أنه لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا قلبه • وأبو هريرة العالم العابد المتصوف المجاهد فى ميدان الجهاد ولاعلاء كلمة الله شهيد فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم موقعة اليرموك ، وبعد وفاته فى حرب الردة قاتل مع أبى بكر الصديق

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان مرجع المسلمين في رواية الحديث حتى أن عبد الله بن عمر كان يترحم عليه في جنازته ويقول : وكان يحفظ على المسلمين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) •

وقد روى عن أبي هريرة نحو من ثمانمائة رجل من أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم ، وروى عنه أصحاب الكتب الستة والامام مالك في موطئه ، والامام أحمد بن حنبل في مسنده ، وقد جمع أبو اسحاق ابراهيم بن حرب العسكري المتوفى سنة ٢٨٢ هجرية مسند أبي هريرة وتوجد نسخة منه في خزانة كوبولس بتركيا كما ذكر صاحب الأدب العربي •

نضر الله وجه أبي هريرة ، فقد حفظ على المسلمين حديث رسول الله ، وسمع مقالة الرسول فأداها كما سمعها •

دخل مروان عليه في مرضه الذي مات فيه فقال شفاك الله • فقال أبو هريرة : اللهم اني

ضد المرتدين ، وأشار بذلك ، أخرج الامام أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى ، قال فلما كانت الردة قال عمر : لأبى بكر تقاتلهم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كذا وكذا ؟ فقال أبو بكر : والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة ولأقاتلن من فرق بينهما ، قال أبو هريرة فقاتلت معه •

أما عن كرم أبي هريرة : فقد نقل عن أبي نضرة عن رجل من قال : نزلت على أبي هريرة ولم أدرك من الصحابة رجلا أشد تشميرا ولا أقوم على ضيف منه • وأخرج أحمد عن أبي عثمان النهدي قال : تضيفت أبا هريرة فكان هو وامراته وخادمه يقسمون الليل أثلاثا ، يصلي هذا ثم يوقظ هذا •

وطال عمر أبي هريرة عاش بعد الرسول سبعة وأربعين عاما ينشر

أحب لقاءك فأحب لقائى ثم حرج مروان فما بلغ وسط السوق حتى مات •

انه من خيرة صحابة الرسول الذين قال فيهم الرسول : (خيركم من رآنى وآمن بى) وهو من القرن الأول الذين قال فيهم : (خير القرون قرنى) وهو القائل : (الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم) •

وتوفى بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة عن ثمانية وسبعين عاما قضاهما فى خدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

عبد الله بن عمر بن الخطاب

نسبه : عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى وأمه زينب بنت مظهر بن حبيب الجمحي أخت عثمان بن مظعون • ولد فى السنة الثانية أو الثالثة من المبعث وأسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم •

مشاهده

عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة فى أحد فلم يجزه وعرض عليه فى الخندق فأجازه وهو أول مشهد شهده - وشهد غزوة مؤتة واليرموك وفتح مصر وأفريقية وقدم الى فارس غازيا وهكذا نرى أن نشاطه الحربى كان موفورا حيث خاض أعنف المعارك وأبلغها فى حياة الاسلام والمسلمين ولا غرو أن اضافت تلك الأمجاد الحربية اليه مكانة فى النفوس وخاصة نفوس أهل الشام حيث كان الوحيد الذى يمكنه أن يقاسم معاوية فيها الولاء لو أراد ولكنه أثر الآخرة كما يأتى :

علمه

كان من النجباء الفاهمين اغترف من فيوض النبوة واستفاد من جو الرسالة وحضر كثيرا من المجالس النبوية الشريفة وفى أحد المجالس قال النبی صلى الله عليه وسلم (ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثونى ما هى قال عبد الله فوقع فى نفسى أنها النخلة - ووقع الناس فى

ألفين وخمسمائة والله ما شهد
أسامة مشهدا غبت عنه ولا شهد
أبوه مشهدا غاب عنه أبى قال :
صدقته يا بنى ولكن أشهد لأبوه
كان أحب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أبيك ولهو أحب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
منك • وعاق الحاكم على ذلك
بقوله : فشهد له عمر بأنه لا ينام
من الليل الا قليلا •

عبادته وورعه

عن نافع عن ابن عمر أنه كان
يحبى الليل صلاة ثم يقول :
يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود
الصلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا
فأقول نعم فيقعده فيستغفر ويدعو
حتى يصبح • وكان شديدا
الاحتياط والتوقى لدينه اشتهر
بذلك بين الصحابة فعن جابر رضى
الله عنه قال • مامنا أحد أدرك
الدنيا الا قد مالت به ومال بها
الا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
وعنه أيضا قال • اذا سركرم أن
تنظروا الى أصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم الذين لم يغيروا
ولم يبدلوا فانظروا الى ابن عمر •

شجرة البوادي • ثم قالوا ما هى
يا رسول الله ؟ قال — النخلة —
فلما عرف عمر استحياءه عن
الاجابة لصغره قال له : (وددت
لو قتلته ولا أملك كذا وكذا تشجيعا
له — وكان كثير المسائلة دقيق
العلم خالص الورع محافظا على
السنة روى مالك فى الموطأ عن نافع
وعبد الله بن دينار أنهما أخبراه أن
عبد الله بن عمر قدم الكوفة على
سعد بن أبى وقاص وهو أميرها
فراه عبد الله بن عمر يمسح على
الخفين فأنكر ذلك عليه فقال أسألت
أباك ؟ فقال لا فسأله عبد الله —
فقال عمر : اذا أدخلت رجلك فى
الخفين وهما طاهرتان فامسح
عليهما — قال عبد الله وان جاء
أحدنا من الغائط قال عمر : نعم
وان جاء أحدكم من الغائط
— ومناقشته مع الصحابة للتعلم
أو التعليم كثيرة مشهورة •

شجاعته فى الحق

لما فرض عمر لأسامة بن يزيد
ثلاثة آلاف وفرض لابنه عبد الله
ألفين وخمسمائة قال له يا أبت : لم
تفرض لأسامة ثلاثة آلاف ولى

عبد الله بن عمر وما فى زمانه من يشبهه وعنه : أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بمنكبى وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل • وكان يقول : اذا أصبحت فلا تنتظر المساء واذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك •• وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : ما حق امرئء سلم له شئء يوصى فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده وفى رواية ثلاث ليال ثم قال : ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندى وصيتى •• فيالله لتلك النفوس الطاهرة التى باعت الدنيا بالآخرة وحرصت على العمل أكثر من حرصها على العلم فكتبت لهم السيادة وتحققت لهم العزة فى الدنيا والفوز فى الآخرة •

ابن عمر راويا وفقها

كان متشددا فى الرواية حريصا على آداء ما سمع كما سمع بلا زيادة ولا نقص فعن أبى جعفر قال : لم يكن أحد من أصحاب

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت أحدا الزم للأمر الأول من ابن عمر وعن نافع قال ان كان ابن عمر ليقسم فى المجلس ثلاثين ألفا ثم يأتى عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم فسئل نافع هل كان يأكل اللحم ؟ قال : كان اذا صام أو سافر فانه أكثر طعامه • وكان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الحج والتصدق حتى استغل رقيقه حبه الانفاق فكان أحدهم ربما لازم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه فيقال له : انهم يخذعونك فيقول من خدعنا بالله انخدعنا له وكان اذا قرأ هذه الآية : « ألم يأن

للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » بكى حتى يغلبه البكاء •• وكان اذا ذكر ألامه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى واذا مر على ربعمهم أغمض عينيه •• وسئل عنه نافع : ما كان يصنع فى منزله قال : الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما •• فلا غرو اذا عقدت المقارنة بينه وبين أبيه واذا قيل : كان عمر فى زمانه من يشبهه وتوفى

النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أحذر أن لا يزيد فيه ولا ينقص من ابن عمر •• وعن مالك : قال لى ابن شهاب : لا تعدلن عن رأى ابن عمر فانه أقام بعد رسول الله سنة فلم يخف عليه شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من أمر أصحابه • وقد نقل صاحب الفتح الربانى بترتيب سند الامام أحمد نماذج من فتاواه اخترنا منها ما روى عن عبيد بن جريح أنه قال لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما • يا أبا عبد الرحمن رأيتك تصنع أربعاً لم أر من أصحابك من يصنعها : قال ما هن يا ابن جريح ؟ قال : رأيتك لا تمس من الأركان الا اليمانيين ورأيك تلبس النعال السبئية ورأيك تصبغ بالصفرة ورأيك اذا كنت بمكة أهل الناس اذا رأوا الهلال ولم تهل أنت حتى يكون يوم التروية •• فقال عبد الله : أما الأركان فانى لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس الا اليمانيين وأما النعال

السبئية فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن أكسبها •• وأما الصفرة فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها وأما الالهال فانى لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها حتى تتبعث به ناقتة •• والناظر فى كتب السنة يجدها مشحونة برواياته وآرائه وفتاويه ومواقفه المحموده حتى أنه كان كثيرا ما يقول لا أدري اذا سئل خوفا من أن يقول فى الدين بال رأى أو تجره الأسئلة الى القول بغير علم •

وفاته

حكى مولى له قال : انه أنكر على الحجاج بن يوسف أفاعيله فى قتل الزبير وقام اليه فأسمعه فقال الحجاج اسكت يا شيخا قد خرقت فلما تفرقوا أمر الحجاج رجلا من أهل الشام فضربه بحربة فى رجله ثم دخل عليه الحجاج يعوده فقال : لو أعلم الذى أصابك لضربت عنقه فقال : أنت الذى أصبتنى • قال

عدها بعض العلماء أصح الأسانيد على الاطلاق مالك عن نافع عن ابن عمر وقيل الزهري عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر •

ثناء العلماء عليه

عن حذيفة قال : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم توفى وما منا أحد الا وتغير عما كان عليه الا عمر وعبد الله ابن عمر رضى الله عنهما •

وعن سعيد بن المسيب قال : لو شهدت على أحد أنه من أهل الجنة لشهدت على ابن عمر وعنه أيضا : كان ابن عمر حين مات خير من بقى وعن طاوس ما رأيت رجلا أروع من ابن عمر بل قال عبد الله ابن مسعود : ان أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر • رحم الله بن عمر علما من أعلام الاسلام فى السلم والحرب فى مواقف الجد وفى مواقف الحزم وفى مواقف الورع ووقفنا الى الاقتداء به وأمثاله والسير على نهجهم الى يوم الدين •

تكتور الحسينى هاشم

كيف ؟ قال : يوم أدخلت حرم الله السلاح ووصى ابنه سالم أن يدفنه خارجا من الحرم فلم يقدر فدفن بالحرم بفتح فى مقبرة المهاجرين وكان ذلك فى سنة أربع وسبعين من الهجرة وهو يوم مات ابن أربع وثمانين سنة •

آثاره ورواياته

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فأكثر وعن أبى بكر وعمر وعثمان وأبى ذر ومعاذ بن جبل ورافع بن خديج وأبى هريرة وعائشة •

وروى عنه ابن عباس وجابر والأغر المزنى من الصحابة ومن التابعين بنوه سالم وعبد الله وحمزة وبلال وزيد وعبد الله ومصعب بن سعد وسعيد بن المسيب وأسلم مولى عمر ونافع مولاه وخلق كثير وعده ابن حزم من أكثر الصحابة فتيا مطلقا وممن يمكن أن يجمع فتيا كل واحد منهم مجلد ضخمة • وعدوه من المكثرين فى الحديث فقد روى عنه ألفى حديث وستمائة وثلاثين حديثا • ومن أصح الأسانيد اليه بل لقد

لمحات من أسرار الحج

للمؤلف: محمد صابر البردسي

- زيارة بيت الله الحرام بمكة من الشؤون الدينية التي كانت معروفة من لدن أقدم العصور عند أكثر الأمم •
- وكان العرب قبل الاسلام يحجون الى بيت الله الحرام ، يطوفون بالبيت عراة الاجساد ، مشبكين بين أصابعهم يصفرون ويصفقون •
- فلما جاء الاسلام أقر الحج ، ولكنه نقى أعماله مما شابها من ضلالات الوثنية ، ولم يدعها على ما كانت عليه في عهد الجاهلية بل أنكر الاسلام هذه الضلالات قال تعالى : (وما كان صلاتهم عند
- البيت الا مكاء أو تصدياً (٢)(٣) » •
- والحج في الاسلام يختلف كل الاختلاف عن الحج في سائر الأديان ، فهو في بقية الأديان : عبارة عن التبرك بقبور القديسين ، وما تركوه من آثار ومبان ، وتقديس وعبادة للأوثان •
- أما في الاسلام فهو تحطيم للأصنام ، وتقديس للواحد الديان ، مع سمو بالروح وسماحة ويسر في كل الأعمال ، قال تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » (٤) •

١ - المكاء = الصفر •

٢ - التصدي = التصفيق •

٣ - سورة الانفال آية ٣٥ •

٤ - سورة الحج ٧٨ •

سر عجيب أودعه الله في أم القرى ، لقد خصها الله وحدها بخصائص لا تدرك الا بالروح ، ولا تتذوق الا بالوجدان يقول الرسول عليه الصلاة والسلام عن مكة : وقد امتلأ قلبه حبا لها : « والله انك لخير أرض وأحب أرض الى الله تعالى » •

ويقول : « ما أطيبك وأحبك الى »

قل لى بربك ، أى شىء فى هذه الجبال الصماء ، والرمال الصفراء شديدة الحر ، وشديدة البرد ؟ ليس فيها ما يقصده المتنزهون ، أو يطلبه المترفون •

ما الذى يدفع بهذه الملايين من المسلمين على اختلاف ألسنتهم وألوانهم رفقا اليها ، رغم الصعوبات والعقبات والمشقات •

انها دعوة ابراهيم عليه السلام ، اذ قال فى ضراعة لمولاه : (رينا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ،

فليس من السدين أن يرهق الحاج نفسه ، بأن يتحمل فوق طاقته ويعرض نفسه للتهلكة ولو كان قصده المزيد من الأجر ، والرغبة فى الوفير من الثواب ، ولهذا جعل الله الحج للمستطيع « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا (١) » •

« روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا ماشيا يتهادى بين ولدين له يريد الحج فسأل عن شأنه ، فقيل يارسول الله : انه نذر أن يزور البيت ماشيا ، فقال : كلا : ان الله غنى عن تعذيب هذا نفسه ، احملوه » أى على بعير •

سر عجيب يدفع المسلمين لزيارة الكعبة ، وأمر غريب يحفز الناس للذهاب الى مكة ، تهفو القلوب الى الأرض المقدسة ، وتنهمر عبرات لتلقى بالناس فى أحضان بيت الله الحرام •

جميع المسلمين وقد صانها الله من أن تراق فيها الدماء ، وجعلها حرما آمنا يحرم فيها القتال ، ليتفرغ المسلمون للعمل والانتاج ، ويعيش الناس في أمن وطمأنينة وسعادة وسلام .

والحاج حين يخرج من بيته ومعه قليل من الزاد والعتاد يعينه على التقلب بين الوديان والجبال ، والتتقل بين الصحراء والرمال ، ويمكنه من البقاء في هذه البطحاء فان هذا يذكره بخروجه من الدنيا وانتقاله منها الى الدار الآخرة حيث لا ينفعه الا ما صحبه من العمل الصالح (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) .

قال الامام على «رضى الله عنه وكرم وجهه» :

(ألا ترون أن الله سبحانه وتعالى اختبر الأولين من لدن آدم « صلوات الله عليه » الى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر

ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (١) .

وقال تعالى : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » .

دعا ابراهيم عليه السلام ربه لمكة بأن تكون مهوى الأفئدة تهوى اليها الناس ، لما يكمن في جبالها وشعابها من الوحشة والقلق والخوف ، ودعا لأهلها بالرزق ، لأن الوادي كان مجدبا فاستجاب الله دعاءه ، وجعلها المتاع الروحي للمسلمين ، وأغدق عليها من الرزق بما لم يكن في حسابان العالمين ، وجعلها ملاذا للخائفين ، وملجأ للمحتاجين ، لأن رب البيت ، هو الذي يحمي من يلتجئ اليه ويعوذ به ، « أو لم يروا أننا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » .

وأثر مكة في نفوس الناس واضح ، فهي محل اجلال من

عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو أثر من عهد ابراهيم الخليل ، والمسلمون اذ يقبلون الحجر الأسود يعتقدون في قرارة أفئدتهم أنه حجر لا يضر ولا ينفع ويقبلونه امتثالاً لأمر رسول الله ، واقتداء بما فعله (صلى الله عليه وسلم) وأنه شعار لما خلفه ابراهيم عليه السلام ، ولا يقبل تقديسا لذاته وعبادة له ، لأن الاسلام يحرم الوثنية وينكر عبادة الأصنام والأحجار •

وهذا يبطل اتهام المغرضين بأن الاسلام قد احتفظ ببقايا أوثران الجاهلية •

وهذا هو عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حينما جاء الى الحجر الأسود وقبله قال : (انى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقبلك ما تقبلك) •

على أن الكعبة والحجر الأسود هما الشيطان الوحيدان اللذان لم يتخذهما العرب في الجاهلية ضمن

ولا تنفع ، ولا تسمع ولا تبصر ، فجعلها بيته الحرام الذى جعله للناس قياما ، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجرا ، ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ، ومشاعره العظام ، بين جنات وأنهار لكان له ذلك ويكون قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف اليلاء ، لأن الجزاء على قدر المشقة ، لأن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ، ويتعبدهم بأنواع المجاهد ، ويبتليهم بضروب المكار ، اخراجا للتكبر من قلوبهم وليكون ذلك متمما لفضله ، وأسبابا لعفوه ومغفرته وفي الحج أمور ، لا يصل الانسان بعقله الى كنهها ، والجزم بحكمتها ، لذلك كان الامتثال بشأنها ، أمر واجب ، ويكون أدائها في تواضع وخشوع لله رب العالمين منتهى العبودية لله •

لهذا وجب علينا أن نمثل أمر الله في كل أمر ظهرت حكمته ، أو لم تظهر ، وهذا مقياس لايمان المؤمن ، واختيار لمدى يقينه في الله • فتقبيل الحجر الأسود سنة

الآلهة ، فكيف يقال ان الاسلام احتفظ ببقايا أوثان الجاهلية ؟

وقصد زيارة بيت الله ، قصد لزيارة الله ، فالبيت بيته ، وقد أضافه لنفسه حيث قال : « **وطهر بيتي للطائفين والقاتمين والركع السجود** » (١) .

فالمسلم اذ يستجيب لنداء الله لزيارة بيته « **ولله على الناس حج البيت** » فانه يرجو اكرام الله له لأنه في بيته ، وعلى المسلم أن يكون أهلا لهذه الضيافة بالتوجه اليه والاقبال عليه والاخلاص له .

والصفا والمروة من شعائر الله، ولكن بعض المسلمين تخرجوا من السعى بين الصفا والمروة في الحج والعمرة بسبب أنهم كانوا يسعون بين هذين الجبلين في الجاهلية ، وكان فوقهما صنمان هما (أساف ، ونائلة) فكره المسلمون أن يطوفوا كما كانوا يطوفون في الجاهلية . عن عاصم بن سليمان قال :

سألت أنسا عن الصفا والمروة قال : « كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية ، فلما جاء الاسلام أمسكنا عنهما ، فأنزل الله عز وجل « **ان الصفا والمروة من شعائر الله** » فتخرج المسلمون كان ثمرة الايمان الصحيح فهذا الايمان جعلهم يتحرزون من كل أمر كانوا يزاولونه في الجاهلية ، وأصبحت نفوسهم من الحساسية بحيث تفزع من كل ما كان في الجاهلية ، وتضاف أن يكون منها عنه في الاسلام . لقدغير الاسلام نفوس المسلمين تغييرا كاملا ، فان الاسلام اذا دخل قلب مسلم هز مشاعره ،

وسيطر على وجدانه فينسلخ المسلم عن ماضيه انملاخا كاملا ، ويخلص قلبه للتصور الجديد بكل ما يقتضيه ، فحين يكلف المسلم بعمل مما كان يفعله في الجاهلية فلا يفعله لانه كان يأتيه في الجاهلية وانما يفعله على أنه شعيرة من شعائر الاسلام ، ومن هنا لا يكون في نفس المؤمن حرج فيما يقضيه،

أنوقوف لا تعد ولا تحصى ، فهو المؤتمر العام لجميع المسلمين في أنحاء الدنيا من كل جنس ولون يقف الجميع في صعيد واحد يدعون الله ويرجون رحمته ، وهذا الموقف

تظهر فيه المساواة بين الناس •

وفي حكمة الوقوف بعرفة ، يقول الامام الغزالي : ان حال الواقفين بعرفات — ، وقد تبعوا أثمتهم في أحكام المناسك — بحال الواقفين في فسيح القيامة ، وقد تبعت كل أمة نبيها ، وكل يرجو النجاة ، فعلى كل حاج أن يضرع الى الله ، ويلجأ اليه في المغفرة •

وفي عرفات تقف كثرة كثيرة من صالحى المؤمنين ، ولن يخيب الله رجاء السائلين في هذا اليوم ، فقد ورد (ان من أعظم الذنوب أن يحضر الحاج عرفات ، ويظن أن الله لم يغفر له) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) •

ان المسلمين حين يجتمعون في

لأن الامر غير الامر ، والاتجاه غير الاتجاه • فالشعائر التى أقرها الاسلام نقاها من أوثران الجاهلية وأقرها بالتصور الاسلامى الجديد •

فالسعى شعيرة من شعائر ابراهيم عليه السلام علمها له الله ، وهو ذكرى لحادثة تاريخية لما فعلته السيدة أم اسماعيل زوجة سيدنا ابراهيم عليه السلام ، فانها أول من سعت بين الصفا والمروة بحثا عن ماء لتسقى به طفلها اسماعيل عليه السلام •

وقد احتفظ الجاهليون بهذه العبادة الا أنهم وضعوا على كل من الرابيتين (الصفا والمروة) صنما فلما جاء الاسلام حطم جميع الاصنام ، وأبقى السعى بين الصفا والمروة نقيًا من شعائب الشرك والوثنية ، ومن الحكم التى تلمسها العلماء فى السعى أنها تبيث النشاط فى الاجسام وهى أشبه بالتمارين الرياضية فى هذا الزمان • والوقوف بعرفة ركن من أركان الحج لقوله عليه الصلاة والسلام (الحج عرفة) ، ومزايا هذا

يحيى ويميت ، وهو على شيء
قدير) •

فعلى المسلم فى هذه الظروف
الخيرة الاكثار من العبادة التى
تهدى الى صراط الله ، ومن ساحة
عرفة المباركة يكون الانطلاق الى
رحمة الله ، والتعامل بالحسنى
ونشر مبادئ الاسلام •

والحقيقة أن المسلم منذ بداية
رحلة الحج قد أعلن ميثاقه مع
الله ، وأكد ما عزم عليه بقلبه من
الاحرام بالحج ، ثم اعلانه بلسانه
التلبية ، وهى تؤكد أنه استجاب
لأمر الله الذى أعلنه ابراهيم عليه
السلام ، وأعلنه خاتم الأنبياء
محمد رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) ، فحين يلبي الحاج يعلن
بقلبه ولسانه التوحيد لله لا شريك
له شاكرًا لأنعمه ، حامدًا لله
مانح العطاء وصاحب الملك
لا شريك له •

ومن أكثر من التلبية فى
اخلاص ، وصلى على النبى (صلى
الله عليه وسلم) وسأل الله
رضوانه والجنة ، واستعاذ برحمته

عرفات من كل جنس ولون فى
صورة مشرقة كريمة يجتمعون
للتعاون والتعارف والاخاء فى
منطقة كلها أمان واطمئنان وراحة
وسلام ، يتآلف المسلمون ايمانًا
وعقيدة وعملا •

ان يوم وقوف عرفة يوم يباهى
الله فيه ملائكته فينبغى للمسلمين
أن يروا الله من أنفسهم خيرا ،
وأن يهينسوا عدوهم الشيطان
ويحزنوه بكثرة الذكر والدعاء
وملازمة التوبة والاستغفار ،
ويستمرروا على ذلك حتى تغرب
الشمس من يوم عرفة ثم ينصرفوا
الى مزدلفة بسكينة ووقار وينبغى
الاكثار من التلبية ، والاسراع فى
المتسع لفعل النبى (صلى الله عليه
وسلم) •

والمأثور من الأدعية عشية يوم
عرفة ، ماروى عن على كرم الله
وجهه قال : قال رسول الله « صلى
الله عليه وسلم » : أكثر دعاء
الأنبياء قبلى ، ودعائى عشية
يوم عرفة (لا اله الا الله وحده
لا شريك له ، له الملك وله الحمد

بعرفات ، فان الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا فيقول ، انظروا الى عبادى شعثا غبرا ، اشهدوا أنى قد غفرت لهم ذنوبهم ، وان كانت عدد عدد مطر السماء ، ورممل عالج ، واذا رمى الجمار لا يدرى أحد ماله ، حتى يتوفاه الله يوم القيامة ، واذا قضى آخر طواف بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه « (١) » .

ويستحب للحاج زيارة حرم المدينة المنورة (المسجد النبوى) فاذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده فانه يأتى مسجد النبى « صلى الله عليه وسلم » ويصلى فيه ركعتين ، والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ولا تشد الرحال الا اليه ، والى المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى .

عن ابن عمر أن النبى « صلى الله عليه وسلم » قال : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف

من سخطه ، فان الله يحقق له رجاءه ويستجيب دعاءه ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من لبى حتى تغرب الشمس (أى شمس يوم عرفه) فقد أسمى مغفورا له) . .

روى بن حبان فى صحيحه فى حديث طويل أقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الأنصارى فقال : (ان شئت أخبرتك عما جئت تسألنى) ، فقال : يانبى الله ، أخبرنى بما جئت أسألك ، قال : جئت تسألنى عن الحاج ، ماله حين خرج من بيته ؟ وماله حين يقول بعرفات ؟ وماله حين يرمى الجمرات ، وماله حين يخلق رأسه ؟ وماله حين يقضى آخر طواف بالبيت ؟ فقال : يانبى الله ، والذى بعثك بالحق ما أخطأت مما كان فى نفسى شيئا ،

قال : « فان الحاج حين يخرج من بيته ، ان راحلته لا تخطو خطوة الا كتب الله له بها حسنة ، وخط عنه بها خطيئة ، فاذا وقف

(١) رواه البزار والطبرانى وابن حبان فى صحيحه ، واللفظ له .

بياعدنا عن مشاهدتك ومحبتك ،
واجعل حبنا لك ، موصولا بحب
رسولك •

اللهم ان منهجك هو المنهج
الحق ، وفيه صلاح الأمة وفلاحها
فوفق أولى الأمر الى تطبيق
منهجك والعمل بكتابك لتعيش
الأمة في طمأنينة وأمن وسلام ،
والله الهادي الى سواء السبيل •

محمد صابر البرديسي

مدير المجلة

صلاة فيما سواه الا المسجد
الحرام » (١) •

ويستحب صلاة ركعتين في
الروضة في مسجده « عليه الصلاة
والسلام » لأنها روضة من رياض
الجنة ، فقد روى أبو هريرة رضى
الله عنه أن رسول الله « صلى
الله عليه وسلم » قال : « ما بين
بيتى ومنبرى روضة من رياض
الجنة » (٢) •

اللهم وفقنا لزيارة بيتك ،
ومسجد رسولك ومشاهدة قبر نبيك
اللهم طهر قلوبنا من كل وصف

الى السادة الراغبين فى الاشتراك بالمجلة الاتصال

بتوزيع الأخبار فى بلادهم •

١ - رواه مسلم •

٢ - رواه البخارى •

أخلاقيات البيع والشراء في الإسلام

للمكتـبر رءوف شلبى

ان : الأخلاقيات الاقتصادية في نظر الاسلام هى غايقتنا من هذا البحث ليتعرف المسلمون على أسلوب الحياة الاسلامية التى يريدھا القرآن الكريم وذلك لأن الحياة فى أى مجتمع تقوم على أساس تبادل المنافع بين الناس فيه لأن القاعدة التى تتبع من ظاهرة التحرك اليومى للعلاقات الانسانية فى المجتمع هى : (أن الانسان لا يمكن أن يعيش وحده) (١) .

والتبادل للمنافع فى نظر الاسلام لا يمكن أن يخضع للمنفعة فقط من حيث هى منفعة ، لأنها قد ترتبط بالمعصية ومن ألوانها سلوك القائلين بأن الغاية تبرر الوسيلة . — وقد ترتبط بالأنانية ، ومن ألوانها ايثار الذات على مصلحة الجماعة . . .

وقد تجر كثيرا من المفاسد اذا كانت المنفعة هى الحيثية التى يتبادل الناس على أساسها مصالحهم فى علاقاتهم الاجتماعية، فتبتعد الانسانية بذلك كثيرا عن مميزات كرامتها .

— ولذا تبادل المنافع فى نظر الاسلام مرتبط طردا وعكسا بالقانون الاسلامى الذى يعتبر النية أساسا فى تقبل الأعمال

(١) — نرجو أن يرجع القارئ الى بحثنا عن (المشكلة الاقتصادية فى ضوء الاسلام الحنيف) فى الأعداد الخمسة السابقة على هذا العدد من مجلة الأزهر .

الصالحة عند الله ، والذي حدد ألوانا من التعامل كسلوك مرغوب فيه ، وحرّم أشياء كمنوعات يعاقب كل من انتحاها في سلوكه !؟

— القانون الاسلامى قانون سلوك ، لا قانون عقوبات ، فهو يرسم للفرد وللجماعة كل خطوة

في الحياة ويترك التنفيذ لوازع الدين في نفس كل مسلم (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) •

انه لايركن الى رهبة المجتمع من الحاكم ، انما يركن الى حب الله ورسوله ، وجماعة المؤمنين •

(لا يؤمن أحدكم حتى يكون لله ورسوله أحب اليه مما سواهما) رواه البخارى •

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) رواه البخارى — (انما المؤمنون اخوة) — الحجرات •

— أما القانون الوضعى : فهو

صورة ارهاب ، لأنه لايتحدث الا عن المخالفات ، ولا يضع في اعتباره أنه سلوك ولا توبة فيه ، ولا عفو عنده للجاهل !؟

— ولهذا : فان القانون الاسلامى يعتبر الاخلاق عنصرا أساسيا عند التشريع :

« انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (١) •

(ادعوا الحدود بالشبهات) (٢) • — أما القانون الوضعى :فانه يأخذ بالشبهة وأكثر مايدعيه أنه لحماية الاخلاق ولكن الذى سنه في هذا الصدد هو عقوبات للمتحرفين •

— واذا سلطنا الضوء على الجانب التجارى : البيع ، والشراء •• وجدنا أن القانون الاسلامى يحدد عدة قضايا ، منها :

الأولى : السعى الى طلب الرزق : — فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « باكروا

(١) رواه الحاكم ، والبيهقى فى شعب الايمان ، والبخارى فى الأئب حديث حسن •
(٢) — رواه ابن عدى فى الكامل •

طلب الرزق والحوائج فان الغدو
بركة ونجاح» (١) •

ويقول :

« اذا صليتم الصبح فلا تناموا
عن طلب أرزاقكم ، فان نوم
الصبح يمنع الرزق » (٢) •

— وقد اتخذت هذه القاعدة الى
التنفيذ أجل طريق فيما يرويه
سيدنا أنس رضى الله عنه : « أن
النبي صلى الله عليه وسلم دخل
على فاطمة رضى الله عنها بعد
صلاة الصبح فوجدها مضطجعة ،
فحركها ، ثم قال : يا بنية قومى
فاشهدى رزق ربك ولا تكونى من
الغافلين ، فان الله يقسم أرزاق
الناس ما بين طلوع الفجر الى طلوع
الشمس » •

الثانية : أن التجارة خدمة
اجتماعية للمجتمع الاسلامى ،
وليست وظيفة مالية مهمتها انماء
الثروة الاقتصادية فحسب •
يقول الله تعالى : « **يأيها الذين
آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل الا أن تكون تجارة عن
تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان
الله كان بكم رحيمًا** » (النساء)
— فليست التجارة فى نظر
الاسلام وظيفة مالية بالدرجة
الاولى ، وانما هى خدمة اجتماعية
لمصالح المجتمع الاسلامى بالدرجة
الأولى والأولية •

— وعلى هذا تتبنى عدة
أخلاقيات :

الأولى : أنه لا غش :

— يقول النبي صلى الله عليه
وسلم «من غشنا فليس منا» (٤) •
ويقول : « من غشنا فليس منا ،
والمكر والخداع فى النار » (٥) •

— ويوجهنا النبي صلى الله
عليه وسلم الى هذا فى دعائه لنا :
« اللهم بارك لأمتى فى البكور » (٣) •

(١) رواه الطبرانى فى الاوسط ، وابن عدى فى الكامل •

(٢) رواه الطبرانى •

(٣) رواه أحمد ، وابن حبان ، وأصحاب السنن •

(٤) رواه الترمذى •

(٥) الطبرانى ، وأبو نعيم فى الحلية •

التجارة وظيفتها كخدمة اجتماعية للمجتمع المسلم .

— ويحدد النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب التعامل في البيع ، والاعلان فيقول : « ان صدق انبيعان ، وبيننا ، بورك لهما في بيعهما وان كتما وكذبا فعسى أن يربحا ربحا ما ، ويمحق بركة بيعهما » .

— وقدم النبي صلى الله عليه وسلم على رجل يبيع طعاما فأدخل يده فيه فاذا هو مبلول ، فقال : « من غشنا فليس منا » (٢) .

وقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يتعوذ من التاجر فيقول : « اللهم لاتطمع فينا تاجرا ، فان التاجر يحب الغلاء » .

الثانية : أنه لا احتكار .

— يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يحتكر الا خاطيء » . ويقول : من احتكر على المسلمين طعامهم ، ضربه الله بالجذام والافلاس (٣) .

ويرسم النبي صلى الله عليه وسلم صورة نفسية للتاجر الغاش فيقول : « من باع شيئا فيه عيب لم يبينه لم يزل في مقت الله ، ولم تزل الملائكة تلعنه » (١) .

— فأى مغامر هذا الذى عنده من الجرأة ما يجابه رب العزة ، مقسم الأرزاق ، ومالك الملك ؟

— ومن ذا الذى يستطيع أن يتحمل مقت الله ويطيق لعنة الملائكة ؟

تلك صورة النفس التى يتاجر صاحبها فى غضب الله على المسلمين بالغش والخديعة . والنبي صلى الله عليه وسلم يعظ معاشر التجار فيقول : « التجار يبعثون يوم القيامة فجارا ، الا من اتقى وبر وصدق » .

فيرسم النبي صلى الله عليه وسلم بطريق هز المشاعر فيهم ، وبعث حرصهم على مستقبلهم يوم القيامة ، أمثل الطرق التى تؤدى بها

(١) رواه الترمذى .

(٢) ابن ماجه ، حديث حسن .

(٣) أحمد ، وابن ماجه ، ورواه بلفظ آخر الحاكم ، وأحمد بن حنبل ، حديث حسن .

— ويقول : « من دخل في شيء الله عليه وسلم :

من أسعار المسلمين ليغليه عليهم
كان على الله أن يقعده بمعظم من
النار » •

ويرسم النبي صلى الله عليه
وسلم صورة رائعة للمتسامحين
المتساهلين في تبادل منافعهم بالبيع
التالفة : أنه لا حلف •• من أجل
ترويج السلعة •

— يقول النبي صلى الله عليه .
وسلم « الحلف منقطة للسلعة ،

« ألا أخبركم بمن حرم على النار
وتحرم عليه النار ؟ كل قريب
مين ، سهل اذا باع ، سهل اذا
اشترى ، سهل اذا اقتضى ، يقول
الله تعالى يوم القيامة له : أنا أحق
بذلك منك ، سامحوا عبدي ،
وتجاوزوا عنه كما كان يسامح في
دار الدنيا » •

محمقة للبركة » (١) •
ولم تبلغ التجارة في مجتمعنا
الاسلامى المعاصر مستواها المعهود
اليوم الا لأنها تخلصت من ربقة
النظام الاسلامى وتجاغت مع
أخلاقياته :

— أنه لا غش •

— أنه لا احتكار •

— أنه لا حلف •

٢ — الوزن بالقسط : يقول الله
تعالى « وأقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان » •

— وقد هدد الله المطففين في
الكيل •

— « ويل للمطففين : الذين اذا

اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا

— ومن جليل ما يشرعه الاسلام
•• كسلوك أخلاقى بين البائع
والمشتري :

١ — السماح : يقول النبي صلى

(١) — رواه الشيخان ، وأبو داود ، والنسائى •

(٢) — البخارى ، وابن ماجه •

أسلوب الحرب الذى توسطته
آية « **يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا
الربا أضعافا مضاعفة** » •

وأسلوب الحرب الذى توعده الله
به أكل الربا « **فإن لم تفعلوا فأذنوا
بحرب من الله ورسوله** » — سورة
البقرة •

— ان التجارة وظيفه اجتماعية
من ثلاث نواح :

الأولى : أنها خدمة المجتمع فى
تيسير الحاجات ، وقضاء المصالح ،
وتسهيل تبادل المنافع بين الناس •
الثانية : أنها نبض للدورة
الاقتصادية ، ولذلك حارب الاسلام
كنز المال ، لأنه معطل لها يقول
الله تعالى :

« **والذين يكتزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم
بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى
نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم
لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكتزون** »
(التوبة) •

الثالثة : أنها رفق للزكاة يخرج
منها قدر محدود بالقانون الاسلامى

كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا
يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم
عظيم » سورة المطففين •

٣ — تحريم الربا : يقول الله
تعالى :

— « **يمحق الله الربا ويربى
الصدقات** » سورة البقرة •
ويقول : « **يأيها الذين آمنوا
اتقوا الله •• وذروا ما بقى من
الربا** » سورة البقرة •

— ان الربا يصور جريمة بشعة
فى نظر الأخلاق التى يحرس الاسلام
على نقائها وتنقيتها ، ولهذا فالربا
هو الذنب الوحيد الذى لم يقتصر
بالتوبة مثل سائر الذنوب ، بل على
العكس ، فقد اقترن الربا بالتهديد
والوعيد بالحرب من الله ورسوله
« **فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من
الله ورسوله** » سورة البقرة •

ولهذه العلة — ذاتها — وضعت
آية تحريم الربا فى سورة
آل عمران وسط مجموعة الآيات
العسكرية التى تصور معركتى بدر
وأحد ، ايداناً بأن الربا خلقية
انحرافية لا يشفى منها المجتمع الا
بمثل هذا الأسلوب •

وعرف سيكلوجية المشتري؟!
وقد دخر التشريع الاسلامى
بعدة قضايا .. هى حصيلة خبرة
زائدة ، وقمة تشريع معصوم .
الأولى : أحل الله البيع وحرّم
الربا .

الثانية : لا محاقلة — بيع الزرع
فى سنبله —

الثالثة : لا مخاضرة — بيع الثمار
والحبوب قبل أن ضم صلاحها .

الرابعة : لا ملامسة — أن يقول
البائع للمشتري : اذا لمست الشيء
فقد اشتريته دون خيار —

الخامسة : لا منابذة — جعل
طرح الشيء ونبذه .. بيعا —

السادسة : لا مزاينة — بيع
الرطب بالتمر ، وبيع العنب
بالزبيب .

السابعة : لا تتلقوا الركبان : وهو
عبارة عن : مقاطعة طريق التجار
قبل التعرف على سعر السوق .

الثامنة : لا يبيع حاضر لباد
(لا سمرة) .

التاسعة : لا يبيع الرجل على
بيع أخيه؟!

لتحقيق جانب من الرعاية الاجتماعية
التي ينفذها المجتمع الاسلامى ..
حسبة ، وعبادة ، ورعاية لحقوق
الله واخوانه المسلمين فى المجتمع .
هذه النواحي الثلاث ، مضاف
اليها جانب الفرد نفسه (جانب
التاجر) غانها تدر عليه ربحا — وهو
حلال اذا استعمل المنهج الاسلامى
وأخلاقياته فى البيع والشراء —
فتكفيه مؤنة العيش ، وتدفع عنه
مذلة الحاجة ، بل انها تقوية على
أداء حقوق أسرته ..

— وقد شرف الله تعالى التجارة
فكافت عمل ثلة من الأنبياء الاكرمين
.. ومشهور أن النبى صلى الله
عليه وسلم كان يتاجر للسيدة
خديجة أم المؤمنين الأولى رضى الله
تعالى عنها ، وقد كان الربح السدى
در عليه من عند الله .. واحد من
ارهاصات النبوة ، كما هو محفوظ
فى كتب التاريخ والسيرة ؟

— ولهذا فان التشريع التجارى
فى الاسلام — بالاضافة الى أنه
وحى من عند الله — فقد صدر عن
أخصائى كبير ، وخير أمين مارس
التجارة ، وخبر مدارك التجارة ،

تلك هي موازين البيع والشراء كسلوك سوى في العمل التجارى انحلال •
 حصيلة الرعاية الاجتماعية - الزكاة التى يقدمها المجتمع عن طيب خاطر وقاية للضعفاء وابتغاء مرضاة الله •
 وهى تتضمن :

— فهل هناك بعد هذا من تشريع؟؟
 — فمن أصدق من الله حديثاً؟؟
 — فهل يفيق المسلمون؟؟
 ومتى؟؟
 — لعلهم يستيقظون — ان شاء الله •

دكتور

رعوف شلبى

الحفاظ : على تبادل المنافع التى يحتاج اليها المجتمع على مستوى فاضل يحقق الأخلاق الفاضلة وهى فى أدق مفهومها عند المسلم أنها عبادة لله بامتثال هذا القانون •

والحفاظ .. على استمرار الدورة الاقتصادية دون شره أو طمع أو غش ، ودون تضخم فى الميزان التجارى ، ودون ارهاق بأسلوب العرض والطلب للقوة الشرائية •
والحفاظ .. على جانب من

« الاسلام »

الاسلام دين ودولة عقيدة وشريعة خلق وسلوك ،
 قانون وتشريع ، مصحف وجهاد ، ثقافة وحضارة ، وفى
 ايجاز منهاج كامل للحياة فى كل ناحية من نواحيها •

« صالح عسماوى »

المهدي والخرميني في نظر الإسلام

لفضيلة الشيخ عظمى محمد الطير

الإسلام وفي كتب الأولين ، وفيمن يخالف رأيه في الأمرين جميعا ، وفي مشروع الدين الجديد الذي يعرضه في رسالته ، وبعد الانتهاء من عرض كل فقرة نبين وجه الحق فيها ، حتى يكون الحكم عليها جليا لا خفاء فيه ، واضحا لا لبس فيه ، عادلا لا حيف فيه ، ولكي يستقيم فكر المؤمن على الجادة الرشيدة ، وهو مطمئن الى الغاية الآمنة في دينه وسلوكه ، ونسأل الله التوفيق فيما أردناه وهدفنا اليه .

يقول صاحب الرسالة :

١ - بعد التحية أقرأ مجلة الأزهر برغم أنني لست من رجال الدين ولا من المتزمتين في القراءات فأنا شخصا لا أحب

بعث الأستاذ أحمد زكي موسى هيكل عضو نقابة التجاريين ، وصاحب مكتب الغربية للحسابات والضرائب - بعث - برسالة الى فضيلة الأستاذ محمد صابر البرديسي مدير مجلة الأزهر ، يطلب فيها رأى الدين في المهدي والخوميني اللذين اختلف الناس في شأنهما ، فأطلعني عليها وطلب الى أن أجيب عن أسئلة صاحبها في مجلة الأزهر ، ليشارك مع السائل غيره من القراء في معرفة الحق في أمر المهدي والخوميني ، حسما لموضوع اختلف فيه الكاتبون والقارئون .

وقد رأيت أن أعرض فقرات من رسالة السائل ، ليتعرف القراء على أفكاره وأسلوبه في فهم

كتب المتزمتين (وما يسمى بالكتب الصفراء) هكذا قال صاحب الرسالة •

وكما انتفع المسلمون بعلوم تلك الكتب ومعارفها ، انتفع بها الغربيون في شتى العلوم والفنون ، فقد ترجموها الى لغاتهم بعد أن عرفوا فضلها ، وتتلذذوا عليها في جميع الثقافات ، ولهذا لا ينكرون فضلها وفضل مؤلفيها الذي جحدده صاحب هذه الرسالة حيث سماها الكتب الصفراء ، وسمى قارئها بالمتزمتين •

ويقول صاحب الرسالة في شأن المهدي •

٢ - (هناك موضوع يثور فيه الجدل هذه الأيام وهو موضوع المهدي المنتظر ، هذا الموضوع اختلفت الآراء فيه ما بين مؤيد وغير مؤيد ، وبصراحة تامة • أنا أشك فيمن لا يؤيدون هذا الموضوع ، لأسباب أهمها كراحتهم للامام الخوميني ، وثانيا لأن مجيء المهدي معناه انتهاء عصر الضلال وعصر المسيح الدجال ،

ونقول ردا على ذلك ما يلي :

ان مجلة الأزهر ليست قاصرة على رجال الدين ، ولا حكرا على ما تسميهم أنت بالمتزمتين الذين يقرءون الكتب الصفراء - غفر الله لك - فهي لكل قارئ على أية درجة كانت ثقافته ، لأنها لسان الحق ، وبيان الصدق ، وسبيل الرشاد ، ولم تكتب بأسلوب يصعب فهمه على القارئ ، بل كتبت بأسلوب سهل مشوق ، يقرب البعيد ، ويسهل الصعب ، ويكشف الضباب عن وجه الحق •

ولقد أخطأ الكاتب في التنفير من كتب الأولين ، بوصفها بالكتب الصفراء ، وبأنها كتب المتزمتين ، فلولا هذه الكتب الجليلة ، لكان الناس في ظلام دامس ، وجهل طامس ، وبعد سحيق عن الهدى والرشاد ، فعنها أخذ المسلمون دينهم وعلومهم ، ولا توجد مكتبة

للخومينى سببا فى التشكيك فى موضوع المهدى المنتظر ، فهل الخومينى أهم عند الباحث من موضوع المهدى المنتظر ؟ كلا . فان العكس هو الصحيح ، على أن الجدل فى شأن المهدى أقدم من الخومينى بقرون عديدة ، فلا وجه لتسببه فيه ، ولكنه فى الحقيقة سبب فى اظهاره والتببيه اليه ، بما أقدم عليه من تصريحات خطيرة رفعت المهدى الى مرتبة فوق مرتبة خاتم المرسلين ، وهو ما لا يقول به مسلم .

البوذية والمسيحية والمهدية

٣ - ذكر صاحب الرسالة الكلام الخطير الآتى (وقد اهتمت بهذا الموضوع من سنة ١٩٦٢ ، وقرأت عنه الكثير ، فوجدت أنه مشار اليه فى التعاليم البوذية والزرادشتية ، واليهودية والمسيحية والاسلام ، لم يختلف أحد منهم فى انتظار ظهور المسيح أو المنقذ أو المخلص) .

ونحن نقول لصاحب الرسالة :

وسوف يقام الحساب لكل انسان على ما قدمت يداه (وردا على قوله هذا نقول :

لماذا تشك فيمن لا يؤيد مجيئه وتتهمه بالضلal وهو يقيم الحجة على ما يرى ، أليست المسألة مسألة رأى تقام الحجة عليه ، أم هى نزعة تعصب لا شأن لها بالدليل ، لماذا لا تحترم رأى من يخالف رأيك ؟ - وان كان مخطئا فى نظرك - أليست مسألة المهدى من مسائل الفروع التى لا تزال تجرى الدراسة لها ، والخلاف بشأنها قديم ؟ أما رفعها الى مستوى العقائد المقطوع بها فنأشئ عن هبوط المستوى العلمى عند رافعيها ، انها مروية بأحاديث آحادية متكلم فى شأن صحتها - كما سنبينه بعد - فلا تتعجل بالشك فى غيرك ورميه بمختلف الاتهامات ، فأنت مسئول عن سوء ظنك فى أخيك المسلم ، ألم تقرأ قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم » .

وكيف تجعل كراهة الباحث

والزرادشتية كما أدى اليه كلامك، وكما قال اليهود والمسيحون في مسيا (المخلص) تأثرا بما جاء عنه في البوذية والزرادشتية — حسبما أشار اليه بعض الباحثين الغربيين ؟ *

ومن عجب : أنك في عبارتك خلطت (المخلص) عند البوذية والزرادشتية واليهودية والمسيحية وبين المخلص في الاسلام ، فالمخلص عند الطوائف الأربعة الأولى يقال له المسيح ومسيا ، والمخلص في الاسلام يقال له المهدي المنتظر عند من يقولون به ، ولا يسمونه المسيح ولا مسيا ، لكنك يا صاحب الرسالة لم تظن الى ذلك .

الكتاب المحايدون في مجلة الأزهر

٤ — ثم يقول صاحب الرسالة (وطبعا مجلة الأزهر بها الامكانات الكثيرة والكتابات المحترمون المحايدون ، الذين لا يخشون الاوجه الحق ، فخرجوا أن يكتب أحد السادة المحايدون المثقفين — دينيا ودينويا — بحثا

أنك بهذا الكلام فتحت على نفسك وعلى من يقطعون بظهور المهدي آخر الزمان — فتحت عليكم جميعا — بابا واسعا من الشك في أن المهدي ليست أصيلة في الاسلام ، بل وصلت اليه من التعاليم البوذية والزرادشتية في الهند ، مارة في سبيلها اليه باليهودية والمسيحية ، ومن قبل قالوا في بوذا انه هو الابن الوحيد لله — تعالى الله عن ذلك — وأن هذا الابن الوحيد ولد لله من العذراء (مليا) بغير مضاجعة ، وأنه تجسد في ناسوته ، وقد جعل نفسه ضحية لقاتليه تكفيرا لذنوب البشر ، وأنه لذلك سمي المسيح والمخلص والابن ، ثم قالوا : أن المسيحية — نقلت عنهم ذلك

بقولها ان الابن يسوع هو الكلمة تجسدت في ناسوته ، بسبب التقاء روح القدس بمريم العذراء وأنه أسلم نفسه لصالحبيه وقاتليه ، تكفيرا لخطيئة آدم وذريته ، لذلك سمي المسيح والمخلص وابن الله ، فهل يرضيك في المهدي أن تكون في الاسلام نابعة من البوذية

وردنا على هذا أن العالم الاسلامي كان فرحا مغتبطا بنجاح ثورته ، ولكنه سلك بها طريقا وعرا ، يخشى عليه وعلى العالم الاسلامي من سلوكه فيه ، فانه أضمن القتل في الناس مسيئهم ومحسنهم ؛ بمجرد الاشتباه أو الوشاية ، أو الانتماء الى جيش الشاه أو خاصة الشاة (أو فرقة السافاك) .

ولقد سأل بعض الصحفيين رئيس محكمة الثورة عنده ، هل كل من حكمت عليهم بالاعدام يستحقونه ، أفلا يوجد بينهم برآء ؟ فاعترف بأنه كان منهم برآء ، وأنهم سيدفعون لأسرهم تعويضات عن قتلهم ، فهل هذه التعويضات تعفيهم من عقاب الله تعالى ؟ .

لقد كان على الخميني ورجاله أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في العفو عن المسيء ، توحيدا لصقوف الأمة الايرانية ، ومنعا لتغلغل الأحقاد فيها بسبب البطش الغاشم الذي لا يفرق بين

في هذا الموضوع ، حتى نستريح ونعرف الحقيقة ، فالتناس في حيرة من أمرهم فهم ما بين مصدق ومكذب) .

وتعليقا على هذا الكلام نقول لصاحب الرسالة : انك اتجهت بكلامك هذا الى الطريق السليم ، وهو اللجوء الى مجلة عرف الكاتبون فيها بأمانتهم العلمية ، ليكشف أحدهم النقاب عن موضوع المهدى لتعرف الحقيقة في شأنه وتزول حيرة الناس فيه ، وهذا ما سنعرض له بعد فراغنا من مناقشة ياقى هذه الرسالة .

الخميني مرة أخرى

هـ - ويقول صاحب الرسالة عقب ما تقدم (نعود الى موضوع الخميني - هل هو خارج عن الاسلام والملة ، أبدا : انه رجل يشنق السفاحين ، وتجار المخدرات والخمور ، والعواهر وناهبي الأموال ، فهل الاسلام يمنع هذا ؟ انه ينفذ شريعة الله في الأرض ، فما هو الضرر في هذا ، ولماذا يتحاملون عليه ويشتمونه ؟) .

الى طلبية العلم ، حتى يصل أمرهم الى حبس خمسين من السفارة الأمريكية ، ولا يستطيع رئيس الدولة ولا وزراؤها أن يطلقوا سراحهم ، وأن يعيدوا الطلبة الى معاهدهم وكلياتهم التي هي أولى بهم من الاشتغال بما هو حق لغيرهم ؟ ألم ير هؤلاء الغافلون أن حبسهم لهؤلاء (الدبلوماسيين) ترتب عليه امعان الشيوعيين في الدسائس ، وتوسيعهم الشقة بين الايرانيين والأمريكيين ، وشغل الطرفين بعضهما ببعض ، ليستطيع البلاشقة أن يضربوا ضريتهم القاضية في أفغانستان ، ليكونوا على مشارف الخليج العربي ، ليستولوا على بترول وديولاته ؟ • فماذا كسبت ايران بهذا التصرف الأحمق من طلابها سوى زرع المتاعب للعالم الاسلامي ، واحتلال بعض دولة وتهديد بعض آخر منها ؟ •

وماذا على الخوميني لو رتب بيته ونظم أمته ، وسالم الدول الكبرى التي لا قبل له بها ، ولا يستطيع الصمود لكيدها ومختلف

محسن ومسيء ، ألم يبطش أهل مكة بالمسلمين منهم ، ويحملوهم على الهجرة من ديارهم الى الحبشة مرتين ، ثم الى المدينة المنورة ؟ فلما فتح الرسول مكة عفا عنهم وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء : فأمنوا جميعا ودخلوا هم وغيرهم في دين الله أفواجا ، بسبب تلك السماحة التي راوها في الاسلام ورسوله ، فماذا على الخوميني لو تأسى بالرسول في العفو عن المسيء من أتباع الشاة ، فانهم كانوا مجبورين على ما فعلوا ، منفذين لما أمروا به ؟ •

أفلا يخشى هؤلاء الذين يدعون آيات الله ، أن يفعل بهم غدا ما فعلوه بغيرهم ، فيتهموا بالقتل وسفك الدماء ، وتفريق شمل الأمة وزرع الأحقاد فيها ، وغير ذلك مما قد يكون خفيا على الناس ، وعندئذ لا يكون هناك أحد يدعى آية الله ، من الخوميني الى قلقلى وخلخلى ندلى وحلنجلي ، بل يكونون يومئذ آيات الشيطان الرجيم ؟ •

وما معنى أن ينتقل أمر الدولة

الفتن التي برعت فيها أجهزتها ؟ •
وماذا عليه لو سالم كل العالم ،
ومضى قدماً لتثبيت دعائم الثورة
داخليا ، بتوفير الأمن والأمان
والرخاء داخليا ، وحسم المشكلات
بحكمة ، وأهمها مشكلة الأكراد
وعربستان الذين يطالبون
بالاستقلال ، فليشركهم في حكم
البلاد ، وليخالف بذلك ما كان
عليه حكام ايران السابقون ، من
الاساءة اليهم وعدم الاهتمام
بهم ؟ •

ونحن في هذا المقال لا نريد
التوسع في اثاره المسائل المتعلقة
بالعقيدة عندهم ، ولكننا نكتفي بأن
نذكر لكاتب الرسالة والقراء ، أنهم
يكفرون الصحابة لا يثأرهم أبا بكر
ثم عمر بالبيعة بالخلافة بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، مع
أن عليا في نظرهم كان أولى
بالخلافة منهما ، ولهذا فهم
يكفرونهما ومن بايعهما ولا يوجد
من الشيعة في ميزان الاعتدال
سوى قليل منهم كالزيدية •

ومع اجلال كل مسلم لعلى كرم
الله وجهه في دينه وجهاده ونسبه ،

فان احترام رأى الأغلبية الساحقة
حق على كل مسلم ، حفاظا على
وحدة المسلمين ، ولولا أبو بكر
لضاع الاسلام في غمار الثورة
الهمجية التي أحدثها المستجدون
في الاسلام بالارتداد ومنع الزكاة ،
فلقد وقف وقفته الخالدة ضدهم
وسحقهم بجيوشه ، ثم قام من
بعده عمر بتوسيع رقعة الاسلام ،
حيث قضى على دولة الفرس ،
وضم بلادهم الى بلاده ، ونشر
الاسلام بينهم ، ولولا لما نشأ
الخميني وجيله والأجيال التي
قبله والتي بعده على الاسلام ،
فلماذا يكرهونه ويكفرون جميع
المسلمين سواهم ؟ ولهذا لا يصلون
خلف أئمتهم من أهل السنة ،
ويرون أنها لا تصح ، ولعل القراء
يعرفون أن الذي صلى على شاه
ايران عالم شيعي ، ولو كان سواء
لكان حدثا كبيرا هائلا عندهم •

ثم ماذا فعل العلويون لعلى
كرم الله وجهه بعد بيعته بالخلافة
في بغداد ؟ لقد خذلوه حتى قتل ،
وخذلوا بعده الامام الحسين —
رضى الله عنه — حتى قتل ، وكل

الذى يصنعونه تكفيرا للتخلى عنه، هو تلك المناحات التى يقيمونها سنوياً فى ذكرى مقتله فى عاشوراء، أليسوا هم الذين فوتوا عليه وعلى ذريته الخلافة بترأخيهم فى نصرته ، فماذا تجديه تلك المناحات من بعده ؟ .

المهدى والمسيح فى القرآن

٦ - يقول صاحب الرسالة (فى القرآن ما يشير صراحة الى المهدى فى سورة الزخرف ، ونص الآية « وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم » وفى الحديث عن سيد البشر (وانه ليوشك أن ينزل فيكم المسيح بن مريم فيكسر الصليب ويقتل المسيح ويفرض الجزية (١) - كذا قال - ويفيض المال عن حاجة الناس فلا يقبلونه) .

وقال ابن عباس وغيره : انه المسيح عيسى بن مريم ، ففى حديث مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة : (لينزلن عيسى بن مريم حكما عادلا ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضمنن الجزية) أى يبطلها . ثم قال (وليدعون الى المال فلا يقبله أحد) .

ومن العلماء من أرجع الضمير فى (وانه لعلم للساعة) الى النبى صلى الله عليه وسلم ، بدليل قوله (بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى) أخرجه

وردنا على هذا أنه واضح من كلامه أنه لا يفرق بين المسيح والمهدى ، مع أنهما شخصيتان

(١) والصواب : ويقتل المسيح ويضع الجزية - أى يرفعها كما سيجي فى النص الصحيح .

فلم يفسره أحد بالمهدى كما زعم الكاتب ، وقد بينا فيما تقدم أنه القرآن أو المسيح أو محمد عليهما السلام .

أما حديث المسيح (لينزلن عيسى بن مريم) فواضح من لفظه أنه ليس فى المهدى الذى جاء فى رواياته أنه من أهل البيت وليس من بنى اسرائيل ، فان المسيح من بنى اسرائيل .

الدين الجديد تصريح خطير للكاتب

٨ - ان صاحب الرسالة الأستاذ أحمد موسى هيكى بحاجة الى الرثاء والدعاء له باللطف والمهدى ، فانه لم يكف بتكفير غيره ، بل زعم أن المهدى صاحب دين جديد ، فقد جاء فى الصفحة السادسة من رسالته ما يلى -
عقب مزاعمه فى المهدى فى الصفحة التى قبلها .

مبادئ الدين الجديد :

١ - براءة اليهود من دم

البخارى ومسلم ، وقال الحسن : أول أشراتها محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن هذا يعلم أنه لم يرجع الضمير أحد الى المهدى سواك يا أستاذ أحمد موسى يا صاحب الرسالة .

رجل لا يعرف خطورة ما يقول

٧ - وأخيرا يقول صاحب الرسالة (اننى أعتقد أن كل من يكتبون ضد فكرة المهدى هم كفرة مأجورون ، فهم يكذبون القرآن الكريم ، وحديث النبى صلى الله عليه وسلم : ان العالم كله فى انتظار المهدى أو المسيح) وقد ورط الكاتب نفسه ورطة لا خلاص له منها ، حيث زعم أن من أنكر ظهور المهدى فهو كافر مأجور ، وأنه يكذب القرآن والحديث ، فى حين أنه لا يحل تكفير مسلم الا بانكاره أمرا معلوما من السدين بالضرورة ومجمعا عليه ، والمهدى ليس من هذا القبيل ، فأحاديثه موضوع خلاف كما سنبينه ، أما قوله تعالى (وانه لعلم للساعة)

المسيح ، وكسر الصليب وقتل
المسيح .

٢ - تطهير الأرض من الأنجاس
والخونة والمرتشين والمستغلين .

٣ - توحيد الأديان البوذية
واليهودية والمسيحية في دين
الاسلام .

٤ - اعادة اللاجئين الى
فلسطين .

٥ - اقامة الحكومة العالمية .

— هكذا قال المسكين لطف الله
به . وردنا على هذا المسكين ، أن
دين الاسلام خالد وباق الى قيام
الساعة ، وليس هناك دين جديد
يحل محله وأن عيسى حين ينزل
يعمل بدين الاسلام ، ويأتم بامام
من المسلمين ، ويبرىء أمه من
فرية اليهود عليها ويبرىء نفسه
من القتل والصلب اللذين زعمتهما
اليهودية والمسيحية ، وينصر دين
الاسلام ويحمل الناس عليه ، قال
تعالى في حق نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم « ما كان محمد أباً
أحد من رجالكم ولكن رسول الله
وخاتم النبيين » وقال صلى

الله عليه وسلم « ولن يزال أمر
هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم
الساعة » فتبين بالآية الكريمة
أن لا نبي بعد محمد صلى
الله عليه وسلم ، وتبين بالحديث
الشريف أن أمته ياقية بدينها
مستقيمة عليه حتى تقوم الساعة ،
تلك هي عقيدة المسلمين وسبيلهم
الى ربهم « ومن يتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم
وساءت مصيراً » .

مأجاء في المهدى من الأحاديث وبيان حاله

أمسك البخارى ومسلم عن ايراد
شئ من أحاديث المهدى في
صحيحهما ، لأنها ليست على
شروطهما ، ولكن غيرهما من كتب
السنة أوردتها ، ولم يسلم أى
حديث منها من نقد بعض رجاله
يما ينقله من الصحة الى الضعف
في متنه تبعاً للضعف الذى أصاب
سند بتوهين بعض رواته . فان
القاعدة : أن الضعف اذا مس
السند ، أصاب المتن ، لأنه لم
يثبت الا به .

وقبل ذكر شيء من أحاديثه نذكر خلاصة ما جاء فيها بصفة عامة ، ليعرف القارئ موضوعه مجملا ، قيل ذكرها وبيان حالها ، فنقول وبالله التوفيق •

أفادت تلك الأحاديث فى مجملها أنه سيظهر فى آخر الزمان رجل من أهل البيت يؤيد الاسلام ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ويستولى على الممالك الاسلامية ، وبعد ظهوره يخرج المسيح الدجال وما بعده من أشراط الساعة المضيقه ، وأن عيسى عليه السلام ينزل بعده ، فيقتل الدجال ، وفى بعض الروايات أنه ينزل فى عهد المهدى فيساعده فى قتله ، ويأتم عيسى بالمهدى فى صلاته — تلك هى خلاصة قصته فى مختلف الأحاديث •

وقد جاءت أحاديثه فى الترمذى وأبى داود وابن ماجه والحاكم وغيرهم عن جماعة من الصحابة ، منهم على وابن عباس وابن عمرو وجابر وغيرهم •

ولم يسلم حديث من أحاديثه من اعتراض وتوهين لبعض رواته فى أثناء السند ، ومن أغربها

اسنادا ما ذكره أبو بكر الاسكاف فى فوائد الأخبار مسندا الى مالك ابن أنس عن محمد بن المنذر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كذب بالمهدى فقد كفر .. الخ • » قال ابن خلدون تعليقا — على الحديث : حسبك هذا غلوا — ثم قال — على أن أبا بكر الاسكاف متهم وضاع عند أهل الحديث — يعنى أنه لا يعول على حديثه ولا يعمل به ، لأنه كذاب كثير الوضع للأحاديث •

وعند الترمذى وأبى داود بسنديهما الى ابن عباس وابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو لم يبق من الدنيا الا يوم تطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى — أو من أهل بيتى — يواطىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى » هذا لفظ أبى داود وسكت عليه • أما لفظ الترمذى فهو (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى) ويقول محمد بن سعد فى عاصم

المغيرة قال : حدثنا عمر بن أبي قبيس ، عن مطرف بن طريف ، عن أبي الحسن عن هلال بن عمر قال : سمعت عليا يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث ، على مقدمته رجل يقال له منصور ، يوطىء — أو يمكن لآل محمد ، كما مكنت قریش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجب على كل مؤمن نصره — أو قال اجابته —) سكت أبو داود عليه ، وقال في موضع آخر في هرون بن المغيرة : هو من ولد الشيعة ، وقال السليمانى فيه نظر ، وقال أبو داود في عمر بن أبى قبيس في حديثه خطأ ، وقال الذهبى : صدوق له أوهام .

ويلاحظ أن هرون ليس شيخا لداود ، فروايته عنه منقطعة ، وأن أبا الحسن وهلالا مجهولان . تلك نماذج لبعض أحاديث المهدى وبعض ما قيل فيها ، ولو أردنا استيعابها واستيعاب ما قيل في بعض روايتها لاحتجنا الى عدة مقالات .

أحد رواته : كان ثقة ، الا أنه كان كثير الخطأ في حديثه ، وقال فيه يعقوب بن سفيان : في حديثه اضطراب ، وقال فيه العقيلي كان سيئ الحفظ ، وقال العجلي في شأن عاصم هذا : كان يختلف عليه في أبى ذر وأبى وائل ، يشير بذلك الى ضعف روايته عنهما : وقد روى هذا الحديث من طريقهما .

وروى أبو داود عن علي رضى الله عنه — من رواية قطن بن خليفة — عن القاسم بن أبى مرة عن أبى الطفيل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جورا » وقطن بن خليفة أحد رواته وان وثقه أحمد ويحيى ابن القطان وغيرهما ، فقد جرحه غيرهم فوصفوه بالتشيع ، وقال فيه أحمد بن عبد الله بن يونس : كنا نمر على قطن وهو مطروح لا نكتب عنه ، وقال فيه مرة أخرى : كنت أمر به وأدعه مثل الكلب ، وقال الدارقطنى : لا يحتج به .

وأخرج أبو داود عن هرون بن

مركب أعدوه ليركبه ، ويظلون ينتظرونه الى فترة طويلة من الليل ، فينصرفون ثم يعودون الى مثل ذلك في الليلة المقبلة ، وهؤلاء يسمون الواقفية والمنتظرين ، والامام الثاني عشر يسمى عندهم المهدي المنتظر ، كما نقله ابن خلدون عنهم .

والحق : أن هذه أوهام مبنية على عقائد فاسدة ، فمحمد بن الحسن العسكري ليس من أهل الخلود حتى يبقى الى يومنا هذا ، وإذا كان قد مات فادعاء عودته ادعاء للبعث قبل يوم القيامة وهو ظاهر الفساد ، ولا يوجد نص يؤيده ، وقياسه على أهل الكهف قياس فاسد يفتح الطريق لأهل البدع والفساد ، وكما ادعى المهدي الاثنا عشرية ادعاها غيرهم في أماكن متفرقة في بلاد الاسلام وظهر بطلانها ، وأريق بسببها دماء المسلمين .

وحيث كان أمرها ما تقدم فلا ينبغي أن ترقى الى قمة العقيدة ، وحسبنا كتاب الله تعالى فهو

وبالجملة : فما من حديث من أحاديثه الا وجه الى بعض رواته ما يضعف روايته .

وبما أن علماء السنة يقدمون الجرح على التعديل ، فلهذا لا نستطيع الجزم بظهور المهدي فهو على أحسن الفروض أمر مظنون لاجتماع تلك الروايات مع احتمال الوضع من الشيعة والوضاعين الذين يظاهرونهم ، تأييدا لأملهم في عودة الخلافة للفاطميين وتسلية لهم وتقوية لصفوفهم ، حتى يظلوا مترابطين متعاونين في سبيل الأمل المنشود .

ومن هنا : نشأت قصة المهدي المنتظر ، على اختلاف وجهات نظر الشيعة فيه ، ومنهم الاثنا عشرية الذين يزعمون أن الأئمة اثنا عشر اماما ، وأن الثاني عشر من أئمتهم هو محمد بن الحسن العسكري ، ويلقبونه بالمهدي ، ويزعمون أنه دخل في سرداب بدارهم بالحلة ، وأنه يخرج من هذا السرداب في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا ، وهم ينتظرونه كل ليلة بعد صلاة المغرب عند باب السرداب ، ومعهم

هادينا الى سواء السبيل ، فمن دعا بدعوته على سنة نبيه ظاهرناه وأيدناه واقتدينا به ، سواء أكان من أهل البيت أو من سواهم ، على ألا يسب أحدا من أصحاب رسول الله وأئمتهم — كما يفعل غلاة الشيعة ولقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في قلوبنا الطمأنينة على مستقبل الاسلام بقوله « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة » ويقول « يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » أو كما قال •

ولندع أمر المهديّة لله تعالى ، فقد خلقت في الأمة الاسلاميّة متاعب وخلافات ، وأريقّت بسببها دماء ، وتفرقت بسببها شيعا

وأحزابا ، ولنتمسك بكتاب الله الذي وصفه الرسول بقوله « فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، وهو حبل الله المتين ، وهو الصراط المستقيم ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا « انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فأمنّا به » من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » والله تعالى أعلم •

مصطفى محمد الحديدي الطير

« العلم »

ما كرم الاسلام أحدا تكريمه لطالب العلم ، ولاحت الاسلام على شبيبته على نشر العلم وتيسير السبيل اليه •

مناسك الحج.. والرمزية

للكرّم محمود بن الشريف

في شريعة الاسلام أمور تعبدية فرضها الشارع الحكيم ، تخفى
حكمتها على المؤمن الباحث المتعمق وهذه الامور التعبدية مقياس
لايمان المؤمن ، ومختبر لمسدى يقينه وعمق ايمانه .

أن ينفذ فيعرف الحكمة الالهية ، أو
يستشف الغرض الالهي ، والمرمى
الرباني ؟!

وستظل هذه الأمور التعبدية
بلطائفها ودقائقها ، ستظل دليلا
شامخا على تصور العقول البشرية
وأنه « ليس للعقل في النهاية الا أن
يذعن للوحي الالهي ، وهو : اذعان
ليس بتعسفى أو تحكمى ، انما هو
مصدره الايمان اليقيني بأن هذا
من عند الله ، وما دام من عند الله
فانه لا يأتيه الباطل من بين يديه
أو من خلفه » ان سلفنا الصالح
كانوا ينزعون هذه النزعة .. نزعة

ولا يسع عقل المؤمن حيالها —
بعد أن غجز عن الوصول الى كنه
سرّها ، وحكمة تشريعها — لايسعه
الا أن يذعن للنص الالهي في يقين
لا يخالطه ريب ، ويؤمن به في عمق
لا يخالجه شك .

ويحاول البعض — بعد أن أجهد
عقله ، أن يوجد لهذه الأمور
التعبدية أسراراً تشريعية ، ولكنها
في واقع الأمر محاولة .. ومحاولة
فحسب ، فمتى كان للعقل القاصر
أن يصل الى الهدف الالهي ؟! ومتى
كان للطين بقتامته وعتمته وظلامه

المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولهجاتهم • يجتمعون جميعا في الشهر الحرام في البلد الحرام، في البيت الحرام • يستعرضون ما جابههم من مشكلات وأزمات ، وما حل بمجتمعاتهم من حوادث وأحداث تستدعي المشورة : وتتطلب تبادل الآراء ، للوصول الى الحل الحاسم ، الذى به تتحدد الاتجاهات ، وتتوحد المقاصد ، وتتحقق الآمال الموصلة الى الغايات والأهداف •

ولما كانت بعض أعمال الحج لها جذور من أيام الجاهلية جاء الاسلام فنقاها مما شابها من ضلالات الوثنية ، ومما شأنها من أدران الجاهلية ، وجعلها أعمالا خالصة لله تبارك وتعالى •

وتعليقا على هذا وتعقيبا ، يقول الامام الشهيد الشيخ حسن البنا — من مقال له في العدد الثالث من مجلة الشهاب — يقول : « ينتهز بعض الذين لا يعلمون الحكمة

الخضوع المطلق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ••

لقد كانوا يذعنون للنقى ، يذعنون له بجوارهم ، وقلوبهم ، وأرواحهم وعقولهم ، لقد كانوا يخضعون عقولهم للنص ، ويجعلونه القائد الحاكم المهيمن ، وكانوا يعرفون أن ادخال شخصيتهم في النص انما هو انحراف يعظم أو يقل حسب مدى التدخل البشرى في النص ، وكانوا يعرفون أن الوحي انما جاء هاديا للعقل وقائدا له في الامور التى لا يتأتى للعقل أن يلج ميادينها ، أو يقتحم حماها » (١) •

والحج هو أكثر العبادات الاسلامية اشتمالا على الأمور التعبدية التى لا تعرف حكمتها معرفة مفصلة أكيدة •

وهو : فريضة الهية •• وأساس من أسس الدين الذى قام عليه بناء العقيدة الاسلامية •• وهو مؤتمر اسلامى سنوى عالمى ، يضم

(١) من كتاب «الاسلام والعقل» للامام الراحل الدكتور عبدالحليم محمود

والذى يعظم علم وطنه يعلم أنه
فى ذاته قطعة نسيج لا قيمة لها
ما ديا ، ولكنه يشعر كذلك أنها
ترمز الى كل معانى المجد والسمو
التي يعتز بها وطنه ، وأنها تصور
أدق المشاعر فى وطنيته ، فهو
يحيى هذا العلم ، ويعظمه ،
ويحترمه ، ويكرمه لهذه المعانى التي
تجمعت جميعا وتمثلت فيه ..
والكعبة المشرفة : علم الله المركز
فى أرضه ، ليمثل به للناس أوضح
معانى أخوتهم ، وليرمز به الى
أقدس مظاهر وحدتهم ، وانما
كانت بناء ليكونوا كالبنين
المرصوص يشد بعضه بعضا ...
ومن أجمل الجميل أن يقدم على
رفع هذا البناء ابراهيم الخليل
أبو الأنبياء .

وما الحجر الأسود الا موضع
الابتداء ، ونقطة التمييز فى هذا
البناء ، وعنده تكون البيعة لرب
الأرض والسماء على الايمان
والتصديق والعمل والوفاء :

اللهم ايماننا بك — لا بالحجر —
وتصديقنا بك — لا بالحجر —

البالغة فى هذا التشريع الحكيم :
تشريع الحج ، ينتهزون هذه
الفرصة فيغمزون الاسلام بأنه
مازال متأثرا ببقية من وثنية
العرب ، وأن الكعبة والطواف من
حولها ، والحجر الأسود واستلامه
وما يحيط بذلك من معانى التقديس
والتكريم ، ان هو الا مظهر من
مظاهر هذا التأثير ..

وهذا القول بعيد عن الصحة ،
عار عن الصواب ، فالمسلم الذى
يطوف بالكعبة أو يستلم الحجر
الأسود يعتقد اعتقادا جازما أنها
جميعا أحجار لا تضر ولا تنفع ،
ولكنه انما يقدر فيها هذا المعنى
الرمزى البديع : معنى الأخوة
الانسانية الشاملة ، والوحدة
العالمية الجامعة ، ويذكر فى ذلك
قول الله العلى القدير : (جعل
الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس) .

من سورة المائدة : آية ٩٧
والرمزية : هى اللغة الوحيدة
لتمثيل المعانى الدقيقة ، والمشاعر
النبيلة التي لا يمكن أن تصورها
الالفاظ ، أو تجلوها العبارات ،

ولا بالخرافة — ووفاء بعهدك :
وهو التوحيد الخالص — لا الشرك
— واتباعا لسنة نبيك محمد صلى
الله عليه وسلم ، محطم الأصنام .
فأين هذه المعانى الرمزية
العلوية من تلك المظاهر الوثنية
الخرافية ؟!

ان الكعبة المشرفة رمز قائم
خالد .. ركز الاسلام من حوله
أخلد وأقدس وأسمى معانى
الانسانية العالمية ، والأخوة بين
البشر . (واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وأمنا) .

وفى الحج أمور تعبدية خفى
على الأفهام سرها ، ودقت على
المدارك حكمتها ، ولم تفتن العقول
ولن تفتن الى معرفة حكمتها
معرفة تفصيلية دقيقة على وجه
القطع والتأكيد .

وعلى الرغم من ذلك : فان هناك
محاولات للعلماء قاموا فيها —
حسب وسعهم — بالتحليل والتعليل
وتبيان ما اشتمل عليه الحج من
أسرار و « رمزية » .

وعن هذه الرمزية يقول المغفور
له الامام : محمود شلتوت شيخ
الأزهر السابق : « ما الاحرام فى
حقيقته — وهو أول مناسك الحج
— الا التجرد من شهوات النفس
والهوى ، وحبسها عن كل ماسوى
الله . وعلى التفكير فى جلاله .
وما التلبية الا شهادة على النفس
بهذا التجرد ، وبالتزام الطاعة
والامتثال .

وما الطواف بعد التجرد : الا
دوران القلب حول قدسية الله .
صنع المحب الهائم مع المحبوب
المنعم الذى ترى نعمه ولا ترى
ذاته .

وما السعى بعد هذا الطواف :
الا التردد بين علمى الرحمة
التماسا للمغفرة والرضوان .

وما الوقوف بعد السعى : الا
بذل المهج فى المضاعة بقلوب
مطوءة بالخشية ، وأيد مرفوعة
بالرجاء ، وألسنة مشغولة بالدعاء
وآمال صادقة فى أرحم الراحمين .
وما الرمي بعد هذه الخطوات
التي تشرق بها على القلوب أنوار

السوداء ، والرغبات الجامحة
الجانحة ، والروح الشريرة ٠٠ كل
هذا هو الذى يجب أن يحاربه
المؤمن ، وأن يشهر عليه سيف
الايمان ، ويطارده بالابتعاد عنه ،
والتغلب على فحيحه ووساوسه •
انه بذلك الرجم يكون قد تحرر
من همزات الشياطين ، وتحلل مما
تدفع اليه من كبائر ومنكر
ومجترحات •

ربها : الا رمز مقت واحتقار
لعوامل الشر ونزعات النفس ، والا
رمز مادی لصدق العزيمة فى طرد
النهوى المفسد للأفراد والجماعات •
وما الذبح — وهو الخاتمة فى
درج الترقى الى مكانة الطهر
والصفاء — ما هو الا اراقة دم
الرديلة بيد اشد ساعدها فى بناء
الفضيلة ، ورمز للتضحية والفداء
على مشهد من جند الله الابرار « (١)

الرمى ٠٠ والرمز :

ان الحاج الذى يرمى هذه
الجمرات يكون قد أخذ على نفسه
عهدا عمليا بأن يتغلب على
وسوسة الشيطان كما تغلب عليها
بهذا الرمى ابراهيم وولده اسماعيل
عليهما السلام ، حينما طاردهما
الشيطان ولاحقهما ، وهم فى هذه
المواضع الثلاث من « منى » عندما
كان ابراهيم ينفذ أمر ربه بذبح
ولده •

والجمرات حجارة صغيرة ،
يحبس بها شخوص حجرية ترمز
الى الشياطين ٠٠ ورمى الجمرات
ليس عملية آلية ، بل هى عملية
رمزية هادفة ، تومىء الى أن يرجم
المؤمن شيطان نفسه ، المستقر فى
أعماقه ، الكامن فى دخيلته ، الذى
يزين له كل شر وضر ، ويغريه بكل
اثم ومنكر • وان الشيطان ليجرى
من ابن آدم مجرى الدم ٠٠ ان
هذا الشيطان ومعه النفسية

وكان الوالد والولد ٠٠ كان كل
منهما فى سبيل أداء عبادة ، وهل

(١) ص ١٢١ من كتاب : « الاسلام عقيدة وشريعة » للشيخ محمود شلتوت •

العبادة الا تنفيذ أو أمر الاله ، حتى ولو كانت تبدو في ظاهر الأمر على خلاف العادة •

ان الحج محتو على حكم عديدة — وقل من يتعرض لها من المؤلفين والمصنفين — فأولها : أن الله تعالى شرف عبده بأن استدعاهم لحل كرامته والوصول الى بيته ، ولما كان الله منزها عن الحلول في محل : (ليس كمثلـه شيء وهو السميع البصير) أقام البيت الحرام مقام بيت الملك ، لان الملك في الدنيا اذا شرف أحدا دعاه لحضرته ، ومكنه من تقبيل يده ، وأمره باللياذ به ، وجدير به حينئذ أن يقضى حوائجه ••

وكذلك المولى — سبحانه وتعالى — استدعى عبده لبيته الحرام ، وأمرهم باللياذ به ، وأقام الحجر الأسود مقام يد الملك ، فأمرهم بتقبيله •• وأمرهم بطلب حوائجهم ••

واذا كان اللائق بملوك الدنيا قضاء الحوائج في هذه الحالة ، فكيف بملك الملوك المعطى بغير

ومع ذلك ، ومع عدم فقه الكنه وفهم السر الا أن كلا منهما استعد لتنفيذ الأمر ، بل واتخذ الخطوات الايجابية نحو التنفيذ •• وقام الشيطان يغالب ، ويوسوس ، ويهمس ، محاولا أن يدفع الولد والوالد الى العصيان والى التمرد •• وتحلل ابراهيم واسماعيل من وسوسة الشيطان ، بعد أن ألقيا في وجهه حصى الأرض حتى لايعود الى مغالبتهم •• وعند ذاك تمت لهما الغلبة •• وكان لهما النصر والفداء بعد التضحية والاذعان •

ويسوق فضيلة الشيخ : حسن المشاط في كتابه : (اسعاف أهل الاسلام بوظائف الحج الى بيت الله الحرام) يسوق تعليقات وأسراراً ورموزاً للعديد من الأمور التعبدية التى تضمنها هذا الركن الاسلامى العظيم ، قال : « ان العلامة : « خليل المالكى » ذكر في مناسكه كلاما عجيبا في سر ما

سؤال ؟

اشارة الى أن من دخل الحرم فهو آمن ، وليطمع العبد آئذ في تأمين مولاه له ..

وشرع عند دخوله مكة الغسل :
اشارة الى تطهير قلبه مما عساه أن يكون قد اكتسبه من أول احرامه الى حين وقت الدخول في محل الملك . وأنه لا ينبغي له أن يدخل الا بعد تصفيته من جميع الأكدار .

وشرع طواف القدوم : اشارة الى تعجيل اكرامه ، لأن الضيف ينبغي أن يقدم اليه ما حضر ، ثم يهيا له ما يليق .

وكان سبعة أشواط ، لأن أبواب جهنم سبعة أبواب ، فكل شوط يغلق بابا .

ثم يركع بعد الطواف . زيادة في القرب والتداني ، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

وأمره بعد ذلك بالسعى ، والبداءة بالصفة : اشارة الى أن العبد اذا أطاع مولاه أوصلته

وشرع الغسل عند الاحرام :
اشارة الى أن من استدعاه الملك ينبغي أن يكون على أكمل الحالات طهارة قلب ولسان .

وشرع خلع الثياب : اشعاراً بحالة الموت ، ليتخلى عن الدنيا ، ويقبل على باب ربه وعبادته ، لان نزع ثيابه كنزع ثياب الميت على المغتسل ، ولبس ثياب الاحرام كلبس الاكفان ، وتشبيها بنبيه « موسى » عليه السلام . فانه لما قدم الى المناجاة قيل له : (اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى)
والحاج قادم على الأرض المباركة المقدسة ، وقصدا لمخالفته حالته المعتادة ليتنبه لعظيم ما هو فيه ، فلا يوقع خلا ينافيه .

وأمر عبيده بترك الرفاهية ، واللقاء التفت : اشارة الى ترك حظوظ النفس ، وأن العبد اذا قدم الى مولاه لا يأتيه الا خاضعا ذليلا ولا يشتغل بغير الله تعالى .

ونهى العبد عن قتل الصيد :

طاعته الى محل الصفا وصفاء
القلوب •
ثم أمره بالخروج الى « منى » :
اشارة الى بلوغ المنى •

ثم أمره بالنزول والمسير الى
المروة : اشارة الى أن العبد ينبغي
له أن يتردد في طاعة ربه بين صفاء
القلب بخلوه مما سوى ربه ، وبين
المروءة بالسمت الحسن وترك
المجانة • وأمره أن يفعل ذلك
سبعاً : اما للمبالغة في الابعاد عن
جهنم — واما لما في السبع من
الحكم التي لا يحيط بكتتها الا رب
الأرباب : جعل الأيام سبعاً ،
والأقاليم سبعاً ، والأفلاك سبعاً ،
وتطور الانسان سبعاً ، وطباق
العين سبعاً ، وأمره أن يسجد على
سبع ، وجعل السموات سبعاً ،
والأرضين سبعاً ، وجعل أرزاق
الناس سبعاً اشارة الى قوله
تعالى : (فلينظر الانسان الى
طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم
شققنا الارض شقا ، فانبثنا فيها
حبا وعنباً وقصباً وزيتونا ونخلًا
وحدائق غلباً وفاكهة وأبا) فالحب
والعنب • الى آخره للانسان ،
والأب للانعام •

ثم أمره بالمسير الى عرفات :
لأنها محل المعرفة والمناجاة ••
وأمره بالدعاء : لأنه ينور القلب
ويوجب انكساره وتذله •

وأباح الجمع والقصر رفقا بهم
ثم أمرهم بطلب الحوائج ،
ولهذا استحب لهم الوقوف بعرفة
ليكون أبلغ في التضرع ، ثم ان
وقوفهم في هذا اليوم شبيه
بوقوفهم في المحشر ••

ثم أمرهم بحلق رؤوسهم ،
ليزول ما في الشعر من الدرن
والعفن ، وفيه اشارة الى منع
تبذير المال ، لأن الشعر يبقى
الدماغ من البرد ، كما أن المال يبقى
الانسان من الفقر ، ولذلك قال
المعبرون : « من رأى شعر رأسه
قد ذهب ، فهو ذهاب ماله » •

الدكتور محمود بن الشريف

حول إعلام إسلامي رشيد

خطبة الجمعة

للكرّم محمد رهب البيومي

يخيل الى أن لقاء الجمعة الأسبوعي ، يجري على غير وجهه التام ، في كثير من بلاد الاسلام ، فقد أصبح في أكثر أحواله أمرا آليا ، يؤدي كما يؤدي أي عمل تقليدي ، دون أن يثمر فائدته المنتظرة ، التي هدف اليها التشريع ، فكل المسلمين يعلمون أن صلاة الجمعة فرض عين ، على من توفرت فيه الشروط ، بحيث لا يغنى أحد عن أحد ، ومفهوم هذه الفريضة عند الأكثرية الكاثرة : أن يحين وقت الصلاة فيسرع المسلمون الى المسجد كي يستمعوا الى كلمات تقال ، ثم تقام الصلاة ، فاذا فرغ المصلون هبوا ينتشرون في الأرض ، وكأنهم تخلصوا من عبء ، بل ان بعض الناس يستمع

وهذا بعض ما يحدث دون مبالغة !!

أفكان ذلك كل ما عناه الشارع الحكيم ، حين فرض على المسلمين هذا اللقاء الأسبوعي الهام ؟!

أم أننا نغفل روح الفريضة مكتفين بشكل ظاهري نحسبه كل شيء ! وما هو الا تكليف نؤديه في غير نشاط •

يغنى أحد عن أحد ، ومفهوم هذه الفريضة عند الأكثرية الكاثرة : أن يحين وقت الصلاة فيسرع المسلمون الى المسجد كي يستمعوا الى كلمات تقال ، ثم تقام الصلاة ، فاذا فرغ المصلون هبوا ينتشرون في الأرض ، وكأنهم تخلصوا من عبء ، بل ان بعض الناس يستمع

ونتلمس فيه أوجه الهداية
والارشاد •

وقد يكون الحديث في غير ذلك
كله ، مما يجذب أذهان السامعين ،
ويدعوهم الى التدبر البصير •

فاذا انتهت الخطبة ، وفرغت
الصلاة ، نهض المصلون ليتعاونوا
على البر والتقوى ، وليبدوا الرأي
فيما سمعوه ، باذلين أقصى
الجهود في تذليل العقبات وتيسير
الصعاب ، ومترقبين أن يكون لقاء
الجمعة القادم تحقيقا لأمل يرجى ،
وارتبابا لخير يتاح بما سيقوم به
القادرون من تنفيذ واحكام •

هكذا كان لقاء الجمعة الأسبوعي
على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وفي الصدر الأول من
الاسلام ، اذ يقوم صاحب الأمر
فيخطب القوم فيما يشغلهم من
الأحداث ، ويتعاون السامعون
على الطاعة في الخير ، ويتدارس
القوم معضلات الفتوح والغزو ،
ويشيرون بما يرون من حلول •

لقد كانت خطوات الفتوح

أعتقد أن لقاء الجمعة - في
هدفه الأصيل - مؤتمر أسبوعي
يحتمه الاسلام بين أهل القرية
أو الحى في المدينة ، ليتلاقوا جميعا
على حالة يتضح فيها الالتئام
المتماسك فتتصافح الأكف ،
وتتعارف الوجوه ، ويسأل الحاضر
عن الغائب لم تأخر ؟ أمسافر
فيعذر ؟ أم مريض فيزار ؟ أم
مأزوم فيسارع اخوانه الى فك
ضيقه ؟ فاذا اكتمل الجمع ، وأزف
الموعد المحدد ، نهض الخطيب
المتفتح فحدث القوم بما يشعرون
به من احساس فورى اذ يبسط
مشكلات الساعة في ضوء القرآن
الكريم ، والسنة المحمدية •

وقد يكون الحديث محليا اذا
اتجه الى مشكلة تخص القرية أو
الحى وحدهما ، كانتشار مرض ،
أو اختفاء سلعة أو ترويح اشاعة
كاذبة لا أساس لها ، أو دعوة
لانتقاذ محصول زراعى ، أو اسهام
في مشروع حيوى •

وقد يكون الحديث وطنيا اذا
اتجه الى أمر يشغل الرأي العام ،

الاسلامى تذايع خطوة خطوة من منبر الجمعة على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، كان الخليفة الراشد يصعد الى المنبر ليذيع الوقائع بنفسه ، فاذا ما انتهت الخطبة وقامت الصلاة ، وجد عشرات السامعين يلتفون حوله ليشيروا بالرأى ، وقد تمتد المشورة حتى تحين صلاة العصر ، فيكون يوم الجمعة في صميمه مؤتمرا اسلاميا تناقش فيه العضلات سافرة دون نقاب !

هذا من الناحية الاجتماعية ! أما الناحية العلمية ، فلا بد أن يكون لها مكانها الجهير ، لأن الخطيب يتحدث بلسان الدين ، ويلقى هديه في ظلال ما يختار من آيات القرآن وأحاديث الرسول ، وسير السلف الصالح ، فكل مشكلات المجتمع ، وأدواء الزمن ، تعالج تحت مصباح القرآن ، وترصد في مجهر شريعة الاسلام .

وقد فرض الاسلام خطبة الجمعة أسبوعيا لغرض ثقافى هادف .

ثم اتسع ظل الاسلام فأصبح في كل قرية من ملايين القرى الاسلامية مسجد ، وفي كل مسجد منبر وخطيب ، ولكن الاجتماع يؤدى في أكثر أحواله أداء آليا ، ويخرج المجتمعون مسرعين ، وكأنهم تخلصوا من حمل مفروض .

واذا كان لكل عصر ملابساته وظروفه ، فليس من المنتظر الآن أن تكون المساجد محافل سياسة ، ومجامع ادارة ، كما كان المسجد النبوى بالمدينة ، ولكن الذى يجب

السامع ملما بروح الشريعة
الاسلامية ، فاهما منازع دينه
القيوم ، لأن الاسلام فى بساطته
وجنوحه الى الفطرة الخالصة
بحيث تتقبله الصدور بانسراح فى
مدى يسير •

ولقد كان المشرك الكافر يجلس
بين يدى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، أو بين يدى أصحابه
ساعة من الزمن ، يستمع فيها الى
أهداف دينه ، فيطمئن قلبه تلقائيا
لما يسمع من قول يساير فطرته
السليمة ، وينطق بالشهادتين فى
فرح غامر ، ويصير بما سمع فى
مجلس واحد داعية للاسلام فى
قومه ، وكانت الآيات المعدادة من
كتاب الله زادا كافيا لاطمئنانه ،
يرردها بين ذويه معتزا مباهيا ،
فيأسر بها قومه ، ويكسب للدعوة
ملا جديدا !

فكيف أصبحنا نرى المسلم
يقضى من عمره خمسين عاما وأكثر
من خمسين عاما يستمع فيها الى
آلاف الخطب الدينية فى الجمععات

فالمسلم العاقل المدرك اذا بدأ
الصلاة فى الخامسة
عشرة من عمره مثالا ، فانه
سيستمع فى كل عام الى خمسين
خطبة دينية بعدد أسابيع السنة ،
فاذا قضى عشر سنوات تالية ، فلن
يبلغ سن الخامسة والعشرين من
عمره حتى يكون قد أصغى الى
خمسائة خطبة ، هذا غير ما لا
يدخل فى الاحصاء من خطب العيد
ومجالس الوعظ الطارئة ،
ودروس العشاء وهى مما تحرص
عليه وزارة الأوقاف ، وتلزم
الأئمة باتقانها ، فأين أثر ذلك
كله !!

بل أين أثر خمسائة خطبة
فقط !!

اذا افترضنا أن المسلم مشغول
بأعبائه عما سواها من العظائم
المسنونة !!

أين أثر ذلك فيمن بلغ الخامسة
والعشرين بعد سماع خمسائة
عظة !!

لقد كان المنتظر أن يصبح

العامى ينوب عنه اذا غاب ، فلا يكاد السامعون يحسون فرقا بين الأُمى والمتعلم ، لأن الرجلين معا ينقلان من كتاب معلوم •

هذا هو الخطيب العيى ، ولا يظن أحد أن تقدم التعليم وانتشار المعاهد والمدارس وذيوخ الصحف والكتب على نحو مستفيض قد قضى عليه • أو حوره الى شىء آخر ، فنحن لا نزال نصدم بأمثاله فى كثير من المناسبات حتى لأسائل نفسى ألا يستمع هذا الى حديث دينى فى مذياع ليعرف كيف انتقل الناس من حال الى حال •

أما الخطيب الثرثار فأمره أعجب ، فقد وقر فى نفسه أن جلجلة الصوت وانطلاق اللسان ، وامتداد الزمن هى كل وسائل الاجادة • فتراه يهدر بالكلام المسهب فى شتى الموضوعات دون تحديد ، اذ ينتقل فى الخطبة الواحدة من الصلاة الى الزكاة الى الصوم الى الحج •

ثم يترك العبادات ليكر على

المتوالية ، ثم نراه بعد هذا الأمد الطويل لا يلم بروح الاسلام ، ولا يستطيع أن يدرك أهدافه الواضحة فى أخريات حياته : أين أثر هذه الخطب المتكررة ! وما الذى جعلها مظهرا لا روح فيه ، كيف ضعف تأثير الوعظ المنبرى ، والبيان الدينى فى أكثر ما نسمع الآن ؟

اننا نرجع السبب الرئيسى فى ذلك الى عاملين متعارضين : عامل العى المفرط لدى متكلم مقتضب مغل ، وعامل الثثرة السطحية لدى متكلم يفيض فيما يعن له من قول دون تحديد •

فالخطيب الأول يلجأ دائما الى خطب موسمية يكاد يحفظها عن ظهر قلب ، ثم يلقيها القاء آليا لاروح فيه فيطفىء ما يشع فيها من بريق الذكر الحكيم ، وايماض الحديث الشريف ، ثم لا يحاول أن يجدد نفسه فى شىء بل يكرر ما يقول عاما وراء عام ، دون أن يقدر تبعته الارشادية أمام جمهوره المنتظم ، بحيث أصبح المؤذن

الصالح لمن يسوق الوعظ الهادف ،
والخطبة المركزة ، ولكنى وجدته
قد بدأ بحمد الله ، وثنى بالصلاة
على رسوله ، فاذا انتهى الى
القول الذائعة — أما بعد — تلا
قول الله عز وجل (١) •

(قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في
صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن
اللفو معرضون ، والذين هم للزكاة
فاعلون ، والذين هم لفروجهم
حافظون ، الا على أزواجهم أو
ما ملكت أيماهم ، فانهم غير
ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك
فأولئك هم العادون ، والذين هم
لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين
هم على صلواتهم يحافظون ،
أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون
الفردوس هم فيها خالدون ، ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ،
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم
خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة
مضغة فخلقنا المضغة عظاما ،
فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه

الزنا والربا والغيبة والنميمة في
تدفق لا يعرف الانضباط ، وكأن
ارتفاع الحنجرة وحدها هو دليل
الاصابة والسداد ! السامع
المدرک الناقد ضائق بما يسمع
أما السامع الغافل فيرى لخطبته
أمرا ضروريا لا بد منه ، فعليه أن
يصبر هادئا وان لم يستفد حتى
يفرع المقاتل فينهض للصلاة
ويمضى ، وبين الخطيب العبي
والخطيب المثرثر ، ضاعت فائدة
الخطبة الأسبوعية ، وأصبحنا نجد
الأمية الدينية صارخة لدى أكثر
المستمعين ، وفيهم من سمع ألف
خطبة دون أن يجد فيها ما يبده
من فكر الى فكر ! وتلك مأساة •

كنت أستمع ذات مرة الى خطيب
جهير السمعة ، طنان الدوى في
بعض مساجد القاهرة الكبرى ،
وكان المذيع قد أعد لينقل عنه
ما سيقول ، فتوقعت بادئ ذي
بدء أن أجد فيه المثال المنشود
للخطيب الرجو ، والأتمودج

خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) •

الى علقه فمضغة فعظام فلحم
فخلق آخر !!

ثم بدأ فأخذ يفسر اجماليا معنى
فلاح المؤمنين وكيف يخشعون في
الصلاة ، وانتقله الى الاعراض عن
اللغو انتقالا سريعا فلم يتحدث
عنه بما يركز معناه ويوضحه
بالمثال :

فيا لله كم طرق من الموضوعات
حين ألم بذلك كله كمن يدون عناصر
موضوع انشأى على سبورة !

ثم ماذا يستفيد السامع من
دقيقة يتحدث فيها الخطيب عن
الصلاة ، تتلوها دقيقة أخرى
للحديث عن الزكاة ، وهكذا حتى
يفرغ من النص !

وكر على الزكاة في غير تحديد
وانتقل - وفقا لتتابع الآيات
الكريمة - الى صيانة الفروج
ومحاربة الزنا ، والى حفظ الامانة
وذم الخيانة - دون تمثيل كاشف
أيضا •

أنا لا أمتنع أن يفسر الخطيب
آية كريمة على منبر الجمعة تفسيرا
هادفا موجها ، ولكن أوجب أن
تكون الآية المختارة مستقلة بغرض
واحد ، ليتسع المجال الى شرح
معناها ، واظهار دلائلها ، وكشف
أهدافها ، والاستضاءة بنورها ،
اذ يجب على الخطيب أن يحصر
قوله في مجال حيوى مركّز ليجد
من الوقت ما يسمح له بالتحليل
المقنع ، والتوجيه اللافت ، فيروى
ظماً ، وينقع غليلا ! أما أن يمتد به
القول الى أمثال متفرقة من المعانى

وأعاد الكلام ثانية في الصلاة
حين وصل به القول الى النص
القرآنى ، (**والذين هم على
صلواتهم يحافظون**) فكرر ما قال
من قبل ، والموقف واحد زمانا
ومكانا •

وجاءت آية الجنة ، فتحدث
عن نعيمها ، وعن ميراث الفردوس
ثم انتهى الى خلق الانسان من
نطفة بعد السلالة ، ثم مصيره

دون ايضاح كاشف فهذا ما لا يأتي
بطائل •
يتيح لسامعه من حرارة الانفعال
ما يجعله موصلا جيدا •

لا أنكر أن تقدم الزمن قد هيا
السبيل لإنشاء كليات متخصصة في
الدعوة ، بحيث استطاعت أن
تخرج نماذج مرجوة ان شاء الله!
وقد حقق بعض هؤلاء نجاحا
ملحوظا بخالف الحق لو أنكرناه •
واذا استطاعت كليات الدعوة
الاسلامية أن تمنح الشهادة ، على
التحصيل الجيد ، والحفظ
المستوعب فلن تستطيع أن تعطي
الدرجة على الايمان الحافز ،
والغيرة الملتهبة ، فذلك من صنع
الله وحده •

ولكن فريقا آخر قد دفع الى
الكليات الداعية دون رغبة من
ناحية ، ودون رصيد قوى من
علوم القرآن والحديث والفقه من
ناحية ثانية ، ثم تخرج ليأخذ
مكانه ، فأثر الراحة ، واكتفى بما
يحفظ من كلام سواه ، دون أن
ولنا — بعد — رجاء وطيد في
كل عالم ديني أن يقدر التبعة
الباهظة أمام نفسه ووطنه ! وهو
بعون الله مرجو مأمول •
د • محمد رجب البيومي

المقالات التي لا تنشر لا تلتزم ادارة المجلة بردها •

ادارة المجلة

الشعر المملوكى مرآة عصره

مؤلفه الجبره قروم

ليقضوا على جند : (سر من رأى)
وجاء السلاجقة بعدهم ، فكانوا
حماة الخلافة العباسية ، وملوك
الدولة الاسلامية من شرقها ،
وانبثق من السلاجقة تبعا للتوالد
« آل عثمان » فى آسيا الصغرى ،
« وآل زنكى » فى الشام ، ومنهم
ورث « صلاح الدين » حكم مصر
والشام واليمن باسقاط الخلافة
الفاطمية فى مصر ، وأنشأ الملك
« الصالح الأيوبى » مؤسسة
المماليك البحرية ، وأنشأ المماليك
مماليك من الجراكسة ، فنقلوا
السلطة اليهم .

وهكذا : كان تطور الحكم فى تلك
الأحقاب والعهود .
وهؤلاء المماليك الذين كانوا جند
مصر أظهروا بطولات فى صد

كان المماليك فى مصر نتيجة
طبيعية ولدتها تطورات الحكم فى
العالم الاسلامى ، فممنذ أسس
المعتصم حاميه : (سر من رأى)
من الترك والأمور تتوالى تلقائيا
فى غيبة الوعى ، وكان المعتصم
يريد ضرب عنصرى العرب
والفرس معا ليتخلص من تنازع
السلطة ، ذلك الصراع الذى أدى
الى تقاتل الأخوين : « الأمين
والمأمون » ، فهو بما فكر ونفذ
يريد أن يستريح ويريح ، ولكن
تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن ،
فقد عرض سفينة الحكم لرياح
هوج ، فلقى أبنائه وخلفائه بعده
ما لم يخطر على باله ، من : قتل
وسمل للعيون ، وتقسمت الدولة
الى دويلات ، وقام بنو بويه

القتار والقضاء على بقايا الصليبيين ، فاعتز بهم المصريون ، وأولوهم الثقة ، وبمرور الايام انقلب الوضع ، فكان المماليك (العبيد) سادة ، والمصريون السادة عبيدا ، « ولم يغلبك مثل مغلب » كما يقول الشاعر القديم ، وكان حكم المماليك على عهديه ظالما غاشما ، لا تظهر فيه العدالة الا الفينة بين الفينة ، لا يردعه دين ولا خلق ، ومن أين لمشرد أن يصون عرضا ، أو يكرم شريفا ؟

ومن الغريب : أنهم يتلقون شرعية الحكم من الخليفة العباسي ، وهو لا يملك ردعا ولا رأيا ، وكثيرا ما يتعرض الخليفة للسجن أو النفي أو الخلع ، وصار الخليفة اذا كان شاعرا أن يمدح المملوك الحاكم ، أمور عجيبة !!

وحين تقرأ الشعر الذي قيل في هذا العصر تبتسم وتقطب في وقت واحد ، فهو شعر يهزأ بأعظم النكبات ، وينزوى عند الطموح ، ومن ثم : كان وقعه هينا على الحاكم والأمير ، وشديدا على القضاة ومن اليهم ممن يتولون الشؤون المدنية .

والشعراء الوافدون مثل : « صفى الدين الحلبي » يجدون للقول مجالا ، فهم جاءوا ليمدحوا ، وهنا يجدون جزاء مدحهم . أما

وقد انصب ايمانهم على بناء المساجد والمدارس الملحقة بها ، ظنا منهم أنها تقيهم عذاب المسعير في الآخرة « وما ربك بفاقل عما يعملون » (١) وكانت الحروب بين المماليك من سياسة الحكم ، فما ان يتسلطن أحدهم حتى يتربصوا به الدوائر ، والدوائر في صليل سيوفهم ، وصهيل خيولهم ، وما هي الا جولة بعد جولة حتى يسقط السلطان أو يقتل الأتابكي ، ويدور النهب والسلب في بيوت

الشعراء المحليون مواليد مصر : فكانوا منبوذين ، يكدون ليحصلوا على ما يحفظ حياتهم باتخاذ الحرف سبيلا الى كسب الرزق ، فكان منهم : الحمامى ، والكحال ، والدهان . الى آخر حرف هذا الزمان ، وكانت لهم شاعرية ومذاهب تأبى الا أن تقول ، وما تقوله مرآة لما كان يحدث ، يعبرون عن أنفسهم والمشكلات التى تخيم على وطنهم ، ويتخذون الفكاهة طريقا الى التنفيس عما يجول بخواطهم .

على الأمر فى ذلك ، جمعت كتابا فيما قلته وسرقه منى ونسبه الى نفسه ، وسميت هذا الكتاب : « خبز الشعير » لأنه مأكول مذموم ، وأورد شعرا قاله ، وشعرا قاله الصفدى مقلدا له وزنا وقافية ومعنى أيضا .

ولم يكن الشعر بعيدا عن الحياة فهو منغمس فيها ، ولكنّه غير متحمس لها ، تحس فيه الفتور والقصور فى أعظم المواقف .

انظر معى الى الشعر الذى قيل فى انتصار جيش مصر بقيادة الملك الناصر محمد بن قلاوون على التتار ، وكان قائد الجيش التتارى : (غازان بن القان) حفيد هولاء ، حتى أشيع مقتله فى المعركة ثم جاء الخبر بموته ، قالوا : انه مات مسموما ، سمته زوجته ، وكان يريد الثأر لهزيمته ، فقال الشاعر : (علاء الدين الوداعى) :

قد مات غازان بلا عله
ولم يمت فى السنة الماضية
بل شـنـعوا فى موته
حياء ، ولكن هذه القاضيه

وفى هذا المقال : أقدم لك نماذج من ذلك الشعر ، وهو ان لم يرضك ابتكارا وجمالا أرضاك دعاية وتفكها ، وكان شعراء الشام يسلكون مسلكهم ، بيد أن الوصف غلب على أساليبهم لتتنوع المناظر الخلابة فى بلادهم ، لكن المنهج العام يشملهم ، فيأخذ بعضهم من بعض الى درجة الاتهام بالسرقة ، كما جرى من ابن نباتة الشاعر المصرى ، فقد اتهم صلاح الدين الصفدى (شامى) بالسرقة ، ومن كلامه عن الصفدى : « فلما طال

وأنحر البدن المهاريا ؟
 وأرتوى من زمزم فهمى لى
 ألد من ريق المها ريا ؟
 وشيخنا يتشوق الى الحجاز
 ليزور الاماكن المقدسة فى مكة
 والمدينة ، ولكنه فى المقام الأول
 يعنيه التجنيس فى البيتين الأول
 والثانى « الحجازيا والحجازيا »
 والحجازيا فى البيت الأول وصف
 للبرق وهى كلمة واحدة ،
 أما الحجازيا فى البيت الثانى فهمى
 كلمتان الأولى الحجا ومعناه :
 العقل ، وزيا وهو : الهيئة ، وعلى
 هذا جاء الجناس تاما ومثل هذا
 يقال فى البيت الثالث والرابع ،
 فالمهاريا : وصف للبدن ، والمهاريا
 الأخيرة من كلمتين « المها » : بقر
 الوحش ، ويعنى : الجميلات
 العيون من النساء ، « وريا » :
 سقيا ، وقد تم له جناس تام أيضا ،
 وهل تشعر بالشوق حقا فى هذا
 النظم ؟ لو ترك الشيخ نفسه على
 سجيتها ولم يقيدها بالجناس لأتى
 بما يطرب ويسلب ، كما فعل شوقى
 فى قصيدته التى تغنى ، وشتان بين
 عاطفة وعاطفة ، وتصوير

والشاعر هنا ينكت ومسرور
 بكلمتى « الماضية والقاضية »
 لما فيهما من جناس ، وهو شاعر
 قاصر عن تصوير الأحداث
 وانتصار المصريين سنة ٧٠٢ هـ
 (١٣٠٢ م) ، وكان الشاعر يمكنه
 أن ينتهز وفاة غازان فيصف المعارك
 وصفا فيه حرارة وقوة وأصالة ،
 ويبين البطولات والأساليب
 العسكرية التى ظهرت حينذاك ،
 ولكنه اكتفى بتسجيل وفاة غازان
 سنة ١٣٠٣ م ، وكان الخيال يجعل
 موته كمدا ، ومن نتائج المعركة
 دخول هؤلاء التتار فى الاسلام
 أفواجا . ويسجل « ابن اياس »
 فى كتابه : « بدائع الزهور » شعرا
 للعالم الجليل شيخ الاسلام :
 « تقى الدين بن دقيق العيد »
 بمناسبة وفاته (١٣٠٤ م) ويختار
 له ما أبدع فيه من « نوع الجناس
 التام » قال الشيخ :
 تهيم نفسى طربا عندما
 استملح البرق الحجازيا
 ويستخف الوجد عقلى وقد
 لبست أثواب الحجا زيا
 ياهل ترى أقضى منى منى

وتصوير ، ليس هناك
 شيء يقيد الشعر مثل رصد كلمة
 للتجنيس أو التورية ، فهو ذهنى
 محض ، وان بدا لك شعرا له وزن
 وقافية .

وفى سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م)

توقف النيل عن الزيادة فى مياعده
 المنتظر ، فرسم السلطان :
 « الجاشنكير » وكان قد تغلب على
 آل قلاوون ، فرسم بجمع
 الضرائب ، والناس فى مثل هذه
 الحال يصطنعون الغلاء ، فضج
 الشعب وثار ، وسجل (نصير الدين
 الحمامى) ما جرى شعرا فقال :
 ان عجل النوروز قبل الوفا
 عجل للعالم بصفع القفا

فقد كفى من دمعهم ما جرى
 وما جرى من نيلهم ما كفى
 فى هذا الشعر نكتة تدعوك الى

البسمة ، فهو يذكر تعجيل النوروز
 قبل وفاء النيل ، ويعقب ذلك صفح
 قفا المصريين وجعلهم عالما بذاته ،
 ودمعهم كفى والنيل ما كفى ،
 ألا ترى أنك تبتسم وتحزن معا ؟
 وفات الشاعر وهو قادر أن يصنع
 صنيع العامة ، فيأخذ معنى ما قالوا

ويثيرها حربا شعواء على هذا
 المتغلب ، وماذا قال العامة ؟ قالوا :
 سلطاننا ركين
 ونائبه دقین يجينا الماء من اين

هاتوا لنا الأعرج

يجى الماء يدرج ٠٠٠

وركين هو : السلطان ، ودقین :
 نائبه (سار) وكان أجرد فى ذقنه
 بعض شعرات ، وكان من التتار ،
 فسماه العوام : « دقین » .
 أما الأعرج فهو : الملك : الناصر
 محمد بن قلاوون ، وهو حسن
 المعاملة مع الشعب ، ولذا هتفوا به
 ليعود وقد عاد .

ركب السلطان رأسه فقبض على
 زهاء ثلاثمائة ، ولم تسكن الثورة
 حتى عاد الأعرج .

وابن نباتة نفسه ، وهو أكبر
 شاعر ، وله نفس طويل فى الشعر
 أصابه تقليد العصر ، واقرأ معى
 قوله يمدح كاتب السر القاضى :
 « محيى الدين بن فضل الله
 العمرى » (من سلاله عمر
 ابن الخطاب رضى الله عنه) حين

انشاء القصائد الطوال ، ومنها :
 « البردة » و « الهمزية » و « زخر
 المعاد » ، وقد وقع للشاعر :
 « ابن الوردي » ما دفعه الى أن
 ينظم قصيدة في مبايعة • • كان
 ابن الوردي عالما فقيها على مذهب
 الامام الشافعي ، وله مؤلفات
 منها : « كتاب البهجة » وكان له
 نظم ونثر • كتب عنه « ابن كثير »
 في تاريخه أنه دخل الشام في هيئة
 رثة ، وتصادف أن حضر مجلس
 القاضي ، فكان من جملة شهود
 مبايعة جرت في ذلك المجلس ، فقال
 أحد الحاضرين يسخر منه : أعطوا
 الشيخ يكتب هذه المبايعة ،
 فتحداهم ابن الوردي قائلا : نظما
 أكتب لكم أم نثرا ؟ فزادوا في
 السخرية ، وقالوا : بل نظما •
 فأخذ ورقة وقلما ، وكتب المبايعة
 شعرا وهذا بعضها :

باسم اله الخلق هذا ما اشترى
 محمد بن يونس بن سنقرا
 من مالك بن أحمد بن الأزرق
 كلاهما قد عرفا من جلق
 فباعه قطعة أرض واقعه

حضر من الشام باستدعاء السلطان
 له ليتولى منصبه • قال ابن نباته :
 يا سائلي عن كاتب السر الذي
 يعزى علاه الى أب أواه
 هذاك غيث الله محيي الأرض من
 بعد الممات ، وذاك فضل الله
 كل التعب لأجل التورية في
 « فضل الله » والأب الأواه ، هو :
 عمر بن الخطاب • وهو الغيث •
 وقد مهد به للوصول الى فضل الله ،
 وماذا على الشاعر لو استقبل
 الكاتب بما يستحقه ووصف عمله في
 الدولة والطريقة التي تناول بها
 الأحداث في رسائله ، وابن
 فضل الله يسره ما قاله الشاعر ،
 لأنه يحب التورية والجناس ،
 ونثره يشهد على ذلك • •

نقاد العصر أضاعوا صناعة
 الشعر والنثر •

ان شعراء العصر المملوكي
 قادرون ولا شك على انشاء
 القصائد الطوال لو وجدوا الحافز
 على ذلك ، ولنا من « البوصيري »
 ما يؤيد ما نقول ، فحبه للرسول
 — صلوات الله عليه — دفعه الى

بكورة الغوطة وهى جامعة وأشهدا عليهما بذاك فى
 بشـجر مختلف الأجناس
 والأرض فى البيع مع الغراس
 وذرع هذى الأرض بالذراع
 عشرون فى الطول بلا نزاع
 وحدها من قبله ملك التقى
 وجابر الرومى حد المشرق
 ومن شمال ملك أولاد على
 والغرب ملك عامر بن جهل
 وهذى تعرف من قديم
 بأنها قطعة بيت الرومى
 بيعا صحيحا ماضيا شرعيا
 تم شراء قاطعا مرعيا
 بثمن مبلغه من فضه
 وازنة جيده مبيضه
 جارية للناس فى المعامله
 ألفان منها النصف ألف كامله
 وسلم الأرض الى من اشترى
 فقبض القطعة منه وجرى
 بينهما بالبدن التفرق
 طوعا ، فما لأحد تعلق
 الى أن قال :

رابع عشر رمضان الأثرف
 من عام سبعمائة وعشره
 من بعد خمسة تليها الهجره
 والحمد لله وصلى ربهى
 على النبى وآله والصحب
 يشهد بالمضمون من هذا عمر
 بن المظفر المعرى اذ حضر
 وعمر بن المظفر المعرى — اسمه
 ونسبه — وان كانت الشهرة : ابن
 الوردى ، وعجب الحاضرون من
 بديهته وحسن ارتجاله ، ومن
 الطريف أن أحد الشهود واسمه :
 (أحمد بن رسول) قال : أنا
 لا أحسن النظم لأوقع به ، فكتب
 عنه :

قد حضر العقد الصحيح أحمد
 بن رسول وبذلك يشهد
 وان كنا لا نعد هذا شعرا لخلوه
 من عنصر الشعور ، وهو أقرب الى
 نظم العلوم من خيال المنظوم ،
 الا أننا نأخذه دليلا على المقدرة
 الفائقة والشاعرية المنطلقة التى

تستطيع أن تفيض وتأتى بالسائغ أو اضطرابا في القافية •
المقبول ، وتظهر قدرة الشاعر في وهذا الشعر يحتاج الى عودة
ايراد التوثيق الشرعى من تسجيل ودراسة ، أرجو أن أوفق في بعثها
المتبايعين ، وتحديد قطعة الأرض من مرقدتها ، تقديرا للشعر ووفاء
والثمن ، وشروط تمام المبايعة لشعراء عصره ، وكشفها للجمال
« البائعان بالخيار ما لم يتفرقا » فيه •
ثم الاشهار والتاريخ ، واللغة
مطاوعة له لا ترى نبوا في اللفظ

السيد حسن قرون

اسرائيل تخشى المد الاسلامى

في ندوة عقدت مؤخرا بتل أبيب دعا اليها المركز الثقافى
الأمريكى ومعهد شيلواح الاسرائيلى وحضرها عشرات
من الاساتذة اليهود والأمريكيين لبحث أوضاع المنطقة قال
أهارون ياريف رئيس المعهد « ان اسرائيل ستجد نفسها
في حالة عجز استراتيجى مع تصاعد المد الاسلامى
الذى بدأ ينتشر في جميع أنحاء المنطقة » •

الدعوة عدد ٥٣ السنة الثلاثون

التربية الصوفية

للمساز عبد الحفيظ فرغلي القرني

الاسلام « محمد اقبال » رحمه الله عن أثر التربية الحديثة في نفوس الشباب : « ان الشباب المثقف فارغ الأكواب ظمآن الشفتين ، مصقول الوجه مظلم الروح ، مستتير العقل كليل البصر ضعيف اليقين كثير اليأس ... » الى آخر ما جاء في مقال سبق عرضه عن روائع اقبال .

علم النفس والتصوف :

وضع الصوفية قواعد لا تزال تعتبر مقياسا سليما من مقاييس التهذيب والسلوك وعلم النفس الذي يعتمد علماءه المحدثون على النظريات المبنية على التجربة والمشاهدة والتخمين — كان أساتذته الأول هم الصوفية الذين حذقوا هذا العلم

للصوفية أذواقهم ومناهجهم التربوية نجحوا بها في تربية الأفراد والمجتمعات ، ولعلمهم من أسبق الناس في معرفة أصول التربية والتعليم . تلك الأصول التي تعود الى الاسلام في منابعه الأصلية الثرة ، فهم لم يبتدعوا شيئا ولكنهم ردوا الأشياء الى أصولها واستمروا في الحفاظ عليها ، في الوقت الذي غرب الناس وشرقوا يأخذون من هذا ويقتبسون من ذاك نظما ومناهج ان صح بعضها فان الكثير منها لا يتناسب وشرقنا العربي وديننا الاسلامي الحنيف الذي ألزمننا بمناهج قويمه ومبادئ كريمة لو اتبعناها لسعدنا ولو تركناها لثقيننا . وقد مر بنا قول شاعر

« الفراسة الشرعية نور ايماني
ينبسط على القلب حتى يتميز في
نظر صاحبه حالة المتطور فيه من
غيره ، بل يميز أحواله في النظر
اليه بحسب أوقاته ولكل مؤمن منها
نصيب ولكن لا يهتدى لحقيقتها الا
من صفا قلبه من الشواغل
والشوائب » •

فليس كالصوفية أحد تمكن من
معرفة دقائق النفس وخفاياها
ومكان خيرها وشرها وطرق
رغباتها ودسائسها وأسرار
نزعاتها ودوافعها حتى لقد وصفوا
ذلك وصفا دقيقا يدل على قوة
ادراك وسعة عقل ، وألقوا في ذلك
الأبحاث والمطولات ، ونبهوا على
ضرورة تهذيب النفس واعتنوا
بذلك وأوصوا الانسان بملاحظته
في نفسه وأهله وولده ومريديه ،
مشيرين الى واجب كل راع
ومسؤوليته عن رعيته •

ولقد نبهوا الى ضرورة عناية
الأب بأولاده ورعايتهم حتى قبل
ولادتهم ، وذلك عن طريق الرعاية
للأم والخادم والمخالطين
والمعاشرين وأداء كل حق خاص

لا بناء على التجربة التي
تخطى وتصيب ، ولكن بناء على
الفراسة الصادقة التي ورد فيها
أثر كريم يقول « اتقوا فراسة
المؤمن فانه يرى بنور الله » وعلى
الالهام الصادق والكشف الالهي
الذي يمنحه الله لمن يشاء من
عباده المتقين •

والفراسة — كما يقول الدكتور
أبو الوفا التفتازاني في كتابه عن
ابن عطاء الله السكندري —
« ادراك خاص يهبه الله لمن صفا
قلبه من الشواغل والشوائب ،
ولا يحيل هذا الادراك من يعرف
الصوفى حق المعرفة ، لأن الصوفى
إذا جاهد نفسه وقهر شهواته
ولازم الذكر فارتقت روحيا الى
آفاق جديدة اكتسب قوة ادراكية
من نوع غير عادي ، وهذا الادراك
هو المسمى اصطلاحا بالفراسة ،
وهو عند الصوفية اطلاع مكاشفة
ومعابنة القلب للغيوب بنور الله
مصادقا للحديث النبوى : اتقوا
فراسة المؤمن فانه يرى بنور الله »
ويستشهد على ذلك بقول الشيخ
زروق في كتابه قواعد التصوف

بهؤلاء • ويشمل هذا الحق بالنسبة للولد حق التسمية وحق التربية وحق القدوة وحق الاسكان والاطعام والانفاق وغير ذلك من أنواع الحقوق والواجبات •

وفي كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي غنية لمن أراد ، وفيه دلالة كافية على مدى ما وصل اليه الصوفية من علم غزير بالنفس الانسانية وما يتصل بها من عقل وروح وطرق تربيتها على أسس سليمة ، ومن ذلك — على سبيل المثال — ما أورده تحت عنوان : بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم : « اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود

الشر وأهمل اهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ٦٦ : ٦ » • « وصيانتة بأن يؤذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعود التتعم ولا يحجب اليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الأبد •• ينبغي أن يراقبه في أول أمره فلا يستعمل في حضانتة وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ••

« وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغى أن يؤدب فيه مثل الا يأخذ الطعام الا بيمينه وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وألا يبادر الى الطعام قبل غيره وألا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل وألا يسرع في الأكل وألا يوالى

ما نتعرض لاثبات قدرة الصوفية على ادراك أسرار النفس ادراكاً مبنياً على الكشف والالهام الذي لا يخطيء بهما واحد منهما لأنه مستمد من نور الله جل وعلا .

النزاع بين الروح والنفس :

يقول السيد محمود أبو الفيض النوفى فى كتابه المدخل الى التصوف الاسلامى : اعلم - علمك الله من علمه وأمدك بهدايته - أن النفس والقلب والروح خط واحد يمكنك تصويره خطاً رأسياً يبدأ بنقطة هى الروح ويتوسط بنقطة هى القلب وينتهى بنقطة هى النفس . على أن تتصور أن النقطة الأولى المبدئية تتجه ناحية الألوهية والنقطة السفلى تتجه ناحية الجسم بغرائزه وما جبل عليه من الصفات الأرضية ، وقد أراد الله عز وجل للنفس رعاية تلك الصفات لحفظ الحياة ، فان بالغت فى ذلك وانسجمت مع صفات الجسم كان أعظم مبتغاهم الدنيا لا الآخرة وأنانيتها المرتبطة بالجسم وليس الله ولا طاعته ولا

بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه... الخ » .

وفى مختلف كتب التصوف أبواب وافية تدور حول هذه المعانى وغيرها مما يتصل بالنفس وسياستها ووضع علماء الصوفية مناهج لسياسة النفس وتهذيبها وطرق جهادها ، نقرأ ماكتبه الشيخ حسن رضوان فى كتابه روض القلوب المستطاب فنجد قد تحدث عن النفس والروح ومقام خلافة الروح وما يلزمه من الجند والأعوان ورئيسهم فى ذلك العقل .

ثم تحدث عن سر ايجاد النفس وأنها علوية الأصل ، وسر ايجاد الهوى وجنده والشهوات المغذية للنفس والمدة لها وأن هناك معركة دائرة فى داخل الانسان بين الهوى والروح وميل النفس مع الهوى ، ورسم الطرق التى تتغلب بها الروح فى معركتها المستمرة مع النفس وشهواتها ، ثم يتعرض لمراتب النفس وألوان جهادها فى كل مرتبة حتى تصل الى كمالها المنشود .

ولا نتعرض لرأى المؤلف بقدر

الانسانى وجعل فيها مسكنا للروح
وعرشا هو القلب ، ووظف له
جنودا تعينه على القيام بشئونه
كالعقل وأيده بالفكر والحواس
والحفظ والادراك وغير ذلك مما
يحتاج اليه ، فالاحساس ينقل عن
عالم المثال الى الخيال ، والخيال
ما ينقله عن الاحساس الى
المفكرة ، والمفكرة بدورها تلقن
ما تنتقله الى القوة المذكورة ، فينظر
الفكر السليم فيما تنتقله هذه القوة
وينقيه من الأوهام العالقة به
ويلقيه الى الادراك ، والادراك
ينقله للحافظة فيستقبله العقل
يعد ذلك محرضا للروح على
استعماله والانتفاع به .

ولكى يؤدي الروح وظيفته في
هذه المدينة الجسمية لابد من أن
تكون غير معرضة للضياع ، فلذلك
أوجد الله في الجسم نفسا تطلب
اللباس والطعام والشراب والزينة
وأوجد لها أعوانا تعينها على ذلك
كالهوى وخصه بالشهوة القوية
التي لها امتزاج بالعروق والدم ،
وأمدّها بقوة نارية هي الغضب ،
ومن هنا نشأ الصراع بين الروح

شكره - أما القلب ففي درجة بين
حالتين : حالة سماوية روحية
وحالة أرضية بهيمية ، ولذلك كان
القلب محل النزاع بين النزعات
الروحية - التي تتجه بها الروح
الى أعلى - وحالة أرضية
بهيمية - التي تتجه بها النفس
الى أسفل - ولذلك كان القلب
محل النزاع بين الروح والنفس .
وفي مثل هذا الموقف يعلمنا النبي
صلى الله عليه وسلم أدب الدعاء
قائلا : يا مقلب القلوب والأحوال
حول قلبي الى أحسن حال . وفي
حالة سمو القلب وصلاح حاله مع
الروح يرتفع صاحبه الى أعلى
عليين ويستحق بذلك نظر الله اليه
مصادقا للأثر القدسي : ما وسعني
أرضي ولا سمائي ولكن وسعني
قلب عبدي المؤمن .

ويمكن أن نعبر عن القلب بأنه
العرش الذي صورّه الشيخ حسن
رضوان في كتابه السابق ، وهو في
المملكة التي يتنازع عليها سلطان
الروح وسلطان النفس . والروح
- في رأيه - هو خليفة الله في
أرضه وأقام له مدينة هي الجسم

حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»
 انه بذلك يصبح انساناً علوياً ربما
 ارتفع عن درجة بعض الملائكة •
 ربما كانت بعض هذه المعانى
 غير قاصرة على الصوفية فقد
 فكر فيها غيرهم - كما يقول
 الدكتور عبد الحكيم حسان فى
 كتابه التصوف فى الشعر العربى
 حيث أورد عن الفرزدق الشاعر
 العربى وهو ليس صوفياً قولاً
 يدور حول أن الانسان له نفسان
 احدهما خيرة والآخرة شريرة ،
 وجعل النفس الخيرة مصدر كل
 خلق حسن ، والشريرة أساس كل
 خلق سيئ ، وشعره فى ذلك :
 لكل امرئ نفسان : نفس كريمة
 وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها
 ونفسك من نفسك تشفع لى
 اذا قل من أحرارهن شفيعها
 ولعل الفرزدق أتى بهذا المعنى
 من بعض الآثار الدينية فقد روى
 عن ابن عباس رضى الله عنهما
 أنه قال : فى الانسان نفس وروح
 بينهما شعاع كشعاع الشمس •
 يؤيد ما قلنا فيما تقدم من
 أن الصوفية لهم معرفتهم بأحوال

والنفس لتفاوت أهدافهما واختلاف
 أغراضهما ، فالروح علوية تطلب
 العلو والنفس سفلية تطلب
 الهبوط ، وكل منهما استعان
 بجنوده للتغلب عن الآخر ، فأيهما
 غلب استولى على عرش المدينة
 وهو القلب وسخره فى خدمة
 أغراضه كما استولى على كافة ما
 يعين الآخر واستخدمه أيضاً فى
 تحقيق أهدافه ، فاذا غلبت النفس
 استولت على العقل والقلب
 وأصبح الانسان بذلك نفسياً
 شهوانياً مسخراً كافة امكانياته فى
 خدمة لذاته وشهواته وانحط بذلك
 الى أدنى درجة من الحيوان « ان
 هم الا كالأنعام بل هم أضل »
 ونشأ عن ذلك جميع الصفات
 المذمومة التى يصير بها الانسان
 غير جدير بنظر الله اليه •

أما اذا غلب الروح فان النفس
 تنتقاد له وبذلك يغلب الانسان هواه
 ويتحكم فى شهواته وملذاته ،
 « وأما من خاف مقام ربه ونهى
 النفس عن الهوى فان الجنة هى
 المأوى » وفى هذه المرحلة يصدق
 الأثر الشريف « لا يؤمن أحدكم

واجب العاقل : والانسان العاقل مطلوب منه على أى حال أن يظل فى وعى تام لما يدور داخل نفسه ، وعليه أن يستمر فى جهاد شهواته والتغلب على وساوسه حتى يصبح مثاليا جديرا بأنه فى معية الله مع المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر بعد أن ينعم فى دنياه بجنة الرضا التى تذوقها بعض العارفين من قوله تعالى « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة** » قالوا الحياة الطيبة هى الرضا • وحقا فما أطيب الحياة فى نعيم انرضا عند الله وبالله « **رضى الله عنهم ورضوا عنه** » •

مراتب النفس : يقول الصوفية: ان المريد فى جهاده نفسه ينتقل من مرحلة الى مرحلة ، وهذه المراحل هى مراتب النفس • وأولها : مرتبة النفس الأمارة بالسوء وهى التى جاء فيها على لسان امرأة العزيز أو يوسف عليه السلام « **وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا مارحم ربى ان ربى غفور رحيم** » •

النفس ومراتبها وطرق سياستها وتهذيبها وأن الروح والنفس يتنازعان ما أورده السلمى فى طبقاته عن أبى بكر الحسين ابن على بن بزديار من قوله « **الروح مزرعة الخير لأنها معدن الخير ، والنفس والجسد مزرعة الشر لأنها معدن الشهوة ، والروح مطبوعة بارادة الخير والنفس مطبوعة بارادة الشر ، والهوى مدبر الجسد والعقل مدبر الروح ، والمعرفة حاضرة فيما بين العقل والهوى ، والمعرفة فى القلب ، والهوى والعقل يتنازعان ويتحاربان ، والهوى صاحب جيش النفس والعقل صاحب جيش القلب ، والتوفيق مدد العقل والخذلان مدد الهوى والظفر لمن أراد الله سعادته والخذلان لمن أراد شقاوته** » •

وعلى هذا فسر صاحب كتاب التعرف على مذهب أهل التصوف الروح بأنه نسيم طيب يكون به الحياة والنفس بأنها ريح حارة تكون بها الحركات والسكنات والشهوات •

وتثمر هذه المرحلة **مرحلة النفس الملهمة** التي يصبح الانسان فيها قادرا على تلقي الفيوضات الالهية قادرا تماما على التمييز بين الخير والشر صادق الفراسة في معرفة ما يلتبس من الطرق ويشكل من الأمور لقد أصبح الالهام الصادق دليل المريد في هذه المرحلة بحيث يمكنه التقدم في طريقه دون أن يخشى وساوس النفس والشيطان •

ويلى ذلك مرتبة **النفس المطمئنة** التي يخاطبها المولى عز وجل « **يأيتها النفس المطمئنة** » وهي مرتبة تؤهل صاحبها للارتفاع عن مواطن الغرور والانخداع بما يراه من اكرامات تحيط به وعن مواقع الانقباض حين يتعرض للشدائد والنوازل التي تلم به ، ان أنسه في هذه المرحلة بربه واطمئنانه الروحي يعينه في كل موقف يتعرض له •

وتأتى **النفس الراضية** كثمرة للاطمئنان القلبي ، حيث تقبل النفس على مقام الرضا الذى تنكشف فيه الحجب وتنبعث

وهذه المرتبة يتدرج تحتها عامة البشر ، وتظل النفس فيها موسوسة لصاحبها بالشر مرغبة له في الباطل حتى يوفقه الله الى الانتباه واليقظة ويدله على من يرشده الى سواء السبيل فيلجأ الى التوبة ويأخذ نفسه بالاستغفار والطاعات حتى تقوى بواعث الخير فيه ويشتد اقباله على الله •

وتأتى بعد ذلك **المرتبة الثانية** : وهي مرتبة **النفس اللوامة** ، وهي التي يقسم الله بها في قوله تعالى « **لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة** » وهي نتيجة للمرتبة الأولى التي تثمر الزواج النفسية التي تحذره من الاقتراب من الشر والابتعاد عن السوء ، ويظل الانسان في تأنيب لنفسه وندم على ما فاتته من طاعات • كما يظل في مراقبة دائمة ومحاسبة ملازمة ويقظة لدوافع النفس ووساوسها حتى يصبح طيعا لفعل الحسن مستجيبا لعمل الصالحات تلقائيا في مقاومة الذنوب والمعاصي •

المطمئنة أرجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلنى فى عباده وادخلنى جنتى ؟

وهذه المرتبة السادسة من أعلى درجات السلوك ، ويستحق المريد أن يكون فيها خليفة الله فى أرضه لأنه وصل الى الكمال الذاتى . حيث يتحقق بعدها بالمرتبة السابعة وهى مرتبة النفس الكاملة وهى درجة الأنبياء ومن على قدمهم من أفراد يختارهم الله ويوفقهم للجهاد الصادق حتى يصلوا الى أقصى درجات الكمال . ان توصيف هذه المراتب دليل على علو كعب هؤلاء الصوفية فى مجال التربية ورغبتهم الصادقة فى الأخذ بيد أبنائهم ومريديهم الى أعظم الغايات ، ويتحقق ذلك بالسمو الأخلاقى والجهاد النفسى .

اختلاف الأنواق فى التربية :

ولكل مرتبة من هذه المراتب ألوان خاصة من المجاهدات والارشادات يتمكن بواسطتها المريد من الانتقال من مرحلة الى أخرى .

الأنوار ، ويفيخ الله على صاحب هذه النفس علما وسعادة بكل مايلقاه ، فى هذه المرتبة - يقول القائل : ليست الكرامة أن تمشى على الماء أو تتربع فى الهواء ولكن الكرامة أن تدخل يدك فى جيبك وقد تعودت أن تجد فيه ما تريد فتخرجها وليس فيها شئ فلاتتأثر ، وفى هذه المنزلة يقول ابن خفيف « الرضا سكون القلب الى أحكامه وموافقة القلب بما رضى الله به واختاره » وفيها تقول رابعة العدوية حين سئلت متى يكون العبد راضيا ؟ : اذا سرته المصيبة كما تسره النعمة - انها حالة أحد الصوفية الذى يقول « أحببت الله حبا هون على كل مصيبة ورضائى بكل بلية » .

والمرتبة السادسة هى النفس المرضية وهى التى يقول الله فيها وفيما قبلها « رضى الله عنهم ورضوا عنه » وهى وما قبلها متداخلتان مترتبتان على الالمثنان القلبى والسمو الروحى ، ألا ترى الله جل وعلا يخاطب أصحاب المراتب الثلاث : **يأيتها النفس**

الحرص ، وهما فطرة النفس ، فمثلها في الطيش كمثل كرة أو جوزة في مكان أملس مصوب سكونها بالمنة ، فان أشرت إليها أو حركتها أدنى حركة تحركت بوصفها وهو خفتها واستدارتها ، وصورتها في الشره المتولد من الحرص أنها على صورة الفراشة التي تقع في النار جاهلة شرهة وتطلب بجهلها الضوء وفيه هلاكها ، فاذا وصلت الى شيء منه لم تقتنع بيسيره لشرها فتحرص على الغاية منه وتطلب عين الضوء وجملته وهو نفس المصباح فتحرق •

ومن هنا ارتكزت فلسفة الصوفية في الأخلاق على محاربة النفس ورغباتها حتى ترتاض وتسكن الى ما يغمرها به القلب من نفحات الخير ، وقد بالغوا في ذلك حتى رأوا تقابلا بين قوة النفس والجسد من ناحية ، وقوة القلب والروح من ناحية أخرى ، وأن أى زيادة في ناحية منهما تستتبع نقصا في الناحية المقابلة •

لقد أصبحت المشقة شيئا مقصورا لدى الصوفية فلا وصول

الصوفية هم أدري الناس بما يناسب كل حالة من هذه الحالات ، فلكل انسان ذوقه الخاص وشخصيته المستقلة وخصائصه التي قد تختلف عن غيره قليلا أو كثيرا ، فما يصلح لشخص من المجاهدات قد لا يصلح الآخر وما يتناسب مع مرحلة قد لا يتناسب مع أخرى ، وارشاد الشيوخ في هذه الحالات مبنى على الالهام والمدد الروحي والفراصة الصادقة التي قلما تخطئ • وهذا الارشاد هو الذى يوجه المريد ويأخذ بيده ويضع له الفهم الذى يلائمه •

والصوفية حين يوجهون أنظارهم في التربية الى النفس انما هو إتيان للبيوت من أبوابها ، فالمفروض أن النفس مصدر كل شر ، وهم لذلك — كما يقول صاحب كتاب التصوف في الشعر العربى — أقاموا جانباً ضخماً من حياتهم الروحية العملية على مجاهدة النفس ومحاربة رغباتها ، وجملة وصف النفس عندهم معنيان : الطيش والشره ، فالطيش عن الجهل والشره عن

الى درجة الكمال الا بالجهاد •
 والشاعر الصوفي عمر بن الفارض
 رضى الله عنه يصور لنا مجاهداته
 في قصيدته « نظم السلوك » وكيف
 تحول بنفسه من مرتبة الى مرتبة
 ويحض غيره على مجاهدة النفس
 وتتقيتها فيقول :
 ولا تتبع من سولت نفسه له
 فصارت له أمانة واستمرت
 ودع ما عداها وأعد نفسك فهي من
 عداها وعذ منها بأحصن جنة
 فنفسى كانت قبل « لوامة » متى

أطعها عصت أو أعصى كانت مطيعتى
 فأوردتها ما الموت أيسر بعضه
 وأتعبتها كيما تكون مريحتى
 فعادت ومهما حملته تحملته منى
 وان خففت عنها تأذن !
 ولأن اجتياز هذه المراحل لا يمكن
 أن يتم بدون موجه : اشترط
 الصوفية وجود المرشد والدليل •

يتبع بتوفيق الله •

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

((السنة مصدر التشريع))

يرى الفقيه ابن حزم أن قوله تعالى :

((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) لا يقتصر

الحفظ على الكتاب وحده بل يسرى الحكم على السنة

أيضاً •

العقلية العلمية في الإسلام

للمؤلف: أحمد عبد الرحيم السامح

العقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم ، وسمى العقل عقلا لانه يعقل صاحبه عما لا يحسن . والعقل في اللغة : ضد الحق . ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان عن طريق الملكات الادراكية : العقل . قال على كرم الله وجهه :

« ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل » . وكذا ما جاء من ان : « أول ما خلق الله العقل » .

والى العقل المكتسب يشير ماروى : « ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه الى هدى ، أو يردده عن ردى » .

ومن أوضح سمات القرآن الكريم التى أثارت انتباه الدارسين من رجال الفكر والباحثين من العلماء هى الاشادة بالعقل ، وتوجيه النظر الى استخدامه ، للوصول الى ما يفيد الانسانية فى مسيرتها عبر الحياة . ويشير القرآن الكريم ، الى العقل ومشتقاته ومتداداته ومعانيه المختلفة فى أكثر من ثلاثمائة وخمسين آية . مستخدما لذلك كل الالفاظ التى تدل عليه أو ترشد

رأيت العقل عقليين
فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس
وضوء العين ممنوع
والى العقل الفطرى المطبوع ، يشير ماروى الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

الدارسون كنها وعملا ، واشرافا فى داخله ، وفيما خرج منه ، وفيما يصدر منه وما يؤول اليه •

العقل وازع يعقل صاحبه عما ياباه له التكليف ••

العقل فهم وفكر يتقلب فى وجوه الاشياء ، وفى بواطن الامور ••

العقل رشد يميز بين الهداية والضلال •• العقل روية وتدبير ••

العقل بصيرة تنفذ وراء الابصار •• العقل ذكرى تأخذ من الماضى

لالحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لما يكون ، وتحفظ وتعى ، وتبدىء

وتعيد • والعقل بكل هذه المعانى موصول بكل حجة من حجج التكليف

وكل أمر بمعروف ، وكل نهى عن محذور • أفلا يعقلون ؟ أفلا

يتفكرون ؟ أفلا يبصرون ؟ أفلا يتدبرون ؟ أليس منكم رجل رشيد ؟

أفلا تتذكرون ؟

ان هذا العقل بكل عمل من أعماله يباط به التكليف ، حجة على

المكلفين فيما يعنيه من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر أنفسهم ، ومن

أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء ••

ونشير اليه من قريب أو من بعيد من التفكير والتدبر ، والتذكر ، والحكمة واللب ، والنظر ، والرشد والرأى ، والعلم ، والفقه ، والقلب والفؤاد الى غير ذلك من الكلمات والالفاظ التى تدور حول الوظائف العقلية ، على اختلاف معانيها وخصائصها • مما يعتبر احياءات قوية بدور العقل ، وأهميته بالنسبة للانسان •

والقرآن الكريم كتاب تبليغ واقناع ، وهداية وارشاد ، يوقظ القلوب ، ويصالح العيوب ويشرح الصدور •• وليس أتم من التوافق بين تميز الانسان بالتكليف وبين خطاب العقل فى القرآن الكريم ، بكل وصف من أوصاف العقل ، وكل وظيفة من وظائفه فى الحياة الانسانية •

يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : « ان الكتاب الذى ميز الانسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذى امتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته وكل وظيفة ، عرفها له العقلاء والمتفكرون • قبل أن يصبح العقل درسا يتقصاه

أولاً : أنه ملكة الادراك التي يناط بها الفهم والتصور • وهذه الملكة على كونها لازمة لادراك الوازع الاخلاقي ، وادراك أسبابه وعواقبه تستقل احياناً بادراك الأمور فيما ليس له علاقة بالأوامر والنواهي ••

ثانياً : ان العقل يتأمل الأمر ، يدركه ويقلبه على وجوهه ، ويستخرج منه بواطنه وأسراره ، ويبين عليها نتائج وأحكامه ••

ثالثاً : ومن أعلى خصائص العقل « الرشـد » • ووظيفة الرشـد فوق وظيفة العقل •

الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم • لأن الرشـد استيفاء لجميع هذه الوظائف ، وعليها مزيد من النضج والتمام والتمييز ••

والعقل الذي يخاطبه الاسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ويميز بين الأشياء ، ويوازن بين الأضداد ، ويتبصر العواقب والنتائج ، ويتدبر ويحسن الادكار والرواية •

والاشارة الى العقل لا تأتي في القرآن الكريم عارضة ، ولا مقتضبة في سياق آية ، بل هي تأتي في كل موضع ، مؤكدة باللفظ والدلالة • وتتكرر الاشارة الى العقل في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يبحث فيها الانسان على تحكيم عقله ، أو يلام فيها الفكر على اهمال عقله ولا يأتي تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة • بل هي تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها •

فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع ، ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق ، والحكم الصحيح ، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية ، كل ما يتسع له الذهن الانساني من خاصة أو وظيفة ••

فالعقل في مدلول لفظه العام : ملكة يناط بها الوازع الاخلاقي أو المنع من المحذور والمنكر •• ومن خصائص العقل الانساني التي تميز بها :

وفى حادثة فيضان النيل بالاقليم
المصرى ، موضوعه علمية ، تدل
على نظافة الفكر الاسلامى ،
وطهارته • وذلك أنه كان الاعتقاد
السائد فى مصر قبل الفتح
الاسلامى : أن النيل لا يفيض
بمائه الا اذا القيت فيه فتاة حسنة
لتموت فيه غرقا • فلما حان
وقتذاك • كتب الوالى عمرو
ابن العاص الى خليفة المسلمين عمر
ابن الخطاب ، فى المدينة المنورة ،
عاصمة الخلافة الاسلامية يخبره
ويستشيريه فيما تعود عليه
المصريون • فأجابه عمر ، بارسال
رسالة يلقيها فى النيل ، وكان فى
الرسالة : « من عمر أمير المؤمنين
الى النيل • ان كنت تجرى من
عندك فلا حاجة لنا بك • وان كنت
تجرى بفضل الله ، فاللهم بارك
لنا » •

وبهذا قضى المسلمون على
اسطورة ليس لها واقع علمى
أو عقلى فى الحياة •••

وبالعقلية العلمية ، كانت علوم
المسلمين ، هى أساس الحضارة فى

ومن هذا المنطلق الاسلامى ،
تعمق العلماء المسلمون فى علوم
الحياة والحضارة الانسانية ،
يعقلية علمية ، فكان منهم نوابغ
الأطباء والفلكيين والرياضيين
والكيميائيين ، وأوائل من اكتشفوا
حقائق علمية فى مجالات كانت أول
المعالم على طريق الباحثين
والدارسين •• وكان العلماء
المسلمون ينظرون الى الكون
وما فيه : على أنه أمور موضوعة
للدراسة والبحث والانتفاع ••
ومن الحوادث الدالة على العقلية
العلمية الموسوعة فى الفكر
الاسلامى ، ما حدث مصادفة أن
كسفت الشمس يوم مات ابراهيم
ابن رسول الله صلى الله عليه
وسلم • فقال قوم : ان الشمس
كسفت لموت ابراهيم • فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ان الشمس والقمر آيتان من
آيات الله لا ينكسفان لموت أحد
ولا لحياته » •

وهكذا يقرر الرسول الصادق
الأمين ، مبدأ علميا ، ظل أبد
الدهر ، هاديا الى طريق الرشاد •

الانسان من أصفاد الجهل وظلمته .. لان الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ، ويطفىء نور القلوب ، ويعمى البصائر ، ويميت عناصر الحياة والقوة في الأفراد والجماعات والأمم .. ويفسد على الناس مناهج الاستقامة ، والسلوك المستقيم .. والجهل هو الذى يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف والبدع والأهواء والخرافات والأساطير ..

والدعامة الثانية في المنهج الإسلامى .. هى تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلى ، وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته تربية اسلامية ، تقوم على حرية الفكر ، واستقلال الارادة . ليكمل بذلك العقل ، ويستقيم التفكير ، وتكمل الشخصية الانسانية .. لان كمال العقل ، واستقامة التفكير ، أساس في صحة العقيدة وكمال التدين ومعرفة الحق الذى يجب أن يتبع ومعرفة الباطل الذى يجب أن يجتنب .

وقد عنى الاسلام ببناء تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلى

العصر الأول وأخذت الحركة العلمية تتدرج في أطوار مختلفة ، حتى فتح المسلمون نافذة واسعة أطلوا منها على حضارات العالم . وكان المسلمون يعرفون المنهج الاستقرائى حق المعرفة ، وينتقلون من المعلوم الى المجهول ويقومون بدراسة الظواهر ، دراسة دقيقة ، بقصد الانتقال من المعلوم الى العلة ..

ولما كان العقل في الاسلام له هذه العناية الفائقة من التقدير ، فقد اتخذ له الاسلام منهجا فريدا ، في تحريره ليظل العقل عاقلا ، والفكر راشدا .. وهذا المنهج الإسلامى يقوم على دعائم أساسية من شأنها حراسة العقل حتى لا يضل في المتاهات الفلسفية ..

ومن شأنها أيضا ترشيد الفكر ، حتى يعمل في ميادين الخير ، وما يفيد المجتمع الإسلامى والانسانى .

وأول دعامة في المنهج الإسلامى في تحرير العقل والفكر هى تحرير

تعالى فى سورة القصص : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين » الآية ٥٠

وعن عبد الله بن عمر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ..

قال الحافظ الأمام ابن حجر : ان الانسان لا يكون مؤمنا كل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهي وغيرها فيجب ما أمر به ، ويكره ما نهى عنه ..

واذا كان من شأن هذا المنهج الاسلامى أن يطهر العقل ، ويقوم الفكر ويسير به فى الطريق المستقيم .. فان الاسلام اتبع ذلك بمبادئ قيمة ، من شأنها أن تصل بالناس الى طريق الحق والهدى والخير والسلام ..

أولا : ان الناس فى الفهم والتفكير وادراك حقائق الأشياء

عناية كبرى فجعل البرهان أساس الايمان الصحيح . وبين أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود ، وانذر الذين يجادلون فى الله بغير علم ولا كتاب ، قال تعالى فى سورة الحج .

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » . الآيتان ٨ ، ٩

والدعامة الثالثة فى المنهج الاسلامى .. تحرير الانسان من طاعة الأهواء والانقياد الاعمى لمغرياتها .. لان طاعة الاهواء من أقوى عوامل انحراف الانسان فى سلوكه والتوائه فى نظره وتفكيره ، وهؤلاء الذين يطيعون الاهواء لا يستقيم لهم رأى ، ولا تعتدل لديهم موازين ، ولا يخضعون لحق ليس فى جانبهم ..

ولهذا عنى الاسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى ، ونعى عليهم ضلالهم وانحرافهم ، فقال

لن يكونوا متماثلين • ولا متشابهين
 •• لان الناس على درجات
 مختلفة ، ومراتب متباينة •• فهناك
 فريق من الناس قد لا تهىء له
 حالاته والظروف المحيطة به
 الا شذرات من المعرفة •• وثمة
 فريق آخر لم تعده وراثته
 الا للسطحى من الأشياء وكم من
 الناس من قصرته البيئية على
 القشور من الحقائق ، وكم من
 الناس من حصرته التربية فى دائرة
 ضيقة من المراتبات •• وهناك من
 سجنته الخرافات والأساطير ••
 ومن الناس من جرفه تيار المادة ،
 فلم يعد يرى الأشياء الا بمنظار
 مادي •• لهذا طالب الاسلام
 مختلف المستويات الانسانية بالنظر
 والتأمل والتفكير فى ملكوت
 السموات والأرض ••

قال تعالى فى سورة الغاشية :
**« أفلا ينظرون الى الابل كيف
 خلقت • والى السماء كيف رفعت •
 والى الجبال كيف نصبت • والى
 الارض كيف سطحت » •**

الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

وقال تعالى فى سورة ق : **« أفلم
 ينظروا الى السماء فوقهم كيف
 بنيناها وزيناها وما لها من فروج •
 والأرض مددناها وألقينا فيها
 رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج
 بهيج • تبصرة وذكرى لكل
 عبد منيب » •**

الآيات ٦ ، ٧ ، ٨

وهناك كثير من الآيات التى
 تدعو الى التفكير والنظر فى
 السموات والأرض وما خلق الله
 فيهما •• ليصل الانسان الى
 الايمان بالله ، فيرتقى الى سمو
 والكمال ••

والانسان بدون ايمان بالله
 لا قيمة له ولا اعتبار •• ولهذا
 نرى المجتمعات المادية واللاحادية ،
 تساق كما تساق السائمة ••

ويسوقها قطع من الذئاب
 البشرية • وقد حرمت هذه
 المجتمعات من التفكير والنظر ، ولم
 يعد أفرادها أى شأن ••

**ثانيا : لم يكتف الاسلام بتوجيه
 الناس الى النظر والتفكير والتدبر •
 بل استنهض العقول ووجه**

« فبشر عباد الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين
هداهم الله وأولئك هم أولوا
الآلئاب » ••

ختام الآيه ١٧ والآيه ١٨

وهكذا نرى أن الاسلام قد
عمل على تطهير النفوس من
الاعراض الخفية والأهواء الدفينة
•• لان ذلك من أكبر العوامل فى
اعتدال النظر واستقامة التفكير •
ومن هنا كانت حملة الاسلام
شديدة على الذين لا يستعملون
عقولهم ، وما وهب الله لهم من
قدرات ذهنية •• ضاربين فى بيداء
الضلال، ومنقادين وراء سراب كل
انبدع والاهواء •

واذا كان الاسلام يدعو الى
تحرير الانسان من أصفاد الجهل
واغلال الحجر العقلى وسيطرة
التبعية العمياء — كما عرّفنا فى
دعائم المنهج الاسلامى فى تحرير
العقل — فان ذلك يعنى أن التقليد
الذى ذمه الاسلام • هو التقليد
الذى لا يميز بين الخير والشر
وتقليد أهل الغواية والضلال •
أما تقليد أهل الحق من الأئمة

الافهام ، وأيقظ الحواس ، ونبه
المشاعر ، وذلك بالتعقب على بيان
الآيات الكونية والتشريعية
والاجتماعية بمثل قوله تعالى فى
سورة الرعد : « ان فى ذلك لآيات
لقوم يعقلون » •

ختام الآيه ٤

وقوله تعالى فى سورة الرعد
الآيه ٣ وسورة الزمر الآيه ٤٢
• سورة الجاثية الآيه ١٣ « ان فى
ذلك لآيات لقوم يتفكرون » •

وقوله تعالى فى سورة طه : « ان
فى ذلك لآيات لأولى النهى »
ختام لآيه ٥٤

وقوله تعالى فى سورة يونس :
« ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون »
الآيه ٦٧

وقوله تعالى فى سورة الرعد :
« انما يتذكر أولوا الالباب » •

الآيه ١٩

ثالثا : بشر الاسلام الذين
يستمعون القول فينظرون اليه نظر
البصير ، ويتبعون منه ما يدل على
الحق ، ويهذى الى الرشـد ••
كما قال تعالى فى سورة الزمر :

سمعية ، أو رؤية بصرية ، أو براهين عقلية ، وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقلية والسمعية والمحسوسات •

لهذا كله أقبل المسلمون على العلم ينشدونه في مظانه ، ووجهوا عزائمهم على الفكر الاصيل، القائم على توجيهات الاسلام •

واننا نجدهم اهتموا بشيء واحد وعرفوا شيئاً واحداً ، هو الاسلام والفكر الاسلامي •• فانتهبوا الى آيات الله التشريعية ، وآيات الله الكونية •• وآيات الله الاجتماعية وآيات الله العلمية والعقلية والحضارية •• ولم يشغلهم عن ذلك ترف الحضارة ، ولم يثمن عزائمهم بأساء الحياة •• وأقاموا الحضارة الاسلامية التي تخطت مراحل النهوض في تاريخ النهوض والامم •

واستطاعوا في سرعة لم يعهد لها مثيل في التاريخ أن ينتقلوا من أمة الامية الى أمة العلم والقيادة الفكرية وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم ، وقادة الفكر والرأى ، ورواد المعرفة والحضارة •

والدعاة الذين استمدوا علومهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة •• فهو من قبيل القدوة الواعية •

وحرية الفكر التي دعا اليها الاسلام هي الحرية التي تطلق العقول والافهام من اغلال الحجر العقلي ، والكبت الفكري ، وتجلى معالم الحقائق ، وتجعل قيادة التوجيه • قيادة بناء واصلاح وارشاد •• تستمد مقوماتها من هدى الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته •

وطريق الفكر قد حدده الاسلام بالقرآن والسنة فيما يتعلق بالقضايا الاساسية والاعتقادية في حياة الناس •• أما ما سوى ذلك فانه يمكن أن يؤخذ عن طريق الحواس والتجربة والعقل الذي يزن كل معطيات الحواس •• ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطريق بقوله تعالى في سورة الاسراء :

« ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » الآية ٣٦ •

وهذه الاية تنهى عن اتباع مالم يقيم به علم يستند الى حجة

سورة الرعد : « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » الآية ٢٨ والايمان بالله قوة دافعة ، تسند الضعيف أن يسقط ، وتمسك القوى أن يجمع ، وتعصم الغالب أن يطغى ويفجر ، وتمنع المغلوب أن ييأس . وهو يملأ النفوس بالفضائل ويزكيها ويقوم الضمائر ، ويسدد العزائم ، وعماده الرضا والقناعة ، ونور الامل فى الصدور . ولهذا كرر رب العزة ، النداء فى القرآن الكريم بصيغة « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » وخطاب المؤمنين بالذين آمنوا هو أمثل أنواع الخطاب ، ابانة لحقيقتهم هذا الى ما ينطوى عليه من الدلالة على سموهم وفضلهم .

وفى النداء يا أيها الذين آمنوا زيادة ايناس وتكريم ، لأن أحب شئ الى الانسان هو أن تتناديه بما يدل على سموه ، والله سبحانه وتعالى بهذا النداء ، يشعر المؤمنين بأنه يخاطب أقرب الاشياء منهم اليه . وما فى الانسان شئ أقرب الى الله من الايمان به .

وبحثوا ، ودرسوا ، وأضافوا وجددوا ، وابتكروا ، فكان ذلك الفتاج الحضارى الاصيل ، وقد حققوا ذلك على الرغم من الاحداث العاتية التى حملوا أعباءها والحروب الطاحنة التى خاضوا غمارها .

لان الاحداث والخطوب ، وان بلغت ما بلغت ، لاتستطيع أن تقف فى طريق العقائد التى انطوت عليها القلوب ، ولا أن تمنع العزائم القوية من الوصول الى أغراضها وأهدافها . . ولعلنا لا نكون مجانيين للصواب أن نقول انه لاول مرة فى تاريخ الانسانية ترى الدنيا هذه الخطوة الجبارة .

وقد تميزت الحضارة الاسلامية بخصائص جعلتها فريدة فى التاريخ وفريدة فى تحقيق ما يسعد الانسانية . . وهذى الخصائص والمميزات نجلها فى النقاط التالية :

أولا : الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وافراده بالعبادة والتعظيم والايمان بالله هو الدافع الاساسى للقيم الحضارية ، قال تعالى فى

وتعطى كل مطمح من مطامح
الانسان معناه الذاتى وسيره
الطبيعى •

والاسلام فيها : عقيدة استعلاء
بيعث فى روح المؤمن الاحساس
بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة
فى غير اغترار ، والشهور
بالاطمئنان من غير تواكل •
وأثر الايمان يبرز بوضوح فى
الحضارة الاسلامية التى غيرت
وجه التاريخ •

ثانيا : ومن الخصائص البارزة للحضارة

الاسلامية ، انها تقوم على خلوص
النية ، ونقاء الضمير ، والتمسك
بقيم الخير والحق ، والتزام
الآداب الفردية والاجتماعية •

ومن هذا المنطلق كانت الاخلاق
هى الارادة المنفذة ، والضمير
الموجه • وجملة ما يراد أن يقال أن
الاخلاق التى جاء بها القرآن شملت
الحياة كلها من التعاون ، والمودة ،
والعفة ، والرحمة ، والاحساس ،
والصدق ، والاخلاص ، والاستقامة
والنظافة ، والنظام ، والاصلاح ،

والله حينما يتوجه الى المؤمنين
من خلال ايمانهم ، فسيكون التالى
تعلينا بموجبات هذا الايمان ،
وحثا على القيام بها ، فى أى شأن
من الشئون ، وفى أى درب من
دروب الحياة •• وقد ذكر الله
سبحانه وتعالى عباده المؤمنين فى
القرآن الكريم بهذا النداء « يا أيها
الذين آمنوا •• » فى ثلاثة وثمانين
موضعا •• والآيات الثلاث
والثمانون فى جملتها ، تبين أن
الاسلام قد انطوى على طاقة
روحية فعالة ، جعلت منه قوة
هائلة •

بل ان فاعلية الاسلام شملت
حياة المسلمين فى جميع جوانب
الحياة •• وهذه الايات كانت
ومازالت أصلا جذريا يمس أساس
الامور فى حياة الناس ••
والاسلام فيها يراعى حاجة
الانسانية ومصالحها الحيوية ، فى
حدود الحق والفضيلة والعدل ••
والاسلام فيها وليد العقيدة التى
تطهر النفس ، وتذكى القلب ،
وتربى الخلق وتغذى العقل ،
وتوقف الغريزة عند حدها ••

والاخاء ، والعفو ، والصبر ، والثبات ، والشجاعة ، وحسن الضيافة ، والتضامن ، والتكامل ، والطهر ، والعفو ، والحب ، والشكر ، والتسامح ، والسلام . ولم يكتف القرآن بهذا بل تأكيذا لتهديب الاخلاق وضبط السلوك نهى عن : الاعتداء والعدوان ، والبهتان ، والظلم ، والاختيال ، والبخل والغضب واللمز ، والاثرة والحسد ، والنفاق ، والخداع ، والاسراف ، والمسافحة ، والغش وقتل النفس ، ولغو الحديث ، والكذب وشهادة الزور ، والبطر ، والجبن والخلاعة ، والميوعة ، والابتذال ، والارتخاس ، والنميمة والسرقة ، والخمر والميسر ، والخيانة ، والخصومة ، والسخرية والتناز بالالقباب ، والتدابير ، والتباغض ، فرسالة الاخلاق فى الاسلام اعلاء كلمة الحق ، واقامة ميزان العدل فى الخلق .

ثالثا :

أما الاقتصاد الاسلامى فيقوم على رعاية الفرد ، ورعاية المجتمع ، وتضم هذه الفلسفة المتميزة فى اطارها مطالب المادة ، ومشاعر

وفى الاقتصاد تقوم الحضارة الاسلامية على تبادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية ،

الروح ، ومكارم الاخلاق .. وفى **والعدل** •
 سبيل هذا الاطار الاقتصادي ولقد كانت الامة الاسلامية
 المتميز حرم الله الربا ، والغش ، تزدهر بالعلم والحضارة شرقا
 والسرقة ، وأكل أموال الناس وغربا ، وتنتشر فيها أرقى
 بالباطل • الصناعات على اختلافها ، وماتركه
 وقد أثبت التاريخ أن الذين المسلمون من تراث علمى ، لاكبر
 تربوا فى مدارس القرآن ، هم شاهد على ذلك •
 وحدهم الذين صلحت بهم الحياة
 واعتدل فى أيديهم ميزان الحق ، أحمد عبد الرحيم السايح

(رجاء الى كتاب مجلة الأزهر)

تسهيلا لعمليات المراجعة : يرجى من السادة كتاب
 المجلة : التكرم بكتابة مقالاتهم على الآلة الكاتبة
 (الترابرايتز) ثم مراجعتها - أو كتابتها بخط واضح
 مع مراعاة ترقيم الآيات القرآنية ، وتخريج الأحاديث
 النبوية - والله الموفق •

من سماحة الاسلام في معاملة غير المسلمين

للمتأثر محمد عزت الطرطاري

لم تعرف اليهودية السماحة في
معاملة خصومها في العقيدة ويشير
الى ذلك العهد القديم من الكتاب
المقدس (وهو كتاب اليهود الأول)
طبقا لما يلي :

١ - ورد بسفر التثنية في
الاصحاح العشرين من عدد ١٠ -
١٤ قوله (حين تقرب من مدينة
لتحاربها استدعها الى الصلح فان
أجابتك الى الصلح وفتحت لك
فكل الشعب الموجود فيها يكون
لك للتسخير ويستعبد لك - وان
لم تسالك بل عملت معك حربا
فحاصرها - واذا دفعها الرب
الي يدك فأضرب ذكورها يحد
السيف - وأما النساء والأطفال
والبهائم وكل مافي المدينة كل
غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل

من المؤسف حقا أن شرذمة من
أعداء الاسلام وصمت المسلمين
بالتعصب دون برهان أو دليل بل
تجنيا وجهالة وكيدا وحقدا منهم
على الاسلام وأتباعه من
المسلمين .

وما من شك في أن الاسلام
ونحن ندين به يقتضينا أن نرد
عنه كيد هؤلاء الحاقدين فنكشف
ولو عن شيء من سماحته وكرمه
مع المخالفين له في العقيدة والدين
وقبل أن نبين كيف كانت سماحة
الاسلام نشير الى شيء من أحوال
الأمم التي سبقتها من اليهود
والرومان مع مخالفهم في الدين
والعقيدة .

كيف كانت علاقة اليهود مع
خصومهم في العقيدة ؟

غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك — هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا .

وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما (٠٠) .

٢ — وقد قتل سبط لاوى أحد شعوب اسرائيل بعضا من بنى عمومته قدر بنحو ثلاثة آلاف رجل يشير الى ذلك سفر الخروج فى الاصحاح ٣٢ عدد ٢٦ — ٢٨ فى قوله (وقف موسى فى باب المحلة وقال من الرب فالى فاجتمع اليه جميع بنى لاوى فقال لهم هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل) .

٣ — وينسبون الى موسى عليه

السلام أنه أرسل اثنى عشر ألف رجل من اليهود لمحاربة أهل مدين فلما انتصر اليهود عليهم قتلوا كل ذكر منهم وكذا خمسة ملوك وسبوا نساءهم وأطفالهم ونهبوا جميع بيئاتهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار — وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم وأتوا الى موسى عليه السلام لكنه على حد زعمهم سخط منهم لأنهم أبقوا الاناث الثيبات والأطفال الذكور ثم أمرهم بقتل كل طفل ذكر وكل امرأة سبق لها الزواج — وأن يبقوا فقط على البنات الأبكار وكل ذلك مسطور بتفصيله فى الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر العدد من ١ الى ١٩ .

٤ — ويذكرون عن داود عليه السلام أنه عند حربه لأعدائه لم يستبق منهم رجلا ولا امرأة واستولى على غنمهم وأبقارهم وحميرهم وجمالهم وثيابهم وقد ورد ذلك فى الاصحاح السابع

تحركهم للاستقلال فقد أحرقوا
هيكل عبادتهم المنسوب الى نبي
الله سليمان عليه السلام ودمروا
مدينة اورشليم (القدس) على
من فيها من اليهود سنة ٧٠ م على
يد الامبراطور تيطس الرومانى .

٢ - وفى سنة ١٣٥ ميلادية قام
الامبراطور الرومانى اوريانوس
بازالة معالم مدينة اورشليم
(القدس) كما أزال معالم هيكل
عبادتهم تماما اذ حرث الأرض
وسواها وزرعها وطارد اليهود فى
تلك المدينة ما بين قتل وتشريد فلم
يبق بها يهودى واحد ورحل من
استطاع الهرب منهم الى مصر
وشمالى أفريقيا وأسبانيا وأوربا .
وأقام ذلك الامبراطور الرومانى
مكان الهيكل اليهودى
هيكلًا وثنيا باسم (جوبيتار) رب
الآلهة عند الرومان وأكره - من
بقى من اليهود على عبادة
الامبراطور

٣ - ولما اعتنقت الدولة
الرومانية ملة النصرانية عملت على
فرض النصرانية على اليهود وفى

والعشرين من سفر صموئيل الأول
عدد ٩ ٠

٥ - كما ينسبون الى داود
أيضا أنه كان يمثل بمن يحاربهم
تمثيلا شنيعا ففى احدى مدن
فلسطين وكانت تدعى فى الماضى
مدينة رية (أخرج الشعب الذى فيها
ووضعهم تحت مناشير ونوارج
حديد وفئوس حديد وأمرهم فى
أتون الاجر - أى أحرقتهم -
وهكذا صنع بجميع مدن بنى
عمون - وقد وردت هذه الواقعة
فى الاصحاح الثانى عشر من سفر
صموئيل الثانى عدد ٣١ ٠

كيف كانت علاقة الدولة
الرومانية مع المخالفين لها فى
العقيدة والمذهب ؟

لما كانت الدولة الرومانية تدين
بالوثنية استعملت شتى صنوف
العسف والاضطهاد للمخالفين لها فى
العقيدة من رعاياها الذين تحتل
أرضهم وبلادهم طبقا لما يلى - :

١ - دأب أباطرة الرومان على
التكيل باليهود خصوصا عند

عهد الامبراطور فوقاس (سنة ٢٥٠ م •

٦٠٢ - سنة ٦١٠) طردهم من وظائف الدولة بالاسكندرية وأمر بتعميدهم كرها وقتل من يرفض التعميد منهم •

٦ - ولما تولى الامبراطور دقلديانوس عرش الدولة نكل ذلك الامبراطور بأقباط مصر سنة ٣٠٤ م فنفي بعضا منهم وألقى بعضهم للوحوش الضارية في حلقة الألعاب على مشهد من النظارة الوثنيين - وطوح في السجون بالآلاف منهم - وهدم كنائسهم ولقد بلغ عدد الذين قتلوا في عهده نحو (١٤٠) مائة وأربعون ألفا أكثرهم من أقباط مصر - ومازال الأقباط المصريون يذكرون هذا العهد الأسود ويسمونه عصر الشهداء ويتخذونه مبدءا للتقويم القبطي - ويبدعونه بحكم الامبراطور دقلديانوس سنة ٢٨٤١ ميلادية •

٤ - وفي عهد الامبراطور هرقل (سنة ٦١٠ - سنة ٦٤١) أسهم اليهود في نصره على سلفه الامبراطور فوقاس وترقبوا أن يكافئهم بتركهم أحرارا في عقيدتهم فاذا هو أنكى وأقسى عليهم فقد نكث بعهده الذي أعطاه لليهود وقتل منهم عددا كبيرا جدا بمصر وبلاد الشام حتى لم يبق منهم الا من ساعده الحظ بالفرار أو الاختفاء •

٥ - ولم يسلم النصارى من ظلم وعسفحكام الدولة الرومانية وكان من هؤلاء بعض المصريين فنكلت بهم سلطات الدولة حتى لقد سالت دماء هؤلاء المصريين بشوارع الاسكندرية سنة ٢٠٢ م ونفت الدولة كثيرا منهم وقتلت آخرين بالسيف أو أحرقتهم بالنار أو الذبح قربانا لآلهة الوثنية سنة

٧ - وحتى لما دانت الدولة الرومانية بملة النصرانية لم يسلم أقباط مصر من ظلمهم واعنائتهم الوحشى لكنهم اصطلوا في العهد النصراني للدولة بمثل ما كانوا يصلونه في عهدها الوثني ذلك أن كنيسة بيزنطة اعتنقت المذهب

عشر سنين ولم يخرج من المكان الذي اختفى فيه الا عندما جاء العرب بقيادة عمرو بن العاص وطردها الرومان من مصر فرحب به وأعاده الى كرسيه في بطريركية الاسكندرية آمنًا على نفسه وأتباعه من الأقباط •

١٠ - والطوائف النصرانية في مصر كانت تتقاتل فيما بينها قبل الفتح العربى وبعده ذلك أن البطريرك (نيوذوسيوس) الملكانى المذهب والذي كان رئيسا لطائفة « الأروام » الحلقوريين بمصر كان شديد الكراهية للأنبا (أغاثوا) بطريرك الأقباط الارثوذكس لأن الأول كان يريد أن يحتل مكانه على نصارى مصر جميعا فلما عجز عن تحقيق ما يريد حصل على اذن من يزيد بن معاوية بالولاية على نصارى الاسكندرية ومريوط - وبلغ من كراهيته للأقباط ولبطريقهم (أغاثوا) أن أمر أتباعه بأن يرحموا الأنبا أغاثوا بالحجارة حتى يقتلوه وتعهدهم لهم بأنه هو الذى يجيب عنهم في يوم الدينونة •

الملكى الذى يقوم على أن للمسيح طبيعتين الهية وبشرية بينما كانت كنيسة الاسكندرية تعتنق مذهب الطبيعة الواحدة أى أن المسيح له طبيعة واحدة •

ولقد حاولت سلطات الدولة الرسمية فرض مذهبها الملكى على أقباط مصر لكنهم رفضوا وأصروا على الاستمسك بمذهبهم فنكلت بهم الدولة وسامتهم صنوف القسوة والعذاب •

٨ - لما تولى الامبراطور فوقاس (سنة ٦٠٢ - سنة ٦١٠م) أمر بعزل الأقباط من دواوين الحكومة وأن يجبروا على طاعة كنيسة القسطنطينية •

٩ - ولما خلفه الامبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤١ م) اشتد نزاع الأقباط مع سلطات الدولة ورمى كل فريق خصمه بتهمة الكفر والخيانة فزادت الدولة من غلوائها في اضطهاد الأقباط حتى لقد خشى بنيامين بطريرك الاسكندرية على نفسه فاخفى عن عيون الدولة مدة

ولو كان الميراث بوصية اختيارية
أو بغير وصية •

وبهذا أصبح المخالف للكنيسة
الرسمية منبوذا من المجتمع
واستحال النظام الكنسي الى
عسف ثقيل وظلم كبير وكان من
نتيجة ذلك أن انفجرت الثورة ضد
الدولة وضد الكنيسة معا ولم تنته
حتى قدمت من الضحايا عددا قدر
بخمسة وثلاثين ألفا من القتلى •

وبسبب هذا الظلم وتلك القسوة
المتناهية صاغ جماعة المتذمرين
احتجاجا قويا أعلنوه قائلين (لقد
فقد العدل من الدنيا ولن يعود —
أما نحن فسنعود بل سوف نعود
الى الوثنية الاغريقية) •

**كيف عامل المسلمون خصومهم
في العقيدة والدين :**

بادئ ذي بدء فان المسلمين
يدينون بما قضى به الله سبحانه
وتعالى لحكمة يعلمها بأن يكون
الناس مختلفين في عقائدهم
وأهدافهم وقدرهم العقلية فالذى
يريد الناس على الاتفاق في كل

١١ — ولقد لقي سكان
الامبراطورية البيزنطية مثل مالقي
سكان مصر من ظلم وعسف
الامبراطور جستنيان الأول — فقد
كان شديد القسوة في معاملته من
يدينون بمذهب مغاير لمذهب
الكنيسة الملاكانيه وتوجز آراؤه عن
الحكومة في عبارة موجزة هي
(حكومة واحدة وقانون واحد
وكنيسة واحدة) ويذكر التاريخ
أنه قتل من أقباط مصر في مدينة
الاسكندرية وحدها نحو مائتى
ألف ، مما اضطر كثيرين منهم
الى الالتجاء الى الصحراء •

وعلى الرغم من أن مخالفي
مذهب الكنيسة الرسمية كانوا من
رعية الدولة — وكانوا يؤدون ما
يؤديه المواطنون من ضرائب
وواجبات فقد حرم عليهم التمتع
بالحقوق التى يتمتع بها أتباع
الكنيسة الرسمية فحرم عليهم
الاشتغال بالمهن الحرة — وأمر
بهدم كنائسهم — وحظر عليهم
الاجتماعات العامة — وأمر بالآ
تقبل شهادتهم القانونية وبأن
تصير وصاياهم باطلة وآلا يرثوا

ومن أجل ذلك أمر الله سبحانه المسلمين بالدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وبالجدل الذى لا يعقب فرقه ولا خصومة..
قال تعالى :

١ - (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)
سورة الكهف ٢٩ •

٢ - (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي) سورة البقرة ٢٥٦ •

٣ - (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) سورة العنكبوت ٤٦ •

ولقد صدع المسلمون بما أمرهم ربهم فلم يسلكوا ما سلكه غيرهم من اتباع الديانات الأخرى ياكراه مخالفيهم فى دينهم على عقيدتهم أو اضطهادهم فى أوطانهم وحریاتهم وأرازاقتهم بل بالدعوة الى الله بالحسنى والرفق وفى ذلك يقول الله تعالى :

١ - (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم

شىء منا هض لقضاء الخالق سبحانه - يقول جلت كلماته :

١ - (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ، الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) سورة هود ١١٨ ، ١١٩
ويقول سبحانه :

٢ - (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) سورة يونس ٩٩ •

كما يدين المسلمون بأن السعيد هو من شرح الله صدره للإسلام واذا فمن غير المستساغ أن يقوم المسلمون ياكراه مخالفيهم على اعتناق الاسلام .. قال تعالى :

١ - (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) سورة الانعام ١٢٥ •

٢ - (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) سورة الانعام ١٢٥ •

والاحسان ولو كانا مشركين يقول تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير - وانجاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفان) سورة لقمان ١٤ ، ١٥ •

٢ - كما رغب القرآن فى البر والاقساط الى المخالفين الذين لم يقاتلوا المسلمين فى الدين (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) سورة الممتحنة ٨ •

٣ - ويصف القرآن الأبرار من عباد الله فيقول (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) سورة الانسان ٨ ولم يكن الأسير حين نزلت هذه الآية من المسلمين بل كان من المشركين •

كيف كانت سماحة النبى صلى

بالتى هى أحسن) سورة النحل ١٢٥ •

٢ - (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال اننى من المسلمين) سورة فصلت ٣٣ •

٣ - (فذكر انما أنت مذكر - لست عليهم بمسيطر) سورة الغاشية ٢١ - ٢٢ •

لذلك راعى المسلمون روح السماحة التى تيدو فى حسن المعاشرة ولطف المعاملة ورعاية الجوار وسعة المشاعر الانسانية من البر والرحمة والاحسان وهى الأمور التى تحتاج اليها الحياة اليومية ولا يغنى فيها قانون ولا قضاء وهذه الروح لا تكاد توجد فى غير المجتمع الاسلامى •

تتجلى هذه السماحة فى تلك المثل العالية التى ذكرها القرآن الكريم طبقاً لما يلى :

١ - رغب القرآن الكريم فى مصاحبة الوالدين بالرفق حتى

يحسنوا اليهم فكانوا يفضلونهم
على أنفسهم في طعامهم •

الله عليه وسلم في معاملة غير
المسلمين :

١ - أمر الله سبحانه رسوله
أن يجير المشرك إذا لجأ اليه
واحتفى بجواره يقول جلت كلماته
(وان أحد من المشركين استجارك
فأجره حتى يسمع كلام الله ثم
أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم
لا يعلمون) سورة التوبة ٦ •

٢ - أمر الله النبي والمسلمين
بأن يفوا بعهودهم لمن عاهدوهم
سواء أكانوا من أهل الكتاب أم
من المشركين يقول تعالى (وأوفوا
بالعهد ان العهد كان مسئولا)
سورة الاسراء ٣٤ ويقول
(الا الذين عاهدتهم من المشركين ثم
لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا
عليكم أحدا فأتهموا اليهم عهدهم
الى مدتهم ان الله يحب المتقين)
سورة التوبة ٤ •

٣ - عامل الرسول صلى الله
عليه وسلم أسرى بدر معاملة
حسنة ذلك أنه وزع الأسارى
السبعين على أصحابه وأمرهم أن

٤ - وأشير عليه أن يمثل
بسهيل بن عمرو أحد المحرضين
على محاربة المسلمين بأن ينزع
ثنيته السفلتين فلا يستطيع
الخطابة مرفض النبي صلى الله
عليه وسلم وقال (لا أمثل به
فيمثل الله بى وان كنت نبيا) •

٥ - ولما فتح مكة قال لقريش
(ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟
قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم
فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء لا نثريب
عليكم اليوم يغفر الله لى ولكم) •

٦ - وفي غزوة بنى المصطلق
أطلق سراح أسراهم بعد أن نصره
الله عليهم •

بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم
القيامة) رواه الدارمي *

(ب) أمر الا يجبر أحد من
النصارى أو اليهود على ترك دينه
فقد كتب الى عامل له في اليمن
(من كان على يهودية أو نصرانية
فلا يفتتن عنها) *

١٠ - عقد النبي صلى الله عليه
وسلم معاهدة مع قبيلة تغلب
سنة ٩ هجرية وكان الاسلام قد
قوى ودانت جزيرة العرب أباح
لهم فيها البقاء على نصرانيتهم *

١١ - صالح نصارى نجران
وتركهم أحرارا في محافظتهم على
دينهم *

١٢ - وجه عماله الى اليمن
لأخذ الجزية ممن أقام على
نصرانيته *

١٣ - كان المجوس منبئين في
بقاع شتى من جزيرة العرب -
منهم مجوس نجران وهجر وعمان
والبحرين وهؤلاء جميعا بقوا على
دينهم ودفعوا الجزية كما دفع

٧ - وفي غزوة خيبر حيث
استعمرتها بعض قبائل من اليهود
نكثوا عهدهم مع المسلمين
وحرضوا المشركين العرب على
حرب النبي صلى الله عليه وسلم
والمسلمين بل وانضموا الى
المشركين في حربهم - ومع ذلك
فبعد انتصار المسلمين عليهم منهم
من أن يدخلوا بيوتا من بيوت اليهود
الا باذنه ونهاهم أن يضربوا نساء
اليهود أو يعتدوا على أثمارهم *

٨ - وقد روى محمد بن
الحسن صاحب أبي حنيفة أن
النبي صلى الله عليه وسلم بعث
الى أهل مكة مالا لما قحطوا ليوزع
على فقرائهم على الرغم مما قاساه
هو وأصحابه من أهل مكة من أذى
قبل الهجرة وحرب منهم بعدها *

٩ - ولقد خص النبي صلى
الله عليه وسلم على التسامح
وحببه الى المسلمين للمخالفين لهم
في العقيدة بقوله وبفعله *

(أ) يقول عليه الصلاة والسلام
(من ظلم معاهدا أو انتقصه أو
كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا

وصوامعهم وقال له (لا تخونوا
ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا
ولا تقتلوا طفلا ولا شبيها
ولا امرأة ولا تعقروا نخلا وتحرقوه
ولا تقطعوا شجرة مثمرة —
ولا تذبحوا شاة ولا بعيرا الا للاكل
— واذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم
في الصوامع فدعوهم وما فرغوا
أنفسهم له) •

٢ — وفي زمن خلافته عاهد
خالد بن الوليد أهل الحيرة على
الا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة
ولا قصرا يتحصنون فيه — وعلى
الا يمنعوا من ضرب نواقيسهم
أو اخراج الصلبان في يوم عيدهم
— على ألا يعينوا كافرا على مسلم
— وألا يتجسسوا للكفار على
المسلمين — ونص في هذه المعاهدة
على أن الجزية يعفى منها الشيخ
الذى عجز عن العمل أو أصابته
عاهة أو كان غنيا فافتقر وصار أهل
دينه يتصدقون عليه وليس ذلك
فحسب بل يعال هو وأولاده من
بيت مال المسلمين ما أقام بدار
الاسلام •

الجزية من بقى من اليهود على
دينه في الجزيرة العربية •

١٤ — وكان عليه الصلاة
والسلام يحضر ولائم أهل الكتاب
ويغشى مجالسهم ويواسيهم في
مصائبهم ويعاملهم بكل أنواع
المعاملات التي يتبادلها أهل المجتمع
الواحد الذين يشغلون مكانا
مشتركا — كما كان يعود مرضاهم •

١٥ — كما روى أبو عبيد في
الأموال عن سعيد بن المسيب أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصدق بصدقة على أهل بيت من
اليهود فهي تجرى عليهم •
صور من سماحة الصديق
أبى بكر زمن خلافته :

١ — لما أنفذ أبو بكر الصديق
رضي الله عنه جيش أسامة بن زيد
الى بلاد الشام بعد وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم وأثر توليه
الخلافة أوصاه بالوفاء لمن يعاهدهم
وبالرحمة في الحرب — وبالمحافظة
على أموال الناس — وأن يترك
الرهبان أحرارا في ديارهم

صور من سماحة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب :

١ — كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه على شدته مع المسلمين — رفيقا بأهل الكتاب فقد نصح سعد بن أبى وقاص لما أرسله الى حرب الفرس بأن يبعد معسكره عن قرى أهل الصلح والذمة حتى لا يصابوا بشرور الحرب وألا يسمح لأحد من أصحابه بدخولها الا اذا كان على ثقة من دينه وحسن خلقه وأوصاه ألا يأخذ من أهلها شيئا لأن لهم حرمة وذمة يجب على المسلمين الوفاء بها — وحذره من أن تضطره حرب أعدائه الى ظلم الذين صالحوه .

٢ — أوصى أبا عبيدة بن الجراح بقوله (وامنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحقها ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم) فحقق أبو عبيدة ما أراد عمر وعاهد أهل الشام معاهدة سمحة .

٣ — وأعطى عمر رضى الله عنه

أهل ايلياء أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وألا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها وأنهم لا يضطهدون بسبب نصرانيتهم — ولا يضار أحد منهم ولا يكرهون على دينهم ولا يسكن بايلياء أحد معهم من اليهود وعلى أن أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن — وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا أمانهم ومن أقام منهم آمن — وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء أن يسيروا بأنفسهم وأموالهم الى الروم ويخلوا بيعهم وصلبانهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم .

٤ — وكتب عمر رضى الله عنه لأهل اللد أمانا مثل الامان السابق بيانه .

٥ — ولما حانت الصلاة وهو فى كنيسة القيامة عندما كان ببلاد

والبقاء على دينهم فمن اختار منهم الاسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم — ومن اختار دين قومه وضع عليه الجزية ما يوضع على أهل دينه •

٨ — ولما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب اثر طعنة بمعرفة المجوسى أبى لؤلؤة أوصى الخليفة من بعده وهو يـجـود بروحه برعاية أهل الكتاب وأن يفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يجعل ديارهم ميدانا للحرب وألا يكلفهم فوق طاقتهم رغم أن القاتل له كان من أهل الذمة •

٩ — ولما فتح المسلمون بلاد أذربيجان سلكوا مع أهلها مسلك السماحة لذلك فقد نص فى الصلح معهم على ألا يقتل المسلمون أحدا من أهلها ولا يأسروه ولا يهدموا بيتا من بيوت النار •

١٠ — وفى عهد الامويين توسع معاوية فى الحاق النصارى بخدمته فكان له طبيب نصرانى هو ابن آثال — وقد كافأه معاوية بوضع

الشام طلب البطريق من عمر — أن يصلى بها لكنه اعتذر بأنه يخشى أن يصلى بالكنيسة فيدعى المسلمون فيما بعد أنها مسجد لهم فيأخذوها من النصارى وصلى على درجة خارج الكنيسة وكتب للمسلمين كتابا يوصيهم فيه بألا يصلوا على الدرجة التى صلى عليها الا واحدا واحدا غير مؤذنين للصلاة وغير مجتمعين •

٦ — وفى زمن خلافته عاهد خالد ابن الوليد أهل دمشق على الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شىء من دورهم ولا يعرض لهم الا بخير اذا أعطوا الجزية — لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء والمؤمنين •

٧ — ولما فتح عمرو بن العاص والمسلمون مصر أبقوا العمال النصارى فى وظائفهم ولما أتم فتح مدينة الاسكندرية صالح حاكمها على تقديم الجزية الى المسلمين وأن يخير الأسرى بين الاسلام

يهوديا اسمه (موسى) كان أحد
اثنين في جباية الخراج •

١٤ — كما عين الخليفة العباسي
عبد الله المأمون أحد نصارى مدينة
يقال لها (بورة) من مدن مصر
وقتئذ وكان يدعى (بكام) رئيسا
لبلدتها واقليمها •

١٥ — وقد تولى الوزارة في زمن
العباسيين بعض النصارى أكثر من
مرة منهم نصر بن هارون ويسوع
ابن نسطوروس النصراني •

١٦ — وجرت الدولة العثمانية
على سنن الدول الاسلامية التي
سبقتها فكانت تسند الوظائف
المختلفة الى كثير من الذميين حتى
لقد كان أكثر سفرائها في بلاد
الاجانب من النصارى ولكثرة اسناد
الوظائف العامة الى الذميين في
الدولة الاسلامية قال آدم متر أحد
مؤرخى الغرب : (من الامور التي
تعجب بها كثرة عدد العمال
والمصرفين غير المسلمين في الدولة
الاسلامية) •

الخراج عنه بل وولاه خراج حمص
وكان الاخل الشاعر النصراني
شاعر البلاط كما كان يوحنا
الدمشقي مستشارا لعبد الملك بن
مروان واختار عالما نصرانيا من
مدينة الرها يدعى اثناس مؤدبا
الأخيه عبد العزيز بن مروان ولما عين
عبد العزيز واليا على مصر رافقه
أستاذة النصراني وجمع من مصر
ثروة عظيمة جدا •

١١ — وفي عهد سليمان بن
عبد الملك الخليفة الأموي عهد
بالاشراف والنفقة على بناء مسجد
الجماعة في بلده الرملة في فلسطين
الى كاتب نصراني يقال له
(البطريق ابن النقا) •

١٢ — وكان من هؤلاء الذميين
من يدعى (اثنا سيوس) شغل
بعض المناصب الحكومية في مصر
زمن الأمويين حتى بلغ مرتبة
الرئاسة في دواوين الاسكندرية •

١٣ — وفي عهد الدولة العباسية
استعمل الخليفة أبو جعفر المنصور

كيف فقه علماء المسلمين سماحة الاسلام في أحكامهم على أهل الذمة :
أساس نظرة التسامح التي تسود المسلمين في معاملة مخالفيهم في الدين :

ان أساس هذه النظرة يرجع الى الافكار والحقائق التي غرسها الاسلام في عقول المسلمين وقلوبهم وأهمها :

أولا : اعتقاد كل مسلم بكرامة الانسان أيا كان دينه أو جنسه - أو لونه يقول جلت كلماته (ولقد كرّمنا بني آدم) سورة الاسراء ٧٠ وهذه الكرامة توجب لكل انسان حق الاحترام والرعاية •

ثانيا : اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى فقد منحهم حرية الاختيار فيما يعتقدون يقول تعالى :

(أ) (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) سورة الكهف ٢٩ •

(ب) (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) سورة هود ١١٨ •

ثالثا : ليس المسلم مكلفا أن

١ - روى ابن أبي شيبة عن جابر بن زيد أنه سئل عن الصدقة فيمن توضع فقال في أهل ملتك من المسلمين وأهل ذمتهم وقد ذكر ذلك الامام ابن حزم في كتابه المحلى •

٢ - ويذكر الامام شهاب الدين القرافي شيئا من معنى البر الذي أمر الله به المسلمين في شأنهم فيقول (الرفق بضعيفهم - وسد خلة فقيرهم وإطعام جائعهم وكساء عاريهم ولين القول لهم - دون خوف أو ذلة - واحتمال اذائهم في الجوار لظفا منا بهم لا خوفا ولا تطيعا - والدعاء لهم بالهداية - وأن يجعلوا من أهل السعادة - ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم وحفظ غيبتهم اذا تعرض أحد لأذيتهم - وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم - وأن يعانون على دفع الظلم عنهم) •

يحاسب الكافرين على كفرهم أو يعاقب الضالين على ضلالهم فهذا ليس اليه وليس موعده هذه الدنيا انما حسابهم الى الله في يوم القيامة وجزاؤهم متروك اليه في يوم الدين يقول سبحانه وتعالى :

الى مكارم الاخلاق ولو مع المشركين ويكره الظلم ويعاقب الظالمين ولو كان الظلم من مسلم لكافر قال تعالى (ولا يجرمكم شئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) سورة المائدة ٨

(فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم - وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب - وأمرت لأعدل بينكم - الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم - الله يجمع بيننا واليه المصير) سورة الشورى ١٥

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرك ولو بعد حين) رواه الترمذى بسند حسن (١) *

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

رابعا : ايمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل ويحب القسط ويدعو

(١) هو جزء من الحديث الذى رواه الترمذى ونسبه : (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لاترد دعواتهم : الصائم حتى يفطر - والامام العادل - ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرك ولو بعد حين) *

دراسات قرآنية : في ملكوت السموات والأرض

للاستاذ على عبد العظيم

« أو لم ينظروا في ملكوت
السموات والأرض وما خلق الله
من شيء »

(صدق الله العظيم)

ذكرنا — فيما سبق — أن
القرآن الكريم يضم اشارات علمية
عديدة ، وأن أسلوبه البلاغى يعطى
معانى عديدة متنوعة للجملة
الواحدة ، ونستطيع أن نسوق مثلاً
آخر لجملة واحدة تعددت فيها
المعانى التى يحمل بعضها الطابع
القديم ، وبعضها الطابع الحديث .
ونرى هذا واضحاً فى قوله
تعالى : « هو الذى يريكم آياته
وينزل لكم من السماء رزقاً ، وما
يتذكر الا من ينيب » سورة غافر آية
١٣ قاله سبحانه يرينا آياته

حيناً بعد حين ، وجيلاً بعد جيل ،
وينزل لنا من السماء رزقاً ، ولا
يعرف آيات الله العديدة ، ونعمه
الجزيلة ، ولا يتذكرها الا من آمن
بالله ، ورجع اليه بالانابة والمتاب
فما هو الرزق المنزل من السماء ؟
يقول المفسرون القدماء : أنه
ماء المطر ، وهو رزق لا شك فيه ،
لأنه يحفظ علينا حياتنا ، كما يحفظ
حياة عالم الحيوان وعالم النبات ،
ونستطيع أن نضيف معانى
عديدة توضح هذا الرزق .. منها
الأشعة الحرارية التى تصلنا
باعتدال من الشمس ، فلو انقطعت
عنا لمات جميع الأحياء من البرودة ،
ولتجمدت مياه المحيطات والبحار
والأنهار .. ولو زاد مقدارها عما
هو عليه الآن لتبخرت المياه جميعاً ،

ولهلكت جميع الكائنات التى تنعم
الآن بالحياة؟!

— ومن الرزق المنزل علينا من
السماء .. الأشعة الضوئية التى
يتوقف عليها بقاء عالم النبات
عن طريق التمثيل الضوئى
« الكلوروفلى » والأشعة الضوئية
هى التى تضىء لنا فجاج الأرض
نهاراً ، وتتيح لنا السعى فى مناكبها
طلباً للرزق ، ومحافظة على
الحياة؟!

— ومن الرزق المنزل من السمااء
رماد الشهب التى تتساقط على
الأرض وتبلغ أعدادها عشرات
الملايين فى كل يوم فتحترق حين
ملامستها للغلاف الجوى ويسقط
رمادها على الأرض ، فيزيد التربة
خصباً وصلاحية للإنتاج والثمار؟!

— ومن الرزق المنزل من السمااء
غاز ثانى أكسيد الكربون الموجود
فى الغلاف الجوى ، والذى تتوقف
عليه حياة النبات ، وكذلك غاز
الأوكسجين الذى تتوقف عليه حياة
الانسان ، والحيوان ، والنبات؟!

— ومن الرزق المنزل من السمااء
غاز النتروجين (الأزوت) الذى

يهبط من الجو على الأرض فيزيدها
خصباً ، ونحن الآن نستخلصه
كيماوياً من الهواء ونحوه الى
سماد صناعى ينتج لنا أطيب
الثمرات؟!

— ومن الرزق المنزل من
السماء : رزق روحى معنوى : هو
الكتب المنزلة على الرسل الكرام ،
لهداية البشر ، واخراجهم من
الظلمات ، ظلمات الجهالة .. الى
نور الهداية والرشاد والعرفان؟!

— ومن الرزق المعنوى الروحى :
أن الله يحفنا برضوانه ، وينشر
علينا رحماته فيحفظنا من الشدائد
وينقذنا من الأزمات « وهو الذى
ينزل الفيث من بعد ما قنطوا
وينشر رحمته ، وهو الولى
الحميد » سورة الشورى آية ٢٨ .

— ولهذا وجهتنا الآية الكريمة
الى أن نفزع الى الله مخلصين له
الدين « فادعوا الله مخلصين له
الدين ، ولو كره الكافرون » .

— والنتيجة أن القرآن الكريم
لا يفسره عالم واحد ، ولا جيل
واحد ، وكلما اتسعت فنون الثقافة
العلمية كشفت لنا من آيات الله

وسائل التثبت ، من حقيقة الكشوف العلمية قبل أن نقحمها اقحاما على القرآن الكريم .. بمناسبة أو غير مناسبة .. فلا نأخذ الا بالحقائق العلمية الثابتة ، لا بالنظريات ولا بالآراء ، ولا بالفروض العلمية ؟! — ولتوضيح هذا : نذكر أن هناك حقائق علمية ثابتة يؤمن بها جميع العلماء ، مثل القوانين العلمية المعروفة ، ومنها .. أن المعادن تتمدد بالحرارة ، وتتكشف بالبرودة .. وأن الماء تحت الضغط الجوى العادى يتبخر فى درجة مائة سنتيجراد ، ويتجمد فى درجة صفر .. وأن الأجرام الفلكية ، ومنها .. الأرض تدور حول محورها ؟!

— أما النظريات العلمية فانها تتكون من عدة حقائق ، اذا جمعناها ونسقنا بينها — فاننا نخرج منها بنظرية علمية عامة ، مثل « نظرية النشوء والارتقاء » ولكننا قد نكتشف بعد حين أننا أخطأنا فى عملية التنسيق والتركيب كما يخطئ صانع الساعات ، والراديو ، والتليفزيون — فى

البيانات ما لا يخطر لنا على بال ؟! « وقل : الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها » سورة النحل آية ٩٣ • « سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » سورة فصلت آية ٥٣ •

— ومن كل ما سبق يتضح لنا أن القرآن الكريم حافل بالاشارات العلمية العديدة ، التى تلفت أنظارنا الى آيات الله الكونية المتجلية فى أرجاء الأرض وآفاق السموات .. وأن الاستعانة بالدراسات العلمية تعيننا على التعمق فى فهم آيات القرآن الكريم ؟!

— ولكن التفسير العلمى للقرآن ينبغى أن تكون له ضوابط دقيقة ، ومناهج قويمه سليمة ، تلتزمها فى كتابة هذا التفسير ، حتى لا نضل السبيل فنضيف الى القرآن الكريم مالا تحتمله كلماته من معان تأبأها العربية كل الالباء .. ويمكن ايجاز هذا المنهج فيما يلى — :

أه لا : علينا أن نتثبت بكل

« **انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم
تعقلون ، وانه في أم الكتاب لدينا
لعلى حكيم** » سورة الزخرف آية
٣ ، ٤ •

— وعلينا أن نعود في تحديد
الكلمات القرآنية الى المعاجم
اللغوية العديدة ، وقد نرى للكلمة
معنيين أخذ القدماء بأحدهما ، ولا
مانع أن نأخذ نحن بالمعنى الثانى
اذا نصت عليه المعاجم المعتمدة •
ونستطيع أن نضرب لهذا مثالا
توضيحيا •• فان الله تبارك
وتعالى يقول : « **والأرض بعد ذلك
دحاها** » سورة النازعات آية
٣٠ • فاذا رجعنا الى
المعاجم اللغوية وجدنا (الدحو)
بمعنى : البسط وبهذا أخذ القدماء
— ويزكيهم في هذا قوله تعالى
« **والله جعل لكم الأرض بساطا
لتسلكوا منها سبلا فجاجا** »

سورة نوح آية ١٩ ، ٢٠ • أى
جعلها صالحة للسير
عليها والانتقال في أرجائها : سواء
في البحار والمحيطات عن طريق
السفن ، أم في السهول والصحارى
عن طريق الخيل والبغال والحمير

تركيب أجزاء الآلة فلا تدور ••
وهنا تنهار النظريات العلمية ،
وتتبدل من جيل الى جيل !؟

— ان نظرية التطور ، أو أصل
الأنواع فيها •• فجوات عديدة ،
وحلقات مفقودة ، وفيها •• طفرات
لا نستطيع تعليلها — وقد نعود الى
مناقشة هذه النظرية بالتفصيل —
ولهذا كان من الواجب علينا ألا
نأخذ بالنظريات العلمية في تفسير
القرآن الكريم ، واذا استعنا بها
فلمجرد الاستئناس ، لا التقرير ؟
— أما الآراء العلمية ، فهي :
وجهات نظر ، تختلف باختلاف
العلماء — وأما الفروض العلمية ،
فهي : ظنون ، نحاول بها تفسير
بعض الظواهر التى نعجز عن
تعليلها — والآراء والفروض
العلمية ، هي : أفكار مجردة لا
تقوم على أساس علمى متين !؟

ثانيا : علينا أن نراعى مدلول
الكلمات القرآنية ، فلا نضيف اليها
معانى جديدة — لم نعرفها من قبل
— فان القرآن الكريم نزل
« **بلسان عربى مبين** » ٢٦ : ١٩٥

والجمال — ثم عن طريق السيارات والقطارات ، أم فى الهواء عن طريق الطائرات — وبهذا تميزت الأرض عن القمر ، فانه من العسير السير عليه ، لكثرة الفوهات البركانية فيه والجبال الشاهقة الارتفاع ، والوديان البعيدة الأعماق — وبهذا الانبساط فى الأرض أتاح الله لنا أن نسلك فيها سبلا فجاجا •• وأن نمشى فى مناكبها ابتغاء لفضل الله !؟

— وليس معنى انبساط الأرض أنها غير كروية ، فان القرآن الكريم يقرر فى موضع آخر كرويتها ، بما لا يحتمل أى شك أو ارتياب •• وذلك فى قوله تعالى « **يكور الليل على النهار ، ويكور النهار على الليل** » سورة الزمر من الآية ٥ •

— وقد نعود الى شرح هذه الآية فى مقال تال ان شاء الله !؟

— وللدحو •• معنى آخر ذكرته كتب اللغة ، وهو الدفع والرمى — يقال : دحا الصبى الكرة : رماها — ومن خير المعاجم اللغوية « لسان العرب لابن منظور المصرى » و « تاج العروس فى شرح القاموس للزبيدي » •

— ودحا بيده الماشية : دفعها وساقها أمامه •

والمدحاة : خشبة يدفعها الصبى فتندفع على سطح الأرض •• لا تأتى على شىء الا دفعته •

والمدحاة لعبة يلعب بها أهل مكة ، وهى أحجار كالأقراص ، تحفر حفر بقدرها ، ثم يدفعونها لتتقع فى الحفر المعدة لها •• فاذا نجح الدافع فى ذلك كسب اللعبة • (وهى تشبه لعبة الجولف الآن) وبهذا المعنى اللغوى نأخذ نحن

فى التفسير العلمى الحديث ، فنقول فى معنى : « **والأرض بعد ذلك دحاها** » • أى دفعها فى مدارها حول الشمس •

— وكلا المعنيين : القديم والحديث صحيح ، على أن بعض الكلمات اللغوية تحمل أكثر من معنيين •• ولنا أن نختار من المعانى ما يناسب السياق القرآنى دون تكلف أو افتعال •

— ومن خير المعاجم اللغوية « لسان العرب لابن منظور المصرى » و « تاج العروس فى شرح القاموس للزبيدي » •

لا نأخذ بالمعنى الاصطلاحي ، أو المجازي ، الا اذا تعذر علينا الأخذ بالمعنى الحقيقي للكلمات ؟!

ثالثا : بعض الباحثين تحمله حماسته للبحث العلمي على أن يقحم كل كشف علمي في تفسيره للقرآن الكريم ، وهذا خطأ كبير ، فان القرآن الكريم ليس دائرة معارف علمية ، وانما يلفت نظرنا الى بعض الحقائق العلمية ، التي تدلنا على قدرة الله ، وعلى عظمته وعلى ابداعه .

وعلى أنه « خلق فسوى » سورة الأعلى من ٢ •
« وأنه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » •

وأنه « أحسن كل شيء خلقه » وينبغي لنا أن نعرف أن معلومات الانسان ومعارفه لم تتناول الا قليلا جدا مما خلق الله •
« وما أوتيتهم من العلم الا قليلا » سورة الاسراء من الآية ٨٥ •

و « فوق كل ذي علم عليم » — ولهذا كان علينا أن نقف عند حدود ما نعلمه مما علمنا الله اياه ،

ومن المعاجم المهمة في هذا المجال •• معجم خاص بالقرآن الكريم ألفه العالم ، اللغوى ، الكبير ، مجد الدين الفيروز ابادى وسماه « بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز » وقد طبعه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة في ستة مجلدات ضخمة ، بتحقيق الشيخ محمد على النجار • — كما أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة : كتاب « معجم ألفاظ القرآن الكريم » في ستة أجزاء •

— وينبغي أن نأخذ في الاعتبار: أن الكلمة العربية قد يكون لها معنى حقيقى ، كما يكون لها معنى اصطلاحى ، وقد يكون لها معنى مجازى — وعلى الباحث أن يرجع في الأخذ بالمعاني المجازية الى معجم كتاب « أساس البلاغة للزمخشري » وقد طبع في القاهرة ، في جزعين كبيرين ، في أكثر من ألف صفحة ، وقد عقب عليه العلامة (ابن حجر العسقلانى في معجمة : « غراس الأساس » ولا يزال مخطوطا — حتى الآن — على أننا

قرآن مجيد فى لوح محفوظ

سورة البروج آية : ٢١ •

« وسدرة المنتهى » •

— فالعالم الكبير المتمكن ••

هو الذى يقف عند حدود ما يعلمه

— ونختتم حديثنا بما قرره

آينشتاين أكبر علماء العصر

الحديث ، حيث يقول :

« ان أعظم جائشة من جائشات

النفس وأجملها •• تلك التى

تستشعرها النفس عند الوقوف فى

روعة أمام هذا الخفاء الكونى ، ان

الذى لا تجيش نفسه لهذا ولا

تتحرك عاطفته •• حى كميته ، انه

خفاء لا نستطيع أن نشق حجبته ،

واظلام لا نستطيع أن نطلع فجره ،

ومع هذا فنحن ندرك أن وراءه

شيئا •• هو الحكمة أحكم ما تكون

ويحسن أن وراءه شيئا هو الجمال

أجمل ما يكون •

وهى حكمة ، وهو جمال

لا نستطيع أن تدركهما عقولنا

القاصرة ، الا فى صور بدائية

أولية : وهذا الادراك للحكمة ،

وهذا الاحساس بالجمال —

وكان علينا الا نقحم عقولنا فيما

لا نستطيع عقولنا أن تدركه ، وأن

نسلم الأمر لله ، الذى أحاط بكل

شئ علما « انما الهكم الله الذى

لا اله الا هو وسع كل شئ علما »

سورة طه آية ٩٨ •

— ونحن لا نزال نجعل كل شئ

عن الروح ، كما أننا نجعل الكثير

عن عقولنا ، وعن أنفسنا ، ونجعل

الكثير عن جوف الكرة الأرضية ،

التي نعيش عليها ، وعن الغلاف

الجوى المحيط بنا ، فما بالك

بملايين الملايين من الشمس ،

والكواكب ، والمذنبات ، والأجرام

السمائية ؟!

— اذا كنا نجعل هذا كله ••

فمن العبث أن نقحم عقولنا فى

العوالم الغيبية ، التى لا مجال

أمام البشرية لمعرفة ، مثل :

« العرش العظيم » سورة النحل

آية ٢٦ •

وحملة العرش « الذين يحملون

العرش ومن حوله » سورة غافر

آية : ٧ •

و « أم الكتاب » •

و اللوح المحفوظ « بل هو

من آياته البينات .. عن الكون
الذى نعيش فيه ، وعن أطوار
ومراحل تكوينه ، ليفتح أمام الفكر
البشرى مجال البحث والدراسة ،
ليدرك عن طريقهما ما يستطيع
ادراكه من قدرة الله وعظمته ،
وابداعه العظيم فى التكوين ، وفى
التدبير « **ألا له الخلق والأمر ،**
تبارك الله رب العالمين »
سورة الأعراف آخر آية ٥٤ •

وقد ذكر القرآن الكريم فى كثير
من آياته المحكمة .. أن الله تعالى
خلق « **السموات والأرض وما**
بينهما فى ستة أيام » •

— وكلمة (اليوم) تأتى فى
القرآن الكريم بعدة معان •
منها : (النهار) وذلك فى قوله
تعالى فى اهلاك قوم عاد بالريح
العاتية « **سخرها عليهم سبع ليال**
وثمانية أيام حسوما » ٧ الحاقة •

— ومثل قوله تعالى فى كفارة
اليمين « **فمن لم يجد فصيام ثلاثة**
أيام ، ذلك كفارة أيمانكم إذا
حلفتم » سورة المائدة من الآية ٨٩
وتأتى بمعنى : طور من أطوار
الخلق ، والتكوين ، والتدبير •

فى روعة — هو جوهر التعبد عند
الخلائق !!؟

ان الشعور الدينى الذى
يستشعره الباحث فى الكون ..
هو أقوى وأنبى حافز على البحث
العلمى !!؟

ان دينى هو : اعجابى بتلك
الروح السامية التى لا حد لها ..
تلك التى تتجلى فى التفصيلات
الصغيرة التى تستطيع ادراكها
عقولنا الضعيفة ، العاجزة ، وهو
ايمانى العاطفى العميق .. بوجود
قدرة عاقلة مهيمنة تتراءى حيثما
نظرنا فى هذا الكون المعجز للافهام؟
ان هذا الايمان يؤلف عندى معنى
الله « وفى ضوء ما ذكرنا سنتناول
نماذج من التفسير العلمى للقرآن
الكريم ، مستعينين بالله ،
مستمددين منه الهداية والتوفيق ..
وهو حسبنا ونعم الوكيل •

الايام الستة

(**ولقد خلقنا السموات والارض**
وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا
من لغوب) سورة ق آية : ٣٨ •
تحدث القرآن الكريم فى كثير

فى اليوم الأول من أيام الأسبوع
— وهو عندهم يوم الأحد —

ثم خلق الله الماء والجلد ،
وجعل من الجلد سماء فى اليوم
الثانى .

ثم أظهر الله اليابسة والبحار ،
وأنبت العشب والبقل فى اليوم
الثالث .

وخلق الليل والنهار فى اليوم
الرابع .

وخلق الزواحف ، والطيور ،
فى اليوم الخامس .

ثم خلق البهائم ، والوحوش ،
والانسان فى اليوم السادس .

أما فى اليوم السابع .. فقد لجأ
الله فيه الى الراحة (راجع
الاصحاح الأول والثانى من سفر
التكوين) .

— وهنا يقف العلماء والباحثون
ساخرين من هذا الخيال
الأسطورى .

— ومن هذه الأوهام —
المخبولة — وبخاصة ما نسب الى
الله سبحانه وتعالى من التعب ،
والحاجة الى الراحة بعد ما بذله من

مثل قوله تعالى « وان يوما عند
ربك كآلف سنة مما تعدون »
ه السجدة .

وقوله سبحانه وتعالى « يدبر
الأمر من السماء الى الأرض ثم
يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف
سنة مما تعدون » سورة السجدة
آية ه .

وقوله عز وجل فى وصف أهوال
يوم القيامة « تعرج الملائكة
والروح اليه فى يوم كان مقداره
خمسین ألف سنة فاصبر صبيرا
جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه
قريبا » ه المعارج .

— فالיום : طور من الأطوار قد
يمتد عشرات الآلاف من السنين أو
أكثر ، وقد يكون لحظة عابرة ،
ولكن كتاب التوراة فهموا لليوم فى
أطوار الخليقة فهما خاطئا ، حيث
تصوروا أن اليوم مدته أربع
وعشرون ساعة على حسب فهمنا فى
الكوكب الأرض .

وأن الأسبوع يتكون من سبعة
أيام ، ولهذا ذكروا فى سفر التكوين
أن الله — سبحانه وتعالى — خلق
السموات والأرض والنور والظلمة

— وسبب انكارهم : أن نص الحديث يناقض النصوص القرآنية العديدة ، التي قررت .. أن الله خلق السموات والارض في ستة أيام — هذا الى جانب أن تسمية الايام لم تكن معروفة في بدء التكوين .

وكلمة الساعة ، والعصر ، والليل .. كلها اصطلاحات مستحدثة ، فضلا عن النور — أى — أن النبات لا يمكن أن يحيا الا اذا توافر له (الضوء) الكافي لعملية التمثيل الضوئى ، كما هو مقرر ثابت لدى علماء النبات ، فكيف يتم خلق النبات قبل أن يتم خلق النور ؟

— وقد أثبت البصيريون بعلوم الحديث : أن أبا هريرة كان يحكى ما سمعه من كعب الأحبار ، فظن السامعون أنه يتحدث ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— ومن المعروف أن يوم الأرض عند خط الاستواء .. يعادل أربعاً وعشرين ساعة ، نصفها نهار ، ونصفها ليل — ولكنه عند القطبين

جهود — تعالى عن ذلك الله علوا كبيرا .

وفى أطوار الخلق والتكوين لم يكن التقدير القائم على أن الاسبوع سبعة أيام ، ولا أن الشهر ثلاثون يوما ، وأن اليوم أربع وعشرون ساعة .

وهذه الاصطلاحات من صنع البشر — بعد تقدمهم ورقيقهم — اذ من المعروف أن البشر هم آخر الكائنات الحية ظهورا على سطح الارض بعد تكوينها ، وجعلها صالحة للحياة — بمئات الملايين من السنين .

ولهذا أنكر نقاد وعلماء الحديث ما رواه مسلم ، وأحمد عن أبى هريرة .. من أن الله خلق للتربة يوم السبت ، وخلق الشجر يوم الاثنين .

وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الاربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس .

وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق ، فى آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر والليل .

تتكون من نواة واحدة (بروتون)
وكويكب واحد (الكترون) يدور
حول النواة — والنواة •• كهرباء
موجبة — والكويكب •• كهرباء
سالبة — وذرة الايدروجين ••
متناهية فى الصغر ، لدرجة أن
بضعة ملايين منها لا تبلغ حجم
رأس الدبوس !؟

— هذه الذرات •• خلقها الله
سبحانه وبثها فى الفضاء ، الشاسع
المترامى الاطراف ، الذى لا يكاد
يتناهى •

ثم أودع فى هذه الذرات خاصية
التجاذب والترابط (قانون
الجاذبية) فتجاذبت هذه الذرات
حتى أصبحت كتلة ضخمة من
السديم ، وكل ذراتها تتدفع نحو
مركز هذه الكتلة العظيمة بقوة
الجاذبية ، فتصادمت وارتفعت
درجة حرارتها ارتفاعا كبيرا حول
بعض هذه الذرات ، الى عنصر
الهيليوم ، وهو يلى الايدروجين ،
لأن نواته مزدوجة ، ولأن لكل نواة
كويكبين يدوران حولها •

وهذه الكتلة الضخمة من

يعادل سنة كاملة ، منها ستة أشهر
نهار ، ومنها ستة أشهر ليل •
ويوم القمر يعادل تسعة
وعشرين يوما — تقريبا — من أيام
الأرض •

وهكذا تختلف الايام من كوكب
الى كوكب •• طبقا لتقدير وتدبير
العزیز الحمید الحکیم •

تفصيل علمى دقيق :

— والقرآن الكريم حين تحدث
عن الايام ، أو الاطوار الستة ••
فصل الحديث عنها تفصيلا علميا
دقيقا •• هو أحدث ما وصل اليه
علم الفلك من حقائق مقررة •
ومن الخير أن نلخص ما قرره
العلماء ، ثم نذكر بعد ذلك ما أورده
القرآن الكريم الذى « لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
تنزيل من حكيم حميد » •
سورة الشورى آية ٤٢ •

— قرر علماء الفلك أن اللبنة
الأولى فى بناء الكون •• هى عنصر
(الايدروجين) وذرته •• هى
أبسط وأقل أنواع الذرات ، فانها

وحيث يقع الصاروخ بين قوتين متعادلتين •• هما قوة الدفع ، وقوة الجذب •• فيأخذ مداره حول الأرض آلياً دون محرك يدفعه ، فاذا ألقى ركاب الصاروخ منه شيئاً دار هو أيضاً دون محرك ، ولو خرج منه انسان وألقى بنفسه في الفضاء ، دار هو أيضاً في الفضاء ، ولهذا كان بعض ركاب المركبات الفضائية الدائرة حول الأرض ، يغادرون المركبة بعد أن يربطوا أنفسهم بحبل يمكنهم من العودة إليها ، حيث يجدون فيها وسائل الراحة ومقومات الحياة !؟

— ونعود الى الاجزاء المنفصلة من كتلة السديم ، وهي كتلة بالغة الحد في الضخامة ، أخذت تدور حول الكتلة العظمى — ثم تكررت فيها عملية الفتق آلاف المرات ، فنشأ عنها ما نسميه الآن بـ (نظام المجرات) • ثم انقسمت المجرات الى كتل

السديم •• هي التي أطلق عليها القرآن الكريم اسم (الدخان) • ولما ارتفعت درجة الحرارة دار السديم حول نفسه في حركة محورية سريعة ، فبدأت أطرافه تتفصل منه مندفعة في الفضاء وهذه الظاهرة •• هي ما يسميها القرآن الكريم بعملية (الفتق) • وهذه الاجزاء المنفصلة ، اندفعت بسرعة هائلة •• فوقعت بين قوتين — قوة الدفع ، وقوة الجذب — فاحتفظت بموقعها في الفضاء بين القوتين ، المتعادلتين •• قوة الدفع ، وقوة الجذب •

والقرآن يسمي هاتين القوتين (قوة الرجوع — وهي الجاذبية — وقوة الصدع •• وهي الدفع) (١) ونحن نستغل هاتين القوتين الان في اطلاق الصواريخ ، فاذا أردنا اطلاق صاروخ يدور حول الأرض ، دفعناه بقوة تفوق جاذبية الأرض بمقدار محدد ، ثم تتناقص هذه القوة حتى تساوى جاذبية الأرض على مدى مقدر ،

(١) وهو ما يسميه العلماء الآن قوة الطرد المركزية .

الفضاء ، وحاولت الشمس أرجاعها إليها بقوة الجذب ، ولكن قوة الطرد عادت قوة الجذب ، فأخذت الأرض مدارها حول الشمس فى فلكها المرسوم ، الذى تقطعه حول الشمس فى مدى عام .. وانفصل القمر عن الأرض بقوة الصدع ، وجذبتة إليها بقوة الرجوع ، فدار حول الأرض فى فلكه المرسوم ، ودار حول نفسه فى كل شهر قمرى مرة .

« يتبع »

على عبد العظيم

ضخمة شديدة الانصهار ، تكونت منها الشموس ، التى يطلق عليها علماء الفلك اسم (النجوم) •

ومن الشموس انفصلت المذنبات ثم الكواكب •

ومن الكواكب انفصلت الاقمار ، وكل منها يدور حول الاصل ، الذى انفصل منه بفعل قوة الجذب ، وقوة الرجوع !؟

— وقد انفصلت أرضنا (الكوكب) من شمسنا ، حيث انشطرت كتلة من الشمس ، أو انصدعت منها ، واندفعت فى

« دعوة الى الاخلاق »

قال الأشعث بن قيس يوماً لقومه : انما أنا رجل منكم ليس لى فضل عليكم • لكننى أبسط لكم وجهى • وأبذل لكم مالى ، وأقضى حقوقكم • وأحوط حريمكم • فمن فعل مثلى فهو مثلى • ومن زاد على فهو خير منى ومن زدت عليه فأنا خير منه •

قيل له يا أبا أحمد : ما يدعوك الى هذا الكلام ؟

قال : حضهم على مكارم الاخلاق •

غربة الاسلام

للأستاذ موسى محمد على

فهم الذين سعدوا ففى الجنة
خالدين فيها •

ولهذا الكلام دقيقة هامة ،
ناسب أن نوجه القول اليها •

فلا يخفى على من به مسحة من
ايمان ، أن لربنا فى أيام دهرنا
نفحات ، نتعرض لها خاصة ونحن
قد فرغنا من قيام وصيام شهر
رمضان الذى أنزل فيه القرآن ،
شهر الصدقة والزكاة ، شهر البر
والاحسان ، شهر القرب
والعرفان ، شهر الصلة والمودة ،
شهر التوبة والرحمة ، شهر خصنا
الله به ، منذ أن اختارنا خير أمة
أخرجت للناس ، شهر أوله رحمة
وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من
النار •

فهل نحن تلمسنا نفحات هذا

يقوله الله تعالى :

« فلولاً كان من القرون من
قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد
فى الأرض الا قليلاً ممن أنجينا
منهم » سورة هود آية ١١٦ •

ان الذين يحبون أن تشيع
الفاحشة فى المجتمع ، هم الذين
شقوا ففى النار خالدين فيها •
والذين يمرحون فى الفجور فى
المعاصى ، هم الذين ضل سعيهم فى
الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم
يحصنون صنعا •

والذين ينكبون عن صراط
الجادة والحق والصواب ، هم
التعساء الذين لاحظ لهم فى
الآخرة •

أما الذين استجابوا لله
وللرسول اذا دعاهم لما يحييهم

الشهوات من النساء والبنين
والقناطر المقنطرة من الذهب
والفضة ، ومتع الحياة الدنيا •

والاستشهاد بهذه الآية التي
بدأنا بها : يدلنا على الرسوخ في
العلم والمعرفة ويربطنا بفهم
القرآن الكريم ، فان الغرباء في
هذا العالم : هم أهل هذه الصفة
المذكورة في هذه الآية ، وهم الذين
أشار اليهم النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله : « بدأ الاسلام
غريباً ، وسيعود غريباً
كما بدأ ، فطوبى للغرباء » • قيل:
ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال :
«الذين يصلحون اذا فسد الناس» •

وفي رواية للامام أحمد رضى
الله عنه :

ومن الغرباء يارسول الله ؟ •
قال : «الذين يزيدون اذا نقص
الناس » •

ومعناه : الذين يزيدون خيراً
وايماناً وتقياً اذا نقص الناس من
ذلك •

وفي رواية الأعمش عن عبد الله
ابن مسعود رضى الله عنه قال :

الشهر المبارك ، وتعرضنا له بالجد
في الطاعة ، والاجتهاد في العبادة ،
كما أمرنا ربنا حتى نكون من الذين
سعدوا ؟

أم أننا ضللنا الطريق ، وتكبرنا
الصراط حتى ضل سعيها ونحن
نحسب أننا نحسن صنعا ؟

ان لكل شئ حقيقة ، وحقيقة
الايمان الذى أمرنا الله تعالى به ،
العمل الجاد الذى هو فرع عن
تصوره ، بيد أن الذى يعايش
مجتمعنا اليوم ، ويتفقد أحواله ،
ويمارس بالتجربة واقعه الملموس ،
يجد بحق لاشك فيه أننا في بعد
تام ، وانحراف منحرف ، وانسلاخ
عن لب الدين ، وتعاليم الاسلام ،
حتى صار الاسلام ، وأهله في غربة
غريبة ، وكأن المجتمع في جهالة عن
فهم حقيقته ، لا يرقب في دينه
الا ، ولا يرعى له ذمة •

فكيف بنا لو تفرسنا أحوال
مجتمعنا ، وما هو عليه من فجور
فاجر في الملامى ، وجشع قاتل
في المناصب ، وطمع مجحف في
حطام الدنيا ، وتكالب على
الأموال والأعراض ، وحب

قيل : ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال : « النزاع من القبائل » .
المغبطون ، ولقلتهم في الناس جدا ، سموا « غرباء » .

وفي رواية عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال . . قيل : ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال : « ناس صالحون قليل في ناس كثير ، من يعصيه أكثر ممن يطيعهم » .

وقال نافع عن مالك رضى الله عنهما :

دخل عمر بن الخطاب المسجد ، فوجد معاذ بن جبل جالسا الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يبكى ، فقال له عمر : ما يبكيك ، يا أبا عبد الرحمن ؟ هلك أخوك ؟ قال : لا ولكن حديثا حدثنيه حبيبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا في هذا المسجد ، فقال : ما هو ؟ قال :

« ان الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء ، الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة » .

فهؤلاء هم الغرباء المدحون

وأكثر الناس على غير هذه الصفات : فأهل الاسلام في الناس غرباء ، والمؤمنون في أهل الاسلام غرباء ، وأهل العلم في المؤمنين غرباء ، وأهل السنة ، الذين يميزونها من الأهواء والبدع ، غرباء ، والداعون ، اليها ، الصابرون على أذى المخالفين : هم أشد هؤلاء غربة ، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقا ، فلا غربة عليهم ، وانما غربتهم بين الأكثرين ، الذين قال الله عز وجل فيهم :

« وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله » الانعام ١١٦ .

فأنتك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه ، وغربتهم هي الغربة الموحشة ، وان كانوا هم المعروفين المشار اليهم .

وسيدنا موسى عليه السلام لما خرج من قوم فرعون انتهى الى مدين ، على الحال التي ذكرها الله

يدعوا الى غير ما جاء به ، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ماكانوا اليهم •

فهذه « الغربة » لا وحشة على صاحبها ، بل هو آنس ما يكون اذا استوحش الناس ، وأشد ما تكون وحشته اذا استأنسوا ، فويله الله ورسوله والذين آمنوا ، وان عاداه أكثر الناس وجفوه •
وفي حديث القاسم عن أبي امامة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال عن الله تعالى :

« ان أغبط أوليائي عندي : لمؤمن خفيف الحاذ(١)، ذو حظ من صلاته أحسن عبادة ربه وكان رزقه كفافا ، وكان مع ذلك غامضا في الناس ، لا يشار اليه بالاصابع ، وصبر على ذلك حتى لقي الله ، ثم حلت منيته ، وقل ترائه ، وقلت بواكيه » •

ومن هؤلاء الغرباء : من ذكرهم

تعالى ، وهو وحيد غريب خائف جائع ، قال : « يارب وحيد مريض غريب » ، فقل له : ياموسى •
الوحيد : « من ليس له مثلى أنيس ، والمريض : من ليس له مثلى طبيب ، والغريب : من ليس بينى وبينه معاملة » •

فالغربة أنواع : غربة أهل الله تعالى ، وأهل سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بين هذا الخلق ، وهى الغربة التى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهلها ، وأخبر عن الدين الذى جاء به ، أنه : « بدأ غريبا » وأنه « سيعود غريبا كما بدأ » وأن « أهله يصيرون غرباء » •

وهذه الغربة قد تكون فى مكان دون مكان ، ووقت دون وقت ، بين قوم دون قوم ، ولكن أهل هذه « الغربة » هم أهل الله حقا ، فانهم لم يأووا الى غير الله تعالى ، ولم ينتسبوا الى غير رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم

(١) استعمال مجازى المراد منه خفيف الظهر . كذا فى القاموس المحيط والمعنى خفيف الاحمال والتبعات •

- أنس في حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم :
 « رب أشعث أغبر ، ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » .
- وفي حديث أبى ادريس الخولانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « ألا أخبركم عن ملوك أهل الجنة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : كل ضعيف أغبر ، ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » .
- وقال الحسن رضى الله عنه :
 المؤمن فى الدنيا كالغريب ، لا يجزع من ذلها ، ولا ينافس فى عزها ، للناس حال ، وله حال ، الناس منه فى راحة ، وهو من نفسه فى تعب .
- ومن صفات هؤلاء الغرباء ، الذين غبطهم النبي صلى الله عليه وسلم :
- التمسك بالسنة ، اذا رغب عنها الناس ، وترك ما أحدثوه ، وان كان هو المعروف عندهم . وتجريد التوحيد ، وان أنكر ذلك أكثر الناس .
- وترك الانتساب الى أحد غير الله ورسوله ، بل هؤلاء الغرباء منتسبون الى الله بالعبودية له وحده ، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقا .
- وأكثر الناس ، بل كلهم لائم لهم ، فلغربتهم بين هذا الخلق : يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ، ومفارقة للسواد الاعظم .
- ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « هم النزاع من القبائل » ان الله سبحانه وتعالى بعث رسوله صلى الله عليه وسلم وأهل الارض على أديان مختلفة ، فهم بين عباد أوثان ونيران ، وعباد صور وصلبان ، ويهود وصائبة وفلاسفة ، وكان الاسلام فى أول ظهوره غريبا ، وكان من أسلم منهم ، واستجاب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم : غريبا فى قبيلته وأهله وعشيرته .
- فكان المسلمون لدعوة الاسلام نزاعا من القبائل ، بل آحادا منهم ، تغربوا عن قبائلهم وعشائريهم ، ودخلوا فى الاسلام ،

عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتمعين وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال: «انا لله وانا اليه راجعون» •

قلت : يا رسول الله : « انا لله وانا اليه راجعون » ماذا قال ربنا ؟

قال: «أتانى جبريل آنفا فقال: «

انا لله وانا اليه راجعون» •

قلت : أجل ، « انا لله وانا اليه راجعون ، فمم ذلك يا جبريل ؟ » قال « ان أمتك مفتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير ؟ » •

فقلت : « فتنة كفر ، أو فتنة ضلالة ؟ » •

قال: «كل ذلك سيكون» ، قلت: « ومن أين يأتيهم ذلك وانا تارك فيهم كتاب الله ؟ »

قال «بكتاب الله يضلون ، وأول ذلك من قبل قرائهم وأمرائهم ، يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا يعطونها فيقتلون ، ويتبع القراء أهواء الامراء فيبدون في الغي ثم لا يقصرون •

قلت : يا جبريل ، «فيم سلم من سلم منهم ؟ قال : بالكف والصبر ،

فكانوا هم الغرباء حقا ، حتى ظهر الاسلام ، وانتشرت دعوته ودخل الناس فيه أفواجا ، فزالت تلك الغربة عنهم ، ثم أخذ في الاغتراب والترحل ، حتى عاد غريبا كما بدأ • بل ان الاسلام الحق ، الذي كان عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره ، وان كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة ، فالاسلام الحقيقي غريب جدا ، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس •

وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدا ، غريبة بين فرق متعددة ذات أتباع ورئاسات ، ومناصب وولايات ، ولا هم لهم الا مخالفة ما جاء به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فما جاء به صلوات الله وسلامه عليه : يضاد أهواءهم ولذاتهم ، ويغايير ما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعلمهم ، والشهوات التي هي غايات مقاصدهم واراداتهم ؟ عن عمر بن الخطاب رضى الله

أهتديتم» فقال :

بك ائتمروا بالمعروف ،
وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيت
شحا مطاعا ، وهوى متبعا ودنيا
مؤثرة ، واعجاب كل ذى رأى
برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع
عنك العوام ، فان من ورائكم أيام
الصبر ، الصبر فيهن مثل قبض
على الجمر ، للعامل فيهن أجر
خمسین رجلا يعملون مثل عمله » •

قلت : يارسول الله أجر خمسين
منهم ؟ قال : «أجر خمسين منكم» •
ويعلق ابن القيم على هذا
الحديث فيقول :

وهذا الاجر العظيم انما هو
لغربته بين الناس ، والتمسك
بالسنة بين ظلمات أهوائهم
وآرائهم » أ ه •

فاذا أراد المؤمن ، الذى قد
رزقه الله بصيرة فى دينه ، وفقها
فى سنة رسوله ، صلى الله عليه
وسلم ، وفهما فى كتابه ، وأراه
ما للناس فيه : من الأهواء والبده ،
والضلال ، وتتكبهم عن انصراف
المستقيمين ، الذى كان عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

ان أعطوا الذى لهم أخذوه وان
منعوه تركوه •

فالمؤمن السائر الى الله تعالى
على طريق المتابعة كيف لا يكون
غريبا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا
أهواءهم ، وأطاعوا شـحهم ،
وأعجب كل منهم برأيه ، كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مروا بالمعروف ، وانهوا عن
المنكر ، حتى اذا رأيتم شـحا
مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا
مؤثرة ، واعجاب كل ذى رأى
برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ،
واياك وعوامهم ، فان ورائكم
أياما ، صبر الصابر فيهن كالقالبض
على الجمر » •

لهذا جعل الله سبحانه وتعالى
للمسلم الصادق فى هذا الوقت ،
اذا تمسك بدينه أجر خمسين من
الصحابه ، ففى سنن أبى داود
والترمذى ، من حديث أبى ثعلبة
الخشنى رضى الله عنه قال :

سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن هذه الآية :

« يا أيها الذين آمنوا عليكم
انفسكم ، لا يضركم من ضل اذا

إذا أراد أن يسلك هذا الصراط :
فليوطن نفسه على قدح الجهال ،
وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه
وازرائهم به ، وتنفير الناس عنه
وتحذيرهم منه •

فأما ان دعاهم الى ذلك ، وقدح
فيما هم عليه : فهناك تقوم قيامتهم
ويبغون له الغوائل ، وينصبون له
الحبائل ، ويجلبون عليه بخيلهم
ورجلهم •

فهو غريب في دينه لفساد
أديانهم ، غريب في تمسكه بالسنة
لتمسكهم بالبدع ، غريب في
اعتقاده لفساد عقائدهم ، غريب
في طريقه لضلال طرقهم ، غريب
في معاشرته لهم ، لانه يعاشرهم
على مالا تهوى أنفسهم •

وبالجملة : فهو غريب في أمور
دنياه وآخرته ، لا يجد من عامتهم
مساعدا ولا معينا ، فهو عالم بين
جهال ، صاحب سنة بين أهل بدع ،
داع الى الله ورسوله بين دعاة
الى الأهواء والاغراض ، أمر
بالمعروف ناه عن المنكر بين قوم
المعروف لديهم منكرا والمنكر
معروفا •

عن أبى أمامة الباهلى رضى الله
عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم :

« كيف أنتم اذا طغى نساؤكم ،
وفسق شبابكم ، وتركتم جهادكم؟ »
قالوا : أكائن ذلك يارسول الله ؟
قال « نعم ، والذي نفسى بيده ،
وأشد منه سيكون » ، قالوا : وما
أشد منه ؟

قال : « كيف أنتم اذا رأيتم
المعروف منكرا ، والمنكر معروفا؟ »
قالوا : أكائن ذلك يارسول الله ؟
قال : « نعم والذي نفسى بيده ،
وأشد منه سيكون » يقول الله
تعالى :

« **بى حلفت لأتيحن لهم فتنة
يصير الحليم فيها حيرانا** » •

ويتفاعل الامام على رضى الله
عنه تفاعل المستغيث بربه فيقول :
« انه سيأتى عليكم من بعدى
زمان ليس فيه شئ أخفى من الحق
ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من
الكذب على الله ورسوله ، وليس
عند أهل ذلك الزمان ، سلعة أشد بورا
من الكتاب اذا تلى حق تلاوته ، ولا
أنفق منه اذا حرف عن مواضعه ،

ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف
 ولا أعرف من المنكر •
 فقد نبذ الكتاب حملته ، وتناساه
 حفظته ، فالكتاب يومئذ وأهله
 طريدان منفيان ، وصاحبان
 مصطحبان ، في طريق واحد
 لا يؤويهما موئل •
 فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في
 الناس وليسوا فيهم ، ومعهم وليسوا
 معهم ، لأن الضلالة لا توافق
 الهدى وان اجتمعا « أ • هـ

وبعد فيقول الله تعالى :
 « وما كان ربك ليهلك القرى
 بظلم وأهلها فاصلحون » سورة
 هود آية ١١٧ •
 « ربنا آتنا من لدك رحمة
 وهبنا لنا من أمرنا رشدا » •
 سورة الكهف آية ١٠ •
 وبالله التوفيق ••
 موسى محمد على

« أزمة الفكر الاسلامي »

تكتسب أزمة الفكر الديني أهمية قصوى •• ليس
 بسبب ما يعانيه ذلك الفكر من الجمود والتوقف عن التطور
 فقط •

ولكن •• لأن استمرارية هذا الجمود يأتي ملازما
 لظاهرة الاحياء الاسلامي • فعندما تطفو على سطح
 المجتمع الاسلامي عمليات الاحياء •• متلفعة في ثوب
 من الجمود والتخلف يكون الموقف عند ذلك أكثر من
 خطير •• بل ومريب للغاية •• لأنه يقطع الطريق على
 الشعوب الاسلامية •• في عمليات التحديث والتطور
 الحضارى •

الكعبة المشرفة

أول بيت وضع للناس

لِلرَّسَّازِ مُحَمَّدٍ نَعِيمٍ عَظِيمٍ

— وهى قبلة المسلمين فى الصلاة
حيثما وجدوا وأينما كانوا ••
ولكونها فى وسط المسجد الحرام
فكل من ولى وجهه شطر المسجد
الحرام فقد ولى وجهه شطرها •
وقد أضافها الله سبحانه وتعالى
الى نفسه فى قوله لرسوله ابراهيم
عليه السلام :

(وظهر بيتى للطائفين والقائمين
والركع السجود) ••

والمراد بقوله تعالى : « ان
أول بيت وضع للناس » ، انه
أول بيت جعله سبحانه فى الأرض
متعبدا للناس ، ففرض حجه على
الناس عبادة ، وطوافهم حوله
عبادة •• ولا يوجد بيت غير الكعبة
تعظيمه عبادة لله ، والطواف حوله
عبادة لله •

جموع حاشدة من المسلمين تقف
هذه الايام فى مكة المكرمة لتأدية
فريضة الحج ، وشهود أكبر مؤتمر
اسلامى يعقد على صعيد واحد ،
وحول بيت واحد ••

حضوره عبادة •• وطوافه
عبادة •• وأعماله كلها عبادة ••
وأىضا فيه منافع للناس ••

— والكعبة المشرفة التى يطوف
حولها الحجيج تسمى — أيضا —
البيت •• قال تعالى : (واذا جعلنا
البيت مثابة للناس وآمنا) ••

كما تسمى البيت العتيق • قال
تعالى : (وليوفوا نذورهم
وليطوفوا بالبيت العتيق) ••

وتسمى كذلك : البيت الحرام •
قال تعالى : (جعل الله الكعبة
البيت الحرام قياما للناس) ••

بحرمة الله الى يوم القيامة » ..
ويدل الحديث على قدم حرمة من
يوم خلق السموات والارض ..
ولا يدل عن ان البيت خلق قبل
خلق السموات والارض كما ذكرت
بعض الروايات .. وقوله تعالى :
(أول بيت) في الآية ، يدل على
ان المراد به الكعبة وقوله تعالى :
(ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا وهدى للعالمين) — يدل
على ان الكعبة هي أول بيت بنى
 لعبادة الله تعالى ، وهذا لا خلاف
فيه بين المفسرين والمحدثين
والمؤرخين ، وانما اختلفت
الروايات في أول من بنى الكعبة ..
وكم مرة بنيت ..

قال النووي في شرح مسلم ..
قال العلماء بنى البيت خمس
مرات : بنته الملائكة ، ثم ابراهيم
عليه السلام ، ثم قريش في
الجاهلية ، وحضر النبي عليه
الصلاة والسلام هذا البناء وله
خمس وثلاثون سنة ، وقيل خمس
وعشرون سنة ، ثم بناه ابن الزبير ،
ثم الحجاج بن يوسف .. وقيل
بنى مرتين آخرين أو ثلاثا ..

قال ابن جرير الطبرى في
تفسيره : اختلف أهل التأويل في
تأويل ذلك ، فقال بعضهم تأويله
(ان أول بيت وضع للناس) يعبد
الله فيه ، مباركا وهدى للعالمين .
للذى ببكة ، وليس هو أول بيت
وضع في الأرض ، لأنه قد كانت
قبله بيوت كثيرة ، وأسند هذا
القول الى أمير المؤمنين على بن
أبى طالب رضى الله عنه بقوله :
قال خالد بن عروة : قام رجل الى
عمر فقال : الا تخبرنى عن البيت :
أهو أول بيت وضع في الأرض ؟
قال : لا ولكنه أول بيت وضع في
البركة مقام ابراهيم ، ومن دخله
كان آمنا .

وروى عن الحسن البصرى أنه
قال : هو أول مسجد عبد الله فيه
في الأرض .

وقد ورد في الصحيحين عن
عبد الله بن عباس رضى الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم فتح مكة : « ان
هذا البلد حرمه الله يوم خلق
السموات والارض فهو حرام

ابراهيم وبناء الكعبة :

وقد أشار القرآن الكريم ..
والسنة النبوية المطهرة الى بناء
ابراهيم مع ابنه اسماعيل عليهما
الصلاة والسلام للكعبة المعظمة ..
فجاء في سورة البقرة : « واذا
جعنا البيت مثابة للناس وأمنا
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان
طهرا بيتى للطائفين والعاكفين
والركع السجود) » (واذا قال
ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا
وارزق أهله من الثمرات من آمن
منهم بالله واليوم الآخر) قال
ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره
الى عذاب النار وبئس المصير . واذا
يرفع ابراهيم القواعد من البيت
واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت
السميع العليم)

البقرة (١٢٥ - ١٢٧)
وورد في كتب السنة نقلا عن
السلف ما ذكره البخاري في
صحيحه عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما أنه قال : أول
ما أتخذ النساء المنطق من قبل أم
اسماعيل ، وذكر قصة مجيء

وقد رتبت بعض الروايات بناء
الكعبة على هذا النحو :

- * بناء الملائكة .
- * بناء آدم .
- * بناء ثبيت ابن آدم .
- * بناء ابراهيم .
- * بناء العمالقة .
- * بناء جرهم .
- * بناء قصى .
- * بناء عبد المطلب .
- * بناء قريش .
- * بناء عبد الله بن الزبير .
- * بناء الحجاج بن يوسف .
- * بناء السلطان مراد خان
العثماني

وأما تسمية البيت المعظم
« بالكعبة » فقد ورد في ذلك عدة
روايات منها ما ذكره الحافظ
البعوى في تفسيره عن مجاهد أنه
قال : سميت كعبة لتربيعها ،
والعرب تسمى كل بيت مربع
كعبة ، وقال مقاتل سميت كعبة
لانفرادها من البناء ، وقيل :
سميت كعبة لارتفاعها من الارض .
وأصلها من الخروج والارتفاع .

المقام يبنى عليه ويرفعه له
اسماعيل ، فلما بلغ الموضع الذى
فيه الركن وضعه يومئذ موضعه
وأخذ المقام فجعله لاصقا بالبيت •
•• فقبل مجيء الاسلام كانت
الكعبة وكرا للاصنام فكان يوجد
فيها ٣٦٠ صنما •• ولم ينظر عرب
الجاهلية قط للحجر الاسود على
أنه صنم من الاصنام التى بين
جدران الكعبة •

ومن المعروف الثابت أن عرب
الجاهلية اتخذوا آلهتهم من أشياء
لاتحصى ، ومع ذلك فان الكعبة
والحجر الاسود هما الشيطان
الوحيدان اللذان استمرا بعيدين
عن اتخاذهما ضمن تلك الآلهة مع
مالهما من التمجيد الذى كان يكنه
العرب لهما قبل الاسلام •

وكان المسلمون معادين للوثنية ،
حتى انهم عندما رأوا على الصفا
والمروة صنمين هما : أساف ونائلة
•• رفضوا أن يسعوا بين هذين
الجبليين ، حتى نزلت الآية : « ان
الصفا والمروة من شعائر الله فمن
حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه
أن يطوف بهما » البقرة (١٥٨) •

محمد نعيم عكاشة

ووردت أقاويل كثيرة تؤيد جواز
أن يكون لقواعد البيت وجود قبل
بناء ابراهيم مما تقدم ذكره فى بناء
الملائكة • وآدم ، وشيث •• وقد
جاء فى فتح البارى ، عن ابن
عباس رضى الله عنهما : القواعد
التي رفعها ابراهيم كانت قواعد
البيت قبل ذلك ••

الشيوعيون وأصحاب المذاهب المادية يشككون :

وقد دأب الشيوعيون وأصحاب
المذاهب المادية على التشكيك فى
جدوى الطواف بالكعبة وتقبييل
الحجر الاسود •• وقالوا فى
اتهاماتهم للاسلام بأنه قد احتفظ
ببقايا من الوثنية الجاهلية ، بل
زاد بعضهم وقال ان الطواف
بالكعبة انما هى عادة وثنية •

ولحة سريعة الى الحقائق كافية
لأن ترينا سخافة هذا الرأى وباطله

دعة وفاء

على المرحوم الدكتور أحمد الشرباصي

للمريد الفقيد

الى الخاتمة الاستاذ السعيد
الشرباصي الذي يعمل مدرسا
بكلية الشريعة بجامعة الامام محمد
ابن سعود ليعطينا نبذة مختصرة
عن حياته فقال •

ليس بنا حاجة الى المبالغة وقد
مضى الراحل الى الحق ، وأنا في
أثره في الطريق الى الحق بغير
زاد ولا حقائب ولهذا أذكر بعض
الحقائق في اختصار •

١ - ولد عبد الله (أحمد
ابن جمعة الشرباصي) في جمهورية
مصر العربية بمحافظة الدقهلية في
قرية البجلات • وكان مولده في
عام ١٩١٨ م • وكان الابن الثالث
في الاسرة • وكنت الابن الرابع
فترافقنا رحلة الطفولة والدراسة

مضى الى رحمة مولاه الله
الواحد الأحد الدكتور / أحمد
الشرباصي طيب الله ثراه وجعل
الجنة مثواه حين وافاه الاجل عصر
الخميس ٤ شوال عام ١٤٠٠ هـ
الموافق ١٤ أغسطس ١٩٨٠ م •
وكان المرحوم قد وقف حياته كلها
في العمل الخالص الدائب من أجل
الدعوة الاسلامية في كل مكان وبكل
وسيلة للاعلام وقد لخص وزير
الدولة والاعراف بجمهورية مصر
الدكتور زكريا البري موجزا لحياة
الراحل الكريم في بيانه والذي
نشرته الصحف وقد جاء فيه :

نبذة عن الداعية المرحوم :

وقد تقدمنا الى شقيق المرحوم
الذي رافق مسيرته من البداية

- والحياة كلها • فكانت القراءة والكتابة طعامه وشرابه •
- ٢ - وقد بدأ نبوغ المرحوم منذ الصغر • فمن الخطوة الاولى له وهو في معهد دمياط الدينى بعد حفظه للقرآن في كتاب القرية عاد الى القرية ليتولى عن امام المسجد مهمته • وكانت فرحة الامام وفرحة الاهل بمواعظه لا تقدر حتى صار المسجد يغص بالمصلين للاستماع الى الصبى الواعظ •
- ٣ - وكما ظهر نبوغه الخطابى المبكر ظهر كذلك فى التأليف حيث قدم للمكتبة الاسلامية كتابين وهو مازال طالبا بالثانوى • ثم تتابعت مؤلفاته حتى وصلت الى حوالى مائة كتاب كلها تدور فى فلك الدعوة الاسلامية •
- ٤ - أما عن تفوقه الدراسى فقد اجتمع له ما لم يجتمع لأحد قبله ولا بعده حيث كان الاول فى الشهادة العالية من كلية اللغة بالازهر • ثم كان الاول فى شهادة التخصص كما كان الاول فى جميع سنوات الكلية • كما كان تقديره فى الماجستير والدكتوراه الامتياز •
- ٥ - وبمجرد تخرجه رشحته وزارة المعارف بمصر للتدريس باحدى مدارسها الممتازة بالقاهرة ولكنه تركها رغبة فى أن يبقى من جنود الاسلام داخل الازهر • فاشتغل بالتدريس فيه الى أن حصل على درجة الدكتوراه ليعين مدرسا بكلية اللغة العربية •
- ٦ - أما عن اتجاهه الوظيفى فقد كان يعيش الازهر كفكرة لا كأشخاص • وكان دائم الدفاع عنه باعتباره معهدا اسلاميا أصيلا كما كان دائم الدفاع عن كليته التى تخرج منها وكانت الفرص تتاح له للعمل فى أماكن أكثر بريقا ولمعانا ومكانة ولكنه كان يرفض دائما وكان يقول لاهله عندما يلومونه على ترك الفرص العظيمة المغرية التى تعرض عليه : لان أكون ساعيا فى الازهر خير من أن أكون وزيرا خارج الازهر •
- ٧ - أما عن اتجاهه العام فقد كان مستقل الرأى والفكر • يؤيد الحق فى أى مكان ومع أى هيئة ، ويعارض الباطل أيا كان • وعلى

سبيل المثال له آراء في تصرفات البعض من جماعة الاخوان المسلمين ولكنها عندما حلت في عهد فاروق • ولم يكن عضوا فيها • انبرى للدفاع عنها في قوة جيش ثائر حتى تحول مسجد المنيرة الذي كان يخطب فيه الى مركز جديد للاخوان المسلمين الذي أغلقتة الحكومة وتجمع الاخوان حوله كلهم كلسان حق • وتطور أمر المسجد الى حد هدد الحكومة • فأرسلت وسائلها من كل لون لتعرض عليه المناصب ، وتغريه بالسفر كرئيس لبعض البعثات وهو مازال في بداية الطريق — ولكنه كان يرفض ويرفض •

ومع أن الحكومة حينذاك تعلم أنه ليس من الاخوان فقد اعتقلته وأرسلته الى معتقل الهاكستب • • وكما دخل المعتقل من أجل الحق خرج منه وهو لم يغير خطته ولم يتلون بمذهب خاص غير مذهب الحق والدعوة المجردة لله وحده • وأحب أن أسجل للتاريخ وللتصحيح — وأنا صادق — أن فكرة الاستقلال والدفاع عن الحق

حيث كان ، كانت تعرضه لبعض النقد من قصار النظر لان الحق دائما ليس كله مع جماعة واحدة والذين ينشدون الحق حيث كان يجدون أنفسهم لا يتعصبون لمذهب ولا لجماعة خاصة •

٨ — أما عن مؤلفاته فقد وصلت قرابة مائة كتاب بين الطويل والقصير ونشير الى اهتمامه بمعالجة بعض القضايا العامة ومن كتبه على سبيل المثال : يسألونك خمسة أجزاء وفي عالم المكفوفين جزئين وأخلاق القرآن عدة أجزاء • أما كتبه عن الفدائيين والشهداء فقد صنعت صرحا اسلاميا لم يسبقه اليه أحد •

نسأل الله تعالى أن يكتب للراحل القبول والرحمة وأن يتجاوز عن خطاياہ وأن يزيد في حسناته وأن يبعثه مع النبيين والصديقين والشهداء •

ومؤلفات المرحوم بلغت حوالى ٧٥ كتابا وتولى وظائف علمية متعددة •

كلمة وفاء من تلاميذ الفقيد

مشكلات الشباب المعاصر وحلولها في ضوء الكتاب والسنة للإمام علي الغامدي

جاء العصر الحديث ليغرق الشباب بمشكلات متعددة ، وكانت هذه المشكلات خطيرة ومنتشابة ذلك لان الغرب قد تقدم صناعيا ، واستعمر البلاد الاسلامية كلها تقريبا ، وقام بنشر أفكاره بين الشباب وهو في مركز القموة والتوجيه ، وربى مجموعات كبيرة من الشباب المسلم على مفاهيمه الجديدة ، وملكهم قيادة الحكم والتوجيه والتربية ووجد الشباب نفسه في حيرة لا يدري كيف يخرج منها ، وأحس بالمشكلات تحيط به وتملك عليه نفسه .

حول الطبيعة البشرية :

وكان من أهم هذه المشكلات الحديث حول الطبيعة البشرية ، هل الانسان أصله حيوان سار في طريق التطور أم أنه مخلوق متميز؟ •• ولهذه النظرة الى الانسان آثارها العميقة في نفس كل شاب بل ، آثارها المدمرة حين يحس بأن أصله حيوان كبقية الحيوانات في هذه الدنيا .

وفي عام ١٩٧٨ م أصدر البروفسور ادوارد نلسون أحد مؤسسي علم الأحياء الاجتماعي (وهو محاولة لدمج العلوم الاجتماعية بعلم الأحياء) والاستاذ بجامعة بيركلي ثم هارفارد كتابا بعنوان : « حول الطبيعة البشرية » يقول فيه الكاتب عن علماء البيولوجيا : أن علماء القرن الماضي كانوا يعتقدون بأن الانسان لا يتميز عن بقية الثدييات بيولوجيا الا ببعض الصفات الفسيولوجية

الانسان وقدرته العصبية وحدها هي التي تتغير مع مكتسبات العلوم والتكنولوجيا ، وأدوات الانتاج وأساليبها ، ومع تسليمهم بأنه ليس للانسان أى تميز بيولوجيا يفصله عن عالم الثدييات الحيوانى الا ببعض الصفات الفسيولوجية تتجسد في بعض المهارات التي تمارسها أعضاؤه ، والتناسق المتطور لجهازه العصبى ومركزه في المخ .

وجاء العلم الحديث لى يكتشف أن للانسان صفات ثابتة لا يلحقها أى تغيير لانها صفات تحمل خلاياه الوراثية كأنها أصابع شخص واحد لا يتغير طوال عمره — وأن المكتشفات الجديدة تضاف الى الصفات الثابتة ولا تمحوها .

وقال الكاتب عن علماء الأنثروبولوجى : ان أصحاب هذا العلم الجديد نسبيا كانوا يحاولون تفسير الوجود الاجتماعى والتاريخى للانسان عن طريق تركيبة نظرية تجمع بين علماء الآثار وتاريخ التكنولوجيا وتاريخ العلم وتاريخ العقائد والفنون ،

التي اكتسبها من خلال تطوره وارتقائه ، كانتصاب القامة وتطور تركيب الاطراف الأمامية ، واتساع اجمجمة الذى بدأ يسمح بنمو ومقدرة المخ . الخ .

وجاء علم القرن العشرين لى يكتشف أن الانسان نوع متميز منذ بدء الخليقة ، وأن امتيازه متطور في خلاياه التي تتضمن صفات خاصة به وحده ينقلها الى أبنائه وأجياله وتتطور هذه الخلايا حاملة خصائصه الوراثية (الجينات) تطورا خاصا رغم تأثره بما يكتسبه الانسان من معلومات وقدرات جديدة في صراعه ضد الطبيعة ، وقال الكاتب عن علماء الاجتماع الوضعيين والتاريخيين كالماركسيين : انهم كانوا يعتقدون بأن الانسان توقف غالبا عن التطور البيولوجى والفسيولوجى ، وأن تطوره انتقل الى مجال المخ والجهاز العصبى نتيجة دخوله في مرحلة تكوين المجتمعات ، أى أن تاريخ الانسان أصبح تاريخا اجتماعيا فقط ، وليس تاريخا بيولوجيا — وأن مخ

ويلسون : ان نظرية التطور الداروينية نسبة الى دارون — من أكثر علوم القرن الماضي تأثراً بالنظرية الجديدة — انها على ضوء هذه النظرية لم تعد قادرة على تفسير سلوك الافراد رغم احتمال صلاحيتها لتفسير جانب من السلوك الخاص بالجنس البشرى ككل — فالقول بأن صراع البقاء يؤدي الى بقاء الأصلح قد ينطبق على الأجناس بوجه عام ، ولكنه على المستوى الفردى كان يقضى بأن تختفى القيم الأخلاقية تماماً ، والتي يقوم عليها جزء من أسس أى مجتمع .

وهذه النظرة الجديدة حول الطبيعة البشرية تؤيد نظرة الاسلام الى الانسان ، وفي الوقت نفسه تفيدنا في علاج هذه المشكلة ، لأنها تأتي من الغرب الذى أوجد هذه المشكلة .

الانسان في نظر الاسلام :

الانسان في نظر الاسلام مخلوق متميز خلقه من تراب ، ونفخ فيه من روحه ، وطلب من الملائكة أن يسجدوا له ، وعلمه الأسماء كلها

يربط بينهما تصور فسيولوجى اجتماعى ، وأنهم كانوا يفسرون « التغيرات » والاختلافات التى شهدتها تاريخ البشرية على أساس تبادل التأثير بين تطور استخدام الانسان لاجزائه ومهاراته ومعارفه بين التحولات الاجتماعية المختلفة صغيرة أو كبيرة ، فكانوا قادرين على الاحساس بالتمايزات بين الثقافات المختلفة ، ولكنهم لم يضعوا في اعتبارهم الخصائص الواحدة التى تكررت في كل أنواع السلوك البشرى ، واللغات والثقافات ولدى كل الأمم والحضارات والتي تكاد تكون من السمات التى يتميز بها النوع الانسانى ، ويظل يتميز بها أفراداً أو جماعات وأما ، لكى تفصله بشكل عام عن عالم الحيوان — وتنتج له الوضع المناسب للخروج من سجن الطبيعة وحدودها الى رحاب الحرية التى انتزعها اعتماداً على هذه الصفات الخاصة به وحده والتي تشترك فيها كل فضائله وأنواعه — أى كل الأمم والحضارات والقوميات ، ويقول

ولم يعلمها الملائكة ، ووكل اليه خلافته في الأرض يقوم بعمارتها ويحقق العدل فيها ، وجعله قريبا منه يجيبه اذا دعاه ، وينصره اذا استنصره ، ويوضح الحديث القدسي الذي رواه البخاري مقدار اهتمام خالق الانسان بالانسان وذلك حين يقول : (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، واذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتانى يمشي أتيت به هرولة) هكذا يكون الانسان قريبا من خالقه يعامله بلون من ألوان الرعاية والتدليل وذلك حين يتجه الانسان الى خالقه ، وفي حديث آخر يخاطب رب العزة الانسان فيبين له من هو ، ويوجهه

فلا تتعب ابن آدم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتني فاتك كل شيء ، وأنا أحب اليك من كل شيء) •
والموت في الاسلام ليس نهاية الانسان — بل أنه محطة انتقال الى الأبد الذي لا نهاية له ، الى دار الخلود ، الى حيث يقال للمؤمنين : (سلام عليكم طيتم فادخلوها خالدين) الزمر/ ٧٣ ، ويرون ما هم فيه من نعيم وتكريم فيقولون : (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبؤاً من الجنة حيث نشاء فنم أجر العاملين) الزمر/ ٧٤ ، فالانسان في الاسلام مزدوج الطبيعة — وهو لذلك متوازن لأن الاسلام يتعامل مع النفس البشرية بضعفها وقوتها ، فلا تطغى ، لانه من صانع الوجود والانسان •

والمسلم متميز على غيره من بنى الانسان ، بأنه غير متورط في عالم المادية ، بينما الانسان في الغرب تورط في الماديات تورطاً لايسوغ له القيام بمهمة تخليص الانسانية من ورطتها في المادية —

التوجيهات التي تفيده في حياته ، وذلك حين يقول له : (ابن آدم خلقتك لنفسي وخلقت كل شيء لك فبحقني عليك لا تشتغل بما خلقتك لك عما خلقتك له ، ابن آدم خلقتك لنفسي فلا تلعب وتكفلت برزقك

حين يشربها وهو مؤمن (البخارى •
والى جانب هذا كله فان
الانسان « من المسلم » فى نظر
الاسلام مخلوق متميز عن غيره من
بنى البشر لأنه يحمل رسالة سامية
هى تحقيق خلافة الله فى الارض ،
وهذا التميز يأخذ طابع الشكل
كما يأخذ طابع المضمون •

التمييز فى الشكل :

يتميز الانسان المسلم بالرجولة
والخشونة ومن هنا فان الاسلام
يحرم كل ما يحد من هذه الرجولة
أو يؤثر عليها — ومن ذلك أنه حرم
على الرجال الاشياء التى تتحلى
بها النساء كالذهب والحريير ، ذلك
لأن الاسلام دين الجهاد والقوة ،
وهو لذلك يريد أن يصون رجولة
الرجل من مظاهر الضعف والتكسر
والانحلال ، ولذلك فقد نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن لبس
المعصر ، يروى مسلم عن على
رضى الله عنه قال : نهانى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن
التختم بالذهب وعن لبس القس
(نوع من الحريير) وعن لباس

والاسلام يرى أن المال وسيلة لا
غاية ، وصاحب المال له قيمة بمقدار
ما ينفق فى أوجه الخير ، لا بما
يكنز أو يستغل أى نوع من أنواع
الاستغلال ، وهناك أمور أسمى
من المال ولها أثرها فى تحقيق
السعادة للفرد والمجتمع كالعقيدة
والاخلاق والعلم والشعور
بالمسئولية وتحقيق انسانية
الانسان •

ولابد من الاهتمام بالفضائل
والاخلاق والأعمال الصالحة
بالنسبة للفرد مع ربه ومع نفسه
ومع مجتمعه — وبالنسبة للمجتمع
مع خالقه ومع أفراداه ومع
المجتمعات الاخرى وما ذكر
الايمان فى القرآن الا وذكر
معه العمل الصالح والعمل الصالح
يشمل كل شيء فى هذه الحياة
يساعد المسلم على تحقيق رسالته
سلبا أو ايجابا مع النفس أو مع
الأفراد أو مع المجتمعات الأخرى
— بل أن الايمان يغيب عن المسلم
حينما يرتكب رذيلة ، وفى الحديث
الشريف : (لا يزنى الزانى حين
يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر

المعصفر ، وعن ابن عمر قال : (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال : (ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها) رواه مسلم - وقد روى الشيخان عن عمر - رضى الله عنه - قال : (لا تلبسوا الحرير فان من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة) ورأى النبي صلوات الله عليه خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال : (يعمد أحدكم الى جمرة من نار فيحملها في يده) فقليل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ خاتمك فانتفع به فقال : (لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم) البخارى ، ويروى ابن ماجه عن على - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فحملة في يمينه وأخذ ذهبا فحملة في شماله ثم قال : (ان هذين حرام على ذكور أمتي حل لائناهم) وأخرج مسلم في صحيحة ونحن بأذربيجان : يا عتبة ابن فرقد انه ليس من كدك ولا كد

أبيك ولا كد أمك فاشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك واياكم والتنعيم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير •

وكما يحافظ الاسلام على رجولة الرجل فانه يحافظ على أنوثه الأنثى حتى يتفرغ كل منهما لرسالته وحتى يبقى لكل نوع منهما خصائصه التي يستطيع بها ذلك - وهو يحرم على كل نوع منهما أن يتشبه بالآخر ، لأن في ذلك افسادا للمجتمع الاسلامى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) البخارى ، والتشبه يكون في الكلام وفي الحركة وفي المشى وفي الملبس ، وقد روى الطبرانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ممن لعنوا في الدنيا وأمنت الملائكة على لعنهم رجل جعله الله ذكرا فأنت نفسه وتشبه بالنساء وامرأته جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال) ، كما روى أبو داود عن

الله عليه وسلم قال : (لا تأكلوا بالشمال فان الشيطان يأكل ويشرب بشماله) وجلس المسلم لابد وأن يكون مغائرا لجلوس غيره يروى أبو داود عن الشريك بن سويد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كنت جالسا هكذا - وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت على الية يدي (اللحمية التي في أصل الابهام) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتقعد قعدة المغضوب عليهم ؟) والرسول الكريم يبعد المسلم عن أن يجلس جلسة الكفار الذين غضب الله عليهم .

واليهود والنصارى لا يصبغون شعورهم - والتميز يقتضى أن يصبغوا ، يروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) والمشركون يحلقون لحاهم وييقون شواربهم وقد طلب النبي الكريم تميز المسلمين عن المشركين في ذلك يروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خالفوا

أبى هريرة قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل) وروى البخارى عن ابن عباس قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المختن من الرجال والمترجلات من النساء) . والى جانب هذا فان الاسلام يحارب الترف الذى يهدد الأمم بهلاكها - والترف مظهر للظلم الاجتماعى وفيه يقول الله تعالى : **(واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)** الاسراء ١٦/ - ولذلك فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استعمال آنية الذهب والفضة لأنهما من الرصيد العالمى للنقد فلا ينبغى استخدامهما الا فى الحدود المرسومة لهما قال عليه السلام : (ان الذى يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم) مسلم .

وفى تناول الطعام لابد وأن يتميز المسلم فيأكل بيده اليمنى ، ويروى مسلم أن رسول الله صلى

وقد درج غير المسلمين على
أن يقوموا تحية للقادم وتعظيما له
فقال النبي عليه السلام : (لا
تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم
بعضهم بعضا) رواه أبو داود ، كما
تعودوا من الاكثار في الثناء عليه
فنبههم النبي الكريم الى أن
المجتمع الاسلامي ينبغي أن يكون
متميزا عن غيره من المجتمعات ،
وأن يكون مقلدا لا مقلدا يقول
الرسول الكريم في الحديث الذي
رواه البخاري : (لا تطروني كما
أطرت النصارى عيسى بن مريم
ولكن قولوا عبد الله ورسوله) •

وصام رسول الله عليه السلام
يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه فقال
الصحابه : يا رسول الله انه يوم
تعظمه اليهود فقال عليه السلام :
(فاذا كان العام المقبل ان شاء
الله صمنا اليوم التاسع فلم يأت
العام المقبل حتى توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم) الموطأ •

وقد جعل الاسلام أعياد
المسلمين مرتبطة بالشعائر
الاسلامية - وحين قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة

المشركين وفروا اللحى وأحفوا
الشوارب) رواه مسلم •
والاسلام يحب نظافة الجسم
والثوب والجسم والشارع وكل
شيء - ومن هنا كان الوضوء
والاغتسال وأخذ الزينة عند كل
مسجد - ومع ذلك فهو ينفّر
المسلمين من أن يكونوا كاليهود
في الاعتناء بأفئدتهم يروى الترمذى
أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : (ان الله طيب يحب
الطيب ، نظيف يحب النظافة ،
كريم يحب الكرم ، جواد يحب
الجود ، فنظفوا أفئدتكم ولا تشبهوا
باليهود) الترمذى •

وبيوت الكفار عادة تكون فيها
الصور والتماثيل اعجابا أو تقديرا
أو زينة - وقد ينقلب هذا في يوم
من الايام الى عبادة أو ما يشبهها
- ولذلك فان النبي الكريم يقول :
(ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه
تماثيل) مسلم ثم يشدد على ذلك
تشديدا واضحا حين يقول : (ان
من أشد الناس عذابا يوم القيامة
الذين يصورون هذه الصور) متفق
عليه •

الا جانباً قليلاً من القرآن والسنة ومن كتب الفقه — وأطول آية في القرآن الكريم هي آية الدين في سورة البقرة — والتداين جانب هام من جوانب التعامل الانساني — ومع ذلك فالشعائر فيها جوانب انسانية — فالصلاة تحقق المساواة بين الناس جميعاً في وقوفهم صفوفاً متراصة كما تمثل تعليم الطاعة للقائد في صلاة الجماعة وفي تنفيذ الديمقراطية حين يستفتح الامام على المأموم عند الخطأ — ثم ان الصلاة عون للانسان في هذه الحياة والقرآن الكريم يقول : (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) البقرة / ١٥٣ والزكاة تؤخذ من الغنى لترد على الفقير — وهي لنفس الغنى تزكية وتطهير وللفقير اغناء وتحرير — والصوم تربية لارادة الانسان على الصبر في مواجهة صعوبات الحياة وتربية لمشاعره على الاحساس بالآلام غيره فيسعى الى مواساته — والحج مؤتمر فيه منافع للناس من أوجه مختلفة ففيه تتحقق المساواة

ووجد الانصار يلعبون في يومين قال : ما هذان اليومان قالوا يومان كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال عليه السلام : (قد أبدلكم الله خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) الترمذى •

وهكذا يحرص الاسلام على تميز المسلم في كل شيء ، فان المشابهة في الظاهر سبب للمشابهة في الأخلاق ، وقد تصل الى المشابهة في المعتقدات •

التمييز في المضمون :

والانسان المسلم كما يتميز في الشكل فانه يتميز في المضمون أيضاً — فالمسلم يحس بكرامته على الله تعالى وبمكانته في الملأ الأعلى وبمركزه القيادي في هذا الكون — وهذا كله يجعله معتزاً بذاته لأنه يشعر بانتسابه الى الله تعالى وارتباطه بكل ما في الوجود — فالعقيدة الاسلامية تجعل المسلم انساناً كاملاً وتعطى للحياة معنى • والاسلام وجه عناية بالغة الى الجانب الانساني في هذه الحياة ذلك لأن الشعائر — وهي الصلاة والزكاة والصيام والحج — لا تأخذ

وفيه التجارة وفيه الانسلاخ من الدنيا والتقرب الى الله تعالى •
 وكل عمل يعملُه الانسان يبتغى فيه وجه الله تعالى فهو عبادة وبخاصة تلك التي تبني المجتمع يقول الرسول الكريم : (أحب الأعمال الى الله سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً - ولأن تمشى مع أخ في حاجة أحب من أن تعتكف في هذا المسجد (مسجد المدينة) شهراً - ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام) البخارى ، فالمجتمع الاسلامى هو مجتمع الحب والتعاون والتآلف وهو بعيد عن الحقد والحسد سواء أكان ذلك بالنسبة للأفراد أم بالنسبة للجماعات •

والمسلم يحس بأنه عضو هام في المجتمع وهو فيه راع ومسئول عن رعيته - والمسئولية عامة لكل فرد من أفراد المجتمع - وشعور المسلم بهذه المسئولية يريجه ويجعله يحس بكيانه وبأهميته في مجتمعه •
 والاسلام جعل للانسانية مبادئ تسير عليها ، فالناس جميعاً أخوة من أب واحد وأم واحدة : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) النساء ١/ - والأخوة شاملة للبشرية جميعاً ، والمساواة بين الناس مبدأ انسانى اسلامى ، فلا تفرقة بين عنصر وعنصر أو لون ولون أو جنس وجنس : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات ١٣ •
 فالقيمة الانسانية للجميع واحدة ، ولا فضل لواحد على الآخر الا بالتقوى ، والنبى الكريم يقولها واضحة : (يا فاطمة بنت محمد

والحب في المجتمع الاسلامى أساسى ولن يؤمن المسلم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها •

اعملى صالحا لا أغنى عنك من الله
شيئا (البخارى *
ومن أهم خصائص انسانية
الاسلام أن يعمر المسلم الارض
بالاسلوب الذى رسمه الله
— تعالى — ونشر العدالة الكاملة
فيها تحت أى ظرف من الظروف
وفى أى مكان — ومع جميع الناس
بل حتى ومع النفس ، لأن الله ،
— تعالى — سيحاسب على ذلك
كله : (يا أيها الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقيسط شهداء لله ولو على
انفسكم أو الوالدين والأقربين ان
يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما
فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان
تلوا أو تعرضوا فان الله كان بما
تعملون خبيرا) النساء/ ١٣٥ *

والعلم — الاسلام — العلم — ذلك لأن
المعرفة سلاح — وكلما أوغل
الانسان فيها اكتشف من أسرار
الكون ما يزيده تعرفا على انسانيته
— والعلم للفرد والمجتمع امكان
على تحقيق الرسالة ، ولذلك فان
الله — تعالى — يرفع الذين آمنوا
والذين أوتوا العلم درجات *

وشخصية المسلم شخصية
مستقلة ، لا تتأثر بالرأى العام اذا
كان مخطئا ، ذلك لأنها ترى بعين
الله ، وفى الحديث الشريف :
(لا يكن احدكم امعة يقول : أنا مع
الناس ان أحسن الناس أحسنت
وان اساءوا أسأت — ولكن وطنوا
أنفسكم ان أحسن الناس أن
تحسنوا وان أساءوا أن تتجنبوا
اساءتهم) — ومن هنا كان أفضل
الجهاد عند الله كلمة حق عند أمام
جائر *

والمسلم فى هذه الحياة يدافع
عن الحق ويحمى أماكن العبادة كلها
سواء أكانت اسلامية أم يهودية أم
مسيحية — ويوضح ذلك القرآن
الكريم فى قوله : (أذن للذين
يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على

والأمر بالمعروف والنهى عن
المنكر من خصائص الانسان المسلم
— وقد اختار الله — تعالى — الأمة
الاسلامية لتحقيق هذه الخصيصة
وجعلها خير أمة اخرجت للناس :
(كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله) آل عمران ١١٠ *
ومن خصائص انسانية الانسان

ويسعى بعضها الى سحق بعض وتكون القوى الانسانية كلها في خدمة الشيطان — اذا كان الامر كذلك — فان الاسلام شرع الجهاد ليحارب كل هذه الأثام — يقابل الطغاة الذين يسخرون شعوبهم من أجل حريتها ، ويحرر تلك الشعوب من استعباد الطغاة لها — وذلك بدعوتهم الى عبادة الله الواحد في جميع الاتجاهات كما يتحررون من القيم الزائفة ، ومن العبودية لغير الله — وهذا يحقق معنى الآية الكريمة : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) النساء/ ٧٦ •

كما أن من مهمة المجتمع الاسلامي أن يقاتل ليحرر المستضعفين في هذه الأرض : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا • الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا

نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع والمساجد يذکر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) الحج/ ٣٩ / ٤٠ — ويلاحظ في هذه الآيات أنه قدم الصلوات والبيع على المساجد — ذلك لأن المسلم بطبيعة عقيدته سيدافع عن اماكن عبادته ، ولكنه قد لا يدافع عن بقية اماكن العبادة ولذلك فان الآية الكريمة قدمت الصوامع ، حتى يحس المسلم بأن الدفاع عنها من تمام رسالته • واذا كان الانسان في كل المجتمعات قديمها وحديثها يقاتل لتوسيع رقعة الأرض ، أو لارضاء كبرياء مجتمعه ، أو لاستعباد الآخرين وقهرهم ، ونهب خيراتهم أو لتحقيق المصالح الخاصة ، والتكالب على متاع الدنيا — ويستخدم الطاقات في خدمة الصراع الذي يحدث بين الافراد والجماعات ، والدول والشعوب التي تتصارع على الارض كلها —

يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا) النساء ٧٥/٧٦ • وحتى في الهزيمة يتميز المسلمون عن أعدائهم فلا وهن ولا ضعف ، وهم الأعلون وفي مكان القيادة : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ، ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء)

آل عمران ١٣٩/١٤٠ •

ومعنى النجاح في الاسلام يتغير عن معناه عند سائر الأمم — فهو في الاسلام يكون بأداء الواجب على أكمل وجه وبالنية — والله — سبحانه وتعالى — يجازى الانسان على ذلك لا على النتائج والمسلم الحقيقي هو النموذج الحى للأمن والاستقرار — الأمن من العوارض المادية والآفات والكوارث الواقعة بأن يأمن على نفسه وعلى عقيدته ، وعلى ماله وعلى عرضه وعلى حريته — ثم الأمن في الآخرة من عذاب الله

والاسلام حريص على المسلم — حريص على مواهبه واستعداداته واتجاهاته يربيهها وينميها ، وفي الوقت نفسه لا يكتبها ولا يتركها تتبدد هنا وهناك من غير فائدة — كما يحدث في المجتمعات المعاصرة — الاسلام لا يكتب الطاقات لأنها موهبة من الله خالق البشر — وكل ما وهبه الله للانسان هو خير ينبغى أن ينميها ، ويستغله في الخير ويشكر فضل الله عليه — والمسلم لا يبذل هذه الطاقات لأنها نعمة فهي تنفق في المصلحة الخاصة والعامة وفي

تحقيق الرسالة — المسلم يوجه هذه الطاقات للخير وفي الخير — للفرد والأمة وتكون الفائدة في الدنيا والآخرة .

والانسان غير المسلم يحس بأنه يعيش في ضياع — لا يعرف لماذا جاء ولا الى أين ينتهي ؟ وينشد : جئت لا أعلم من أين ولكنى أتيت ولقد أبصرت أمامى طريقا فمشيت وسأبقى هائما ان شئت هذا أم أبيت

كيف جئت كيف أبصرت طريقى لست أدري ؟

لكن الانسان المسلم يعرف الاجابة عن كل هذه الاسئلة لأنه

انسان صاحب رسالة لنفسه ولدينه ولمجتمعه ، كما حدد الله — سبحانه وتعالى — وهذا عكس الفلسفات البشرية فهي متأثرة بقصور الانسان وملايسات حياته ، فهي لذلك تقصر عن الاحاطة بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد — وقد يعالج ظاهرة فريدة أو اجتماعية بدواء يؤدي بدوره الى بروز ظاهرة أخرى تحتاج الى علاج جديد ، لأن الفلسفات البشرية تقصر عن الاحاطة بالنفس البشرية ، وكل أطوارها وأحوالها

على القاضى

الى السادة القراء :

بصدور هذا العدد تختم المجلة عامها الهجرى
سنة ١٤٠٠ هـ الموافق سنة ١٩٨٠ م .

وكل عام وأنتم بخير

جمع الصحيحين

للمؤلف محمد أحمد بدرى

الصحيحين بالاستدراك والاخراج
عليهما ، واختصارهما وجمعهما
وشرحهما •

المستدركات

أما الاستدراك : فهو العثور
على أحاديث بأسانيد رجالها على
شروط أحد الشيخين ، ولم يخرجها
وممن استدرك على الشيخين
الحاكم ، ولكنه استدرك بأحاديث
لا يلزمهما إخراجها لضعف روايتها
عندهما ضعفا مستديما ، أو ضعفا
باعتبار لدى الشيخين ، كأن يكون
الراوى ضعيفا فى روايته عن راو
بعينه أو يكون ضعيفا عند الكبير •

المستخرجات

وموضوع المستخرج كما قال
العراقى ، أن يأتى المصنف الى

جمع الصحيحين

لقد حظى « الصحيحان » منذ
تأليفهما بمكانة سامية فى نفوس
المسلمين ، وحياتهم على اختلاف
مذاهبهم لم تدانها مكانة أى كتاب
بعد القرآن الكريم ، واعترف
الكافة بأن مناهج الامامين :
البخارى ومسلم أكمل المناهج فى
اختيار الرواة ، واشتراط الضبط
والعدالة فيهم ، وتعاصرهم مع
امكان اللقاء (عند الامامين) بل
واللقاء الفعلى (عند البخارى) •
قال الحافظ : أبو عبد الله بن
يعقوب الاخرم ، وهو شيخ الحاكم
صاحب المستدرك : نقل ما فات
البخارى ومسلم من الاحاديث
الصحيحة •

وقد عكف العلماء على

الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه عن غير طريق صاحب الكتاب ، فيجمع معه في شيخه أو من فوقه ، وربما أسقط المستخرج أحاديث وصلت اليه بسند لا يرتضيه ، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب • ولم يلتزم المستخرجون موافقة الاصل في الالفاظ ، اذ قد تصل اليهم بتفاوت في اللفظ والمعنى •

ومنها صحيح أبى عوانة المسمى : المسند المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج لابی عوانة يعقوب بن اسحق الاسفرايينى، ومنها صحيح أبى بكر البرقانى وهو المسند ملخص لصحيح البخارى ومسلم (سيزجن) •

المختصرات

أما الاختصار والتجريد فيتم بحذف الاسانيد ، والاقتصار على الصحابى ، وبحذف المكرر من الاحاديث وحذف التراجم بما فيها من آثار وآيات كريمة وتعليقات ، وحذف كل ذلك من البخارى يفقده ميزة كبرى من مميزات كتابه • قال ابن حجر فى التراجم : حيرت

الافكار ، وادهشت العقول والابصار ، وبها وبغيرها عد من المجتهدين ، كما أن المكرر - فى نظرنا - يشتمل على كثير من الالفاظ والمعانى غير الموجودة فى الاصول التى يذكرها ، وحسبك أن تعلم أن المكرر فى البخارى يزيد على أصوله التى تكررت والتى لم تتكرر ، وحسبك أن تعلم أن الزبيدى وهو أشهر من اختصر البخارى وجرده قد اقتصر فى كتاب التوحيد على عشرة أحاديث من مائة وتسعين حديثا ، وعلى ذكر ستة أبواب من ثمانية وخمسين بابا ولم يكن البخارى عابثا فى ذكر كل هذه الابواب وتكرير هذه الاحاديث ، فضلا عن أنه قال كما حكى هدى السارى : لم أدخل فيه معادا فهو لم يكرر الا لغرض وفائدة • وممن اختصر البخارى أيضا ابن أبى جمرة • وممن اختصر صحيح مسلم الحافظ المنذرى • ويلتزم المختصرون ألفاظ الصحيحين •

الجمع

كثرت الاعمال التى توصف فى

الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه عن غير طريق صاحب الكتاب ، فيجمع معه في شيخه أو من فوقه ، وربما أسقط المستخرج أحاديث وصلت اليه بسند لا يرتضيه ، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب • ولم يلتزم المستخرجون موافقة الاصل في الالفاظ ، اذ قد تصل اليهم بتفاوت في اللفظ والمعنى •

ومنها صحيح أبى عوانة المسمى : المسند المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج لابی عوانة يعقوب بن اسحق الاسفرايينى، ومنها صحيح أبى بكر البرقانى وهو المسند ملخص لصحيح البخارى ومسلم (سيزجن) •

المختصرات

أما الاختصار والتجريد فيتم بحذف الاسانيد ، والاقتصار على الصحابى ، وبحذف المكرر من الاحاديث وحذف التراجم بما فيها من آثار وآيات كريمة وتعليقات ، وحذف كل ذلك من البخارى يفقده ميزة كبرى من مميزات كتابه • قال ابن حجر فى التراجم : حيرت

فهارس المخطوطات بالجمع بين الصحيحين ، وهى متناثرة الان فى مكتبات الشرق والغرب ، وتذكر فى الفهارس تحت عناوين الجمع والاطراف •

وقد اطلعت على معظمها ، وعلى التعريف بما ذكر منها فى مكتبات الازهر ، ودار الكتب المصرية ، ومعهد المخطوطات بالجامعة العربية وبمكتبة الحرم المكى ، ومكتبات المدينة والرياض ، واطلعت على فهارس بروكلمان وسيزجن وسركيس ، وطلس والمكتبة الظاهرية • بدمشق ، وفهارسى مخطوطات وزارة الاوقاف فى العراق ، ولم يفتنى الا ما لم يفهرس من هذه المخطوطات • وأمكننى أن أصنفها فى الانواع الآتية :

أولا : الكتب التى تجمع أحاديث الصحيحين كاملة المتن ، وتبعاً لنظام المسانيد ، وهى تجمع كل ما روى كل صحابى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأودعه الشيخان صحيحهما • وأشهرها جوامع الحميدى (٤٤٨ هـ) والفراء

البغوى (٥١٦ هـ) • وأبو جعفر القرطبى المعروف بابن حجة (٦٤٢ هـ) • وابن الفرات السرخسى (٤١٤ هـ) وهذه المسانيد لا تذكر من السند الا الصحابى ، وقد تذكر من قبل الصحابى وهى تستقصى أحاديث الصحيحين مجمعة تحت أسماء رواتها من الصحابة •

ثانيا : كتب الاطراف • وهى تجمع أحاديث الصحيحين وحدهما ، أو مع غيرهما ، على نظام المسانيد غير أنها تقتصر على طرف من الحديث ، وتستقصى رجال السند ذكرا ، ومنها :

١ - أطراف الواسطى (٤٠١ هـ) وتجمع أطراف الصحيحين •

٢ - أطراف أبى مسعود الدمشقى وتجمع أطراف الصحيحين •

٣ - أطراف ابن الخراط للكتب الستة •

٤ - الكشاف بمعرفة الاطراف للحسينى الدمشقى (٧٦٥ هـ) للكتب الستة أيضا •

وتمتاز كتب الاطراف ككتب
المسانيد بأنها تستقصى الاطراف
ورجال السند ذكرا •

ثالثا : الكتب التى تصنف فيها
الاحاديث تامة النصوص تحت
رءوس موضوعات ، وهذه اما أن
تكون موضوعات مسلم أو أبوابه
(كالاشبيلي) واما أن تكون
موضوعات أو أبوابا من صنعهم
تختلف كثيرا أو قليلا عن أبواب
البخارى أو مسلم ، ولم يجمع أحد
أحاديث الصحيحين بترتيب
البخارى وتراجمه الى الان ،
كما لم يستقص أحد الصحيحين
كما سيبين فى موضعه من هذه
الدراسة •

رابعا : الكتب التى تضم المتفق
عليه من الاحاديث فى الصحيحين •
وقد جاءت فى الفهارس تحت
عنوان الجمع بين الصحيحين
أيضا • ومنها ما يذكر الاحاديث
تبعاً للترتيب الالفبائى لأوائل
الاحاديث القولية ، وأغلبها فى
المتفق بين البخارى ومسلم ،
والقليل فى المتفق فيهما وفى
غيرهما • ومنها ما يذكر الاحاديث

تحت رءوس موضوعات •
وسنذكر بشيء من التفصيل
بعض هذه المخطوطات كنماذج ،
لنرى مدى انطباق مسمياتها على
الاسماء التى أطلقت عايتها فى
فهارس المخطوطات •

أولا - نظام المسانيد

أشهرها الحميدى ، وجاء
التعريف به فى كثير من فهارس
المخطوطات ، فقد جاء عنه فى
كشف الظنون : الجمع بين
الصحيحين للحافظ • الحميدى
الاندلسى توفى سنة ٤٨٨ هـ رتب
الاحاديث على الصحابة حسب
فضلهم ، فقدم أحاديث أبى بكر
وباقى الاربعة ، ثم باقى العشرة •
قال السيرافى فى شرح الالفية له :
ان الحميدى زاد فى جمعه ألفاظا
وتتمات ليست فى واحد منهما من
غير تمييز ، وهذا ما أنكر عليه لأنه
جمع بين كتابين فمن أين أتت
الزيادة ؟ من كشف الظنون •
وقد اطلعت فى دار الكتب
المصرية على نسخة فى مجلدين ،
الأول برقم ٣١٢ حديث والثانى

مسند ، وبما انفرد به واحدا منهما
والاقتصار عن التكرار • وانى
أتجاوز هنا الكلام عن ضرر حذف
المكرر مكتفيا فقط بالإشارة اليه •

ثانيا - كتب الأطراف

١ - أطراف الواسطى : قد
اطلعت فى دار الكتب المصرية على
نسخة مخطوطة فى أربعة مجلدات
تحت رقم ٣١ حديث و ٠٠٠ الخ •
وعلى نسخة أخرى فى ثلاث مجلدات
تحت رقم ٣٢ حديث ، والنسخة
ذات المجلدات الاربعة مصورة فى
معهد مخطوطات الجامعة العربية فى
فيلمين • وقد ذكر الواسطى
مسانيد الصحابة مرتبين على
حروف المعجم ، ويذكر طرفا
مختصرا جدا من الحديث ، وقد
يذكر موضوع الحديث فى كلمة ،
ويشير الى المتفق ، ثم روايات
البخارى ثم روايات مسلم بذكر
اسم الكتاب ، ولا يذكر ما تختلف
به الروايات بعضها عن بعض •

٢ - تحفة الاشراف بمعرفة
الاطراف للمزى : جمع فيه مسانيد
الصحابة التى فى الكتب الستة

برقم ٢٠٠ (حديث) وعلى نسخة
أخرى من أربعة مجلدات برقم
٦٥٨ ثم اطلعت على الثالث والرابع
منها فى مكتبة الحرم المكى •
واطلعت على النسخة نفسها ذات
المجلدين بخط آخر فى المكتبة
المحمودية بالمدينة تحت رقم ٢٩
و ٣٠ •

ويذكر الحميدى الحديث المتفق
بلفظ أحد الصحيحين ، وجاء عن
ذلك فى مقدمته ؟ وربما أوردنا
المتن بلفظ أحدهما • فان اختلفا فى
اللفظ واتفقا فى المعنى أوردناه
باللفظ الا تم • ولا يذكر الاحاديث
المكررة الا فى ظروف خاصة قاله
عنها فى المقدمة : ولم أذكر من
المعاد الا ما تدعو الضرورة اليه
لزيادة بيان أو معنى يتصل
بما لا يقع الفهم الا بايراده ، ومن
هنا يأتى النقص فى انطباق المسمى
على الاسم فى جامع الحميدى •
ويبدأ بالمتفق من الاحاديث ، ثم
بما انفرد به البخارى ، ثم
بما انفرد به مسلم ، وقال فى ذلك :
وجعلنا حديث كل صاحب على
حدة ، وبيننا المتفق عليه من كل

المخطوطات ، فهو في فهارس دار الكتب المصرية ، ومكتبات الأزهر والجامعة العربية ، والحرم المكي والمدني والرياض وقد اطلعت عليها جميعا •

ففي فهارس دار الكتب المصرية ما نصه : الجمع بين الصحيحين للـ ••• الاثيلى المعروف بابن الخراط في مجلدين مخطوطين برقم ١٨٥ الأول الى أول الجهاد ، والثانى من الجهاد الى الآخر ، كما توجد نسخة أخرى في أربع مجلدات برقم ١٨٦ ، ونسخة أخرى في مجلدين برقم ٧١٣ ، وقد اطلعت على هذه النسخ ، كما اطلعت في معهد المخطوطات بالجامعة العربية على نسخة من مجلدين ، الاول مرقوم ٧٦٩ نور عثمانية والثانى مرقوم ٧٧٠ نور عثمانية ، واطلعت على النسخة المصورة منهما في الحرم المكي ، واطلعت على المجلد الاول من نسخة مختلفة تحت رقم ٣٠ بالمكتبة المحمودية بالمدينة ، واطلعت بمكتبة دار الشفاء بالمدينة على نسخة مكونة من ثلاثة

(الصحيحان وسنن أبى داود وجامع الترمذى وسنن ابن ماجة وسنن النسائى) ، ويوجد بمكتبة الأزهر الجزء الخامس من نسخة ذات ثمانية مجلدات ، ويوجد مثله في دار الكتب برقم ٧٢٦ ، وتوجد النسخة كاملة في المكتبة الظاهرية بدمشق • وقد قام الدكتور عبد الصمد شرف الدين باخراج الكتاب اخراجا جيدا جدا بالهند • ورتب المزى أطرافه تبعا لنظام المسانيد مرتبا الصحابة ترتيبا الفبائيا ويتتبع أسانيد كل حديث باستيعاب جيد •

ثالثا - الكتب المرتبة على

الابواب •

جاءت في فهارس المخطوطات تحت اسم الجمع بين الصحيحين ، وهى تذكر أحاديث من الصحيحين بمتونها تامة وتحت رؤوس موضوعات ، ولم يطبع منها شيء الى الان • ومنها :

١ - الاثيلى : ونفصل فيه القول اذ هو أشهرها ، وجاء التعريف به في كثير من فهارس

على ما في كتاب مسلم فلا تستقرب
من ذلك •

وفي دراسة عن حديث ابن عباس عن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم العيد ، ووعظه للنساء تبين أنه قد ورد منه في مسلم ثلاث روايات في كتاب العيدين ، لم يكرر منها شيء في مواضع أخرى غير العيدين ، وورد منه في البخاري ١٥ رواية موزعة في العيدين ، والزكاة والتفسير والنكاح واللباس والاعتصام • وأشار الاشبيلى الى الروايات الثلاثة من مسلم بأنها متفقة مع مثيلاتها في البخاري ، وأشار الى وجود كلمة زائدة في البخاري في روايتين أخريين ، ولم يشر الى الروايات العشرة الباقية في البخاري •

تبين هذه الدراسة وغيرها أن الكتاب أقرب الى أن يكون كتابا مستقصيا في المتفق ، لا كتابا في الجمع بين الصحيحين •

٢ - جمع الصحيحين لعمر بن بدر الموصلي ، وجاء التعريف به في معجم سر كيس وبروكلمان

مجلدات ، الاول ينتهي قبل الحج ، والثاني قبل المناقب ، والثالث للآخر ، وفي آخره حوالى ٦٠ ورقة لتعليقات البخاري ، هكذا مجمعة ومبتورة من أماكنها التي تفيدها وتفيد منها •

وقد اتبع الاشبيلى ترتيب مسلم مبتدئا من أوله الى انتهاء حديثا حديثا يذكر الحديث بنصه من مسلم ، ويذكر من البخاري من أى موضع فيه ما يتصل بهذا الحديث زائدا عنه ، ويذكر موضعه بذكر اسم الباب والكتاب •

وقد اختصر الاشبيلى كتاب مسلم ، وقال في مقدمته : ذهبت في هذا الكتاب الى اختصار كتاب الامام مسلم بن الحجاج ، فحذفت اسناده ، وأسقطت تكراره ، واقتصرته من ذكر السند على اسم صاحب الا لضرورة • كما لم يتعرض في البخاري الى ما لم يتعرض له في مسلم • من معان ، وقال في المقدمة : وليعلم الناظر فيه أنى لم أخرج في هذا الكتاب من حديث البخاري الا ما كان زائدا

باسم جامع الصحيحين ، بحذف المعاد والطرق أملاه أبو نعيم الحداد الأصبهاني المتوفى سنة ٥١٧ هـ ، وفي سيزجن جاء ذكره تحت كتب تجمع بين الصحيحين برواياتهما المشتركة وتكملتهما على طريقتيهما ، وقد اطلعت عليه في دار الكتب وفي الجامعة العربية ، وهو مماثل لسابقه ، اذ هو عبارة عن تجميع أحاديث من الصحيحين تحت أبواب من صنعه ، ليست على ترتيب أى من الصحيحين ، ويسوق الحديث باسناده الخاص به ، وقد تختلف ألفاظ بعض أحاديثه عن ألفاظ حديث أى من الصحيحين ، فهو مستخرج على الصحيحين لا جمع للصحيحين •

٤ - الجوزقى ، ويشار اليه في المصنفات أحيانا انه في المتفق ، وأحيانا في الجمع ، وفعل ذلك ابن حجر • فمثلا رواية خالد بن مخلد للحديث الثانى في باب - تعرج الملائكة من كتاب التوحيد (٢٣ / ٩٧) قال عنها ابن حجر في هدى السارى : وصلها الجوزقى في المتفق ، وقال عنها في الفتح وصلها

الجمع بين الصحيحين لعمر بن بدر الموصلى المتوفى سنة ٦٢٥ هـ ، ويستفاد من بروكلمان أنه لا يوجد الا في متحف لندن ، وقد تفضل بعض الاصدقاء الفضلاء فأحضر لى فيلما من بضع وثلاثين صفحة شملت الفهرست وبعض الأبواب من أوله الى آخره ، وجاء فى مقدمته : جمعت كتابى هذا وحذفت من الاسانيد والمكرر من المتون الا ما كان يحتمل ادخاله فى ابواب متعددة ، فانا اضطررنا الى اعادته لئلا يخلو الباب منه ، وسميته الجمع بين الصحيحين مع حذف السند والمكرر من المتون ه •

والموضوعات التى وضعت تحتها الأحاديث من وضع المؤلف ، ويشتمل المصنف على مائة وتسعة كتب مقسمة الى ١٨٢ بابا و ٢١ فصلا و ٩٤ موضوعا متفرقا • والكتاب أشبه برياض الصالحين بملاحظة اقتصاره على أحاديث من الصحيحين •

٣ - جامع أبى نعيم الحداد ، وجاء التعريف به فى دار الكتب

على حسب الموضوعات ليست
جمعا للصحيحين •

٣ - الكتب التي وصفت
في الفهارس بالجوامع تحت رءوس
موضوعات لم تستقص أحاديث
الصحيحين ولم تجمع أحاديثهما
تحت رءوس موضوعات ، أى من
الصحيحين ، كما انها تخلو من
ترجمات البخارى التى هى شروحه
على صحيحه بما تتضمن من
تعاليق وآثار وآيات قرآنية •

ان الصحيحين لم يجمعا جمعا
كاملا الى الآن ، وهما لا يزالان
بحاجة الى جمع كامل مستقص
بمنهج حديث يحقق الاستفادة
المكاملة من أثنى كنوز السنة •

منهج مقترح لجمع الصحيحين
نعرض لتبادل الرأى مع
المشتغلين بالسنة الشريفة الخطوط
العريضة للمنهج الذى يجب أن
يتبع فى الجمع بين الصحيحين
لتوسيع قاعدة الاستفادة من أثنى
كنوز السنة •

أولا - يرتب الجامع على
أبواب البخارى لأنها أوسع تبويب
للسنة وللأغراض التى تطلب لها

الـجـوزقى فى الجمع بين
الصحيحين •

ويغنى عن جميع الدراسات
التى أجريتها عليه فى كتب الايمان
والجمعة والعيدى ، وتبين منها
انه ليس جمعا كاملا فى المتفق ، بله
أن يكون جمعا للصحيحين ، أنه
يقع فى اثنتين وثمانين ورقة من
القطع المتوسط فى دار الكتب
المصرية ، وبما انه يسوق
الأحاديث بأسانيده ، وتختلف
ألفاظه أحيانا عن ألفاظ أى من
الصحيحين ، فأصدق ما يوصف
به أنه مستخرج على مختصر من
الصحيحين •

نتيجة الدراسة

١ - كتب المسانيد ومعها كتب
الاطراف ، لا تفيد القارىء
العادى ، لأنها تجمع أحاديث كل
صحابى فى مختلف الموضوعات اما
بنصوصها كاملة ، وأما بأطرافها ،
والقارىء الحديث يريد أن يكون
بين يديه جميع ما ورد فى
الصحيحين فى الموضوع الواحد
فى مكان واحد •

٢ - كتب المتفق الألفبائى أو

المعاصرة الا وأودع رواية منه بابا تقليديا متبادرا الى الذهن ، وقد سبق البخارى بصنيعه هذا أحدث مناهج الفهرسة التى تهدى الباحث الى مطلوبه اذا كان متذكرا لأى عنصر من عناصره •

ثانيا - ترتب أحاديث الجامع فى كل باب بحسب درجتها المصطلح عليها من الصحة ، فبيدأ بالمتفق عليه بين البخارى ومسلم بحسب ترتبيه فى الباب ويذكر بصيغة البخارى ، ويعقب الحديث بما يكون فى رواية مسلم من اختلاف عن رواية البخارى بالزيادة أو بالنقص ، ثم تذكر الأحاديث التى انفرد بها البخارى بحسب ترتبيها فيه أيضا ، ثم تذكر الأحاديث التى انفرد بها مسلم فى الموضع الذى يناسبها ، ولا يترك حديث واحد من الصحيحين •

ثالثا - يثبت المكرر من أحاديث البخارى كل فى موضعه حيث أتى، ومن مسلم يناسب لأن كل حديث مما نعهده مكررا يؤدى فى موضعه فرضا ، ويوضح موضوعا قصد

الأحاديث وتبلغ صياغتها من الدقة والأصالة والعمق والشكلىة والتنوع الى أن تصل بالبخارى مع مؤهلات أخرى الى مرتبة الاجتهاد • فهى تتناول الاخلاق والاجتماع والسياسة وأنماط الحياة ، وأنواع السلوك ولذلك سمى كتابه « الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه » ، فهو يصف حياة الرسول والصحابة أحسن وصف وأدقه ، فوق اشباعه النواحي التقليدية التعبدية ، بينما أبواب مسلم يغلب عليها الطابع الفقهي التقليدى بما أضف إليها من تقييدات الشافعية •

والزعم بأن ترتيب مسلم أحسن من ترتيب البخارى لسهولة الوصول الى الحديث فيه يرجع الى تجميع مسلم للأحاديث المختلفة الصيغ المتعددة المعانى تحت ما توحى به المناسبة التعبدية التقليدية ، والرد عليه أن البخارى لم يذكر حديثا تحت باب تتصف صياغته بالأصالة والابتكار الذى يوافى الاهتمامات

محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله في الكتب والأبواب ، ويعدل حيث يحتاج الأمر الى تعديل • أما ترقيم الأحاديث فاقترح أن ترقيم أحاديث كل كتاب من كتب الجامع بمسلسل واحد لا يتقيد فيه بأى ترقيم سابق • وليس ترقيم أحاديث البخارى أمرا سهلا لا في العمل ولا في الأهمية ، لأن منهج البخارى في التعليق وحذف كثير من الأسانيد أوقع كثيرا من الشراح في الخطأ ، فضلا عن أن المرقمين السابقين قد اعتبروا تعليقات لم يصلها البخارى أحاديث ورقموها •

سادسا - لتسهيل المراجعة على الباحثين يوضح مكان كل حديث من مسلم •

هذا والمنهج معروض على المشتغلين بالسنة لمناقشته ، والله الموفق والهادى الى سواء السبيل •

محمد أحمد بدوي

اليه الامامان ، وترتيباً على اثبات المكرر يثبت الاتفاق في الأحاديث المكررة التي لم ترد في كتب المتفق تبعاً لمنهج مؤلفيها في الاختصار • ولتسهيل البحث عن أحاديث البخارى يثبت عقب كل حديث سيتكرر المواضع المقبلة لوروده ، وعند كل موضع مكرر الموضع الأول لوروده •

رابعا - تثبت تعليقات البخارى والآثار والآيات القرآنية الكريمة سواء ما ورد منها في ترجمات الأبواب أو مع الأحاديث ، والتي يتمثل فيها صلب منهج البخارى ، وبها صار صحيح البخارى مؤلفاً له فيه عمل واجتهاد ، لا مجرد ثبت للأحاديث ، وبدونها يصير البخارى شيئاً آخر غير ما أراده البخارى ، ويوضح من وصل التعليقات والمتابعات ، وبإثبات المكرر والتعليقات والمتابعات تتم المحافظة على جميع معانى الصحيحين بالمحافظة على مبانيهما •

خامسا - ترقيم الكتب والأبواب والأحاديث ، ويتبع ترقيم الاستاذ

يَا عَيْدُ

للمعتمد محمد عبد الرحمن صان الدين

يا عيد وجهك باسم متألق يضفى الجمال على الحياة ويونق
يا منحة الرحمن فى الاسلام تسطع فى قلوب المؤمنين وتشرق
بلل بأنداء المسرة انفسا ظمأى الى برد الرضى تتشوق
وامسح دموع الاشقياء البائسين بما تفيض من النعيم وتغدق
لك كل عام زورة مقرونة بتنسك نفحاته تتدفق
تسمو به الارواح فوق الكائنات تهيم فى النور الشفيف وتخفق
وترف فى روض السكينة حينما ينتابها قيظ الحياة المحرق

يا عيد جدد فى القلوب ازاهر الايمان تنفخ بالعبير وتعبق
مافى الوجود على الطليح نسائم أندى من الايمان اذ يترقرق

يا عيد ألف ما تنافر من قلوب نالها بالجائحات تفرق
فالحب فى الاسلام شرع لا يقص جناحه الا الغبى الاحمق

يا عيد وامح اليأس بالآمال تزهى فى النفوس المتفرات وتورق
وارفع الى رب العباد دعاءهم بالصالحات لعله يتحقق
ماكنت الا مرسل للمسلمين عليك من حلل السعادة رونق

محمد عبد الرحمن صان الدين

أخطاء شائعة

مؤلف: د. عباس أبو السعود

أبطال مغاوير ، صمدوا صمودا
 مشرفا في معركتهم مع الأعداء
 وأنزلوا بهم الهزائم حتى جعلوهم
 يفرون مندحرين ، وفي هذه العبارة
 غلطتان أحدهما : أن الصمود
 مصدر أنشأه العامة ، أما المصدر
 السليم الذي ورد عن العرب فهو
 الصمد بزنة العدل ، وله معنيان
 أحدهما القصد فقول : صمدت
 الأمير من باب نصر صمدا إذا
 قصدته فالأمير مسمود وصمد
 بفتحتين ، ومن هذا قوله تعالى
 « **الله الصمد** » أى المقصود ،
 والآخر الضرب ، تقول صمده
 بالعصا صمدا إذا ضربه بها .

والأخرى : قولهم مندحرين ،
 والصواب أن يقال مدحورين أى
 مطردين تقول : دحره يدحره من

٥٨٨ ويقولون : فلان عديم
 الجود والكرم ، يعنون أنه بخيل
 لا يعطى خيرا ، ولا يفضل على
 أحد . وهذا غير سليم ، لأن للعدم
 معنيين لا صلة لكل منها بالبخل .

أحدهما : الأحمق والمجنون ،
 جمعه عدماء كبخيل وبخلاء .

والآخر : الفقير والمعدم ،
 نقول : أعدم الرجل إذا افتقر فهو
 معدم بالضم وعدم تكرم فهو
 عديم أى افتقر فهو فقير .

والفصيح - لتأدية المعنى
 الذى يريدونه - أن يقال : هو
 خال من الجود والكرم ، أو خلاء
 بفتح الخاء ، أو خلو بكسرهما ،
 أو خلى بزنة غنى .

٥٨٩ ويقولون : ان جنودنا

والأخرى : كلمة ريال اذ لم ترد عن العرب بالمعنى الذى أرادوه ، وانما معناها اللعاب تقول : رال الصبى يريل ريالا اذا سال لعبه ومثله الروال بالضم ، يقال الطفل يسيل رواله كما فى الصحاح ، وقيل ان الروال لعب الدابة أو هو خاص بلعاب الفرس كما فى القاموس ، والمرول وزان منبر الرجل الكثير اللعاب ٥٩١ ومما نشأ على ألسنتهم وأسنة أقلامهم قولهم : لفلان شهرة واسعة بين الناس ، يعنون أنه يتمتع بفيض من جمال الذكر وحسن الأحداث ، وهذا التعبير فاسد ، لأن الشهرة معناها ظهور الشيء فى شئعته وفضاعته وقبحه حتى يشهره الناس ، وفى الحديث « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب ذلة ، وقال ابن الأعرابي : الشهرة الفضيحة يقال شهره كمنعه شهرا ، وشهره تشهيرا اذا قبحه وفضحه ، ومن المجاز قولك

باب خضع دحورا اذا طرده وأبعده ، ومنه قوله تعالى «ويقتفون من كل جانب دحورا» ، والمطروود مدحور ، ومنه قوله جل شأنه « قال أخرج منها مذموما مدحورا » (١) •

فكان عليهم أن يقولوا : ان جنودنا ثبتوا فى معركتهم مع الأعداء ثبوتا مشرفا ، وأنزلوا بهم كثيرا من الهزائم حتى أجلوهم مدحورين •

٥٩٠ ويقولون : فى الجنيه خمسة ريالات ، وفى هذا التعبير غلطتان • احدهما : أن كلمة الجنيه علمية لا وجود لها فى العربية ، والفصحى أن يستبدل بها كلمة الدينار المصرى ، وأصل الدينار دينار بنشديد الذون ، أبدلت من احدى النونين ياء ، لئلا يلتبس بالمصادر من نحو كذاب فى قوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذابا » وقولهم : كلمه كلاما ، وحمله حمالا ، ولهذا ترد فى الجمع فيقال دنانير •

(١) يأتى فعل بمعنى مفعول كثيرا يولد بمعنى مولود ، وقلم بمعنى مقلوم ونفض بمعنى منفض ، وقبض بمعنى مقبوض ، وحسب بمعنى محسوب •

أشتهرت فلانا إذا استخففت به أجورنا فاستلمناها ، وهذا التعبير
وفضحته وجعلته شهرة ، قال فيه غلطتان •
الأخطل

فلأجعلن بنى كليب شهرة بعوارم (١) ذهبت مع القفال (٢)
ولتأدية المعنى الذى يبتغونه

ينبغى أن يقال : لفلان صيت ذائع بين الناس ، لأن الصيت بكسر الصاد معناه الذكر الجميل ، أو يقال ذهب صيته فى الناس ، أو ذهب سمعه فيهم بكسر الصاد معناه الذكر الجميل ، أو يقال ذهب صيته فى الناس أو ذهب سمعه فيهم بكسر السين ، لأن السمع هو الصيت والذكر الحسن كما فى قول الأعشى •

سمعت بسمع الباع والجود والندى فألقيت دلوى فاستقت برشائكا (٣)

ولك أن تقول : انتشر صوته فى الناس •

١ - أن يتعدى الى مفعول واحد كما فى قوله تعالى : « ومن

أحداهما أنهم جعلوا الفعل الأول ناصبا مفعولين ، والحق أن له حالتين •

١ - أن يكون متعديا لواحد كما فى قوله تعالى « فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتكم بالمهروف » وعلى هذا يجب أن يقال : الصراف سلم الينا أو سلم لنا أجورنا •

٢ - أن يكون لازما وذلك اذا كان بمعنى التحية والمصافحة كما فى قولك سلمت على الضيفان وقوله سبحانه : « حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » •

هذا فى الفعل المضعف ، أما المزيد بالهمز فله حالتان أيضا •

١ - أن يتعدى الى مفعول واحد كما فى قوله تعالى : « ومن

(١) العوارم : يريد بها القوافى الشديدة الوقع •

(٢) القفال : العائدون من ميدان الحرب •

(٣) الرشاء : الحبل يستقى به جمعه أرشبة •

(٤) الحطيم : حجر الكعبة أو ما بين الركن وزمزم •

أحسن ديناً ممن أسلم وجهه الى الله وهو محسن « وقولك أسلمت فلانا اذا خذلته ، وفي الحديث « المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يبسله » •

٢ - أن يكون لازماً وذلك بأن يكون بمعنى الانقياد والطاعة كما في قولك أسلم فلان اسلاماً اذا دخل في دين الاسلام وانقاد ، وقوله جل شأنه : « **اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين** » •

والغلطة الأخرى : انهم استعملوا الفعل الثانى في غير معناه ، لأن الاستلام معناه اللبس تقول استلم الحاج الحجر الأسود اذا لمسه بالقبلة أو باليد ، وهو مشتق من السلام بكسر السين وهى الحجارة ، وفي المثل « أكتم للسر من السلام » قال الفرزدق يمدح الحسين رضى الله عنه

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
والصواب أن يقال الصراف
سلم اليها أجورنا فتسلمناها أى
أعطانا الأجور فأخذناها وأما

الثلاثى فلازم دائماً نقول : سلم فلان من البلاء أو من العيب سلامة وسلاماً اذا برىء منه وهذا مما يؤكد أن الفعلين المضعف والمهموز اذا تعديا فلا يتعديان الا الى مفعول به واحد •

٥٩٣ ويقولون: لفلان خاتم ثمين من الماس ، وكلمة الماس لم ترد بهذا المعنى فى كلام العرب والصواب أن يقال : له خاتم فسه من السامور كما فى شفاء العليل • وقول صاحب القاموس فى مادة (م و س) الماس حجر منقوش أعظم ما يكون كالجرزة - وهم لأنه كثيراً ما يعتمد على كتب الطب فيقع فى الغلط •

هذا الى أن كلمة ماس لا تدخل عليها أداة التعريف ، ولا تقع الا صفة فيقال : فلان ماس اذا كان لا ينفع فيه عتاب ، أو كان طياشاً خفيفاً ، أو لا ينتفع بموعظة أحد •

٥٩٤ ويقولون لمن لاغيرة له على أهله معرس بصيغة اسم المفعول أو عرس وزان بفل ، وهذا خطأ صراح •

تقول • قرأ الرجل الرسالة
قراءة بالكسر ، وقرأ بالفتح ،
وقرأنا بالضم فهو قارئ من قراءة
ككتبة ، وقارئ من قراء ككتاب ،
وقارئ من قارئين وقرائين •

والقراء وزان كتان الحسن
القراءة ، جمعه قراءون ولا يكسر ،
أما القراء بالضم وزان رمان فهو
الناسك المتعبد جمعه قراءون
وقراري ، وفي لسان العرب قرائي
كحمائل •

وأما المقرئ فهو من يقرئ
غيره ويعلن القراءة ، وكلمة القرآن
في الأصل مصدر كما سبق بيان
ذلك ثم جعلت اسما كما في قولك
كتبت القرآن ، وحفظت القرآن •
٥٩٦ ويقولون في جمع كلمة
ألد بفتحتين مع تشديد الدال وهو
الخصم الشحيح الذي لا يميل الى
الحق كاللندد واليلندد (ألداء)
كأنه جمع لديد ، على أن اللديد
معناه دواء يصب في أحد شقي
الفم وكذلك هو ماء لبنى أسد ،
جمعه ألد كـرغيف وأرغفة ،
واللديدة بالهاء الروضة الزهراء •
والصواب أن جمع ألد ومؤنثه لداء

وذلك لأن هاتين الكلمتين — على
الرغم من أنهما عربيتان سليمتان
— تحمل كل منهما معنى لا يمت
بأى صلة للمعنى الذي قصدوا
اليه •

فالمعرس هو المكان الذي يعرس
فيه المسافر ، أى ينزل فيه نزلة
يستريح فيها من وعاء السفر
ثم يرتحل •

أما المعرس فلفظ يطلق على
عمود في وسط الفسطاط ، وكذلك
على الفصيل الصغير ، جمعه
أعراس ولتأدية المعنى المبتغى
يجب أن يقال له ديوث وزان
فروج ، مأخوذ من ديته اذا ذلله ،
تقول : داث الشيء ديثا من باب
باع اذا لان وسهل ، ويعدى
بالتضعيف فيقال ديته فلان •

ويقال له أيضا قمعوث بالضم
وزان زتبور ، وطزع وزان كتف •
٥٩٥ ويقولون لمن يقرأ القرآن
بصوت لين رخيم (مقرئ) ،
وهذا خطأ ، والفصح أن يقال له
قارئ اسم فاعل من قرأ الثلاثي ،
أو قراء بصيغة المبالغة •

والمماثلة ، وقد تهمز فيقال
مضاهاة كما همز الفعل في قوله
جل شأنه : « **يضاهئون قول النين
كفروا** » ••

وفي لسان العرب : المضاهاة
مشاكلة الشيء بالشيء وقد تهمز •
٥٩٨ ويقولون : وقع فلان على
عقد البيع ، أو على الشكوى ،
أو على الرسالة وهذا خطأ بين ،
ووجه الكلام السليم أن يقال : وقع
في الشيء توفيقا ، أى تستعمل مع
هذا الفعل في ، لا على •

وأصل التوفيق أن يرفع الانسان
شكاية الى الوالى ، بعد أن يفحص
الوالى عما فيها يكتب في أسفلها
أو على ظهرها : ينظر في أمر هذا
الشاكى ، ويستوفى له حقه اذا
كان صادقا في دعواه •

وقال الأزهري : هو أن يجمل
بين تضاعيف سطره مقاصد
الحاجة ويحذف الفضول ويستعمله
المحدثون مجازا في توفيق ما كتب
وذلك بأن يكتب الكاتب اسمه ولقبه
في أسفل الشكوى أو العقد أو غير
ذلك دلالة على صحة ما جاء بكل
منها •

لد بضم اللام كحمر وخضر وفي
التنزيل « وتنذر به قوما لذا »
٥٩٧ ويزعمون أن كلمة المضاهاة
معناها الموازنة بين شيئين وتبيين
وجوه الشبه بينهما ، فيقولون •
ضاهينا بين كذا وكذا ، ومن ذلك
قالوا : فلان خبير لدى المحاكم في
مضاهاة الخطوط ، يعنون بذلك أن
الخبير يعمد الى كتابين ، فيفحص
عما بينهما من تشابه ، ليحكم بعد
ذلك أهما لكاتب واحد أم لكاتبين
مختلفين •

وهذان التعبيران لا يؤدي كل
منهما المعنى الذى نشئ من أجله
لا بطريق الحقيقة ولا بطريق
المجاز •

والصواب كما فى أساس
البلاغة — أن يقال : فلان لا
يضاهى كرمه ولا يضاهيه أحد ،
أى لا يشابهه فى كرمه ولا يشبهه
أحد •

وفى النهاية : أشد الناس عذابا
يوم القيامة الذين يضاهون خلق
الله ، أراد المصورين وصانعى
التمائيل ، فالمضاهاة المشابهة

• ميدان اللغة النقل والسمع
فقياس اسم من أفعل هو
مفعل ومفعلة كمخرج ومخرجة
وشذ ذلك ما جاء على صيغة اسم
المفعول ومنه •

١ - ألفتج التاجر اذا أفلس
فهو ملفج بفتح الفاء ولا يجوز
كسرهما وفي الحديث « ارحموا
ملفجيكم » •

٢ - اجرأشت الأبل اذا سمنت
وملأت بطونها فهي مجرأشة بفتح
الهمزة ولا يجوز كسرهما •

٣ - أحصن الرجل اذا تزوج
فهو محصن بفتح الصاد ، والمرأة
محصنة ومن ذلك قوله تعالى :
« والمحصنات من النساء » وجاء
الكسر على قلة ومنه قوله سبحانه
« محصنين غير مسافحين » •

٤ - أعم فلان وأخول اذا
أعمام وأخوال ، فهو معم مخول
بفتح العين والواو ، ويجوز
كسرهما •

٥ - أسهب الولد في الكلام اذا
أكثر منه فهو مسهب بفتح الهاء •
وقد يأتي اسم الفاعل من أفعل
شذوذاً على وزن فاعل ، ومنه •

٥٩٩ واقد شاع على ألسنتهم
وأسلات أقلامهم قولهم سررنا
برؤياك يعنون سررنا بمراك وهذا
خطأ لم يقتصر شيوعه بين العامة ،
وانما تعداهم الى الخاصة وها هو
ذا أبو الطيب المتنبي - على جلالة
قدره ، وبلبع أسلوبه - قد وقع
فيه ، فقد قال لبدر بن عمار حينما
سامره ذات ليلة الى قطع من
الليل •

مضى الليل والفضل الذي لا يمضى
ورؤياك أملى في العيون من الغمض
وكان من الواجب عليه أن
يقول : ورؤيتك أملى من الغمض ،
لأن العرب تجعل الرؤية لما يرى
بالعين في اليقظة ، والرؤيا لما يرى
كالخيال في المنام ، قال تعالى
« يأيها الملأ أفتونى في رؤياي
ان كنتم للرؤيا تعبرون » وقال
« لا تقصص رؤياك على اخوتك »
٦٠٠ وكثير من الخاصة حرصوا
فيما ينطقون أو يكتبون على
استعمال القياس في شئ ، وفاتهم
أن العرب نطقت بألفاظ شذت عن
القياس ينبغى لهم أن يستمسكوا
بها دون أن يقيسوا عليها ، لأن

- ١ - أيفع الغلام اذا شب فهو يافع ، ولا يقال موفع ، جمعه يفعه بالتحريك ككاتب وكتبة •
- ٢ - أمحل البلد اذا أصابه الجذب وهو انقطاع المطر وييس الأرض فهو ما حل ، وممحل قليل
- ٣ - أعشب المكان اذا أنبت العشب وهو الكأ الرطب فالمكان عاشب ، ويجوز على قلة معشب
- ٤ - أملح الماء اذا أكثر فيه الملح فهو ماء مالح ولا يقال مملح ، فان كان الملح بقدر قليل ملح ملوحة فهو مليح وزان فرح كخشن - خسونة فهو خشن •
- ٥ - بقل الموضع ابقالا اذا أنبت البقل فهو باقل ، ومبقل على الأصل •
- وشذ أيضا مجيء اسم الفاعل من فعل الثلاثي على وزن غير فاعل : ومن ذلك •
- ١ - باع الرجل فهو بيع وزان سيد وفي الحديث « البيعان بالخيار
- ما لم يتفرقا » وجاء بائع على الأصل •
- ٢ - طاب الشيء اذا لذوزكا فهو طيب وزان سيد ، ولا يقال كاتب •
- ٣ - بان الأمر اذا ظهر واتضح فهو بين وزان سيد ، وجاء بائن على الأصل •
- ٤ - شاخ الرجل اذا استبانت فيه السن فهو شيخ جمعه شيوخ بالضم والكسر وأشياخ ، وشيخة بالكسر وشيخة بكسر ففتح ، وشيخان بالكسر ، ومشيخة وزان مرحمة ، ومشيخة وزان مدينة ومشيوخار ، ومشايع •
- ٥ - نصحت لك بكذا فأنا نصيح ، جمعه نصحا ، وجاء ناصح على الأصل جمعه نصح كركع ونصاح ككتاب •
- ٦ - مات المريض فهو ميت وزان سيد ، ميت وزان سيف ، وقد ذكرها الشاعر في قوله •
- ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الأحياء

والجمع أموات ، وموتى ، ومنه قوله تعالى لرسوله صلى
وميتون بتشديد الياء ، وميتون الله عليه وسلم « أنك ميت وأنهم
باسكانها ، وهي ميتة ، وميتة وجاء ميتون » أما الميت بسكون الياء
ماتت على الأصل ، والمائت والميت فهو من خرجت نفسه •
بتشديد الياء من لم يمت بعد ، عباس أبو السعود

« دعاء »

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :
اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى
دنياى التى فيها معاشى •
وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى •
واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير •
واجعل الموت راحة لى من كل شر •
وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :
أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا فى الدعاء
قالوا : نعم يارسول الله •
قال : قولوا (اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن
عبادتك) •

حكم .. وطرائف

اعزها الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«من أعجب الأشياء»

من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه ، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الاجابة ، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره ، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأتس بطاعته ، وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه وغير الحديث عنه ، ثم لا تشفق الى انشراح الصدر بذكره ومناجاته ، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه الى نعيم الاقبال عليه والانابة اليه وأعجب من هذا علمك انك لا بد لك منه وأنتك أحوج شئ اليه ، وأنت عنه معرض وفيما يبعدك عنه راغب •

« التخرج من الفتيا »

قال على — كرم الله وجهه — : من أفتى الناس بغير علم لعنته السماء والأرض ، وكان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء : الامامة والوديعة والوصية والفتوى ، وقيل أسرع الناس الى الفتوى أقلهم علما ، وأشدهم دفعا لها أورعهم •

وقال صلى الله عليه وسلم : « أجرؤكم على النار أجرؤكم على

الفتوى » •

وقال ابن مسعود — رضى الله عنه : ان الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لجنون •

وسأل رجل ابن عمر — رضى الله عنهما — عن شيء ، فقال : لا أعلم ثم قال بعد أن ولى الرجل : نعم ما قال عمر لما لم يعلم لا أعلم •

وسئل مالك بن أنس — رضى الله عنه — عن ثمان وأربعين مسألة ، فقال فى اثنتين وثلاثين منها : لا أدرى •

وكان عبد الله بن يزيد يقول : ينبغى للعالم أن يورث جلساءه من بعده لا أدرى حتى يكون أصلا منه فى أيديهم اذا سئل أحدهم عما لا يعلم أن يقول لا أدرى •

وسئل الشعبي عن مسألة فقال : لا أعلم ، فقيل : ألا تستحى وأنت فقيه العراقين ؟ قال : لا أستحى مما لا تستحى منه الملائكة حين قالت : « لا علم لنا الا ما علمتنا » •

وسئل أبو يوسف عن شيء ، فقال : لا أدرى ، فقيل له : تأكل من بيت المال كل يوم كذا وكذا ؟ وتقول : لا أدرى فقال : أكل منه بقدر علمى ، ولو أكلت بقدر جهلى ما كفانى ما فى الدنيا جميعا •
وقال أعرابى : لا تقل فيما لا تعلم فنتهم فيما تعلم •

« لو صبرت »

اشترى رجل دارا ، فقال لصاحبها : لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير ، قال له : وأنت لو صبرت لبعثك الذراع بدرهم •

« اتجه الى الله »

شكا رجل الى رجل الفقر فقال له : يا هذا ، تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك ؟

وقال الأحنف بن قيس : شكوت الى عمى وجعا فى بطنى ، فنهرونى ثم قال : يا ابن أخى لا تشك الى أحد ما نزل بك ، فانما الناس رجالان :

صديق تسوءه ، وعدو تسره ، يا ابن أخى : لا تشك الى مخلوق مثلك ، لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن اشك الى من ابتلاك به ، فهو قادر على أن يفرج عليك ، يا ابن أخى : احدى عيني هاتين ، ما أبصرت بها سهلا ولا جبلا منذ أربعين سنة ، وما أطلعت على ذلك امرأتى ، ولا أحد من أهلى •

« ترغيب »

« من حج حجة فقد أدى فرضه ، ومن حج ثانية فقد دأب ربه ، ومن حج ثلاثة حرم الله شعره وبشره على النار » •

« صدق رسول الله »

« أيهما أركب »

خرج ابراهيم بن أدهم فى بعض السنين الى الحج ماشيا ، فرآه رجل على ناقته ، فقال له : الى أين يا ابراهيم ؟ قال : أريد الحج ، قال : أين الراحلة ؟ فان الطريق بعيد ؟! قال ابراهيم : لى مراكب كثيرة ، ولكن لا تراها ، قال : ما هى ؟ قال : اذا نزلت بى مصيبة ركبت مركب الصبر ، واذا نزلت بى نعمة ركبت مركب الشكر ، واذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء ، واذا دعتنى نفسى الى شئ علمت أن ما بقى من الأجل أقل مما مضى • قال له الرجل : سر باذن الله ، فأنت الراكب وأنا الماشى •

« أخروا »

كان ابن مسعود اذا مشى خلفه أحد الناس ، قال : أخروا عنى نعالكم فانها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع •

« أعينته الحيلة »

يعتبر أبو جعفر المنصور ، رجل بنى العباس والمؤسس الثانى لدولتهم بعد أن انتقلت اليهم الخلافة من بنى أمية ، وكان اذا دخل البصرة أيام الأمويين دخل متتكرا متكتما ، وكان يجلس فى حلقة أزهر

السمان العالم الثبت المحقق ، فلما أفضت الخلافة اليه ، قدم عليه أزهر فرحب به وقربه وقال : ما حاجتك يا أزهر ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، دارى متهدمة وعلى أربعة آلاف درهم ، وأريد أن أزوج ابني محمدا فوصله بعشرة آلاف درهم ، وقال له : قد قضينا حاجتك يا أزهر ، فلا تأتينا بعد اليوم طالبا ، فأخذها وارتحل ، فلما كان بعد سنة أتاه ، فقال له أبو جعفر ما حاجتك يا أزهر ؟ قال : جئت مسلما ، فقال : لا والله بل جئت طالبا ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم فاذهب ولا تأتينا بعد اليوم طالبا ولا مسلما ، فأخذها ومضى ، فلما كان بعد سنة أتاه ، فقال له ما حاجتك يا أزهر ؟ قال أتيت عائدا ، فقال : لا والله بل جئت طالبا ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم فاذهب ولا تأتينا بعد اليوم طالبا ولا مسلما ولا عائدا ، فأخذها وانصرف ، فلما مضت السنة أقبل ، فقال له : ما حاجتك يا أزهر ؟ قال : يا أمير المؤمنين دعاء كنت سمعتك تدعو به ، جئت لأكتبه ، فضحك أبو جعفر وقال : الدعاء الذى تطلبه منى غير مستجاب ، فانى دعوت الله به أن لا أراك ، فلم يستجب لى ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف ، وتعال اذا شئت ، فقد أعيتنا الحيلة فيك •

« أول جورك »

اختصم عمر بن الخطاب وأبو كعب - رضى الله عنهما - فى حادثة الى زيد بن ثابت ، فألقى زيد الى عمر بوسادة يجاس عليها ، فقال له عمر : هذا أول جورك وأبعد الوسادة وجلس بين يديه •

« الذنب ذنبى »

كان رجل من الأعراب يعمل فى معمل الذهب فلم يصب شيئا فأنشد يقول :

يارب قدر لى فى هناسى

وفى طلاب الرزق بالتماس

صفراء تجلو كسل النعاس

فضربته عقرب صفراء بذنبها فأسهرته طول الليل فجعل يقول :
 يارب الذنب ذنبى اذا لم أبين ما أريد من الصفراء ، اللهم لك
 الحمد والشكر ، فقال رجل : أما سمعت قول الله تعالى : « لئن شكرتم
 لأزيدنكم » فوثب الرجل فزعا من الخوف أن يزيده الله من ضربات
 العقارب لشكره •

« متى يجاب الدعاء ؟ »

قال ابن عطاء : للدعاء : أركان وأجنحة ، وأوقات وأسباب ، فان
 وافق أركانه قوى ، وان وافق أجنحته ارتفع ، وان وافق أوقاته فاز ،
 وان وافق أسبابه نجح !
 وأركانه : حضور القلب مع الله — تعالى — والخشوع لله
 والحياء من الله ، ورجاء كرم الله ! •
 وأجنحته : الصدق ، وأكل الحلال •
 وأوقاته : الفراغ والخلوة •
 وأسبابه : الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم — فان الدعاء
 لا يرد اذا كان قبله وبعده الصلاة على النبي — صلوات الله وسلامه
 عليه •

« دعاء »

اللهم انك تسمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى
 ولا يخفى عليك شئ من أمرى ، فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فاعطنى
 سؤلئى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى •

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

باب الفتاوى

الأستاذ محمد عبد الحميد القاصر

ومن هنا نرى الفقراء أو البخلاء
يعمدون الى ماقل ثمنه من هدى
مريض أو هزيل فيذبحونه ، فلا
يطيب لحمه لآكل ولو كان فقيرا
يتصور جوعا • وبذلك تتكسد
لحوم الهدايا فى منى ، وتتغفن •
وتتبعث منها الروائح ، فتفسد
الجو ، وتنتشر بها جراثيم المرض ،
وفى ذلك من الأذى والضرر ما لا
يرضاه الشرع الحريص على صحة
الناس وطيب الحياة ••

وأمام هذا الواقع الفاسد يبرز
آخرون ، يقف نظرهـم عندما تقع
عليه أبصارهم وتشمه أنوفهم •
من تكسد اللحوم وآثارها
السيئة ، ولا يكلفون أنفسهم
البحث عن أسباب هذه الظاهرة
الخبیثة ، فيردونها الى سوء

هل يجوز استبدال النقود
بالهدى ؟

تحدث كثير من الناس فى
استبدال النقود بالهدى
والأضاحى ، هل يجوز ذلك أولا
يجوز ؟

ووجه بعض الصحف الى العلماء
استفتاء فى هذا الشأن فأجاب عليه
الأستاذ الامام شيخ الأزهر الأسبق
الشيخ محمود شلتوت رحمه الله
بما يلى : —

بين الجهل فى التطبيق والنظر
القاصر :

يظن كثير من الحجاج أنه يجب
على كل حاج أن يذبح هدایا فى
حجه ، وأن يكون ذبحه فى أيام
معينة هى • أيام النحر الثلاثة ،
وفى مكان معين وهو منى خاصة ،

بها هنا معنى الهدى الذى شرعه الله فى الحج ، وعن مكانته فى القرآن الكريم ، وعن الحالات التى يطلب فيها عينا دون تخيير بينه وبين غيره ، وعن المكان والزمان اللذين يصح فيهما ذبح الهدى ، وعما ينبغى أن يكون عليه الهدى من سلامة الصحة والجودة والنقاء ...

وأرجو أن يجد الفريقان فى هذه الكلمات ما يردهم الى الصواب ، فيعرف الحجاج أن الهدى ليس واجبا على كل حاج ، ويعرف من يجب عليه : أن الهدى الهزيل هدى خبيث لا يرضاه لنفسه ولا لأهله ، فلا ينبغى أن يرضاه لله « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخفيه الا أن تغمضوا فيه » (٢) .

ويعرف الآخرون أن الله أرحم بعباده منهم ، وأنه لا يشرع لهم الا كل خير نافع ، وأنه أجل من أن يتعبدوا بما فيه شر أو ضرر :

التشريع ، لا الى سوء التطبيق ، أو الجهل بالتشريع ، وبذلك يصيحون - كلما اظلم الناس موسم الحج - بوجوب العدول عن الهدى والذبح - ويلحون فى استبدال النقود بالهدى • وتوزيعها على الفقراء ، بدلا من هذه اللحوم التى تفسد الجو ، أو تدفن فى الأرض ، ويقحمون فيما يبرر رأيهم - جهلا بغير علم - قوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » (١) •

وبذلك وقعت مسألة « الهدى فى الحج » بين جهل فى التطبيق والعمل ، وبين نظر قاصر ، يحاول بهذا الجهل تغيير حكم الله فيها ، دون أن يتعرف واقع المشروع ، ويدعو الناس اليه ، فيبقى حكم الله على ما شرع ، ويسلم الجو من الأذى والضرر ...

كلمات فى الهدى :

وهذه كلمات فى الهدى أكشف

(١) الآية ٣٧ من سورة الحج •

(٢) الآية ٢٦٧ من سورة البقرة •

معنى الهدى :

والهدى أنسم للحيوان الذى يهدى باسم الله الى الحرم، ويذبح فيه ، ويطعم منه الفقير والمسكين « فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون » (١) .

وقد أرشد القرآن الى الروح الذى يتقبل به الهدى ، وهو روح الاخلاص والتقوى ، شأن كل التكليف ، لا يكفى فى تقبلها شكلها ولا صورتها ، وانما يرفعها اليه الاخلاص والتقوى ، وهو المعنى بقوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » (٢) كما لا يناله من الصلاة الحركات والسكنات ولا من الصوم ترك المأكولات والمشروبات ، ولكن يناله منها ما يحملان من معانى الخشوع والاخبات ، ومراقبة القلب وحسن النيات « انما يتقبل الله من المتقين » (٣) .

أو ضرر : وأن تشريعه فوق ما يربطون به نظرهم من سوء التصرف المبني على الجهل بأحكامه وشرائعه ، وأن من الخير لهم وللناس أن يترثوا فى آرائهم ولا يندفعوا الى اعلان التحلل من أحكام الله بمجرد نظر خاطف ، فيوقعوا الناس فى شك من دينهم . ويفتحوا على أحكام الله بمثل هذا النظر باب التفكير فى كثير من صور العبادات التى ينحرف الناس بها عن وضعها الشرعى ، واذن لا يمضى كثير من الزمن ، وخاصة فى هذه الفترة التى نعيش فيها ، والتى يستبجح فيها كثير منا — باسم حرية الرأى ومعقولية الدين — أن يتناولوا بأفكارهم الشاذة ، ما لا يفقهون من أحكام الله العقيدية ، أو ما يفقهون ويريدون — حاجة فى نفوسهم — القضاء عليه .

-
- (١) الآية ٣٦ من سورة الحج .
 (٢) الآية ٣٧ من سورة الحج .
 (٣) الآية ٢٧ من سورة المائدة .

الهدى في القرآن :

قد عرض القرآن للهدى من جهات ثلاث :

أولها : جهة التنويه بشأئه ، فطلبه وطلب الاخلاص فيه لله ، وجعله من الشعائر التي يجب المحافظة عليها ، ويحرم اهمالها واحلالها ، ففي سورة المائدة « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ ، وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ** » (١) وفي سورة الحج « **وَالْبَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ** » (٢) وفيها « **وَمَنْ يَعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَنَاهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** » (٣) . . .

ثانيها : جهة الحالات التي يطلب فيها . وهي : حالة الاحصار ومعناه : المنع عن اتمام الحج أو العمرة بمرض أو عدو وهي المذكورة بقوله تعالى في سورة

البقرة « **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ . فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** » (٤) وقد طلب فيها الهدى عينا متى تيسر ، ولم يخير بينه وبين غيره . كما لم يجعل له بدل . . .

وحالة الاعتداء على الاحرام بفعل محظور من محظوراته ، كتغطية الرأس ، أو لبس مفصل على الجسم ، أو قتل صيد الحرم ، وهي المذكورة بقوله تعالى في سورة البقرة « **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نَسْكَ** » (٥) وبقوله في سورة المائدة « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالْغُلَبَةِ ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا** » (٦) .

-
- (١) أوائل سورة المائدة .
 - (٢) الآية ٣٦ من سورة الحج .
 - (٣) الآية ٣٢ من سورة الحج .
 - (٤) الآية ١٩٦ من سورة البقرة .
 - (٥) الآية ١٩٦ السابقة .
 - (٦) الآية ٩٥ من سورة المائدة .

كله ، وقد صح عنه « ان منى كلها منحر ، وان مكة وفجائها منحر » واذن : ففى مكان ذبحه متسع • ومتسع عظيم ، وليس خاصا بمنى كما يظن كثير من الناس •

أما الوقت الذى يذبح فيه الهدى ، فلم يعرض القرآن ولم يصح فى تعيينه حديث ، واذن فلمن وجب عليه الذبح عينا • أن يذبح هديه فى أى وقت شاء بعد أن وجب عليه ، وليس هناك ذبح يتعين زمنه سوى « الأضحية » التى تكون فى أيام النحر الثلاثة ، وهى غير الهدى • وهى لا تجب — ان صح أنها واجبة — على حاج أو مسافر •

وقد بين الفقهاء أن هدى التمتع يجوز ذبحه بمكة قبل الخروج الى عرفة ، بل قبل الاحرام بالحج وهو أهم ما يجرى فيه الجدل بين الناس ، وأهم ما يحدث تلك الظاهرة الكريهة •

الهدى من شعائر الله :

بهذا الذى ذكرناه نعلم أن الهدى من شعائر الله التى تجب

وقد طلب الهدى فى هاتين الحالتين على سبيل التخيير بينه وبين غيره : من الصوم والاطعام ، وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن المراد : صوم ثلاثة أيام أو اطعام ستة مساكين ••

وحالة التمتع بالتحلل من الاحرام الأول على ارادة استئناف احرام آخر للحج عند الخروج الى عرفة ، وهى المذكورة بقوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى • فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم » وقد يكون طلب الهدى هنا على أن يكون له بدل عند العجز •

زمان ومكان الهدى :

وكما عرض القرآن للهدى من جهة التنويه بشأنه • ومن جهة الحالات التى يطلب فيها : عينا أو تخييرا بينه وبين غيره • عرض له من جهة المكان الذى يذبح فيه « ثم محلها الى البيت العتيق » « هديا بالغ الكعبة » والمراد — لما دل عليه قول الرسول عليه الصلاة والسلام وعمله — الحرم

الأوقات ، واختلاف مقادير الزكاة والكفارات ، وسائر ما دخله العد ، أو اعتبرت فيه الكيفية — الانوعا من هذا التعبد الذى يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الحقّة وهو الامتثال لأمر الرب الحكيم ، عقل معناه أم لم يعقل •

من ثمرات الهدى الروحية والاقتصادية :

والعلماء يذكرون فى هذا المقام أن هذه القرية تذكر بحادث الفداء الذى حصل لابراهيم الخليل وولده عليهما السلام • وتتبعه النفوس المؤمنة الى مبدأ التضحية فى سبيل الله وطاعته بأعز شىء لديها « وفديناه بذبح عظيم » • على أن فى العمل بهذه القربة اقتراديا يرجع الى سكان البادية، ولعله من مصداق دعوة أبيهم ابراهيم حين قال : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (١) •

المحافظة عليها ، ولا يصلح التهاون فيها أو اغفالها ، وحسبنا « لاتحلوا شعائر الله » والشعائر هى العلامات الواضحة الظاهرة التى اعتبرها الدين مظهرا من المظاهر العامة ، وهذا لا يتحقق الا بعمل ظاهر يراه الناس فى مناسبات خاصة ، وان أردت زيادة فى الايضاح فانظر الى موقف الشريعة من الأذان • اذا اعتبرته شعيرة من شعائر الدين ، يقاثل أهل القرية أو المدينة على تركها وان لم تكن من الفرائض ألا وان للشعائر فى نظر الاسلام مكانة الفروض المقدسة ، وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء فى ذبائح الحج ، ولم نر لواحد منهم خلافا فى ذلك ، نزولا على حكم تلك الآيات الصريحة الواضحة ، وتحقيقا للغرض المقصود ، وهو التقرب الى الله بآراقة الدم • ولله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء : بما يدركون حكمته ، وبمالا لا يدركون • وما كان اختلاف الفرائض — فى عدد الركعات والكيفيات ، وتحديد

(١) الآية ٣٧ من سورة ابراهيم •

سجود أو غيرهما من كفيات الصلاة الخاصة ، وذلك يفتح باب الشر على مصراعيه ولا يقف ضرره عند حد الأضاحى وفدية الحج ••

الشريعة لا ذنب لها :

أما ما يبررون به مثل هذا التفكير من أن لحوم الذبائح تتكدر في منى وتترك للتعفن المفسد للجو ، أو للنار المذهبة للأموال ، فهذه الحالة — ان صحت — ليست ناشئة عن أصل التشريع الذى هو خير كله ، وانما نشأت عن عدم التنظيم ، وعدم الامام بأحكام الشرع ، فان الشرع لم يطلب من كل حاج أن يذبح : فالذى نوى الحج ، واستمر على احرامه حتى أكمل حجه لا يجب عليه ذبح ولم يوجب أن يكون الذبح — فيما يوجب فيه الذبح — فى خصوص منى ولا مجزرتها ، ولا فى اليوم الأول من أيام النحر ، فأيام النحر كلها زمن للذبح ، والحرمة كله مكان للذبح ، والذبح لم يطلب عينا الا فى حالات

ذلك أن الماشية رأس مال أهل البادية • وموسم الحج هو السوق التى تتفق فيه هذه السلعة • عن رغبة لا مشقة فيها ، وبذا يحصلون على أرزاقهم من أعمالهم • ومن ثمن أموالهم دون أن يتعرضوا لذل السؤال ، أو يترقبوا لمن العطاء •

لا تغيير فى أمور التبعيد :

من هذا يتضح جليا أنه لا يجوز للمسلمين أن يفكروا فى استبدال النقود بالهدى أو الأضاحى التى طلبها الشارح بذاتها ، اقامة للتصدق بثمنها مقامها ، اذ ليس القصد هو التصديق ، وانما القصد — كما قلنا — التقرب بها نفسها • واننا لو أبحنا لأنفسنا هذا النحو من التفكير — بناء على ما نظن من حكم التشريع — لا نفتح علينا باب ، التفكير فى التخلّى عن الأعداد والكيفيات التى طلبت فى كثير من العبادات ، ولأمكن لقائل أن يقول: ان الغرض من الصلاة هو الخضوع ومراقبة الله ، وهما معنيان يحصلان بالقلب ، وبأى مظهر من مظاهر الخضوع والمراقبة • فليست هناك حاجة الى ركوع أو

أقتراح لحل المشكلة :

وبعد : فإن الكلام في هذا الموضوع ليس وليد اليوم ، بل سبق أن تحدث فيه المرحوم الهلباوى بك مع فضيلة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، فأحال على فضيلته بحثه من الوجهة الفقهية الشرعية ، فعدت إليه بعد البحث الطويل : بأن الفقهاء جميعا يعتبرون التباعد في هذه المسألة باراقة الدماء ، دون أن أرى في كلام واحد منهم ما يشير - ولو من بعيد - الى جواز استبدال النقود بها . فاطمأن الى هذا وأقره .

وقد عرضت على فضيلته اقتراحا هو : أنه على فرض تكديس اللحوم - كما يقولون بعد مراعاة الأحكام الشرعية في زمان الذبح ومكانه وطلبه وعدم طلبه ، يجب على المسلمين أن يعملوا على استخدام احدى الوسائل الحديثة لحفظ هذه اللحوم وادخارها طيبة ، ثم توزيعها على الفقراء والمحتاجين في جميع الأقطار الاسلامية . ان

مخصوصة ، وما عداها فالحاج مخير بينه وبين غيره : من صدقة أو صيام . .

فلو عرف الحجاج أحكام الله على هذا الوجه فيما يختص بالدماء : فتصدق من لم يطلب منه الذبح ، وذبح من طلب منه الذبح ، وفرقوا الذبح على الأماكن والأيام ، ثم تخيروا الذبيحة من غير العيب والمرضى ، وهيئوها بالسليخ والتقطيع ، لما كان لهذه الشكوى موضع ، ولكن جرت سنتنا في التفكير ان نعتبر الوضع الذى جرت اليه العادات - وان كانت فاسدة - صورة للتشريع فنحكم عليه بالقبح ، ثم نحاول التخلّى عنه بالقضاء على أصله ، وبذلك ندخل في باب من التغيير والتبديل في أحكام الله ، ولا نلبث بعد ذلك أن نترك الشريعة كلها جانبا باستحساننا الفاسد المبني على واقع جر اليه الجهل وعدم التنظيم .

ضاق عنها القطر الحجازى ، أو
بيعها بأثمان تصرف فيما ينفع
الفقراء والمساكين أو فى سبيل الله
العامه ، وانى اعتقد أن هذا
المشروع متى كفلته الدولتان
العظيمتان : مصر والسعودية ،
رأينا آثاره وانتفع الناس بثمراته
ان شاء الله ••
أيها المسلمون : هذه أحكام

الله فى الهدى ، وأحكامه كلها خير
وبركة ، فاعرفوها على وجهها •
وعلموها الناس ، ونظموا العمل
بها والمحافظة عليها ، ولا تكونوا
كالذين ثقلت عليهم أحكام الله مع
يسرها وخيرها فبدلوا قولاً غير
الذى قيل لهم • فأرسل الله عليهم
رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون •
عبد الحميد السيد شاهين

« تصويب »

وضع خطأ ككشيه « الشعر المملوكى مرآة عصره »
فى موضوع •• « تعقيب ورد على التعقيب » ص ١٤٤٦
عدد ذى القعدة •

فلزم التنبيه

من أنباء العالم الإسلامي

اعداد الاستاذ فهمى عبداللاه سيد على

والتكنولوجيا • كما أنه أكد على أهمية تدعيم نظم التعليم الاسلامى ومنهجه فى الدول الاسلامية •

وشدد الرئيس ضياء الحق على أهمية مواجهة مروجى التيارات الهدامة التى يواجهها العالم الاسلامى •

وقال ان صراع الأفكار والمبادئ الوضعية التى وضعها الانسان فى عالمنا المعاصر تعرض السلام الدولى للخطر • وأعرب الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق عن سروره لعودة المسلمين الى المعانى الأصيلة لدينهم وتراثهم التعليمى والثقافى المميز ، واندفاعهم نحو التعرف على هويتهم الحقيقية •

« الرئيس الباكستانى يدعو الى وضع نظام تربوى يركز على العقيدة الاسلامية » •

طالب الرئيس ، محمد ضياء الحق ، رجال التربية المسلمين ، بالرجوع الى القرآن الكريم المنهل الأصلى والدائم للمعرفة والرشاد • كما أنه دعا الى وضع نظام تربوى ، يركز على العقيدة الاسلامية وبناء جيل اسلامى قادر على تحمل مسؤولياته فى الأزمنة الراهنة •

كذلك طالب الرئيس الباكستانى القائمين على التعليم الاسلامى ببذل جهود لتنشئة ابناء المسلمين طبقا لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وتمكين الطلاب المسلمين من التعمق فى العلم

« توصيات اتحاد المؤرخين

العرب (١) » ..

ناشد المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب الحكومات العربية بضرورة الاحتفاء بحلول القرن الخامس عشر الهجري بما يليق وتاريخ الأمة الاسلامية ومكانتها الحضارية ، كما دعا الحكومات العربية ومؤسساتها الثقافية للتعاون مع اتحاد المؤرخين العرب ، من أجل كتابة تاريخ الأمة العربية بأسلوب علمي وروح موضوعية ، كذلك طالب الحكومات العربية بضرورة توحيد مناهج تدريس التاريخ العربي الاسلامي في جميع مراحل التعليم في الوطن العربي .

كما أوصى المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب الحكومات العربية بضرورة الاسهام في مشروع احياء مدينة القيروان ومسجدها الجامع، وآثارها الاسلامية ، وايفاد عدد من المؤرخين العرب الى عدد من الجامعات للتعريف بتاريخ الأمة

الاسلامية وتراثها .

كذلك دعا المكتب الحكومات العربية الى دعم مراكز وأقسام الدراسات الاسلامية والعربية في الجامعات الأجنبية لتمكينها من اداء دورها الايجابي ، ودعم الاتحاد في مشروعه الخاص باقامة ندوة عالمية في كندا لبحث العلاقات العربية الكندية والعمل على تطويرها .

كما أنه دعا الحكومات العربية الى توحيد جهودها وجمع كلمتها لمجابهة العدوان الصهيوني واسترداد حقوق العرب في أرض فلسطين .

ووجه الاتحاد نداء الى الأمين العام للأمم المتحدة عن الجرائم التي ترتكبها الصهيونية في الارض العربية المحتلة .

« الدعوة للمحافظة على مدينة

(فاس) المغربية » ..

وجه سعادة المدير العام لمنطقة الاونيسكو ، التابعة للأمم المتحدة الدكتور أحمد ومختار مباوى ، من

الناحية التقنية فمن المقدر أن تبلغ التكاليف حوالى ستمائة ألف مليون لير ايطالى ، كما أن تنفيذ الحملة قد يؤى الى تغيير جذرى فى مخططات المدينة •

« رابطة العالم الاسلامى تقدم أربع ملايين ريال لتشيد مساجد فى دول افريقية » ••

قدمت رابطة العالم الاسلامى مبلغ ٤ ملايين ريال الى كل من السنغال ، ومالى ، وساحل العاج ، وتوجو ، وسيراليون ، وغانا ، للمساهمة فى انشاء عدد من المساجد فى هذه البلدان •

هذا ، وقد قام وفد من رابطة العالم الاسلامى بجولة فى هذه الدول ، سلم خلالها حصة كل دولة من هذا المبلغ ، كما أجرى اتصالات مع المسئولين فى الجمعيات والمراكز الاسلامية ، فى الدول الست تناولت تشكيل مجالس محلية للأئمة ، للعناية بالمساجد ، الى جانب شئون الدعوة الاسلامية وتطوير أساليبها ، ودعم العلاقات بين الرابطة والدول الاسلامية •

فهى عبد الله سيد على

جمهورية السنغال ، الدعوة للقيام بحملة عالمية ، لاعادة بناء وترميم مدينة فاس ، أقدم المدن المغربية، والتي كانت فى يوم من الأيام عاصمة الجناح الغربى من بلاد الاسلام ، لتعود اليها عظمتها ومجدها ، ليس فقط من الناحية الفنية والمعمارية فحسب ولكن من الناحية التجارية والثقافية والأدبية والروحية • ان مشروع اعادة تعمير مدينة فاس سيتناول اعادة بناء وترميم العديد من المساكن والمدارس والمعاهد الدينية والثقافية ، بحيث تعاود نشاطها وتستعيد مجدها ، فضلا عن المحافظة على الفن المعماري الأندلسى ، وكذلك فكرة بناء كلية الدراسات الاسلامية •

والجدير بالذكر ، أن هذا النداء العالمى ، هو الأول من نوعه ، والذي تقوم به مؤسسة الأونيسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، فى سبيل اعادة بناء وترميم مدينة اسلامية ، كما أن هناك بعض العقبات التى تعترض هذه الحملة، سواء من الناحية المالية أو من

كتاب الشهر

أبوهريّة المفترى عليه

في كتاب
مذاهب أئمتها الساسة في الإسلام

تأليف
الأستاذ / عبد الواحد الأنصاري

تعليق
الأستاذ / عبد الجواد محمد الحفزي

رد على لغو نفوه به كاتب في مصنف منشور ٠٠٠

نشرت مؤسسة للمطبوعات في بيروت — مؤخرًا — كتابًا حمل عنوان (مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام) افترى مؤلفه على أبي هريرة ، ولم يكف بذلك بل اتهم جل الصحابة — رضى الله عنهم — بما لا يقوله مسلم يؤمن بما أنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — ولا كنت أحفظ أثرًا عن جابر بن عبد الله يقول : « اذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره ، فان كانتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل على محمد » ترانى أكشف الأتقنة عن الطاعنين ٠٠٠ ولم لا ؟ وقد أثبت أعلام الاسلام « أن (١) أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين تصديقًا ، وعلمًا وعملاً وتبليغًا ، فالتطن فيهم طعن في الدين موجب للاعراض عما بهت الله به النبيين » وأشهد أن أبا هريرة ورفاقه مبرعون من كل جريرة ، أما ما يتقوله هؤلاء مشيرو الفتن ، فان يغنى عن الحق شيئًا ، وأنى لهم التناوش ؟ وقد سجل الاسلام فضل صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في مناهجه :

في القرآن الكريم

يقول الله « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم » (٢) •
ويقول : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة (٣) » ويقول : « والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحسان رضى

(١) ابن تيمية (منهاج السنة) ج ١ ص ٢ ط أنصار السنة المحمدية . القاهرة .

(٢) سورة التوبة — ١١٧ .

(٣) سورة الفتح — ١٨ .

ولا مناص من اتهام اسلام هؤلاء
والا فبم يتهمون ؟ !
وحسبك أن الله سبحانه — غفر
لهم وترضى عنهم — وليت المتشككين
ينظرون بعين الانصاف الى هؤلاء
النجوم الذين نوروا للناس
الظلمات ...

مزاعم مدحوضة بالدلائل الثابتة .

يقول مصنف الكتاب في (ص ١٣)
(ان أبا هريرة الذى عاش في عهد
رسول الله — صلى الله عليه وسلم
— سنة وبضعة أشهر وحده يروى
عن رسول الله أكثر من ستة أضعاف
ما رواه على وأبو بكر وعمر
وعثمان ، يروى البخارى منها
(٤٤٦) حديثا أى ما يقارب خمسة
عشر ضعفا عما رواه عن أبى بكر
وعمر مع اجماع المسلمين أن عمر
وعائشة كانا غير واثقين به ويتهمانه
بالكذب على رسول الله ، أخرجه

الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم
جنان تجرى تحتها الأنهار خالدين
فيها أبدا تلك الفوز العظيم » (٤) .

في السنة الشريفة

يقول رسول الله — صلى الله
عليه وسلم : « لا تسبوا
أصحابى فوالذى نفسى بيده لو
أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً
ما أدرك مد أحدهم
ولا نصيفه » (٥) ويقول « الله !
الله ! فى أصحابى لا تتخذوهم
غرضاً فمن أحبهم فبحبى أحبهم ،
ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ،
ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن
آذانى فقد آذى الله فيوشك أن
يأخذهم » (٦) ويرى
الامام أحمد أن المرجفين على
صحابه النبى « أرادوا القدح فيه
 فلم يمكنهم ذلك فقدحوا فى أصحابه
حتى يقولوا رجل سوء ، ولو كان
رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين »

(٤) سورة التوبة ١٠٠ .

(٥) رواه مسلم وهو صحيح .

(٦) رواه الترمذى وابن حبان .

الامام أبو حنيفة من الثقات واعتبره من الوضاعين .. الخ) وللدرد على هذه الأكاذيب نقول : — الناس متفاوتون في العقول ، وفي درجة التلقى للعلم ، وليس بمستغرب أن يحصل أبو هريرة ما لم يحصله غيره بيد أنه كان قوى الذاكرة جيد الحفظ لأنه لم يك كاتباً مثل بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا يغيب عن خاطرنا أن الصحابة كانوا يتمنون اسلام الأعراب لأنهم كانوا يسألون الرسول عن أشياء يستحي منها الصحابة ، أما أنه عاشر النبي — صلى الله عليه وسلم سنة وأشهر — فهذا كذب والصدق أنه جلس معه « ثلاث سنين وأشهر كما أجمعت معظم الروايات التاريخية الصحيحة (٧) » ولعل كثرة مروياته راجعة في الأصل الى ملازمته اللصيقة لرسول الله ، فمن أبي هريرة قال : قلت يارسول الله : « من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال

« لقد ظننت أن يسألني عن هذا الحديث أحدا أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث » وأخرج البغوى بسند جيد عن ابن عمر أنه قال لأبى هريرة : « أنت كنت ألزمتنا لرسول الله ، وأعلمنا بحديثه » وعن طلحة بن عبيد الله قال : لا أشك أن أبا هريرة سَمِعَ من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما لم نسمع (٨) ، ومن عجيب الأمر أنه كان يعلم أن الناس سيتقولون عليه ، وكأنه كان ينظر بستر رقيق من وراء الغيب ، وهذا ان دل فليس الا على نفاذ بصيرته وقوة فراسته وسلامة كرامته ، وتأمل معي — أيديكم الله — حديثه الواضح لتري مدى شفافيته قال : « يقولون ان أبا هريرة قد أكثر والله الموعد ، ويقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه ، وسأخبركم عن ذلك : ان أخوانى من الأنصار كان يشغلهم الصفق بالأسواق وكنت ألزم

(٧) رشيد رضا (مجلة المنار) ج ١ مجلد ١٩ ص ٣٦ سنة ١٣١٥ هـ .

(٨) ابن حجر — (الإصابة) ج ١ ص ٢٠٧ ط السعادة سنة ١٣٢٨ هـ .

لهذا الاكثار من المحفوظات فأثبت
أن من أعلام الرواة « أبو هريرة »
وعدد ما رواه خمسة آلاف وثلاثمائة
وأربعة وسبعون (٥٣٧٤) حديثا ،
وعن الشافعى : كان أبو هريرة
أحفظ من روى الحديث فى دهره ،
وكان الامام مالك يرضاه وهو ثقة
دع عنك ما ينسب به المؤلف لأبى
حنيفة ، لأن مسائل الفقه عنده
اعتمدت فى أدلتها على أحاديث
الرسول برواية أبى هريرة ، فكيف
يكذبه ثم يعتمد على طريقه ، بل
كيف يخترع مصنف الكتاب تلك
الأقاويل ويعزوها للبراء منها ،
وهل نسى « أنا أبا هريرة روى عنه
أكثر من ثمانمائة رجل (٩) » ويقول
فى ص ٢٧ ما نصه : « وبعد أن كان
الانتهازيون من المحدثين يحدثون
الناس فى عهد معاوية ، أن الله
اصطفى محمدا وجبرائيل ومعاوية
٠٠ روى صاحب البداية والنهاية ج
٨ ص ١٢٠ عن أبى هريرة قال :
سمعت رسول الله - صلى الله عليه

رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - على ملء بطنى ، فأشهد
إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا ولقد
قال رسول الله - أيكم يبسط
ثوبه فيأخذ من حديثى هذا ثم
يجمعه الى صدره ، فانه لم ينس
شيئا سمعه فبسطت بردة على حتى
فرغ من حديثه ثم جمعتها الى
صدرى فما نسيت بعد ذلك اليوم
شيئا سمعته منه ، ولولا آيتان
أنزلهما الله فى كتابه ، ما حدثت
شيئا أبدا (ان الذين يكتمون ما
أنزلنا من البينات والهدى ٠٠٠
الى آخر الآيتين -) رواه
البخارى ومسلم والترمذى
ولا ريب فى ذلك ناهيك أن
النبي دعا له بعدم النسيان كما
ورد فى سنن النسائى أنه قال :
اسألك علما لا ينسى فقال رسول
الله : آمين فقال الجلوس : يا رسول
الله ونحن نسألك علما لا ينسى
فقال : « سبقكم بها الغلام الدوسى »
ولم يفت الامام (❊) أن يتنبه

❊ الذهبى فى ميزان الاعتدال .

(٩) ابن العماد - (شذرات الذهب) ج ١ ص ٦٣ ط القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ

بالموضوعات ، أليست هذه فرية
 بلا دليل وتهمة بلا بينة ، وجور لا
 يعرف العدل . وكتب في ص ٢٨
 يقول : — كان أبو هريرة أول
 راوية اتهم في الاسلام بالكذب على
 رسول الله — صلى الله عليه
 وسلم — وهو أول والى فضحه
 عمر بن الخطاب على أخذ الرشوة
 لما ولاه على البحرين ، ولكي يرفع
 من مقام نفسه فيما بين الصحابة
 والتابعين ، بدأ بوضع الحديث عن
 نفسه فزعم أن النبي خصه دون
 غيره بالحديث ، وهو الكذاب
 المرتشى فيجعل من نفسه قيما
 على حديث النبي حافظا لكل ما نطق
 به . . . الخ ، وهكذا يتوالى
 سوء الأدب مع صحابي فضله الله
 ورسوله على أمثالنا ، دع عنك
 أن المؤلف يرتد عن عمد الى
 جاهلية في الهجوم على الأموات
 فينطق بهراء باطل يدحضه البحث
 العلمى السليم ، وانه ليسوؤنا أن
 يحمل هذا المسلم نفس الترهات
 التى حملها أعداء الاسلام وعلى

وسلم — يقول : « ان الله اثتمن
 على وحيه ثلاثة : أنا وجبريل
 ومعاوية » قلت : لعل سيادة
 المؤلف — فض الله فاه — نسى أن
 النبى محمدا قال « سيكذب على »
 وقال : من كذب على متعمدا فليتبوأ
 مقعده من النار (١٠) « وهو النبى
 المعصوم من قبل الله تعالى لم ينج
 من كيد الأشرار وحيث أن النبى
 كذلك ليس ببعيد أن يضع الأعداء
 هذا الحديث أو الخبر على
 الصحابى الجليل ، ويبدو أن واضع
 الخبر الكاذب كان يعترف بجلال
 أبى هريرة ومكانته ، والا لما تقول
 عليه بهذا الأسلوب !! ومن وجهة
 أخرى نقول : هذا الخبر ضمن
 المثبوت فى كتب التاريخ ، ومعظمها
 مقطوع السند ، مدلس المتن ،
 مجهول الرجال ومن تعاجيب
 المفاهيم أن مؤلف الكتاب يجيء
 بالطم والرم وينكر ما أورده
 البخارى ومسلم والنسائى
 والترمذى وأصحاب السنن لصالح
 أبى هريرة وتراه يحتج

أبا هريرة فقال : « ما ذنبى ان كنت حفظت ونسوا » فلا مشاحة ان روى هذه الأحاديث عن يقين وصدق القائل :

سبع من الصحب فوق الألف قدنقلوا من الحديث عن المختار خير مضر أبو هريرة — سعد جابر أنس — صديقه وابن عباس كذا ابن عمر — ومن ذا الذى ينكر أن محمداً — صلى الله عليه وآله وسلم — كان يعلم مطاوى أصحابه ودواخلهم وقد خولته معجزاته أن يخص بعض أصحابه بأمر ، تنفع الاسلام عن طريقهم ، وعلى سبيل المثال رجل يأتى اليه فيقول للرسول أوصنى فيجيبه — صلى الله عليه وسلم — لا تغضب ثم يستصحه آخر فينصحه الرسول بالاستقامة ، لذا لا تثريب عليه وهو الصادق الأمين أن يعطى الوصية لطالبها ومما أخذه أبو هريرة هذا الخبر الصحيح قال له النبى — صلى الله عليه وسلم — « أوصيك بخصال لا تدعهن مابقيت قال : أوصنى ما شئت فقال له : عليك بالغسل يوم الجمعة والبكور

رأسهم القس النصرانى المصرى عام ١٣١٥ هـ ، وتصدى له حينها محمد رشيد رضا — رحمه الله — ويبدو أن شجرة الباطل من أصل واحد ، وعن عزل الصحابى من اماراة البحرين فهذا أمر يتعلق بصالح المسلمين ، ولا يخفى على منصف أن عمر — رضى الله عنه — كان من أعدل خلق الله فى شجاعة يقرها العرف الاسلامى ، ولا غرو فهو الفاروق الذى فرق الله به بين الحق والباطل واذا كان المؤلف — سامحه الله — يروى أن عمر عزله لشيء يراه ، فلا يقدر هذا الشيء فى شخص أبى هريرة ولا يعيبه أنه أكثر الناس توفيقا فى حفظ الأحاديث فقد قيل له ذات يوم « أكثرت ، فقال لو حدثتكم بما سمعت لرميتونى بقشع الجلود » (نقل هذا الخبر ابن حجر) ، وكان أبو هريرة قد روى حديثا عن الصلاة لم يعجب مروان فسأل عبد الله بن عمر : فقال عبد الله لقد أكثر أبو هريرة فقالوا له ، أنتكر شيئا مما يقول ؟ فقال لا ! ولكن اجتراً وجبنا فبلغ ذلك

لأمكن قراءتها في مجلس واحد ، لأن الأحاديث النبوية تأخذ طابع الإيجاز والفصاحة فكيف — بالله عليكم — يستكثر هذا الغر هذه الأحاديث على مثل أبي هريرة أو من هو دونه في الحفظ واننا لنعلم أن في تاريخنا العربي ، « أناسا حفظوا مجلدات ومنهم ، أبو محمد عبد المجيد عبدون الذي كان أيسر محفوظاته كتاب الأغاني للأصفهاني وهو اثني عشر مجلدا من القطع الكبير (١٢) » ومن منح الله للعرب ، هذه العقول الجبارة التي نقلت إلينا أساسيات الفكر الانساني في العلوم والمعارف ، وانها لمفخرة للإسلام والمسلمين على مر الدهور أن يكون فيهم هذا الجم الغفير من الحفاظ الأجلاء !
 ... ويكتب في ص ٣٠ ما يلي : — « رأيت كيف أن أبا هريرة ، وقد ساوم معاوية على وضع الحديث كيف سد الطريق على غيره في رواية الحديث والطعن في

اليها ، ولا تلغ ولا تله ، وأوصيك بركعتي الفجر لا تدعهما وان صليت الليل كله فان فيهما الرغائب قالها ثلاثا ثم قال ، ضم اليك ثوبك فضم ثوبه الى صدره فقال يارسول الله بأبي وأمي أسر هذا أو أعلنه قال : بل أعلنه يا أبا هريرة قالها ثلاثا (١١) ٠٠ في ص ٢٩ يعتب بلا حياة على ابن خلدون فيقول : — « العجب كل العجب ممن اعتبر أصدق كتاب ، بعد كتاب الله الكتاب الذي يروى عن أبي هريرة (٥٣٧٤) هكذا !! ، ولا يروى عن طريق الامام أبي عبد الله رواية واحدة » أقول : حقا الزور مفضوح بنفسه ، وليته سكت حتى لا يكشف القارئ خيوط الأكذوبة ان البخاري لم يرو له الا (٤٤٦) حديثا فقط ، واذا أردت تلاوة هذه الأحاديث وجدت أنها من سماعه ومن روايته عن بعض أصحابه — رأى أن فيها مراسيل — وهي لو جمعت كلها

(١١) منصور ناصف (التاج) ج ١ ص ٢٠٧ ط الحلبي بالقاهرة .
 (١٢) مصطفى صادق (تحت راية القرآن) ص ٧٨ ط لبنان ١٣٩٤ هـ .

الأمويون حديث الرسول لأبي هريرة وحده ؟ كلا وما في كتب الصحاح أظهر دليل على بطلان زعمه •

المستشرقون يفكرون !!

في دائرة المعارف الاسلامية ، التي أعدها ثلة من أصحاب الشمال ، مستشرقى الغرب مايندى له جبين المسلم المؤمن ، ومن المآسى أن يقف المترجمون العرب ، موقف المتفرج تجاه مثل هذا الهراء وتعال معى - بصرك الله - لتقرأ ما نصه « وقد اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرة أبى هريرة عن الوقوع في الخطأ تلك الذاكرة التي استطاع أن يستوعب بها عددا عظيما من الأحاديث فقالوا : ان النبى لفه بيده في بردة ونحن نقف من أحاديثه موقف الحذر والشك ، وقد وصفه شيرنكر بأنه المتطرف في الاختلاق وليس في كتابى البخارى والترمذى ، شىء

الصحابة !! رأييت كيف أن السياسة الأموية جعلت من أبى هريرة راوية •• الاسلام دون سواء ؟ » ونجيب على مثاليه لصحابة النبى - صلى الله عليه وسلم - بأن معاوية بادىء ذى بدء برىء من هذه الأكذوبة ، والنصوص التي تبرؤه ليست من عندى بل نقلها البخارى ومنها أن ابن عباس قيل له « هل لك في أمير المؤمنين معاوية فانه ما أوتر الا بواحدة فقال له انه فقيه ، وعن النبى - صلى الله عليه وسلم - « أنه قال لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به (١٣) » ولم يكن من ملوك الاسلام ملك خيرا من معاوية ، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيرا منهم في زمن معاوية اذا نسبت أيامه الى أيام ما بعده واذا نسبت الى أيام أبى بكر وعمر ظهرت المفاضلة (١٤) » فماذا علينا لو تعلمنا الاحترام لهؤلاء السادة الكرام وهل جعل

(١٣) رواه الترمذى .

(١٤) ابن تيمية (منهاج السنة) ج ٣ ص ١١٥ (نفس المرجع السابق)

خاص عن أبي هريرة (١٥) « !!
نقول ان الحركة الاستشراقية،
أقيمت لهدم الفكر الاسلامي ،
وتقويض أركانه بالطعن في أعلامه ،
وماذا تنتظر من أعدائك الا
الانتقاص منك ومن ذويك ،
والمستشرقون يخضعون للنصوص
حسب الفرض الذي عليه هواهم ،
غير ناظرين الى المعايير التي
اصطلح عليها أهل الفكر الاسلامي
واذا ما عجزوا عن الفهم حرفوا
الأحاديث لكأنها من اختلاق الناس،
ويحق للناس الزيادة فيها والنقصان
منها ، ووصل الحال الجائر بهم أن
شكوا في أحاديث النبي بل في
النبي - صلى الله عليه وسلم -
نفسه !! وقد ردد جولد
زيهروودوزي وشبرنجر أن السنة
تأخرت في التدوين ، فأعطى هذا
فرصة للمسلمين ليزيدوا لخدمة
أغراضهم وليس أبو هريرة وحده
- بل كل الصحابة - واننى لمستاء
من الذين يفخرون بالانتماء

الاستشراقى وتا الله ما كتب
الاستشراقى الاسم فى تريق ،
ولقد شاء الله أن يظهر الحقائق
فروى البخارى هذا الجمع وروى
الترمذى أكثر منه فكيف زعمهم وهم
أرباب المنهج العلمى كما يدعون !
ومن أكبر الدواهى أن أحد العرب
المسلمين كاد أن ينفى وجود
شخصية تحمل هذا الاسم (أعنى
أبا هريرة) ويبدو أنه عمى عن كتب
التاريخ ونجمل له المراجع التى
أنصفت أبا هريرة وله دراستها -
ان أراد - (التهذيب : ج ١٢ ص
٢٦٢ ، ٢٦٣ - الطبقات : ج ٤ ص
٥٢ ، ٥٣ - سير اعلام النبلاء : ج
٢ ص ٤١٧ - تاريخ الاسلام : ج
٢ ص ٣٣٣ - الكامل ج ٣ ص
٢٥٩ - شذرات الذهب : ج ١ ص
٦٣ - الأصابة ترجمة رقم ١١٧٩ ،
حلية الأولياء ج ١ ص ٣٨٦ ،
المحبر : ص ٥ ، ٨١ - النجوم
الزاهرة ج ١ ص ١٥١ - الوفيات
لابن الخطيب ص ٧٢ - المعارف :

ص ٢٧٧ - حياة الصحابة : للاسلام فى مناخ الشعوبية
ج ١ ص ١٧٧ - فجر الاسلام : النكراء فهل آن لنا
ج ١ ص ٦٥ ، ١٨٥ ، ٣٢٨ ، - معشر المسلمين ، أن نصلح
أبو هريرة - سلسلة أعلام أخلاقنا ؟ ونرتفع فوق العصية
العرب ، للاستاذ محمد المنتتة ، التى هدت كيان الأمة
عجاج الخطيب - دفاع عن أبى ونحرت فى أركانها ، اننى أحس
هريرة ، للاستاذ عبد المنعم صالح قللقا بالغا على سلامة التاريخ
العللى) * للصحابه السلفى - رضوان الله

وبعد ... ثمأذا بعد الحق
الا الضلال ؟

عليهم - ولا بدع فواحد من الكتاب يطلع بمقال يتهم فيه
« ابن تيمية » اتهاماً لا يقره عقل ولا ترضاه فطرة أخلاقية ، وآخر
يطالب باعادة كتابة السيرة المحمدية لأنها - على زعمه - مليئة
بالغزوات ، ولم يك الرسول !!
رجل حرب بل رجل سلام !!
ويالللأسف : ان السيرة التى كتبها
- ابن اسحاق ، وابن هشام ،
وابن كثير ، والقاضى عياض ،
والسهيلى ، وعبد الله بن الشيخ
محمد عبد الوهاب - ثم الدكتور
هيكل ، كفيلة بأن تقف متحدية
لأنها مؤيدة بالكتاب والسنة ، ومهما
اختلفت المناهج اتحدت النتائج ،

ليس مؤلف كتاب (مذاهب
سياسية ...) هو وحده الذى
طعن فى صحابة الرسول - صلى
الله عليه وسلم - بل غيره كثير ،
وقد صنف علماؤنا الكبار رسائل
فى الرد على هؤلاء الذين مرقوا عن
دين الله واتبعوا سبيل الضالين ،
ولن يستفيد المسلمون من هذه
المؤلفات المشبوهة التى تحمل
أسماء المسلمين أو من تساموا
باسمهم : ، وليس من الاسلام أن
أسب أحدا فسباب المؤمن فسوق
وقتاله كفر ، ولا يريد أعداء
الاسلام الا بذر التيارات المعادية

وعلى هؤلاء الأعداء من محدثي ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان
العصر ، أن يلزموا الأدب مع الله ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا
ورسوله وأصحابه - رضوان ربنا أنك رءوف رحيم *
الله عليهم - (ربنا اغفر لنا

عبد الجواد محمد الخضرى

* * *

فهرس العدد

الموضوع	صفحة
● منابع التاريخ الاسلامى وبدء الكتابة فيه	
لعضيله الدكتور محمد الطيب النجار وكيل الأزهر . . .	١٥٩٧
● الرحله فى طلب الحديث	
لعضيله الدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلاميه	١٦٠٧
● لمحات من اسرار الحج	
للاستاذ محمد صابر البرديسى	١٦١٨
● أخلاقيات البيع والشراء فى الاسلام	
للدكتور رؤوف شلبى	١٦٢٧
● المهدي والخومينى فى نظر الاسلام	
لفضيله الشيخ مصطفى محمد الطير	١٦٣٥
● مناسك الحج ٠٠ والرمزية	
للدكتور محمود بن الشريف	١٦٤٩
● حول اعلام اسلامى رشيد « خطبة الجمعة »	
للدكتور محمد رجب البيومى	١٦٥٧
● الشعر المملوكى مرآة عصره	
للاستاذ السيد حسن قرون	١٦٦٥
● التربية الصوفية	
للاستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى	١٦٧٣
● العقلية العلمية فى الاسلام	
للاستاذ أحمد عبد الرحيم السايح	١٦٨٤
● من سماحة الاسلام فى معاملة المسلمين	
للاستاذ محمد عزت الطهطاوى	١٦٩٧
● دراسات قرآنية فى ملكوت السموات والأرض	
للاستاذ على عبد العظيم	١٧١٣
● غربة الاسلام	
للاستاذ موسى محمد على	١٧٢٦

- الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس
للأستاذ محمد نعيم عكاشة ١٧٣٥
- دمنة وقاء على المرحوم الدكتور أحمد الشرياصي
لتلاميذ الفقيه ١٧٤٠
- مشكلات الشباب المعاصر وحلولها في ضوء الكتاب والسنة
للأستاذ على القاضي ١٧٤٣
- جمع الصحيحين
للأستاذ محمد أحمد بدوي ١٧٥٧
- يا عبيد
للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين ١٧٦٨
- أخطاء شائعة
للأستاذ عباس أبو السعود ١٧٦٩
- حكم ٠٠٠ وطرائف
أعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٧٧٨
- باب الفتاوى
للأستاذ عبد الحميد السيد شاهين ١٧٨٣
- من أنبياء العالم الإسلامي
أعداد الأستاذ فهمي عبد الله سيد على ١٧٩٢
- كتاب الشهر
تعليق الأستاذ عبد الجواد محمد الخضري ١٧٩٥

